احسن تفسيرا وسراجا منيرا

قد استتب طبع الجزء [illegible] من تفسير القرآن نقلاً من مطبوع المصر اعظم البلدان

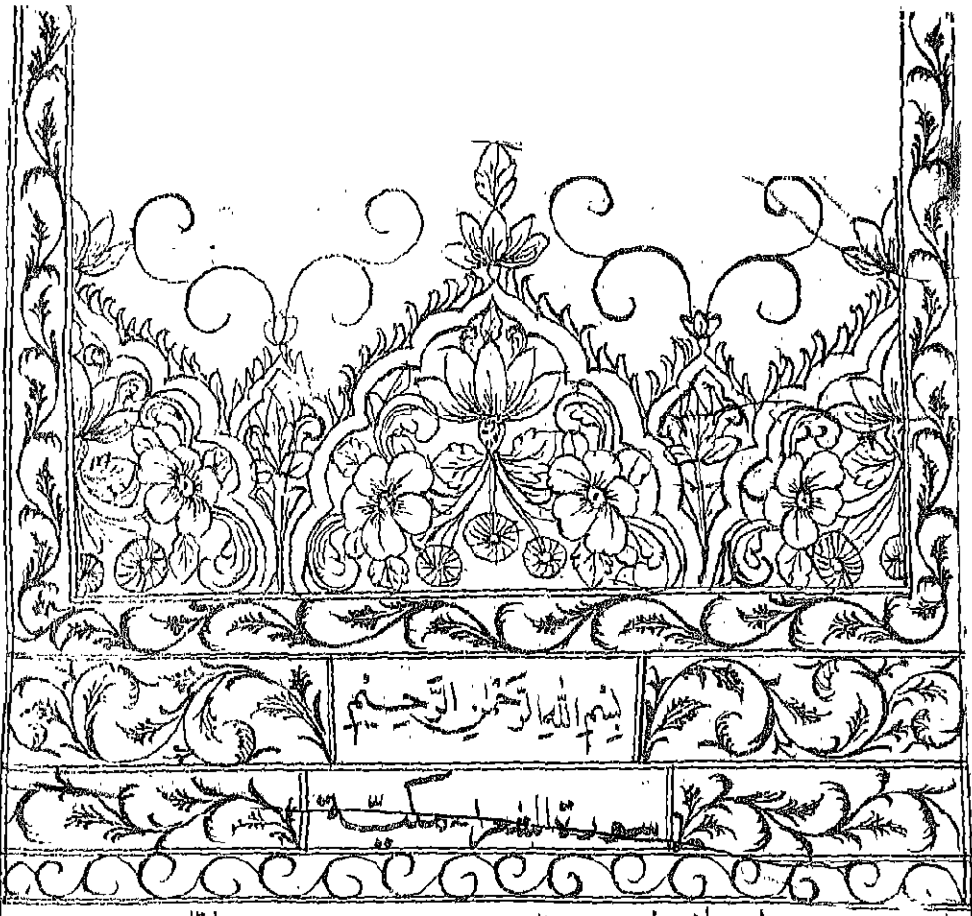
الشهير

السراج المنير

من تصنيفات

العالم النبيل الفاضل الجليل الخبير الاديب محمد الشربيني الخطيب

فی المطبع اللكنوی المعزی الی المنشی نولكشور



الا قوله والشعراء الى اخرها فمدنى وهى مائتان وست وعشرون اية والف وماتان وسبع وتسعون
كلمة وخمسة الاف وخمسمائة واثنان واربعون حرفا روى البغوى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال اعطيت طه والطواسين من الواح موسى عليه السلام بِسْمِ اللّٰهِ الذى دل علو كلامه على عظمة
شانه وعز مرامه الرَّحْمٰنِ الذى لا يعجل على من عصاه الرَّحِيْمِ الذى يحيى قلوب اهل وده بالتوفيق لما
يرضاه طسٓمٓ قال ابن عباس عجزت العلماء عن علم تفسيرها وفى رواية عنه انه قسم وهو من اسماء الله
تعالى وقال قتادة اسم من اسماء القران وقال مجاهد اسم السورة وقال محمد بن كعب القرظى
اقسم بطوله وسناه وملكه ولهذا الاختلاف قال الجلال المحلى الله اعلم بمراده بذلك وقد قدمنا
الكلام على اوائل السور فى اول سورة البقرة وقرأ حمزة والكسائى وشعبة بامالة الطاء والباقون
بالفتح واظهر حمزة النون من سين عن الميم وادغمها الباقون وهى فى مصحف عبد الله بن مسعود طس م
مقطوعة من بعضها تِلْكَ اى هذه الايات العالية المرام الحائزة اعلى مراتب التمام المؤلفة من هذه
الحروف التى تتناطقون بها وكلمات السنتكم اٰيٰتُ الْكِتٰبِ اى القران الجامع
لكل فرقان الْمُبِيْنِ اى الظاهر اعجازه المظهر الحق من الباطل ولما كان عنده صلى الله عليه وسلم
مزيد الشفقة وعظم الرحمة على قومه قال تعالى تسلية له

الا يكونوا اى قومك مؤمنين اى متابعين فى الايمان اى لا تبالغ فى الحزن والاسف فان هذا الكتاب
ان فى غاية البيان فى نفسه والابانة لغيره وقد تقدم فى غير موضع انه ليس عليك الا البلاغ
ولو شئنا لهديناهم طوعا او كرها والبخع ان يبلغ بالذبح النخاع بالنون والباء وهو عرق مستبطن الفقار
وذلك اقصى حد الذبح ولعل للاشفاق اى اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من
ايمان قومك فصبره وعزاه وعرفه ان حزنه وغمه لا ينفع كما ان وجود الكتاب ووضوحه لا ينفع
ثم انه تعالى اعلمه بان كل ما هم فيه انما هو بارادته بقوله تعالى إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ وعبر بالمضارع
فيهما اعلاما بان دوام القدرة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بسكون النون الثانية واخفائها عند الزاى وتخفيف
الزاى والباقون بفتح النون وتشديد الزاى ثم قال تعالى محققا للمراد مِنَ السَّمَاءِ اى التى جعلنا
فيها بروجا للمنافع واشار الى تمام القدرة بتوحيدها بقوله تعالى آيَةً اى قاهرة كما فعلنا
ببعض من قبلهم بنتق الجبل ونحوه تنبيه هنا همزتان مختلفتان ابدل نافع وابن كثير
وابو عمرو الهمزة الثانية المفتوحة بعد المكسورة ياء خالصة وحققها الباقون ثم اشار
تعالى الى تحقق هذه الآية بالتعبير بالماضى فى قوله تعالى عطفا على ننزل لانه فى معنى انزلنا فَظَلَّتْ
اى عقب الانزال من غير مهلة أَعْنَاقُهُمْ اى التى هى موضع الصلابة وعنها تنشأ حركات الكبر
والاعراض لَهَا خَاضِعِينَ اى منقادين تنبيه خاضعين خبر عن اعناقهم واستشكل جمعه جمع سلامة
لانه مختص بالعقلاء فاجيب عنه باوجه احدها ان المراد بالاعناق رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا
بالاعناق كما يقال لهم الرؤس والنواصى والصدور قال القائل + فى محفل من رؤس الناس مشهود +
ثانيها انه على حذف مضاف اى فظل اصحاب الاعناق ثم حذف وبقى الخبر على ما كان عليه قبل حذف المخبر
عنه مراعاة للمحذوف ثالثها انه لما اضيفت الى العقلاء اكتسبت منهم هذا الحكم كما يكتسب التانيث بالاضافة لمؤنث
فى قوله + كما شرقت صدر القناة من الدم + رابعها قال الزمخشرى اصل الكلام فظلوا لها خاضعين
فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع ترك الكلام على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة كان
الاهل غير مذكور ونوزع فى التنظير لان اهل ليس مقحما البتة لانه المقصود بالحكم خامسا انها
عوملت معاملة العقلاء كقوله تعالى ساجدين وطائعين فى يوسف والسجدة وقيل انما قال تعالى
خاضعين لموافقة رؤس الآى لتكون على نسق واحد وَمَا يَأْتِيهِمْ اى الكفار مِنْ ذِكْرٍ اى
موعظة او طائفة من القرآن يذكرهم نباه فيكون سبب ذكرهم وشرفهم مِنَ الرَّحْمَنِ اى
الذى انكروه مع احاطة نعمه بهم مُحْدَثٍ اى بالنسبة الى تنزيله وعلمهم به واشار تعالى الى دوام
كبرهم بقوله تعالى إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ اى اعراضا هو صفة لهم لازمة ولما كان حال المعرض
عن الشئ حال المكذب به قال تعالى فَقَدْ اى فتسبب عن هذا الفعل منهم انه قد كَذَّبُوا اى
بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا فى تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا فى قوله

قوله من رؤس الناس فى نسخة من نواصى الناس

وعواقب ما اى العذاب الذى كانوا به يستهزؤن اى يهزؤن من انه كان حقا او باطلا وكان
حقيقا بان يصدق ويعظم امره او يكذب فيستخف امره ثم قال تعالى معجبا منهم اولم يروا الى الارض
اى على سعتها واختلاف نواحيها ونبه على كثرة ما انبته من جميع الاصناف بقوله تعالى
كم انبتنا اى بما لنا من العظمة فيها بعد ان كانت يابسة ميتة لا نبات فيها من كل زوج اى صنف
متشاكل بعضه لبعض فلم يبق صنف يليق بهم فى العاجلة الا اكثرنا من الانبات منه كريم
اى كثير المنافع محمود العواقب هو صفة لكل ما يحمد ويرضى وهو ضد اللئيم وههنا يحتمل معنيين
احدهما النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت فى الارض من جميع اصناف النبات النافع
وخلى ذكر الضار والثانى ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على
انه تعالى ما انبت شيئا الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لحكمة بالغة وان تغفل عنها
الغافلون ولم يتصل الى معرفتها العاقلون ولما كان ذلك باهرا للعقل منبها له فى كل حال على عظيم
اقتدار صانعه وبديع اختياره وصل به قوله تعالى ان فى ذلك اى الامر العظيم لاية اى دلالة
على كمال قدرته تعالى فان قيل حين ذكر الازواج دل عليها بكلمتى الكثرة والاحاطة وكان لا يحصيها
الا عالم الغيب فكيف قال ان فى ذلك لاية وهلا قال لايات اجيب بوجهين احدهما ان يكون ذلك
مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان فى ذلك الانبات لاية ثانيهما ان يراد ان فى كل واحد
من تلك الازواج لاية و الحال انه ما كان اكثرهم اى البشر مؤمنين فى علم الله تعالى وقضائه فلذلك
لا ينفعهم مثل هذه الايات العظام وقال سيبويه كان زائدة وان اى والحال ان ربك
اى الذى احسن اليك بالارسال وسخر لك قلوب الاصفياء وزوى عنك الالداء والاشقياء
لهو العزيز اى ذو العزة ينتقم من الكافرين الرحيم يرحم المؤمنين ولما كان مع ذكر
فى ذكر القصص تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم فيما يقاسيه من الاذى والتكذيب وكان
موسى عليه السلام قد اختص بالكتاب الذى ما بعد القرآن مثله والايات التى ما اتى
بمثلها احد قبله بدأ بذكره فقال تعالى واذ اى واذكر اذ نادى ربك اى المحسن اليك بكل ما يمكن
الاحسان به فى هذه الدار ثم ذكر المنادى بقوله تعالى موسى اى حين رأى الشجرة والنار واختلف
اهل السنة فى النداء الذى سمعه موسى عليه السلام اهو الكلام القديم او صوت من الاصوات قال
ابو الحسن الاشعرى رضى الله تعالى عنه هو الكلام القديم فكما ان ذاته تعالى لا تشبه سائر الذوات مع ان
الدليل دال على انها معلومة ومرئية فى الاخرة من غير كيف ولا جهة فكذا كلامه منزه عن مشابهة
الحروف والصوت مع انه مسموع وقال الماتريدى هو من جنس الحروف والاصوات واما المعتزلة
فقد اتفقوا على ان ذلك النداء كان بحروف واصوات علم به موسى من قبل الله تعالى فصار
معجزا علم به موسى ان الله تعالى يخاطبه فلم يحتج مع ذلك للواسطة ثم ذكر تعالى ما له النداء بقوله تعالى
ان اى بان ائت القوم اى الذين فيهم قوة واى قوة الظالمين رسولا ووصفهم بالظلم لكفرهم

واستبعادهم بني اسرائيل وذبح اولادهم وقوله تعالى قَوْمَ فِرْعَوْنَ اى معه بدل او عطف بيان للقوم الظالمين وقوله تعالى اَلَا يَتَّقُونَ استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجبا من افراطهم فى الظلم واجترائهم عليه ولما كان من المعلوم ان من اتى الناس بما يخالف اهواءهم لم يقبل قَالَ رَبِّ اى ايها الوفيق لي اِنِّيٓ اَخَافُ اَنْ يُّكَذِّبُوْنِ اى فلا يترتب على اتياني اليهم اثر فاجعل لى قبولا ومهابة تحرسني بها ممن يريد لى بسوء وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون وَيَضِيْقُ صَدْرِىْ من تكذيبهم لى وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِىْ باداء الرسالة للعقدة التى فيه بواسطة تلك الجمرة التى لذعته فى الطفولية فَاَرْسِلْ اى فتسبب عن ذلك الذى اعتذرت به عن المبادرة الى الذهاب عند الامر طلب الارسال اِلٰى هٰرُوْنَ اخى ليكون لى عضدا على ما امضى له من الرسالة فيحتمل ان تكون تلك العقدة باقية عند الرسالة وان تكون قد زالت عند الدعوة ولكن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله تعالى واخى هرون هو افصح مني لسانا ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبريل واجعله نبيا وازرني به واشدد به عضدي وهذا الكلام مختصر وقد بسطه فى غير هذا الموضع وقد احسن فى الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله فى تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفى القصة اولها واخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بايات الله فاراد الله الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قيل كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يامره ربه بامر فلا يقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله تعالى عليم بحاله اجيب بانه قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف فى امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل ثم زاد فى الاعتذار فى طلب العون خوفا من ان يقتل قبل تبليغ الرسالة بقوله وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ اى تبعة ذنب فحذف المضاف او سمى باسمه كما يسمى جزاء السيئة سيئة وهو قتله القبطى وسماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة فى مواضع فَاَخَافُ بسببها ذلك اَنْ يَّقْتُلُوْنِ اى يقتلوني به قَالَ الله تعالى كَلَّا اى ارتدع عن هذا الكلام فانه لا يكون شئ مما خفت لا قتل ولا غيره وكانه لما كان التكذيب مع ما قام عليه من الصدق من البراهين القوية لصاحبها الشارحة لصدره العلية لامره عدّ عدما وقد اجبناك الى الاعانة باخيك فَاذْهَبَا اى انت واخوك متعاضدين الى ما امرتك به مؤيدين باياتنا الدالة على صدقكما تنبيه فاذهبا عطف على ما دل عليه حرف الردع من الفعل فكانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت واخوك باياتنا اِنَّا اى بما لنا من العظمة

معكم مستمعون اى سامعون لانه تعالى لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء
والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل اوحى الى انه استمع نفر من
الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه اصغى اليه وادركه
بحاسة السمع ومنه قوله عليه الصلوة والسلام من استمع على حديث قوم وهم له كارهون صب فى
اذنيه البرم وهو الكحل المذاب ويروى البيرم وهو بزيادة الياء فان قيل لم قال معكم بلفظ الجمع
وهما اثنان اجيب بانه تعالى اجراهما مجرى الجمع تعظيما لهما او معكما ومع بنى اسرائيل يسمع ما يجيبكم
فرعون فأتيا اى فتسبب عن ذهاب ما ذكرت بالحراسة والحفظة انى اقول لكما ائتيا فرعون
نفسه وان عظمت مملكته وجلت جنوده فقولا اى ساعة وصولكما له ولمن عنده انا رسول
رب العالمين اى المحسن الى جميع الخلق المدبر لهم مصالحهم فان قيل هلا ثنى الرسول كما ثنى فى
قوله تعالى انا رسولا ربك اجيب بان الرسول يكون بمعنى المرسل فلم يكن بد من
تثنيته واما ههنا فهو اما لانه مصدر بمعنى الرسالة والمصدر يوحد ومن مجيئ رسول بمعنى الرسالة قوله

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم ... بسر ولا ارسلتهم برسول

اى برسالة والواشون الساعون بالكذب عند ظالم وما فهت بمعنى ما تكلمت واما لانهما
ذوا شريعة واحدة فنزلا منزلة رسول واما لانه من وضع الواحد موضع التثنية لتلازمهما فصارا
كالشيئين المتلازمين كالعينين واليدين وقال ابو عبيدة يجوز ان يكون الرسول بمعنى
الاثنين والجمع تقول العرب هذا رسولى ووكيلى وهذان رسولى ووكيلى وهؤلاء رسولى ووكيلى كما
قال تعالى وهم لكم عدو ثم ذكر له ما قصد من الرسالة اليه فقال معبرا باداة التفسير لان الرسول فيه
بمعنى الرسالة التى تتضمن القول أن اى بان أرسل اى خل واطلق واعاد الضمير على معنى رسول
فقال معنا بنى اسرائيل اى قومنا الذين استعبدتهم ظلما ولا سبيل لك عليهم نذهب بهم الى الارض
المقدسة التى وعدنا الله تعالى بها على السنة الانبياء من ابائنا عليهم الصلوة والسلام وكان فرعون
استعبدهم اربعمائة سنة وكانوا فى ذلك الوقت ستمائة وثلاثين الفا ويروى ان موسى رجع مصر
وعليه جبة صوف وفى يده عصاه ومكتل معلق فى رأس العصا وفيه زاده فدخل داره نفسه واخبر
هرون بان الله تعالى ارسلنى الى فرعون وارسل اليك حتى ندعو فرعون الى الله تعالى فخرجت امهما
وصاحت وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك فلو ذهبتما اليه قتلكما فلم يمتنع بقولها وذهبا الى باب فرعون
ليلا ودقا الباب ففزع البوابون وقالوا من بالباب وروى ان البواب طلع عليهما وقال من بالباب
ومن انتما فقال موسى انا رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنونا بالباب يزعم
انه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك منه وقيل لم يؤذن لهما الى سنة
فلما دخلا عليه واديا رسالة الله عز وجل فعرف فرعون موسى لانه نشأ فى بيته فلما عرفه قال له منكرا عليه
ألم نربك حذف فأتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير فى القرآن

فِينَا اى فى منازلنا وَلِيدًا اى صغيرا قريبا من الولادة بعد فطامه وَلَبِثْتَ فِينَا اى فى عزنا باعتبار انقطاعك الينا وتعززك بنا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ثلاثين سنة فما لنا عليك من الحق ينبغى ان يمنعك من مواجهتنا بمثل هذا وكانه عبر بما يفهم النكد كناية عن مدة مقامه عنده بانها كانت نكدة لانه وقع فيما كان يخافه وفاته ما كان يحتاط به من ذبح الاطفال وكان موسى يلبس من ملابس فرعون ويركب من مراكبه وكان يسمى ابنه وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار الثاء المثلثة عند التاء والباقون بالادغام ولما ذكره ما يحمله على الحياء منه ذكره ذنبا يخاف من عاقبته فقال مهولا له بالكناية وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ اى من قتل القبطى ثم اكد نسبته الى ذلك مشيرا الى انه عامله بالحلم تجميلا له فقال الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ اى والحال انك مِنَ الْكَافِرِينَ قال الحسن والسدى من الكافرين بالهك ومعناه على ديننا هذا الذى تعيبه وقال اكثر المفسرين اى الجاحدين لنعمتى عليك بالتربية وعدم الاستعباد يقول ربيناك فكافاتنا ان قتلت منا نفسا وكفرت بنعمتنا وهذا رواية العوفى عن ابن عباس وقال ان فرعون لم يكن يعلم ما الكفر بالربوبية قَالَ له موسى مجيبا على طريقة النشر المشوش واثقا بوعد الله تعالى بالسلامة فَعَلْتُهَا إِذًا اى اذ قتلته وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ اى من الجاهلين بان ذلك يودى الى قتله او المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل قال ابن جرير والعرب تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال وقيل لا اعرف ذنبا فانا واثق من كل جهة حتى يوجهنى ربى الى ما شاء فَفَرَرْتُ اى فتسبب عن فعلها انى فررت مِنْكُمْ اى منك لسطوتك ومن قومك لاغرائهم اياك على لَمَّا خِفْتُكُمْ على نفسى ان تقتلونى بذلك القتيل الذى قتلته خطأ وانا ابن اثنى عشرة سنة مع كونه كافرا مهدرا الدم فَوَهَبَ لِي رَبِّي الذى احسن الى بتربيتى عندكم تحت كنف امى امنة على مما احذر من الظلم حُكْمًا اى علما وفهما وقيل نبوة وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ اى فاجهد الان جهدك فانى لا اخافك لقتل ولا غيره ولما اجتمع فى كلام فرعون من وتعيير بدأ بجوابه عن التعيير ولانه الاخير فكان اقرب ولانه اهم وهو معنى ما تقدم من انه على طريقة النشر المشوش بان يبدأ بالاخير قبل الاول ولهذا كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله موبخا مبكتا منكرا عليه غير انه حذف حرف الانكار اجمالا فى القول واحسانا فى الخطاب وابى ان تسمى نعمته الا نقمة بقوله وَتِلْكَ اى التربية الشنيعة العظيمة فى الشناعة التى ذكرتنيها نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ اى تعبيدك وتذليلك قومى بَنِي إِسْرَائِيلَ اى جعلتهم عبيدا ظلما وعدوانا وهم ابناء الانبياء ولسلفهم يوسف عليه السلام عليكم من المنة باحياء نفوسكم او لا وعتق رقابكم ثانيا ما لا تقدرون له على جزاء اصلا ثم ما كفاك ذلك حتى فعلت ما لم يفعله مستعبد فامرت بقتل ابنائهم فكان ذلك سبب وقوعى اليك لاسلم من ظلمك ولو لم تفعل ذلك لكفلنى اهلى ولم يلقونى فى اليم فكيف تمن على بذلك وقيل معناه انك تدعى ان بنى اسرائيل عبيدك ولا منة للمولى على العبد فى تربيته وقال الحسن انك استعبدت بنى اسرائيل فاخذت اموالهم وانفقت منها على فلا نعمة لك بالتربية وقيل ان الذى

تولى تربيتي هم الذين استعبدتهم فلا منة لك علىّ لان التربية كانت من قبل امي ومن قومي ليس لك
الا مجرد الاسم وهذا مايعد انعاما فان قيل لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت
اجيب بان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله كما مرّت الاشارة
اليه بدليل قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد
ولما قال له بوابه ان ههنا من يزعم انه رسول رب العالمين وادخله عليه قال له فرعون عند
دخوله هاتذا عن جوابه منكرا للخالقه على سبيل التجاهل كما انكر هؤلاء الوثنيون متجاهلين هم اعرف الناس
بغالب افعاله كما كان فرعون يعرف لقول موسى عليه الصلوة والسلام لقد علمت ما انزل هؤلاء الا
رب السموات والارض بصائر وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ اى الذى زعمتما انكما رسوله وانما اتى بما دون من
لانها يسئل بها عن طلب الماهية كقولك ما العنقاء ولما كان جواب هذا السوال لا يمكن تعريفه الا بلوازمه
الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته عدل موسى
عليه السلام الى جواب ممكن فاجاب بصفاته تعالى كما قال تعالى اخبارا عنه قَالَ رَبُّ
اى خالق ومبدع ومدبر السَّمٰوٰتِ كلها وَالْاَرْضِ وان تباعدت اجرامها بعضها من بعض
وَمَا بَيْنَهُمَا اى بين السموات والارض فاعاد ضمير التثنية على جمعين اعتبارا بالجنسين وخصه بهذه
الصفات لانها اظهر خواصه وآثاره وفيه ابطال لدعواه انه اله ومعنى قوله اِنْ كُنْتُمْ مُوْقِنِيْنَ اى ان كان
يرجى منكم الايقان الذى يؤدى اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع او ان كنتم موقنين بشئ
قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله ولما ذكر موسى عليه السلام هذا الجواب الحق
قَالَ فرعون لِمَنْ حَوْلَهُ من اشراف قومه قال ابن عباس وكانوا خمسمائة رجل عليهم الاسورة
وكانت للملوك خاصة اَلَا تَسْتَمِعُوْنَ جوابه الذى لم يطابق السوال سألته عن حقيقته وهو يجيبني بالفاعلية
ولما كان يمكن ان يعتقد ان السموات والارضين واجبة لذاتها فهي غنية عن الخالق قَالَ لهم
موسى زيادة في البيان رَبُّكُمْ وَرَبُّ اٰبَآئِكُمُ الْاَوَّلِيْنَ فعدل عن التعريف بخالقية السموات
والارض الى التعريف بكونه تعالى خالقا لهم ولآبائهم اذ لا يمكن ان يعتقد في نفسه وفي آبائه واجداده كونهم
واجبين لذواتهم لان المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك
استحال ان يكون واجبا لذاته واستحال وجوده الا بالمؤثر فكان التعريف بهذا الاثر اظهر ولكن فرعون
لم يكتف بذلك ولهذا قَالَ اِنَّ رَسُوْلَكُمُ على طريق التهكم اشارة على ان الرسول ينبغي ان يكون
اعقل الناس ثم زاد الامر بقوله الَّذِىْٓ اُرْسِلَ اِلَيْكُمْ اى وانتم اعقل الناس لَمَجْنُوْنٌ لا يفهم
السؤال فضلا عن ان يجيب عنه فكيف يصلح للرسالة من الملوك فلما قال ذلك عدل موسى
عليه السلام الى طريق ثالث اوضح من الثانى بان قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ اى الشروق
والغروب ووقتها وموضعها وَمَا بَيْنَهُمَا من المخلوقات لان التدبير المستمر على هذا الوجه
العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر قادر وهذا بعينه طريقة ابراهيم عليه الصلوة والسلام مع نمرود فانه

قوله على جمعين لانه [illegible] مع ان الارض مفرد [illegible] فان قلت [illegible] قيل وما بينهما التثنية على [illegible] والمرجوع [illegible] الجنسين وما بين الجنسين فعل بالضمير ما فعل بالظاهر من [illegible] فتأمل [illegible]

استدل اولا بالاحياء والاماتة وهو الذي ذكره موسى عليه الصلاة والسلام بقوله ربكم ورب اٰبائكم الاولين فاجابه نمرود انا احيي واميت فقال ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر وهو الذي ذكره موسى عليه السلام بقوله رب المشرق والمغرب واما قوله إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ فكانه عليه السلام قال ان كنت من العقلاء عرفت انه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت لك لانك طلبت مني تعريف حقيقته ولا يمكن تعريف حقيقته بنفس حقيقته ولا باجزاء حقيقته فلم يبق الا ان اعرف حقيقته بآثار حقيقته وقد عرفت حقيقته بآثار حقيقته فمن كان عاقلا يقطع بانه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرته لك فلما انقطع فرعون عن الجواب ولزمته الحجة تكبر عن الحق وعدل الى التخويف بان قال لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ اي واحدا ممن هم في سجني على ما تعلم من حالي في اقتداري ومن سجني وفظاعتها ومن حال من فيها من شدة الحصر والغلظ في الحجر قال الكلبي كان سجنه اشد من القتل لانه كان يأخذ الرجل فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق وحده لا يسمع ولا يبصر فيها شيئا وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم باظهار الذال عند التاء والباقون بالادغام ثم ذكر موسى عليه السلام كلاما مجملا ليعلق فرعون قلبه به ويعدل عن وعيده بان قَالَ ملاطفا بالتي هي احسن ايجاعا للعنان لا لافادة البيان معنى لا يبقى معه عذر ولا نسيان لان من العادة الجارية السكون الى الانصاف والرجوع الى الحق والاعتراف أَوَلَوْ اي اتسجنني وَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ اي هل يحسن ان يذكر هذا مع اقتداري على ان اٰتيك بشيء بدليلين يدلان على وجود الله تعالى وعلى اني رسوله فعند ذلك قَالَ طمعا في ان يجد موضعا للتكذيب او التلبيس فَأْتِ بِهِ اي تسبب عن قولك هذا اني اقول ائت به لك ان شئت إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ اي فيما ادعيت من الرسالة تنبيه الواو في اولو جئتك واو الحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل كما علم من التقرير فان قيل كيف قطع الكلام بما لا تعلق له بالاول وهو قوله اولو جئتك بشيء مبين اي باية بينة والمعجز لا يدل على ذلك لا لانه سائر ما تقدم اجيب بانه يدل بما اراد ان يظهره من انقلاب العصا حية على الله تعالى وعلى توحيده وعلى انه صادق في ادعاء الرسالة فالذي ختم به كلامه ما تقدم فَأَلْقَى اي فتسبب عن ذلك وتعقبه ان القى موسى عَصَاهُ التي تقدم في غير سورة ان الله تعالى اراه اياها ولم يصرح باسمه اكتفاء بضميره لانه غير ملتبس فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ اي حية في غاية الكبر مُبِينٌ اي ظاهر ثعبانيته روي انها لما انقلبت حية ارتفعت الى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذي ارسلك الا ما اخذتها فاخذها فعادت عصا فان قيل كيف قال هنا ثعبان مبين وفي اية اخرى فاذا هي حية تسعى وفي اية ثالثة كأنها جان والجان مائل الى الصغر والثعبان الى الكبر اجيب بان الحية اسم الجنس ثم لكبرها صارت ثعبانا وشبهها بالجان لخفتها وسرعتها ويحتمل انه شبهها بالشيطان لقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم ويحتمل انها كانت صغيرة

كالجان ثم عظمت فصارت ثعبانا ثم ان موسى عليه السلام لما اراه اية العصا قال فرعون هل غيرها
قال نعم وَنَزَعَ يَدَهُ اى التى كانت احترقت لما اخذ الجمرة وهو فى حجر فرعون وبذل فرعون
جهده فى علاجها بجميع من قدر عليه من الاطباء فعجزوا عن ابرائها نزعها من جيبه بعد ان
اراه اياها على ما يعهده منها ثم ادخلها فى جيبه فَإِذَا هِيَ بعد النزع بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ يعنى الوادى
من شدة بياضها من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر ويسد الافق فعندها هذا
اراد فرعون تعمية هذه الحجة على قومه فذكر امورا اولها ان قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ لما وضح له الامر موهما على
عقولهم خوفا من ايمانهم إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ اى شديد المعرفة بالسحر وحوله حال من الملأ
ومفعول القول قوله ان هذا الساحر عليم ولما اوقعهم بما جبلهم به اعماهم لانفسهم فقال ملغيا
لجلباب الالهية لما قهره من سلطان المعجزة يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ اى هذه التى هى قوامكم
بِسِحْرِهِ اى بسبب ما اتى به فانه يوجب استتباع الناس فيتمكن مما يريد ثم قال لقومه الذين كان
يزعم انهم عبيده وانه الههم ما دل على انه حارت قواه فحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت
فرائصه لما استولى عليه من الدهش والحيرة حتى جعل لنفسه ما مورا بعد ان كان يدعى كونه امرا
بل الها قادرا فَمَاذَا تَأْمُرُونَ اى فى مدافعته عما يريد بنا قَالُوا اى الملأ الذين كانوا حوله أَرْجِهْ وَأَخَاهُ
اى اخر امرهما ومناظرتهما الى اجتماع السحرة ولم يأمر بقتلهما ولا بما يقارب به فسبحان من
يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده فيهابه كل شئ ولا يهاب هو غير خالقه وقرأ قالون
بغير همز واختلاس كسرة الهاء وورش والكسائى بغير همز واشباع حركة كسرة الهاء
وابن كثير وهشام بالهمزة الساكنة وصلة الهاء مضمومة وابو عمرو بالهمزة وضم الهاء مقصورة
وابن ذكوان بالهمزة وكسر الهاء مقصورة وعاصم وحمزة بغير همز واسكان الهاء وَابْعَثْ
فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ اى رجالا يحشرون السحرة واصل الحشر الجمع بكره وقيل ان فرعون اراد قتل
موسى فقالوا له لا تفعل فانك ان تقتله دخلت الناس شبهة فى امره ولكن اخره واجمع له سحرة
ليقاوموه ولا يثبت له عليك حجة وعارضوا قوله ان هذا الساحر عليم بقولهم يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ اى بليغ
فى السحر فيأتوا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا من بعض قلقه
عَلِيمٍ اى متناه فى العلم به بعد ما تناهى فى السحرية وعبر بالبناء للمفعول فى قوله فَجُمِعَ السَّحَرَةُ
اشارة على عظمة ملكه اى بايسر امر لما له عندهم من العظمة لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ اى فى زمانه
ومكانه وهو ضحى يوم الزينة كما مر فى طه وعن ابن عباس وافق يوم السبت من اول يوم من
سنتهم وهو يوم النيروز وَقِيلَ اى يقول من يقبل لكونه عن فرعون لِلنَّاسِ اى عامة وقوله
هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ فيه استبطاء لهم فى الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل
لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كانما يخيل
له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا اسم شاعر

هل انتم باعث دينار لحاجتنا + او عبد رب اخا عون بن مخراق +
اى هل انت باعث على ارسال دينار او عبد رب اسمى رجلين والثانى منصوب على محل الاول و
اخا عون منادى او عطف بيان له وعليه اقتصر الكشاف لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ اى فى دينهم إِنْ كَانُوا هُمُ
الْغَالِبِينَ اى لموسى فى دينه ولا نتبع موسى فى دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض الكلى
ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى وقيل ارادوا
بالسحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على طريق الاستهزاء وعبر بالفاء فى قوله فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
اى الذين كانوا فى جميع بلاد مصر ايذانا بسرعة حشرهم لضخامة ملكه ووفور عظمته قَالُوا
لِفِرْعَوْنَ مشترطين الاجر فى حال الحاجة الى الفعل ليكون ذلك اجدر بحسن الوعد
وبلوغ القصد أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ موسى وقالوا باداة الشك مع جزمهم بالغلبة تخويفا له بانه
ان لم يحسن فى وعدهم لم ينصحوا له قَالَ مجيبا الى ما سألوا نَعَمْ لكم ذلك وقرأ الكسائى بكسر
العين والباقون بالفتح وزادهم مما لا احسن منه عند اهل الدنيا مؤكدا بقوله وَإِنَّكُمْ إِذًا اى اذا غلبتم
لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ اى عندى وزاد اذا هنا زيادة فى التاكيد ولما قال لهم فرعون ذلك قالوا
لموسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين قَالَ لَهُمْ مُوسَى اى مريدا لابطال سحرهم لانه لا يتمكن
منه الا بالقائهم أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ فان قيل كيف امرهم بفعل السحر اجيب بانه لم يرد
بذلك امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن بتقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق
فَأَلْقَوْا اى فتسبب عن قول موسى عليه السلام وتعقبه ان القوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ اى التى اعدوها
للسحر وَقَالُوا مقسمين بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ وهى من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله
ولا يصح فى الاسلام الا الحلف بالله تعالى او باسم من اسمائه او صفة من صفاته كقولك والله والرحمن
ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون ولقد
استحدث الناس فى هذا الباب فى اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد منهم
لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته على شئ لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم براس سلطانه فاذا اقسم به
فتلك عندهم جهد اليمين التى ليس وراءها حلف لحالف ثم انهم اكدوا ايمانهم بانواع من التاكيد
بقولهم إِنَّا لَنَحْنُ اى خاصة لا استثنى الْغَالِبُونَ وذلك لفرط اعتقادهم فى انفسهم ولاتيانهم باقصى
ما يمكن ان يؤتى به من السحر فَأَلْقَى اى فتسبب عن صنع السحرة وتعقبه ان القى مُوسَى عَصَاهُ التى
جعلت آية له وتسبب عن القائه قوله تعالى فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ اى تبتلع فى الحال بسرعة وبهمة مَا يَأْفِكُونَ
اى ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون فى حبالهم وعصيهم انها
حيات تسعى بالتمويه على الناظرين او افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة وقرأ حفص بسكون
اللام وتخفيف القاف وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد القاف وشدد البزى التاء فى الوصل

قوله اى هل انت عبارة الكشاف يريد يا باعثه [illegible] ولا يتأتى اه

وخففها الباقون فالقي السحرة اي عقب فعلها من غير تلبث ساجدين اي فعلوا بسرعة عظيمة
حتى كان ملقيا القاهم من قوة اسراعهم علما منهم بان هذا من عند الله فامنوا اتقيا بررة
بعد ما جاؤا في صبح ذلك اليوم سحرة كفرة روى انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب
وان يك من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما افكوا علموا انه من عند الله فامنوا
وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاءات
فسلك به طريقة المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا ان
رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا فان قيل فاعل الالقاء ما هو لو
صرح به اجيب بان الله تعالى بما خولهم من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة الباهرة قال
الزمخشري ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا وسقطوا ولما كان كانه قيل هذا فعلهم
فما كان قولهم قيل قالوا آمنا برب العالمين اي الذي دعا اليه موسى عليه السلام اول ما تكلم وقوله
رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا ان
يبدلوه ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي دعا اليه موسى وهرون عليهما السلام ولما
آمن السحرة باجمعهم لم يأمن فرعون ان يقول قومه ان هؤلاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يؤمنوا
الا عن معرفة بصحة امر موسى عليه السلام فيسلكون طريقهم فلبس على القوم وبالغ في التنفير
عن موسى من وجوه احدها ان قال آمنتم له اي لموسى قبل ان آذن اي انا لكم فمسارعتكم
الى الايمان به دالة على ميلكم اليه وهنا همزتان مفتوحتان قرأ الجميع بابدال الثانية
الفا وحقق الثانية حمزة والكسائي وشعبة وسهلها الباقون غير حفص فانه اسقط الاولى
وآ الثانية عنده هي المبدوء بها ثانيها قوله انه لكبيركم الذي علمكم السحر وهذا تصريح بما رمز به اولا
وتعريض منه بانهم فعلوا ذلك عن مواطاة بينهم وبين موسى وقصروا في السحر ليظهروا امر موسى
والا ففي قوة السحرة ان تفعلوا مثل ما فعل ثالثها قوله فلسوف تعلمون وهو وعيد وتهديد شديد
رابعها قوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ولاصلبنكم
اجمعين وهذا الوعيد من اعظم الاهلاكات ثم انهم اجابوا عن هذه الكلمات من وجهين الاول
قولهم قالوا لا ضير اي لا ضرر علينا وخبر لا محذوف تقديره في ذلك انا اي بفعلك ذلك فينا ان
قدرك الله تعالى عليه الى ربنا الذي احسن الينا بالهداية بعد موتنا باي وجه كان منقلبون اي
راجعون في الآخرة الثاني قولهم انا نطمع اي نرجو ان يغفر اي يستر سترا بليغا لنا ربنا خطايانا اي
التي قدمناها على كثرتها ثم عللوا طمعهم مع كثرة الخطايا بقولهم ان كنا اي كونا هو لنا كالجبلة
اول المؤمنين اي من اهل هذا المشهد او من رعية فرعون او من اهل زمانهم ولما
ظهر من امر فرعون ما شاهدوه وخيف ان يقع منه ببني اسرائيل وهم الذين آمنوا وكانوا
في قوم موسى عليه السلام ما يؤدي الى الاستيصال امر الله تعالى ان يسري بهم كما قال

تعالى وَأَوْحَيْنَا أي بما لنا من العظمة حين أردنا فصل الأمر وإنجاز الموعود إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ
بِعِبَادِي وذلك بعد سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا إلا عتوا
وفسادا وقرأ نافع وابن كثير بكسر النون ووصل الهمزة بعدها من سرى وقرأ الباقون
بسكون النون وقطع الهمزة بعدها ثم علل أمره له بالسير في الليل بقوله تعالى إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ
أي لا تظن أنهم لكثرة ما رأوا من الآيات يكفون عن اتباعكم فأسرع بالخروج لتبعدوا عنهم
إلى الموضع الذي قدرت في الأزل أن يظهر مجدي والمراد توافقهم عند البحر ولم يكن إبطاؤهم عن
موسى لعدم تأثره به والمعنى إني بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم
ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فأطبقه عليهم روي أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد
فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل كل
أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها أبوابكم فإني سآمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتا على
بابه دم وآمرهم بقتل أبكار القبط واختبزوا خبزا فطيرا فإنه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر
فيأتيك أمري وروي عن قوم موسى قالوا لقوم فرعون إن لنا في هذه الليلة عيدا ثم استعاروا
منهم حليهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الأموال في الليل إلى جانب البحر فلما سمع فرعون ذلك
جمع قومه وتبعهم كما قال تعالى فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ أي لما أصبح وعلم بهم فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ
أي رجالا يجمعون الجنود بالقوة والسطوة وإن كرهوا ويقولون تقوية لقلوبهم وتحريكا لهممهم إِنَّ
هَؤُلَاءِ إشارة بأداة القرب تحقيرا لهم إلى أنهم في القبضة وإن بعدوا ولما بهم من الجبن وبال فرعون
من القوة فليسوا بحيث يخاف فوتهم لَشِرْذِمَةٌ أي طائفة وقطعة من الناس قَلِيلُونَ أي
بالنسبة إلى ما لنا من الجنود التي لا تحصى فذكرهم أولا بالاسم الدال على القلة بالشرذمة وهي الطائفة
القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل
كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة مع أنهم كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا وسماهم
شرذمة قليلين وذلك بالنسبة لما أرسله خلفهم وإن الذي أرسله فرعون في أثرهم ألف ألف وخمسمائة
ألف ملك مسور ومع كل ملك ألف وخرج فرعون في جمع عظيم وكان مقدمته سبعمائة ألف كل رجل
على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث فلذلك
استقل قوم موسى قال الزمخشري ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى
أنهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا
كما قال تعالى عنهم وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ أي بما فجعونا به من أنفسهم وبما استعاروه من الزينة من الأواني
الذهب والفضة وفاخر الكسوة فلا رحمة في قلوبهم بجمعهم وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ أي من
عادتنا الحذر والتيقظ واستعمال الحزم في الأمور فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى
حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه

وقرأ ابن ذكوان والكوفيون بألف بعد الحاء والباقون بغير ألف قال أبو عبيدة والزجاج هما بمعنى واحد يقال رجل حذر وحذور وحاذر بمعنى وقيل بل بينهما فرق فالحذر المتيقظ والحاذر الخائف قيل الأول للتجدد لأنه اسم فاعل والثاني للثبات لأنه صفة مشبهة وقيل الحاذر المتسلح الذي له شوكة السلاح وهو أيضا من الحذر لأن ذلك إنما يفعل حذرا يحكى أنه كان يتصرف في خراج مصر وأنه يجزئه أربعة أجزاء أحدها لوزرائه وكتابه وجنده والثاني لحفر الأنهار وعمل الجسور والثالث له ولولده والرابع يفرق في المدن فإن لحقهم ظلم أو ظمأ أو انتهار أو فساد غلة أو موت عوامل قوّاهم به ويروى أنه قصده قوم فقالوا نحتاج إلى أن نحفر خليجا لنعمر ضياعنا فأذن في ذلك واستعمل عليهم عاملا فاستكثر ما حصل من خراج تلك الناحية إلى بيت المال فسأل عن مبلغ ما أنفقوه في خليجهم فإذا هو مائة ألف دينار فأمر بحملها إليهم فامتنعوا من قبولها فقال اطرحوها عليهم فإن الملك إذا استغنى بمال الرعية يعني رعيته افتقر وإن الرعية إذا استغنت بمال ملكهم استغنى واستغنوا ولما كان التقدير فأطاعوا أمره ونفروا على كل صعب وذلول عطف عليه قوله تعالى بما آل إليه أمرهم ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ أي فرعون وجنوده بما لنا من القدرة من مصر ليلحقوا موسى وقومه إخراجا حثيثا مما لا يسمح أحد بالخروج منه ﴿مِنْ جَنَّاتٍ﴾ أي بساتين كانت على جانبي النيل يحق لها أن تذكر ﴿وَعُيُونٍ﴾ أي أنهار جارية في الدور من النيل وقيل عيون تخرج من الأرض لا يحتاج معها إلى نيل ولا مطر ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أي أموال ظاهرة من الذهب والفضة وسميت كنوزا لأنها لم يعط حق الله منها وما لم يعط حق الله تعالى منه فهو كنز وإن كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب ﴿وَمَقَامٍ﴾ من المنازل ﴿كَرِيمٍ﴾ أي مجلس حسن للأمراء والوزراء يحفه أتباعهم وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال وذكر بعضهم أنه كان إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الأشراف عليهم الأقبية من الديباج مخوصة بالذهب ﴿كَذَلِكَ﴾ أي أخرجنا كما وصفنا ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي تلك النعم السنية بمجرد خروجهم بالقوة وبعد إغراق فرعون وجنوده بالفعل ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي جعلناهم بحيث يرثونها لأنه لم يبق لهم مانع يمنعهم منها بعد أن كانوا مستعبدين بين يدي أربابها واستشكل إرثهم لها بالفعل لقوله تعالى في الدخان قوما آخرين وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى في ذلك المحل بل قيل إن بني إسرائيل لم يرجعوا إلى مصر بعد ذلك ولما وصف تعالى الإخراج وصف أثره بقوله تعالى مرتبا عليه بالفعل وعلى الإيراث بالقوة ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ﴾ أي جعلوا أنفسهم تابعة لهم ﴿مُشْرِقِينَ﴾ أي داخلين في وقت شروق الشمس بطلوعها صبيحة الليلة التي سار فيها بنو إسرائيل ولولا تقدير العزيز العليم بخرق ذلك للعادة لم يكن ذلك على حكم العادة إلا في أقل من عشرة أيام فإنه تعجز الملوك عن مثله واستمروا إلى أن لحقوهم عند بحر القلزم ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾ أي رأى كل منهما الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى﴾ ضعفا وعجزا استصحابا لما كانوا فيه عندهم من الذل والأمم

اقل منهم بكثير بحيث يقال ان طليعة آل فرعون كانت على عدد بني اسرائيل وذلك محقق لتقليل فرعون
لهم وكأنه عبر عنهم باصحاب دون بني اسرائيل لانه كان قد امن كثير من غيرهم إِنَّا لَمُدْرَكُونَ
اي يدركنا فرعون وقومه وقد صرنا بين سدين العدو وراءنا والبحر امامنا ولا طاقة لنا
بذلك قَالَ اي موسى عليه السلام وثوقا بوعد الله تعالى كَلَّا اي لا يدركونكم اصلا ثم علل ذلك
تسكينا لهم بقوله إِنَّ مَعِيَ رَبِّي اي بنصره فكانهم قالوا وما عساه يفعل وقد وصلونا قال سَيَهْدِينِ
اي يدلني على طريق النجاة روي ان مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى عليه السلام فقال
اين تذهب فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع
فَأَوْحَيْنَا اي فتسبب عن كلامه الدال على المراقبة انا اوحينا ونوه باسم الكليم جزاء له على ثقته به
سبحانه وتعالى فقال تعالى إِلَىٰ مُوسَىٰ وفسر الوحي الذي فيه معنى القول بقوله تعالى أَنِ اضْرِب
بِعَصَاكَ الْبَحْرَ اي الذي امامكم وهو بحر القلزم الذي يتوصل اهل مصر منه الى الطور والى مكة المشرفة
وما والاها وقيل النيل فضربه فَانفَلَقَ اي بسبب ضربه لما ضربه امتثالا لامر ربه وصار اثني عشر فرقا
على عدد اسباطهم فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ اي جزء وقسم عظيم منه كَالطَّوْدِ اي الجبل في اشرافه وطوله و
صلابته بعدم السيلان الْعَظِيمِ المتطاول في السماء الثابت في قراره لا يتزلزل لان الماء كان منبسطا
في ارض البحر فلما انفلق وانكشفت فيه الطريق انضم بعضه الى بعض فاستطال وارتفع في السماء
بين تلك الاجزاء مسالك سلكوها لم يبتل منها سرج الراكب قال الزجاج لما انتهى موسى
الى البحر هاجت الريح والبحر يرمي بموج كالجبال فقال يوشع يا كليم الله يا ابن امرأة عمران قد
غشينا فرعون والبحر امامنا فقال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وجاز البحر ما يواري حافر دابته الماء
وقال الذي يكتم ايمانه يا كليم الله اين امرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه
ثم اقحمه البحر فارتسب في الماء وصنع القوم مثل ذلك فلم يقدروا وجعل موسى لا يدري كيف يصنع
فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق فان
الرجل على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده روي ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء
والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء وهذا معجز عظيم من وجوه احدها ان تفرق ذلك الماء معجز
وثانيها ان اجتماع ذلك الماء فوق كل فرق منه حتى صار كالجبل معجز ايضا وثالثها انه ثبت في الخبر انه
تعالى ارسل على فرعون وقومه من الرياح والظلمة ما حيرهم فاحتبسوا القدر الذي تكامل معه عبور
بني اسرائيل وهذا معجز ثالث ورابعها ان جعل الله في تلك الجدران المائية كوى ينظر بعضهم الى بعض
وهذا معجز رابع وخامسها ان ابقى الله تعالى تلك المسالك حتى قرب آل فرعون فطمعوا ان يتخلصوا
من البحر كما تخلص موسى عليه السلام وهذا معجز خامس + فائدة + لكل من جميع القراء
في الراء من فرق الترقيق والتفخيم ولما كان التقدير وادخلنا كل شعب منهم في طريق من تلك
الطرق عطف عليه وَأَزْلَفْنَا اي قربنا بعظمتنا ثَمَّ اي هناك الْآخَرِينَ اي فرعون

وقومه حتى سلكوا مسالكهم وقال ابو عبيدة وازلفنا اهلكنا ومنه ليلة المزدلفة اى ليلة الجمع وعن
عطاء بن السائب ان جبريل عليه السلام كان بين بني اسرائيل وقوم فرعون وكان يسوق
بني اسرائيل ويقول ليلحق اخركم باولكم ويستقبل القبط ويقول رويدكم ليلحق اخركم اولكم
وَاَنْجَيْنَا مُوْسٰى وَمَنْ مَّعَهٗ وهم من تبعوه من قومه وغيرهم اَجْمَعِيْنَ اى لم نقدر على احد منهم
الهلاك بل اخرجناهم من البحر على هيئته المذكورة ثُمَّ اَغْرَقْنَا الْاٰخَرِيْنَ اى فرعون وقومه
اجمعين بانطباق البحر عليهم لما تم دخولهم البحر وخروج بني اسرائيل منه ويقال هذا البحر
بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ اى الامر العظيم العالي الرتبة
من قصة موسى وفرعون وما فيهما من العظات لَاٰيَةً اى علامة عظيمة دالة على قدرة الله تعالى لان
احدا من البشر لا يقدر عليه وعلى حكمته وكون وقوعه مصلحة في الدين والدنيا وعلى صدق
موسى لكونه معجزة له وعلى التحذير عن مخالفة امر الله تعالى ورسوله عليه السلام وفي ذلك تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم لانه قد يغتم بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات عليه فنبه الله تعالى بهذا الذكر
على ان له اسوة بموسى وغيره وَمَا كَانَ اَكْثَرُهُمْ اى اهل مصر الذين شاهدوها والذين علموا
بسماعها مُؤْمِنِيْنَ اى متصفين بالايمان الثابت اما القبط فما امن منهم الا السحرة ومؤمن آل فرعون
وامرأة فرعون والمرأة التي دلتهم على عظام يوسف عليه السلام واما بنو اسرائيل فكان كثير منهم
متزلزلا ينتقد كل قليل ويقول ويفعل ما هو كفر حتى تداركهم الله تعالى على يدي موسى عليه السلام
ومن بعده واول ما كان من ذلك سؤالهم اثر مجاوزة البحر ان يجعل لهم الها كالاصنام
التي مروا عليها واما غيرهم ممن تأخر عنهم فحالهم معروف وامرهم مشاهد مكشوف فقد سألوا
بقرة بيده وتيها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة وَاِنَّ رَبَّكَ اى المحسن اليك باعلاء امرك و
استنقاذ الناس من ظلام الجهل على يدك لَهُوَ الْعَزِيْزُ اى القادر على الانتقام من كل فاجر الرَّحِيْمُ
بعباده لانه تعالى افاض عليهم نعمه وكان قادرا على ان يهلكهم فدل ذلك على كمال رحمته وسعة
جوده وفضله ولما اتم سبحانه وتعالى ما اراد من قصة موسى عليه السلام ليعرف نبيه صلى الله عليه وسلم
ان تلك المحن التي اصابته كانت حاصلة لموسى ايضا دلالة على رحمته وزيادة في تسلية نبيه قصة ابراهيم
عليه السلام وهي القصة الثانية بقوله تعالى وَاتْلُ اى اقرأ قراءة متتابعة يا اشرف الخلق عَلَيْهِمْ اى كفار مكة
وقوله تعالى نَبَاَ اى خبر اِبْرٰهِيْمَ قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو في الوصل بتسهيل الهمزة الثانية
وحققها الباقون وفي الابتداء بالثانية الجميع يحققون ويبدل منه اِذْ اى حين قَالَ لِاَبِيْهِ وَقَوْمِهٖ
منبها لهم على ضلالهم لا مستعلما لانه كان عالما بحقيقة حالهم ولكنه سألهم بقوله مَا اى
اى شئ تَعْبُدُوْنَ اى تواظبون على عبادته ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة
في شئ كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول الرقيق جمال وليس بمال قَالُوْا
في جوابه نَعْبُدُ اَصْنَامًا فان قيل له عليه السلام ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب

وكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وكذا قوله تعالى ماذا
قال ربكم قالوا الحق وكقوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اجيب بان هؤلاء قد اجابوا
بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابراهيم عليه السلام وعلى
ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد
فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس
في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها
بالنهار دون الليل يقال ظل يفعل كذا اذا فعل بالنهار والعكوف الاقامة على الشئ ثم ان ابراهيم
عليه السلام قال منبها على فساد مذهبهم هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ اي يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف
ذلك لدلالة إِذْ اي حين تَدْعُونَ عليه فعلى الاول هي متعدية لواحد اتفاقا وعلى الثاني هي متعدية
لاثنين قامت الجملة المقدرة مقام الثاني وهو قول الفارسي وعند غيره الجملة المقدرة حال وقرأ نافع
وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الذال عند التاء والباقون بالادغام أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ ان عبدتموهم
أَوْ يَضُرُّونَ اي يضرونكم ان لم تعبدوهم ولما اقام ابراهيم عليه السلام عليهم هذه الحجة
الباهرة وهو ان الذي يعبدونه لا يسمع دعاءهم حتى يعرف مقصودهم ولو عرف ذلك لما صح ان
يبذل النفع او يدفع الضر فكيف يعبد ما هذا صفته ولم يجدوا ما يدافعون به حجته الا التقليد
قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ اي مثل فعلنا هذا الفعل العالي الشأن ولو لم يكن عند من نعبدهم شئ
من ذلك ثم صوروا حالة آبائهم في نفوسهم تعظيما لامرهم بقولهم يَفْعَلُونَ اي فنحن نفعل كما
فعلوه فانهم حقيقون منا بان لا نخالفهم مع سبقهم لنا الى الوجود فهم ارصن منا عقولا واعظم
تجربة فلولا انهم رأوا ذلك حسنا ما واظبوا عليه وهذا تقليد محض خال عن ادنى نظر كما النمل
ابنها ثم والطير في تبعها لاولها ثم ان ابراهيم عليه السلام قَالَ معرضا عن جواب كلامهم لما رآه ساقطا
لا يرتضيه عاقل أَفَرَأَيْتُمْ اي تسبب عن قولكم هذا اني اقول لكم ارأيتم اي ان لم تكونوا رأيتموهم رؤية
موجبة لتحقق امرهم فانظروهم نظرا شافيا مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اي مواظبين على عبادتهم أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ
الْأَقْدَمُونَ اي الذين هم اقدم ما يكون فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل
لا ينقلب حقا بالقدم فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي اي اعداء لي وانما وحده على ارادة الجنس ويجئ العدو والصديق
في معنى الواحد والجماعة قال القائل + وقوم علي ذوي مترة + اراهم عدوا وكانوا صديقا +
ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو تشبيها بالمصادر كالحنين والصهيل وقيل هو من المقلوب
اراد اني عدو لهم فان من عاديته فقد عاداك وقرأ نافع افرايتم بتسهيل الهمزة التي هي عين
الكلمة ولورش ايضا ابدالها الفا واسقطها الكسائي وحققها الباقون فان قيل لم قال فانهم
عدو لي ولم يقل فانها عدو لكم اجيب بانه عليه السلام صور المسئلة في نفسه بمعنى
اني فكرت في امري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها واراهم انها نصيحة ينصح بها

نفسه فاذا تفكروا قالوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه فيكون ذلك ادعى الى القبول وابعث
الى الاستماع منه ولو قال فانهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض
وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتأمل فيه فربما قاده التأمل الى التقبل
ومنه ما يحكى عن الشافعي رضي الله عنه ان رجلا واجهه بشئ فقال لو كنت بحيث انت
لاحتجت الى ادب وسمع رجل ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم وقوله إِلَّا رَبَّ
الْعَالَمِينَ اى مدبر هذه الاكوان كلها يصح ان يكون استثناء منقطعا بمعنى انهم عدو لي لا اعبدهم
لكن رب العالمين فاني اعبده وان يكون متصلا على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من
آبائهم من عبد الله تعالى فكأنه قال الا رب العالمين فانه ليس بعدو لي بل هو وليي ومعبودي +
ثم شرع يصفه بما هم به عالمون من انه على الضد الاقصى من كل ما عليه اصنامهم بقوله
الَّذِي خَلَقَنِي اى اوجدني على هيئة التقدير والتصوير فَهُوَ اى فتسبب عن تفرده بخلقي انه هو
لا غيره يَهْدِينِ اى الى الرشاد ولا يعلم باطن المخلوق ويقدر على التصرف فيه غير خالقه
ولا يكون خالقه الا عليما بصيرا ضارا نافعا بالكمال كله وذكر الخلق بالماضي لانه لا يتجدد
في الدنيا والهداية بالمضارعة لتجددها وتكررها لانه تعالى لما اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب
ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعينه والا فمن هداه الى ان يتغذى بالدم
في البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه
لكيفية الارتضاع الى غير ذلك دينا ودنيا وَالَّذِي اى هو لا غيره يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ اى يرزقني
ويغذيني بالطعام والشراب ولو اراد اعدم ما اكل وما اشرب او اصابني بآفة لا استطيع معها اكلا
ولا شربا ونبه بذكر الطعام والشراب على ما عداهما تنبيه + يجوز في والذي يطعمني ويسقين ان
يكون مبتدأ وخبره محذوف لدلالة ما قبله عليه وكذا الذي بعده ويجوز ان تكون اوصافا للذي
خلقني ودخول الواو جائز كقوله + الى الملك القرم وابن الهمام + وليث الكتيبة في المزدحم +
وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء
الحكم وَإِذَا مَرِضْتُ اى باستيلاء بعض الاخلاط على بعض لما بينهما من التنافر الطبيعي فَهُوَ اى
وحده يَشْفِينِ اى بسبب تعديل المزاج بتعديل الاخلاط وقسرها على الاجتماع
لا الطبيب ولا غيره فان قيل لم اضاف المرض الى نفسه مع ان المرض والشفاء من الله تعالى
اجيب بانه قال ذلك استعمالا لحسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فاردت ان اعيبها
وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واجاب الرازي بان اكثر اسباب المرض تحدث بتفريط
الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قال الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم
لقالوا التخم وبان الشفاء محبوب وهو من اصول النعم والمرض مكروه وليس من النعم وكان
مقصود ابراهيم عليه السلام تعديد النعم ولما لم يكن المرض من النعم لا جرم لم يضفه الى الله تعالى

كما

ولا ينتقض ذلك باسناد الاماتة اليه كما سيأتي فان الموت ليس بضرر لان شرط كونه ضررا وقوع الاحساس
به وحال الموت لا يحصل الاحساس به انما الضرر في مقدماته وذلك هو عين المرض ولان الارواح
اذا كملت في العلوم والاخلاق كان بقاؤها في هذه الاجساد عين الضرر وخلاصها عنها عين
السعادة بخلاف المرض ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي﴾ بقبض روحي في الدنيا بخلاصي منها ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ للمجازاة
في الآخرة كما شفاني من المرض ولهذا التراخي بين الموت والاحياء اتى بثم هنا لان الاماتة في الدنيا
والاحياء في الآخرة ولما ذكر البعث ذكر ما يترتب عليه بقوله ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ هضما لنفسه
واطراحا لاعماله ﴿أَنْ يَغْفِرَ﴾ اي يمحو ويستر ﴿لِي خَطِيئَتِي﴾ اي تقصيري عن ان اقدره حق قدره ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾
اي الجزاء روى ان عائشة قالت قلت يا رسول الله ان ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم
ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وهذا
كله احتجاج من ابراهيم على قومه انه لا يصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال فان قيل لم قال
والذي اطمع والطمع عبارة عن الظن والرجاء وهو عليه السلام كان قاطعا بذلك اجيب بان في
ذلك اشارة الى ان الله تعالى لا يجب عليه لاحد شيء فانه يحسن منه تعالى كل شيء ولا اعتراض
لاحد عليه في فعله فان قيل لم اسند لنفسه الخطيئة مع ان الانبياء معصومون اجيب بان مجاهدا قال هي
قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هي اختي ورد بان هذه معاريض كلام وتخيلات
للكفرة وليست خطايا يطلب لها الاستغفار والاولى في الجواب ان استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم
لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم باجتناب دوام
المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فان قيل لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين
وانما المغفرة في الدنيا اجيب بان اثرها يتبين يومئذ وهو الان خفي لا يعلم ولما حكى الله تعالى
عن ابراهيم عليه السلام ثناءه عليه ذكر بعد ذلك دعاءه ومسألته بقوله ﴿رَبِّ﴾ اي ايها المحسن الي
﴿هَبْ لِي حُكْمًا﴾ اي علما متقنا بالعمل وقال ابن عباس معرفة حدود الله واحكامه وقال الكلبي النبوة لان
النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله ثم بين ان الاعتماد انما هو على محض الكرم فان من نوقش
الحساب عذب بقوله ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ اي الذين جعلتهم ائمة للمتقين في الدنيا والآخرة وهم
الانبياء والمرسلون وقد اجابه الله تعالى حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين في ذلك تنبيه
على ان تقديم الثناء على الدعاء من المهمات فان قيل لم يقتصر ابراهيم عليه السلام على الثناء ولا سيما
يروى عنه انه قال حسبي من سؤالي علمه بحالي اجيب بانه عليه السلام انما ذكر ذلك حين اشتغاله
بدعوة الخلق الى الحق لانه قال فانهم عدو لي الا رب العالمين ثم ذكر الثناء ثم ذكر الدعاء لما ان الشارع
لابد له من تعليم الشرع فاما حين خلا بنفسه ولم يكن غرضه تعليم الشرع اقتصر على قوله حسبي من
سؤالي علمه بحالي تنبيه الالحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم
في المنزلة والدرجة في الجنة ثم انه عليه السلام طلب زيادة في الآخرة بقوله ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ﴾

صدق اى ذكرا جميلا وقبولا عاما وثناء حسنا بما اظهرت من خصال الخير في الآخرين اى
من الناس الذين يوجدون بعدى الى يوم الدين لاكون للمتقين اماما فيكون لى مثل اجورهم
فان من سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة قال ابن عباس اعطاه الله تعالى
بقوله وتركنا عليه فى الآخرين ان اهل الايمان يتولونه ويثنون عليه وقد جعله الله شجرة مباركة
فرع منها الانبياء الذين احياء الله تعالى بهم ذكره الذى من اعظمه ما كان على لسان اعظمهم
النبى الامى صلى الله عليه وسلم من قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
الى آخره ولما طلب عليه السلام سعادة الدنيا وكان لا نفع لها الا باتصالها بسعادة الآخرة
التى هى الجنة طلبها بقوله واجعلنى اى مع ذلك كله بفضلك ورحمتك من ورثة جنة النعيم
لان فيها النظر الى وجه الله الكريم وهو السعادة الكبرى وشبهها بالارث الذى يحصل
بغير اكتساب اشارة الى انها لا تنال الا بمنه وكرمه لا بشئ من ذلك ولما دعا لنفسه ثنى باحق الخلق
ببره بقوله واغفر لابى بالهداية والتوفيق الى الايمان لان المغفرة مشروطة بالايمان وطلب
المشروط متضمن لطلب الشرط فقوله واغفر لابى كانه دعاء له بالايمان وقيل ان اباه وعده
بالاسلام لقوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فدعا له قبل
ان يتبين له انه عدو لله كما سبق فى سورة التوبة وقيل ان اباه قال له انه على دينه باطنا وعلى دين نمرود
ظاهرا وتقية وخوفا فدعا له لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك
قال فى دعائه انه كان من الضالين فلولا اعتقاده فيه انه فى الحال ليس بضال لما قال ذلك وقيل
ان الاستغفار للكفار لم يكن ممنوعا اذ ذاك ولا تخزنى اى تفضحنى يوم يبعثون اى العباد
فان قيل كان قوله واجعلنى من ورثة جنة النعيم كافيا عن هذا وايضا قال تعالى ان الخزى اليوم
والسوء على الكافرين فما كان نصيب الكفار فقط كيف يخافه المعصوم اجيب بان حسنات
الابرار سيئات المقربين فكذا درجات الابرار خزى المقربين وخزى كل واحد بما يليق به ولما نبه
عليه السلام على ان المقصود هو الآخرة صرح بالتنزيه فى الدنيا بقوله يوم لا ينفع اى احدا مال اى
يفتدى به او يبذله لشافع او ناصر او قاهر ولا بنون ينتصر بهم او يعتضد فكيف بغيرهم وفى استثناء
قوله الا من اوجه احدها انه منقطع وجرى عليه الجلال المحلى اى لكن من اتى الله بقلب سليم
فانه ينفعه ذلك الثانى انه مفعول به لقوله تعالى لا ينفع اى لا ينفع المال والبنون الا هذا الشخص
فانه ينفعه ماله المصروف فى وجوه البر وبنوه الصلحاء لانه علمهم واحسن اليهم الثالث انه
بدل من المفعول المحذوف او مستثنى منه اذ التقدير لا ينفع مال ولا بنون احدا
من الناس الا من كانت هذه صفته واختلف فى القلب السليم على اوجه قال الرازى اصحها
ان المراد منه سلامة النفس عن الجهل والاخلاق الرذيلة الثانى انه الخالص من الشرك
والنفاق وهو قلب المؤمن وجرى على هذا الجلال المحلى واكثر المفسرين فان الذنوب قل ان يسلم

منها احد وهذا معنى قول سعيد بن المسيب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن فان قلب الكافر والمنافق
مريض قال تعالى في قلوبهم مرض الثالث انه الذي سلم وسلم واسلم وسالم واستسلم الرابع انه هو اللديغ
اي القلق المنزعج من خشية الله لكن قال الزمخشري ان القولين الاخيرين من بدع التفاسير.
وقوله تعالى وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ حال من واو يبعثون ومعنى ازلفت قربت اي قربت الجنة لِلْمُتَّقِينَ
فتكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويفرحون بانهم المحشورون اليها زيادة
الى شرفهم وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ اي كشفت وظهرت النار الشديدة لِلْغَاوِينَ اي الكافرين
فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها زيادة في هوانهم تنبيه في اختلاف الفعلين
ترجيح لجانب الوعد على الوعيد حيث قال في حق المتقين وازلفت اي قربت وفي حق الغاوين
وبرزت اي اظهرت ولا يلزم من الظهور القرب وَقِيلَ لَهُمْ تبكيتا وتنديما وتوبيخا وابهم القائل
ليصلح لكل احد تحقيرا لهم ولان المراد نفس القول لا كونه من معين أَيْنَمَا اي اين الذي
كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ في الدنيا ثم حقر معبوداتهم بقوله تعالى مِنْ دُونِ اي من ادنى رتبة من رتب
اللَّهِ اي الملك الذي لا كفؤ له وكنتم تزعمون انهم يشفعون لكم ويقونكم شر هذا اليوم هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ
بدفع العذاب عنكم أَوْ يَنْتَصِرُونَ بدفعه عن انفسهم فَكُبْكِبُوا اي فتسبب عن عجزهم ان القوا فِيهَا
اي في مهواة الجحيم هُمْ اي الاصنام وما شابهها من الشياطين ونحوهم وَالْغَاوُونَ
اي الذين ضلوا بهم والكبكبة تكرار الكب لتكرير معناه كان من القي في النار
ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها وقال الزجاج طرح بعضهم فوق بعض وقال
القتيبي القوا على رؤسهم وَجُنُودُ إِبْلِيسَ وهم اتباعه ومن اطاعه من الانس والجن وقيل ذريته
أَجْمَعُونَ ولما لم يتمكنوا من قول في جواب استفهامهم قبل القائم قَالُوا اي العبدة وَهُمْ فِيهَا
اي الجحيم يَخْتَصِمُونَ اي مع المعبودات وقولهم تَاللَّهِ اي الذي له جميع الكمال إِنْ كُنَّا
لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اي ظاهر جدا لمن كان له قلب سليم معمول القول وما بينهما وهو وهم فيها
يختصمون جملة حالية معترضة بين القول ومعموله وقيل ان الاصنام تنطق وتخاصم العبدة
ويؤيده الخطاب في قولهم إِذْ اي حين نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ في استحقاق العبادة تنبيه ان مخففة
اما مبين او محذوف اي ضللنا في وقت تسويتنا لكم بالله في العبادة وَمَا أَضَلَّنَا اي ذلك الضلال
المبين عن الطريق البين إِلَّا الْمُجْرِمُونَ اي الاولون الذين اقتدينا بهم من رؤسائنا وكبرائنا كما
في اية اخرى ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيلا وعن ابن جريج ابليس وابن ادم
الاول وهو قابيل وهو اول من سن القتل وانواع المعاصي فَمَا اي فتسبب عن ذلك انه ما
لَنَا اليوم وزادوا في تعميم النفي بزيادة الجار فقالوا مِنْ شَافِعِينَ يكونون سببا لادخالنا الجنة
كالمؤمنين تشفع لهم الملائكة والنبيون وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ اي قريب يشفع لنا يقول
ذلك الكفار حين تشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق هو الصادق في وداده الذي يهمه

ما املك مع موافقة الدين وعن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل
ليقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله تعالى اخرجوا له صديقه الى
الجنة فيقول من بقي في النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم قال الحسن استكثروا من الاصدقاء
المؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيامة فان قيل لم جمع الشافع ووحد الصديق اجيب بان الشفعاء
كثيرون في العادة تجد له محبة وان لم يسبق له باكثرهم معرفة واما الصديق وهو الصادق في
ودادك الذي يهمه ما اهمك قال الزمخشري فاعز من بيض الانوق انتهى قال الجوهري الانوق
على فعول طير وهو الرخمة وفي المثل اعز من بيض الانوق لانها تحرزه فلا يكاد يظفر بها لان اوكارها
في رؤس الجبال والاماكن الصعبة البعيدة وعن بعض الحكماء انه سئل عن الصديق فقال اسم لا
له اي لا يوجد ولما وقعوا في هذا الهلاك بما اتفق لهم من الخلاص تسبب عنه تمنيهم المحال فقالوا
فلو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا فنكون من المؤمنين اي الذين صار الايمان لهم وصفا لازما
فاز لفت لهم الجنة تنبيه انظر ما احسن ما رتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين
حين سألهم اولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم انحى على الهتهم فابطل امرها بانها لا تضر
ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم اباءهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون شبهة فضلا
عن ان يكون حجة ثم صور المسئلة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وجل فعظم شانه
وعدد نعمه من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى في الاخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه
بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله تعالى وعقابه
وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا
ليؤمنوا ويطيعوا ان في ذلك اي المذكور من قصة ابراهيم وقومه لآية اي عظة على بطلان
الباطل وحقوق الحق وما اي والحال انه ما كان اكثرهم اي الذين شهدوا امرهم هذا الامر العظيم
الذي سمعوا عنه مؤمنين اي بحيث صار الايمان صفة لهم ثابتة وفي ذلك اعظم تسلية
لنبينا صلى الله عليه وسلم وان ربك اي المحسن اليك بارسالك وهداية الامة بك لهو العزيز
اي القادر على ايقاع النقمة بكل من خالفه حين يخالفه الرحيم اي الفاعل فعل الراحم في امهاله
العصاة مع ادرار النعم ودفع النقم وارسال الرسل ونصب الشرائع لكي يؤمنوا او واحد من ذريتهم
ولما اتم سبحانه وتعالى قصة الاب الاعظم الاقرب ابراهيم عليه السلام اتبعها بقصة الاب الثاني وهو
نوح عليه السلام وهي القصة الثالثة مقدما لها على غيرها لما له من القدم في الزمان اعلاما بان
البلاء قديم ولانها ادل على صفة الرحمة بالنقمة التي هي اثر العزة بطول الامهال لهم على طول
مدتهم ثم تعميم النقمة مع كونهم جميع اهل الارض فقال كذبت قوم نوح وهم اهل الارض كلها
من الادميين قبل اختلاف الامم بتفرق اللغات المرسلين اي بتكذيبهم نوحا عليه السلام
لانه اقام الدليل على نبوته بالمعجزة ومن كذب بالمعجزة فقد كذب بجميع المعجزات لتساوي

قد اوهما في الدلائل على صدق الرسول وقد سئل الحسن البصري عن ذلك فقال من كذب واحداً
من الرسل فقد كذب الكل لان الآخر جاء بما جاء به الاول ✦ تنبيه ✦ القوم يؤنث باعتبار معناه
ولذا يصغر على قويمة ويذكر باعتبار لفظه وتذكيره اشهر واختير التأنيث هنا التنبيه على ان
فعلهم اخس الافعال والى انهم مع عتوهم وكثرتهم كانوا عليه سبحانه وتعالى اهون شيء واضعفه
بحيث جعلهم هباء منثوراً وكذا من بعدهم ولاجل التسلية عبر بالتكذيب في كل قصة إذ اى
حين قال لهم اخوهم اى في النسب لا في الدين نوح وذكر الاخوة زيادة في تسلية النبي صلى الله
عليه وسلم واشار تعالى الى حسن ادب نوح عليه السلام مع قومه واستجلابهم برفقه ولينه
بقوله لهم ألا تتقون الله بان تجعلوا بينكم وبينه وبين السخطة وقاية بطاعته بالتوحيد وترك
الالتفات الى غيره ثم علل اهليته للامر عليهم بقوله إني لكم اى مع كوني اخاكم يسرني ما يسركم
ويسوءني ما يسوءكم رسول اى من عند خالقكم فلا سند وحصة لي عما امرت به امين اى مشهور
بالامانة بينكم لا غش عندي كما تعلمون ذلك مني على طول خبرتكم لي ثم تسبب عن ذلك الرفق
الجزم بالامر فقال فاتقوا الله اى اوجدوا الخوف والحذر والتحرز الذي اختص بالجلال والجمال
لتحوزوا اصل السعادة فتكونوا من اهل الجنة وأطيعون فيما امركم به من توحيد الله وطاعته ثم
نفى عن نفسه التهمة بعد ان اثبت امانته بقوله وما اسئلكم عليه اى على هذا الحال الذي
اتيتكم به واشار الى الاغراق في النفي بقوله من اجر لتظنوا اني جعلت الدعاء سبباً لذلك
ثم اكد النفي بقوله إن اى ما أجري اى ثوابي في دعائي لكم إلا على رب العالمين اى الذي
دبر جميع الخلائق ورباهم وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص بفتح الياء في اجري في المواضع
الخمسة في هذه السورة والباقون بالسكون ولما انتفت التهمة تسبب عن انتفائها اعادة
ما قدمه اعلاماً بالاهتمام به زيادة في الشفقة عليهم فقال فاتقوا الله اى الذي حاز جميع صفات
العظمة وأطيعون ولما اقام الدليل على نصحه وامانته قالوا اى قومه منكرين عليه ومنكرين
لاتباعه استناداً الى الكبر الذي ينشأ عنه بطر الحق وغمص الناس اى احتقارهم أنؤمن لك
اى لاجل قولك هذا وما اوتيته من اوصافك و الحال انه قد اتبعك الأرذلون اى
فيكون ايماننا بك سبباً لاستوائنا معهم والرذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم
وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الخسيسة كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري
بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت اتباع الانبياء
كذلك حتى كادت من سماتهم واماراتهم ألا ترى الى هرقل حين سأل ابا سفيان عن اتباع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس هم الغاغة
وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة ✦ ولما كانت هذه الشبهة في غاية الركاكة لان نوحاً
بعث الى جميع قومه فلا يختلف الحال بسبب الفقر والغنى وشرف المكاسب وخستها اجابهم

افصحت

بقوله قَالَ وَمَا اى اى شئ عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قبل ان يتبعونى اى مالى وللبحث عن سرائرهم وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم فى ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما امنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم فى قوله الذين هم اراذلنا بادى الراى ثم اكد انه لا يبحث عن بواطنهم بقوله إِنْ اى ما حِسَابُهُمْ اى فى الماضى والاتى إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي اى المحسن الىّ فهو يحاسبهم ويجازيهم واما انا فلست بمحاسب ولا مجاز لَوْ تَشْعُرُونَ اى لو كان لكم نوع شعور لعلمتم ذلك فلم تقولوا ما قلتم مما هو دائر على امور الدنيا فقط ولا نظر له الى يوم الحساب فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ولما اوهم قولهم هذا استدعاء طرح هؤلاء الذين امنوا معه وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه اجابهم بقوله عليه السلام وَمَا اى ولست أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ اى الذى صار الايمان لهم وصفا راسخا فلم يرتدوا عنه للطمع فى ايمانكم ولا لغيره من اتباع شهواتكم ثم علل ذلك بقوله إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ اى محذر لا وكيل فاتش على البواطن ولا متعنت على الاتباع مُبِينٌ اوضح ما ارسلت به فلا ادع فيه لبسا وقرأ قالون بمد انا فى الوصل بخلاف عنه والباقون بالقصر ولما اجابهم بهذا الجواب فيئسوا مما املوه لم يكن منهم الا التهديد بان قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ ثم سموه باسمه جفاء وقلة ادب بقولهم يَا نُوحُ عما تقول لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ قال مقاتل والكلبى من المقتولين بالحجارة وقال الضحاك من المشتومين فعند ذلك حصل اليأس لنوح عليه السلام من فلاحهم فلذلك قَالَ شاكيا الى الله ما هو اعلم به منه توطئة للدعاء عليهم معرضا عن تهديدهم له صبرا واحتسابا لانه من لازم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر رَبِّ اى ايها المحسن الى إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ اى فيما جئت به فليس الغرض من هذا اخبار الله بالتكذيب لعلمه بانه عالم الغيب والشهادة ولكنه اراد لا ادعوك عليهم لما اذونى انما ادعوك لاجلك ولاجل دينك لانهم كذبوك فى وحيك ورسالتك فَافْتَحْ اى احكم بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا اى حكما يكون لى فيه فرج وبه من الضيق مخرج فاهلك المبطلين وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ اى فى الدين مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مما تعذب به الكافرين ثم لما كان فى اهلاكهم وانجائه من بديع الصنع ما يجل عن الوصف اظهره فى مظهر العظمة بقوله تعالى فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ اى الذين اتبعوه فى الدين على ضعفهم وقلتهم فِي الْفُلْكِ اى السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد وقال تعالى الْمَشْحُونِ اى الموقور المملوء من الناس والطير والحيوان لان سلامته المملوء جدا اغرب ولما كان اغراقهم كلهم من الغرائب عظمه باداة البعد فقال تعالى ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ اى بعد انجاء نوح ومن معه الْبَاقِينَ اى من بقى على الارض ولم يركب معه فى السفينة على قوتهم وكثرتهم إِنَّ فِي ذَٰلِكَ اى الامر العظيم من الدعاء والامهال ثم الانجاء والاهلاك لَآيَةً اى عظمة لمن شاهد ذلك او سمع به وَمَا اى والحال انه ما كَانَ أَكْثَرُهُم اى العالمين بذلك مُّؤْمِنِينَ وقد كان ينبغى لهم [illegible] العذاب وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ المحسن

اليك بارسالك وتلثيوا اتباعك وتعظيم اشياعك لهو العزيز اى القادر بعزته على كل من قسرهم على الطاعة واهلاكهم فى اول اوقات المعصية الرحيم اى الذى يخص من شاء من عباده بجائزة وولما فرغ من ذكر قصة نوح عليه السلام شرع فى قصة هود عليه السلام وهو القصة الرابعة فقال تعالى كذبت عاد اى تلك القبيلة التى مكن الله تعالى لها فى الارض بعد قوم نوح المرسلين بالاعراض عن معجزة هود عليه السلام ثم سلى محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى اذ اى حين قال لهم اخوهم اى فى النسب لا فى الدين هود بصيغة العرض تأدبا معهم وتلطفا بهم الا تتقون اى يكون منكم تقوى لربكم الذى خلقكم فتعبدونه ولا تشركون به ما لا يضركم ولا ينفعكم ثم علل ذلك بقوله انى لكم رسول اى فهو الذى حملنى على ان اقول لكم ذلك امين اى لا اكتم عنكم شيئا مما امرت به ولا اخالف شيئا منه فاتقوا اى تسبب عن ذلك ان اقول لكم اتقوا الله اى الذى هو اعظم من كل شئ واطيعون اى فى كل ما امركم به من طاعة الله وترك معاصيه ومخالفته ثم نفى عن نفسه التهمة فى دعائه لهم بقوله وما اى والحال انى ما اسألكم عليه اى دعائى لكم من اجر فتتهمونى به وانما انا رسول داع ان اى ما اجرى اى ثوابى الا على رب العالمين فهو الذى يثيب العبد على عمله ولما فرغ من دعائهم الى الايمان اتبعه انكار بعض ما هم عليه لان ما لهم مال الناسى لذلك الطوفان الذى اهلك الحيوان وهدم البنيان بقوله لهم اتبنون بكل ريع جمع ريعة وهو فى اللغة المكان المرتفع ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها وقال ابن عباس الريع كل شرف وقال مجاهد هو الفج بين الجبلين وقال الضحاك هو كل طريق اية اى علامة على شدتكم لانه لو كان لهداية او نحوها لكفى بعض ذلك ولكنكم تعبثون بمن يمر فى الطريق الى هود عليه السلام وتسخرون منه والجملة حال من ضمير تبنون وقيل كانوا يبنون الاماكن المرتفعة ليعرف بذلك غناهم فنهوا عن ذلك ونسبوا الى العبث وقال سعيد بن جبير هى بروج الحمام لانهم كانوا يلعبون بالحمام ثم ذكرهم بزوال الدنيا بقوله وتتخذون مصانع قال مجاهد قصورا مشيدة وقال الكلبى هى الحصون وقال قتادة هى ماخذ الماء يعنى الحياض واحدها مصنعة ولما كان هذا الفعل فعال الراجى للخلود قال لهم لعلكم اى كانكم تخلدون فيها فلا تموتون ثم بين لهم افعالهم الخبيثة بقوله واذا بطشتم اى اردتم البطش باحد بضرب او قتل بطشتم جبارين اى من غير رافة قال البغوى والجبار الذى يضرب ويقتل على الغضب + تنبيه + انما قدرنا الارادة لئلا يتحد الشرط والجزاء وجبارين حال ولما خوفهم هود عليه السلام بهذا الانكار وهو ان اتخاذ الابنية العالية يدل على حب الدنيا واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء والجبارية تدل على حب التفرد بالعلو وهى ممتنعة الحصول للعبد خوفهم بهذا الانكار عقابها لجبار تسبب عن ذلك قوله فاتقوا الله اى الذى له صفات الجلال والاكرام واطيعون زيادة فى دعائهم الى الاخرة وزجرا لهم عن حب الدنيا والاشتغال بالشرف والتجبر ثم وصل هذا

الوعظ بما يؤكد القبول بان نبههم على نعم الله تعالى عليهم بقوله وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ اى جعل لكم
مددا وهو اتباع الشئ ما يقوّيه على الانتظام بِمَا تَعْلَمُونَ اى ليس فيه نوع خفاء حتى تغفلوا
عن تقييده بالشكر ثم فصل ذلك المجمل بقوله أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ تعينكم على الاعمال وتأكلون
منها وتبيعون وَبَنِينَ يعينونكم على ما تريدون عند العجز وَجَنَّاتٍ اى بساتين ملتفة الاشجار
بحيث تستر داخلها وَعُيُونٍ اى انهار تشربون منها وتسقون انعامكم وبساتينكم ثم خوفهم بقوله
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ قال ابن عباس ان عصيتمونى اى فانكم قومى يسوؤنى ما يسوؤكم عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
فى الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام فهو قادر على الانتقام وتعظيم اليوم ابلغ من تعظيم
العذاب ولما بالغ عليه السلام فى وعظهم وتنبيههم على نعم الله تعالى حيث اجملها ثم فصلها
مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال امدكم بما تعلمون ثم عددها
عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه النعمة قادر على
الانتقام منكم ولم يقدّر الله تعالى هدايتهم قالوا له راضين بما هم عليه سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ اى خوفت
وحذرت أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ فانا لا نرعوى عما نحن فيه فان قيل لو قيل اوعظت ام لم تعظ
كان اخصر والمعنى واحد اجيب بان ذلك لتوافق القوافى او لان المعنى ليس واحدا بل بينهما
فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذى هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه
فهو ابلغ فى قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ وقرأ قوله تعالى إِنْ اى ما هَذَا اى
الذى جئتنا به إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بضم الخاء واللام اى ما هذا الذى
نحن فيه الا عادة الاولين فى حياة ناس وموت آخرين وعافية قوم وبلاء آخرين وقرأ الباقون
بفتح الخاء وسكون اللام اى ما هذا الا كذب الاولين وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ اى على ما نحن عليه
لانا اهل قوة وشجاعة ونجدة وبلاغة وبراعة ولما تضمن هذا التكذيب تسبب عنه قوله تعالى
فَكَذَّبُوهُ ثم تسبب عن تكذيبهم قوله تعالى فَأَهْلَكْنَاهُمْ فى الدنيا بريح صرصر وسيأتى بيانه ان شاء الله
تعالى فى سورة الحاقة إِنَّ فِي ذَلِكَ اى الاهلاك فى كل قرن للمكذبين والانجاء للمصدقين لَآيَةً
اى عظيمة لمن بعدهم على انه تعالى فاعل ذلك وحده وانه مع اوليائه ومن كان معه لا يذل وانه على
اعدائه ومن كان عليه لا يعز وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ اى اكثر من كان بعدهم مُؤْمِنِينَ اى فلا تحزن انت
يا اشرف الرسل على من اعرض عن الايمان وَإِنَّ رَبَّكَ اى المحسن اليك بارسالك وغيره من النعم
لَهُوَ الْعَزِيزُ فى انتقامه ممن عصاه الرَّحِيمُ فى انعامه واكرامه واحسانه مع عصيانه وكفرانه
وارسال المرسلين وتاييدهم بالآيات المعجزة ثم اتبع قصة هود عليه السلام قصة صالح عليه
السلام وهى القصة الخامسة بقوله تعالى كَذَّبَتْ ثَمُودُ وهم اهل الحجر الْمُرْسَلِينَ وقرأ نافع
وابن كثير وعاصم باظهار التاء عند المثلثة والباقون بالادغام واشار تعالى الى زيادة التسلية
فاجاؤهم بالتكذيب من غير تامل ولا توقف بقوله تعالى إِذْ اى حين قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ

اى فى النسب لا فى الدين صالح بصيغة العرض تأدبا معهم وتلطفا بهم كقول من تقدم قبله
الا تتقون الله ثم علل ذلك بقوله انى لكم رسول من رب العالمين فلذلك عرضت عليكم هذا
لانى مامور بذلك امين فى جميع ما ارسلت به اليكم من القول الذى لا احد ارحم منه بكم
ثم تسبب عن قوله انى لكم رسول قوله فاتقوا الله اى الذى له الغنى المطلق واطيعون فيما اتيت
به من عند الله ثم نفى عنه ما قد يتوهم ممن لا عقل له بقوله وما اسألكم عليه اى ما اتيتكم به واغرق
فى النفى بقوله من اجر ثم زاد فى تاكيد هذا النفى بقوله ان اى ما اجرى الا على رب
العالمين فهو المتفضل المنعم على خلقه ثم شرع ينكر عليهم اكل غيره وعبادة غيره بقوله اتتركون
اى من ايدى النوائب التى لا يقدر عليها الا الله تعالى فى ما ههنا اى فى بلادكم هذه من النعم
حالة كونكم امنين لا تخافون وانتم تبارزون الملك القهار بالعظائم + فائدة + تكتب فى ما ههنا فى
مقطوعة عن ما ثم فسر ما اجمله بقوله فى جنات اى بساتين تستر الداخل فيها وتخفيه لكثرة
اشجارها وعيون تسقيها مع ما لها من البهجة وغير ذلك من المنافع وزروع اى من سائر الانواع
ونخل طلعها اى ما يطلع منها من الثمر هضيم قال ابن عباس هو اللطيف ومنه قولهم كشح هضيم
وقيل هو الجواد الكريم من قولهم يد هضوم اذا كانت تجود بما لديها وقال اهل المعانى هو
المنضم بعضه الى بعض فى وعائه قبل ان يظهر والطلع عنقود التمر قبل خروجه من الكم وقال الزمخشرى
الطلع هو الذى يطلع من النخلة كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو والقنو هو اسم للخارج
من الجذع كما هو بعرجونه فان قيل لم قال ونخل بعد قوله فى جنات والجنة تتناول النخل اول شىء
كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل
كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير تسقى جنة سحقا + وسحقا جمع سحوق
ولا يوصف به الا النخل اجيب بوجهين احدهما انه خص النخل بافراده بعد دخوله فى جملة سائر
الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها الثانى ان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ
يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل ولما ذكر ما انعم الله تعالى به عليهم اتبعه افعالهم الخبيثة بقوله
وتنحتون اى والحال انكم تنحتون اظهارا للقدرة من الجبال وقرأ بيوتا ورش وابو عمرو وحفص
بضم الباء والباقون بكسرها وقرأ فارهين ابن عامر والكوفيون بالف بعد الفاء اى حاذقين
وقرأ الباقون بغير الف اى بطرين لا حاجة لكم الى شىء من ذلك فاتقوا اى فتسبب عن ذلك انى
اقول لكم اتقوا الله الذى له جميع العظمة بان تجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية باتباع اوامره
واجتناب زواجره واطيعون اى فى كل ما امرتكم به ونهيتكم عنه فانى لا امركم الا بما يصلحكم ولا تطيعوا
امر المسرفين اى المجاوزين للحدود وقال ابن عباس المشركين وقال مقاتل هم التسعة الذين
عقروا الناقة + تنبيه + استعير الطاعة التى هى انقياد الامر لامتثال الامر او جعل الامر مطاعا
على المجاز الحكمى والمراد الآمر ومنه قولهم لك على امرة مطاعة وقوله تعالى واطيعوا امرى

ثم وصف المسرفين بما بين سرفهم بقوله الذين يفسدون في الأرض بالمعاصي ولا يصلحون أي
ولا يطيعون الله في أمرهم به فإن قيل فما فائدة ولا يصلحون بعد قوله يفسدون أجيب بأن في
ذلك دلالة على خلوص فسادهم فليس فيه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين
مخلوطا ببعض الصلاح ولما عجزوا عن الطعن في شيء مما دعاهم إليه عدلوا إلى التخييل على عقول الضعفاء
بأن قالوا إنما أنت من المسحرين قال مجاهد وقتادة من المسحورين المخدوعين أي سحر
سحر مرة بعد مرة أي حتى غلب على عقله وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أي
من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب ولست بملك وعلى هذا يكون قولهم ما أنت إلا بشر مثلنا
تأكيدا له قيل المسحر هو المخلوق بلغة بجيلة أي فما وجه تميزك عنا بالرسالة فأت بآية
أي علامة تدل على صدقك إن كنت من الصادقين أي الراسخين في الصدق فقال لهم صالح
ما تريدون قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فأخذ صالح يتفكر فقال له
جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم ونتجت سقبا
مثلها في العظم وعن أبي موسى رأيت مصدرها فإذا هو ستون ذراعا فلما أخرجها قال لهم صالح
هذه ناقة أخرجها لي من الصخرة كما اقترحتم لها شرب أي نصيب من الماء في يوم معلوم ولكم شرب يوم
أي نصيب من الماء في يوم معلوم لا تزاحمكم وشربها وعن قتادة إذا كان يوم شربها شربت ماءهم
ولا تشرب في يومهم ماء ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر ثم خوفهم بالسبب عن عصيانهم بقوله فيأخذكم
أي يهلككم عذاب يوم عظيم بسبب ما حل فيه من العذاب فهو أبلغ من وصف العذاب بالعظم
وأشار إلى سرعة عصيانهم بفاء التعقيب في قوله فعقروها أي فقتلوها بضرب ساقها بالسيف وأسند
العقر إلى كلهم لأن عاقرها إنما عقر برضاهم فكأنهم فعلوا ذلك فأصبحوا أي فتسبب عن عقرهم
لها أنهم أصبحوا حين رأوا مخائل العذاب نادمين على عقرها من حيث إنه يفضي إلى العقاب
والهلاك لا من حيث إنه معصية الله ورسوله وليس على وجه التوبة أو كان ذلك عند رؤية البأس
فلم ينفعهم فأخذهم العذاب أي العذاب الموعود على عقرها إن في ذلك أي ما تقدم في هذه
القصة من الغرائب لآية أي دلالة عظيمة على صحة ما أمروا به عن الله وما أي والحال أنه مع
ذلك ما كان أكثرهم مؤمنين بل استمروا على ما هم عليه وإن ربك أي المحسن إليك بأحسن
الأخلاق لهو العزيز أي فلا يخرج شيء عن قبضته وإرادته الرحيم أي في كونه لم يهلك أحدا حتى
يرسل إليهم رسولا يبين لهم ما يرضيه الله تعالى وما يسخطه ثم أتبع قصة صالح عليه السلام قصة
لوط عليه السلام وهي القصة السادسة فقال كذبت أي كذبت من تقدم كأنهم تواصوا به
قوم لوط المرسلين لأن من كذب رسولا كمن كذب ما مضى فقد كذب الكل ثم بين سرعتهم في الضلال
بقوله تعالى إذ أي حين قال لهم أخوهم أي في البلد لا في الدين ولا في النسب لأنه ابن أخي
إبراهيم عليهما السلام وهما من بلاد المشرق من أرض بابل وكأنه عبر بالأخوة للاختيار

بمجاورتهم ومناسبتهم بمصاهرتهم واقامته بينهم في مدينتهم مدة مديدة وسنين عديدة
واتيانه بالاولاد من نسائهم مع موافقته لهم في انه قروي ثم بينه بقوله تعالى لُوطٌ بصيغة العرض كغيره
ممن تقدم اَلَا تَتَّقُونَ الله فتجعلون بينكم وبين سخطه وقاية ثم علل ذلك بقوله اِنِّي لَكُمْ اي خاصة رَسُولٌ
فلا تسعني المخالفة اَمِيْنٌ لا غش عندي ولا خيانة ثم تسبب عن ذلك قوله فَاتَّقُوا الله اي الملك العظيم
فانه قادر على ما يريد فلا تعصوه وَاَطِيْعُوْنِ اي لان سبب نجاتكم لاني لا امركم الا بما يرضيه
ولا انهاكم الا عما يغضبه ثم نفى عن نفسه ما يتوهم كما تقدم لغيره بقوله وَمَا اَسْاَلُكُمْ عَلَيْهِ
اي الدعاء الى الله تعالى مِنْ اَجْرٍ اي فتتهموني بسببه اِنْ اَجْرِيَ اِلَّا عَلٰى رَبِّ الْعَالَمِيْنَ
اي المحسن الي بايجادكم ثم بتربيتكم ثم وبخهم وبكتهم بقوله اَتَاْتُوْنَ الذُّكْرَانَ وقوله مِنَ الْعَالَمِيْنَ
يحتمل عوده الى الآتي اي انتم من جملة العالمين مخصوصون بهذه الصفة وهي اتيان الذكور
لم يفعل هذا الفعل غيركم من الناكحين من الخلق ويحتمل عوده الى المأتي اي انتم اخترتم
الذكران من العالمين لا الاناث منهم وعلى هذا يحتمل ان يراد الذكران من الآدميين
ومن غيرهم توغلا في الشر وتجاهلا بالقبائح قال البقاعي وان يراد الآدميون وجرى عليه
البغوي واكثر المفسرين اي تريدون الذكران من اولاد آدم مع كثرة الاناث وغلبتهن وَتَذَرُوْنَ
اي تتركون لهذا الغرض مَا خَلَقَ لَكُمْ اي لاجل نكاحكم رَبُّكُمْ اي المحسن اليكم وقوله مِنْ اَزْوَاجِكُمْ يصلح
ان يكون تبيينا اي وهن الاناث وان يكون للتبعيض ويكون المخلوق لذلك هو القبل
وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ثم كانهم قالوا نحن لم نترك نساءنا اصلا ورأسا وان كانوا
قد فهموا ان مراده تركهن حال الفعل في الذكور فقال مضربا عن مقالهم لما ارادوا به
حيدة عن الحق وتماديا في الفجور بَلْ اَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُوْنَ اي متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا
على سائر الناس بل والحيوانات اي مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك او احقاء بان
توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة ولما اتضح الحق عندهم وعرفوا ان لا وجه لهم
في ذلك وانقطعت حجتهم قَالُوْا مقسمين لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ وسموه باسمه جفاء وغلظة بقولهم يَا لُوْطُ
اي عن مثل انكارك هذا علينا لَتَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِيْنَ اي ممن اخرجناه من بلدنا على وجه فظيع
من تعنيف واحتباس املاك كما هو حال الظلمة اذا اجلوا بعض من ينقمون عليه وكما كان بعض اهل
مكة بمن يريد المهاجرة وهذا اشارة الى انه غريب عندهم وعادتهم المستمرة نفي من اعترض عليهم
قَالَ مجيبا لهم اِنِّيْ مؤكدا لمضمون ما ياتي به لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِيْنَ اي المبغضين غاية البغض
لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد + تنبيه + قوله من القالين ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال كما تقول
فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم
ومعروفة مساهمته لهم في العلم والقلى البغض الشديد كان البغض يقلي الفؤاد والكبد
والقالي المبغض كما قال القائل + ووالله ما فارقتكم قاليا لكم + ولكن ما يقضى فسوف يكون +

ثم انه عليه السلام دعا الى الله تعالى بقوله رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي وقوله مِمَّا يَعْمَلُونَ يحتمل ان يريد من
عقوبة عملهم قال الزمخشري وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة ثم ان الله تعالى قبل
دعاءه كما قال تعالى فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ من عذابهم باخراجنا له من بلدهم حين استحقوا له
ولم نوهن عنهم في الحين عزمهم الاكيد واكد بقوله تعالى أَجْمَعِينَ اشارة الى انه نجى
اهل بيته ومن تبعه على دينه ثم استثنى تعالى من اهل بيته قوله تعالى إِلَّا عَجُوزًا وهي امرأته
كائنة فِي الْغَابِرِينَ اى الماكثين الذين تلحقهم الغبرة بما يكون من الداهية فانها لم تنجها
لانها كانت بالقلب في الاول لكونها لم تتابعه في الدين ولم تخرج معه وكانت مائلة الى القوم راضية
بفعلهم وقيل انها اهلكت بما اهلكوا به في الطريق فان قيل كان اهله مؤمنين ولولا ذلك
لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم اجيب بان الاستثناء انما وقع من اهل بيته كما
مرت الاشارة اليه وفي هذا الاسم لها معهم مشاركة بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان فان قيل
في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرين ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم اجيب
بان معناه الا عجوزا مقدرا غبورها او في حكمهم كما مرت الاشارة اليه ثُمَّ دَمَّرْنَا اى اهلكنا الْآخَرِينَ
اى المؤخرين عن اتباع لوط وفي التعبير بلفظ الآخرين اشارة الى تأخرهم من كل وجه ثم لما
كان المراد بقوله تعالى دمرنا اهلكنا بتدبير عطف عليه قوله وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا قال وهب
ابن منبه الكبريت والنار وقال قتادة امطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة من السماء
فاهلكتهم فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف الى المنذرين فاعل ساء
وذلك لان فاعل نعم وبئس اما اسم يجب ان يكون معرفا بلام الجنس او مضافا الى المعرف بلام
الجنس ليحصل الابهام المقصود في التفصيل ولا يأتي ذلك في لام العهد والمخصوص بالذم محذوف
وهو مطرهم إِنَّ فِي ذَٰلِكَ اى انجاء لوط ومن معه واهلاك هؤلاء الكفار الفجار لَآيَةً اى دلالة عظيمة
على ما يصدق الرسل في تنجيتهم وتعذيبهم ولما كان من اتى بعد هذه الامم كقريش ومن بعدهم
قد علموا اخبارهم وصاروا الى تلك الاخبار نظرا للديار والتوسم في الآثار قال تعجبا من حالهم في
ضلالهم وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ اى وهؤلاء وَإِنَّ رَبَّكَ وحده لَهُوَ الْعَزِيزُ
اى في بطشه لاعدائه الرَّحِيمُ في لطفه باوليائه ثم اتبع قصة لوط عليه السلام بقصة شعيب عليه
السلام وهي القصة السابعة قال تعالى كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ اى الغيضة ذات الارض الجيدة التي
ينبع الماء فيها فتنبت الشجر الكثير الملتف الْمُرْسَلِينَ لتكذيبهم شعيبا عليه السلام فيما اتى به من المعجزة
المساوية في خرق العادة وعجز المتحدين به عن معارضة البقية المعجزات التي اتى بها الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر ليكة بلام مفتوحة من غير الف وصل وياء
ساكنة ولا همزة قبلها وفتح تاء التأنيث والباقون باسكان اللام وقبلها وصل وبعد اللام همزة
مفتوحة وبعدها ياء ساكنة وخفض تاء التأنيث قال ابو عبيدة وجدنا في بعض التفاسير الفرق

بين ليكة والايكة فقيل ليكة اسم للقرية التي كانوا فيها والايكة البلاد كلها فصار الفرق بينهما شبيها بما بين
مكة وبكة ثم بين تعالى وقت تكذيبهم بقوله تعالى إذ اي حين قال لهم شعيب برفق ولطف ألا تتقون
الله الذي تفضل عليكم بنعمه ولم يقل اخوهم شعيب لانه لم يكن من اهل الايكة في النسب لانهم
كانوا اهل بدو وكان عليه السلام قرويا لان الله تعالى لم يرسل نبيا الا من اهل القرى تشريفا لهم
لان البركة والحكمة في الاجتماع ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التعرب بعد الهجرة
وقال من يرد الله به خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة ولما ذكر مدين قال اخاهم شعيبا لانه
كان منهم وكان الله تعالى بعثه الى قومه اهل مدين واصحاب الايكة ثم اكد ما قاله بقوله إني
واشار الى تبشيرهم ان اطاعوه بقوله لكم رسول اي من عند الله فهو امرني ان اقول لكم ذلك أمين
اي لا خيانة عندي ولا غش فلذلك ابلغكم جميع ما ارسلت به وان ذلك تسبب عنه قوله فاتقوا الله
اي المحسن اليكم بهذه النعمة وغيرها وأطيعون فيما اتيتكم به من نصحي لكم ثم ذكر ما ذكره من تقدمه من
الانبياء من نفي ما يتوهم ان لهم رغبة في اجرة على دعائهم فقال وما أسألكم عليه اي دعائي
لكم الى الايمان بالله تعالى من أجر ثم زاد في البراءة من الطمع في احد من الخلق بقوله إن اي ما
أجري إلا على رب العالمين اي المحسن الى الخلائق كلهم فانا لا ارجو احدا سواه ثم امرهم بقوله
أوفوا الكيل اي اتموه اتماما لا شبهة فيه اذا كلتم كما توفونه اذا اكتلتم ولا تكونوا من المخسرين اي الناقصين
لحقوق الناس في الكيل والوزن كما قال تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون
اي الكيل واذا كالوهم اي كالوا لهم او وزنوهم اي وزنوا لهم يخسرون اي ينقصون الكيل او الوزن
وزنوا اي لانفسكم ولغيركم بالقسطاس اي الميزان الاقوم واكد معناه بقوله المستقيم وقيل هو بالرومية
العدل وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف والباقون بالضم ثم ان الكيل على ثلاثة
اضرب واف وطفيف وزائد فامر بالواجب الذي هو الايفاء بقوله تعالى أوفوا الكيل
ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف بقوله تعالى ولا تكونوا من المخسرين ولم يذكر الزائد لانه ان فعله
فقد احسن وان لم يفعله فلا اثم عليه والوزن في ذلك كالكيل ولما تمم في النهي عن النقص بقوله
ولا تبخسوا اي تنقصوا الناس أشياءهم اي في كيل او وزن او غير ذلك ثم اتبع ذلك بما هو اعم بقوله
ولا تعثوا اي لا تتصرفوا في الأرض من غير تامل حال كونكم مفسدين اي في المال او غيره كقطع
الطريق والقتل ثم خوفهم بعد ان وعظهم ونهاهم عن الفساد من سطوة الجبار مما حل بمن هو
اعظم منهم بقوله واتقوا الذي خلقكم اي من نطفة فاعادتكم اهون شيء عليه واشار الى ضعفهم
وقوة من كان قبلهم بقوله والجبلة اي الجماعة والامم الأولين الذين كانوا
على خلقة وطبيعة عظيمة كانها الجبال قوة وصلابة لا سيما قوم هود الذين
بلغت بهم الشدة حتى قالوا من اشد منا قوة وقد اهلكهم الله تعالى
اخذ عزيز مقتدر ثم انهم اجابوه بالقدح في الرسالة اولا وباستبعاد الرسالة ثانيا بان

قالوا انما انت من المسحرين الذين كرر سحرهم مرة بعد اخرى حتى اختلفوا فصار كلامهم على
غير نظام او من المعللين بالطعام والشراب كما مضى فى صالح عليه السلام اى فانت بعيد عن الصلاحية
للرسالة ثم اشاروا الى عدم صلاحية البشر لها مطلقا ولو كانوا اعقل الناس بقولهم وما انت الا بشر
مثلنا اى فلا وجه لتخصيصك عنا بذلك واتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منا قضين
منافيين للرسالة مبالغة فى تكذيبه ولهذا قالوا وان نظنك لمن الكاذبين اى فى دعواك
تنبيه مذهب البصريين ان ان هذه هى المخففة من الثقيلة اى وانا نظنك والذى يقتضيه
السياق ترجيح مذهب الكوفيين هنا فى ان ان نافية فانهم ارادوا باثبات الواو فى وما انت المبالغة فى
نفى الرسالة بتعداد ما ينافيه فيكون مرادهم انه ليس لنا ظن يتوجه الى غير الكذب فهو ابلغ من اثبات
الظن به ثم ان شعيبا عليه السلام كان توعدهم بالعذاب ان لم يؤمنوا فقالوا فاسقط علينا كسفا
اى قطعا من السماء اى السحاب او الحقيقة ان كنت من الصادقين اى العريقين فى الصدق المشهورين
فيما بين اهله لتصدقك فيما تزعم من امرك لنا باتخاذ الوقاية من العذاب. تنبيه. انظر الى
حسن نظر شعيب عليه السلام كيف هددهم بما لله عليهم من القدرة فى خلقهم وخلق من كانوا
اشد منهم قوة واهلكهم بانواع العذاب لما عصوا بتكذيب رسلهم وقرأ حفص بفتح السين
والباقون بالسكون وهنا همزتان مكسورتان فقالون والبزى يسهل الهمزة الاولى مع المد
والقصر واسقطها ابو عمرو مع المد والباقون بتحقيق الاولى قال لهم شعيب فى جوابهم ربى اعلم
بما تعملون فيجازيكم به فان شاء عجل لكم العذاب وان شاء اخره الى اجل معلوم واما انا فليس على
الا البلاغ وانا مامور به فلم اخفه عليكم من نفسى ولا ادعيت قدرة على عذابكم فطلبكم ذلك منى
مضموم الى ظلمكم بالتكذيب فكذبوه اى استمروا على تكذيبه فاخذهم اى فتسبب عن
تكذيبهم ان اخذهم عذاب يوم الظلة وهى سحابة على نحو ما طلبوا من قطع السماء روى ان الله
تعالى حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الحر وهو شدة الحر مع سكون الريح فاخذ بانفاسهم
لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا شراب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما
فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروى ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب
الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم
اى وقتا ما ان تعظيم اليوم ابلغ من تعظيم العذاب ان فى ذلك اى الامر العظيم من الانجاء المطيع لكل رسول
من الطاعة والاخذ للعاصى لمن عصاه فى كل عصر بكل قطر بحيث لا يشذ من الفريقين انسان قاص ولا دان
لاية اى دلالة واضحة عظيمة على صدق الرسل وان يكونوا لابدين بتصديق العباد لهم فى جميع
ما قالوه من البشائر والنذائر بان الله تعالى يهلك من عصاه وينجى من والاه لانه الفاعل المختار
لما يريد وما كان اكثرهم اى الذين يسلك كما كان من قبلهم مؤمنين مع انك قد اتيت قومك
بما لا يكون معه شك لو لم يكن لهم بك معرفة قبل ذلك فكيف وهم عارفون بانك كنت قبل الرسالة

لصاحبهم

اصدقهم لهجة واعظمهم امانة واغزرهم عقلا واعلاهم عن كل ذي دنس وَإِنَّ رَبَّكَ اي المحسن
اليك بكل ما يعلي شانك ويوضح برهانك لَهُوَ الْعَزِيزُ فلا يعجزه احد الرَّحِيمُ بالامهال لكي
يؤمنوا او احد من ذريتهم وهذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين له فان قيل كيف كرر في هذه السورة في اول كل
قصة وآخرها ما كرر اجيب بان كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت
كل واحدة منها تدلي بحق على ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان
في التكرير تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم
الا بترديد ما يراد حفظه منها وكلما زاد ترديده كان امكن في القلب وارسخ في الفهم واثبت
للذكر وابعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الانصات للحق
وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا
او يفتق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا وفي ذلك
دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده
عن عقابه وان الانبياء متفقون على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرؤن عن المطامع الدنيه
والاغراض الدنيوية ولما ذكر الله تعالى قصص الانبياء عليهم السلام اتبعه بما يدل على نبوته صلى الله عليه
وسلم بقوله تعالى وَإِنَّهُ اي الذكر الذي اتاهم بهذه الاخبار وهم عنه معرضون وله تاركون لَتَنْزِيلُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ اي الذي رباهم بشمول علمه وعظيم قدرته ما يعجز عن اقل شيء منه غيره نَزَلَ بِهِ اي نجوما على
سبيل التدريج من الافق الاعلى الذي هو محل البركات وعبر عن جبريل عليه السلام بقوله الرُّوحُ
دلالة على انه مادة خير وان الارواح تحيا بما ينزله من الهدى وقال تعالى الْأَمِينُ اشارة الى كونه
عليه السلام معصوما من كل دنس فلا يمكن منه خيانة عَلَى قَلْبِكَ يا اشرف الرسل ففي هذا تقرير
لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان الاخبار عنها ممن
لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله تعالى وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وحفص بتخفيف الزاي والروح
الامين برفعهما والباقون بتشديد الزاي والروح الامين بنصبهما فان قيل لم قال على قلبك وهو
انما نزل عليه اجيب بانه ذكر ليؤكد ان ذلك المنزل محفوظ والرسول متمكن من قلبه لا يجوز
عليه التغير ولان القلب هو المخاطب في الحقيقة لانه موضع التمييز والاختيار واما سائر الاعضاء
فمسخرة له ويدل على ذلك الكتاب والسنة والمعقول فمن الكتاب قوله تعالى نزل به الروح الامين على
قلبك واستحقاق الجزاء ليس الا على ما في القلب قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم
ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت
صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب ومن المعقول ان القلب اذا غشي عليه
وقطع سائر الاعضاء لم يحصل به الشعور واذا افاق القلب شعر بجميع ما ينزل بالاعضاء من الآفات واذا فرح

القلب او حزن تغير حال الاعضاء عند ذلك ولان المعانى الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل
منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش منه لوح المخيلة ولما كان السياق
فى هذه السورة للتحذير قال تعالى معللا للجملة التى قبله لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ اى المخوفين المحذرين
لمن اعرض عن الايمان وفعل ما نهى عنه من المعاصى وقوله تعالى بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ يجوز ان يتعلق
بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب و
اسمعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربى لينذر
به لانه لو نزله باللسان الاعجمى لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به قال
ابن عباس بلسان القرشى ليفهموا ما فيه ولما كان فى العربى ما قد يشكل على بعض العرب قال تعالى
مُبِينٍ اى بين فى نفسه كاشف لما يراد منه غير تارك لبسا عند من تدبره على ما يتعارفه العرب
فى مخاطباتها من سائر لغاتها بحقائقها ومجازاتها على اتساع اراداتها وتباعد مراميها فى محاوراتها وحسن
مقاصدها فى كناياتها واستعاراتها ومن يحيط بذلك حق الاحاطة غير العليم الحكيم الخبير البصير ولما
كان الاستكثار من الادلة مما يسكن النفوس وتطمئن به القلوب قال تعالى وَإِنَّهُ اى هذا القرآن اصوله
وكثيرا من قصصه وامهات فروعه لَفِي زُبُرِ اى كتب الْأَوَّلِينَ كالتوراة والانجيل وقيل وانه اى
محمدا ونعته لفى كتب الاولين أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ اى لكفار مكة ذلك آيَةً اى على صحة القرآن او نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن عامر بالتاء الفوقية ورفع آية على انها الاسم والخبر لهم والباقون
بالياء التحتية ونصب آية على انها خبر وقوله تعالى أَنْ يَعْلَمَهُ اى هذا الذى ياتى به نبينا من
عندنا هو اسمها عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اى يعرفونه بنعته المذكور فى كتبهم والمعنى اولم يكن لهؤلاء المنكرين
علم بنى اسرائيل علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان العلماء الذين كانوا من
بنى اسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره فى كتبهم كعبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة واسد
واسيد قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين قال ابن عباس
بعث اهل مكة الى اليهود بالمدينة فسألوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه وانا لنجد
فى التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه + فائدة + خط فى المصحف علماء بواو قبل الالف
على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا قال الله تعالى
وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ اى القرآن على ما هو عليه من الحكمة والاعجاز عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ اى على رجل ليس بعربى
اللسان او بلغة العجم فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ اى كفار مكة مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم
فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وقالوا ما نفقه قولك وجعلوه عذرا بجحودهم ونظيره ولو جعلناه
قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته + تنبيه + الاعجمين جمع اعجمى بياء النسب على التخفيف بحذفها
من الجمع ولكونه جمع اعجمى جمع جمع سلامة لانه حينئذ ليس من باب افعل فعلاء بخلاف ما لو كان
جمع اعجم فان مؤنثه عجماء بوزن افعل فعلاء وهو عند البصريين لا يجمع هذا الجمع الا لضرورة كقوله

مثلا لن اسودين واحمرين وقال ابن عطية جمع اعجم يقال الاعجمون جمع اعجم وهو الذي لا يفصح وان كان عربي النسب يقال له اعجم وذلك يقال للحيوانات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار واسند الطبري عن عبد الله بن مطيع انه كان واقفا بعرفة وتحته جمل فقال جملي هذا اعجم ولو انه انزل عليهم ما كانوا يؤمنون ولما كان ذلك محل تعجب وكانه ربما ظن له ان الامر على خلاف حقيقته قرر مضمونه وحققه بقوله تعالى كَذَٰلِكَ اي مثل ادخالنا التكذيب به بقراءة الاعجم سَلَكْنَاهُ قال ابن عباس والحسن ومجاهد ادخلنا الشرك والتكذيب فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ اي كفار مكة بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على ان الكل بقضاء الله تعالى وقدره وقيل الضمير في سلكناه عائد الى القران قال ابن عادل وهو الظاهر اي سلكناه في قلوب المجرمين كما سلكناه في قلوب المؤمنين ومع ذلك لم يجع فيهم وفي جملة لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وجهان احدهما الاستئناف على جهة البيان والايضاح لما قبله والثاني انها حال من الضمير في سلكناه اي سلكناه غير مؤمن به اي من اجل ما جبلوا عليه من الاحوال وجعل على قلوبهم من الطبع والختام حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ اي الملجئ للايمان فحينئذ يؤمنون حيث لا ينفعهم الايمان ويطلبون الامان حيث لا امان ولما كان اتيان الشر فجأة اشد قال تعالى فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ باتيانه فَيَقُولُوا اي تاسفا واستسلاما وتلهفا في تلك الحالة لعلمهم بانه لا طاقة به بوجه هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ اي مفسوح لنا في اجالنا فنسمع ونطيع فان قيل ما معنى التعقيب في فيأتيهم بغتة فيقولوا اجيب بانه ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجاته وسؤال النظرة في الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقران حتى يكون رؤيتهم للعذاب مما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاة مما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة مثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان اسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فانه لا يقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسئ فانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين مما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم تقع في هذا الاسلوب فيحل موقعها، ولما اوعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب قال الله تعالى أَفَبِعَذَابِنَا اي وقد تبين لهم كيف اخذه للامم الماضية والقرون الخالية والاقوام العاتية يَسْتَعْجِلُونَ اي بقولهم امطر علينا حجارة اسقط علينا كسفا من السماء ونحو ذلك أَفَرَأَيْتَ اي هب ان الامر كما يعتقدون من طول عيشهم في النعيم فاخبرني إِن مَّتَّعْنَاهُمْ اي في الدنيا برغد العيش وصافي الحيوة سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُم اي بعد تلك السنين المتطاولة والدهور المتواصلة مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ من العذاب مَا اي اي شيء أَغْنَىٰ عَنْهُم اي فيما اخذهم من العذاب مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ برفع العذاب او تخفيفه اي لم يغن عنهم طول التمتع شيئا ويكون كانهم لم يكونوا في نعيم قط وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزد على تلاوة هذه الاية فقال له ميمون لقد وعظت فابلغت وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ اي من القرى السالفة بعذاب الاستيصال إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ اي رسل لهم

وتبعه من امته ومن سمعوا من الرسل باخبارهم مع اممهم من قبلهم ثم علل الانذار بقوله تعالى
ذكرى اى تنبيها عظيما على ما فيه النجاة او جعل المنذرين نفس الذكرى كما قال تعالى قد انزلنا اليكم
ذكرا رسولا وذلك اشارة الى امعانهم فى التذكير حتى صاروا اياه وما كنا ظالمين اى فى اهلاك
شئ منها لانهم كفروا نعمتنا وعبدوا غيرنا بعد الاعذار اليهم ومتابعة الحجج ومواصلة الوعيد
تنبيه الواو فى قوله وما كنا او للحال من نون اهلكنا فان قيل كيف عزلت الواو عن الجملة
بعد الا ولم تعزل عنها فى قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجيب بان الاصل
عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما فى قوله تعالى
سبعة وثامنهم كلبهم ولما كان الكفرة يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما تتنزل به
الشياطين اكذبهم الله سبحانه وتعالى بقوله وما تنزلت به الشياطين اى ليكون سحرا او كهانة او شعرا
او اضغاث احلام كما يقولون وما ينبغى اى وما يصح لهم ان يتنزلوا به وما يستطيعون اى التنزل
وان اشتدت معالجتهم على تقدير ان يكون لهم قابلية لذلك ثم علل هذا بقوله انهم عن السمع
اى الكلام الملائكة لمعزولون اى محجوبون بالشهب ولما كان القرآن داعيا الى الله تعالى ناهيا عن
عبادة غيره تسبب عن ذلك قوله تعالى فلا تدع مع الله اى الجائز لكمال الهيته الها اخر فتكون
اى فيتسبب عن ذلك ان تكون من المعذبين من القادر على ما يريد باليسر واسهله وهذا
خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره
يقول انت اكرم الخلق الى واعزهم على ولئن اتخذت الها غيرى لعذبتك فيكون الوعيد ازجر
له ويكون هو اقبل وروى محمد بن اسحق بسنده عن على رضى الله عنه انه قال لما نزلت على النبى صلى الله
عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا على ان الله امرنى
ان انذر عشيرتى الاقربين وضقت بذلك ذرعا وعرفت انى متى اناديهم بهذا الامر ارى منهم ما اكره
فصمت عليها حتى جاءنى جبريل فقال يا محمد الا تفعل ما تؤمر يعذبك ربك فاصنع لى صاعا من طعام
واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع بنى عبد المطلب حتى ابلغهم ما امرت به ففعلت
ما امرنى به ثم دعوتهم اليه وهم يومئذ اربعون رجلا يزيدون رجلا او ينقصون رجلا فيهم اعمامه
ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا دعانى بالطعام الذى صنعته فجئت به فلما وضعته تناول
صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم القاها فى نواحى الصحفة ثم قال كلوا بسم الله فاكل القوم
حتى ما لهم بشئ من حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم لياكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال
اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله
فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بادره ابو لهب فقال سحركم محمد صاحبكم فتفرق
القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا على ان هذا الرجل قد سبقنى الى ما سمعت
من القول فتفرق القوم قبل ان اكلمهم فاعد لنا الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم

ثم دعانى بالطعام فقدمته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بنى عبد المطلب انى قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة وقد امرنى الله ان ادعوكم اليه فايكم يوازرنى على امرى ويكون اخى ووصيى وخليفتى فيكم فاحجم القوم عنها جميعا فقلت وانا احدثهم سنا انا يا رسول الله اكون وزيرك عليه قال فاخذ برقبتى ثم قال ان هذا اخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابى طالب قد امرك ان تسمع لعلى وتطيع وعن ابن عباس لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقى قالوا نعم ما جربنا عليك الا الصدق قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد قال ابو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت تبت اى خسرت يدا ابى لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب وفى رواية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال ارايتم ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل اكنتم مصدقى الى اخر ما مر وعن ابى هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل الله هذه الاية فقال يا معشر قريش وكلمة نحوها اشتروا انفسكم لا اغنى عنكم من الله شيئا يا بنى عبد مناف لا اغنى عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا اغنى عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله لا اغنى عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سلى ما شئت من مالى لا اغنى عنك من الله شيئا وروى ابو يعلى عن الزبير بن العوام ان قريشا جاءته فحذرهم وانذرهم فسألوه ايات سليمان فى الريح وداود فى الجبال وعيسى فى احياء الموتى ونحو ذلك وان يسير الجبال ويفجر الانهار ويجعل الصخرة ذهبا فاوحى الله تعالى اليه وهم عنده فلما سرى عنه اخبرهم ان اعطى ما سألوه ولكنه ان راهم فكفروا اعوجلوا فاختار صلى الله عليه وسلم الصبر عليهم ليدخلهم الله باب الرحمة فلما كانت النذارة انما هى للمشركين امر بضدها لاضدادهم بقوله تعالى وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ اى لن بغاية اللين فى ذلك لان الطائر اذا اراد ان يرتفع رفع جناحيه واذا اراد ان يحط كسرهما وخفضهما فجعل ذلك مثلا فى التواضع ومنه قول بعضهم

وانت الشهير بخفض الجناح + فلا تك فى رفعه اجدلا

نهاه عن التكبر بعد التواضع لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اى سواء كانوا من الاقربين ام من الابعدين فان قيل المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما معنى قوله تعالى لمن اتبعك من المؤمنين اجيب بوجهين احدهما ان تسميتهم قبل الدخول فى الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك الثانى ان يريد بالمؤمنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فقط اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والفاسق والمنافق لا يخفض لهما الجناح فمن على الاول للتبعيض وان اريد عموم الاتباع فهى للتبيين واختلف فى الواو فى قوله تعالى فَإِنْ عَصَوْكَ

على اوجه احدها انها ضمير الكفار اى فان عصاك الكفار فى امرك لهم بالتوحيد الثانى انها ضمير العشيرة وهذا اقرب كما جرى عليه السلف والجلال المحلى الثالث انها ضمير المؤمنين اى فان عصاك المؤمنون فى فروع الاسلام وبعض الاحكام بعد تصديقك والايمان برسالتك وهذا كما قال ابن عادل فى غاية البعد فَقُلْ اى تاركا لما كنت تعاملهم من اللين إِنِّي بَرِيءٌ اى منفصل غاية الانفصال مِمَّا تَعْمَلُونَ اى من العصيان الذى انذر منه القرآن وَتَوَكَّلْ اى فوض فى عصمتك ونجاتك وجميع امورك عَلَى الْعَزِيزِ اى القادر على الدفع عنك والانتقام منهم الرَّحِيمِ اى الذى نصرك عليهم برحمته وقرأ نافع وابن عامر فتوكل بالفاء على الابدال من جواب الشرط والباقون بالواو ثم اتبع الامر بالتوكل الوصف المقتضى لجميع اوصاف الكمال بقوله تعالى الَّذِي يَرَاكَ اى بصرا وعلما حِينَ تَقُومُ من نومك الى التهجد وقال مجاهد اى يراك اينما كنت وقال اكثر المفسرين كما قاله البغوى حين تقوم الى الصلوة اى من نوم او غيره وَيرى تَقَلُّبَكَ فى الصلوة قائما وراكعا وساجدا فِي السَّاجِدِينَ قال عكرمة عن ابن عباس اى فى المصلين وقال مقاتل مع المصلين فى الجماعة يقول يراك حين تقوم وحدك للصلوة ويراك اذا صليت مع المصلين جماعة وقال مجاهد يرى تقلب بصرك فى المصلين فانه كان يبصر من خلفه كما يبصر امامه وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون قبلتى ههنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم انى لاراكم من وراء ظهرى وقال عطاء عن ابن عباس اراد وتقلبك فى اصلاب الانبياء من نبى الى نبى حتى اخرجك فى هذه الامة وقيل ترددك فى تصفح الاحوال المتهجدين من اصحابك لتطلع عليهم من حيث لا يشعرون وتستبطن سرائرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير إِنَّهُ هُوَ اى وحده السَّمِيعُ اى لجميع اقوالكم الْعَلِيمُ اى بجميع ما تسرونه وتعلنونه من اعمالكم وشمول العلم يستلزم تمام القدرة فصار كانه قال انه السميع البصير العليم القدير تثبيتا للتوكل عليه ولما بين سبحانه وتعالى ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصح ان ينزلوا عليه من وجهين ذكرهما بقوله تعالى هَلْ أُنَبِّئُكُمْ اى اخبركم خبرا جليلا نافعا فى الدين عظيم الجدوى فى القرآن بين اولياء الرحمن واخوان الشيطان عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ وتردد الشَّيَاطِينُ حين تسترق السمع ولما كان كانه قيل نعم اشار الى احد الوجهين بقوله تعالى تَنَزَّلُ على سبيل التدريج والتردد عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ اى كذاب أَثِيمٍ اى فاجر مثل مسيلمة الكذاب وغيره من الكهنة واشار الى ثانى الوجهين بقوله تعالى يُلْقُونَ السَّمْعَ اى الافكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى

الله عليه وسلم فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها ويجوز ان يعود الضمير على
الشياطين ومعنى القائهم السمع انصاتهم الى الملأ الاعلى قبل ان يرجموا فيختطفون منهم بعض
المغيبات ويوحونه الى اوليائهم او يلقون الشئ المسموع الى الكهنة وَأَكْثَرُهُمْ اى الفريقين كَاذِبُونَ
اما الشياطين فانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا واما الافكون فانهم يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم
فان قيل كيف قال واكثرهم كاذبون بعد ما حكم عليهم ان كل واحد منهم افاك اجيب بان الافاكين
هم الذين يكثرون الكذب لا انهم الذين لا ينطقون الا بالكذب فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من
يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى واكثرهم مفتر عليه ولما قال الكفار لم لا يجوز ان يقال الشياطين
تنزل بالقرآن على محمد كما انهم ينزلون بالكهانة على الكهنة وبالشعر على الشعراء ثم انه تعالى فرق
بين محمد عليه الصلوة والسلام وبين الكهنة ذكر ما يدل على الفرق بينه وبين الشعراء بقوله تعالى
وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ اى الضالون المائلون عن السنن الاقوم الى كل فساد يجر الى الهلاك
واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك بل هم الساجدون الباكون الزاهدون رضي الله تعالى
عنهم وقرأ نافع بسكون التاء الفوقية وفتح الباء الموحدة والباقون بتشديد الفوقية وكسر الموحدة
ولما قرر حال اتباعهم علم منه انهم هم اغوى منهم لتهتكهم في شهوة اللقلقة باللسان حتى
حسن لهم الزور والبهتان دل على ذلك بقوله تعالى أَلَمْ تَرَ اى تعلم أَنَّهُمْ اى الشعراء ومثل حالهم
بقوله تعالى فِي كُلِّ وَادٍ من اودية القول من المدح والهجو والتشبيب والرثاء والمجون وغير ذلك
يَهِيمُونَ اى يسيرون سير البهائم حائرين وعن طريق الحق حائدين كيفما جرهم القول انجروا من
القدح في الانساب والتشبيب بالحرم والهجو ومدح من لا يستحق المدح ونحو ذلك ولذلك قال تعالى
وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ اى لانهم لا يقصدونه وانما الجاهم اليه الفن الذى سلكوه فاكثر
اقوالهم لا حقائق لها وقيل انهم يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه ولا يفعلونه ويذمون البخل
ويصرون عليه ويهجون الناس بادنى شئ صدر منهم + تنبيه + قال المفسرون اراد شعراء الكفار
كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر مقاتل اسماءهم فقال منهم عبد الله بن الزبعرى
السهمي وهبيرة بن ابى وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي
وامية بن ابى الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول كما قال محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم
يسمعون اشعارهم حين هجو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ويروون عنهم قولهم فذلك قوله تعالى
يتبعهم الغاوون وهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقال قتادة هم الشياطين ثم انه تعالى
لما وصف شعراء الكفار بهذه الاوصاف استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعر الجاهلية ويهجون
الكفار وينافحون عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة
وكعب بن مالك فقال تعالى إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا اى بالله ورسوله وَعَمِلُوا اى تصديقا لايمانهم
الصَّالِحَاتِ اى التى شرعها الله تعالى ورسوله وَذَكَرُوا اللَّهَ مستحضرين ما له من الكمال كَثِيرًا اى

لم يشغلهم الشعر عن الذكر روى ان كعب بن مالك قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله قد انزل
فى الشعر ما انزل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكانما
ترمونهم به نضح النبل وعن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء
وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول ؎ خلوا بنى الكفار عن سبيله + اليوم نضربكم على تنزيله +
ضربا يزيل الهام عن مقيله + ويذهب الخليل عن خليله + فقال له عمر يا ابن رواحة
بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول شعرا فقال النبى صلى الله
عليه وسلم خل عنه يا عمر فهى اسرع فيهم من نضح النبل وعن البراء ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك وعن عائشة رضى الله عنها قالت
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه اشد عليهم من رشق النبل فارسل الى
ابن رواحة فقال اهجهم فلم يرض فارسل الى كعب بن مالك ثم ارسل الى حسان بن ثابت فقال
حسان قد آن لكم ان ترسلوا الى هذا الاسد ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذى
بعثك بالحق لافرينهم بلسانى فرى الاديم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تعجل
فان ابا بكر اعلم قريش بانسابها وان لى فيهم نسبا حتى يخلص لك نسبى
فاتاه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله قد اخلص لى نسبك والذى بعثك
بالحق لاسلنك منهم كما يسل الشعر من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله
ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى قال حسان
هجوت محمدا فاجبت عنه + وعند الله فى ذاك الجزاء + هجوت محمدا برا حنيفا +
رسول الله شيمته الوفاء + فان ابى ووالدتى وعرضى + لعرض محمد منكم وقاء +
فمن يهجو رسول الله منكم + ويمدحه وينصره سواء + وجبريل رسول الله فينا +
وروح القدس ليس له كفاء + وورد فى مدح الشعر عن ابى بن كعب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان من الشعر حكمة وعن ابن عباس قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه
وسلم يوما فقال هل معك من شعر امية بن ابى الصلت شئ قال نعم قال هيه
فانشده بيتا فقال هيه حتى انشده مائة بيت وعن جابر بن سمرة قال جالست
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة فكان اصحابه يتناشدون
الشعر ويتذاكرون شيئا من امر الجاهلية فربما تبسم معهم وعن عائشة
الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح وعن الشعبى كان ابو بكر يقول
الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان على اشعر الثلاثة وعن ابن عباس انه كان ينشد
الشعر فى المسجد ويستنشده فروى انه دعا عمر بن ابى ربيعة المخزومى واستنشده القصيدة التى اولها

امن ال نعمی انت غاد مبکر * غداة غد ام رائح فمهجر * فانشد ابن ربيعة القصيدة الى اخرها
وهى قريبة من سبعين بيتا ثم ان ابن عباس اعاد القصيدة جميعا وكان حفظها بمرة واحدة
ثم بين سبحانه وتعالى ما حمل المؤمنين على الشعر وهو انتصارهم من المشركين بقوله تعالى
وَانْتَصَرُوا اى بهجوهم الكفار مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا بهجو الكفار لهم لانهم بدؤا بالهجاء ثم اوعد شعراء
المشركين وغيرهم من الكفار بقوله تعالى وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا بالشرك وهجو رسول الله صلى الله عليه
وسلم اَيَّ مُنْقَلَبٍ اى مرجع يَنْقَلِبُونَ اى يرجعون بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم والسعير
وفى هذا تهديد شديد لما فى سيعلم من الوعيد البليغ وفى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم
وفى اى منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد تلا ابو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد
ليه هذه الاية اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الاية بين عينيه فلم يغفل عنها وروى الثعلبى فى تفسيره
عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة التى تذكر فيها البقرة من الذكر
الاول واعطيت طه وطواسين من الواح موسى واعطيت فواتح القران وخواتيم السورة التى تذكر
فيها البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الله اعطانى السبع مكان التورية واعطانى الطواسين مكان الزبور وفضلنى بالحواميم
والمفصل ما قرأهن نبى قبلى وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود
شعيب وصالح وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم حديث موضوع

سورة النمل مكية

وهى ثلاث او اربع او خمس وتسعون اية والف وثلثمائة وتسع واربعون كلمة واربعة الاف وسبعمائة
وتسعة وتسعون حرفا بِسْمِ اللّٰهِ اى الذى كمل علمه فبهرت حكمته الرَّحْمٰنِ الذى عم بالهداية باوضح
البيان الرَّحِيْمِ اى الذى منّ بجنات النعيم على من اتبع الصراط المستقيم طٰسٓ قال ابن عباس هو
اسم من اسماء الله عز وجل وقد سبق الكلام فى حروف الهجاء عليه وقرأ حمزة والكسائى
وشعبة بامالة الطاء والباقون بالفتح تِلْكَ اى هذه الايات العالية المقام البعيدة المرام
البديعة النظام اٰيٰتُ الْقُرْاٰنِ اى الكامل فى قرانيته الجامع للاصول الناشر للفروع الذى
لا خلل فيه ولا فصم وصدع ولا وصم وَكِتَابٍ مُّبِيْنٍ اى مظهر الحق من الباطل فان قيل
كيف صح ان يشار لاثنين احدهما مؤنث والاخر مذكر باسم الاشارة المؤنث ولو قلت
تلك هند وزيد لم يجز اجيب من ثلاثة اوجه احدها ان المراد بالكتاب هو الايات لان
الكتاب عبارة عن الايات المجموعة فلما كان شيئا واحدا صحت الاشارة اليهما باشارة الواحد
المؤنث الثانى انه على حذف مضاف اى وايات كتاب مبين الثالث انه لما ولى المؤنث ما تهم

فوله فان قيل كيف صح الى اخره جعل صاحب الكشاف الاشارة الى الايات المؤنث العطف القران والكتاب فلا يرد عليه ما قاله المصحح

الاشارة به اليه اكتفى بوحده ولو ولي الفعل لم يحسن الا ترى انك تقول جاءتني هند وزيد
ولو اخرت هند لم يجز تأنيث الفعل وقرأ ابن كثير بالنقل وصلا وابتداء وحمزة في الوقف لا غير
والباقون بغير نقل وقوله تعالى هُدًى وَبُشْرٰى يجوز ان يكونا منصوبين على المصدر بفعل مقدر من
لفظهما اي يهدي هدى ويبشر بشرى وان يكونا في موضع الحال من ايات والعامل فيهما ما في تلك
من معنى الاشارة وان يكونا خبرا بعد خبر وان يكونا خبري مبتدأ مضمر اي هو هدى من الضلالة
وبشرى لِلْمُؤْمِنِيْنَ اي المصدقين به بالجنة كقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه وفضل ويهديهم اليه
صراطا مستقيما ولهذا خص به المؤمنين وقيل المراد بالهدى الدلالة وانما خصه بالمؤمنين لانه ذكر مع
الهدى البشرى والبشرى انما تكون للمؤمنين ولانهم تمسكوا به كقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها
ولانه تزيد في هداهم كقوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ولما كان وصف الايمان خفيا
وصفهم بما يصدقه من الامور الظاهرة بقوله الَّذِيْنَ يُقِيْمُوْنَ الصَّلٰوةَ اي بجميع حدودها الظاهرة
والباطنة من المواقيت والطهارات والشروط والاركان والخشوع والمراقبة والاحسان لصلاحها
ما بينهم وبين الخالق وَيُؤْتُوْنَ الزَّكٰوةَ اي احسانا فيما بينهم وبين الخلائق وَهُمْ بِالْاٰخِرَةِ هُمْ يُوْقِنُوْنَ
اي يوجدون الايقان حق الايجاد بالاستدلال ويجددونه في كل حين بما يوجد منهم من الاقدام
على الطاعة والاحجام عن المعصية واعيد هم لما فصل بينه وبين الخبر ولما افهم التخصيص ان ثم من
يكذب بما ذكره بقوله تعالى اِنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ اي لا يوجدون الايمان ولا يجددونه بِالْاٰخِرَةِ زَيَّنَّا
اي بعظمتنا التي لا يمكن دفاعها لَهُمْ اَعْمَالَهُمْ اي القبيحة بتركيب الشهوة حتى اعرضوا عن الخوف
من عاقبتها مع ظهور قباحتها والاسناد اليه حقيقي عند اهل السنة لانه الموجد الحقيقي والى الشيطان
مجاز سببي وعند المعتزلة بالعكس قال الزمخشري في تفسيره ان اسناده الى الشيطان حقيقة
واسناده الى الله عز وجل مجاز فَهُمْ اي فتسبب عن ذلك انهم يَعْمَهُوْنَ اي يتحيرون ويترددون
في اودية الضلال ويتمادون في ذلك فهم كل لحظة في خبط جديد بعمل غير سديد اُولٰٓئِكَ اي البعداء
البغضاء الَّذِيْنَ لَهُمْ اي خاصة سُوْٓءُ الْعَذَابِ اي اشده في الدنيا بالخوف والقتل وَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ هُمُ
الْاَخْسَرُوْنَ اي اشد الناس خسارة لانهم خسروا ما لا خسارة مثله لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم
ولما وصف تعالى القران بما اقتضى بيان اهل الفوز والخسران ذكر حال المنزل عليه وهو النبي
صلى الله عليه وسلم مخاطبا له بقوله تعالى وَاِنَّكَ اي وانت يا اشرف الخلق واعلمهم واعظمهم واحكمهم
لَتُلَقَّى الْقُرْاٰنَ اي لتؤتاه وتلقنه اي يلقى عليك بشدة مِنْ لَّدُنْ اي من عند حَكِيْمٍ اي بالغ الحكمة
فلا شيء من افعاله الا وهو في غاية الاتقان عَلِيْمٍ اي عظيم العلم واسعه تامة شاملة والجمع بينهما مع
ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القران
منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات
ثم شرع في بيان تلك العلوم بقوله تعالى اِذْ قَالَ مُوْسٰى اي اذكر قصته حين قال لِاَهْلِهٖٓ اي زوجته

بنت شعيب عليه السلام عند مسيره من مدين الى مصر وهى القصة الاولى من قصص هذه السورة
قال الزمخشرى روى انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله تعالى عنها بالاهل
فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا وكانا يسيران ليلا وقد اشتبه الطريق عليهما
والوقت وقت برد وفى مثل هذا الحال يقوى الناس بمشاهدة نار من بعد لما يرجى فيها من زوال الحيرة
وامن الطريق ومن الانتفاع بالنار للاصطلاء فلذلك بشرها فقال إِنِّي آنَسْتُ اى ابصرت ابصارا حصل
لى به الانس وازال عنى الوحشة نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ اى عن حال الطريق وكان قد اضلها وعبر
بلفظ الجمع كما فى قوله امكثوا فان قيل كيف جاء بسين التسويف اجيب بان ذلك عدة لاهله انه
ياتيهم به وان ابطأ الاتيان او كانت المسافة بعيدة فان قيل قال هنا سآتيكم منها بخبر وفى السورة
الآتية لعلى آتيكم منها بخبر وهما كالمتنافيين لان احدهما ترج والآخر تيقن اجيب بان الراجى
قد يقول اذا قوى رجاؤه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ
اى شعلة نار فى رأس فتيلة او عود قال البغوى وليس فى الطرف الآخر نار وقال بعضهم الشهاب
شئ ذو نور مثل العمود والعرب تسمى كل شئ ابيض ذى نور شهابا والقبس القطعة من النار
وقرأ الكوفيون بشهاب بالتنوين على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس
والباقون باضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس فهو من اضافة النوع الى جنسه نحو
ثوب خز اذ الشهاب شعلة من النار والقبس قطعة منها يكون فى عود وغيره كما مر فان قيل لم جاء باو
دون الواو اجيب بانه بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية
الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين
قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة
ثم انه عليه السلام علل اتيانه بذلك انهما لانها ليلة باردة بقوله لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ اى
لتكونوا فى حال من يرجى ان يستدفئ بذلك من البرد والطاء بدل من تاء الافتعال من صلى بالنار
بكسر اللام وفتحها فَلَمَّا جَاءَهَا اى تلك التى ظنها نارا نُودِيَ من قبل الله تعالى أَن بُورِكَ ان
هى المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك او المصدرية اى بان بورك وقوله
تعالى مَن فِي النَّارِ اى موسى وَمَنْ حَوْلَهَا اى الملائكة هو نائب الفاعل لبورك والاصل بارك الله
من فى النار ومن حولها وهذا تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة ومذهب اكثر المفسرين
ان المراد بالنار النور ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا ومن فى النار هم الملائكة
وذلك ان النور الذى رآه موسى عليه السلام كان فيه الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس
ومن حولها هو موسى لانه كان بالقرب منها ولم يكن فيها وقال سعيد بن جبير كانت النار بعينها
والنار احدى حجب الله تعالى كما جاء فى الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه الحديث
تنبيه بارك يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال باركك الله وبارك عليك وبارك فيك وبارك لك وقال الشاعر

ثلثة ارباع

سه فبورکت مولودا وبورکت ناشئا وبورکت عند الشيب اذ انت اشيب + قال الزمخشري والظاهر
انه عام في كل من في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام ولقد جعل الله تعالى
ارض الشام الموسومة بالبركات لكثرتها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا ومهبط الوحي عليهم
وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام وقوله تعالى وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة الله في ذلك الامر
فانه اتاه النداء كما ورد من جميع الجهات فسمعه بجميع الحواس وتعجب من موسى لما دهاه من عظمته
ولما تشوفت النفس الى تحقق الامر تصريحا قال تعالى تمهيدا لما اراد سبحانه اظهاره على يد موسى
عليه السلام من المعجزات الباهرات يَا مُوسَى إِنَّهُ اي الشأن العظيم الجليل الذي لا يبلغ
وصفه وجملة أَنَا اللَّهُ اي البالغ في العظمة ما تقصر عنه الاوهام مفسرة له او المتكلم وانا خبر والله بيان
ثم وصف تعالى نفسه بوصفين يدلان على ما يفعله مع موسى عليه السلام احدهما الْعَزِيزُ
اي الذي يصل الى سائر ما يريد ولا يرده عن مراده راد والثاني الْحَكِيمُ اي الذي يفعل كل
ما يفعله بحكمة وتدبير فان قيل هذا النداء يجوز ان يكون من عند غير الله تعالى فكيف علم
موسى انه من الله تعالى اجيب بانه سمع الكلام المنزه عن مشابهة كلام المخلوقين لان النداء اتاه
من جميع الجهات وسمعه بجميع الحواس كما مر فعلم بالضرورة انه صفة الله سبحانه وتعالى ثم ارى الله
سبحانه وتعالى موسى عليه السلام اية تدل على قدرته ليعلم علم شهود وهي قوله تعالى
وَأَلْقِ عَصَاكَ فالقاها كما مر فصارت في الحال كما اذنت به الفاء حية عظيمة جدا ومع كونها في غاية
العظم في نهاية الخفة والسرعة في اضطرابها عند سعيها ولتها ما تريد فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ اي تضطرب
في تحركها مع كونها في غاية الكبر كَأَنَّهَا جَانٌّ اي حية صغيرة في خفتها وسرعتها ولا ينافي ذلك
كبر جثتها وَلَّى اي موسى عليه السلام ثم ان التولية مشتركة بين معان فلذا بين المراد منها بقوله تعالى
مُدْبِرًا اي التفت هاربا منها مسرعا جدا لقوله تعالى وَلَمْ يُعَقِّبْ اي لم يرجع على عقبه ولم يلتفت الى
ما وراءه بعد توليه + تنبيه + قال الزمخشري والق عصاك معطوف على بورك لان المعنى نودي
ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل
له الق عصاك انتهى وانما احتاج الى تقدير وقيل له الق لتكون جملة خبرية مناسبة للجملة الخبرية
التي عطفت عليها لانه يرى في العطف تناسب الجمل المتعاطفة والصحيح كما قاله ابو حيان انه لا يشترط
ذلك ولما تشوفت النفس الى ما قيل له عند هذه الحالة اجيب بانه قيل له يَا مُوسَى لَا تَخَفْ اي منها
ولا من غيرها ثقة بي ثم علل هذا النهي بقوله تعالى مبشرا بالامن والرسالة إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ اي عندي
الْمُرْسَلُونَ اي من حية وغيرها لانهم معصومون من الظلم ولا يخاف من الملك العدل الا ظالم وقوله
تعالى إِلَّا مَنْ ظَلَمَ فيه وجهان احدهما انه استثناء منقطع لان المرسلين معصومون من المعاصي وهذا
هو الصحيح والمعنى لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف الا من تاب كما قال تعالى ثُمَّ بَدَّلَ اي بتوبته

حسنا بعد سوء وهو الظلم الذي كان عمله اي جعل الحسن بدل السوء كالسحرة الذين آمنوا بعد ذلك
بموسى عليه السلام فإني ارحمه بسبب اني غفور اي من شأني ان امحو الذنوب محوا يزيل جميع
آثارها رحيم اي اعامله معاملة الراحم البليغ الرحمة والثاني انه استثناء متصل وللمفسرين فيه
عبارات قال الحسن ان موسى ظلم بقتل القبطي ثم تاب فقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقال غيره
ان ذلك محمول على ما يصدر من الانبياء من ترك الافضل وقال بعض النحويين الا ههنا بمعنى
ولا اي لا يخاف لدي المرسلون ولا المذنبون التائبون كقوله تعالى لئلا يكون
للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا اي ولا الذين ظلموا ثم اراه الله تعالى بعد هذه الآية
آية اخرى ذكرها بقوله تعالى وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ اي فتحة ثوبك وهو ما قطع منه ليحيط
بعنقك وكان عليه مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع
تَخْرُجْ بَيْضَاءَ اي بياضا عظيما نيرا جدا له شعاع كشعاع الشمس وكانت الآية الاولى مما في يده
بقلب جوهرها الى جوهر شيء آخر حيواني وهذه في يده نفسها بقلب عرضها الذي كانت عليه الى
عرض آخر نوراني ثم نفى عنها ان يكون ذلك بسبب آفة بقوله تعالى مِنْ غَيْرِ سُوءٍ اي برص
ولا غيره من الآفات وقوله تعالى فِي تِسْعِ آيَاتٍ كلام مستأنف وحرف الجر فيه متعلق
بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات الى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ كقول القائل ◦ فقلت الى الطعام فقال
منهم ◦ فريق يحسد الانس الطعاما ويجوز ان يكون بمعنى والق عصاك وادخل يدك في تسع آيات
وعلى هذا فلقائل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة آية ثنتان منها العصا واليد والتسع الفلق
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم
وقيل في بمعنى من اي من تسع آيات فتكون العصا واليد من التسع ثم علل ارساله اليهم بالخوارق بقوله
تعالى إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ اي خارجين عن طاعتنا فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا اي على يد موسى عليه
السلام مُبْصِرَةً اي بينة واضحة هادية الى طريق الاقوم قَالُوا هَذَا سِحْرٌ اي خيال لا حقيقة له مُبِينٌ
اي واضح انه خيال وَجَحَدُوا بِهَا اي انكروا كونها آيات موجبات لصدقه مع علمهم بابطالهم لان
الجحود الانكار مع العلم وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ اي علموا انها من عند الله تعالى وتخلل علمها صميم
قلوبهم فكانت السنتهم مخالفة لما في قلوبهم ولذلك اسند الاستيقان الى النفس ثم علل جحدهم
ووصفهم لها بخلاف وصفها بقوله تعالى ظُلْمًا وَعُلُوًّا اي شركا وتكبرا عن ان يؤمنوا بما جاء به موسى
فَانْظُرْ يا اشرف الخلق كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وهو الاغراق في الدنيا بأيسر سعي وايسر امر
فلم يبق منهم عين تطرف ولم يرجع منهم مخبر على كثرتهم وعظمتهم وقوتهم والاحراق في الآخرة بالنار
المؤبدة القصة الثانية قصة داود وسليمان عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا اي بما لنا
من العظمة دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ابنه وهما من اتباع موسى عليهم السلام وبعده بازمان متطاولة عِلْمًا اي جزءا من العلم
عظيما من منطق الطير والدواب وتسبيح الجبال وغير ذلك مما لم تؤته لاحد من قبلهما وكما كان انقياد لهم

ع

عملا بمقتضاه عطفت عليه قوله وقالا لاتنكرا عليه ودلالة على شرف العلم وتنبيها لاهله على التواضع الحمد اى الاحاطة بجميع اوصاف الكمال لله اى الذى لا كفؤ له الذى فضلنا اى بما اتانا من النبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والانس وغير ذلك على كثير من عباده المؤمنين اى ممن لم يؤت علما او مثل علمهما وفى ذلك تحريض للعالم ان يحمد الله تعالى على ما اتاه من فضله وان يعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير فلا يتكبر ولا يفتخر بل يشكر الله تعالى وينفع به المسلمين كما نفعه الله تعالى به ثم انه تعالى اشار الى فضل سليمان بانه جمع الى ما اتاه ما كان منح به اباه بقوله تعالى وورث سليمان داود اى اباه عليهما السلام دون سائر اولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا فاعطى سليمان ما اعطى داود من الملك وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود واقضى منه وكان داود اشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى عليه وقال تحدثا بنعمة ربه ومنبها على ما شرفه الله تعالى به ليكون ادعى فى قبول الناس ما يدعوهم اليه من الخير يا ايها الناس علمنا اى انا وابى بايسر امر واسهله منطق الطير اى فهم ما يريد كل طائر اذا صوت فسمى صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس روى عن كعب الاحبار انه قال صاح ورشان عند سليمان عليه السلام فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح طيطوى فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول سبحان ربى الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمرى فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول سبحان ربى الاعلى قال والغراب يدعو على العشار والحداة تقول كل شئ هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربى القدوس ويقول ايضا سبحان ربى المذكور بكل لسان والبازى يقول سبحان ربى وبحمده وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وروى عن فرقد السبخى قال مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء وهو بالقصر والمد التراب وقال ابو عبيد هو الدروس وفى حديث صفوان اذا دخلت بيتى فاكلت رغيفا وشربت عليه فعلى الدنيا العفاء وروى ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سائلوك عن سبعة اشياء فان اخبرتنا امنا وصدقنا قال اسئلوا تفقها ولا تسئلوا تعنتا قالوا اخبرنا ما يقول القنبر فى صفيره والديك فى صعقته

والضفدع فى نقيقه والحمار فى نهيقه والفرس فى صهيله فما يقول الزرزور والدراج قال نعم اما القنبر
فيقول اللهم العن مبغضى محمد وآل محمد واما الديك فيقول اذكروا الله يا غافلين واما الضفدع
فيقول سبحان المعبود فى لجج البحار واما الحمار فيقول اللهم العن العشار واما الفرس فيقول اذا التقى
الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح واما الزرزور فيقول اللهم انى اسألك قوت يوم بيوم
يا رزاق واما الدراج فيقول الرحمن على العرش استوى قال فاسلم اليهود وحسن اسلامهم وتروى
عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده عن الحسين بن على قال اذا صاح النسر قال ابن آدم
عش ما شئت آخره الموت واذا صاح العقاب قال فى البعد من الناس انس واذا صاح القنبر قال
الهى العن مبغضى آل محمد واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد ولا الضالين كما
يمد القارئ وقول سليمان عليه السلام وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ اى تؤتاه الانبياء والملوك قال
ابن عباس من امر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعنى النبوة والملك وتسخير الجن والانس والرياح
إِنَّ هَٰذَا اى الذى اوتيناه لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ اى البين فى نفسه لكل من ينظره الموضح لعلو قدر صاحبه
روى ان سليمان اعطى ملك مشارق الارض ومغاربها فملك اربعين سنة وستة اشهر
جميع اهل الدنيا من الجن والانس والدواب والطير والسباع واعطى مع ذلك منطق الطير وفى
زمانه صنعت الصنائع العجيبة فقوله ان هذا لهو الفضل المبين تقرير لقوله الحمد لله الذى فضلنا والقصد
منه الشكر والحمد كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر فان قيل كيف قال علمنا واوتينا
وهو كلام المتكبر اجيب بوجهين الاول انه يريد نفسه واباه كما مر الثانى ان هذه النون يقال لها نون
الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا ولما كان هذا مجرد خبر اتبعه ما يصدقه بقوله تعالى وَحُشِرَ اى جمع
جمعا حتما بقهر وسطوة واكراه بايسر امر لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ ثم بين ذلك بقوله تعالى مِنَ الْجِنِّ
وبدأ بهم لعسر جمعهم ثم ثنى بقوله تعالى وَالْإِنسِ لشرفهم ثم اتبع من يعقل بما لا يعقل بقوله وَالطَّيْرِ
فقدم القسم الاول لشرفه وذلك كان فى مسيره فى بعض الغزوات فَهُمْ اى فتسبب عن
مسيره بذلك انهم يُوزَعُونَ اى يكفون بحبس اولهم على آخرهم بادنى امر واسهله ليتلاحقوا
فيكون ذلك اجدر بالهيبة واعون على النصرة واقرب الى السلامة قال قتادة كان على كل صنف
من جنوده وزعة ترد اولها على آخرها لئلا يتقدموا فى المسير قال والوازع الحابس وهو النقيب
وقال مقاتل يوزعون اى يساقون وقال السدى يوقفون وقيل يجمعون واصل الوزع الكف والمنع
قال محمد بن كعب القرظى كان معسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ خمسة وعشرون للانس
وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وقيل نسجت له الجن
بساطا من ذهب وحرير فرسخا فى فرسخ وكان يوضع كرسيه وسطه فيقعد وحوله ستمائة الف كرسى
من ذهب وفضة فتقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة والناس حولهم والجن والشياطين
حول الناس والوحش حولهم وتظلهم الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وكان له الف بيت من قوارير

على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة يعني حرة وسبع مائة سرية فيامر الريح العاصف فترفعه ثم يامر الرخاء
فتسير به مسيرة شهر واوحى اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك ان
لا يتكلم احد من الخلائق بشئ الا جاءت به الريح فاخبرتك به فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتى
آل داود ملكا عظيما فالقته الريح فى اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انى مشيت اليك لئلا
تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتى آل داود واستمر سائرا
بمن معه حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا اى اشرفوا عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ روى عن كعب الاحبار انه قال كان سليمان اذا ركب
حمل اهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد وقدور عظام تسع كل قدر
عشرة من الابل يطبخ الطباخون ويخبز الخبازون واتخذ ميادين للدواب فتجرى بين يديه وهو بين
السماء والارض والريح تهوى بهم فسار من اصطخر يريد اليمن فمر بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم
فقال سليمان هذه دار هجرة نبى يخرج فى آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل
الى مكة راى حول البيت اصناما تعبد من دون الله فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فاوحى الله تعالى
الى البيت ما يبكيك فقال يا رب ابكانى ان هذا نبى من انبيائك وقوم من اوليائك مروا على
فلم يهبطوا ولم يصلوا عندى والاصنام تعبد حولى من دونك فاوحى الله تعالى اليه لا تبك فانى
سوف املؤك وجوها سجدا وانزل فيك قرآنا جديدا وابعث منك نبى آخر الزمان احب انبيائى الى
واجعل فيك عمارا من خلقى يعبدوننى وافرض على عبادى فريضة يزفون اليك زفيف النسور الى وكرها
ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها وحنين الحمامة الى بيضها واطهرك من الاوثان وعبدة الشياطين
ثم مر سليمان حتى مر بوادى السدير من الطائف فاتى الى وادى النمل هكذا قال كعب انه واد بالطائف
قال البقاعى وهو الذى تميل اليه النفس فانه معروف عندهم الى الآن بهذا الاسم وقال قتادة و
مقاتل هو واد بالشام وجرى عليه البيضاوى وقيل واد كانت تسكنه الجن واولئك النمل مراكبهم
وقال نوف الحميرى كان نمل ذلك الوادى مثل الذباب وقيل كان كالبخاتى وقال البغوى والمشهور
انه النمل الصغير + فائدة + وقف الكسائى على وادى بالياء والباقون بغير ياء فان قيل لم عدى
اتوا بعلى اجيب بانه يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء والثانى
ان يراد قطع الوادى وبلوغ آخره من قولهم اتى على الشئ اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان
ينزلوا عند منقطع الوادى لانهم ما دامت الريح تحملهم فى الهواء لا يخاف حطمهم ولما كانوا
فى امر مهول منظره وقربوا من ذلك الوادى قَالَتْ نَمْلَةٌ قال الشعبى كانت تلك النملة ذات
جناحين وقيل كانت نملة عرجاء فنادت يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا اى قبل وصول ما ارى من الجيش
مَسَٰكِنَكُمْ ثم عللت امرها فقالت لَا يَحْطِمَنَّكُمْ اى يكسرنكم ويهشمنكم اى لا تبرزوا
فيحطمكم فهو نهى لهم عن البروز فى صورة نهيه وهو ابلغ من التصريح بنهيهم لان من نهى
امير عن شئ كان لغيره اشد نهيا سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ اى لا تكونوا حيث هم لكونهم اذا صاروا فى مكان

الوادى استعلوا عليه فضيقوه فلم يدعوا فيه موضع شبر خاليا وَهُمْ اى سليمان وجنوده لَا يَشْعُرُونَ اى بحطمهم لكم لاشتغالهم بما هم فيه من احوال السير وقولها هذا يدل على علمها بانهم لو شعروا بهم ما اذوهم لانهم اتباع نبى فهم رحماء وانما خاطبتهم خطاب من يعقل لانها لما جعلت قائلة والنمل مقولا له كما يكون فى اولى العقل اجرت خطابهم والنمل اسم جنس معروف واحده نملة ويقال نملة ونمل بضم النون وسكون الميم ونملة ونمل بضمهما وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلونى عما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله تعالى حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة قال الزمخشرى وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهى انتهى ورده ابو حيان فقال ولحاق التاء فى قالت لا يدل على ان النملة مؤنثة بل يصح ان يقال فى الذكر قالت نملة لان النمل وان كان بالتاء هو مما لا يتميز فيه الذكر من المؤنث وما كان كذلك كاليمامة والقملة مما بينه فى الجمع وبين واحده تاء التانيث من الحيوان فانه يخبر عنه اخبار المؤنث ولا يدل كونه يخبر عنه اخبار المؤنث على كونه ذكرا او انثى لان التاء دخلت فيه للفرق لا للدلالة على التانيث له الحقيقى بل دالة على الواحد من هذا الجنس قال وكان قتادة بصيرا بالعربية وكونه افحم يدل على معرفته باللسان اذ علم ان النملة يخبر عنها اخبار المؤنث وان كانت تطلق على الانثى والذكر اذ لا يتميز فيه احد هذين ولحاق العلامة لا يدل فلا يعلم التذكير والتانيث الا بوحى من الله اه وقال الطيبى العجب من ابى حنيفة ان ثبت ذلك عنه لان النملة كاليمامة والشاة تقع على الذكر والانثى واطال الكلام فى ذلك فان قيل كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السماء والارض اجيب بان من جنوده ركبانا ومنهم مشاة على الارض تطوى لهم او ان ذلك كان قبل تسخير الريح لسليمان ويروى ان سليمان لما بلغ وادى النمل حبس جنده حتى دخل النمل بيوتهم فقد روى انه سمع كلامها من ثلاثة اميال وقيل كان اسمها طاخية فائدة قال اهل المعانى فى كلام هذه النملة انواع من البلاغة نادت ونبهت وسمت وامرت ونصت وحذرت وخصت وعمت واشارت واعذرت ووجهه نادت يا نبهت ايها سمت النمل امرت ادخلوا نصت مساكنكم حذرت لا يحطمنكم خصت سليمان عمت وجنوده اشارت وهم اعذرت لا يشعرون ولما كان هذا امرا معجبا لما فيه من جزالة الالفاظ وجلالة المعانى تسبب عنه قوله فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا اى لما اوتيته من الفصاحة والبيان وسرورا بما وصفته به من العدل فى انه وجنوده لا يوذى احدا وهم يعلمون وبما اتاه الله من سمعه كلام النملة واحاطته بمعناه تنبيه ضاحكا حال مؤكدة لانها مفهومة من تبسم وقيل هى حال مقدرة فان التبسم ابتداء الضحك وقيل التبسم قد يكون للغضب ومنه تبسم تبسم الغضبان فضاحكا مبينا له قال عنترة

ما ان اتى قلت قصدت اريده * ابدى نواجذه لغير تبسم * وقال الزجاج اكثر ضحك الانبياء التبسم
وقوله ضاحكا اى متبسما وعن عائشة رضى الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم وعن عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رأيت
احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان اوله التبسم وآخره
الضحك ثم حمد الله تعالى على هذه النعمة وسأل ربه توفيق شكره لما تذكر ما اولاه
ربه سبحانه وتعالى بحسن تربيته من فهم كلامها الى ما انعم عليه من غير ذلك وقال رَبِّ
اى ايها المحسن الىّ أَوْزِعْنِىٓ اى الهمنى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ وقيل معناه لغة اجعلنى ازع شكر
نعمتك اى اكفه وامنعه حتى لا ينفلت منى فلا ازال شاكرا واوزع بفتح الزاى اصله اوزع
فحذفت واوه كما فى ادع لما افهم ذلك تعلق النعمة به حققه بقوله الَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ
وافهم قوله وَعَلَىٰ وَالِدَىَّ ان امه كانت ايضا تعرف منطق الطير وانما ادرج ذكر
والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة الى
الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته ودعاء المؤمنين لهما كلما
دعوا له وقالوا رضى الله عنك وعن والديك * تنبيه * الشكر لغة فعل ينبئ عن تعظيم
المنعم من حيث انه منعم على الشاكر او غيره سواء كان ذكرا باللسان ام اعتقادا
ومحبة بالجنان ام عملا وخدمة بالاركان كما قال القائل ‌ افادتكم النعماء
منى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجبا * وعرفا صرف العبد جميع ما انعم الله تعالى به عليه
من السمع وغيره الى ما خلق لاجله وهذا لمن خصته العناية الربانية نسأل الله الكريم
الفتاح ان يحفظنا ويلوح بنا بعنايته روى عن داود عليه السلام انه قال يا رب كيف اشكرك
والشكر نعمة اخرى منك احتاج عليها الى شكر آخر فاوحى الله تعالى اليه يا داود اذا علمت ان
ما بك من نعمة فمنى فقد شكرتنى والشكر ثلاثة اشياء الاول معرفة النعمة بمعنى احضارها
فى الخاطر بحيث يتميز عندك انها نعمة فرب جاهل تحسن اليه وتنعم عليه وهو لا يدرى
فلا جرم انه لا يصح منه الشكر الثانى قبول النعمة بتلقيها من المنعم باظهار الفقر والفاقة فان ذلك
شاهد بقبولها حقيقة الثالث الثناء بها بان تصف المنعم بالجود والكرم ونحوه مما يدل على حسن تلقيك لها
واعترافك بنزول مقامك فى الرتبة عن مقامه فان اليد العليا خير من اليد السفلى ولما علم من كلامه
ان الشاكر هو المستغرق فى الثناء على المنعم بما يجب عليه من العمل بحسب ما يقدر عليه وكان ذلك العمل
مما يجوز ان يكون زين لذلك العبد فكان حسنا وهو ليس كذلك قال عليه السلام مشيرا الى هذا المعنى
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا اى فى نفس الامر وقيده بقوله تَرْضَاهُ لان العمل الصالح قد
لا يرضاه المنعم لنقص فى العامل كما قيل ‌ اذا كان المحب قليل حظ * فحسناته ذنوب
وقوله وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يدل على ان دخول الجنة برحمته وفضله

لا باستحقاق العبد والمعنى ادخلني في جماعتهم واثبت اسمي في اسمائهم واحشرني في زمرتهم قال
ابن عباس يريد مع ابراهيم واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين فان قيل درجات الانبياء
افضل من درجات الصالحين والاولياء فما السبب في ان الانبياء يطلبون جعلهم من الصالحين
وقد تمنى يوسف عليه السلام بقوله فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما
والحقني بالصالحين وقال ابراهيم هب لي حكما والحقني بالصالحين اجيب بان الصالح الكامل هو الذي
لا يعصي الله تعالى ولا يفعل معصية ولا يهم بمعصية وهذه درجة عالية ثم ان سليمان عليه السلام
لما وصل الى المنزل الذي قصده تفقد احوال جنوده كما تقتضيه العناية بامور الملك وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ
اي طلبها وبحث عنها والتفقد طلب ما فقد ومعنى الاية طلب ما فقد من الطير فَقَالَ مَالِيَ
لَا اَرَى الْهُدْهُدَ اي اهو حاضر اَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِيْنَ ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر لم يره
لساتر او غيره فقال مالي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب
كانه يسأل عن صحة ما لاح له وهذا يدل على انه تفقد جماعة من الجند وتحقق غيبتهم وشك في
غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلماء ان سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس
عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير واستصحب من الجن والانس والشياطين والطيور
والوحوش ما بلغ عسكره مائة فرسخ فحملتهم الريح فلما وافى الحرم اقام به ما شاء الله ان يقيم وكان ينحر
في كل يوم مدة مقامه بمكة خمسة الاف ناقة وخمسة الاف بقرة وعشرين الف شاة وقال لمن حضر من
اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع ما ناواه وتبلغ
هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تاخذه في الله لومة لائم قالوا فباي
دين يدين يا نبي الله قال يدين الحنيفية فطوبى لمن ادركه وامن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله
قال مقدار الف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل فاقام بمكة حتى قضى نسكه
ثم خرج منها صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء
تزهو خضرتها فاحب النزول ليصلي ويتغدى فلما نزل قال الهدهد ان سليمان قد اشتغل بالنزول
فارتفع نحو السماء فانظر الى طول الدنيا وعرضها فنظر يمينا وشمالا فرأى بستانا لبلقيس فمال الى الخضرة فوقع
فيه فاذا هو بهدهد فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عنفير فقال عنفير
هدهد اليمن ليعفور سليمان من اين اقبلت والى اين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان
ابن داود فقال ومن سليمان قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحوش والرياح فمن اين انت
قال انا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبكم ملكا عظيما ولكن
ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكت اليمن كله وتحت يدها اثنا عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة
الف مقاتل فهل انت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلوة اذا
احتاج الى الماء قال الهدهد اليماني ان صاحبك يسره ان تاتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر الى

بلقيس وملكها وغاب الى وقت العصر وكان نزول سليمان على غير ماء قال ابن عباس وكان الهدهد
دليل سليمان على الماء وكان يعرف الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى فى الزجاجة ويعرف
بعده وقربه فينقر الارض ثم تجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء قال
سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الازرق انظر ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ
ويحثو عليه التراب فيجيء الهدهد ولا يبصر الفخ حتى يقع فى عنقه فقال له ابن عباس ويحك
ان القدر اذا جاء حال دون البصر وفى رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر قال القائل
هي المقادير فدعني والقدر + ان كنت اخطأت فما اخطا القدر + اذا اراد الله امرا بامرئ
وكان ذا عقل وسمع وبصر + يغيب الجهل فيعمي قلبه + وسمعه وعقله ثم البصر +
حتى اذا انفذ فيه حكمه + رد عليه عقله ليعتبر + لا تقل لما جرى كيف جرى
كل شيء بقضاء وقدر + فلما دخل على سليمان وقت الصلاة سأل الانس والجن
والشياطين عن الماء فلم يعلموه فتفقد الهدهد فلم يجده فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه
فقال اصلح الله الملك ما ادرى اين هو وما ارسلته مكانا فغضب سليمان عند ذلك وقال
لَأُعَذِّبَنَّهُ اى بسبب غيبته فيما لم اذن فيه عَذَابًا شَدِيدًا اى مع بقاء روحه ردعا لامثاله
اَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ اى بقطع حلقومه اى تأديبا لغيره اَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ اى بحجة واضحة واختلفوا
فى تعذيبه الذى اوعده به على اقوال قال البغوى اظهرها ان عذابه ان ينتف ريشه وذنبه ويلقيه
فى الشمس ممعطا لا يمتنع من النمل والذباب ولا من هوام الارض انتهى وقيل تعذيبه
ان يؤذيه بما لا يحتمله ليعتبر به ابناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير
ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل
تأكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة
الاضداد قال الزمخشرى وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه
خدمة اقرانه ثم دعا العقاب سيد الطير فقال له على بالهدهد الساعة فرفع العقاب
نفسه دون السماء حتى التزق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدى احدكم فالتفت يمينا
وشمالا فاذا بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد ذلك
علم ان العقاب يقصده بسوء فناشده فقال بحق الله الذى قواك واقدرك على الا ما رحمتني
ولم تتعرض لى بسوء فولى عنه العقاب وقال له ويلك ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ان يعذبك
او ليذبحك قال فما استثنى قال بلى قال او ليأتيني بسلطان مبين ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما
انتهى الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك اين غبت فى يومك هذا فلقد توعدك نبي الله
واخبروه بما قال فقال الهدهد وما استثنى نبي الله عليه السلام قالوا بلى قال او ليأتيني بسلطان
مبين قال فنجوت اذا ثم طار العقاب والهدهد حتى اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال

العقاب قد اتيتك به يا نبيّ الله فَمَكَثَ اي الهدهد وقوله تعالى غَيْرَ بَعِيدٍ صفة لمصدر اي
مكثا غير بعيد فلما قرب الهدهد منه رفع راسه وارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا
لسليمان فلما دنا منه اخذ براسه فمده اليه وقال له اين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد
يا نبيّ الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله
فقال ما الذي ابطأك عني فَقَالَ أَحَطتُ اي علما بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ اي انت مع اتساع علمك وامتداد
ملكك الهمه الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما اوتي من فضل النبوة والحكمة
والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها له على ان في ادنى خلقه واضعفه
من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا في ترك الاعجاب الذي
هو فتنة العلماء والاحاطة بالشيء علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل
على بطلان قول الروافض ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه احد اعلم منه وقيل الضمير
في مكث لسليمان وقيل غير بعيد صفة للزمان اي زمانا غير بعيد وقرأ عاصم بفتح الكاف والباقون
بضمها وهما لغتان الا ان الفتح اشهر وَجِئْتُكَ اي الان مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ اي خبر عظيم يَقِينٍ
اي محقق وقرأ ابو عمرو والبزي سبأ بفتح الهمزة من غير تنوين جعلاه اسما للقبيلة او البقعة فمنعاه
من الصرف للعلمية والتانيث والباقون بالجر والتنوين جعلوه اسما للحي او المكان قال البغوي وجاء
في الحديث ان النبيّ صلى الله عليه وسلم سئل عن سبإ فقال رجل كان له عشرة من البنين تيامن منهم
ستة وتشاءم اربعة فقال سليمان وما ذاك قال إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وهي بلقيس بنت
شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان ابوها ملكا عظيم الشان قد ولد له اربعون ملكا هو اخرهم
وكان يملك ارض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفؤا لي وابى ان يتزوج
منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت بلقيس ولم يكن له ولد غيرها
قال البغوي وجاء في الحديث ان احد ابوي بلقيس كان جنيا فلما مات ابو بلقيس طمعت في الملك
فطلبت من قومها ان يبايعوها فاطاعها قوم وعصاها اخرون وملكوا عليهم رجلا وافترقوا فرقتين كل فرقة
استولت على طرف من ارض اليمن ثم ان الرجل الذي ملكوه اساء السيرة في اهل مملكته حتى كان يمد
يده الى حرم رعيته ويفجر بهن فاراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك ادركتها
الغيرة فارسلت اليه تعرض نفسها عليه فاجابها وقال ما منعني ان ابتدئك بالخطبة الا اياسي منك فقالت
لا ارغب عنك انت كفؤ كريم فاجمع رجال قومي واخطبني منهم فجمعهم وخطبها اليهم فقالوا لا نراها تفعل
ذلك فقال لهم انها قد ابتدأتني وانا احب ان تسمعوا قولها فجاؤها فذكروا لها فقالت نعم
احببت الولد فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت في اناس كثير من حشمها فلما جاءته اسقته
الخمر حتى سكر ثم جزت راسه وانصرفت من الليل الى منزلها فلما اصبح الناس رأوا الملك قتيلا وراسه
منصوب على باب دارها فعلموا ان تلك النكحة كانت حيلة مكر وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا انت

بهذا الملك احق من غيرك فملكوها وعن الحسن عن ابى بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اهل فارس قد ملكوا عليهم امرأة قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امرأة وقوله وَأُوتِيَتْ يجوز ان يكون
معطوفا على تملكهم وجاز عطف الماضى على المضارع لان المضارع بمعناه اى ملكتهم
ويجوز ان يكون فى محل نصب على الحال من مرفوع تملكهم وقد معها مضمرة عند من يرى
ذلك وقوله مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عام مخصوص بالعقل لانها لم تؤت ما اوتيه سليمان فالمراد من كل
شئ يحتاج اليه الملوك من الآلة والعدة وَلَهَا عَرْشٌ اى سرير عَظِيمٌ اى ضخم لم اجد لاحد مثله
طوله ثمانون ذراعا وعرضه اربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا مضروب من الذهب والفضة
مكلل بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر والزمرد وقوائمه من الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر
والزمرد وعليه سبعة ابواب على كل باب بيت مغلق فان قيل كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان
يرى من ملك سليمان وايضا كيف سوى بين عرش بلقيس وعرش الرحمن فى الوصف بالعظم
اجيب عن الاول بانه يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمان واستعظم لها ذلك العرش ويجوز
ان لا يكون لسليمان مثله وان عظمت مملكته فى كل شئ كما يكون لبعض امراء الاطراف شئ
يكون فى العظم ابلغ مما لغيره من ابناء جنسه من الملوك ووصف عرش الرحمن بالعظم
تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والارض فان قيل كيف خفى على سليمان تلك
المملكة العظيمة مع ان الانس والجن كانوا فى طاعته فانه عليه السلام كان ملك الدنيا كلها
مع انه لم يكن بين سليمان وبين بلدة بلقيس حال طيران الهدهد الا مسيرة ثلاثة ايام اجيب
بان الله تعالى اخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب ولما كان الهدهد
فى خدمة اقرب اهل ذلك الزمان الى الله تعالى فحصل له من النورانية ما هاله قال مستأنفا
وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا اى كلهم على ضلال كبير وذلك انهم يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مبتدئين ذلك
مِنْ دُونِ اللَّهِ اى من ادنى رتبة للملك الاعظم الذى لا مثل له وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ اى
عبادة الشمس حتى صاروا يظنونها حسنة ثم تسبب عن ذلك انه اعماهم عن طريق الحق فلهذا قال فَصَدَّهُمْ
عَنِ السَّبِيلِ اى الذى لا سبيل الى الله غيره وهو الذى بعث به انبياءه ورسله عليهم الصلوة والسلام
ثم تسبب عن ذلك ضلالهم فلهذا قال فَهُمْ اى بحيث لَا يَهْتَدُونَ اى لا يوجد لهم هدى بل هم
فى ضلال صرف وهى عن الا يَسْجُدُوا لِلَّهِ اى ان يسجدوا له فزيدت لا وادغم فيها نون ان كما فى قوله
تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب والجملة فى موضع مفعول يهتدون باسقاط الى هذا اذا قرئ بالتشديد وهى
قراءة غير الكسائى واما الكسائى فقرأ بتخفيف الا فالا فيها تنبيه واستفتاح وما بعدها حرف نداء ومناداه
محذوف كما حذفه من قال الا يا اسلمى يا دارمى على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر
ووقف الكسائى على الا وعلى يا وعلى اسجدوا واذا ابتدأ اسجدوا ابتدأ بالضم ثم وصف الله تعالى
بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من الاتصاف بكمال القدرة والعلم حثا على

السجود له ردّا على من يسجد لغيره سبحانه وتعالى بقوله الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ وهو مصدر بمعنى المخبوء من المطر والنبات وغيرهما وخصه بقوله فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لان ذلك منتهى مشاهدتنا فننظر ما يكون فيهما بعد ان لم يكن من سحاب ومطر ونبات وتوابع ذلك من الرعد والبرق وما يشرق من الكواكب ويغرب الى غير ذلك من الرياح والحرّ والبرد وما لا يحصيه الا الله تعالى وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ في قلوبهم وَمَا تُعْلِنُونَ بالسنتهم وقرأ الكسائي وحفص بالتاء الفوقية فيهما والباقون بالتحتية فالخطاب ظاهر على قراءة الكسائي لان ما قبله امرهم بالسجود وخاطبهم به والغيبة على قراءة الباقين غير ظاهرة لتقدم الضمائر الغائبة في قوله اعمالهم وصدهم وفهم واما قراءة حفص فتاويلها انه خرج الى خطاب الحاضرين بعد ان اتم قصة اهل سبا ويجوز ان تكون التفاتا على انه نزل الغائب منزلة الحاضر فخاطبه ملتفتا اليه وقوله اَللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ اى الذى هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها يحتمل ان يكون من كلام الهدهد استدراكا لما وصف عرش بلقيس بالعظم وان يكون من كلام الله تعالى ردا عليه في وصفه عرشها بالعظم فبين العظمتين بون عظيم فان قيل من اين للهدهد التهدى الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه اجيب بانه لا يبعد ان يلهمه الله تعالى ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التى لا تكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها خصوصا في زمن نبى سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له وهذه اية سجدة واختلف في محلها هل هو هذه الاية او عند قوله قبلها وما يعلنون والجمهور على الاول ولما فرغ الهدهد من كلامه قَالَ له سليمان سَنَنْظُرُ اى نختبر ما قلته أَصَدَقْتَ فيه فنعذرك أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ اى معروفا بالانخراط في سلكهم فانه لا يجترئ على الكذب عندى الا من كان عريقا في الكذب فهو ابلغ من ام كذبت وايضا لمحافظة الفواصل ثم شرع فيما يختبره به فكتب له كتابا على الفور في غاية الوجازة قصدا للاسراع في ازالة المنكر على تقدير صدق الهدهد بحسب الاستطاعة ودل على اسراعه في كتابته بقوله مواليا له اِذْهَبْ بِكِتَابِي هٰذَا فكانه كان مهيأ عنده فدفعه اليه وامره بالاسراع فطار كانه البرق ولهذا اشار بالفاء في قوله فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ اى الذى ذكرت انهم يعبدون الشمس ذلك للاهتمام بامر الدين وقرأ ابو عمرو وشعبة وخلاد بخلاف عنه فالقه بسكون الهاء واختلس الكسرة قالون وهشام بخلاف عنه والباقون باشباع الكسرة ثُمَّ قال له اذا القيته اليهم تَوَلَّ اى تنح عَنْهُمْ الى مكان تسمع فيه كلامهم ولا يصلون معه اليك فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ اى يردون من الجواب وقال ابن زيد في الاية تقديم وتاخير مجازها اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم اى انصرف اليّ فاخذ الهدهد الكتاب اتى الى بلقيس وكانت بارض يقال لها مارب من صنعاء على ثلاثة ايام قال قتادة فوافاها في قصرها وقد غلقت الابواب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب واخذت

سجدة

المفاتيح فوضعتها تحت رأسها فأتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقال مقاتل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على رأس المرأة وحولها القادة والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون اليه حتى رفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبه وابن زيد كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد الى الكوة فسدها بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم بها فلما استبطأت الشمس قامت تنظر اليها فرمى بالصحيفة اليها فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي ارسل الكتاب اعظم ملكا منها وقرأت الكتاب وتأخر الهدهد فجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر الف قائد مع كل قائد الف مقاتل وعن ابن عباس قال كان مع بلقيس مائة الف قيل مع كل قيل مائة الف والقيل الملك دون الملك الاعظم وقال قتادة ومقاتل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة الاف فلما جاؤا واخذوا مجالسهم قَالَتْ لهم بلقيس يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ وهم اشراف الناس وكبراؤهم إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ اي بالقاء ملق على وجه غريب كِتَابٌ اي صحيفة مكتوب فيها كلام وخبر جامع قال الزمخشري وكانت كتب الانبياء جملا لا يطنبون ولا يكثرون وبالحري هذا الكتاب من اشرف اهوا باهرا لم يعهد مثله وصفته بقولها كَرِيمٌ وقال عطا والضحاك سمته كريما لانه كان مختوما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وكان عليه السلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع له خاتما وعن ابن المقنع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقال مقاتل كريم اي حسن وعن ابن عباس اي شريف لشرف صاحبه وقيل سمته كريما لانه كان مصدرا ببسم الله الرحمن الرحيم ثم بينت ممن الكتاب فقالت إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ثم بينت المكتوب فيه فقالت وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ قال ابن عباس لا تتكبروا علي وقيل لا تتعظموا ولا تترفعوا علي اي لا تمتنعوا عن الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ اي منقادين خاضعين فهو من الاستسلام او مؤمنين فهو من الاسلام فان قيل لم قدم سليمان اسمه على البسملة اجيب بانه لم يقع منه ذلك بل ابتدأ الكتاب بالبسملة وانما كتب اسمه عنوانا بعد ختمه لان بلقيس انما عرفت كونه من سليمان بقراءة عنوانه كما هو المعهود ولذلك قالت انه بسم الله الرحمن الرحيم اي ان الكتاب فالتقديم واقع في حكاية الحال واعلم ان قوله بسم الله الرحمن الرحيم مشتمل على اثبات الصانع واثبات كونه عالما قادرا حيا مريدا حكيما رحيما قال الطيبي وقال القاضي هذا كلام في غاية الوجازة مع اثبات كمال الصانع واثبات كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الاله وصفاته صريحا او التزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام الذي هو جامع لامهات الفضائل ولما سكتوا عن الجواب قَالَتْ لهم يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ ثم بينت ما داخلها من الرعب من صاحب هذا الكتاب بقولها

أَفْتُونِي اي تكرموا علي بالانابة فيما افعله فِي أَمْرِي هذا الذي اجيب به هذا الكتاب بجعلت المشورة
فتوى توسعا لان الفتوى الجواب في الحادثة وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو في الوصل بابدال
الهمزة واوا والباقون بتحقيقها وفي الابتداء الجميع بالتحقيق ثم عللت امرها لهم بقولها مَا كُنتُ
قَاطِعَةً أَمْرًا اي فاعلته وفاصلته غير مترددة فيه حَتَّى تَشْهَدُونِ اي فادت بذلك ان شانها
دائما مشاورتهم في كل جليل وحقير فكيف بهذا الامر الخطير وفي ذلك استعطاف لهم بتعظيمهم
واجلالهم وتكريمهم ودلالة على غزارة عقلها وحسن ادبها ثم انهم اجابوها عن ذلك بان
قالوا مائلين الى الحرب نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ اي بالمال والرجال وَأُولُو اي اصحاب بَأْسٍ عزم في الحرب
شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ اي في كل من المصادمة والمسالمة راجع وموكول إِلَيْكِ فَانظُرِي اي بسبب انه
لا نزاع معك مَاذَا تَأْمُرِينَ فانا لا نطيعك ونتبع امرك ولما علمت ان من سخر له الطير على هذا
الوجه لا يعجزه شيء يريده قَالَتْ جوابا لما احست في جوابهم من ميلهم الى الحرب والحرب سجال
لا يدرى عاقبتها إِنَّ الْمُلُوكَ اي مطلقا فكيف بهذا النافذ الامر العظيم القدر إِذَا دَخَلُوا عنوة
بالقهر قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا اي بالنهب والتخريب وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً اي اهانوا اشرافها
وكبراءها كي يستقيم لهم الامر ثم اكدت هذا المعنى بقولها وَكَذَٰلِكَ اي ومثل هذا الفعل العظيم
الشان يَفْعَلُونَ اي هو خلق لهم مستمر في جميعهم فكيف بمن تطيعه الوحوش والطيور وغيرها
تنبيه: هذه الجملة من كلامها وهو كما قال ابن عادل الظاهر ولهذا جعلت عليه فتكون
منصوبة بالقول ويحتمل ان تكون من كلام الله تعالى تصديقا لها فهي استئنافية لا محل لها
من الاعراب وهي معترضة بين قولها ولما بينت ما في المصادمة من الخطر اتبعته بما عزمت عليه
من المسالمة بقولها وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم اي الى سليمان وقومه بِهَدِيَّةٍ وهي العطية على طريق الملاطفة
وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة قد سيست وساست فقالت للملأ من قومها اني مرسلة الى سليمان
وقومه بهدية اصانعه بها عن ملكي فاختبره بها املك هو ام نبي فان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف
وان يكن نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا ان نتبعه على دينه فذلك قولها فَنَاظِرَةٌ بِمَ اي باي شيء
يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ فاهدت اليه وصفاء ووصائف قال ابن عباس البستهم لباسا واحدا كي لا يعرف ذكر من
انثى وقال مجاهد البست الجواري لباس الغلمان والبست الغلمان لباس الجواري واختلف في عددهم
فقال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد ومقاتل مائة غلام ومائتا جارية
وقال قتادة ارسلت اليه بلبنات من ذهب في حرير وديباج وقال ثابت البناني اهدت اليه صفائح
الذهب في اوعية الديباج وقيل كانت اربع لبنات من ذهب وقال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة
غلام وخمسمائة جارية فالبست الجواري لباس الغلمان الاقبية والمناطق والبست الغلمان لباس الجواري
وجعلت في سواعدهم اساور من ذهب وفي اعناقهم اطواقا من ذهب وفي آذانهم اقراطا وشنوفا
مرصعات بانواع الجواهر وغواشيها من الديباج الملونة وبعثت اليه بخمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة

من فضة وتلجامها بالدر والياقوت المرتفع وارسلت المسك والعنبر وعمدت الى حقة فجعلت فيها
درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة مثقوبة معوجة الثقب وبعثت رجلا من اشراف قومها يقال
له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب راى وعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية
وقالت ان كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصائف واخبر بما فى الحقة قبل ان تفتحها واثقب الدرة
ثقبا مستويا وادخل خيطا فى الخرزة المثقوبة من غير علاج انس ولا جن وامرت بلقيس الغلمان اذا كلموا
سليمان فكلموه بكلام تانيث وتخنيث يشبه كلام النساء وامر الجوارى ان يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه
كلام الرجال ثم قالت للرجل انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك
فلا يهولنك منظره فانا اعز منه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم انه نبى مرسل فتفهم قوله ورد الجواب
فانطلق الرسول بالهدايا واقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر كله فامر سليمان عليه السلام الجن
ان يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ففعلوا ثم امرهم ان يبسطوا من موضعه الذى هو فيه الى تسعة
فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وان يجعلوا حول الميادين حائطا شرفها من الذهب والفضة
ففعلوا ثم قال اى الدواب احسن مما رأيتم فى البر والبحر قالوا يا نبى الله انا رأينا دواب فى بحر
كذا وكذا منقطة مختلفة الوانها لها اجنحة واعراف ونواص قال على بها الساعة فاتوا بها فقال
شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة والقوا لها علوفتها فيها ثم قال
للجن على باولادكم فاجتمع خلق كثير فاقامهم عن يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان فى مجلسه على
سريره ووضع اربعة آلاف كرسى على يمينه ومثلها على يساره وامر الشياطين ان يصطفوا صفوفا فراسخ
وامر الانس فاصطفوا صفوفا فراسخ وامر الوحوش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه
ويساره فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا دواب التى لم تر اعينهم مثلها تروث على
لبن الذهب والفضة تقاصرت انفسهم ورموا ما معهم من الهدايا وفى بعض الروايات ان سليمان
لما امر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة امرهم ان يتركوا على طريقهم موضعا على قدر
موضع اللبنات التى معهم فلما رأى الرسل موضع اللبنات خاليا وكل الارض مفروشة خافوا ان يتهموا
بذلك فطرحوا ما معهم فى ذلك الموضع الخالى فلما رأوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا
فقالت لهم الشياطين جوزوا فلا بأس عليكم فكانوا يمرون على كردوس من الجن
والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدى سليمان فنظر اليهم سليمان
نظرا حسنا بوجه طلق وقال ما وراءكم فاخبره رئيس القوم بما جاؤا له واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه
وقال اين الحقة فاتى بها فحركها وجاء جبريل عليه السلام فاخبره بما فى الحقة فقال ان فيها درة ثمينة
غير مثقوبة وجزعة مثقوبة معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط فى الخرزة
فقال سليمان عليه السلام من لى بثقبها فسأل سليمان الانس ثم الجن فلم يكن عندهم علم بذلك ثم سأل
الشياطين فقالوا ارسل الى الارضة فجاءت الارضة فاخذت شعرة فى فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب

الآخر فقال لها سليمان سلي حاجتك قالت تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك روي انها جاءت دودة تكون في الصفصاف فقالت انا ادخل الخيط في الثقب على ان يكون رزقي في الصفصاف فجعل لها ذلك فاخذت الخيط بفيها ودخلت الثقب وخرجت من الجانب الآخر ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط فقالت دودة بيضاء انا لها يا رسول الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان سلي حاجتك قالت تجعل رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الجواري والغلمان بان امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فجعلت الجارية تاخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله على اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام ياخذ من الآنية بيديه ويضرب بها وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر الماء على ساعده حدرا فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كما قال تعالى فَلَمَّا جَآءَ اي الرسول الذي بعثته والمراد به الجنس قال ابو حيان هو يقع على الجمع والمفرد والمذكر والمؤنث سُلَيْمَانَ ودفع اليه ذلك قَالَ اي سليمان عليه السلام للرسول ولمن في خدمته استصغارا لما معه أَتُمِدُّونَنِ اي انت ومن معك ومن ارسلك بِمَالٍ وانما قصدي لكم لاجل الدين تحقيرا لامر الدنيا واعلاما بانه لا التفات لنحوها بوجه ولا يرضيه شيء دون طاعة الله تعالى وقرأ نافع وابو عمرو باثبات الياء وصلا لا وقفا وابن كثير باثبات الياء وصلا ووقفا وحمزة بادغام النون الاولى في الثانية واثبات الياء وصلا ووقفا ثم تسبب عن ذلك قوله استصغارا لما معهم فَمَآ آتَانِيَ اللهُ اي الملك الاعظم من الحكمة والنبوة والملك وهو الذي يغني مطيعه عن كل شيء سواه فمهما سأله اعطاه وقرأ نافع وابو عمرو وحفص بفتح الياء في الوصل ولقالون وابي عمرو وحفص ايضا اثباتها وقفا والباقون بحذف الياء وقفا ووصلا واما لها حمزة والكسائي محضة وورش بالفتح وبين اللفظين خَيْرٌ اي افضل مِّمَّآ آتَاكُم اي من الملك الذي لا دين ولا نبوة فيه بَلْ أَنتُم اي بجهلكم بالدين بِهَدِيَّتِكُمْ اي بما يهدى بعضكم الى بعض تَفْرَحُونَ واما انا فلا افرح بها وليست الدنيا من حاجتي لان الله تعالى قد مكنني فيها واعطاني منها ما لم يعط احدا ومع ذلك اكرمني بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو امير الوفد ارْجِعْ اي بهديتهم وجمع في قوله إِلَيْهِمْ اكراما لنفسه وصيانة لاسمها عن التصريح بضميرها وتعظيما لكل من يهتم بامرها ويطيعها فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ اي لا طاقة لَهُم بِهَا اي بمقابلتها وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ اي من ارضهم وبلادهم وهي سبا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ اي ذليلون لا يملكون شيئا من المنعة فان قيل فلنأتينهم ولنخرجنهم قسم فلا بد ان يقع اجيب بانه معلق على شرط حذف لفهم المعنى اي ان لم يأتوني مسلمين قال وهب وغيره من اهل الكتب لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان قالت لهم قد عرفت والله ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعوا اليه من دينك ثم امرت بعرشها فجعلته داخل سبعة

ابواب داخل قصرها وقصرها داخل سبعة قصور واغلقت الابواب وجعلت عليها حراسا يحفظونه ثم
قالت لمن خلفت على سلطانها احفظ بما وكلتك وسرير ملكي لا يخلص اليه احد حتى اتيك ثم
امرت مناديا ينادي في اهل مملكتها تؤذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان في اثنا عشر الف
قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل الوف كثيرة قال ابن عباس كان سليمان رجلا مهيبا
لا يبتدأ بشئ حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه
فقال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت منا على مسيرة فرسخ فاقبل سليمان حينئذ على جنوده بان
قَالَ لهم يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ اي الاشراف أَيُّكُمْ وفي الهمزتين ما تقدم يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي
مُسْلِمِينَ اي مؤمنين وقال ابن عباس واختلفوا في السبب الذي لاجله امر سليمان باحضار
عرشها فقال الاكثر لان سليمان علم انها ان اسلمت يحرم عليه مالها فاراد ان يأخذ سريرها قبل
ان يحرم عليه اخذه باسلامها وقيل ليريها قدرة الله تعالى ببعض ما خصه من العجائب الدالة
على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة في معجزة يأتي بها في عرشها وقال قتادة لانه اعجبته
صفته لما وصفه الهدهد بالعظم فاحب ان يراه وقال ابن زيد يريد ان يأمر بتنكيره وتغييره
فيختبر بذلك عقلها قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ وهو المارد القوي قال وهب اسمه كودي وقيل ذكوان قال
ابن عباس العفريت الداهي وقال الضحاك هو الخبيث وقال الربيع الغليظ وقال الفراء القوي الشديد
قيل ان الشياطين اقوى من الجن وان المردة اقوى من الشياطين وان العفريت اقوى منهما قال بعض
المفسرين العفريت من الرجال الخبيث المتكبر وقيل وصخر الجني وكان بمنزلة الجبل يضع قدمه عند
منتهى طرفه وقوله تعالى أَنَا آتِيكَ بِهِ قرأه في الموضعين نافع باثبات الالف من انا وصلا ووقفا
والباقون وصلا لا وقفا ثم بين سرعة اسراعه بقوله قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ اي الذي تجلس
فيه للقضاء قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضي فيه الى نصف النهار ثم اوثق الامر
واكده بقوله وَإِنِّي عَلَيْهِ اي على الاتيان به سالما لَقَوِيٌّ اي على حمله لا يحصل لي تعب عنه أَمِينٌ
اي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان عليه السلام اريد اسرع من ذلك قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ
عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل كتاب سليمان وقيل اللوح المحفوظ والذي
عنده علم من الكتاب جبريل قال البقاعي ولعله التورية والزبور انتهى وفي ذلك اشارة الى ان
من خدم كتاب الله حق الخدمة كان الله تعالى معه كما ورد في شرعنا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها اي انه يفعل له ما يشاء واختلفوا في تعيينه فقال
الاكثر للمفسرين هو آصف بن برخيا كاتب سليمان وقيل اسمه اسطوم وكان صديقا عالما يعلم اسم الله الاعظم
الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى وقيل ملك ايد الله تعالى به سليمان عليه السلام وعن
ابن لهيعة بلغني انه الخضر عليه السلام أَنَا آتِيكَ بِهِ ثم بين فضله على العفريت بقوله قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ اي
يرجع إِلَيْكَ طَرْفُكَ اي بصرك اذا طرفت اجفانك فارسلته الى منتهاه ثم رددته والطرف تحريك

اجفانك اذا نظرت فوضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف في نحو قوله ؎ وكنت اذا ارسلت
طرفك رائدا + لقلبك يوما اتعبتك المناظر + وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد
روي ان اصف قال لسليمان مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه فنظر نحو اليمن
ودعا اصف فبعث الله تعالى الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يخدون خدا حتى انخرقت الارض
بالسرير بين يدي سليمان وقال الكلبي خر اصف ساجدا ودعا باسم الله الاعظم
فغار عرشها تحت الارض حتى نبع تحت كرسي سليمان بقدرة الله تعالى وقيل كانت المسافة
شهرين وقال سعيد بن جبير يعني من قبل ان يرجع اليك اقصى من ترى وهو ان يصل اليك
من كان منك على مد بصرك وقال قتادة قبل ان ياتيك الشخص من مد البصر وقال مجاهد يعني
ادامة النظر حتى يرد البصر خاسئا قال الزمخشري ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة
المجيء به كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وفي رد طرف والتفت ترني وما اشبه ذلك
تريد السرعة انتهى + واختلفوا في الدعاء الذي دعا به اصف فقال مجاهد ومقاتل ياذا الجلال
والاكرام وقال الكلبي يا حي يا قيوم وروي ذلك عن عائشة رضي الله عنها وروي عن الزهري قال
دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت ائتني بعرشها وعن الحسن
يا الله يا رحمن وقال محمد بن المنكدر انما هو سليمان قال له عالم من بني اسرائيل اتاه الله تعالى علما وفهما
انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال سليمان هات قال انت النبي ابن النبي وليس احد اوجه
عند الله منك فان دعوت الله كان عندك فقال صدقت ففعل فجيء بالعرش في الوقت قال الرازي
وهذا القول اقرب واستدل لذلك بوجوه منها ان سليمان كان اعرف بالكتاب من غيره لانه هو النبي
فكان صرف اللفظ اليه اولى ومنها ان احضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصلت
لاصف دون سليمان لاقتضى ذلك قصور حال سليمان في اعين الخلق ومنها انه قال هذا من
فضل ربي فظاهره يقتضي ان يكون ذلك المعجز قد اظهره الله تعالى بدعاء سليمان فَلَمَّا رَآهُ اي رأى
سليمان العرش مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ اي حاصلا بين يديه قَالَ شاكرا لربه لما اتاه الله تعالى من هذه الخوارق
هَذَا اي الاتيان المحقق مِنْ فَضْلِ رَبِّي اي المحسن الي بلا عمل استحق به شيئا فانه احسن الي
باخراجي من العدم وتطوله علي بتوفيقي للعمل فكل عمل نعمة يستوجب علي بها الشكر ولذلك قال لِيَبْلُوَنِي
اي ليختبرني ءَأَشْكُرُ فاعترف بكونه فضلا أَمْ أَكْفُرُ بظني اني اوتيته باستحقاق تنبيه + هنا همزتان
مفتوحتان فنافع يسهل الهمزة الثانية وابن كثير وابو عمرو وهشام بخلاف عنه وادخل بينهما
الفا قالون وابو عمرو وهشام ولم يدخل ورش وابن كثير ولورش ايضا ابدالها الفا والباقون
بالتحقيق وعدم الادخال ثم زاد في حث نفسه على الشكر بقوله وَمَنْ شَكَرَ اي اوقع الشكر لربه
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ فان نفعه لها وهو ان يستوجب تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة
الموجودة وجلب للنعمة المفقودة وَمَنْ كَفَرَ اي بالنعمة فَإِنَّ رَبِّي اي المحسن الي

بتوفيقي لما انا فيه من الشكر غني عن شكره لا يضره تركه شيئا كريم اى بادرار الانعام عليه فلا يقطعه عنه
بسبب عدم شكره ولما حصل العرش عنده قال عليه السلام نَكِّرُوا اى غيروا لَهَا عَرْشَهَا
اى سريرها الى حالة تنكره اذا رأته قال قتادة ومقاتل هو ان يزاد فيه وينقص وروى انه جعل
اعلاه اسفله واسفله اعلاه وجعل مكان الجوهر الاحمر اخضر ومكان الاخضر احمر لاختبار عقلها
كما اختبرتنا بالوصفاء والوصائف والدرة وغير ذلك واليه اشار بقوله نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي اى الى
معرفته فيكون ذلك سببا لهدايتها فى الدين أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ شأنهم انهم لَا يَهْتَدُونَ
بل هم فى غاية الغباوة ولا يتجدد لهم اهتداء وقال وهب ومحمد بن كعب انما حمل سليمان على ذلك
ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فتفشى له اسرار الجن لان امها كانت جنية واذا ولدت له ولدا
لا ينفكون عن تسخير سليمان وذريته من بعده فاساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها فقالوا ان فى عقلها
شيئا وان رجليها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين فاراد سليمان عليه الصلوة والسلام ان يختبر عقلها
بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح ثم اشار الى سرعة مجيئها اشارة الى خضوعها بالتعبير بالفاء
فى قوله فَلَمَّا جَاءَتْ وكانت قد وضعت عرشها فى بيت خلف سبعة ابواب ووكلت به حرساء اشداء
قِيلَ لها وقد رأت عرشها بعد تنكيره أَهَكَذَا عَرْشُكِ اى مثل هذا عرشك قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ قال مقاتل
عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها وقال عكرمة كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من ان تكذب ولم تقل
لا خوفا من التكذيب فقالت كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر وقيل اشتبه عليها
امر العرش لانها خلفته فى بيت خلف سبعة ابواب مغلقة والمفاتيح معها فقيل لها فانه عرشك فما اغنى
عنك اغلاق الابواب وقوله تعالى وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا فيه وجهان احدهما انه من كلام بلقيس فالضمير
فى قبلها راجع للمعجزة والحالة الدال عليها السياق والمعنى واوتينا العلم بنبوة سليمان من قبل ظهور
هذه المعجزة او من قبل هذه الحالة وذلك لما رأت قبل ذلك من امر الهدهد ورد الهدية والرسل
من قبلها من قبل الآية فى العرش وَكُنَّا مُسْلِمِينَ اى منقادين طائعين لامر سليمان والثانى انه من
كلام سليمان واتباعه فالضمير فى قبلها عائد على بلقيس فكأن سليمان وقومه قالوا انها قد اصابت فى
جوابها وهى عاقلة وقد رزقت الاسلام ثم عطفوا على ذلك قولهم واوتينا العلم يعنى بالله تعالى وبقدرته
على ما يشاء من قبل هذه المرأة فى مثل علمها وغرضهم من ذلك شكر الله تعالى فى ان خصهم بمزية التقدم
الى الاسلام قاله مجاهد وقيل معناه واوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين
طائعين لله تعالى واختلف فى فاعل قوله عز وجل وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ على ثلاثة اوجه
احدها ضمير البارى تعالى والثانى ضمير سليمان عليه السلام اى منعها ما كانت تعبد من دون الله وهو
الشمس وعلى هذا فما كانت تعبد منصوب على اسقاط الخافض اى وصدها الله تعالى او سليمان عما كانت
تعبد من دون الله قاله الزمخشرى مجوزا له قال ابو حيان وفيه نظر من حيث ان حذف الجار ضرورة كقوله
تمرون الديار فلم تعوجوا + وقد تقدم آيات كثيرة من هذا النوع والثالث ان الفاعل هو ما كانت

اى صدّها ما كانت تعبد عن الاسلام اى صدّها عبادة الشمس عن التوحيد وقوله تعالى إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ استئناف اخبر الله تعالى انها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت بينهم ولم تعرف العبادة ولم تعرف الا عبادة الشمس ولما تم ذلك فكانه قيل هل كان بعد ذلك اختبار فقيل نعم قِيلَ لَهَا اى قائل من جنود سليمان عليه السلام فلم يمكنها المخالفة ادْخُلِي الصَّرْحَ وهو سطح من زجاج ابيض شفاف تحته ماء جار فيه سمك اصطنعه سليمان ولما قالت له الشياطين ان رجليها كحافر الحمار وهى شعراء الساقين فاراد ان ينظر الى ساقيها من غير ان يسألها كشفهما وقيل الصرح صحن الدار اجرى تحته الماء والقى فيه كل شئ من دواب البحر السمك والضفادع وغيرهما ثم وضع سريره فى صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس وقيل اتخذ صحنا من قوارير وجعل تحتها تماثيل من الحيتان والضفادع فكان الواحد اذا رآه ظنه ماء فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وهو معظم الماء وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا لتخوضه فنظر اليها سليمان فرآها احسن الناس ساقا وقدما الا انها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف نظره عنها وناداها بان قَالَ لها إِنَّهُ اى هذا الذى ظننته ماء صَرْحٌ مُمَرَّدٌ اى مملس ومنه الامرد للملاسة وجهه من الشعر مِنْ اى كائن مِنْ قَوَارِيرَ اى زجاج وليس بماء ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح فاجابت بان قَالَتْ رَبِّ اى ايها المحسن الىّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي اى بما كنت فيه من العمى بعبادة غيرك عن عبادتك وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ اى مقرّة له بالالوهية والربوبية على سبيل الوحدانية ثم رجعت اشارة العجز عن معرفة الذات بحق المعرفة الى الافعال التى هى بحر المعرفة فقالت رَبِّ الْعَالَمِينَ فعمّت بعد ان خصّت اشارة الى الترقى من حضيض دركات العمى الى اوج درجات الهدى وقيل انها لما بلغت الصرح وظننته لجة قالت فى نفسها ان سليمان يريد ان يغرقنى وكان القتل اهون من هذا فقولها ظلمت نفسى اى بذلك الظن واختلفوا فى امرها بعد اسلامها هل تزوج سليمان عليه السلام فالذى عليه اكثر المفسرين فيما رأيت انه تزوج بها وكره ما رأى من شعر ساقيها فسأل الانس ما يذهب هذا فقالوا الموسى فقالت المرأة لا تمسنى حديدة قط فسأل الجن فقالوا لا ندرى فسأل الشياطين فقالوا انا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان احبها حبا شديدا واقرها على ملكها وامر الجن فابتنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا قال الطيبى سلحين وبينون وغمدان قال فى النهاية هو بضم الغين وسكون الميم البناء العظيم وكان يزورها فى الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له وقيل انها لما اسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك ان ازوجك له قالت ومثلى يا نبى الله ينكح الرجال وقد كان لى فى قومى من الملك والسلطان ما كان قال نعم انه لا يكون فى الاسلام الا ذلك ولا ينبغى لك ان تحرّمى ما احل الله فقالت ان كان ولا بدّ فزوّجنى ذا تبع ملك همدان فزوّجه اياها ثم ردّها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على اليمن ودعا زوبعة امير جن

اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمان عليه السلام فلما ان حال الحول وتبينت الجن موت سليمان اقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان فى جوف اليمن صرخ باعلى صوته يا معشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا ايديكم فرفعوا ايديهم وتفرقوا وانقضى ملك ذى تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان وقيل ان الملك وصل الى سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه + ولما اتم سبحانه وتعالى قصة سليمان وداود عليهما السلام ذكر قصة صالح عليه السلام وهى القصة الثالثة بقوله تعالى وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا اى بمالنا من العظمة إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ اى من القبيلة صَالِحًا ثم ذكر المقصود من الرسالة بما لا اعدل منه ولا احسن بقوله أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ اى الملك الاعظم وحده ولا تشركوا به شيئا ثم تعجب منهم بما اشارت اليه الفاء واذا المفاجاة من المبادرة الى الافتراق بما يدعو الى الاجتماع بقوله فَإِذَا هُمْ اى ثمود فَرِيقَانِ وبين بقوله تعالى يَخْتَصِمُونَ انهم فرقة افتراق بكفر وايمان لا فرقة اجتماع فى هدى وعرفان ففريق صدق صالحا واتبعه وفريق استمر على شركه وكذبه وكل فريق يقول انا على الحق وخصمى على الباطل ثم استعطف صالح عليه السلام على المكذبين بان قال لهم يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ اى تطلبون العجلة بالاتيان بِالسَّيِّئَةِ اى التى مساءتها ثابتة وهى العقوبة التى انذرت بها من كفر قَبْلَ الْحَالَةِ الْحَسَنَةِ من الخيرات التى ابشركم بها فى الدنيا والآخرة ان آمنتم والاستعجال طلب الاتيان بالامر قبل الوقت المضروب فاستعجالهم لذلك بالاصرار على سببه وقولهم استهزاء آتنا بما تعدنا وكانوا يقولون ان العقوبة التى يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا فحينئذ يقبل الله تعالى توبتنا ويدفع العذاب عنا فخاطبهم صالح عليه السلام على حسب عقولهم واعتقادهم فقال لَوْلَا اى هلا ولم لا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ اى تطلبون غفرانه قبل نزول العذاب فان استعجال الخير اولى من استعجال الشر لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ تنبيها لهم على الخطا فيما قالوه فان العذاب اذا نزل بهم لا تقبل توبتهم + تنبيه + وصف العذاب بانه سيئة مجازا اما لان العقاب من لوازمه او لانه يشبهه فى كونه مكروها واما وصف الرحمة بانها حسنة فقيل حقيقة وقيل مجاز ثم ان صالحا عليه السلام لما قرر لهم هذا الكلام الحق اجابوه بكلام فاسد بان قالوا فظاظة وغلظة اطَّيَّرْنَا اى تشاءمنا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ اى وبمن آمن بك وذلك ان الله تعالى قد امسك عنهم المطر فى ذلك الوقت وقحطوا فقالوا حل بنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم اصحابك قال الزمخشرى كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم قال الجوهرى السنيح والسانح ما ولاك ميامنه من ظبى او طائر او غيرهما وبرح الظبى بروحا اذا ولاك مياسره يمر من ميامنك الى مياسرك والعرب تطير بالبارح وتتفاءل بالسانح فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله تعالى

همزة وصل ثم اجابهم صالح عليه السلام بان ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿طَائِرُكُمْ﴾ اى ما يصيبكم من خير وشر ﴿عِندَ اللَّهِ﴾
اى الملك الاعظم المحيط بكل شئ علما وقدرة وهو قضاؤه وقدره وليس شئ منه بيد غيره وسمى
طائرا لسرعة نزوله بالانسان فانه لاشئ اسرع من قضاء محتوم وقال ابن عباس الشؤم اتاكم من
عند الله تعالى بكفركم وقيل طائركم عملكم عند الله سمى طائرا لسرعة صعوده الى السماء ومنه قوله تعالى
وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر كقوله
تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال محمد بن كعب تعذبون وقيل يفتنكم الشيطان بوسوسته
اليكم بالتطير ولما اخبر الله تعالى عن عامة هذا الفريق بالشر نبه على بعض شرهم بقوله تعالى
﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ اى مدينة ثمود وهى الحجر ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ اى رجال وانما جاز تمييز التسعة بالرهط
لانه فى معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس او رجال كما قدرته والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط
من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب
الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رياب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردية عاصم بن مخرمة
سبيط بن صدقة سمعان بن صفى قدار بن سالف وهم الذين سعوا فى عقر الناقة وكانوا عتاة قوم
صالح وكانوا من ابناء اشرافهم ورأسهم قدار بن سالف وهو الذى تولى عقر الناقة وقوله
﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ اشارة الى عموم فسادهم ودوامه وقوله ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ يحتمل ان يكون مؤكدا
للاول ويحتمل ان لا يكون وهو الاولى لان بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح فنفى عنهم
ذلك فليس شانهم الا الفساد المحض الذى لا يخالطه شئ من الصلاح ولما اقتضى السياق السؤال عن
بعض حالهم اجاب بقوله ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا﴾ اى قال بعضهم لبعض احلفوا ﴿بِاللَّهِ﴾ اى الملك العظيم ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ اى
صالحا ﴿وَأَهْلَهُ﴾ اى من امن به لنهلكن الجميع ليلا فان البيات مباغتة العدو ليلا (تنبيه) محل تقاسموا
جزم على الامر ويجوز ان يكون فعلا ماضيا وحينئذ يجوز ان يكون مفسرا لقالوا كانه قيل ما قالوا فقيل
تقاسموا ويجوز ان يكون حالا على اضمار قد اى قالوا ذلك متقاسمين واليه ذهب الزمخشرى ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾
اى بعد اهلاك صالح ومن معه ﴿لِوَلِيِّهِ﴾ اى المطالب بدمه ان بقى منهم احد ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ اى ما حضرنا
﴿مَهْلِكَ﴾ اى اهلاك ﴿أَهْلِهِ﴾ اى اهل ذلك الولى فضلا عن ان نكون باشرنا او اهل صالح عليه السلام
فضلا عن ان نكون شهدنا مهلكه او باشرنا قتله ولا موضع اهلاكه وقرأ حمزة والكسائى بعد اللام
من لنبيتنه بتاء فوقية مضمومة وبعد الياء التحتية بتاء فوقية مضمومة وبعد اللام من لنقولن
بتاء فوقية مفتوحة وضم اللام بعد الواو والباقون بعد اللام من لنقولن بنون مفتوحة ونصب
اللام من لنقولن وقرأ عاصم مهلك بفتح الميم والباقون بضمها وكسر اللام حفص وفتحها الباقون
ولما صمموا على هذا الامر وظنوا انفسهم على المبالغة فى الحلف بقولهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ اى فى قولنا
ما شهدنا مهلك اهله ذلك فان قيل كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف
المخبر عنه اجيب على التفسير الثانى بانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين

البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفى هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا انهم قصدوا قتل نبى الله ولم يرضوا لانفسهم ان يكونوا كاذبين حتى سوّوا للصدق فى خبرهم حيلة يتفصون فيها عن الكذب ولما كان منهم عمل من لم يظن ان الله عالم به قال تعالى محذرا امثالهم عن مثال ذلك وَمَكَرُوا مَكْرًا وهو ما اخفوه من تدبيرهم الفتك بصالح واهله وَمَكَرْنَا مَكْرًا اى جازيناهم على مكرهم بتعجيل العقوبة وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ اى لا يتجدد لهم شعور بما قدرناه عليهم شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة وقيل ان الله تعالى اخبر صالحا بمكرهم فتحرز عنهم فذلك مكر الله تعالى فى حقهم فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ فى ذلك أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ اى اهلكناهم وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ روى انه كان لصالح عليه السلام مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاثة فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاثة فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا الى الشعب فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل الله تعالى بهم وبقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم فى مكانه بصيحة جبريل عليه السلام ورمتهم الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم وقال ابن عباس ارسل الله تعالى الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فاتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وقال مقاتل نزلوا فى سفح الجبل ينتظر بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح فجثم عليهم الجبل فاهلكهم واهلك الله تعالى قومهم بالصيحة فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ اى ثمود كلهم خَاوِيَةً اى خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وتلك خاوية منصوب على الحال والعامل فيها اسم الاشارة وقرأ الكوفيون انا دمرناهم بفتح الهمزة اما على حذف حرف الجر اى لانا دمرناهم واما ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هى انا دمرناهم اى العاقبة تدميرنا اياهم وقيل غير ذلك والباقون بكسر الهمزة على الاستئناف وهو تفسير للعاقبة وقرأ ورش وابو عمرو وحفص بيوتهم بضم الباء الموحدة وكسرها الباقون ولما ذكر تعالى هلاكهم اتبعه بقوله تعالى بِمَا ظَلَمُوا اى بسبب ظلمهم وهو عبادتهم من لا يستحق العبادة وتركهم من يستحقها ثم زاد فى التهويل بقوله تعالى إِنَّ فِي ذَلِكَ اى هذا الامر الباهر المذكور الذى فعل بثمود لَآيَةً اى عبرة عظيمة ولكنها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قدرتنا فيتعظون اما من لا علم عنده فقد نادى على نفسه فى عداد البهائم ولما ذكر تعالى الذين اهلكهم اتبعه بذكر الذين نجاهم فقال وَأَنْجَيْنَا اى بعظمتنا وقدرتنا الَّذِينَ آمَنُوا وهم الفريق الذين كانوا مع صالح كلهم وَكَانُوا يَتَّقُونَ اى متصفين بالتقوى ايضا فكانهم مجبولون عليه فيجعلون بينهم وبين ما يسخط الله وقاية من الاعمال الصالحة ولما ذكر تعالى قصة صالح عليه السلام اتبعها قصة لوط عليه السلام وهى القصة الرابعة بقوله تعالى وَلُوطًا

وهو اما منصوب عطفا على صالحا اى وارسلنا لوطا واما عطفا على الذين آمنوا اى وانجينا لوطا واما
باذكر مضمرة ويبدل منه على هذا اِذْ اى حين قَالَ لِقَوْمِهِ اى الذين كان سكن فيهم لما فارق عمه
ابراهيم الخليل عليهما السلام وصاهرهم وكانوا يأتون الاحداث منكرا موبخا أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ
اى الفعلة المتناهية فى الفحش وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ من بصر القلب اى تعلمون فحشها
واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا
فى ناديهم يرتكبونها معلنين لا يستتر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا فى المعصية قال الزمخشرى وكان ابا نواس بنى على مذهبهم قوله وبح باسم ما تاتى
وذرنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر * او تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم
فان قيل اذا فسر تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء اجيب بانهم
يفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمهم بذلك او يجهلون العاقبة او ان المراد بالجهل السفاهة
والمجانة التى كانوا عليها ثم عين ما ابهمه بقوله أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ وقال الرِّجَالَ اشارة الى ان فعلتهم هذه
مما يعنى البهيمة ولا يبلغ كنهه تبع او لا يصدق ذو عقل ان احدا يفعلها ثم علل ذلك بقوله شَهْوَةً
انزالا لهم الى رتبة البهائم التى ليس فيها قصد ولد ولا اعفاف وقال مِنْ دُونِ النِّسَاءِ اشارة الى
انهم اساؤا من الطرفين فى الفعل والترك وقوله بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ تقدم فى جواب تبصرون
تفسيره فان قيل تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف
اجيب بانه قد اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة وقرأ
أئنكم نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية المكسورة كالياء وحققها
الباقون وادخل بينهما قالون وابو عمرو والفا وهشام بخلاف عنه ولما بين تعالى جهلهم بين انهم
اجابوا بما لا يصلح ان يكون جوابا بقوله تعالى فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ اى لهذا الكلام الحسن لما لم يكن لهم
حجة ولا شبهة فى دفعه إِلَّا أَنْ قَالُوا عدولا الى المغالبة وتماديا فى الخبث أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ اى اهله وقالوا
مِنْ قَرْيَتِكُمْ منا عليه باسكانه عندهم وعللوا ذلك بقولهم إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ اى يتنزهون
عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس هو
استهزاء اى قالوه تهكما بهم ولما وصلوا فى الخبث الى هذا الحد سبب سبحانه وتعالى عن قولهم
وفعلهم قوله تعالى فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ اى كلهم من ان يصلوا اليهم باذى ويلحقهم من عذابنا إِلَّا امْرَأَتَهُ
قَدَّرْنَاهَا اى قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا مِنَ الْغَابِرِينَ اى الباقين فى العذاب وقرأ شعبة
بتخفيف الدال والباقون بالتشديد وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا هو حجارة السجيل اى اهلكتهم ولذلك
تسبب عنه قوله فَسَاءَ اى فبئس مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ بالعذاب مطرهم * ولما اتم سبحانه وتعالى هذه
القصص الدالة على كمال قدرته وعظيم شانه وما خص به رسله من الآيات والانتصار من اعدائهم امر
نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحمده على هلاك الامم الخالية بقوله قُلْ يا افضل الخلق الْحَمْدُ

ع

اى الوصف بالاحاطة بصفات الكمال لله على اهلاك هؤلاء البعداء البغضاء وان يسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك بقوله تعالى وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اى اصطفاهم واختلف فيهم فقال مقاتل هم الانبياء والمرسلون بدليل قوله تعالى وسلام على المرسلين وقال ابن عباس فى رواية ابى مالك هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين + تنبيه + سلام مبتدأ وسوغ الابتداء به كونه دعاء ولما بين انه تعالى اهلكهم ولم تغن عنهم الهتهم من الله شيئا قال تعالى آللّهُ اى الذى له الجلال والاكرام خَيْرٌ اى لعباده الذين اصطفاهم وانجاهم أَمَّا يُشْرِكُونَ اى الكفار من الآلهة خير لعابديها فانهم لا يغنون عنهم شيئا + تنبيه + لكل من القراء السبعة فى هاتين الهمزتين وجهان الاول تحقيق همزة الاستفهام وابدال همزة الوصل الفا مع المد والثانى تحقيق همزة الاستفهام ايضا وتسهيل همزة الوصل مع القصر وقرأ ابو عمرو وعاصم يشركون بالياء التحتية بالغيبة حملا على ما قبله من قوله تعالى وامطرنا عليهم مطرا وما بعده من قوله تعالى بل اكثرهم والباقون بالتاء الفوقية على الخطاب وهو التفات للكفار بعد خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا تبكيت المشركين بحالهم لانهم اثروا عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى ولا يؤثر عاقل شيئا على شئ الا لزيادة خير ومنفعة فقيل لهم هذا الكلام تنبيها لهم على نهاية ضلالهم وجهلهم وتهكما بهم وتسفيها لرأيهم اذ من المعلوم انه لا خير فيما اشركوه راسا حتى يوازنون بينه وبين من هو مبتدأ كل خير وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم + ثم عدد سبحانه وتعالى انواعا من الخيرات والمنافع التى هى آثار رحمته وفضله الاول منها قوله تعالى أَمَّنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ اى التى هى اصول الكائنات ومبادى المنافع فان قيل ما الفرق بين ام وام فى ام ما يشركون وام من خلق السموات اجيب بان تلك متصلة لان المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله خير ام الآلهة قال بل ام من خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شئ وَأَنْزَلَ لَكُمْ اى لاجلكم خاصة وانتم تكفرون به وتنسبون ما تفرد به من ذلك لغيره مِنَ السَّمَاءِ مَاءً هو للارض كالماء الدافق للارحام فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ جمع حديقة وهى البستان وقيل القطعة من الارض ذات الماء قال الراغب سميت بذلك تشبيها بحدقة العين فى الهيئة وحصول الماء فيها وقال غيره سميت بذلك لاحداق الجدران بها قاله ابن عادل وليس بشئ لانه يطلق عليها ذلك مع عدم الجدران ذَاتَ بَهْجَةٍ اى بهاء وحسن ورونق وسرور على تقارب اصولها مع اختلاف انواعها وتباين طعومها واشكالها ومقاديرها والوانها ولما اثبت الانبات له نفاه عن غيره بقوله تعالى مَا كَانَ اى ما صح وما تصور بوجه من الوجوه لَكُمْ وانتم احياء فضلا عن شركائكم الذين هم اموات بل موات أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا اى شجر تلك الحدائق أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ اعانه على ذلك اى ليس معه اله بَلْ هُمْ اى فى ادعائهم معه سبحانه شريكا

قوم يعدلون اى عن الحق الذى لامرية فيه الى غيره وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر ونظير هذه
الآية اول سورة الانعام + الثانى منها قوله تعالى أمّن جعل الارض قرارا وهو بدل من امّن
خلق السموات وحكمه حكمه ومعنى قرارا الاثبات باهلها وكان القياس يقتضى ان تكون مائدة
او مضطربة كما يضطرب ما هو معلق فى الهواء ولكن الله تعالى ابدى بعضها من الماء بحيث
يتاتى استقرار الانسان والدواب عليها وجعل خلالها اى وسطها انهارا اى جارية على حالة
واحدة فلو اضطربت الارض ادنى اضطراب لتغيرت مجارى المياه ثم ذكر تعالى سبب القرار بقوله تعالى
وجعل لها رواسى اى جبالا اثبت بها الارض على ميزان دبره سبحانه وتعالى فى مواضع من
ارجائها بحيث اعتدلت جميع جوانبها فامتنعت من الاضطراب ولما كان بعض مياه الارض
عذبا وبعضها ملحا مع القرب جدا بين الله تعالى ان احدهما لم يختلط بالآخر بقوله تعالى وجعل بين
البحرين اى العذب والملح حاجزا من قدرته يمنع احدهما ان يختلط بالآخر أإله مع الله اى المحيط
علما وقدرة معين له على ذلك بل اكثرهم اى الذين ينتفعون بهذه المنافع لا يعلمون
توحيد ربهم بل هم كالبهائم لاعراضهم عن هذا الدليل الواضح + تنبيه + فى قراءة أإله مثل ائنكم
الثالث منها قوله تعالى أمّن يجيب المضطر اى المكروب وهو الذى احوجه مرض او فقر
او نازلة من نوازل الدهر الى اللجأ والتضرع الى الله تعالى اذا دعاه وقت اضطراره وعن
ابن عباس هو المجهود وعن السدى هو الذى لا حول له ولا قوة فان قيل هذا يعم كل
مضطر وكم مضطر يدعو فلا يجاب اجيب بان اللام فيه للجنس لا للاستغراق ولا يلزم منه اجابة كل
مضطر وقوله تعالى ويكشف السوء كالتفسير للاستجابة وانه لا يقدر احد على كشف ما وقع له
من فقر الى غنى ومرض الى صحة الا القادر الذى لا يعجزه شئ والقاهر الذى لا ينازع والاضافة
فى قوله تعالى ويجعلكم خلفاء الارض بمعنى فى اى يخلف بعضكم بعضا لا يزال يجدد ذلك باهلاك
قرن وانشاء آخر الى قيام الساعة أإله مع الله اى الملك الذى لا كفؤ له ثم استأنف التبكيت تفظيعا
له ومواجها به بقوله تعالى قليلا ما تذكرون اى يتعظون وقرأ ابو عمرو وهشام بالياء التحتية على
الغيبة والباقون بالخطاب وفيه ادغام التاء فى الذال وما زائدة لتقليل القليل + الرابع منها
قوله تعالى أمّن يهديكم اى يرشدكم الى مقاصدكم فى ظلمات البر اى بالنجوم والجبال والرياح
والبحر بالنجوم والرياح ومن يرسل الرياح اى التى هى دلائل السير بشرا اى تنشر السحاب
وتجمعها بين يدى رحمته اى التى هى المطر تسمية للمسبب باسم السبب والرياح التى يهتدى
بها فى المقاصد اربع التى من تجاه الكعبة الصبا ومن ورائها الدبور ومن جهة يمينها الجنوب
ومن شمالها الشمال ولكل منها طبع فالصبا حارة يابسة والدبور باردة رطبة والجنوب حارة
رطبة والشمال باردة يابسة وهى ريح الجنة التى تهب على اهلها جعلنا الله والدينا واشياخنا وصحبنا
ومن انتفع بشئ من هذا التفسير ودعا لنا بالمغفرة منهم وقرأ حمزة والكسائى وابن كثير الريح

بالافراد والباقون بالجمع وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو نشرا بضم النون والشين وابن عامر بضم النون
وسكون الشين وحمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين وعاصم بالباء الموحدة مضمومة وسكون
الشين ولما انكشف بهذه الحجج من الآيات ما كانوا في ظلامه من واهي الشبهات واتضحت الادلة
ولم يبق لاحد في شئ من ذلك علة كرر سبحانه وتعالى الانكار في قوله تعالى ءَاِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ اى
الذى كمل علمه تعالى الله اى الفاعل القادر المختار عَمَّا يُشْرِكُونَ به غيره واين رتبة العجز
من رتبة القدرة ولما ختم بما هو [illegible] قوله تعالى اَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ اى كلهم في الارحام من نطفة
ما علمتم منه وما لم تعلموا ثُمَّ يُعِيدُهُ اى بعد الموت لان الاعادة اهون فان قيل كيف قيل لهم
ثم يعيده [illegible] أجيب بانهم كانوا مقرين بالابتداء ودلالته على الاعادة ظاهرة قوية لان
الاعادة اهون عليه من الابتداء فلما كان الكلام مقرونا بالدلالة الظاهرة صاروا كأنهم لا عذر
لهم في انكار الاعادة لقيام البراهين عليها ولما كان الامطار والانبات من ادل ما يكون
على الاعادة قال مشيرا اليهما على وجه عم جميع ما مضى وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ اى بالمطر
والحر والبرد وغيرهما مما له سبب في التكوين والتلوين وَالْاَرْضِ اى بالنبات والمعادن والحيوان
وغيرها مما لا يصلح الا به الانسان وعبر عنها بالرزق لان به تمام النعمة ءَاِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ اى
الذى له صفات الجلال والاكرام ولما كانت هذه كلها براهين ساطعة ودلائل قاطعة امر الله
تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالاعراض عنهم بقوله تعالى قُلْ اى لهؤلاء المدعين للعقول هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ
اى حجتكم على نفي شئ من ذلك عن الله تعالى او على اثبات شئ منه لغيره اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ اى
في انكم على حق في ان مع الله تعالى غيره واضاف تعالى البرهان اليهم تهكما بهم وتنبيها على
انهم ابعدوا في الضلال واغرقوا في المحال ثم انهم سألوه عن وقت قيام الساعة فنزل قُلْ اى لهم
لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ من الملائكة والناس الْغَيْبَ اى ما غاب عنهم وقوله تعالى
اِلَّا اللّٰهُ استثناء منقطع اى لكن الله يعلمه ولما كان الله تعالى منزها عن ان يحويه مكان جعل
الاستثناء هنا منقطعا فان قيل من حق المنقطع النصب أجيب بانه رفع بدلا على لغة بني تميم يقولون
ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه قولهم ما اتاني زيد الا عمرو
وما اعانه اخوانكم الا اخوانه فان قيل ما الداعي الى المذهب التميمي على الحجازي أجيب بانه دعت اليه
نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس + الا اليعافير
والا العيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب
يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت
اليعافير انيسا ففيها انيس [illegible] خلوها عن الانيس ويجوز ان يكون متصلا والظرفية في حقه تعالى
مجاز بالنسبة الى علمه وان كان فيه جمع بين الحقيقة والمجاز كما قال به امامنا الشافعي رضي الله تعالى
عنه وان منعه بعضهم ومن ذلك قول المتكلمين الله تعالى في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها

فكان ذاته فيها وعلى هذا فيرتفع على البدل والصفة والرفع افصح من النصب لانه منفي وعن عائشة رضى الله تعالى عنها من زعم انه يعلم ما فى غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يامن احد من عبيده مكره وقوله تعالى وَمَا يَشْعُرُونَ صفة لاهل السموات والارض نفى ان يكون لهم علم بالغيب وان اجتمعوا وتعاونوا أَيَّانَ اى متى يُبْعَثُونَ اى ينشرون وقوله تعالى بَلِ بمعنى هل ادَّارَكَ اى بلغ وتناهى عِلْمُهُمْ فِى الْآخِرَةِ اى بها حتى سألوا عن وقت مجيئها ليس الامر كذلك بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ اى ريب مِنْهَا كمن تحير فى الامر لا يجد عليه دليلا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن فى السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل فان قيل هذه الاضرابات الثلاثة ما معناها اجيب بانها تنزيل احوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون بوقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون فى شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر فى عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذى جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون ووصفهم باستحكام علمهم فى امر الآخرة تهكما وقرأ ابو عمرو وابن كثير بقطع الهمزة مفتوحة وسكون اللام قبلها وسكون الدال بعدها والباقون بكسر اللام واسقاط الهمزة بعدها وتشديد الدال وبعدها الف بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا فى الهلاك وقوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا اى نحن وآباؤنا الذين طال العهد بهم لَمُخْرَجُونَ كالنبات والعامل فى اذا محذوف يدل عليه لمخرجون تقديره نبعث ونخرج لان بين يدى عمل اسم المفعول فيه عقبات وهى همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعت والمراد الاخراج من الارض او من حال الفناء الى حال الحياة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وانا جميعا انكار على انكار وجحود عقب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير فى انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم تنبيه آباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل بالخبر مقام الفصل بالتوكيد وقرأ نافع بالخبر فى اذا وبالاستفهام فى ائنا وابن عامر والكسائى بالاستفهام فى الاول والخبر فى الثانى وزاد فيه نونا ثانية وباقى القراء بالاستفهام فى الاول والثانى وهم على مذاهبهم من التسهيل والتحقيق والمد والقصر فمذهب قالون وابى عمرو التسهيل فى الهمزة الثانية وادخال الف بينها وبين همزة الاستفهام ومذهب ورش وابن كثير التسهيل وعدم الادخال ومذهب هشام الادخال وعدمه مع التحقيق ومذهب الباقين التحقيق وعدم الادخال ثم اقام الكفار الدليل فى زعمهم على ذلك فقالوا تعليلا لاستبعادهم لَقَدْ وُعِدْنَا هٰذَا اى الاخراج

من القبور كما كنا اول مرة نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ اى قبل محمد فقد سوّينا هو وعد على هذا الوعد لم يقع منه شئ فذلك دليل على انه لا حقيقة له فكانه قيل فما فائدة المراد به فقالوا إِنْ اى ما هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اى احاديثهم واكاذيبهم التى كتبوها ولا حقيقة لها + تنبيه + اساطير الاولين جمع اسطورة بالضم اى ما سطر من الكذب فان قيل لم قدم فى هذه الاية هذا على نحن وآباؤنا وفى آية اخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا اجيب بان التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض المقصود بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففى احدى الآيتين دل على ان ايجاد البعث هو الذى تعمد بالكلام وفى الاخرى على ان ايجاد المبعوث بذلك الصدد ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يرشدهم بما فى صورة التهديد بقوله تعالى قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ اى ايها العمى الجاهلون فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ بانكارهم وهى هلاكهم بالعذاب فانكم ان نظرتم وتاملتم اخبارهم حق التامل اسرع بكم ذلك الى التصديق فنجوتم والا اهلككم كما هلكوا واراد بالمجرمين الكافرين فان قيل فلم لم يقل عاقبة الكافرين اجيب بان هذا يحصل به التخويف لكل العصاة ثم ان الله تعالى صبر نبيه صلى الله عليه وسلم على ما يناله من جهلاتهم وعماهم عن السبيل الذى هدى اليه الدليل بقوله تعالى وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ اى فى عدم ايمانهم فانما عليك البلاغ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ اى لا تهتم بمكرهم عليك فانا ناصرك عليهم وجاعل تدميرهم فى تدبيرهم كطغاة قوم صالح + تنبيه + الضيق الحرج يقال ضاق الشئ ضيقا وضيقا بالفتح والكسر ولهذا قرأ ابن كثير بكسر الضاد والباقون بالفتح ولما اشار تعالى الى انهم لم يبقوا فى المبالغة فى التكذيب بالساعة وجها اشار تعالى الى انهم فى التكذيب بالوعيد بالساعة وغيرها من عذاب الله اشد مبالغة بقوله تعالى وَيَقُولُونَ بالمضارع المؤذن بالتجدد كل حين والاستمرار مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ اى العذاب والبعث والمجازاة الموعود بها موهوه وعند اظهار الجيئة تهكما به إِنْ كُنْتُمْ اى انت ومن تبعك صَادِقِينَ فيه ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم بقوله تعالى قُلْ لهم عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ اى تبعكم ورد فكم ولحقكم فاللام مزيدة على هذا للتاكيد كالباء فى قوله ولا تلقوا بايديكم ويجوز ان يكون تضمن ردف معنى فعل فتعدى باللام نحو دنا وقرب وازف وبهذا فسره ابن عباس وقد عدى بمن فى قول القائل

فلما ردفنا من عمير وصحبه + تولوا سراعا والمنية تعنق + يعنى دنونا من عمير بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ اى فحصل لهم القتل ببدر وباقى العذاب يأتى بعد الموت + تنبيه + عسى ولعل وسوف فى مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقون اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده ولما كان التقدير فان ربك لا يعجل على هذا العاصى بالانتقام مع تمام قدرته عطف عليه وَإِنَّ رَبَّكَ اى المحسن اليك بالحلم على امتك لَذُو فَضْلٍ اى تفضل وانعام عَلَى النَّاسِ اى كافة وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ اى لا يعرفون حق النعمة له ولا يشكرونه بل

يستعجلون بجهلهم العذاب قال ابن عادل وهذه الآية تبطل قول من قال لا نعمة لله على كافر وَإِنَّ رَبَّكَ
اى والحال انه لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ اى تضمر وتستر وتخفى صُدُورُهُمْ اى الناس كلهم فضلا عن
قومك وَمَا يُعْلِنُونَ اى يظهرون من عداوتك وغيرها فيجازيهم على ذلك وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ اى فى اىّ موضع كان منهما وافردهما دلالة على ارادة الجنس الشامل لكل فرد تنبيه
فى هذه التاء قولان احدهما انها للمبالغة كراوية وعلامة فى قولهم ويل للشاعر من رواية السوء
كانه تعالى قال وما من شئ شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله تعالى + والثانى انها كالتاء
الداخلة على المصادر نحو العاقبة والعافية قال الزمخشرىّ ونظيرها الذبيحة والنطيحة والرمية
فى انها اسماء غير صفات إِلَّا فِي كِتَابٍ هو اللوح المحفوظ كتب فيه ذلك قبل ايجاده لانه لا يكون
شئ الا بعلمه وتقديره مُبِينٍ اى ظاهر لمن ينظر فيه من الملائكة + ولما تمم تعالى الكلام فى
اثبات المبدأ والمعاد ذكر بعده ما يتعلق بالنبوّة بقوله تعالى إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ اى الآتى به هذا
النبىّ الامىّ الذى لم يعرف قبله علما ولا خالط عالما يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ اى الموجودين فى زمان
نبينا صلى الله عليه وسلم أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اى من امر الدين وان بالغوا فى كتمه كقصة الزانى
المحصن فى اخفائهم ان حده الرجم وقصة عزير والمسيح واخراج النبى صلى الله عليه وسلم ذلك مما
فى توراتهم فهو بحقيقته على لسان من لم يلم بعلم قط نبوته صلى الله عليه وسلم لان ذلك لا يكون
الا من عند الله ثم وصف تعالى فضل هذا القرآن بقوله تعالى وَإِنَّهُ لَهُدًى اى من الضلالة
لما فيه من الدلائل على التوحيد والحشر والنشر والنبوة وشرح صفات الله تعالى وَرَحْمَةٌ اى
نعمة واكرام لِلْمُؤْمِنِينَ اى الذين طبعهم على الايمان فهو صفة لهم راسخة كما انه للكافرين
وقر فى آذانهم وعمى فى قلوبهم + ولما ذكر تعالى دليل فضله اتبعه دليل عدله بقوله تعالى
إِنَّ رَبَّكَ اى المحسن اليك بما لم يصل احد يَقْضِي بَيْنَهُمْ اى بين جميع المختلفين بِحُكْمِهِ اى الذى
هو اعدل حكم واتقنه وانفذه فان قيل القضاء والحكم شئ واحد فقوله تعالى يقضى بينهم بحكمه
اى بما يحكم به كقوله يقضى بقضائه ويحكم بحكمه اجيب بان معنى قوله تعالى بحكمه اى بما يحكم به
وهو عدله لانه لا يقضى الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما او اراد بحكمته وَهُوَ اى والحال انه هو
الْعَزِيزُ اى فلا يرد له امر الْعَلِيمُ فلا يخفى عليه سر ولا جهر فلما ثبت له تعالى العلم والحكمة والعظمة
والقدرة تسبب عن ذلك قوله تعالى فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ اى ثق به لتدع الامور كلها اليه
وتستريح من تحمل المشاق وثوقا بنصره ثم علل ذلك بقوله تعالى إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ اى البين
فى نفسه الموضح لغيره فصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله تعالى ونصره وقوله تعالى إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ
الْمَوْتَىٰ تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه من معاضدتهم وانما شبهوا بالموتى
لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم فى قوله تعالى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا
وَلَّوْا مُدْبِرِينَ اى معرضين فان قيل ما معنى قوله تعالى ولوا مدبرين اجيب بانه تاكيد لحال

الاصم لانه اذا تباعد عن محل الداعي بان تولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته وقرأ ابن كثير
ولا يسمع بالياء التحتية المفتوحة وفتح الميم الصم برفع الميم والباقون بالتاء الفوقية مضمومة وكسر الميم
الصم بالنصب وسهل نافع وابن كثير وابو عمرو الهمزة الثانية من الدعاء اذا كالياء
مع تحقيق الاولى والباقون بتحقيقهما وهم على مراتبهم في المد ثم قطع طمعه في ايمانهم بقوله تعالى
وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ اي في ابصارهم وبصائرهم مزيلا لهم وناقلا ومبعدا عَنْ ضَلَالَتِهِمْ
اي عن الطريق بحيث تحفظهم عن ان يزلوا عنها اصلا فان هذا لا يقدر عليه الا الحي القيوم وقرأ
حمزة تهدي بتاء فوقية وسكون الهاء والعمي بنصب الياء والباقون بالباء الموحدة مكسورة
وفتح الهاء بعدها الف والعمي بكسر الياء ولما كان هذا ربما اوقف عن دعائهم رجاء في انقيادهم
وارعوائهم بقوله تعالى إِنْ اي مَا تُسْمِعُ اي سماع انتفاع على وجه الكمال في كل حال إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ
اي من علمنا انه يصدق بِآيَاتِنَا بان جعلنا فيه قابلية السمع ثم تسبب عنه قوله دليلا على ايمانه
فَهُمْ مُسْلِمُونَ اي مخلصون في غاية الطواعية لك كما في قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن
اي جعله سالما خالصا ثم ذكر تعالى ما يوعدون مما تقدم استعجالهم له استهزاء بقوله تعالى وَإِذَا وَقَعَ
الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ اي مضمون القول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله
واطلق المصدر على المفعول اي المقول أَخْرَجْنَا اي بما لنا من العظمة لَهُمْ حين مشارفة
العذاب والساعة وظهور اشراطها حين لا تنفع التوبة دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ وهي الجساسة
جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي ان لها اربع قوائم وزغبا
وهو شعر اصفر على ريش الفرخ وريشا وجناحين وعن ابن جريج في وصفها فقال رأسها رأس
الثور وعينها عين الخنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر
اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وخفها خف بعير وما بين
المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وروي انها لا تخرج الا رأسها ورأسها يبلغ عنان
السماء اي يبلغ السحاب وعن ابي هريرة فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن
لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن علي رضي الله تعالى عنه انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون
فلا يخرج الا ثلثها وروي انه صلى الله عليه وسلم سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد
حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن
يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارا وقيل تخرج من الصفا ولما كان التعبير
بالدابة يفهم انها كالحيوانات العجم لا كلام لها قال تُكَلِّمُهُمْ اي بالعربية كما قاله مقاتل بكلام يفهمونه
بلسان طلق ذلق فتقول أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ اي ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي
لان خروجها من الآيات وتقول الا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان
كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل

المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروى انها تخرج ونحن اجياد وروى بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلى المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن فى مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة فى وجهه حتى يضئ لها وجهه او تترك وجهه كانه كوكب درّى وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم فى انفه فتفشو النكتة حتى يسوّد لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجّال والدخان والدابة وخاصة احدكم وامر العامة وقال صلى الله عليه وسلم انّ اوّل الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها وقال صلى الله عليه وسلم للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى اليمن فيفشو ذكرها فى البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم تكمن زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم بينا الناس يوما فى اعظم المساجد على الله حرمة واكرمها على الله عزّ وجلّ يعنى المسجد الحرام لم يرعهم الا وهى فى ناحية المسجد تدنو وتدنو قال الراوى ما بين الركن الاسود الى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فى وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبتت لها عصابة عرفوا انهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كانها الكواكب الدرية ثم ولت فى الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوّذ منها بالصلوة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلى فيقبل عليها بوجهه فتسمه فى وجهه فيتجاور الناس فى ديارهم ويصطحبون فى اسفارهم ويشتركون فى الاموال ويعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر وعن علىّ رضى الله تعالى عنه انه قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها لحية يشير الى انها رجل والاكثرون على انها دابة وعن ابن عباس انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاى هذه وعن ابى هريرة انّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال بئس الشعب شعب اجياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين وقال وهب وجهها وجه الرجل وسائر خلقها خلق الطير فتخبر من يراها انّ اهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون وقرأ الكوفيون بفتح الهمزة من انّ على تقدير الباء اى بانّ الناس الخ والباقون بكسرها على الاستئناف وَيَوْمَ نَحْشُرُ اى الناس على وجه الاكراه قال ابو حيان الحشر الجمع على عنف مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ اى قرن فَوْجًا اى جماعة مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا اى وهم رؤساؤهم المتبوعون فَهُمْ يُوزَعُونَ اى يجمعون برد آخرهم الى اولهم واطرافهم على اوساطهم

ليتلاحقوا ولا يشذ منهم احد ولا يزالون كذلك حَتّٰى إِذَا جَآؤُا الى مكان الحساب قَالَ اى الله تعالى
لهم أَكَذَّبْتُم اى انبيائى بِآيَاتِى التى جاؤا بها وَ الحال انكم لَمْ تُحِيطُوا بِهَا اى من
جهة تكذيبكم عِلْمًا اى من غير فكر ولا نظر يؤدّى الى الاحاطة بما فى معانيها وما ظهرت لاجله
حتى تعلموا ما تستحقه وما يليق بها بدليل الامر به فيه وام فى قوله تعالى أَمَّاذَا منقطعة وتقدّم
حكمها وماذا يجوز ان يكون برمته استفهاما منصوبا بتعملون الواقع خبرا عن كنتم وان تكون
ما استفهامية مبتدأ وذا موصول خبره والصلة كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وعائده محذوف
اى اى شئ الذى كنتم تعملونه وَوَقَعَ الْقَوْلُ اى وجب العذاب الموعود عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا اى بسبب
ما وقع منهم من الظلم من صريح التكذيب وما ينشأ عنه من الضلال فى الاقوال والافعال فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ
قال قتادة كيف ينطقون ولا حجة لهم نظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم
فيعتذرون وقيل لا ينطقون لان افواههم مختومة ثم انه تعالى لما خوفهم باحوال القيامة ذكر
كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد والحشر وعلى النبوة مبالغة فى الارشاد الى الايمان والمنع
من الكفر فقال أَلَمْ يَرَوْا مما يدلهم على قدرتنا على بعثهم بعد الموت وعلى كل ما اخبرناهم به
أَنَّا جَعَلْنَا اى بعظمتنا الدالة على نفوذ مرادنا وفعلنا بالاختيار اللَّيْلَ اى مظلما لِيَسْكُنُوا فِيهِ
عن الانتشار وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا اى يبصر فيه ليتصرفوا فيه ويبتغوا من فضل الله فحذف من الاول
ما ثبت نظيره فى الثانى ومن الثانى ما ثبت نظيره فى الاول اذ التقدير جعلنا الليل مظلما كما مرّ ليسكنوا فيه
والنهار مبصرا ليتصرفوا فيه كما مرّ فحذف مظلما لدلالة مبصرا وليتصرفوا لدلالة ليسكنوا فيه وقوله تعالى
مبصرا كقوله تعالى آية النهار مبصرة وتقدّم الكلام على ذلك فى الاسراء قال الزمخشرى فان قلت ما للتقابل
لم يراع فى قوله تعالى ليسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والآخر حالا قلت هو مراعى من حيث
المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب فى المكاسب
واجاب غيره بان السكون فى الليل هو المقصود ولانه وسيلة الى جلب المنافع الدينية والدنيوية
إِنَّ فِى ذٰلِكَ اى هذا المذكور لَآيَاتٍ اى دلالات بيّنة على التوحيد والبعث والنبوّة وغير ذلك
وخص المؤمنين بقوله تعالى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لانهم المنتفعون به وان كانت الادلة للكل كقوله
تعالى هدى للمتقين ولما ذكر تعالى هذا الحشر الخاص والدليل على مطلق الحشر ذكر الحشر
العام بقوله تعالى وَيَوْمَ يُنْفَخُ اى بامر يسير فِى الصُّوْرِ اى القرن ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام فَفَزِعَ
اى فصعق كما قال تعالى فى آية اخرى فصعق مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ اى كلهم
فماتوا والمعنى انه يلقى عليهم الفزع الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل فى الصور ثلاث نفخات نفخة
الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين فان قيل لم قال الله تعالى ففزع ولم يقل فيفزع
اجيب بان فى ذلك نكتة وهى الاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على اهل السموات
والارض لان الفعل الماضى يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند

النفخة الاولى حين يصعقون الا من شاء الله اى المحيط علما وقدرة وعزة وعظمة ان لا يفزع
روى انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عنهم فقال هم الشهداء يتقلدون اسيافهم حول العرش
وعن ابن عباس هم الشهداء لانهم احياء عند ربهم لا يصل الفزع اليهم وعن مقاتل هم جبريل وميكائيل
واسرافيل وملك الموت عليهم السلام ويروى ان الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل
ثم يقول الله تعالى من بقى يا ملك الموت فيقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت بقى جبريل وميكائيل
وملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفس ميكائيل ثم يقول الله تعالى من بقى يا ملك الموت فيقول
سبحانك ربى تباركت وتعاليت بقى جبريل وملك الموت فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول
يا جبريل من بقى فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقى الدائم وجبريل الميت الفانى
قال يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى ان فضل خلقه على خلق ميكائيل
كالطود العظيم ويروى انه يبقى مع هؤلاء الاربعة حملة العرش ثم روح اسرافيل ثم روح ملك الموت
وعن الضحاك هم رضوان والحور ومالك والزبانية عليهم السلام وقيل عقارب النار وحياتها
وكلٌّ اى من فزع ومن لم يفزع أتوه اى بعد ذلك للحساب بنفخة اخرى يقيمهم بها وفى ذلك
دليل على تمام قدرته تعالى فى كونه اقامهم بما به اماتهم داخرين اى صاغرين وقرأ حفص
وحمزة بقصر الهمزة وفتح التاء على انه فعل ماض ومفعوله الهاء فالتعبير به لتحقق وقوعه والباقون
بمد الهمزة وضم التاء على انه اسم فاعل مضاف للهاء وهذا حمل على معنى كل وهى مضافة تقديرا
اى وكلهم ۔ ولما ذكر تعالى دخورهم اتبعه بدخور ما هو اعظم منهم بقوله تعالى وترى الجبال اى تبصرها
وقت النفخة والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم لكونه انفذ الناس بصرا وانورهم بصيرة او لكل
احد تحسبها اى تظنها جامدة اى قائمة ثابتة فى مكانها لا تتحرك لان الاجرام الكبار اذا تحركت
فى سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها وهى تمر اى تسير حتى تقع على الارض فتستوى بها مبثوثة
ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثورا واشار تعالى الى ان سيرها خفى وان كان حثيثا بقوله تعالى
مر السحاب اى مرا سريعا لا يدرك على ما هو عليه لانه اذا انطبق الجو لا يدرك سيره مع انه لا شك
فيه والا لم تنكشف الشمس بلا لبس وكذلك كبير الجرم او كثير العدد يقصر عن الاحاطة به
لبعد ما بين اطرافه ولكثرته البصر والناظر الحاذق يظنه واقفا وقرأ تحسبها بكسر السين
نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائى وفتحها الباقون وقوله تعالى صنع الله مصدر مؤكد
لمضمون الجملة قبله اضيف الى فاعله بعد حذف عامله اى صنع الله ذلك صنعا ثم زاد فى التعظيم
بقوله دالا على تمام الاحكام فى ذلك الصنع الذى اتقن اى احكم كل شئ صنعه ولما ثبت هذا
على هذا الوجه المتقن والنظام الامكن انتج قطعا قوله تعالى انه اى الذى اتقن هذه الامور
خبير بما يفعلون اى عالم بظواهر الاحوال وبواطنها ليجازيهم عليها كما قال تعالى من جاء بالحسنة
اى الكاملة وهى الايمان وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة فله خير ا

افضل منها مضاعفا اقل ما يكون عشرة اضعاف الى ما لا يعلمه الا الله تعالى وقيل له خير حاصل
من جهتها وهو الجنة وفسر الجلال الحسنة بلا اله الا الله وقال في قوله خير منها اي بسببها
فليس للتفضيل اذ لا فعل خير منها ويناسب القول الثاني وَهُمْ اي الجائون بها مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ
اي يوم اذ وقعت هذه الاهوال العظيمة آمِنُونَ اي حتى لا يحزنهم الفزع الاكبر وقرأ
يفعلون ابن كثير وابو عمرو وهشام بالياء التحتية على الغيبة والباقون بالفوقية على الخطاب
وقرأ وهم من فزع يومئذ آمنون الكوفيون بتنوين العين والباقون بغير تنوين وهو اعم فانه
يقتضي الامن من جميع فزع ذلك اليوم واما قراءة التنوين فتحتمل معنيين من فزع واحد هو خوف
العذاب واما ما يلحق الانسان من الرعب مشاهدته فلا ينفك منه احد ومن فزع شديد مفرط
الشدة لا يكتنهه الوصف هو خوف النار وقرأ نافع والكوفيون بفتح الميم من يومئذ والباقون بكسرها
فان قيل أليس قال تعالى في اول الآية ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله
فكيف نفى الفزع ههنا اجيب بان الفزع الاول لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع
وهول يفجأ الا ما استثنى وان كان المحسن آمنا من لحاق الضرر واما الثاني فهو الخوف من العذاب
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ اي التي لا سيئة مثلها وهي الشرك لقوله تعالى فَكُبَّتْ اي بايسر امر وُجُوهُهُمْ
فِي النَّارِ بان وليتها واسم انه ورد في الصحيح ان مواضع السجود التي اشرفها الوجه لا سبيل للنار
عليها والوجه اشرف ما في الانسان فاذا هان كان ما سواه اولى بالهوان والمكبوب عليه
منكوس ويقال تبكيتا هَلْ اي ما تُجْزَوْنَ الا جزاء مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اي من الشرك والمعاصي + تنبيه +
جعل مقابلة الحسنة بالثواب والسيئات بالعقاب من جملة احكامه للاشياء
واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عليم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم
على حسب ذلك فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه واخذ بعضه بحجزة بعض
كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق والادعاء ثم امر الله تعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم ان يقول لقومه إِنَّمَا أُمِرْتُ اي بامر من لا يرد له امر أَنْ أَعْبُدَ اي بجميع ما امر
رَبَّ اي موجد ومدبر هَذِهِ الْبَلْدَةِ اي مكة التي تخرج الدابة منها فيفزع كل من رآها
ثم تؤمن اهل السعادة اخصه بذلك لا اعبد شيئا مما تعبدونه الَّذِي حَرَّمَهَا اي جعلها
الله تعالى حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها وانما خص
مكة بهذه الاضافة تشريفا لها وتعظيما لشانها قال احترازا عما قد يتوهم وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ اي من
غيرها مما اشركتموه به وغيره خلقا وملكا ولما كانوا ربما قالوا نحن نعبده بعبادة من يقربنا
اليه زلفى عين له الدين الذي تكون به العبادة بقوله وَأُمِرْتُ اي مع الامر بالعبادة له وحده
أَنْ أَكُونَ اي كونا هو في غاية الرسوخ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اي المنقادين لجميع ما يامر به كتابه اتم انقياد ثابتا
على ذلك غاية الثبات وَأَنْ اي وامرت ان أَتْلُوَ الْقُرْآنَ عليكم تلاوة الدعوة الى

الایمان او ان اواظب علی تلاوته لتنکشف لی حقائقه فی تلاوته شیئا فشیئا فَمَنِ اهْتَدٰی ای باتباع هذا القرآن الداعی الی الجنان فَاِنَّمَا یَهْتَدِیْ لِنَفْسِهٖ ای لاجلها لان ثواب هدایته له وَمَنْ ضَلَّ ای عن الایمان الذی هو الطریق المستقیم فَقُلْ ای له کما تقول لغیره اِنَّمَآ اَنَا مِنَ الْمُنْذِرِیْنَ ای المخوفین له عواقب صنعه فلا علیّ من وبال ضلاله شیٔ اذ اما علی الرسول الا البلاغ وقد بلغت وَقُلِ ای انذارا لهم وترغیبا وترجیة وترهیبا اَلْحَمْدُ ای الاحاطة باوصاف الکمال لِلّٰهِ ای الذی له العظمة کلها علی نعمة النبوّة وعلی ما علمنی ووفقنی للعمل به سَیُرِیْکُمْ اٰیٰتِهٖ القاهرة فی الدنیا کوقعة بدر وخروج دابة الارض وفی الآخرة بالعذاب الالیم فَتَعْرِفُوْنَهَا ای فتعرفون انها آیات الله ولکن حین لا تنفعکم المعرفة وَمَا رَبُّكَ ای المحسن الیك بجمیع ما اقامك فیه من هذه الامور العظیمة والاحوال الجسیمة بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ ای فلا تحسبوا ان تاخیر عذابکم لغفلته عن اعمالکم وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء علی الخطاب لان المعنی عما تعمل انت واتباعك من الطاعة وهم من المعصیة والباقون بالیاء علی الغیبة وما رواه البیضاوی تبعا للزمخشری من ان من قرأ طس کان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سلیمان وکذب به وهود وشعیب وصالح وابراهیم ویخرج من قبره وهو ینادی لا اله الا الله حدیث موضوع

سورة القصص مکیّة

الا قوله تعالی ان الذی فرض الآیة نزلت بالجحفة والا الذین آتیناهم الکتاب الی لا نبتغی الجاهلین وهی سبع او ثمان وثمانون آیة والف واربعمائة واحدی واربعون کلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف وتسمی سورة موسی علیه السّلام لاشتمالها علی قصته فقط من حین ولد الی ان اهلك الله تعالی فرعون وخسف بقارون کما سمیت سورة نوح وسورة یوسف لاشتمالها علی قصتهما ولا یقال سمیت بذلك لذکر القصص فیها فی قوله تعالی فلما جاءه وقص علیه القصص لان سورة یوسف فیها ذکر القصص مرتین الاولی نقص علیك احسن القصص والثانیة قوله تعالی لقد کان فی قصصهم فکانت سورة یوسف اولی بهذا الاسم وایضا فکانت سورة هود اولی بهذا الاسم لانه ذکر فیها قصص سبعة انبیاء وهذه لیس فیها الا قصة واحدة فکان ینبغی العکس وان تسمی سورة هود القصص وهذه سورة موسی بِسْمِ اللّٰهِ الذی اختص بالکبریاء والعظمة الرَّحْمٰنِ الذی عم بنعمه اهل الایمان والکفران الرَّحِیْمِ الذی خص بنعمه بعد البعث اهل الایمان طٰسٓمٓ تقدم الکلام علی اوائل السور اول البقرة تِلْكَ ای هذه الآیات العالیة الشان اٰیٰتُ الْکِتٰبِ ای المنزل علی قلبك الجامع لجمیع المصالح الدنیویة والاخرویة والاضافة بمعنی من الْمُبِیْنِ ای المظهر للحق من الباطل نَتْلُوْا ای نقص قصا متتابعا متواليا بعضه فی اثر بعض عَلَیْكَ بواسطة جبریل علیه السّلام مِنْ نَّبَاِ ای خبر مُوْسٰی وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ ای بالصدق الذی یطابقه الواقع ...

نتلو بهذا وفاعل نتلو ضمير عليه صفته وهي من نبأ موسى تقديره نتلو عليك شيئا من نبأ موسى ويجوز
ان تكون من مزيدة على رأي الاخفش اي نتلو عليك نبأ موسى وبالحق يجوز ان يكون حالا من
فاعل نتلو ومن مفعوله اي نتلو عليك بعض خبرهما ملتبسين او ملتبسا بالحق ثم نبه على ان هذا البيان
كما سبق انما ينفع اولي الاذعان بقوله تعالى لِقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ فغيرهم لا ينتفع بذلك ولما كان كأنه
قيل ما المقصود من هذا قال إِنَّ فِرۡعَوۡنَ ملك مصر الذي ادعى الالهية عَلَا اي بادعاء
الالهية وتجبره على عباد الله وقهره لهم فِي ٱلۡأَرۡضِ اي ارض مصر واطلاقها يدل على تعظيمها
وانها كجميع الارض لاشتمالها على ما قل ان يشتمل عليه غيرها وَجَعَلَ اي بما جعلنا له من نفوذ الكلمة
أَهۡلَهَا اي اهل الارض المرادة شِيَعٗا اي فرقا تتبع كل فرقة شيئا يتبعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك
احد منهم ان يلوي عنقه او اصنافا في استخدامه يستخدم صنفا في بناء وصنفا في حفر وصنفا في
حرث ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة والبغضاء وهم
بنو اسرائيل والقبط وقوله تعالى يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يجوز فيه ثلاثة اوجه ان يكون حالا من فاعل جعل
اي جعلهم كذلك حال كونه مستضعفا طائفة منهم وان يكون صفة لشيعا وان يكون استئنافا بيانا لحال
الاهل الذين جعلهم فرقا واصنافا وهم بنو اسرائيل الذين كانت حياة جميع اهل مصر
على يدي واحد منهم وهو يوسف عليه السلام وفعل معهم من الخير ما لم يفعله والدهم ولده
ومع ذلك كافأه في اولاده واولاد اخوته بان استعبدهم ثم ما كفاهم ذلك حتى سامهم على يدي العبيد سوء
العذاب قال البقاعي وهذا حال الغرباء بينهم قديما وحديثا ثم بين الاستضعاف بقوله تعالى
يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ اي عند الولادة وكل بذلك اناسا ينظرون كلما ولدت امرأة ذكرا ذبحوه وسبب
ذلك ان كاهنا قال له سيولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يديه فولد تلك الليلة
اثنا عشر غلاما فقتلهم وبقي هذا العذاب في بني اسرائيل سنين كثيرة وكان ذلك من غاية حمق فرعون فانه
ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وان كذب فما وجه القتل وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ اي يريد
حياة الاناث فلا يذبحهن وقال السدي ان فرعون رأى في منامه نارا اقبلت من بيت المقدس الى
مصر فاحرقت القبط دون بني اسرائيل فسأل عن رؤياه فقيل له يخرج من هذا البلد من بني اسرائيل رجل
يكون هلاك مصر على يديه فامر بقتل الذكور وقيل ان الانبياء عليهم السلام الذين كانوا قبل موسى
عليه السلام بشروا بمجيئه فسمع فرعون ذلك فامر بذبح بني اسرائيل إِنَّهُۥ اي فرعون كَانَ مِنَ
ٱلۡمُفۡسِدِينَ فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد قال وهب قتل فرعون
في طلب موسى سبعين الفا من بني اسرائيل وقوله تعالى وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عطف على قوله ان فرعون
علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية
حال ماضية اي نعطي بقدرتنا وعلمنا ما يكون جديرا ان نمن به عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ
بحصول استضعافهم واهانتهم بهذا الفعل الشنيع ولم يراقب فيهم مولاهم فِي ٱلۡأَرۡضِ اي ارض مصر

فذلوا واهينوا ونريهم في انفسهم واعدائهم فوق ما يحبون وفوق ما يأملون ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ اى مقدمين
في الدين والدنيا علماء يدعون الى الجنة عكس ما يأتي من عاقبة آل فرعون وقال مجاهد دعاة الى
الخير وقال قتادة ولاة وملوكا لقوله تعالى وجعلكم ملوكا وقيل يقتدى بهم في الخير ﴿وَنَجْعَلَهُمُ﴾ اى بعظمتنا
وقدرتنا ﴿الْوَارِثِينَ﴾ اى للملك وغيره لا ينازعهم فيه احد من القبط يملكون ما في مساكنهم ﴿وَنُمَكِّنَ﴾ اى نوقع التمكين
﴿لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ اى كلها لا سيما ارض مصر والشام باهلاك اعدائهم وتأييد ملكهم
وتأييدهم بكلمة الله ثم بالانبياء من بعده صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين بحيث يسلطهم
بسببهم على من سواهم بما نؤيدهم به من الملائكة ونظهر لهم من الخوارق ﴿وَنُرِيَ﴾ اى بما لنا
من العظمة ﴿فِرْعَوْنَ﴾ اى الذي كان هذا الاستضعاف منه ﴿وَهَامَانَ﴾ وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا﴾
اى اللذين كانا يتوصلان بهم الى ما يريدانه من الفساد فيقوى كل منهم بالآخر في الارض فعلوا
وطغوا وقوله تعالى ﴿مِنْهُمْ﴾ اى المستضعفين متعلق بنرى او بنريد لا بيحذرون لان ما بعد الموصول
لا يعمل فيما قبله ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ اى من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرأ
حمزة والكسائي ويرى بالياء مفتوحة وفتح الراء مع الامالة وسكون الياء بعد الراء ورفع فرعون
وهامان وجنودهما مضارع رأى مسندا الى فرعون وما عطف عليه فلذلك رفعوا وقرأ الباقون
بالنون المضمومة وكسر الراء وفتح الياء بعدها ونصب الاسماء الثلاثة مضارع ارى فلذلك نصب فرعون
وما عطف عليه مفعولا اول وما كانوا هو الثاني ثم ذكر تعالى اول نعمة من بها على الذين استضعفوا بقوله تعالى
﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ اى وحي الهام او منام ﴿إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ لا وحي نبوة قال قتادة قذفنا في قلبها واسمها يوحانذ
وهي بنت لاوى بن يعقوب وهذا هو الذي امضينا في قضائنا ان يسمى بهذا الاسم وان يكون
هلاك فرعون وزوال ملكه على يديه بعد ان ولدته وخافت ان يذبحه الذابحون ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾
ما كنت آمنة عليه ولم يشعر بولادته غير اختها قيل ارضعته ثمانية اشهر وقيل اربعة اشهر وقيل ثلاثة
اشهر كانت ترضعه في حجرها وهو لا يبكي ولا يتحرك وقد روى انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت
من بردى مطلى من داخله بالقار ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ اى منهم ان يصيح فيسمع فيذبح ﴿فَأَلْقِيهِ﴾ اى بعد
ان تضعيه في شيء يقيه من الماء ﴿فِي الْيَمِّ﴾ وهو البحر ولكن اراد هنا النيل ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ اى لا يتجدد لك
خوف اصلا من ان يغرق او يموت من ترك الرضاع ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ اى ولا يوجد لك حزن لوقوع
فراقه فان قيل ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما ونهى عن الآخر اجيب بان الخوف الاول هو الخوف
عليه من القتل لانه كان اذا صاح خافت عليه ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثاني
فالخوف من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في طلب
الولدان وغير ذلك من المخاوف فان قيل ما الفرق بين الخوف والحزن اجيب بان الخوف غم
يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا واومنت
بالوحي لها ووعدت ما يسليها ويطمئن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده اليها كما قال تعالى

إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ فأزال مقتضى الخوف والحزن ثم زادها بشرى واى بشرى بقوله تعالى وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ اى الذين هم خلاصة المخلوقين * وروى عطاء والضحاك عن ابن عباس قال ان بنى اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصى ولم يامروا بمعروف ولم ينهوا عن منكر فسلط الله عليهم القبط فاضعفوهم الى ان انجاهم الله تعالى على يد نبيه وكليمه قال ابن عباس ان ام موسى لما تقاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التى وكلهن فرعون بحبالى بنى اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق ارسلت اليها فقالت قد نزل بى ما نزل فلينفعنى حبك اياى اليوم قال فعالجت قبالها فلما ان وقع موسى عليه السلام بالارض هالها نور بين عينى موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك حين دعوتنى الا ومن ورائى قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حبا شديدا ما وجدت حب شئ مثل حبه فاحفظى ابنك فانى اراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجاؤا الى بابها ليدخلوا على ام موسى فقالت اخته يا اماه هذا الحرس بالباب فلفت موسى فى خرقة ووضعته فى التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور وام موسى لم يتغير لها لون فقالوا ما ادخل عليك القابلة فقالت هى مصافية لى دخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخت موسى فاين الصبى قالت لا ادرى فسمعت بكاء الصبى من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فاحتملته قال ثم ان ام موسى لما رأت الحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله تعالى فى نفسها ان تتخذ له تابوتا صغيرا فقال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت قالت ابن لى اخبؤه فى هذا التابوت وكرهت الكذب قال ولم قالت اخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر موسى عليه السلام فلما هم بالكلام امسك الله تعالى لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدروا ما يقول فلما اعياهم امره قال كبيرهم اضربوه فضربوه واخرجوه فلما اتى النجار الى موضعه رد الله تعالى لسانه فتكلم فانطلق ايضا يريد الامناء فاتاهم ليخبرهم فاخذ الله تعالى لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضربوه واخرجوه فوقع فى واد يهوى فيه فجعل الله عليه ان رد لسانه وبصره ان لا يدل عليه وان يكون معه يحفظه حيثما كان فعرف الله تعالى منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال يا رب دلنى على هذا العبد الصالح فدل عليه فخرج من الوادى وآمن به وصدقه وعلم ان ذلك من الله عز وجل * وقال وهب بن منبه لما حملت ام موسى بموسى كتمت امرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها احد من خلق الله وذلك شئ ستره الله لما اراد ان يمن به على بنى اسرائيل فلما كانت السنة التى يذبح فيها بعث فرعون القوابل وتقدم اليهن وفتشن تفتيشا لم يفتش قبل ذلك وحملت ام موسى فلم تكبر بطنها ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها وكانت القوابل لا تتعرض لها فلما كانت الليلة التى ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها احد الا اخته مريم فلما [illegible] ثم القته فى البحر [illegible] بالتابوت

صبيحة الليل آلُ أي أعوان فِرْعَوْنَ فوضعوه بين يديه قال ابن عباس وغيره كانت لفرعون يومئذ
بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها
الى فرعون وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها أطباء مصر والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا
له أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد فيه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من
ذلك وذلك في يوم كذا وساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان يوم الاثنين غدا فرعون الى
مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت ابنة فرعون في جواريها حتى
جلست على شاطئ النيل مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه
الأمواج فقال فرعون إنّ هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجر فائتوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب
حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية
فرأت في جوف التابوت نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فإذا هي بصبي صغير في مهده
وإذا نور بين عينيه وقد جعل الله تعالى رزقه في إبهامه يمصه لبنا فألقى الله تعالى لموسى المحبة
في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت بنت
فرعون الى ما يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم
فرعون أيها الملك إنا نظن أنّ ذلك المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا رمي به في البحر فرقا
منك فاقتله فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لي ولك واستوهبت موسى من فرعون وكانت لا تلد فوهبه
لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لي فيه وفي حديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ
هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها قال الزمخشري وهذا على سبيل الفرض والتقدير
أي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولأسلم كما أسلمت هذا إن صح الحديث تأويله
والله أعلم بصحته انتهى ثم قال لآسية ما تسميه قالت سميته موسى لأنا وجدناه في الماء والشجر فمو هو
الماء وسى هو الشجر فذلك قوله تعالى فالتقطه آل فرعون لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا أي بطول خوفهم منه
بمخالفته لهم في دينهم وحملهم على الحق وقتل رجالهم وَحَزَنًا أي بزوال ملكهم لأنه يظهر فيهم الآيات التي
يهلك الله تعالى بها من يشاء منهم ويستعبد نساءهم ثم يظفر بهم حتى يهلكهم الله تعالى بالغرق على يده
إهلاك نفس واحدة فيعم الحزن والنواح أهل ذلك الإقليم كله + تنبيه + في هذه اللام الوجهان المشهوران
أحدهما أنها العلة المجازية دون الحقيقية لأنهم لم يكن داعيهم الى الالتقاط أن يكون لهم عدوا
وحزنا ولكن المحبة والتبني غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل
الفاعل الفعل لأجله وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء والتأدب الذي هو ثمرة الضرب ليتأدب
وتحريره أنّ هذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما استعير الأسد لمن يشبه
الأسد والثاني أنها العاقبة والصيرورة لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن صار عاقبة أمره
الى ذلك وقرأ حمزة والكسائي بضم الحاء وسكون الزاي والباقون بفتحهما وهما لغتان بمعنى

واحد كانوا ثم العلم ثم بيّن تعالى انّ هذا الفعل لا يفعله الا احمق مفهوم او مغفل مخذول لا يكاد يصيب بقوله تعالى إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وزيره وَجُنُودَهُمَا اى كلهم على طبع واحد كَانُوا خَاطِئِينَ اى فى كل شئ فلا بدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله تعالى بما ربى عدوهم على ايديهم وقال وهب لما وضع التابوت بين يدى فرعون فتحه فوجد فيه موسى فلما نظر اليه قال كيف اخطأ هذا الغلام الذبح وكان فرعون قد استنكح امرأة من بنى اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء ومن بنات الانبياء عليهم السلام وكانت اما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم وهى المذكورة فى قوله تعالى وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ اى له وهى قاعدة بجنبه هذا الوليد اكبر من ابن سنة وانما امرت ان تذبح الولدان لهذه السنة فدعه قُرَّتُ عَيْنٍ لِي اى به وَلَكَ اى يا فرعون لانهما لما رأياه اخرج من التابوت احباه وروى انها قالت انه اتانا من ارض اخرى ليس من بنى اسرائيل ولما اثبتت له انه ممن تقر به العيون قالت لَا تَقْتُلُوهُ اى لا انت بنفسك ولا احد ممن تأمره بذلك ثم عللت ذلك واستأنفت بقولها عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا لو كان له ابوان معروفان فان فيه مخائل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من النور بين عينيه وارتضاعه من ابهامه لبنا وبرئه البرصاء بريقه أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا اى اذا كان لم يعرف له ابوان فيكون لنعمه اكثر فانه اهل لان نشرف به الملوك + تنبيه + التاء فى قرت عين مجرورة ووقف عليها ابن كثير وابو عمرو والكسائى بالهاء والباقون بالتاء وهى خبر مبتدأ مضمر اى هو قرة عين والعامة من القراء والمفسرين واهل العلم على ذلك ونقل ابن الانبارى بسنده الى ابن عباس انه وقف على لا اى هو قرة عين لى فقط ولك لا اى ليس هو لك قرة عين ثم يبتدئ بقوله تقتلوه وقال ابن عادل وهذا لا ينبغى ان يصح عنه وكيف يبقى تقتلوه من غير نون رفع ولا مقتضى لحذفها فلذلك قال الفراء هو لحن وقوله تعالى وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ جملة حالية من كلام الله تعالى اى لا شعور لهم اصلا لان من لا يكون له علم الا بالاكتساب فكيف اذا كان مطبوعا على قلبه واذا كانوا كذلك فلا شعور لهم بما يؤول اليه امرهم معه من الامور الهائلة المؤدية الى هلاك المفسدين وقيل ان ذلك من كلام امرأة فرعون كأنها لما رأت ملأه اشاروا بقتله قالت له افعل انت ما اقول لك وقومك لا يشعرون انا التقطناه + قال الكلبى ثم لما اخبر الله تعالى عن حال من لقيه اخبر عن حال من فارقه بقوله تعالى وَأَصْبَحَ اى عقب الليلة التى حصل فيها فراقه فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى اى قلبها الذى زاد احتراقه شوقا وخوفا وحزنا وهذا يدل على انها القته ليلا واختلف فى معنى قوله فَارِغًا فقال اكثر المفسرين خاليا من كل هم الا من هم موسى عليه السلام وقال الحسن اى ناسيا للوحى الذى اوحاه الله تعالى اليها حين امرها ان تلقيه فى البحر ولا تخاف ولا تحزن والعهد الذى عهده ان يرده اليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجره وثوابه وتوليت انت قتله فالقيتيه فى البحر واغرقتيه وقال الزمخشرى اى صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون طار عقلها لما

دهشها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هواء اى جوف لاعقول فيها وذلك ان
القلوب مراكز العقول الاترى الى قوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله تعالى إِنْ هي المخففة
من الثقيلة واسمها محذوف اى انها كَادَتْ اى قاربت لَتُبْدِىْ اى يقع منها الاظهار لكل
ما كان من امره مصرحة بِهٖ اى بامر موسى عليه السلام من انه ولدها وقال عكرمة عن
ابن عباس كادت تقول وا ابناه وقال مقاتل لما رأت التابوت يرفعه موج ويضعه آخر خشيت
عليه الغرق فكادت تصيح من شفقتها وقال الكلبى كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس
يقولون لموسى بعد ما شب موسى ابن فرعون فشق عليها فكادت تقول هو ابنى وقيل ان الهاء عائدة
الى الوحى اى كادت لتبدى بالوحى الذى اوحى الله تعالى اليها ان يرده عليها وجواب لَوْلَآ اَنْ رَّبَطْنَا
محذوف اى لابدت به كقوله تعالى وهمّ بها لولا ان رأى برهان ربه والمعنى لولا ان ربطنا عَلٰى قَلْبِهَا
بالعصمة والصبر والتثبت وقوله تعالى لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ متعلق بربطنا اى من المصدقين بوعد الله
تعالى وهو قوله تعالى انا رادوه اليك ثم اخبر تعالى عن فعلها فى تعرّف خبره بعد ان اخبر عن كتمها
بقوله تعالى وَقَالَتْ اى امه لِاُخْتِهٖ اى بعد ان اصبحت على تلك الحالة قد خفى عليها امره قُصِّيْهِ اى
اتبعى اثره والتمسى خبره برا وبحرا ففعلت فَبَصُرَتْ اى ابصرت بِهٖ عَنْ جُنُبٍ اى مكان بعيد
اختلاسا وَّهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ جملة حالية ومتعلق الشعور محذوف اى انها اخته وانها ترقبه بل هم فى
غاية الغفلة التى هى فى غاية البعد عن رتبة الالهية او انها تقصه او انه سيكون لهم عدوا وحزنا ثم ذكر
تعالى اخذ الاسباب فى رده بقوله تعالى وَحَرَّمْنَا اى منعنا بعظمتنا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ جمع مرضعة وهى
من تكثر الارضاع من الاجانب اى حكمنا بمنعه من الارتضاع منهن فاستعير التحريم للمنع لانه منع
فيه رحمة قال الرازى فى اللوامع تحريم منع لا تحريم شرع مِنْ قَبْلُ اى من قبل ان تامر امه
اخته بما امرتها به او قبل قصها اثره او قبل ولادته فى حكمنا وقضائنا وهو انه تعالى غير طبعه عن
لبن سائر النساء فلذلك لم يرتضع او احدث فى لبنهن طعما ينفر عنه طبعه او وضع فى لبن امه لذة
تعوّد بها فكان يكره لبن غيرها فلما رأت اخت موسى التى ارسلتها امه فى طلبه انه لا يقبل ثديا امرأة
وفى القصة ان موسى مكث ثمان ليال لا يقبل ثديا ويصيح فقالوا لها هل عندك مرضعة تدلينا عليها
لعله يقبل ثديها قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان همها من الدنيا ان تجد له مرضعة فكلما اتوه
بمرضعة لم يأخذ ثديها فذ نست اخته منه بعد نظرها له فَقَالَتْ لما رأتهم فى غاية الاهتمام برضاعه هَلْ لَّكُمْ
حاجة فى ان اَدُلُّكُمْ عَلٰٓى اَهْلِ بَيْتٍ ولم تقل على امرأة لتوسع دائرة النظر يَّكْفُلُوْنَهٗ لَكُمْ اى يأخذونه
ويتلونه ويقومون بجميع مصالحه من الرضاع وغيره لاجلكم ثم ابعدت التهمة عن نفسها
فقالت هى امرأة قتل ولدها فاحب شئ اليها ان تجد صغيرا ترضعه ثم زادتهم رغبة بقولها
وَهُمْ لَهٗ نَاصِحُوْنَ اى ثابت نصحهم له لا يغشونه نوعا من الغش قال البغوى والنصح ضد الغش وهو
تصفية العمل من شوائب الفساد قال السدى لما قالت ذلك اخذوها وقالوا قد عرفت هذا

الغلام قد ابينا على اهله فقالت ما اعرفه وقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فتخلصت منهم بذلك قال
ابن عادل وهذا يسمى عند اهل البيان الكلام الموجه ومثله لما سئل بعضهم وكان بين اقوام بعضهم يحب
عليا دون غيره وبعضهم يحب ابا بكر وبعضهم عمر وبعضهم عثمان رضي الله تعالى عنهم فقيل له ايهم
احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من كانت ابنته تحته وقيل لما تفرسوا انها عرفته
قالت انما قلت هذا رغبة في سرور الملك واتصالنا به وقيل انها لما قالت ذلك قالوا لها
من فقالت امي قالوا ولامك ابن قالت نعم هرون وكان ولد في سنة لا يقتل فيها قالوا صدقت
فائتينا بها فانطلقت الى امها فاخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبي ريح امه
قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه ريا فقالوا اقيمي عندنا فقالت لا اقدر على فراق بيتي ان
رضيتم ان اكفله في بيتي والا فلا حاجة لي به واظهرت الزهد فيه نفيا للتهمة فرضوا بذلك فرجعت به
الى بيتها فذلك قوله تعالى فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ ثم علله بقوله تعالى كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا اى تبرد وتستقر واصل
قرة العين من القر وهو البرد أي بردت ونامت بخلاف سخنت عينه يقال اقر الله تعالى عينك من
الفرح واسخنها من الحزن فلهذا قالوا دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة هذا قول الاصمعي قال ابو تمام
فاما عيون العاشقين فاسخنت + واما عيون الشامتين فقرت + وقال ابو العباس ليس كما
قال الاصمعي بل كل دمع حار فمعنى اقر الله تعالى عينك صادفت سرورا فنامت وذهب سهرها
وصادفت ما يرضيك اى بلغك الله اقصى املك حتى تقر عينك من النظر الى غيره استغناء
ورضا في بما في يديك وَلَا اى وكى لا تَحْزَنَ اى بفراقه وَلِتَعْلَمَ اى علما هو عين اليقين كما كانت عالمة به
علم اليقين وعلم شهادة كما كانت عالمة به علم غيب أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ اى الامر الذى وعدها به الذى
له الكمال كله فى حفظه وارساله حَقٌّ اى هو فى غاية الثبات فى مطابقة الواقع وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ اى اكثر آل فرعون وغيرهم لَا يَعْلَمُونَ أن وعد الله حق فيرتابون
فيه او لا يعلمون ان الله وعدها رده اليها قال الضحاك لما قبل ثديها قال هامان انك
لامه قالت لا قال فما له قبل ثديك من بين النسوة قالت ايها الملك انى امراة طيبة الريح حلوة
اللبن فما شم ريحي صبي الا اقبل على ثديي قالوا صدقت فلم يبق احد من آل فرعون الا اهدى
اليها واتحفها بالذهب والجوهر واجرى عليها اجرها قال السدى وكانوا يدفعون اليها
كل يوم دينارا فان قيل كيف حل لها ان تأخذ الاجر على ارضاع ولدها منه
أجيب بانها ما كانت تأخذه على انه اجر على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تأخذه على
الاستباحة فمكث عندها الى ان فطمته واستمر عند فرعون يأكل من مأكوله ويشرب من مائه
ويلبس من ملبوسه الى ان كمل كما قال تعالى حكاية عنه فى سورة الشعراء الم نربك فينا وليدا
ولبثت فينا من عمرك سنين وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وهو ثلاثون سنة او وثلاث كما قال مجاهد وغيره
وَاسْتَوَىٰ اى بلغ اربعين سنة كما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وقيل اعتدال فى السن

وثم استحكامه بانتهاء شبابه وهو من العمر ما بين احدى وعشرين سنة الى اثنتين واربعين آتَيْنَاهُ اى ابتداء من غير اكتساب اصلا خرقا للعادة اسوة اخوانه من الانبياء حُكْمًا اى عملا محكما بالعلم وَعِلْمًا اى فقها فى الدين تهيئة لنبوته وارصادا للرسالة وقيل المراد بالعلم علم التورية والحكم السنة قال الزمخشرى وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه قال البقاعى واختار الله تعالى هذا السن للارسال ليكون من جملة الخوارق لان به يكون ابتداء الانتكاس الذى قال الله تعالى فيه ومن نعمره اى الى اكمال سن الشباب ننكسه فى الخلق اى نوقفه فلا يزداد بعد ذلك فى قواه الظاهرة ولا الباطنة شئ ولا يوجد فيه غريزة لم تكن موجودة اصلا عشر سنين ثم يأخذ فى النقصان هذه عادة الله فى جميع بنى آدم الا الانبياء عليهم الصلوة والسلام فانهم فى مدة الوقوف يؤتون من بحار العلوم ما يقصر عن الوصف بغير اكتساب بل غريزة يغرزها الله تعالى فيهم حينئذ ويؤتون من قوة الابدان ايضا بمقدار ذلك ففى انتكاس غيرهم يكون نموهم وكذا من الحقه الله تعالى بهم من صالحى اتباعهم كما قال تعالى وَكَذَٰلِكَ اى مثل هذا الجزاء العظيم نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ اى كلهم على احسانهم ولما اخبر تعالى بتهيئته للنبوة اخبر بما هو سبب لهجرته وكانها سنة بعد ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى وَدَخَلَ اى موسى عليه السلام الْمَدِينَةَ قال السدى هى مدينة منف من ارض مصر قال مقاتل كانت قرية تدعى حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل مدينة عين شمس وقيل غير ذلك عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا وهو وقت القائلة واشتغال الناس بالقيلولة وقال محمد بن كعب القرظى دخلها فيما بين المغرب والعشاء وقيل يوم عيد لهم وهم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل واختلف فى السبب الذى من اجله دخل المدينة فى هذا الوقت قال السدى وذلك ان موسى كان يسمى ابن فرعون فكان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه فركب فرعون يوما وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب فى اثره فادركه المقيل بارض منف فدخلها نصف النهار وليس فى طرقها احد وقال ابن اسحق كان لموسى شيعة من بنى اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فخالفهم فى دينهم فاخافوه فكان لا يدخل قرية الا خائفا مستخفيا وقال ابن زيد لما علا موسى فرعون بالعصا فى صغره فاراد فرعون قتله فقالت امرأته هو صغير فترك قتله وامر باخراجه من مدينته فلم يدخل عليهم الا بعد ان كبر وبلغ اشده فَوَجَدَ فِيهَا اى المدينة رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ اى يفعلان مقدمات القتل من الملازمة من الضرب والخنق وهما اسرائيلى وقبطى ولهذا قال تعالى مجيبا لمن كان يسأل عنهما وهو ينظر اليهما هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ اى من بنى اسرائيل وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ اى من القبط قال مقاتل كانا كافرين الا ان احدهما من القبط والآخر من بنى اسرائيل لقول موسى عليه السلام انك لغوى مبين والمشهور ان الاسرائيلى كان مسلما

قيل انه السامري والقبطي طباخ فرعون فكان القبطي يسخر الاسرائيلي ليحمل الحطب الى المطبخ وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس لما بلغ موسى اشده لم يكن احد من آل فرعون يخلص الى احد من بني اسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل عزوا لمكان موسى لكونه ربيب الملك مع ان مرضعته منهم لا يظنون ان سبب ذلك الا الارضاع فَاسْتَغَاثَهُ اي طلب منه الَّذِيْ مِنْ شِيْعَتِهٖ ان يغيثه عَلَى الَّذِيْ مِنْ عَدُوِّهٖ فغضب موسى عليه السلام واشتد غضبه وقال للفرعوني خل سبيله فقال انما اخذته ليحمل الحطب الى مطبخ ابيك فنازعه فقال الفرعوني لقد هممت ان احمله عليك وكان موسى عليه السلام قد اوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة والبطش فَوَكَزَهٗ مُوْسٰى اي دفعه بجمع كفه والفرق بين الوكز واللكز ان الاول بجمع الكف والثاني باطراف الاصابع وقيل بالعكس وقيل اللكز في الصدر والوكز في الظهر فَقَضٰى اي فاوقع القضاء الذي هو القضاء على الحقيقة وهو الموت الذي لا ينجو منه مخلوق عَلَيْهِ فقتله وفرغ منه وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه وخفي هذا على الناس لما هم فيه من الغفلة فلم يشعر به احد فندم موسى عليه السلام ولم يكن قصده القتل فدفنه في الرمل قَالَ هٰذَا اي قتله مِنْ عَمَلِ الشَّيْطٰنِ اي لاني لم اؤمر به على الخصوص ولم يكن من قصدي وان كان المقتول كافرا حربيا ثم اخبر عن حال الشيطان ليحذر منه بقوله اِنَّهٗ عَدُوٌّ فينبغي الحذر منه مُّضِلٌّ لا يقود الى خير اصلا مُّبِيْنٌ اي عداوته واضلاله في غاية البيان في شيء منهما خفاء ولما لم يكن في قتله الا الندم لعدم اذن خاص قَالَ رَبِّ اي ايها المحسن الي اِنِّيْ ظَلَمْتُ نَفْسِيْ اي بالاقدام على ما لم تأمرني به بالخصوص وان كان مباحا فَاغْفِرْ اي امح هذه الهفوة عينها واثرها لِيْ اي لاجلي لا تؤاخذني فَغَفَرَ اي اوقع المحو لذلك كما سأل اكراما لَهٗ اِنَّهٗ هُوَ اي وحده الْغَفُوْرُ اي البالغ في صفة الستر لكل من يريد الرَّحِيْمُ اي العظيم الرحمة بالاحسان بالتوفيق الى الافعال المرضية لمقام الالهية ولاجل ان هذه صفته رده الى فرعون وقومه حين ارسله اليهم فلم يقدروا على مؤاخذته بذلك بقصاص ولا غيره بعد ان نجاه منهم قبل ارساله على غير قياس ثم شكر ربه على هذه النعمة التي انعم بها عليه بان قَالَ رَبِّ اي ايها المحسن الي بِمَآ اَنْعَمْتَ عَلَيَّ اي بسبب انعامك علي بالمغفرة فَلَنْ اَكُوْنَ اي ان عصمتني ظَهِيْرًا اي عونا وعشيرا وخليطا لِّلْمُجْرِمِيْنَ قال ابن عباس للكافرين وهو اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكسيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كما في مظاهرة الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم يؤمر به وهذا نحو قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فاين قول موسى وتلا هذه الاية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة واشباه

الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم وقول
ابن عباس يدل على ان الاسرائيلي الذي اعانه موسى عليه السلام كان كافرا وهو قول مقاتل وقال
قتادة ان لا اعين بعدها على خطيئة وقيل بما انعمت علي من القوة فلن استعملها الا في مظاهرة
اوليائك واهل طاعتك والايمان بك قال ابن عباس لم يستثن اي لم يقل فلن اكون ان شاء الله
تعالى فابتلي به في اليوم الثاني كما قال تعالى فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِيْنَةِ اي التي قتل القتيل فيها خَآئِفًا اي
بسبب قتله له يَتَرَقَّبُ اي ينتظر ما ينال من جهة القتيل قال البغوي والترقب انتظار المكروه
وقال الكلبي ينتظر متى يؤخذ به فَإِذَا اي ففجاه الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ اي طلب نصرة من شيعته
بِالْاَمْسِ اي اليوم الذي يلي يوم الاستصراخ يَسْتَصْرِخُهُ اي يطلب ان يزيل ما يصرخ بسببه
من الضر من قبطي اخر كان يظلمه فكانه قيل فما قال له موسى بعد ما اوقعه فيما يكره فقيل قَالَ لَهُ اي
لهذا المستصرخ مُوْسٰى اِنَّكَ لَغَوِيٌّ اي صاحب ضلال بالغ مُبِيْنٌ اي واضح الضلال غير خفيه
لكون ما وقع بالامس لم يكفك عن الخصومة لمن لا تطيقه وان كنت مظلوما ثم دنا منهما لينصره
فَلَمَّا اَنْ اَرَادَ اي شاء فان مزيدة اَنْ يَبْطِشَ اي موسى عليه السلام بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ
لَهُمَا اي لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل بان
ياخذه بعنف وسطوة لخلاص الاسرائيلي منه قال اي الاسرائيلي الغوي لاجل ما رأى من غضبه
وتكليمه له ظانا انه يريد البطش به يَا مُوْسٰى ناصا عليه باسمه تُرِيْدُ اَنْ تَقْتُلَنِيْ اي اليوم وانا من
شيعتك كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْاَمْسِ اي من شيعة اعدائنا والذي يدل على ان الاسرائيلي هو الذي قال
له هذا الكلام السياق وعليه الاكثرون لانه لا يعلم بقتل القبطي غير الاسرائيلي وقيل انما قال لموسى
الفرعوني انك لغوي مبين بظلمك وبمناسبة قوله اِنْ اي ما تُرِيْدُ اِلَّا اَنْ تَكُوْنَ جَبَّارًا اي قاهرا
عاليا فلا يليق ذلك الا بقول الكافر وان الاسرائيلي لما ظن قتله قال ذلك وقد قيل في الاسرائيلي
انه كان كافرا قال ابو حيان وشأن الجبار ان يقتل بغير حق فِي الْاَرْضِ اي التي تكون بها فلا يكون
فوقك احد وَمَا تُرِيْدُ اي تجدد ذلك ارادة اَنْ تَكُوْنَ اي كونا هو لك كالجبلة مِنَ الْمُصْلِحِيْنَ
اي العريقين في الصلاح فان المصلح بين الناس لا يصل الى القتل على هذه الصورة فلما سمع
القبطي هذا ترك الاسرائيلي وكان القبط لما قتل ذلك القبطي ظنوا في بني اسرائيل فاغروا فرعون بهم
وقالوا ان بني اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال ابغوا لي قاتله ومن يشهد عليه فان الملك و
ان كان صفوة من قومه لا يستقيم له ان يقضي بغير بينة ولا تثبت فلما قال هذا الغوي هذه المقالة
علم القبطي ان موسى عليه السلام هو الذي قتل الفرعوني فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك فامر فرعون
بقتل موسى قال ابن عباس فلما ارسل فرعون الذباحين لقتل موسى اخذوا الطريق الاعظم
وَجَآءَ رَجُلٌ اي من حبيب موسى عليه السلام واختلف في اسمه فقيل حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل شمعون
وقيل شمعان وكان ابن عم فرعون مِّنْ اَقْصَا الْمَدِيْنَةِ اي ابعدها مكانا يَسْعٰى اي يسرع

في مشيه فاخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى فاخبره وانذره حتى اخذ طريقا آخر فكانه قيل
فما قال الرجل فقيل قال مناديا لموسى تعطفا وازالة للبس يا موسى إن الملأ اي اشراف القبط الذين
في ايديهم الحل والعقد لان لهم القدرة على الامر والنهي يأتمرون بك اي يتشاورون
في شأنك ليقتلوك حتى وصل حالهم في تشاورهم الى ان كلا منهم يأمر الآخر ويأتمر بامره لانهم
سمعوا انك قتلت صاحبهم فاخرج اي من هذه المدينة ثم علل ذلك بقوله على سبيل التاكيد ليزيل
ما يطرقه من احتمال عدم القتل لكونه عزيزا عند الملك إني لك من الناصحين اي العريقين في نصحك
فخرج اي موسى عليه السلام مبادرا منها اي المدينة لما علم صدق قوله مما تحققه من القرائن حال كونه خائفا
على نفسه من آل فرعون يترقب اي يكثر الالتفات بادارة رقبته في الجهات ينظر هل يتبعه احد ثم
دعا الله تعالى بان قال رب اي ايها المحسن الي بالنجاة وغير ذلك من وجوه البر نجني اي
خلصني من القوم الظالمين اي الذين يضعون الامور في غير مواضعها فيقتلون من لا يستحق القتل
مع قوتهم فاستجاب الله تعالى دعاءه ووفقه لسلوك الطريق الاعظم نحو مدين فكان ذلك سبب
نجاته وذلك ان الذين انتدبوا اليه قطعوا بانه لا يسلك الطريق الاكبر جريا على عادة الخائفين
الهاربين وفي القصة ان فرعون لما بعث في طلبه قال اركبوا ثنيات الطريق فانبثوا فيما ظنوه يمينا
وشمالا لانفاقهم ولما توجه اي اقبل بوجهه قاصدا تلقاء اي الطريق الذي يلاقي سالكه ارض مدين
قال ابن عباس خرج وما قصد مدين ولكنه سلم نفسه الى الله تعالى ومشى من غير معرفة فهداه
الله تعالى الى مدين وقيل وقع في نفسه ان بينهم وبينه قرابة لانهم من ولد مدين بن ابراهيم وكان
من بني اسرائيل سميت البلدة باسمه فخرج ولم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على فضل الله تعالى وقيل
جاءه جبريل عليه السلام وعلمه الطريق قال ابن اسحق خرج من مصر الى مدين خائفا بلا زاد ولا ظهر
وبينهما مسيرة ثمانية ايام ولم يكن له طعام الا ورق الشجر قال عسى اي جدير وحقيق ربي اي
المحسن الي أن يهديني سواء اي اعدل ووسط السبيل اي الطريق الذي يطلعني الله تعالى عليه من
غير اعوجاج وقال ذلك قبل ان يعرف الطريق اليها قيل فلما دعا جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به الى
مدين قال المفسرون خرج موسى من مصر ولم يكن له طعام الا ورق الشجر والبقل حتى ترى خضرته
في بطنه وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو اول ابتلاء من الله تعالى لموسى
عليه السلام ولما ورد اي وصل ماء مدين وهو بئر كان يسقي منها الرعاة مواشيهم وجد عليه
اي الماء أمة اي جماعة كثيرة من الناس مختلفين يسقون اي مواشيهم ووجد من دونهم
اي في مكان سواهم اسفل من مكانهم امرأتين عبر بذلك لما جعل لهما سبحانه من المروأة
ومكارم الاخلاق كما يعلمه من حسن النظر فيما يذكر عنهما تذودان اي تحبسان وتمنعان اغنامهما
اذا فرغت من العطش الى الماء حتى يفرغ الناس ويخلو لهما البئر وقال الحسن تكفان الغنم لئلا
[illegible] اغنامهما [illegible] لئلا تختلط بالرجال فكانتا تذودان

عن وجوههما اتقاء الناظرين لتسترهما وقيل غير ذلك تركته قيل فما قال موسى لهما قيل قال لهما
رحمة لهما ما خطبكما اى ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس قالتا لا نسقى اى مواشينا وحذف
للعلم به حتى يصدر الرعاء اى يصرف ويرجع الرعاة اى عن الماء خوف الزحام فنسقى وقرأ ابو عمرو
وابن عامر بفتح الياء وضم الدال والباقون بضم الياء وكسر الدال مضارع اصدر معدى
بالهمزة تنبيه المفعول محذوف اى يصدرون مواشيهم والرعاء جمع راع مثل تاجر وتجار
اى نحن امرأتان لا يليق ان نزاحم الرجال فاذا صدروا سقينا مواشينا ما افضلت مواشيهم فى الحوض
وابونا شيخ كبير اى لا يستطيع لكبره ان يسقى فاضطررنا الى ما ترى تنبيه اختلف فى ابيهما
فقال مجاهد والضحاك والسدى والحسن ابوهما هو شعيب النبى عليه السلام وانه عاش عمرا طويلا
بعد هلاك قومه حتى ادركه موسى عليه السلام وتزوج بابنته وقال وهب وسعيد بن جبير هو يثرون
ابن اخى شعيب كان شعيب قد مات قبل ذلك بعد ما كف بصره فدفن بين المقام وزمزم وقيل رجل ممن
آمن بشعيب قالوا فلما سمع موسى قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من رأس بئر اخرى كانت بقربهما لا يطيق
رفعها الا جماعة من الناس وقال ابن اسحق ان موسى زاحم القوم ونحاهم عن رأس البئر فسقى غنم المرأتين ويروى
ان القوم لما رجعوا باغنامهم غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه الا عشرة نفر وقيل اربعون وقيل مائة فجاء
موسى ودفع الحجر وحده وسقى غنم المرأتين ويقال انه سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها
وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها فى الحوض ودعا فيه بالبركة فروى منه جميع الغنم فان قيل
كيف ساغ لنبى الله تعالى شعيب ان يرضى لابنتيه بسقى الماشية اجيب بان الناس اختلفوا فيه
هل هو شعيب او غيره واذا قلنا انه هو كما عليه الاكثر فليس ذلك بمحظور فلا يأباه الدين والناس
مختلفون فى ذلك بحسب المروءة وعاداتهم فيها متباينة واحوال العرب البدو تباين احوال العجم
والحضر لاسيما اذا دعت الى ذلك ضرورة فسقى اى موسى عليه السلام لهما والمفعول محذوف اى
غنمهما لاجل ضرورتهما انتهازا لفرصة الاجر وكرم الخلق فى مساعدة الضعيفين مع ما به من النصب
والجوع وسقوط خف القدم ولكنه رحمهما واغاثهما وكفاهما امر السقى فى مثل تلك الزحمة بقوة قلبه
وقوة ساعده وما آتاه الله تعالى من الفضل فى متانة الفطرة ورصانة الجبلة ثم تولى اى انصرف
جاعلا ظهره يلى ما كان يليه وجهه الى الظل اى ظل سمرة فجلس فى ظلها ليقيل ويستريح مقبلا
على الخالق بعد ما قضى من نصيحة الخلائق وهو جائع قال الضحاك لبث سبعة ايام لم يذق طعاما
الا بقل الارض فقال رب انى واكد الافتقار بالالتصاق باللام دون الى بقوله لما انزلت الى من خير
قليل او كثير غث او ثمين فقير اى محتاج سائل تنبيه لما انزلت متعلق بفقير قال
الزمخشرى عدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب ويحتمل انى فقير من الدنيا لاجل ما انزلت
الى من خير الدين وهو النجاة من الظالمين وليس فى الشكوى الى الغنى المطلق نقص قال ابن عباس
سأل الله تعالى فلقة خبز يقيم بها صلبه وقال الباقر لقد قالها وانه لمحتاج الى شق تمرة وقال

سعيد بن جبير عن ابن عباس لقد قال موسى ذلك وهو اكرم خلقه عليه وانه كان قد بلغ به من الضر
ان اخضر بطنه من اكل البقل وضعف حتى لصق بطنه الشريف بظهره وانما قال ذلك في نفسه مع ربه
وهو اللائق به وقيل رفع بها صوته لاسماع المرأتين وطلب الطعام وهذا لا يليق بموسى عليه السلام فانظر
الى هذا النبي عليه السلام وهو خلاصة ذلك الزمان ليكون لك في ذلك اسوة وتجعله اماما وقدوة و
تقول بما لقي الانبياء والصالحون من الضيق والاهوال في سجن الحياة الدنيا صونا لهم منها واكراما من ربهم
عنها رفعة لدرجاتهم واستهانة لها وان ظنه الجاهل المغرور على غير ذلك وفي القصة ترغيب
في الخير وحث على المعاونة على البر وبعث على بذل المعروف مع الجهد فلما رجعتا الى ابيهما سريعا
قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحيما فسقى لنا اغنامنا
فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي فجاءته احداهما تمشي ممتثلة امر ابيها وقوله تمشي حال وقوله على استحياء
حال اخرى اي مستحيية اما من جاءته واما من تمشي قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ليست
بسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن جاءت مستترة وضعت كم درعها على وجهها استحياء ثم استأنف
الاخبار بما تشوف اليه السامع بقوله تعالى قَالَتْ واكدت اعلاما بما لابيها من الرغبة
الى لقائه إِنَّ أَبِي وصورت حاله بالمضارع بقولها يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ اي يعطيك مكافأة لك لان
المكافأة من شيم الكرام أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا اي مواشينا قال ابن اسحق اسم الكبرى صفورا
والصغرى لبنى وقيل ليا وقال غيره صفرا وصفيرا وقال الضحاك صافورا وقال الاكثرون انها التي
جاءت لموسى الكبرى وقال الكلبي هي الصغرى قال الرازي وليس في القرآن دلالة على شيء من
هذه التفاصيل فان قيل في الآية اشكالات احدها كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يعمل
بقول امرأة وان يمشي معها وهي اجنبية فان ذلك يورث التهمة العظيمة وقال صلى الله عليه وسلم
اتقوا مواضع التهم وثانيها انه سقى اغنامهما تقربا الى الله تعالى فكيف يليق به اخذ الاجرة عليه
وذلك غير جائز في الشريعة وثالثها انه عرف فقرهما وفقر ابيهما وانه عليه السلام كان في نهاية القوة
بحيث يمكنه الكسب باقل سعي فكيف يليق بمروءة مثله طلب الاجرة على ذلك من الشيخ الفاني الفقير
والمرأة الفقيرة ورابعها كيف يليق بالنبي شعيب عليه السلام ان يبعث ابنته الشابة الى رجل شاب قبل العلم بكون
الرجل عفيفا او فاسقا أجيب عن الاول بان الخبر يعمل فيه بقول المرأة فان الخبر يعمل فيه بقول الواحد حرا
كان او عبدا ذكرا كان او انثى وهي ما كانت مخبرة الا عن ابيها واما المشي مع المرأة بعد الاحتياط والتورع
فلا بأس به وعن الثاني بان المرأة لما قالت ذلك لموسى عليه السلام ما ذهب اليهم طلبا للاجرة
بل للتبرك بذلك الشيخ الكبير لما روي انه لما دخل على شعيب عليه السلام اذا هو بالعشاء مهيأ فقال
اجلس يا شاب فتعش فقال موسى اعوذ بالله فقال شعيب ولم ذلك الست جائعا قال بلى ولكن
اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نطلب على عمل من اعمال الآخرة عوضا من
الدنيا وفي رواية لا نبيع ديننا بدنيانا ولا نأخذ بالمعروف ثمنا فقال له شعيب لا والله يا شاب ولكنها

عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى عليه السلام تأكل وايضا فليس بمنكر ان الجوع وقد بلغ الى حيث ما كان يطيق حمله فعل ذلك اضطرارا وهو الجواب عن الثالث فان الضرورات تبيح المحظورات وعن الرابع بان شعيبا عليه السلام كان يعلم طهارة ابنته وبراءتهما اما بوحي او بغيره فكان يأمن عليها قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقام يمشي والجارية امامه فهبت الريح فوصفت ردفها فكره موسى عليه السلام ان يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي او قال موسى اني من عنصر ابراهيم فكوني خلفي حتى لا يرفع الريح ثيابك فارى ما لا يحل وفي رواية كوني خلفي ودليني على الطريق برمي الحصا لان صوت المرأة عورة فان قيل لم خشي موسى عليه السلام ان يكون ذلك اجرة لعمله ولم يكره مع الخضر عليه السلام ذلك حين قال لو شئت لتخذت عليه اجرا اجيب بان اخذ الاجرة على الصدقة لا يجوز واما الاستيجار ابتداء فغير مكروه ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ اي موسى شعيبا ﴿وَقَصَّ﴾ اي موسى عليه السلام ﴿عَلَيْهِ﴾ اي شعيب عليه السلام ﴿الْقَصَصَ﴾ اي حديثه مع فرعون وآله في كفرهم وطغيانهم واذلالهم لعبد الله تعالى ✦ تنبيه ✦ القصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قال الضحاك قال له من انت يا عبد الله قال انا موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث ابن لاوي بن يعقوب عليه السلام وذكر له جميع امره من لدن ولادته وامر القوابل والمراضع والقذف في اليم وقتل القبطي وانهم يطلبونه ليقتلوه ثم ان شعيبا عليه السلام امنه بان ﴿قَالَ﴾ له ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ اي فان فرعون لا سلطان له بارضنا فان قيل ان المفسرين قالوا ان فرعون يوم ركب خلف موسى ركب في الف الف وستمائة الف والملك الذي هذا شانه كيف يعقل ان لا يكون في ملكه قرية على بعد ثمانية ايام اجيب بان هذا ليس بمحال وان كان نادرا ولما امنه واطمأن ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ اي المرأتين وهي التي دعته الى ابيها مشيرة بالنداء باداة البعد الى استصغارها لنفسها وجلالة ابيها ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ اي اتخذه اجيرا ليرعى اغنامنا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ اي خير من استعملت من قوي على العمل الشيء من الاشياء واداء الامانة قال ابو حيان وقولها قول حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استأجره لقوته وامانته وانما جعل خير من استأجرت اسما والقوي الامين خبرا مع ان العكس اولى لان العناية هو سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورد الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف وعن ابن عباس ان شعيبا اخذته الغيرة فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب اي خفض رأسه حين بلغته رسالة ابيها اليه وامرها بالمشي خلفه وعن ابن مسعود افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر ولما اعلمته ابنته بذلك ﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام عند ذلك ﴿إِنِّي أُرِيدُ﴾ يا موسى والتأكيد لان الغريب قلما يرغب فيه اول ما يقدم

لاسيما من الرؤساء اتم الرغبة ان انكحك احدى ابنتيّ هاتين اى الحاضرتين اللتين سقيت لهما
لينا تأملهما فينظر من يقع اختياره عليه منهما ليعقد له عليها قال اكثر المفسرين انه زوجه الصغرى
منهما وهي التي ذهبت لطلب موسى واسمها صفورا على خلاف تقدم في اسمها وقوله هاتين فيه
دليل على انه كان له غيرهما وقوله على ان تأجرني ثماني حجج اما من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته
اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرف اى ترعى غنمي ثماني حجج واما من اجرته كذا اذا اثبته اياه قاله الفراء اى
تجعل ثوابي من تزويجها اى تجعل اجري على ذلك وثوابي ثماني حجج تقول العرب اجرك الله يأجرك
اى اثابك ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم اجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه
رعية ثماني حجج فان قيل كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز اجيب بان ذلك لم يكن
عقدا ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال انكحتك ولم يقل اني اريد
ان انكحك وقد مرت الاشارة الى ذلك والحجج السنون واحدها حجة فان اتممت عشرا اى عشر
سنين وقوله فمن عندك يجوز ان يكون في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره فهي من عندك
او نصب اى فقد زدتها من عندك او تفضلت بها من عندك وليس ذلك بواجب عليك تنبيه
هذا اللفظ يدل على ان العقد وقع على اقل الاجلين والزيادة كالتبرع فالعقد وقع على معين
ودلت الاية على ان العمل قد يكون مهرا كالمال وعلى ان عقد النكاح لا يفسد بالشروط التي
لا يوجبها العقد ان كان وقع شرط هذه الزيادة في العقد ولما ذكر له ذلك اراد ان يعلمه ان الامر بعد الشرط
بينهما على المسامحة فقال وما اريد ان اشق عليك اى ادخل عليك مشقة بمناقشة ومراعاة اوقات
ولا في اتمام عشر ولا غير ذلك ثم اكد معنى المسامحة بقوله ستجدني وفتح الياء نافع عند الوصل
والباقون بسكونها ثم استثنى على قاعدة انبياء الله واوليائه في المراقبة على سبيل التبرك بقوله
ان شاء الله اى الذي له جميع الامر من الصالحين قال عمر اى في حسن الصحبة والوفاء بما قلت اى
وكل ما تريد من كل خير وقيل اراد الصلاح على العموم فان قيل كيف ينعقد العقد بهذا الشرط
ولو قلت انت طالق ان شاء الله لم تطلق اجيب بان هذا مما يختلف بالشرائع او ان ذلك ذكر للتبرك
قال اى موسى عليه السلام ذلك اى الذي ذكرته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه بيني وبينك اى
قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك تنبيه ذلك مبتدأ
والظرف خبره واضيفت بين لمفرد لانه كرر وعطفت بالواو ولو قلت المال بين زيد فعمرو لم يجز
والاصل ذلك بيننا ففرق بالعطف ثم فسر ذلك بقوله ايما اى اى الاجلين فما زائدة قضيت اى وفيت
اطولهما الذي هو العشر او اقصرهما الذي هو الثمان فلا عدوان اى اعتداء بسبب ذلك
لك ولا احد عليّ في طلب الزيادة لانه كما لا تجب الزيادة على العشر لا تجب الزيادة على الثمان
فان قيل تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو اقصر وهو المطالبة بتتمة العشر
فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا اجيب بان معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر

كان عدوانا لا شك فيه فكذلك الثمانية ان طولبت بالزيادة على الثمان اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت
مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء واما التتمة
فموكلة الى رأيي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها وكأنه اشار بنفي صيغة المبالغة الى انه لا يؤاخذ
لسعة صدره وطهارة اخلاقه بمطلق العدوان وَاللَّهُ اي الملك الاعظم عَلَىٰ مَا نَقُولُ اي كله في هذا
الوقت وغيره وَكِيلٌ قال ابن عباس ومقاتل شهيد فيما بيني وبينك وقيل حفيظ وعن سعيد بن جبير
قال سألني يهودي من اهل الحيرة اي الاجلين قضى موسى فقلت لا ادري حتى اقدم على حبر العرب
فاسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى اكثرهما وروى عن ابي ذر مرفوعا اذا سئلت اي الاجلين
قضى موسى فقل خيرهما وابرهما واذا سئلت فاي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت
يا ابت استأجره فتزوج صغراهما وقضى اوفاهما وقال وهب انكحه الكبرى وروى عن شداد بن اوس
مرفوعا بكى شعيب عليه السلام حتى عمي فرد الله تعالى عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله تعالى عليه بصره
ثم بكى حتى عمي فرد الله تعالى عليه بصره وقال له ما هذا البكاء اشوقا الى الجنة ام خوفا من النار قال
لا يا رب ولكن شوقا الى لقائك فاوحى الله تعالى اليه ان يكن ذلك فهنيئا لك يا شعيب لذلك
اخدمتك موسى كليمي ولما تم العقد بينهما امر شعيب ابنته ان تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه
واختلفوا في تلك العصا فقال عكرمة خرج بها آدم من الجنة فاخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي
بها موسى ليلا فدفعها اليه وقال آخرون كانت من آس الجنة حملها من الجنة فتوارثها الانبياء وكانت
لا يأخذها غير نبي الا اكلته فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فكانت
عصي الانبياء عليهم الصلوة والسلام عنده فاعطاها موسى وقال السدي كانت تلك العصا
استودعها اياه ملك في صورة رجل فامر ابنته ان تأتيه بعصا فدخلت فاخذت العصا فأتت بها
فلما رآها شعيب قال لها ردي هذه العصا وأتيه بغيرها فدخلت فالقتها وارادت ان تأخذ غيرها
فلا يقع في يدها الا هي حتى فعلت ذلك ثلاث مرات فاعطاها موسى فاخرجها موسى معه ثم ان الشيخ ندم
فقال كانت وديعة فذهب في اثره فطلب ان يرد العصا فابى موسى ان يعطيه وقال هي عصاي فرضيا
ان يجعلا بينهما اول رجل يلقاهما فلقيهما ملك في صورة رجل فحكم ان تطرح العصا فمن حملها فهي له فطرح
موسى العصا فعالجها الشيخ فلم يطقها فاخذها موسى بيده فرفعها فتركها له الشيخ وروى ان شعيبا
عليه السلام كان عنده عصي الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي
فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم تزل الانبياء تتوارثها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا
فضن اي بخل بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شأنا وعن الحسن ما كانت الا
عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي موسى شجرة العوسج ومنها كانت
عصاه ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها كثيرا
الا ان فيها تنينا اخشاه عليك فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها [illegible]

امر مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما
ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون
غزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شأنا فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ اى اتمه وفرغ
منه وزوجه ابنته قال مجاهد مكث بعد ذلك عند صهره عشرا اخرى فاقام عنده عشرين سنة
ثم ان شعيبا عليه السلام اراد ان يجازى موسى على رعيته اكراما له وصلة لابنته فقال له انى وهبت لك من [illegible]
التى تضعها اغنامى هذه السنة كل ابلق وبلقاء فاوحى الله تعالى الى موسى فى المنام ان اضرب بعصاك الماء
الذى فى مستقى الاغنام قال فضرب موسى بعصاه الماء ثم سقى الاغنام منه فما اخطأت واحدة منها الا وضعت
حملها ما بين ابلق وبلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله عز وجل الى موسى وامرأته فوفى له بشرطه
وسلم الاغنام اليه ثم ان موسى استأذنه فى العود الى مصر فاذن له فخرج وَسَارَ بِأَهْلِهِ اى امرأته راجعا
الى اقاربه بمصر آنَسَ اى ابصر من بعيد مِنْ جَانِبِ الطُّورِ اسم جبل نَارًا آنسه رؤيتها وكان
فى البرية فى ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ امرأته الطلق حينئذ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا اى ههنا وقرأ
حمزة فى الوصل بضم الهاء قبل همزة الوصل وعبر موسى عليه السلام بضمير المذكور فلعل كان معه
بنون فغلبهم على امرأته وقد ذكرت غير ذلك فى السورة التى قبل هذه ثم علل ذلك بقوله مؤكدا
لاستبعاد ان يكون فى ذلك المكان القفر فى ذلك الوقت الشديد البرد نار إِنِّي آنَسْتُ نَارًا فتح
الياء نافع وابن كثير وابو عمرو وسكنها الباقون كانه قيل فماذا تفعل بها فقال معبرا بالترجى
لانه اليق بالتواضع لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا اى من عندها بِخَبَرٍ اى عن الطريق لانه كان قد اخطأها
أَوْ جَذْوَةٍ اى قطعة وشعلة مِنَ النَّارِ وقال قتادة ومقاتل هو العود الذى احترق بعضه *تنبيه*
من النار صفة لجذوة ولا يجوز تعلقها بآتيكم كما تعلق به منها لان هذه النار هى النار المذكورة
والعرب اذا قدمت نكرة واردت اعادتها اعادتها مضمرة او معرفة بال العهدية وقد
جمع الامرين هنا وقرأ عاصم بفتح الجيم وحمزة بضمها والباقون بالكسر وكلها لغات وجمعها
جذى ثم استأنف قوله لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ اى لتكونوا على رجاء من ان تقربوا من النار فتعطفوا عليها
للدفء وهذا دليل على ان الوقت كان شتاء فَلَمَّا أَتَاهَا اى النار وبنى نُودِيَ للمفعول لان آخر
الكلام يدل دلالة واضحة على ان المنادى هو الله تعالى ولما كان نداؤه تعالى لا يشبه نداء غيره
بل يكون من جميع الجوانب ومع ذلك قد يكون لبعض المواضع مزيد شرف بوصف من الاوصاف
اما بان يكون اول السماع منه او غير ذلك او يكون باعتبار موسى عليه السلام قال مِنْ شَاطِئِ
الْوَادِ من لابتداء الغاية وقوله تعالى الْأَيْمَنِ صفة للشاطئ او للوادى والايمن من اليمن وهو
البركة او من اليمين المقابل لليسار من العضوين ومعناه على هذا بالنسبة الى موسى اى الذى
يلى يمينك دون يسارك والشاطئ ضفة الوادى والنهر اى حافته وطرفه وكذا الشط والسيف
[illegible] قاله الراغب شاطأت فلانا ماشيته سار بها على الشاطئ

وقوله تعالى فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ متعلق بنودي او بمحذوف على انه حال من الشاطئ ومعنى المباركة
جعلها الله تعالى مباركة لان الله تعالى كلم موسى عليه السلام هناك وبعثه نبيا وقال عطاء يريد المقدسة
وقوله تعالى مِنَ الشَّجَرَةِ بدل من شاطئ الوادي باعادة الجار بدل اشتمال لان الشجرة كانت ثابتة
على الشاطئ قال البقاعي ولعل الشجرة كانت كبيرة فلما وصل اليها دخل النور من طرفها الى وسطها
فدخلها وراءه بحيث توسطها فسمع وهو فيها الكلام من الله تعالى حقيقة وهو المتكلم سبحانه وتعالى
لا الشجرة قال القشيري وحصل الاجماع على انه عليه السلام سمع تلك الليلة كلام الله تعالى ولو كان
ذلك نداء الشجرة لكان المتكلم الشجرة وقال التفتازاني في شرح المقاصد ان اختيار حجة الاسلام
انه سمع كلامه الازلي بلا صوت ولا حرف كما ترى ذاته في الآخرة بلا كم ولا كيف واختلف
في الشجرة ما هي فقال ابن مسعود كانت سمرة خضراء وقال قتادة ومقاتل والكلبي كانت عوسجة
وقال وهب من العليق وعن ابن عباس انها العناب ثم ذكر المنادى به بقوله تعالى أَنْ يَا مُوسَى
فان هي مفسرة لا مخففة إِنِّي أَنَا اللَّهُ اي المستجمع للاسماء الحسنى والصفات العليا وفتح الياء نافع
وابن كثير وابو عمرو وسكنها الباقون ثم وصف نفسه سبحانه تعالى بقوله رَبُّ الْعَالَمِينَ اي خالق
الخلائق اجمعين ومربيهم قال البيضاوي هذا وان خالف ما في طه والنمل في اللفظ فهو طبقه
في المقصود انتهى قال ابن عادل واعلم انه تعالى قال في سورة النمل نودي ان بورك من في النار
ومن حولها وقال هنا اني انا الله رب العالمين وقال في سورة طه اني انا ربك ولا منافاة بين
هذه الاشياء فهو تعالى ذكر الكل الا انه تعالى حكى في كل سورة ما اشتمل عليه ذلك النداء ثم ان الله
تعالى امره ان يلقي عصاه ليريه آية بقوله تعالى وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ اي لاريك فيها آية فالقاها فصارت
في الحال حية عظيمة وهي مع عظمها في غاية الخفة فَلَمَّا رَآهَا اي العصا تَهْتَزُّ اي تتحرك كَأَنَّهَا في
سرعتها وخفتها جَانٌّ اي حية صغيرة وَلَّى مُدْبِرًا خوفا منها ولم يلتفت الى جهتها وهو معنى قوله تعالى
وَلَمْ يُعَقِّبْ اي موسى عليه السلام وذلك كناية عن شدة التصميم على الهرب والاسراع فيه خوفا
من الادراك في الطلب فقيل له يَا مُوسَى أَقْبِلْ اي التفت وتقدم اليها وَلَا تَخَفْ ثم اكد له الامر لما الآدمي
مجبول عليه من النفرة وان اعتقد صحة الخبر بقوله تعالى إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ اي العريقين
في الامن كعادة اخوانك من المرسلين فانه لا يخاف لدي المرسلون ثم زاد طمأنينته بقوله تعالى
اسْلُكْ اي ادخل على الاستقامة مع الخفة والرشاقة يَدَكَ فِي جَيْبِكَ اي القطع الذي في ثوبك و
هو الذي يخرج منه الرأس او هو الكم كما يدخل السلك وهو الخيط الذي ينظم فيه الدر تَخْرُجْ بَيْضَاءَ
بياضا عظيما يكون له شان خارق للعادات مِنْ غَيْرِ سُوءٍ اي عيب من اثر الحريق الذي عجز
فرعون عن مداواته او غيره فخرجت ولها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر + تنبيه + قد
ذكر هذا المعنى بثلاث عبارات احدها هذه وثانيها واضمم يدك الى جناحك وثالثها
وادخل يدك في جيبك وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ اي يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية

كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالها فى الجيب فيكون تكرير
الغرض آخر وهو ان يكون ذلك فى وجه العدو فاظهر جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان
يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر لانه اذا خاف
نشر جناحيه وارخاهما واذا امن واطمأن ضمهما اليه ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز ان كاتباله
كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر
خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فانى ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من
نفسى ومعنى قوله تعالى مِنَ الرَّهْبِ من اجل الرهب اى اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية
فاضمم اليك جناحك تجلدا وضبطا لنفسك جعل الرهب الذى كان يصيبه سببا وعلة فيما امر به
من ضم جناحه اليه وقال الفراء اراد بالجناح العصا ومعناه اضمم اليك عصاك قال البغوى وقيل الرهب
الكم بلغة حمير قال الاصمعى سمعت بعض الاعراب يقول اعطنى ما فى رهبك اى فى كمك ومعناه اضمم
اليك يدك واخرجها من الكم لانه تناول العصا ويده فى كمه انتهى قال الزمخشرى معترضا هذا
القول ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطنى ما فى رهبك وليت شعرى
كيف صحته فى اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات الذين ترضى عربيتهم ثم ليت شعرى كيف
موقعه فى الاية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى عليه السلام ما كان عليه
ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمين لها انتهى ويحتمل ان يكون لها كم قصير فمن نفى نظر
الى قصره ومن اثبت نظر الى اصله وحينئذ لا تعارض وفى البغوى عن ابن عباس ان الله تعالى
امره ان يضم يده الى صدره ليذهب عنه الروع وما ناله من الخوف عند معاينة الحية وقال
وما من خائف بعد موسى عليه السلام الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقال مجاهد وكل
من فزع فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الراء والهاء وحفص بفتح
الراء وسكون الهاء والباقون بضم الراء وسكون الهاء والكل لغات ولما تم كونه اية بانقلابها الى
البياض ثم رجوعها الى لونها قال الله تعالى فَذَانِكَ اى العصا واليد البيضاء وشدد ابن كثير وابو عمرو
النون وخففها الباقون بُرْهَانَانِ اى سلطانان وحجتان قاهرتان مرسلان مِنْ رَبِّكَ اى المحسن
اليك لا يقدر على مثلها غيره إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ اى وانت مرسل بهما اليهم كلما اردت ذلك وجدته
لانهما يكونان لك هنا فى هذه الحضرة فقط فان قيل لم سميت الحجة برهانا اجيب بان ذلك
لبياضها وانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون
قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت
لانارتها ثم علل الارسال اليهم على وجه اظهار الآيات لهم واستمرارها بقوله إِنَّهُمْ كَانُوا
اى جبلة وطبعا قَوْمًا اى اقوياء فَاسِقِينَ اى خارجين عن الطاعة فكانوا احقاء ان يرسل
اليهم ولما قال تعالى فذانك برهانان الى آخره تضمن ذلك ان يذهب موسى بهذين البرهانين الى

فرعون وقومه فعند ذلك طلب من يعينه بان قال ربّ اى ايها المحسن الىّ انّى قتلت منهم نفسًا هو
القبطى السابق وانت تعلم انى ما خرجت الا هاربا منهم لاجلها فاخاف ان بدأتهم بمثل ذلك ان
يقتلون به لوحدتى وغربتى وثقل لسانى فى اقامة الحجج فاخاف ان يفوت المقصود بقتلى ولا يجىء
من ذلك الا انت وان لسانى فيه عقدة واخى هرون هو افصح منى لسانا اى من جهة البيان للعقدة
التى كانت حصلت له من وضع الجمرة فى فيه وهو طفل فى كفالة فرعون وقيل كانت من اصل الخلقة
والفصاحة لغة الخلوص ومنه فصح اللبن خلص من رغوته وفصح الرجل جادت لغته وافصح تكلم
بالعربية فارسله اى بسبب ذلك معى ردءًا اى معينا من ردأت فلانا بكذا اى جعلته له قوة
وعاضدا وردأت الحائط اذا دعمته بخشب او كبش يدفعه ان يسقط وقرأ نافع بنقل حركة
الهمزة الى الدال وحذف الهمزة والباقون بسكون الدال وتنوين الهمزة بعدها ولما كان له
عليه من العطف والشفقة ما يقصر لو صمت عنه نبه على ذلك باجابة السؤال بقوله يصدقنى اى بان
يخلص بفصاحته ما قلته ويبينه ويقيم الادلة عليه حتى يصير كالشمس وضوحا فيكون مع تصديقه لى بنفسه
سببا فى تصديق غيره لى وقرأ عاصم وحمزة بضم القاف على الاستئناف او الصفة لردءًا والباقون
بالسكون جوابا للامر قال الرازى ليس الغرض بتصديق هرون ان يقول له صدقت ويقول للناس
صدق موسى وانما هو ان يلخص بلسان الفصيح وجوه الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل به
الكفار فهذا هو التصديق المفيد وفائدة الفصاحة انما تظهر فى ذلك لا فى مجرد قوله صدقت قال
السدى نبيان وايتان اقوى من نبى واحد واية واحدة وهذا ظاهر من جهة العادة واما من جهة
الدلالة فلا فرق بين معجز ومعجزين ثم علل سؤاله هذا بقوله انّى اخاف ان يكذبون اى فرعون
وقومه ولسانى لا يطاوعنى عند المحاجة قال الله تعالى له مجيبا لسؤاله سنشد عضدك اى امرك
باخيك اى سنقويك ونعينك به ونجعل لكما سلطانا اى ظهورا عظيما وغلبة لهم بالحجج والهيبة
لاجل ما ذكرت من الخوف فلا اى فتسبب عن ذلك انهم لا يصلون اليكما بشىء من انواع الغلبة
باياتنا اى نجعل ذلك بسبب ما نظهر على ايديكما من الايات العظيمة بنسبتها الينا ولذلك
كانت النتيجة انتما ومن اتبعكما من قومكما وغيرهم الغالبون اى لا غيركم وهذه
يدل على انّ فرعون لم يصل الى السحرة بشىء مما هددهم به لانهم من اكبر الاتباع الباذلين
انفسهم فى الله تعالى وليس فى القران ما يدل على انه فعل بهم ما اوعدهم به قال البقاعى وكانه
حذف امرهم هنا لانه فى بيان امر فرعون وجنوده بدليل ما كرر من ذكرهم وقد كشفت العاقبة
عن ان السحرة ليسوا من جنوده بل من حزب الله تعالى وجنده ومع ذلك فقد اشار اليهم بهذه
الاية والتى بعدها اهـ ولما كان التقدير فاتاهم كما امره الله تعالى وعاضده اخوه كما اخبر الله تعالى
ودعاهم الى الله تعالى واظهر ما امر به من الايات بنى عليه مبينا بالفاء سرعة امتثاله فلما جاءهم
اى فرعون وقومه ولما كانت رسالة هرون عليه السلام انما هى تاييد لموسى عليه السلام اشار

الى ذلك بالتصريح باسم الجاني بقوله تعالى موسى بآياتنا اى التى امرناه بها الدالة على جميع الآيات
المتساوى فى خرق العادة حال كونها بينات اى فى غاية الوضوح قالوا اى فرعون وقومه ما هذا
اى الذى اظهرته من الآيات الا سحر مفترى اى مختلق لانه معجزة من عند الله ثم ضموا اليه
ما يدل على جهلهم وهو قولهم وما سمعنا بهذا اى الذى تدعونا اليه وتقوله
من الرسالة عن الله تعالى فى آبائنا واشاروا الى البدعة التى اضلت كثيرا من الخلق وهى
تحكيم عوائد التقليد لاسيما عند تقادم عهدها على القواطع فى قولهم الاولين وقد كذبوا وافتروا
لقد سمعوا بذلك على ايام يوسف عليه السلام + وما بالعهد من قدم + فقد قال لهم الذى آمن
يا قوم انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب الى قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فلما كذبوه
وهم الكاذبون قال لهم موسى ربى اى المحسن الى اعلم اى عالم بمن جاء بالهدى اى الذى اذن الله
تعالى فيه وهو حق فى نفسه من عنده فينسبه الى الحق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير بغير واو قبل
القاف لانه قاله جوابا لمقالتهم والباقون بالواو لان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما
ليميز صحيحهما من فاسدهما ومن تكون له اى لكونه منصورا مؤيدا عاقبة الدار
اى الراحة والسكن والاستقرار فان قيل العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان تسميا
عاقبة الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها بخير او بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية
دون خاتمتها بالشر اجيب بان الله تعالى قد وضع الدنيا مجازا الى الآخرة واراد بعباده ان لا يعملوا
فيها الا الخير وما خلقهم الا لاجله ليبلغوا خاتمة الخير واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من
نتائج تحريف الفجار وقرأ حمزة والكسائى بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التانيث ثم علل ذلك
بما اجرى الله تعالى به عادته فقال معلما بان المخذول هو الكاذب اشارة الى انه الغالب لكون
الله تعالى معه مؤكدا لما استقر فى الانفس من ان القوى لا يغلبه الضعيف انه لا يفلح اى لا يظفر
ولا يفوز الظالمون اى الكافرون الذين يمشون كما يمشى من هو فى الظلام بغير دليل وقال فرعون
جوابا لهذا الترغيب والترهيب يا ايها الملأ اى الاشراف معظما لهم استجلابا
لقلوبهم ما علمت لكم من اله غيرى فتضمن كلامه نفى الهية غيره واثبات
الهية نفسه فكانه قال ما لكم من اله الا انا كما قال الله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات
ولا فى الارض اى بما ليس فيهن وذلك ان العلم تابع للموجود لا يتعلق به الا على ما هو
عليه فاذا كان الشئ معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده انتفاء لوجوده
فعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره وان الها غيره معلوم عنده
ولكنه مظنون بدليل قوله وانى لاظنه من الكاذبين واذا ظنه كاذبا فى اثباته الها غيره ولم يعلمه
كاذبا فقد ظن ان فى الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول
موسى لقول موسى عليه السلام له لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر

ثم تسبب عن جهله قوله لوزيره معلما له صنعة الآجر لانه اول من عمله قال عمر رضى الله تعالى عنه حين
سافر الى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر ما علمت ان احدا بنى بالآجر غير فرعون فَأَوْقِدْ لِي
اضاف الايقاد اليه اعلاما بانه لابد منه يَا هَامَانُ وهو وزيره عَلَى الطِّينِ اى المتخذ لبنا ليصير
آجرا ثم تسبب عن الايقاد قوله فَاجْعَلْ لِي اى منه صَرْحًا اى قصرا عاليا وقيل منارة وقال الزجاج هو
كل بناء متسع مرتفع لَعَلِّي أَطَّلِعُ اى اتكلف الطلوع إِلَى إِلَٰهِ مُوسَىٰ اى الذى يدعو اليه فانه ليس
فى الارض احد بهذا الوصف الذى ذكره فانا اطلبه فى السماء موهما لهم انه مما يمكن الوصول اليه
وهو قاطع بخلاف ذلك لكنه يقصد المدافعة من وقت الى وقت قال اهل السير لما امر فرعون
وزيره هامان ببناء الصرح جمع العمال والفعلة حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء
ومن يطبخ الآجر والجص وينجر الخشب ويضرب المسامير فرفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه
بنيان احد من الخلق اراد الله تعالى ان يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه فامر بنشابة فضرب بها
نحو السماء فردت اليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعد على البراذين
فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب الصرح بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقع منها قطعة على
عسكر فرعون فقتلت منهم الف الف رجل ووقعت قطعة فى البحر وقطعة فى المغرب ولم يبق احد
ممن عمل فيه بشئ الا هلك ثم زادهم شكا بقوله موكدا لاجل دفع ما استقر فى الانفس من صدق
موسى عليه السلام وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ اى موسى عليه السلام مِنَ الْكَاذِبِينَ اى دابه ذلك فرعون هو الذى
تدليس وكذب ووصف اصدق اهل ذلك الزمان بصفة نفسه العريقة فى العدوان وَاسْتَكْبَرَ
اى اوجد الكبر بغاية الرغبة فيه هُوَ بقوله هذا الذى صدهم به عن السبيل وَجُنُودُهُ باعراضهم اثر
بغيتهم فى الكبر على الحق والاتباع للباطل فِي الْأَرْضِ اى ارض مصر قال البقاعى ولعل تعريفها
اشارة الى انه لو قدر على ذلك فى غيرها فعل بِغَيْرِ الْحَقِّ اى بغير استحقاق قال البقاعى
والتعبير بالتعريف يدل على ان التعظيم بنوع من الحق ليس بكبر وان كانت صورته كذلك
واما تكبره سبحانه فهو بالحق كله قال صلى الله عليه وسلم فيما حكاه عن ربه الكبرياء ردائى
والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما القيته فى النار وَظَنُّوا اى فرعون وجنوده ظنا بنوا عليه اعتقادهم
فى اصل الدين الذى لا يكون الا بقاطع أَنَّهُمْ إِلَيْنَا اى الى حكمنا خاصة الذى يظهر عند انقطاع الاسباب
لَا يُرْجَعُونَ بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائى بفتح الياء وكسر الجيم والباقون بضم الياء وفتح الجيم + ولما
تسبب عن ظنهم هذا اهلاكهم قال تعالى فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ كلهم اخذ قهر ونقمة وذلك علينا هين
واشار تعالى الى احتقارهم بقوله تعالى فَنَبَذْنَاهُمْ اى طرحناهم فِي الْيَمِّ اى البحر المالح فغرقوا فكانوا على
كثرتهم وقوتهم كحصيات صغار قذفها الرامى الشديد الذراع من يده فى البحر ونحو ذلك
قوله تعالى والقينا فيها رواسى شامخات وقوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة
+ ولما تسبب عن هذه الآيات من العلوم ما لا يحيط به الفهوم قال تعالى فَانْظُرْ ايها

المعتبر بالآيات الناظر فيها نظر اعتبار كيف كان عاقبة اي آخر امر الظالمين حيث صاروا
الى الهلاك فحذر قومك عن مثلها وفي هذا اشارة الى ان كل ظالم تكون عاقبته هكذا ان صابره
المظلوم بالحق ورابطه حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين. ولما كان من سن سنة حسنة كان له
اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من
عمل بها الى يوم القيامة قال الله تعالى وجعلناهم اي في الدنيا ائمة اي قدوة
للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او
بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون اي يوجدون الدعاء لمن اغتر بحالهم فضل بضلالهم
الى النار اي الى موجباتها من الكفر والمعاصي واما ائمة الحق فانما يدعون الى موجبات الجنة من فعل
الطاعات ونهي عن المنكرات جعلنا الله تعالى منهم بمحمد وآله. ولما كان الغالب من
حال الائمة النصرة وقد اخبر عن خذلانهم في الدنيا قال تعالى ويوم القيامة اي الذي هو يوم
التغابن لا ينصرون اي لا يكون لهم نوع نصرة بدفع العذاب عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي
طردا عن الرحمة ودعاء عليهم بذلك من كل من سمع خبرهم بالمماثلة لهم او بفعله الذي يكون عليهم
مثل وزره ان وافقهم وانما قال الله تعالى الدنيا ولم يقل الحياة قال البقاعي لان السياق لتحقير
امرهم ودناءة شأنهم ويوم القيامة هم اي خاصة دون من شاكلهم من المقبوحين اي المبعدين
ايضا المخزيين مع قبح الوجوه والاشكال والشناعة في الاقوال والافعال والاحوال من القبح الذي
هو ضد الحسن من قولهم قبح الله العدو اي ابعده عن كل خير قال ابو عبيدة من المهلكين
قال البقاعي فيا ليت شعري اي صراحة بعد هذا في ان فرعون عدو الله في الآخرة كما
كان عدو الله في الدنيا فلعنة الله على من يقول انه مات مؤمنا وانه لا صراحة في القرآن بانه من
اهل النار وعلى من يشك في كفره بعد ما ارتكبه من جلي امره انتهى وقد قدمنا الكلام في سورة
يونس على قول فرعون وانا من المسلمين. ثم انه تعالى اخبر عن اساس امامة بني اسرائيل مقسما عليه
مع الافتتاح بحرف التوقع بقوله ولقد آتينا اي بما لنا من الجلال والكمال موسى الكتاب اي التوراة
الجامعة للهدى والخير في الدارين قال ابو حيان وهو اول كتاب نزلت فيه الفرائض والاحكام
من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اي من قوم نوح الى قوم فرعون وقوله تعالى بصائر للناس حال من
الكتاب جمع بصيرة وهي نور القلب اي انوار القلوب فتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل كما
ان البصر نور العين الذي تبصر به وهدى اي للعامل بها الى كل خير ورحمة اي نعمة هنيئة شريفة
لانها قائدة اليها لمن تمسك بها لما كان حالهم بعد انزالها فقوله تعالى لعلهم يتذكرون اي ليكون
حالهم حال من يرجى تذكره. ثم ان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
وما كنت اي يا افضل الخلق بجانب الغربي قال قتادة بجانب الجبل الغربي وقال الكلبي بجانب
الوادي الغربي اي الوادي من الطور الذي رأى موسى عليه السلام فيه النار وهو بالبحر

من جهة الغرب على يمين المتوجه الى ناحية مكة المشرفة من ناحية مصر فناداه فيه العزيز الجبار وهو ذو طوى ‌‌﴿إِذْ﴾ اى حين ﴿قَضَيْنَا﴾ اى اوحينا ﴿إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ اى امر الرسالة الى فرعون وقومه وما يريد ان يفعل من ذلك فى اوله واثنائه واخره مجملا فكان كل ما اخبرنا به مطابقا تفصيله لاجماله ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ اى بوجه من الوجوه ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لتفاصيل ذلك الامر الذى اجملناه لموسى عليه السلام حتى تخبر به كله على هذا الوجه الذى اتيناك به فى هذه الاساليب المعجزة ولا شك ان معرفتك لذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التى لا تعرف الا بالوحى لذلك استدرك عنه بقوله تعالى ﴿وَلَكِنَّا﴾ اى بما لنا من العظمة ﴿أَنْشَأْنَا﴾ بعد ما اهلكنا اهل ذلك الزمان الذين علموا هذه الامور بالمشاهدة وهم السبعون المختارون للميقات او بالاخبار كلهم ﴿قُرُونًا﴾ اى امما كثيرة بعد موسى عليه السلام ﴿فَتَطَاوَلَ﴾ اى بمروره وعلوه ﴿عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ اى ولكنا اوحينا اليك انا انشأنا قرونا مختلفة بعد موسى عليه السلام فتطاولت عليهم المدد فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحى فحذف المستدرك وهو اوحينا واقام سببه وهو الانشاء مقامه على عادة الله تعالى فى اختصاراته فهذا الاستدراك شبيه بالاستدراكين بعده فان قيل ما الفائدة فى اعادة قوله تعالى وما كنت من الشاهدين بعد قوله وما كنت بجانب الغربى لانه ثبت بذلك انه لم يكن شاهدا لان الشاهد لا بد ان يكون حاضرا اجيب بان ابن عباس قال التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ما شاهدت تلك الوقائع فانه يجوز ان يكون هناك ولا يشهد ولا يرى وقرأ ابو عمرو فى الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائى بضم الهاء والميم وحمزة فى الوقف بضم الهاء وسكون الميم والباقون فى الوصل بكسر الهاء وضم الميم ولما نفى العلم عن ذلك بطريق الشهود نفى سبب العلم بذلك بقوله تعالى ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾ اى مقيما اقامة طويلة مع الملازمة ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ اى قوم شعيب عليه السلام كمقام موسى وشعيب فيهم ﴿تَتْلُو﴾ اى تقرأ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ تعلما منهم ﴿آيَاتِنَا﴾ العظيمة التى منها قصتهما لتكون ممن يتهم بامور الوحى ويتعرف دقيق اخباره فيكون خبرهم وخبر موسى عليه السلام معك ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ اياك رسولا وانزلنا عليك كتابا فيه هذه الاخبار تتلوها عليهم ولولا ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ﴾ اى بناحية الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام ﴿إِذْ﴾ اى حين ﴿نَادَيْنَا﴾ اى اوقعنا النداء لموسى عليه السلام فاعطيناه التوراة واخبرناه بما لا يمكن الاطلاع عليه الا من قبلنا او من قبله ومن المشهور انك لم تطلع على شئ من ذلك من قبله لانك ما خالطت احدا ممن حمل تلك الاخبار عن موسى عليه السلام ولا احدا حملها ممن حملها عنه فالكشف لك اليك منا وهو معنى قوله تعالى ﴿وَلَكِنْ﴾ اى انزلنا ما اردنا وارسلناك به ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ لك خصوصا وللخلق عموما وقيل اذ نادينا موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يا رب ارنى محمدا قال انك لن تصل الى ذلك وان شئت ناديت امته واسمعتك صوتهم قال بلى يا رب فقال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب ابائهم وقال ابو زرعة نادى يا امة محمد قد اجبتكم قبل ان تدعونى واعطيتكم قبل ان تسألونى

وروى عن ابن عباس ورفعه بعضهم قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب الآباء وارحام
الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد لله والنعمة لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا امة محمد
ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي عقابي قد اعطيتكم قبل ان تسألوني وقد اجبتكم من قبل ان تدعوني
وقد غفرت لكم من قبل ان تستغفروني من جاء يوم القيامة بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبدي
ورسولي دخل الجنة وان كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر + تنبيه + قال البيضاوي لعل المراد به اي بقوله
تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا وقت ما اعطاه التوراة وبالاول اي قوله تعالى وما كنت بجانب
الغربي اذ قضينا حيث استنبأه لانهما المذكوران في القصة وقوله تعالى لتنذر اي لتحذر تحذيرا كثيرا
قوما اي اهل قوة ونجدة لا ليس بهم عائق عن اعمال الخير العظيمة الا الاعراض عنك وهم العرب
ومن في ذلك الزمان من الخلق يتعلق بالفعل المحذوف ما اتاهم وهم الذين بزيادة الجار
في قوله تعالى من نذير زيادة الجار في قوله تعالى من قبلك يدل على الزمن القريب وهو
زمن الفترة بينه وبين عيسى عليهما الصلاة والسلام وهو خمسمائة وخمسون سنة ونحوه هذا قوله
تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم وقيل ليس المراد زمن الفترة بل ما بينه وبين اسمعيل عليهما السلام
على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل وما حولهم لعلهم يتذكرون
اي يتعظون ولولا ان تصيبهم اي في وقت من الاوقات مصيبة اي عظيمة بما قدمت ايديهم
اي من المعاصي التي قضينا بانها مما لا يعفى عنها فيقولوا ربنا اي ايها المحسن الينا لولا اي
هلا ولم لا ارسلت الينا اي على وجه التشريف لنا لنكون على علم بانا ممن يعتني الملك الاعلى به
رسولا ولما بها التحضيض الذي شبهوه بالامر ليكون كل منهما باعثا على الفعل بقوله تعالى
فنتبع اي فيتسبب عن ارسال رسولك ان نتبع اياتك ونكون اي كونا هو في غاية الرسوخ من المؤمنين
اي المصدقين لك في كل ما اتى به عنك رسولك + تنبيه + لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف
تقديره كما قال الزجاج ما ارسلنا اليهم رسولا يعني ان الحامل على ارسال الرسل ازاحة عللهم
بهذا القول فهو كقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والثانية تحضيضية وفنتبع جوابها
كما مر فلذلك اضمر فان قيل كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال
لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه اجيب بان القول هو المقصود بان يكون سببا
للارسال ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة
كانها سبب للارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية
معنى السببية ويؤل معناه الى قولك لولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اختيرت
هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقيني
ببطلان دينهم لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا بل انما يقولون اذا نالهم العقاب وانما
السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم عز وجل

وفى هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى وهو كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه ولما كان التقدير ولكنا ارسلناك بالحق لقطع حجتهم هذا بنى عليه فلما جاءهم
اى اهل مكة الحق اى الذى هو اعم من الكتاب والسنة وما يقاس عليهما وهو فى نفسه جدير
بان يقبل لكونه فى الذروة العليا من الثبات فكيف وهو من عندنا على ما لنا من العظمة وهو على
لسانك وانت اعظم الخلق قالوا اى اهل الدعوة من العرب وغيرهم تعنتا وكفرا به لولا اى
هلا ولم لا اوتى اى هذا الآتى بما يزعم انه الحق من الآيات مثل ما اوتى موسى من الآيات كاليد
البيضاء والعصا وغيرهما من كون الكتاب انزل عليه جملة واحدة قال الله تعالى اولم يكفروا
اى العرب ومن بلغته الدعوة من بنى اسرائيل ومن كان مثلهم فى البشرية والعقل فى زمن موسى
بما اوتى موسى عليه السلام من قبل اى من قبل مجئ الحق على لسان محمد صلى الله عليه وسلم
+ ولما كان كانه قد قيل ما كان كفرهم به قيل قالوا اى فرعون وقومه ومن كفر من بنى اسرائيل
سحران اى موسى واخوه عليهما السلام تظاهرا اى اعان كل منهما صاحبه على سحره حتى صار
سحرهما معجزا فغلبا جميع السحرة وتظاهر الساحرين من تظاهر السحرين على قراءة الكوفيين بكسر
السين وسكون الحاء وقرأ الباقون بفتح السين وكسر الحاء والف بينهما + تنبيه + يجوز ان يكون
الضمير لمحمد وموسى عليهما الصلوة والسلام قال البقاعى وهو اقرب وذلك لانه روى
ان قريشا بعثت الى اليهود فسألوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم ان نعته فى كتابهم
فقالوا هذه المقالة فيكون الكلام استئنافا جواب من كانه قال ما كان كفرهم بما قيل قالوا
اى العرب الاجلاف ساحران او الكتابان ساحران ظاهر احدهما الآخر مع علم كل ذى لب ان هذا
القول زيف لانه لو كان شرط اعجاز السحر التظاهر لكان سحر فرعون معجزا لانه تظاهر عليه جميع
سحرة بلاد مصر وعجزوا عن معارضة ما اظهر موسى عليه السلام من آياته كالعصا واما محمد صلى الله عليه
وسلم فقد دعا اهل الارض من الجن والانس الى معارضة كتابه واخبرهم انهم عاجزون ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا فعجزوا عن آخرهم + ولما تضمن قولهم ذلك الكفر صرحوا به وقالوا اى
كفار قريش انا بكل اى من الساحرين او السحرين الذين تظاهرا بهما وهما ما اتيا به من عند الله
كافرون جرأة على الله تعالى وتكبرا على الحق ثم قال الله تعالى
قل اى لهم الزاما ان كنتم صادقين فى انى ساحر وكتابى سحر وكذلك
موسى عليه السلام فأتوا بكتاب من عند الله اى الملك العلى الاعلى هو اى
الذى تاتون به اهدى منهما اى من الكتابين وقوله اتبعه اى واتركهما
جواب الامر وهو فأتوا ان كنتم اى ايها الكفار صادقين اى فى انا ساحران فأتوا بما
الزمتكم به قال البيضاوى وهذا من الشروط التى يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجئ
حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك اى دعاءك الى الكتاب الاهدى فحذف المفعول

للعلم به ولان فعل الاستجابة يتعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدى اليه حذف
الدعاء غالبا كقول القائل ؎ وداع اى ورب داع دعا يا من يجيب الى الندا ÷ فلم يستجبه عند
ذاك مجيب الشاهد فى يستجبه حيث عداه الى الداعي وحذف الدعاء والتقدير فلم يستجب دعاءه
فَاعْلَمْ انت أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ اى بغاية جهدهم فيما هم عليه من الكفر والتكذيب أَهْوَاءَهُمْ
اى دائما واكثر الهوى مخالف للهدى فهم ضالون غير مهتدين بل هم اضل الناس وذلك
معنى قوله تعالى وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ اى بغاية جهده هَوَاهُ اى لا احد اضل منه فهو
استفهام بمعنى النفي وقوله تعالى بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ فى موضع الحال للتوكيد والتقييد
فان هوى النفس قد يوافق الهدى إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ع اى وان كانوا اقوى
الناس لاتباعهم اهواءهم وَلَقَدْ وَصَّلْنَا قال ابن عباس بينا وقال الفراء انزلنا آيات القرآن
يتبع بعضها بعضا لَهُمُ اى خاصة فكان تخصيصهم بذلك منة عظيمة يجب عليهم شكرها
الْقَوْلَ اى القرآن قال مقاتل بينا لكفار مكة بما فى القرآن من اخبار الامم الخالية كيف
عذبوا بتكذيبهم وقال ابن زيد وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كانهم عاينوا الآخرة
فى الدنيا لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ اى ليكون حالهم حال من يرجى لهم ان يرجعوا الى عقولهم فيجدوا
فيما طبع فيها ما يذكرهم بالحق ثم كانه قيل هل تذكر منهم احد قيل نعم اهل الكتاب الذين هم
اهله حقا تذكروا وذلك معنى قوله تعالى الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ اى قبل القرآن او
قبل محمد صلى الله عليه وسلم هُم بِهِ اى بما تقدم يُؤْمِنُونَ ايضا نزل فى جماعة اسلموا من اليهود
عبد الله بن سلام واصحابه وقال مقاتل هم اهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وامنوا بالنبي
صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير هم اربعون رجلا قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي
صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا يا نبي الله ان لنا اموالا فان اذنت لنا
انصرفنا فجئنا باموالنا فواسينا بها المسلمين فاذن لهم فانصرفوا فاتوا باموالهم فواسوا بها المسلمين
فنزل فيهم ذلك الى قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وعن ابن عباس نزلت فى ثمانين
من اهل الكتاب اربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ثم وصفهم
الله تعالى بقوله تعالى وَإِذَا يُتْلَى اى تجدد تلاوة القرآن عَلَيْهِمْ قَالُوا مبادرين لذلك
آمَنَّا بِهِ ثم عللوا ذلك بقولهم إِنَّهُ الْحَقُّ اى الكامل الذى ليس وراءه الا الباطل مع كونه
مِن رَّبِّنَا اى المحسن الينا ثم عللوا مبادرتهم بقولهم إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ اى القرآن
مُسْلِمِينَ اى منقادين غاية الانقياد مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه
نبي حق أُولَٰئِكَ اى العالو الرتبة يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ اى لايمانهم به غيبا وشهادة
اى بالكتاب الاول ثم بالكتاب الثاني بِمَا صَبَرُوا اى بسبب صبرهم على دينهم وقال مجاهد نزلت
فى قوم من اهل الكتاب اسلموا فاوذوا وعن ابي بردة عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه

نصف

وسلم قال ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين رجل كانت له جارية فادبها فاحسن ادبها ثم اعتقها وتزوجها ورجل
كان من اهل الكتاب امن بكتابه وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد احسن عبادة الله تعالى
ونصح لسيده + ولما كان الصبر لا يتم الا بالاتصاف بالمحاسن والانخلاع من المساوى قال تعالى عاطفا على
يؤتون مشيرا الى تجديد هذه الافعال كل حين ويدرؤن اى يدفعون بالحسنة من الاقوال والافعال
السيئة اى فيمحونها بها وقال ابن عباس يدفعون بشهادة ان لا اله الا الله الشرك وقال مقاتل
يدفعون بها ما سمعوا من الاذى والشتم من المشركين اى بالصفح والعفو ومما رزقناهم
اى بعظمتنا لا بحول منهم ولا قوة قليلا كان او كثيرا ينفقون اى يتصدقون معتمدين فى الخلف
على الذى رزقه + ولما ذكر الله ان السماح بما تضن النفوس به من فضول الاموال من
امارات الايمان اتبعه ان خزن ما تبذله الانفس من فضول الاقوال من علامات العرفان
بقوله تعالى واذا سمعوا اللغو اى ما لا ينفع فى دين ولا دنيا من شتم وتكذيب وتعيير ونحوه اعرضوا عنه
تكرما عن الخنا وقيل اللغو القبيح من القول وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمنى اهل الكتاب
ويقولون لهم تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم وقالوا وعظا وتسميعا لقائله
لنا خاصة اعمالنا لا نثابون على شئ منها ولا نعاقبون ولكم اى خاصة اعمالكم لا نطالب
بشئ منها فنحن لا نشتغل بالرد عليكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة
عما هم فيه لا سلام تحية واكرام ونظيره ذلك واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ثم اكد ذلك
تعالى بقوله تعالى حاكيا عنهم لا نبتغى اى لا نتكلف انفسنا ان نطلب الجاهلين اى لا نريد
شيئا من اموالهم واقوالهم او غير ذلك من خلالهم وقيل لا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفه
قيل نسخ ذلك بالامر بالقتال وهو بعيد لان ترك المسافهة مندوب اليه وان كان القتال واجبا +
ونزل فى حرصه صلى الله عليه وسلم على ايمان عمه ابى طالب انك لا تهدى من احببت اى نفسه
او هدايته بخلق الايمان فى قلبه روى سعيد بن المسيب عن ابيه انه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن ابى امية بن المغيرة فقال اى عم قل
لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابى امية اترغب عن ملة عبد المطلب
فلم يزل صلى الله عليه وسلم يعرضها ويصدانه بتلك الكلمة حتى قال ابو طالب اخر ما كلمهم هو على
ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن
لك ما لم انه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وانزل الله
تعالى فى ابى طالب فقال لرسوله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدى من احببت الاية وفى مسلم
عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم امره بالتوحيد فقال له لولا ان تعيرنى قريش يقولون انما
حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله تعالى الاية وروى ان ابا طالب قال عند موته
يا معشر بنى هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا عم

تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك
في آخر يوم من ايام الدنيا تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك صادق
ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة وسبة بعدي لقلتها
ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على
ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف فان قيل قال الله تعالى في هذه الآية انك لا تهدي من احببت
وَلَكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وقال تعالى في آية اخرى وانك لتهدي الى صراط مستقيم اجيب بانه
لا تنافي بينهما فان الذي اثبته واضافه اليه الدعوة والذي نفى عنه هداية التوفيق وشرح الصدور
وهو نور يقذف في القلب فيحيا به القلب كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي
به في الناس وَهُوَ اَعْلَمُ اي عالم بِالْمُهْتَدِيْنَ اي الذين قد هيأهم لتطلب الهدى عند خلقه لهم
سواء كانوا من اهل الكتاب ام من العرب اقارب كانوا ام اباعد ثم حكى الله تعالى عن كفار
قريش شبهة تتعلق باحوال الدنيا بقوله تعالى وَقَالُوْا اِنْ نَّتَّبِعِ الْهُدٰى اي الاسلام فتوحد الله تعالى
من غير اشراك مَعَكَ وانت على ما انت عليه من مخالفة الناس نُتَخَطَّفْ اي من اي خاطف
اراد نالانا نصير قليلا في كثير من غير نصير مِنْ اَرْضِنَا كما تتخطف العصافير لمخالفة كافة العرب لنا
وليس لنا نسبة الى كثرتهم ولا قوتهم فيسرعوا الينا فيتخطفونا اي يتقصدون خطفنا واحدا
واحدا فانه لا طاقة لنا على ادامة الاجتماع وان لا يشذ بعضنا عن بعض قال المبرد والخطف
الانتزاع بسرعة نزلت في الحرث بن نوفل بن عبد مناف قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي
تقول حق ولكنا ان اتبعناك على دينك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة رأس خفنا ان تخرجنا
العرب من ارضنا مكة ثم رد الله تعالى عليهم هذه الشبهة والقمهم الحجر بقوله تعالى اَوَلَمْ نُمَكِّنْ اي وغاية
التمكين لَهُمْ اي في اوطانهم وجعل سكناهم بما لنا من القدرة حَرَمًا اٰمِنًا اي ذا امن يأمن فيه كل
خائف حتى الطير من كواسرها والوحش من جوارحها حتى ان سيل الحل لا يدخل الحرم بل اذا وصل
اليه عدل عنه وروي ان مكة كانت في الجاهلية لا يعرض فيها ظلم ولا بغي ولا يبغي فيها احد الا اخرجته
وكان الرجل يلقى قاتل ابيه وابنه فيها فلا يهيجه ولا يتعرض له بسوء وروى الازرقي في تاريخ مكة
عن حويطب بن عبد العزى قال كان في الكعبة حلق يدخل الخائف يده فيها فلا يريبه احد فجاء خائف
ليدخل يده فاجتذبه رجل فشلت يده فلقد رايته في الاسلام وانه لاشل وعن ابن عباس قال وجد
رجل ذودا لابن عم له فاصابه في الحرم فقال ذودي فقال اللص كذبت قال فاحلف فحلف عند المقام
فقام رب الذود بين الركن والمقام باسطا يديه يدعو فما برح مقامه يدعو حتى ذهب عقل اللص وجعل
يصيح بمكة مالي ولفلان رب الذود فبلغ ذلك عبد المطلب فجمع الذود ودفعه الى المظلوم فخرج به وبقي
الآخر حتى وقع من جبل فتردى فاكلته السباع وعن ابن جريج ان غير قريش من العرب
كانوا لا يطوفون بالبيت عراة الا ان اعارتهم قريش ثيابا فجاءت امرأة لها جمال فطافت

عريانة فرآها رجل فاعجبته فدخل فطاف الى جنبها فادنى عضده من عضدها فالتزقت عضده
بعضدها فخرجا من المسجد هاربين فزعين على وجوههما لما اصابهما من العقوبة فلقيهما
شيخ من قريش فافتاهما ان يعودا الى المكان الذى اصابا فيه الذنب فيدعوان ويخلصان
ان لا يعودا ففعلا ودعوا واخلصا النية فافترقت اعضادهما فذهب كل واحد منهما فى
ناحية وعن عبد العزيز بن رواد ان قوما انتهوا الى ذى طوى فاذا ظبى قد دنا منهم فاخذ رجل منهم
بقائمة من قوائمه فقال له اصحابه ويحك ارسله فجعل يضحك وابى ان يرسله فبعر الظبى وبال
ثم ارسله فناموا فى القائلة ثم انتبهوا فاذا بحية متطوقة على بطن الرجل الذى اخذ الظبى فلم تنزل
الحية عنه حتى كان منه من الحدث مثل ما كان من الظبى وعن مجاهد قال دخل قوم مكة
تجارا من الشام فى الجاهلية فنزلوا ذا طوى فاختبزوا ملة لهم ولم يكن معهم ادام فرمى
رجل منهم ظبية من ظباء الحرم وهى حولهم ترعى فقاموا اليها فسلخوها وطبخوها ليأتدموا بها
فبينما قدرهم على النار يغلى لحمها اذ خرجت من تحت القدر عنق من النار عظيمة
فاحرقت القوم جميعا فلم تحرق ثيابهم ولا امتعتهم وعن ايوب بن موسى ان امرأة فى الجاهلية
كان معها ابن عم لها صغير فقالت له يا بنى انى اغيب عنك وانى اخاف ان يظلمك احد
فان جاءك ظالم يعدو فان لله بمكة بيتا سيمنعك فجاء رجل فذهب به فاسترقه فلما رأى
الغلام البيت عرفه بالصفة فنزل يشتد حتى تعلق البيت فجاء سيده فمد يده اليه ليأخذه
فيبست يده فمد الاخرى فيبست فاستفتى فافتى ان ينحر عن كل واحدة من يديه بدنة ففعل فاطلقت
يداه وترك الغلام وخلى سبيله وعن ابى ربيع بن سالم الكلاعى ان رجلا من كنانة بن هذيل ظلم ابن عم
له فخوفه بالدعاء فى الحرم فقال هذه ناقتى فلانة اركبها فاذهب اليه فاجتهد فى الدعاء فى الحرم
فجاء فى الحرم فى الشهر الحرام فقال اللهم انى ادعوك جاهدا مضطرا على ابن عمى فلان ترميه بداء
لا دواء له ثم انصرف فوجد ابن عمه قد رمى فى بطنه فصار مثل الزق فما زال ينتفخ حتى انشق
وعن عمر رضى الله عنه انه سأل رجلا من بنى سليم عن ذهاب بصره فقال يا امير المؤمنين
كنا بنى ضبعاء عشرة وكان لنا ابن عم فكنا نظلمه فكان يذكرنا الله والرحم فلما رأى انا لا نكف
عنه انتهى الى الحرم فى الاشهر الحرم فجعل يرفع يديه ويقول ؎ لاهمّ ادعوك دعاء جاهدا +
اقتل بنى ضبعاء الا واحدا + ثم اضرب الرجل فدعه قاعدا + اعمى اذا اقيد يعيى القائدا + قال
فمات اخوتى التسعة فى تسعة اشهر فى كل شهر واحد وبقيت انا فعميت ورمانى الله عز وجل
فى رجلى فليس يلائمنى قائد فقال عمر رضى الله تعالى عنه جعل الله هذا فى الجاهلية اذ لا دين
حرمها وشرفها ليحجز الناس عن انتهاك ما حرم مخافة تعجيل العقوبة فلما جاء الدين صار التوعد
للساعة ويستجيب الله تعالى لمن يشاء فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين وانما اكثرت من هذه
الحكايات ليكون الداخل للحرم على حذر فان الله تعالى حماه ومكن اهله فى الحرم الذى

امنه بحرمة البيت وامن قطانه بحرمته وكانت العرب فى الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون
وهم امنون فى حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذى زرع والثمرات
والارزاق تجبى اليهم كما قال تعالى يُجْبَىٰ اى يجمع ويحمل إِلَيْهِ اى خاصة دون غيره من
جزيرة العرب ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ من النبات الذى بارض العرب من ثمر البلاد الحارة
كالبسر والرطب والنبق والباردة كالعنب والتفاح والرمان والخوخ فاذا خولهم الله تعالى
ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة اصنام فكيف يستقيم ان
يعرضهم للخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد
الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز + تنبيه + معنى الكلية هنا الكثرة كقوله تعالى واوتيت من كل
شئ ولكن فى تعبيره بالمضارع وما بعده اشارة الى الاستمرار وانه ياتى اليه بعد ذلك من كل
ما فى الارض من المال ما لم يخطر لاحد منهم فى بال وقرأ نافع بالتاء الفوقية والباقون بالياء التحتية
وامال حمزة والكسائى محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح ثم انه تعالى بين ان ذلك رزق
من عنده بقوله تعالى رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا اى فلا صنع لاحد فيه بل هو محض تفضل + تنبيه + انتصاب رزقا
على المصدر من معنى يجبى او الحال من ثمرات لتخصيصها بالاضافة كما تنتصب عن النكرة المخصصة
وان جعلته اسما للمرزوق انتصب على الحال من ثمرات وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ اى اهل مكة وغيرهم
ممن لا هداية له لَا يَعْلَمُونَ اى ليس لهم قابلية للعلم حتى لا يعلموا انا نحن الفاعلون لذلك بل هم
جهلة لا يفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله تعالى من لدنا اى قليل منهم
يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره ثم بين تعالى ان الامر
بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله تعالى على ما هم عليه بقوله تعالى وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ
اى من اهل قرية واشار الى سبب الاهلاك بقوله تعالى بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا اى وقع منها البطر
فى زمن عيشها الرخى الواسع فكانت حالهم كحالكم فى الامن وادرار الرزق فلما بطروا معيشتهم
اهلكناهم ومعنى بطرهم لها قال عطاء انهم اكلوا رزق الله وعبدوا غيره وقيل البطر سوء احتمال
الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله تعالى فيه + تنبيه + انتصاب معيشتها اما بحذف الجار واتصال
الفعل كما فى قوله تعالى واختار موسى قومه او بتقدير حذف ظرف الزمان واصله بطرت ايام
معيشتها واما بتضمين بطرت معنى كفرت او خسرت او على التمييز او على التشبيه بالمفعول به
وهو قريب من سفه نفسه فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ خاوية لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ بعد ان طال ما تنعموا فيها
وشيدوها وزخرفوها وزوقوها الابكار وفرحوا بالاعمال الكبار إِلَّا سكونا قَلِيلًا قال ابن عباس لم يسكنها
الا المسافرون ومارة الطريق يوما او ساعة من ليل او نهار ثم تصير يبابا موحشة كالقفار بعد
ان كانت ممتنعة الفناء بيض الصفاح وسمر القنا قال الزمخشرى ويحتمل ان شؤم معاصى
المهلكين بقى اثره فى ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وَكُنَّا اى ازلا

وابدا نحن لا غيرنا الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم
قال القائل ــ تتخلف الآثار عن اصحابها ــ حينا ويدركها الفناء فتتبع ــ وما كان ربك اي المحسن
اليك بالاحسان بارسالك الى الناس مهلك القرى اي هذا الجنس كله بجرم وان عظم حتى يبعث
في امها اي اعظمها واشرفها رسولا لان غيرها تبع لها ولم يشترط كونه من اهلها فقد كان عيسى عليه
السلام من الناصرة وبعث الى بيت المقدس يتلوا عليهم اي اهل القرى كلهم آياتنا الدالة على ما ينبغي لنا
من الحكمة وبما لها من الاعجاز على نفوذ الكلمة وباهر العظمة الزاما للحجة وقطعا للمعذرة لئلا يقولوا
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا ولذلك لما اردنا عموم الخلق بالرسالة جعلنا الرسول وهو محمد صلى الله
عليه وسلم خاتم الانبياء من ام القرى كلها وهي مكة البلد الحرم وما كنا مهلكي القرى
اي كلها بعد الارسال الا واهلها ظالمون اي عريقون في الظلم بالعصيان بترك ثمرات الايمان
وتكذيب الرسل وما اوتيتم من شيء اي من اسباب الدنيا فمتاع اي فهو متاع الحيوة الدنيا
تتمتعون بها ايام حياتكم وليس يعود نفعه الى غيرها فهو ايل الى فناء وان طال زمن التمتع به
وزينتها اي فهو زينة الحيوة الدنيا التي هي كلها فضلا عن زينتها الى فناء فليست هي لاشئ بازلي
ولا ابدي وما عند الله اي الملك الاعلى وهو ما لا عين رأت ولا اذن سمعت خير على تقدير
مشاركة ما في الدنيا له في الخيرية في ظنكم لانه الذ وعنده اطيب واكثر واشهى وازهى ثم هو
مع ذلك كله ابقى لانه وان شارك متاع الدنيا في انه لم يكن ازليا فهو ابدي وهذا جواب عن
شبههم فانهم قالوا انا تركنا الدين لئلا تفوتنا الدنيا فبين تعالى ان ذلك خطأ عظيم لان ما عند الله خير
وابقى من وجهين الاول ان المنافع هناك اعظم والثاني انها خالصة عن الشوائب ومنافع الدنيا
مشوبة بالمضار بل المضار فيها اكثر واما انها ابقى فلانها دائمة غير منقطعة ومتى قوبل المتناهي
بغير المتناهي كان عدما فظهر بهذا ان منافع الدنيا لا نسبة لها الى منافع الآخرة فلا جرم
نبه على ذلك بقوله تعالى افلا تعقلون ان الباقي خير من الفاني فتستبدلون الذي هو ادنى
بالذي هو خير فمن لم يرجح منافع الآخرة على منافع الدنيا فانه يكون خارجا عن حد العقل قال
ابن عادل ورحم الله الشافعي حيث قال من اوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث
الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان اعقل الناس من اعطى القليل واخذ الكثير وما هم الا
المشتغلون بالطاعة فكانه رحمه الله تعالى انما اخذه من هذه الآية انتهى وقرأ ابو عمرو بالياء
وهو ابلغ في الموعظة لاشتماله على الالتفات للاعراض به عن خطابهم والباقون بالتاء على
الخطاب جريا على ما تقدم افمن وعدناه على عظمتنا في الغنى والقدرة والصدق وعدا
حسنا لا شيء احسن منه في موافقته للامنية وبقائه وهو الجنة فان حسن الوعد بحسن
الموعود ولذلك سمى الله تعالى الجنة بالحسنى فهو لاقيه اي مدركه لامتناع الخلف في وعدنا
ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا اي الذي هو

مشوب بالالام مکدر بالمتاعب مستعقب للتحسر علی الانقطاع وعن ابن عباس ان اللّه تعالی خلق الدنیا وجعل اهلها ثلاثة اصناف المؤمن والمنافق والکافر فالمؤمن یتزود والمنافق یتزین والکافر یتمتع ثم هو مع ذلک کله یوم القیمة الذی هو یوم التغابن من خسر فیه لم یربح اصلا من المحضرین ای المقهورین علی الحضور الی مکان یود لو افتدی منه بملک الارض ذهبا لم یقبل منه قال قتادة یعنی المؤمن والکافر وقال مجاهد نزلت فی النبی صلی اللّه علیه وسلم وابی جهل وقال محمد بن کعب نزلت فی حمزة وعلی وفی ابی جهل وقال السدی نزلت فی عمار والولید بن مغیرة + تنبیه + ثم لتراخی حال الاحضار عن حال التمتع فی الزمان او الرتبة وقرأ ثم هو قالون والکسائی بسکون الهاء والباقون بالضم ویوم ای واذکر یوم ینادیهم ای ینادی اللّه هؤلاء الذی یضلون الناس ویصدون عن سبیل اللّه فیقول ای اللّه تعالی این شرکائی من الاوثان وغیرهم ثم بین انهم لا یستحقون هذا الاسم بقوله تعالی الذین کنتم ای کونا ظرف یقین فیه تزعمون انها تشفع لیدفعوا عنکم وعن انفسهم فیخلصکم من هذا الذی نزل بکم + تنبیه + تزعمون مفعولاه محذوفان ای تزعمونهم شرکائی قال الذین حق ای ثبت ووجب علیهم القول ای بدخول النار وهم رؤس الضلالة وهو قوله تعالی لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعین وغیره من آیات الوعید وقولهم ربنا هؤلاء اشارة للاتباع الذین اغوینا ای اوقعنا الاغواء وهو الاضلال بهم صفته والعائد حذف قولهم اغویناهم ای فغووا باختیارهم کما غوینا ای نحن فهؤلاء مبتدأ والذین اغوینا صفته والراجع الی الموصول محذوف واغویناهم الخبر والکاف صفة مصدر محذوف تقدیره اغویناهم فغووا غیا مثل ما غوینا یعنون انا لم نغوا الا باختیار نالا ان فوقنا مغوین اغوونا بقسر منهم والجاء او دعونا الی الغی وسولوه لنا فهؤلاء کذلک غووا باختیارهم لان اغواء نا لهم لم یکن الا وسوسة وتسویلا لا قسرا والجاء فلا فرق اذا بین غینا وغیهم وان کان تسویلنا لهم داعیا الی الکفر فقد کان فی مقابلته دعاء اللّه تعالی لهم الی الایمان بما وضع فیهم من ادلة العقل وبما بعث الیهم من الرسل وانزل الیهم من الکتب المشحونة بالوعد والوعید والمواعظ والزواجر وناهیک بذلک صارفا عن الکفر وداعیا الی الایمان وهذا معنی ما حکاه اللّه تعالی عن الشیطان ان اللّه وعدکم وعد الحق ووعدتکم فاخلفتکم وما کان لی علیکم من سلطان الا ان دعوتکم فاستجبتم لی فلا تلومونی ولوموا انفسکم + تنبیه + اعترض ابو علی علی الزمخشری فی هذا الاعراب بان الخبر لیس فیه زیادة فائدة علی ما فی صفته فان قلت قد وصل الخبر بقوله کما غوینا وفیه زیادة قلت الزیادة بالظرف لا تصیره اصلا فی الجملة لان الظروف فضلات ثم انه اعرب هو هؤلاء مبتدأ والذین اغوینا خبره واغویناهم مستأنف واجاب ابو البقاء وغیره بان الظرف قد تلزم کقولک زید عمرو قائم فی داره ثم اشاروا بقولهم تبرأنا الیک ای من امورهم الی انه لا لوم علینا فی الحقیقة بسببهم فهو تقریر للجملة الاولی ولهذا خلتا عن العاطف علی تقدیر اخوانا لهم ما کانوا ایانا ای خاصة یعبدون بل کانوا یعبدون الاوثان بما زینت لهم اهواؤهم وان کان لنا فیه نوع دعاء الیه فقد

عليه فاقل ما نريد ان يوزع العذاب على من كان سببا فى ذلك وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اى تبرأنا
من عبادتهم ايانا. ولم يلتفت الى هذا الكلام منهم بل عدّ عدما لانه لا طائل تحته اشير الى الاعراض عنه
لانه لا يستحق جوابا كما قيل رب قول جوابه السكوت بقوله تعالى وَقِيلَ اى ثانيا للاتباع تهكما بهم
واظهارا لعجزهم الملزوم لتحيرهم وعظم تاسفهم وذكر ذلك بصيغة المجهول للاستهانة بهم
وانهم من الذل والصغار بحيث يجيبون كل من كائنا من كان ادْعُوا اى كلكم شُرَكَاءَكُمْ اى الذين
ادعيتم جهلا شركتهم ليدفعوا عنكم العذاب فَدَعَوْهُمْ تعللا بما لا يغنى وتمسكا بما يتحقق انه لا يجدى بفرط
الغلبة واستيلاء الحيرة والدهشة فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ اى لم يجيبوهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة قال ابن عادل
والاقرب ان هذا على سبيل التقريع لانهم يعلمون انه لا فائدة فى دعائهم وَرَأَوُا اى هم الْعَذَابَ عالمين
بانه مواقعهم لا مانع له عنهم فكان الحال حينئذ مقتضيا لان يقال من كل من يهواهم لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ
اى تحصل منهم هداية ساعة من الدهر تاسفا على امرهم وتمنيا لخلاصهم ولو ان ذلك كان
فى طاقتهم وجواب لو محذوف اى لنجوا من العذاب ولما راوه اصلا قال الضحاك ومقاتل يعنى
المتبوع والتابع يرون العذاب ولو انهم كانوا يهتدون فى الدنيا ما ابصروه فى الآخرة وَيَوْمَ
يُنَادِيهِمْ اى الله تعالى وهم بحيث يسمعهم الداعى وينفذهم البصر قد برزوا لله جميعا من
كان منهم عاصيا ومن كان منهم مطيعا فى صعيد واحد قد اخذ بانفاسهم الزحام وتراكبت الاقدام على
الاقدام والجمهم العرق وعمهم الغرق فَيَقُولُ مَاذَا اى اوضحوا وعينوا جوابكم الذى أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ
اليكم. تنبيه. ويوم معطوف على الاول فانه تعالى يسأل عن اشراكهم به ثم تكذيبهم
الانبياء ولما لم يكن لهم قدم صدق ولا سابق حق بما اتتهم الرسل به من الحجج لم يكن لهم جواب
الا السكوت وهو المراد بقوله تعالى فَعَمِيَتْ اى خفيت واظلمت عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ اى الاخبار النافعة يَوْمَئِذٍ
التى هى من العظمة بحيث يحق لها فى ذلك اليوم ان تذكر. تنبيه. الاصل فعموا عن الانباء لكنه عكس
مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج واذا اخطأه لم يكن له حيلة
الى استحضاره واذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام فى ذلك اليوم يفوضون الى علم الله تعالى
فما ظنك بالضلال فلهذا قال تعالى فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ اى لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط
الدهشة او للعلم بانه مثله هذا حال من اصر على كفره فَأَمَّا مَنْ تَابَ عنه وقوله تعالى وَآمَنَ تصريح بما علم
التزاما فان الكفر والايمان ضدان لا يمكن ترك احدهما الا بالاخذ بالاخر وقوله تعالى وَعَمِلَ صَالِحًا لاجل
ان يكون مصدقا له دعواه باللسان فَعَسَى اذا فعل ذلك أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ عند الله وعسى
تحقيق على عادة الكرام او ترجّ من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح. ولما كان كانه قيل ما لاهل القسم
الاول لا يتوقعون النجاة من ضيق ذلك البلاء الى رحب هذا الرجاء وكان الجواب بيدك منعهم
من ذلك وماله لم يقطع لهذا القسم بالفلاح كما قطع لاهل القسم الاول بالشقاء كان الجواب
وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ لا موجب عليه ولا مانع له مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ اى ان يفعلوا

يفعل لهم كل ما يختارونه * تنبيه * الخيرة بمعنى التخيير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى الاختيار عنهم
رأسا قال البيضاوى والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العبيد مخلوق منوط بدواع لا اختيار
لهم فيها وقال الرازى فى اللوامع وفيه دليل على ان العبد فى اختياره غير مختار فلهذا اهل الرضا
حطوا الرحال بين يدى ربهم وسلموا الامور اليه بصفاء التفويض يعنى فان امرهم ونهاهم بادروا
وان اصابهم سهام المصائب العظام صابروا وان اعزهم اعزوا انفسهم واكرموا وان اذلهم رضوا
وسلموا فلا يرضيهم الا ما يرضيه ولا يريدون الا ما يريده فيمضيه قال القائل * وقف الهوى
بى حيث انت فليس لى * متأخر عنه ولا متقدم * اجد الملامة فى هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمنى
اللوم * واهنتنى فاهنت نفسى صاغرا * ما من يهون عليك ممن يكرم * وقيل ما موصولة مفعول
ليختار والراجع محذوف والمعنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح سُبْحَانَ اللهِ
تنزيها له ان يزاحمه احد او ينازع اختياره وَتَعَالَى اى علا علوا لا تبلغ العقول توجيه كنه مداه
عَمَّا يُشْرِكُوْنَ اى عن اشراكهم او مشاركة ما يشاركونه به * ولما كانت القدرة لا تتم الا بالعلم
قال تعالى وَرَبُّكَ اى المحسن اليك المتولى امر تربيتك يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ اى تخفى وتستر صُدُوْرُهُمْ
من كونهم يومنون على تقدير ان تأتيهم آيات مثل آيات موسى عليه السلام او لا يؤمنون ومن
كون ما اظهروا من الايمان بلسانه خالصا او مشوبا ومن كونهم يخفون عداوة الرسول صلى الله
عليه وسلم وَمَا يُعْلِنُوْنَ اى يظهرون من ذلك كل ذلك لديه سواء فلا يكون لهم مراد الا بخلقه
فان قيل هلا اكتفى بقوله تعالى ما تكن صدورهم عن قوله وما يعلنون اجيب بان علم الخفى لا يستلزم
علم الجلى اما لبعد او لغط او اختلاط اصوات يمنع تمييز بعضه عن بعض او غير ذلك * ولما كان
علمه تعالى بذلك انما هو لكونه الها واحدا فردا صمدا وكان غيره لا يعلم من علمه الا ما علمه
قال تعالى وَهُوَ اللهُ اى المستأثر بالالهية الذى لا سمى له الذى لا يحيط الواصفون بكنه عظمته
ثم شرح معنى الاسم الاعظم بقوله تعالى لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ وهذا تنبيه على كونه قادرا على
كل الممكنات عالما بكل المعلومات منزها عن النقائص والآفات ثم علل ذلك بقوله تعالى
لَهُ اى وحده الْحَمْدُ اى الاحاطة باوصاف الكمال فِى الْاُوْلٰى وَالْاٰخِرَةِ لانه المولى للنعم كلها
عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا فان قيل الحمد فى الدنيا ظاهر فالحمد
فى الآخرة اجيب بانهم يحمدونه بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا
وعده وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين والتوحيد هناك على وجه اللذة لا الكلفة
وفى الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وَلَهُ الْحُكْمُ اى القضاء النافذ فى كل شئ وقال ابن عباس
حكم لاهل الطاعة بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقاء وَاِلَيْهِ لا الى غيره تُرْجَعُوْنَ اى بايسر امر
يوم النفخ فى الصور لبعثرة ما فى القبور بالبعث والنشور مع انكم الآن راجعون فى جميع احكامكم
اليه ومقصورون عليه ان شاء امضاها وان اراد ردها ولو اما ففى الآية غاية التقوية للقلوب

المطيعين ونهاية الزجر والردع للمتمردين ثم بين سبحانه وتعالى بعض ما يجب ان يحمد عليه مما لا يقدر
عليه سواه بقوله تعالى قُلْ اى يا افضل الخلق لاهل مكة أَرَءَيْتُمْ اى اخبرونى إِنْ جَعَلَ اللَّهُ اى الملك
الاعلى عَلَيْكُمُ الَّيْلَ اى الذى به اعتدال حر النهار سَرْمَدًا اى دائما إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ لا نهار معه
مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ اى العظيم الشان الذى لا كفؤ له يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ اى بنهار تطلبون فيه المعيشة
أَفَلَا تَسْمَعُونَ اى ما يقال لكم سماع اصغاء وتدبر قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ اى الذى له الامر كله
عَلَيْكُمُ النَّهَارَ اى الذى توازن حرارته برطوبة الليل فيتم بها صلاح النبات وغير ذلك من
جميع المقدرات سَرْمَدًا اى دائما إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ لا ليل فيه مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ اى الجليل الذى
ليس له مثل يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ اى ينشأ منه ظلام تَسْكُنُونَ فِيهِ استراحة عن متاعب الاشتغال
فان قيل هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه اجيب بانه تعالى ذكر الضياء وهو ضوء
الشمس لان المنافع التى تتعلق به متكاثرة ليس التصرف فى المعاش وحده والظلام ليس بتلك
المنزلة ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدرك البصر من ذلك منافعه
ووصف فوائده وقرن بالليل أَفَلَا تُبْصِرُونَ لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت
من السكون قال البقاعى فالآية من الاحتباك ذكر الضياء اولا دليلا على حذف الظلام ثانيا والليل
والسكون ثانيا دليلا على حذف النهار والانتشار اولا ولما كان التقدير ومن رحمته جعل لكم السمع
والابصار لتتدبروا آياته وتبصروا فى مصنوعاته عطف عليه وَمِن رَّحْمَتِهِ اى التى وسعت كل شئ لا من
غيرها من خوف او رجاء او تعلق غرض من الاغراض جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيتين عظيمتين دبر
فيهما وبهما جميع مصالحكم فجعل آية الليل لِتَسْكُنُوا فِيهِ فلا تسعوا فيه لمعاشكم وجعل آية النهار مبصرة
وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ بان تسعوا فى معاشكم بجهدكم قال البقاعى فالآية من الاحتباك ذكرا ولا السكون
دليلا على حذف السعى فى المعاش ثانيا وذكر الابتغاء من فضله ثانيا دليلا على حذف عدم السعى
فى المعاش اولا وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ اى وليكون حالكم حال من يرجى منه الشكر لما يتجدد لكم من
تقلبهما من النعم المتوالية التى لا يحصرها الا خالقها واما الآخرة فلما كانت غير مبنية على الاسباب
وكانت الجنة لا تعب فيها بوجه كان لا حاجة فيها الى الليل وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ الَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شئ اجلب لغضب الله تعالى من الاشراك به كما انه لا شئ
ادخل فى مرضاته من توحيده اللهم فكما ادخلتنا فى اهل توحيدك فادخلنا فى الناجين من عبيدك
ومتعنا بالنظر الى وجهك الكريم يا ارحم الراحمين ويحتمل ان يكون الاول لتقرير فساد رايهم والثانى
لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشهٍ وهوى او انه ذكر الثانى كما قال الجلال المحلى ليبنى عليه
وَنَزَعْنَا اى اخرجنا وافردنا بقوة وسطوة مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا اى وهو رسولهم يشهد عليهم بما قالوه
فَقُلْنَا اى فتسبب عن ذلك ان قلنا للامم هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ اى دليلكم القطعى الذى زعمتم فى الدنيا اليه
وعولتم فى شرككم عليه كما هو شان ذوى العقول انهم لا يبنون شيئا على غير اساس فَعَلِمُوٓا اى بسبب هذا

السؤال لما اضطروا ولم يجدوا لهم سندا أنّ الحقّ في الالهية لله أى الملك الذى له الأمر كله لا يشاركه فيه احد وضلّ عنهم أى غاب غيبة الضائع ما كانوا يفترون أى يقولونه قول الكاذب المتعمد للكذب لكونه لا دليل عليه ولا شبهة للغلط فيه إنّ قارون ويسمى فى التوراة قورح كان من قوم موسى قال اكثر المفسرين كان ابن عمه لان قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى عليه السلام ابن عمران بن قاهث ابن لاوى وقال ابن اسحق كان قارون عم موسى فكان اخا عمران وهما ابنا يصهر ولم يكن فى بنى اسرائيل اقرأ للتوراة من قارون ولكنه نافق كما نافق السامرى وكان يسمى المنور لحسن صورته وعن ابن عباس كان ابن خالته فبغى عليهم أى تجاوز الحد فى احتقارهم بما خولناه فيه قيل كان عاملا لفرعون على بنى اسرائيل وكان يبغى عليهم ويظلمهم وقال قتادة بغى عليهم بكثرة المال ولم يرع لهم حق الايمان بل استخف بالفقراء وقال الضحاك بغى عليهم بالشرك وقال شهر بن حوشب زاد فى طول ثيابه شبرا روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جرّ ثوبه خيلاء وقال القفال طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده وقال ابن عباس تكبر عليهم وتجبر وقال الكلبى حسد هرون عليه السلام على الحبورة روى اهل الاخبار ان قارون كان اعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهرون واجملهم واغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان اول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى اوحى الى موسى ان يأمر قومه ان يعلقوا فى اردتهم خيوطا اربعة فى كل طرف خيطا اخضر كلون السماء يذكرون اذا نظروا اليها السماء ويعلمون انى منزل منها كلامى فقال موسى عليه السلام يا رب افلا تأمرهم ان يجعلوا اردتهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل تحقر هذه الخيوط فقال الله تعالى يا موسى ان الصغير من امرى ليس بصغير فان لم يطيعونى فى الامر الصغير لم يطيعونى فى الامر الكبير فدعاهم موسى عليه السلام وقال ان الله تعالى يأمركم ان تعلقوا فى اردتكم خيوطا خضرا كلون السماء لكى تذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعل بنو اسرائيل ما امرهم به واستكبر قارون ولم يفعل وقال انما يفعل هذا الارباب بعبيدهم لكى يتميزوا عن غيرهم وكان هذا بدء عصيانه وبغيه ولما قطع الله تعالى لبنى اسرائيل البحر واغرق فرعون جعل الحبورة لهرون عليه الصلوة والسلام فحصلت له النبوة والحبورة وكان له القربان والمذبح وكان لموسى عليه السلام الرسالة فوجد قارون لذلك فى نفسه وقال يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست فى شئ لا اصبر انا على هذا فقال موسى عليه السلام والله ما صنعت ذلك لهرون بل الله تعالى جعلها له فقال قارون والله لا اصدقك حتى تريني بيانه فجمع موسى عليه السلام رؤساء بنى اسرائيل وامرهم ان يجئ كل رجل منهم بعصا فجاؤا بها فحزمها والقاها موسى عليه السلام فى قبة له كان يعبد الله تعالى فيها وكان ذلك بامر الله تعالى ودعا موسى عليه السلام ان يريهم بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فأصبحت عصا هرون عليه السلام وقد اهتز لها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى عليه السلام لقارون الا ترى ما صنع لهرون عليه السلام فقال والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر فاعتزل قارون

ومعه ناس كثير وولي هرون عليه السلام الحبورة وهي رياسة الذبح والقربان وكانت بنو اسرائيل
يأتون بهديهم الى هرون عليه السلام فيضعها في المذبح وتنزل نار من السماء فتأكلها واعتزل قارون
باتباعه وكان كثير المال والتبع من بني اسرائيل فكان لا يأتي موسى عليه السلام ولا يجالسه وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان قارون كان من السبعين المختارة الذين سمعوا كلام الله تعالى + ولما
ذكر الله تعالى بغيه ذكر سببه الحقيقي بقوله تعالى وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ اي الاموال المدفونة المدخرة فضلا
عن الظاهرة التي هي بصدد الانفاق منها لما عساه يعرض من المهمات مَا اي الذي او شيء كثير
لا يدخل تحت حصر حتى إِنَّ مَفَاتِحَهُ اي مفاتح الاغلاق التي هو مدفون فيها وراء ابوابها لَتَنُوءُ اي
تميل بجهد ومشقة بثقلها بِالْعُصْبَةِ اي الجماعة الكثيرة التي تعصب اي يقوي بعضهم بعضا أُولِي اي
اصحاب الْقُوَّةِ اي تميلهم من اثقالها اياهم + تنبيه + في المبالغة بالتعبير بالكنوز والمفاتح والنوء والعصبة
الموصوفة ما يدل على انه اوتي من ذلك ما لم يؤته احد ممن هو في عداده وكل ذلك مما تستبعده
العقول فلذلك وقع التاكيد واختلفوا في عدد العصبة فقال مجاهد ما بين العشرة الى خمسة عشر
وقال الضحاك عن ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقال قتادة ما بين العشرة الى الاربعين
وقيل اربعون رجلا وقيل سبعون وقد روي عن ابن عباس قال كان يحمل مفاتحه اربعون رجلا
اقوى ما يكون من الرجال وقال جرير عن منصور عن خيثمة قال وجدت في الانجيل ان مفاتح
خزائن قارون وقر ستين بغلا ما يزيد فيها مفتاح على اصبع لكل مفتاح كنز ويقال كان قارون
اينما ذهب يحمل معه مفاتح كنوزه وكانت من حديد فلما اثقلت عليه جعلت من خشب فثقلت
فجعلها من جلود البقر على طول الاصابع وكانت تحمل معه اذا ركب على اربعين بغلا وفي الباء في
بالعصبة وجهان انها للتعدية كالهمزة ولا قلب في الكلام والمعنى لتنئ المفاتح العصبة الاقوياء
كما تقول اجأته وجئت به واذهبته وذهبت به والثاني قال ابو عبيدة ان في الكلام قلبا والاصل
لتنوء العصبة بالمفاتح اي لتنهض بها كقولهم عرضت الناقة على الحوض ولما ذكر الله تعالى بغيه ذكر وقته
بقوله تعالى إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ اي من بني اسرائيل لَا تَفْرَحْ اي بكثرة المال فرح بطر فان الفرح
بالعرض الزائل يدل على الركون اليه وذلك يدل على نسيان الآخرة وعلى غاية الجهل وقلة
التأمل بالعواقب قال ابن عباس كان فرحه ذلك شركا لانه ما كان يخاف معه عقوبة الله عز
وجل إِنَّ اللَّهَ اي الذي له صفات الكمال لَا يُحِبُّ اي لا يعامل معاملة المحب الْفَرِحِينَ
اي البطرين الاشرين الراسخين في الفرح بما يفنى الذين لا يشكرون الله تعالى بما اعطاهم فان فرحهم
يدل على سقوط الهمم كما قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وقال القائل في ذلك ولست بمفراح
اذا الدهر سرني + وقال آخر اشد الغم عندي في سرور + تيقن عنه صاحبه انتقالا +
فلا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن فاما من قلبه الى الآخرة ويعلم انه مفارق ما فيها عن
قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وَابْتَغِ اي اطلب طلبا تجتهد نفسك فيه فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ اي

الملك الذى الامر كله بيده من الغنى والثروة الدار الآخرة بان تقوم بشكر الله فيما انعم الله عليك
وتنفقه فى رضا الله تعالى ليجازيك بالجنة ولا تنس اى ولا تترك نصيبك من الدنيا قال مجاهد
لا تترك ان تعمل فى الدنيا للآخرة حتى تنجوا من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا
ان يعمل للآخرة وقال السدى بالصدقة وصلة الرحم وقال على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه
لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الآخرة وروى انه صلى الله عليه وسلم
قال فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحيوة
قبل الموت فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة والنار
وعن ميمون الاودى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك
قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك
وقال الحسن امران يقدم الفضل ويمسك ما يغنيه وقال منصور بن زاذان قوتك وقوت اهلك واحسن
اى اوقع الاحسان بدفع المال الى المحاويج والانفاق فى جميع الطاعات ويدخل فى ذلك الاعانة بالجاه
وطلاقة الوجه وحسن اللقاء وحسن الذكر كما احسن الله الجامع لصفات الكمال اليك بان تعطى عطاء
من لا يخاف الفقر كما اوسع الله عليك ولا تبغ اى ولا ترد ارادة ما الفساد فى الارض بتقتير ولا تبذير
ولا تكبر على عباد الله تعالى ولا تحقيرهم ثم ذلك علته مؤكدا لان اكثر المفسدين يبسط لهم فى الدنيا
واكثر الناس يستبعد ان يبسط فيها الغير محبوب فقيل ان الله اى العالم بكل شئ القدير على كل شئ
لا يحب المفسدين اى لا يعاملهم معاملة من يحبه وقيل ان القائل له هذا موسى عليه السلام وقيل
مؤمنو قومه وكيف كان فقد جمع فى هذا الوعظ ما فيه مزيد لكنه ابى ان يقبل بل زاد عليه كفر النعمة بان
قال اى قارون فى الجواب انما اوتيته اى هذا المال على علم حاصل عندى فانه كان اعلم بنى اسرائيل
بالتوراة اى فرانى له اهلا ففضلنى بهذا المال عليكم كما فضلنى بغيره وقيل هو علم الكيمياء وقال
سعيد بن المسيب كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا ثلثه وعلم
قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان ذلك سبب ماله وقيل على علم
عندى بالتصرف فى التجارات والزراعات وانواع المكاسب ثم اجاب الله تعالى عن كلامه بقوله تعالى
اولم يعلم ان الله اى بما له من صفات الجلال والعظمة والكمال قد اهلك وقوله تعالى من قبله من القرون
فيه تنبيه على انه لم يتعظ مع مشاهدته للمهلكين الموصوفين مع قرب الزمان فى بعده وقوله تعالى
من هو اشد منه قوة اى فى البدن والمعانى من العلم وغيره والانصار والخدم واكثر جمعا فى المال
والرجال آخرهم فرعون الذى شاهده فى ملكه وحقق امره يوم هلكه فيه تعجيب وتوبيخ على اغتراره بقوته
وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأ فى التوراة وكان اعلمهم بها وسمعه من حفاظ التواريخ واختلف
فى معنى قوله عز وجل ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فقال قتادة يدخلون النار بغير سؤال ولا حساب
وقال مجاهد لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم وقال الحسن لا يسألون سؤال

استعلام وانما يسئلون سؤال توبيخ وتقريع وقيل المراد ان الله تعالى اذا عاقب المجرمين فلا حاجة به
الى سؤالهم عن كيفية ذنوبهم وكميتها لانه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة الى السؤال فان قيل
كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون اجيب بحمل ذلك على
وقتين وقال ابو مسلم السؤال قد يكون للمحاسبة وقد يكون للتوبيخ والتقريع وقد يكون للاستعتاب
قال ابن عادل واليق الوجوه بهذه الآية الاستعتاب لقوله تعالى ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم
يستعتبون هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فخرج اى فتسبب عن تجبره واغتراره
بماله ان خرج على قومه اى الذين نصحوه فى الاقتصاد فى شانه والاكثار فى الجود على اخوانه وقوله
تعالى فى زينته فيه دليل على انه خرج باظهر زينته واكملها وليس فى القرآن الا هذا القدر والناس
ذكروا وجوها مختلفة فقال ابراهيم النخعى انه خرج هو وقومه فى ثياب حمر وصفر وقال ابن زيد فى تسعين
الفا عليهم المعصفرات وقال مقاتل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليه الارجوان ومعه
اربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والثياب الحمر
على البغال. ولما كان كانه قيل ماذا قال قومه له قيل قال الذين يريدون الحيوة الدنيا منهم لسفول
هممهم وقصور نظرهم على الفانى لكونهم اهل جهل وان كان قولهم من باب الغبطة لا من باب
الحسد الذى هو تمنى زوال نعمة المحسود يا ليت لنا اى تمنى تمنيا عظيما ان نؤتى من اى مؤت كان
وعلى اى وصف كان مثل ما اوتى قارون اى من هذه الزينة وما تسبب عنه من العلم حتى لانا ال
اصحاب اموال ثم عظموها بقولهم مؤكدين لعلمهم ان ثم من يريد ان ينكر عليهم انه لذو حظ اى
اى نصيب وبخت من الدنيا عظيم بما اوتيه من العلم الذى كان سببا له الى جمع هذا المال وهؤلاء الراغبون
يحتمل ان يكونوا من الكفار وان يكونوا من المسلمين الذين يحبون الدنيا ودل على جهلهم وفضل العلم الربانى
وحقارة ما اوتى قارون من المال والعلم الظاهر الذى ادى الى اتباعه قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم
وهم اهل الدين قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعنى الاحبار من بنى اسرائيل وقال مقاتل
اوتوا العلم بما وعد الله فى الآخرة فقالوا للذين تمنوا ويلكم ويل اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر
والردع والبعث على ترك ما يضر وهو منصوب بمحذوف اى الزمكم الله ويلكم ثواب الله اى الجليل
العظيم خير اى من هذا الحطام الذى اوتيه قارون فى الدنيا بل من الدنيا وما فيها ومن فاته الخير
حل به الويل ثم بينوا مستحقه تعظيما له وترغيبا للسامع فى حاله بقولهم لمن آمن وعمل تصديقا لايمانه
صالحا ثم بين تعالى عظمة هذه النصيحة وعلو قدرها بقوله تعالى ولا يلقاها اى هذه النصيحة التى قالها
اهل العلم وهى الزهد فى الدنيا والرغبة فيما عند الله او الجنة المثاب بها الا الصابرون اى على
اداء الطاعات والاحتراز عن المحرمات وعلى الرضا بقضاء الله فى كل ما قسم من المنافع والمضار الذين
صار الصبر لهم خلقا. ولما تسبب عن بطره هذا الذى اوصله الى الكفر بربه اخذه بالعذاب اشار
الى ذلك بقوله سبحانه وتعالى فخسفنا اى بما لنا من العظمة به وبداره الارض روى انه كان

يؤذي موسى عليه الصلوة والسلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه كل وقت لا يزيد
الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب
وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويضاحكونه قال ابن عباس نزلت الزكوة
على موسى عليه السلام فاتاه قارون فصالحه عن كل الف دينار بدينار وعن كل الف درهم بدرهم
وعن كل الف شاة بشاة فلم تسمح بذلك نفسه فجمع بني اسرائيل وقال لهم ان موسى قد امركم بكل شي فاطعتموه
وهو الآن يريد ان يأخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا فامرنا بما شئت قال آمركم ان تجيؤا بفلانة البغي فتجعل
لها جعلا حتى تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل ورفضوه فدعاها فجعل لها
قارون الف درهم وقيل الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل قال لها اني امولك واخلطك بنسائي على ان
تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد وكان يوم عيد لهم قام موسى عليه السلام
خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال له قارون ولو كنت
انت قال ولو كنت انا قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت
فلما ان جاءت قال لها موسى يا فلانة انا فعلت بك ما يقول هؤلاء فعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر
لبني اسرائيل وانزل التورية الا صدقت فتداركها الله تعالى بالتوفيق وقالت في نفسها احدث اليوم توبة
افضل من ان أوذي رسول الله فقالت لا كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر
موسى ساجدا يبكي ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله تعالى اليه اني امرت الارض
ان تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى عليه السلام يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون
فمن كان معه فليلبث مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا ولم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا ارض
خذيهم فاخذتهم الارض باقدامهم وفي رواية كان على فراشه وسريره فاخذته حتى غيبت سريره ثم قال
خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى
الاعناق وقارون وصاحباه في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون بالله والرحم حتى روي
انه ناشده سبعين مرة وموسى في كل ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا ارض خذيهم فانطبقت
عليهم الارض فاوحى الله تعالى اليه ما اغلظ قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم ترحمه وعزتي
وجلالي لو دعاني مرة واحدة لاجبته وفي بعض الآثار لا اجعل الارض بعدك طوعا لاحد قال قتادة
خسف به فهو يتجلجل في الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة قال واصبح بنو اسرائيل يتناجون
فيما بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وباموا له فاياكم ايها الامة
هذا النبي ان تردوا ما اتاكم به من الرحمة فتهلكوا وان كنتم اقرب الناس اليه فان قارون كان من اقارب موسى
عليه السلام فان الانبياء عليهم السلام كما انهم لا يوجدون الهدى في قلوب اعدائهم فكذلك لا يمنعونهم
من الردى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فما اى فتسبب عنه انه ما كان له اي لقارون في الكل الذي استقر
في الاذهان ان الاكابر منصورون بزيادة الجار في قوله تعالى من فئة اي اعوان واصل الفئة

الجماعة من الطير كانها سميت بذلك لكثرة دورها وسرعتها الى الحركة الذى ذهبت منه ينصرونه من دون الله اى غيره بان يمنعوا عنه الهلاك وما كان من المنتصرين اى الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع ولما خسف به واستبصر الجهال الذين هم كالبهائم لايرون الا المحسوسات ذكر حالهم بقوله واصبح اى وصار ولكنه ذكره لمقابلة المساء الذين تمنوا اى ارادوا ارادة عظيمة بغاية الشفقة ان يكونوا مكانه اى تكون حاله ومنزلته فى الدنيا لهم بالامس اى الزمان الماضى القريب وان لم يكن يلى يومهم الذى هم فيه فالامس قد يذكر ولا يراد به اليوم الذى قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة يقولون ويكان الله يبسط اى يوسع الرزق لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته لا لكرامته عليه ويقدر اى يضيق على من يشاء لا لهوان من يضيق عليه بل لحكمته وقضائه ابتلاء منه وفتنة ووى اسم فعل بمعنى اعجب اى انا والكاف بمعنى اللام وهذه الكلمة والتى بعدها متصلة باجماع المصاحف واختلف القراء فى الوقف فالكسائى وقف على الياء قبل الكاف ووقف ابو عمرو على الكاف ووقف الباقون على النون وعلى الهاء وحمزة يسهل الهمزة فى الوقف على اصله واما الوصل فلا خلاف فيه بينهم ولما لاح لهم من واقعته ان الرزق انما هو بيد الله اتبعوه ما دل على انهم اعتقدوا ايضا ان الله قادر على ما يريد من غير الرزق كما هو قادر على الرزق من قولهم لولا ان من الله اى تفضل الملك الاعظم علينا بجوده ولم يعطنا ما تمنيناه من الكنوز على مثل حاله لخسف بنا مثل ما خسف به ويكانه لا يفلح الكافرون لنعمة الله تعالى كقارون والمكذبون لرسله وبما وعد لهم من ثواب الاخرة وقوله تعالى تلك الدار الاخرة اشارة تعظيم وتفخيم لشانها اى تلك الدار التى سمعت بذكرها وبلغك وصفها وتلك مبتدأ والدار صفته والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض بالبغى ولا فسادا بعمل المعاصى فلم يعلق تعالى الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن على رضى الله تعالى عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الامانى ههنا وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه انه كان يرددها حتى قبض قال الزمخشرى ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله تعالى ان فرعون علا فى الارض وبقوله تعالى ولا تبغ الفساد فى الارض فيقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الاخرة ولا يتدبر قوله تعالى والعاقبة اى المحمودة للمتقين اى عقاب الله تعالى بعمل طاعته كما تدبره على والفضيل وعمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنهم ولما بين تعالى ان الدار الاخرة ليست لمن يريد علوا فى الارض ولا فسادا بل هى للمتقين بين بعد ذلك ما يحصل فقال تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها من عشرة اضعاف الى سبعين الى سبعمائة ضعف الى ما لا يحيط به الا الله تعالى ومن جاء بالسيئة وهى ما نهى الله تعالى عنه ومنه اخافة المؤمنين فلا يجزى اى من اى جاز واظهر ما فى هذا الفعل من الضمير لعائد على

ع

من بقوله تعالى الذين عملوا السيئات تصويرا لحالهم وتقبيحا لها وتنفيرا من عملها الا جزاء ما كانوا يعملون
اى مثله وهذا من فضل الله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزى السيئة الا مثلها ويجزى الحسنة باكثر
منها كما مر فان قيل قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها كرر ذكر الاحسان واكتفى
فى ذكر الاساءة بمرة واحدة فما السبب فى ذلك اجيب بان هذا المقام مقام ترغيب فى الدار الآخرة
فكانت المبالغة فى النهى عن المعصية مبالغة فى الدعوة الى الآخرة واما الآية الاخرى فهى شرح حالهم
فكانت المبالغة فى ذكر محاسنهم اولى فان قيل كيف انه تعالى لا يجزى السيئة الا بمثلها مع ان المتكلم
بكلمة الكفر اذا مات فى الحال عذب ابد الآباد اجيب بانه كان على عزم انه لو عاش
ابدا لقال ذلك فعومل بمقتضى عزمه ان الذى فرض اى انزل عليك القرآن قاله اكثر المفسرين
وقال عطاء اوجب عليك العمل بالقرآن وقال ابو على فرض عليك احكامه وفرائضه لرادك
الى معاد اى معاد ليس لغيرك من البشر هو المقام المحمود الذى وعدك ان يبعثك فيه وتنكير
المعاد لذلك وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس يعنى الى الموت وقال الزهرى وعكرمة الى يوم
القيامة وقيل الى الجنة وروى العوفى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعنى الى مكة وهو قول
مجاهد وقال القتيبى معاد الرجل بلده لانه ينصرف ثم يعود الى بلده وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم
لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار فى غير الطريق مخافة الطلب فلما امن رجع الى الطريق
ونزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة اشتاق اليها فاتاه جبريل عليه السلام فقال
اتشتاق الى بلدك ومولدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذى فرض عليك القرآن لرادك
الى معاد قال الرازى وهذا اقرب لان ظاهر المعاد انه كان فيه وفارقه وحصل له العود اليه وذلك
لا يليق الا بمكة وان كان سائر الوجوه محتملا لكن ذلك اقرب قال اهل التحقيق وهذا احد ما يدل على نبوته لانه
اخبر عن الغيب ووقع كما اخبر فيكون معجزا ونزل جوابا لقول كفار مكة انك لفى ضلال مبين قل اى
للمشركين ربى اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب فى المعاد يعنى نفسه ومن هو فى ضلال
مبين يعنيهم وما يستحقونه من العذاب فى معادهم فهو الجائى بالهدى وهم فى الضلال تنبيه
من جاء منصوب بمضمر اى يعلم او باعلم ان جعلناها بمعنى عالم واعملناها اعماله وما كنت ترجوا اى فى
سالف الدهر بحال من الاحوال ان يلقى اى ينزل على وجه لم تقدر على رده اليك الكتاب اى يوحى اليك
القرآن قال البيضاوى اى سيردك الى معاد كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه وهو ظاهر على ان المراد
بالمعاد مكة وقوله تعالى الا رحمة استثناء منقطع اى لكن القى اليك الكتاب رحمة من ربك اى
فاعطاك القرآن وقيل متصل قال الزمخشرى هذا كلام محمول على المعنى كانه قيل وما القى اليك الكتاب
الا رحمة فيكون استثناء من الاحوال او من المفعول له فلا تكونن ظهيرا اى معينا للكافرين على دينهم
الذى دعوك اليه قال مقاتل وذلك حين دعى الى دين ابائه فذكره الله تعالى نعمه ونهاه عن
مظاهرتهم على ما هم عليه ولا يصدنك عن آيات الله اى قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت

إِلَيْكَ اى لا تزجع اليهم فى ذلك وَادْعُ اى اوجد الدعاء إِلَىٰ رَبِّكَ اى الى عبادته وتوحيده وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اى باعانتهم واوثر الجازم فى الفعل لبنائه بخلافه فى يصدنك فانه حذف منه نون الرفع اذ اصله يصدوننك فحذفت نون الرفع للجازم ثم حذف الواو لالتقاء الساكنين وَلَا تَدْعُ اى تعبد مَعَ اللَّهِ اى الجامع لجميع صفات الكمال إِلَٰهًا آخَرَ فان قيل هذا وما قبله لا يقع منه صلى الله عليه وسلم فما فائدة ذلك النهى اجيب بانه ذكر للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم او ان الخطاب وان كان معه لكن المراد غيره كما فى قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك ثم علل ذلك بقوله تعالى لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ اى لا نافع ولا ضار ولا معطى ولا مانع الا هو كقوله تعالى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا فلا يجوز اتخاذ اله سواه ثم علل وحدانيته بقوله تعالى كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ اى ذاته فان الوجه يعبر به عن الذات وقال ابو العالية الا ما اريد به وجهه وقيل الا ملكه واختلفوا فى قوله تعالى هالك فمن الناس من فسر الهلاك باخراجه عن كونه منتفعا به بالاماتة او بتفريق الاجزاء وان كانت اجزاؤه باقية فانه يقال هلك الثوب وهلك المتاع ولا يريدون به فناء اجزائه بل خروجه عن كونه منتفعا به ومنهم من قال معنى كونه هالكا كونه قابلا للهلاك فى ذاته فان كل ما عداه تعالى ممكن الوجود قابل للعدم فكان قابلا للهلاك فاطلق عليه اسم الهالك نظرا الى هذا الوجه وعلى هذا يحمل قول النسفى فى بحر الكلام سبعة لا تفنى العرش والكرسى واللوح والقلم والجنة والنار باهلهما من ملائكة العذاب والحور العين والارواح لَهُ الْحُكْمُ اى القضاء النافذ فى الخلق وَإِلَيْهِ وحده تُرْجَعُونَ اى فى جميع احوالكم فى الدنيا وبالنشور من القبور للجزاء فى الآخرة فيجزيكم باعمالكم وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك فى السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا حديث موضوع

سورة العنكبوت مكية

الا عشر آيات من اولها الى قوله تعالى وليعلمن المنافقين قال الحسن فانها مدنية وهى تسع وستون آية والف وتسعمائة واحدى وثمانون كلمة واربعة آلاف وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا

بِسْمِ اللَّهِ الذى احاط بجميع القوة فاعز جنده الرَّحْمَٰنِ الذى شمل جميع العباد بنعمه الرَّحِيمِ بجميع خلقه وقوله تعالى الم سبق القول فيه فى اول البقرة ووقوع الاستفهام بعده دليل على استقلاله بنفسه فيكون اسما للسورة او للقرآن او لله او انه سر استأثر بعلمه الله تعالى او استقلاله بما يضم معه بتقدير مبتدأ او خبر او غيره مما مر اول سورة البقرة وقيل فى الم اشار بالالف الدال على القائم الاعلى المحيط ولام الوصلة وميم التمام بطريق الرمز الى انه تعالى ارسل جبريل الى محمد عليهما الصلوة والسلام ولما قال تعالى فى آخر السورة المتقدمة وادع الى ربك وكان فى الدعاء اليه الحراب والضراب والطعان لان النبى صلى الله عليه وسلم

وقف لازم

ع ثلثة ارباع

واصحابه كانوا مامورين بالجهاد فشق على البعض ذلك فقال تعالى أَحَسِبَ النَّاسُ اى كافة أَنْ يُتْرَكُوا
اى اظنوا انهم يتركون بغير اختبار وابتلاء فى وقت ما بوجه من الوجوه + تنبيه + ان يتركوا سد
مسد مفعولى حسب عند الجمهور أَنْ اى بان يَقُولُوا اى بقولهم آمَنَّا وَهُمْ اى والحال انهم لَا يُفْتَنُونَ
اى يختبرون بما تتميز به حقيقة ايمانهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات
وانواع المصائب فى الانفس والاموال ليتبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب لينالوا
بالصبر عليها عوالى الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص
من الخلود فى العذاب واختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فقال الشعبى نزلت فى اناس كانوا بمكة قد
اقروا بالاسلام ثم هاجروا فتبعهم الكفار فمنهم من قتل ومنهم من نجى فانزل الله تعالى هاتين الآيتين وعن
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال انها نزلت فى عمار بن ياسر وعياش بن ابى ربيعة والوليد
ابن الوليد وسلمة بن هشام كانوا يعذبون بمكة وقال ابن جريج نزلت فى عمار بن ياسر كان يعذب
فى الله عز وجل وقال مقاتل نزلت فى مهجع بن عبد الله مولى عمر كان اول قتيل قتل من المسلمين
يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه
الامة فجزع عليه ابواه وامرأته فانزل الله تعالى فيهم هذه الآية وقيل وهم لا يفتنون بالاوامر والنواهى وذلك
ان الله تعالى امرهم فى الابتداء بمجرد الايمان ثم فرض عليهم الصلوة والزكوة وسائر الشرائع
فشق على بعض فانزل الله تعالى هذه الآية ثم عزاهم فقال وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ى
من الانبياء والمؤمنين فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلى بنو اسرائيل بفرعون فكان
يسومهم سوء العذاب فذلك سنة قديمة جارية فى الامم كلها فلا ينبغى ان يتوقع خلافه فَلَيَعْلَمَنَّ
اللَّهُ اى الذى له الكمال كله الَّذِينَ صَدَقُوا فى ايمانهم علم مشاهدة للخلق والا فالله تعالى
لا يخفى عليه خافية وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ فيه اى فيظهر الله الصادقين من الكاذبين فى الايمان
+ فائدة + لبعض المحبين الهوى آية + اى علامة + بها يعرف الصادق فى عشقه من الكاذب
سهر الليل اثما ونحول الجسم والموت فى رضا الاحباب أَمْ حَسِبَ اى ظن الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ اى الشرك
والمعاصى فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح أَنْ يَسْبِقُونَا اى يفوتونا فلا ننتقم منهم وهذا ساد
مسد مفعولى حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحساب ابطل من الاول لان صاحب
ذلك يقدر ان لا يمتحن لايمانه وصاحب هذا يظن ان لا يجازى بمساويه ولهذا عقبه بقوله تعالى
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ اى بئس الذى يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم ولما بين
بقوله احسب الناس ان يتركوا ان العبد لا يترك فى الدنيا سدى وبين فى قوله الى ام حسب
الذين يعملون السيئات ان من ترك ما كلف به يعذب عذابا بين ان من يعترف بالآخرة ويعمل
لها لا يضيع عمله بقوله تعالى مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ اى الملك الاعلى قال ابن عباس ومقاتل
من كان يخشى البعث والحساب والرجاء بمعنى الخوف وقال سعيد بن جبير من كان يطمع

في ثواب الله ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ اي الوقت المضروب للقائه ﴿لَآتٍ﴾ اي لجاء لا محالة فانه لا يجوز عليه اخلاف الوعد فان قيل كيف وقع قوله فان اجل الله لآت جوابا للشرط اجيب بانه اذا كان وقت اللقاء آتيا لا محالة كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة وقال مقاتل يعني يوم القيامة لكائن ومعنى الآية ان من يخشى الله تعالى ويأمله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم كما قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ اي لما قالوا ﴿الْعَلِيمُ﴾ بمن صدق فيما قال وبمن كذب فيثيب ويعاقب على حسب حاله قال الرازي ههنا لطيفة وهي ان العبد اه ولهم اصناف حسناته عمل قلبه وهو التصديق وهو لا يرى ولا يسمع وانما يعلم وعمل لسانه وهو يسمع وعمل اعضائه وجوارحه وهو يرى فاذا اتى بهذه الاشياء جعل الله تعالى لمسموعه ما لا اذن سمعت ولمرئيه ما لا عين رأت ولعمل قلبه ما لا خطر على قلب بشر كما وصف في الخبر في وصف الجنة اه تنبيه لم يذكر الله تعالى من الصفات غير هاتين الصفتين كالعزيز والحكيم وذلك لانه سبق القول في قوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وسبق الفعل بقوله تعالى وهم لا يفتنون وبقوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وبقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ولا شك ان القول يدرك بالسمع والعمل منه ما يدرك بالبصر ومنه ما لا يدرك به كما علم مما مر والعلم يشملهما ولما بين تعالى ان التكليف حسن واقع وان عليه وعدا وايعادا ليس لهما دافع بين ان طلب الله تعالى ذلك من المكلف ليس لنفع يعود اليه بقوله تعالى ﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ اي بذل جهده في جهاد حرب او نفس حتى كانه يسابق آخر في الاعمال الصالحة ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لان منفعة جهاده له لا لله تعالى فانه غني مطلق كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ اي المتصرف في عباده بما يشاء ﴿لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ اي الانس والجن والملائكة وعن عبادتهم ومثل هذا كثير في القرآن كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه وقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم فينبغي للعبد ان يكثر من العمل الصالح ويخلصه لان من عمل فلا يطلب به ملكا ويعلم ان الملك يراه يحسن العمل ويتقنه واذا علم ان عمله لنفسه لا لاحد يكثر منه نسأل الله الكريم الفتاح ان يوفقنا للعمل الصالح وان يفعل ذلك باهلينا وذريتنا ومحبينا محمد وآله ولما بين تعالى حال المسيء مجملا بقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا اشارة الى التعذيب مجملا وذكر حال المحسن بقوله تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه وكان التقدير فالذين جاهدوا والذين عملوا السيئات لنجزينهم اجمعين ولكنه طواه لان السياق لاهل الرجاء عطف عليه قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا﴾ تصديقا لايمانهم ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ اي في الشدة والرخاء على حسب طاقتهم وفي ذلك اشارة الى ان رحمته تعالى اتم من غضبه وفضله اتم من عدله واشار بقوله تعالى ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ الى ان الانسان وان اجتهد لا بد من ان يزل عن الطاعة لانه مجبول على النقص فالصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما لم تؤت الكبائر والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان ونحو ذلك مما وردت به الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم المختار فالصغائر تكفر بعمل الصالحات واما الكبائر فتكفر بالتوبة ولما بشرهم

واصحابه كانوا مامورين بالجهاد فشق على البعض ذلك فقال تعالى أَحَسِبَ النَّاسُ اى كافة أَنْ يُتْرَكُوا
اى اظنوا انهم يتركون بغير اختبار وابتلاء فى وقت ما بوجه من الوجوه + تنبيه + ان يتركوا سدّ
مسدّ مفعولى حسب عند الجمهور أَنْ اى بان يَقُولُوا اى بقولهم آمَنَّا وَهُمْ اى والحال انهم لَا يُفْتَنُونَ
اى يختبرون بما تتميز به حقيقة ايمانهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات
وانواع المصائب فى الانفس والاموال ليتبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب لينالوا
بالصبر عليها عوالى الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص
من الخلود فى العذاب واختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فقال الشعبى نزلت فى اناس كانوا بمكة قد
اقروا بالاسلام ثم هاجروا فتبعهم الكفار فمنهم من قتل ومنهم من نجى فانزل الله تعالى هاتين الآيتين وعن
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال انها نزلت فى عمار بن ياسر وعياش بن ابى ربيعة والوليد
ابن الوليد وسلمة بن هشام كانوا يعذبون بمكة وقال ابن جريج نزلت فى عمار بن ياسر كان يعذب
فى الله عزّ وجلّ وقال مقاتل نزلت فى مهجع بن عبد الله مولى عمر كان اول قتيل قتل من المسلمين
يوم بدر فقال صلّى الله عليه وسلّم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه
الامة فجزع عليه ابواه وامرأته فانزل الله تعالى فيهم هذه الآية وقيل وهم لا يفتنون بالاوامر والنواهى وذلك
ان الله تعالى امرهم فى الابتداء بمجرد الايمان ثم فرض عليهم الصلوة والزكوة وسائر الشرائع
فشق على بعض فانزل الله تعالى هذه الآية ثم عزاهم فقال وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ اى
من الانبياء والمؤمنين فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلى بنو اسرائيل بفرعون فكان
يسومهم سوء العذاب فذلك سنة قديمة جارية فى الامم كلها فلا ينبغى ان يتوقع خلافه فَلَيَعْلَمَنَّ
اللَّهُ اى الذى له الكمال كله الَّذِينَ صَدَقُوا فى ايمانهم علم مشاهدة للخلق والا فالله تعالى
لا يخفى عليه خافية وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ فيه اى فيظهر الله الصادقين من الكاذبين فى الايمان
+ فائدة + لبعض المحبين الهوى اية + اى علامة + بها يعرف الصادق فى عشقه من الكذاب
سهر الليل اثما ونحول الجسم والموت فى رضا الاحباب أَمْ حَسِبَ اى ظن الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ اى الشرك
والمعاصى فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح أَنْ يَسْبِقُونَا اى يفوتونا فلا ننتقم منهم وهذا ساد
مسدّ مفعولى حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحساب ابطل من الاول لان صاحب
ذلك يقدّر ان لا يمتحن لايمانه وصاحب هذا يظن ان لا يجازى بمساويه ولهذا عقبه بقوله تعالى
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ اى بئس الذى يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم ولما بيّن
بقوله احسب الناس ان يتركوا ان العبد لا يترك فى الدنيا سدى وبين فى قوله ام حسب
الذين يعملون السيئات ان من ترك ما كلف به يعذب عذابا بيّن ان من يعترف بالآخرة ويعمل
لها لا يضيع عمله بقوله تعالى مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ اى الملك الاعلى قال ابن عباس ومقاتل
من كان يخشى البعث والحساب والرجاء بمعنى الخوف وقال سعيد بن جبير من كان يطمع

في ثواب الله فان اجل الله اي الوقت المضروب للقائه لآت اي لجاء لا محالة فانه لا يجوز عليه اخلاف
الوعد فان قيل كيف وقع فان اجل الله لآت جوابا للشرط أجيب بانه اذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء
آتيا لا محالة كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة
وقال مقاتل يعني يوم القيامة لكائن ومعنى الآية ان من يخشى الله تعالى ويأمله فليستعد له وليعمل
لذلك اليوم كما قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وهو السميع اي لما قالوا العليم بمن
صدق فيما قال ومن كذب فيثيب ويعاقب على حسب عمله قال الرازي وههنا لطيفة وهي ان
العبد اذا اتى باعمال حسناته عمل قلبه وهو التصديق وهو لا يرى ولا يسمع وانما يعلم وعمل لسانه
وهو يسمع وعمل اعضائه وجوارحه وهو يرى فاذا اتى بهذه الاشياء يجعل الله تعالى لمسموعه ما لا اذن
سمعت ولمرئيه ما لا عين رأت ولعمل قلبه ما لا خطر على قلب بشر كما وصف في الخبر في وصف الجنة
اهـ تنبيه لم يذكر الله تعالى من الصفات غير هذين الصفتين كالعزيز والحكيم وذلك لانه سبق
القول في قوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وسبق الفعل بقوله تعالى وهم لا يفتنون
وبقوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وبقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ولا شك
ان القول يدرك بالسمع والعمل منه ما يدرك بالبصر ومنه ما لا يدرك به كما علم ما في والعلم
يشملهما ولما بين تعالى ان التكليف حسن واقع وان عليه وعدا وايعادا ليس لهما دافع بين ان
طلب الله تعالى ذلك من المكلف ليس لنفع يعود اليه بقوله تعالى ومن جاهد اي بذل جهده في جهاد حرب
او نفس حتى كأنه يسابق آخر في الاعمال الصالحة فانما يجاهد لنفسه لان منفعة جهاده له لا لله تعالى
فانه غني مطلق كما قال تعالى ان الله اي المتصرف في عباده بما شاء لغني عن العالمين اي الانس والجن
والملائكة وعن عباداتهم ومثل هذا كثير في القرآن كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه وقوله تعالى
ان احسنتم احسنتم لانفسكم فينبغي للعبد ان يكثر من العمل الصالح ويخلصه لان من عمل فلا يطلبه
ملكا ويعلم ان الملك يراه يحسن العمل ويتقنه واذا علم ان عمله لنفسه لا لاحد يكثر منه نسئل الله الكريم
الفتاح ان يوفقنا للعمل الصالح وان يفعل ذلك باهلينا وذريتنا ومحبينا محمد وآله ولما بين تعالى
حال المسيء مجملا بقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا اشارة الى التعذيب مجملا
وذكر حال المحسن بقوله تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه وكان التقدير فالذين جاهدوا وا
الذين عملوا السيئات لنجزينهم اجمعين ولكنه طواه لان السياق لاهل الرجاء عطف عليه قوله تعالى
والذين آمنوا وعملوا تصديقا لايمانهم الصالحات اي في الشدة والرخاء على حسب طاقتهم وفي ذلك
اشارة الى ان رحمته تعالى اتم من غضبه وفضله اتم من عدله واشار بقوله تعالى لنكفرن عنهم سيئاتهم
الى ان الانسان وان اجتهد لابد من ان يزل عن الطاعة لانه مجبول على النقص فالصلوة الى الصلوة
كفارة لما بينهما ما لم تؤت الكبائر والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان ونحو ذلك مما وردت به الاخبار عن النبي
صلى الله عليه وسلم المختار فالصغائر تكفر بعمل الصالحات واما الكبائر فتكفر بالتوبة ولما بشرهم

بالعفو عن عقاب اثم الشرك بالامتنان بالثواب فقال عاطفا على ما تقديره ولنثبتن لهم حسناتهم
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ اَحْسَنَ الَّذِىْ كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ اى احسن جزاء ما عملوه وهو الصالحات واحسن نصيب بنزع
الخافض وهو الباء. ولما كان من جملة العمل الصالح الاحسان الى الوالدين ذكر ذلك بقوله تعالى
وَوَصَّيْنَا الْاِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ اى وان عليا حُسْنًا اى برا بهما وعطفا عليهما اى وصيناه بايتاء والديه
حسنا او بايلاء والديه حسنا لانهما سبب وجود الولد وسبب بقائه بالتربية المعتادة والله تعالى سببه
فى الحقيقة بالارادة وسبب بقائه بالاعادة للسعادة فهو اولى بان يحسن العبد حاله معه فيطيعهما ما لم يأمرا
بمعصية الله كما قال تعالى وَاِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِىْ وقوله تعالى مَا لَيْسَ لَكَ بِهٖ عِلْمٌ اى لا علم لك بالهيته
موافق الواقع فلا مفهوم له وانه اذا كان لا يجوز ان يتبع فيما لا يعلم صحته فبالاولى ان لا يتبع فيما يعلم بطلانه
فَلَا تُطِعْهُمَا فى ذلك كما جاء فى الحديث لا طاعة لمخلوق فى معصية الله تعالى ولا بد من اضمار القول ان
لم يضمر قبل ثم علل ذلك بقوله تعالى اِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ اى من امن منكم ومن كفر ومن بر والديه ومن عق
ثم تسبب عنه قوله تعالى فَاُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ اى اخبركم بصالح اعمالكم وسيئها فاجازيكم عليها
نزلت هذه الآية فى سعد بن ابى وقاص الزهرى وامه حمنة بنت ابى سفيان بن امية بن عبد شمس
روى انها لما سمعت باسلامه قالت له يا سعد بلغنى انك قد صبأت فوالله لا يظلنى سقف بيت
من الضح وهو بكسر الضاد المعجمة وبحاء مهملة الشمس والريح وان الطعام والشراب على حرام حتى تكفر
بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلاثة ايام لا تنتقل من الضح ولا تاكل ولا تشرب
فلم يطعها سعد بل قال والله لو كانت مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم جاء
سعد الى النبى صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية وهى التى فى لقمان والتى فى الاحقاف
فامره صلى الله عليه وسلم ان يداريها ويترضاها بالاحسان وروى انها نزلت فى عياش بن ابى ربيعة
المخزومى وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج
ابو جهل بن هشام والحرث بن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امرأة من بنى تميم بن حنظلة فنزلا
بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تاكل ولا تشرب ولا تأوى
بيتا حتى تراك وهى اشد حبا لك منا فاستشار عمر فقال هما يخدعانك ولك على ان اقسم مالى بينى
وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما اذ عصيتنى فخذ ناقتى فليس فى الدنيا بعير
يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتى قد كلت فاحملنى معك
قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه وشداه واوثقاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى
امه فقالت لا تزال فى عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت رضى الله تعالى عنه وارضاه ونفعنا به فى الدنيا
والآخرة. ولما كان التقدير فالذين كفروا وعملوا السيئات لندخلنهم فى المفسدين لكنه طواه لدلالة السياق
عليه عطف عليه زيادة فى الحث على الاحسان الى الوالدين قوله تعالى وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا تحقيقا لايمانهم
الصّٰلِحٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى الصّٰلِحِيْنَ اى الانبياء والاولياء بان نحشرهم معهم او ندخلهم وهم

الجنة والصلاح منتهى درجات المؤمنين ومنتهى انبياء الله والمرسلين + ولما بين سبحانه وتعالى المؤمن بقوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وبين الكافرين بقوله تعالى وليعلمن الكاذبين بين انه بقى قسم ثالث مذبذب بقوله تعالى وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللّٰهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللّٰهِ بان عذبهم الكفرة على الايمان جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ اى له بما يصيبه من اذيتهم فى منعه عن الايمان الى الكفر كَعَذَابِ اللّٰهِ اى فى الصرف عن الكفر الى الايمان وَلَئِنْ لام قسم جَاءَ نَصْرٌ اى للمؤمنين مِنْ رَبِّكَ اى بفتح وغنيمة لَيَقُولُنَّ حذف منه نون الرفع لتوالى النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ فى الايمان فاشركونا فى الغنيمة واما عند الشدة فيجبنون كما قال الشاعر
وما اكثر الاصحاب حين تعدهم + ولكنهم فى النائبات قليل + قال الله تعالى أَوَلَيْسَ اللّٰهُ بِأَعْلَمَ اى بعالم بِمَا فِي صُدُورِ اى قلوب الْعَالَمِينَ من الايمان والنفاق وَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا اى بقلوبهم وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ فيجازى الفريقين واللام فى الفعلين لام قسم + ولما بين الفرق الثلاثة واحوالهم ذكر ان الكافر يدعوا من يقول آمنت الى الكفر بقوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا اى ظاهرا وباطنا لِلَّذِينَ آمَنُوا اى ظاهرا وباطنا لم يتحملون الاذى والذل اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا اى الذى نسلكه فى ديننا تدفعوا عن انفسكم ذلك فقالوا نخاف من عذاب الله تعالى على خطيئة اتباعكم فقالوا لهم اتبعونا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث ومواخذة قال الجلال المحلى والامر بمعنى الخبر وهو اولى من قول البيضاوى وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان تشجيعا للمؤمنين على الاتباع وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وَمَا هُمْ اى الكفار بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ اى المؤمنين مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فى ذلك قال الزمخشرى وترى فى المتسمين بالاسلام من يستن باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه فى عنقى وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هى قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق فى المامن فان قيل كيف سماهم الله تعالى كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله تعالى انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه فى الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشئ لا على ما هو عليه اجيب بان الله تعالى شبه حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يراد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشئ وفى قلوبهم نية الخلف تنبيه + من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين

شيئا من خطاياهم فان قيل قال الله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ ثم قال الله تعالى
وليحملن اى الكفرة اثقالهم اى اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم اى اثقالا لاقوالهم
للمؤمنين اتبعوا سبيلنا واضلالهم مقلديهم فكيف الجمع بينهما اجيب بان قول القائل حمل
فلان عن فلان يريد ان حمل فلان خفف فان لم يخفف حمله فلا يكون قد حمل منه شيئا فكذلك
وما هم بحاملين من خطاياهم يعنى لا يرفعون عنهم خطيئة بل يحملون اوزارهم انفسهم واوزارا
بسبب اضلالهم كقوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها
من غير ان ينقص من وزره شئ وقال تعالى فى اية اخرى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار
الذين يضلونهم بغير علم من غير ان ينقص من وزر من تبعهم شئ وليسألن يوم القيامة اى سؤال توبيخ وتقريع
عما كانوا يفترون اى يختلقون من الاكاذيب الاباطيل واللام فى الفعلين لام قسم وحذف فاعلهما الواو
ونون الرفع ولما كان السياق للابتلاء والامتحان والصبر على الهوان ذكر من الرسل الكرام عليهم السلام من
طال صبره على البلاء ولم يفتر عزمه عن نصيحة العباد بقوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا اى اول رسل الله
الى المخالفين من العباد وهو مثنى الى قومه وعمره اربعون سنة فان الكفر كان قد عم اهل الارض
وكان عليه السلام اطول الانبياء ابتلاء بهم ولذلك قال الله تعالى مسببا عن ذلك ومعقبا فلبث
فيهم اى بعد الرسالة الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى توحيد الله تعالى فكذبوه فاخذهم الطوفان
اى الماء الكثير فغرقوا وهم ظالمون قال ابن عباس مشركون وفى ذلك تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم
ولتابعيه رضى الله تعالى عنهم وتثبيت لهم وتهديد لقريش قال ابن عباس كان عمر نوح عليه السلام الفا
وخمسين سنة بعث على رأس اربعين سنة ولبث فى قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان
ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وروى عن ابن عباس انه بعث وهو ابن اربعمائة وثمانين سنة
وعاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة فان كان هذا محفوظا عن ابن عباس فيضاف الى لبثه فى
قومه وهو تسعمائة وخمسون سنة فيكون قد عاش الف سنة وسبعمائة وثمانين سنة واما قبره
عليه السلام فروى ابن جرير والازرقى حديثا مرسلا ان قبره بالمسجد الحرام وقيل ببلدة البقاع يعرف
اليوم بكرك نوح وهناك جامع قد بنى بسبب ذلك ذكر عن بعضهم انه عاش الفا واربعمائة سنة والاية تدل
على خلاف قول الاطباء العمر الانسانى لا يزيد على مائة وعشرين سنة ويسمونه العمر الطبيعى قال الرازى
ونحن نقول ليس طبيعيا بل هو عطاء الهى واما العمر الطبيعى فلا يدوم عندهم ولا يمتد فلا يكون
مائة او اكثر فان قيل هلا قال تسعمائة سنة وخمسين ولم جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام
اجيب عن الاول بان ما اورده الله تعالى احكم لانه لو قيل كما ذكر لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد
على اكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكانه قال تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد
الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملأ بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهى ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلى
به نوح عليه السلام من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وتثبيتا له فكان ذكر رأس العدد الذى لا رأس اكبر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع
مدة صبره وعن الثانى بان تكرير اللفظ الواحد فى الكلام الواحد حقيق بالاجتناب فى البلاغة
الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك والطوفان لغة
ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام او نحو ذلك قال العجاج وعم طوفان
الظلام الاثابا فانجيناه اى نوحا عليه السلام واصحاب السفينة اى الذين كانوا فيها من الغرق
وكانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث
ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمسة نسوة وقد روى عن النبى
صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وجعلناها اى السفينة
او الحادثة والقصة آية اى عبرة وعلامة على قدرة الله تعالى وعلمه وانجائه للطائع واهلاكه للعاصى
للعالمين اى لمن بعدهم من الناس ان عصوا رسلهم فانه لم يقع فى الدهر حادثة اعظم منها
ولا اغرب ولا اشهر فى تطبيق الماء جميع الارض بطولها والعرض واغراق جميع ما عليها من حيوان
وانسان وغيره ولما ذكر تعالى قصة نوح وكان بلاء ابراهيم عليه السلام عظيما فى قذفه فى النار
واخراجه من بلاده اتبعه به بقوله تعالى وابراهيم وهو منصوب اما باذكر ويكون اذ قال لقومه
اعبدوا الله واتقوه اى خافوا عقابه بدل اشتمال لان الاحيان تشتمل ما فيها واما معطوفا على نوحا
واذ ظرف لارسلنا اى ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض
عليهم الحق ويامرهم بالعبادة والتقوى ذلكم اى الامر العظيم الذى هو اخلاصكم فى عبادتكم له وتقواكم
خير لكم اى من كل شئ ان كنتم تعلمون اى فى عداد من يتجدد له علم فينظر الامور
بنظر العلم دون نظر الجهل ولما امرهم بما تقدم ونفى العلم عمن جهل خيريته دل عليه بقوله انما تعبدون
من دون الله اى غيره اوثانا اى اصناما لا تستحق العبادة لانها حجارة منحوتة لا شرف لها
وتخلقون اى تصورون بايديكم افكا اى شيئا مصروفا عن وجهه فانه مصنوع
وانتم تسمونه باسم الصانع ومربوب وانتم تسمونه ربا وتقولون كذبا فى تسميتها آلهة واعتقاد
شفاعتها عند الله ثم ان الله تعالى نفى عنها النفع بقوله تعالى ان الذين تعبدون ضلالا وعدولا
عن الحق الواضح من دون الله اى غير الله الذى له الملك كله لا يملكون لكم رزقا اى
شيئا من الرزق الذى لا قوام لكم بدونه وانتم تعبدونها فكيف بغيركم فتسبب عن ذلك قوله
تعالى فابتغوا اى اطلبوا عند الله اى الذى له صفات الكمال الرزق اى كله فانه
لا شئ منه الا هو بيده فان قيل لم نكر الرزق فى قوله تعالى لا يملكون لكم رزقا وعرفه
فى قوله تعالى فابتغوا عند الله الرزق اجيب بانه نكره فى معرض النفى اى لا رزق
عندهم اصلا وعرفه عند الاثبات عند الله تعالى اى كل رزق عنده فاطلبوه منه وايضا الرزق
من الله معروف لقوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها والرزق من الاوثان غير

معلوم فنكره لعدم حصول العلم به وَاعْبُدُوهُ اى عبادة يقبلها وهى ما كانت خالصة من الشرك
وَاشْكُرُوا لَهُ اى اوقعوا الشكر له خاصة على ما افاض عليكم من النعم ثم علل ذلك بقوله تعالى إِلَيْهِ وحده
تُرْجَعُونَ اى معنى فى الدنيا والآخرة فانه لا حكم فى الحقيقة لاحد سواه وحسا بالنشر والحشر
بايسر امر فيثيب الطائع ويعذب العاصى ولما فرغ من بيان التوحيد اتى بعده بالتهديد
فقال وَإِنْ تُكَذِّبُوا اى وان تكذبونى فقد اوفيتكم فى الوعظ والتهديد بمعرفتكم بانه قد
كَذَّبَ أُمَمٌ اى فى الازمان الكائنة مِنْ قَبْلِكُمْ اى من قبل من الرسل فجرى الامر فيهم على سنن
واحد لم يختلف قط فى نجاة المطيع للرسول وهلاك العاصى له ولم يضرّ ذلك الرسول شيئا وما ضرّوا
به الا انفسهم وَمَا عَلَى الرَّسُولِ ان يقهركم على التصديق بل ما عليه إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ الموضح مع ظهوره فى
نفسه بلا مرية بحيث لا يبقى فيه شك باظهار المعجزة واقامة الادلة على الوحدانية + تنبيه + فى المخاطب
بهذه الآية والآيات بعدها الى قوله تعالى فما كان جواب قومه وجهان + الاول انه قوم ابراهيم
عليه السلام لان القصة له فكان ابراهيم عليه السلام قال لقومه ان تكذبونى فقد كذب امم من
قبلكم وانما اتيت بما علىّ من التبليغ فان الرسول ليس عليه الا التبليغ والبيان فان قيل ان
ابراهيم عليه السلام لم يسبقه الا قوم نوح وهم امة واحدة اجيب بان قبل قوم نوح ايضا كان اقوام
كقوم ادريس وقوم شيث وادم وايضا فان نوحا عليه السلام عاش اكثر من الف سنة
وكان القرن يموت ويجئ اولاده والاباء يوصون الابناء بالامتناع من الاتباع فكفى بقوم نوح امما ولقد
عاش ادريس الف سنة فى قومه الى ان رفع الى السماء وامن به الف انسان منهم على عدد سنيه
واعقابهم على التكذيب + الثانى ان الآية مع قوم محمد صلى الله عليه وسلم لان هذه القصص اكثرها
المقصود منه تذكير قومه بحال من مضى حتى يمتنعوا من التكذيب ويرتدعوا خوفا من التعذيب
فقال فى اثناء حكاياتهم يا قوم ان تكذبوا فقد كذب قبلكم اقوام هلكوا فان كذبتم فانى اخاف عليكم ان يقع
بكم ما وقع بغيركم وعلى هذا اقتصر الجلال المحلى والبقاعى وهذه الآية تدل كما قال ابن عادل على انه
لا يجوز تاخير البيان عن وقت الحاجة لان الرسول اذا بلغ شيئا ولم يبينه فلم يأت بالبلاغ المبين
أَوَلَمْ يَرَوْا اى ينظروا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ اى الذى له كل كمال الْخَلْقَ اى يخلقهم الله تعالى ابتداء
نطفة ثم مضغة ثم علقة ثُمَّ هو لا غيره يُعِيدُهُ اى الخلق كما كان إِنَّ ذَلِكَ اى المذكور من الخلق الاول
والثانى عَلَى اللَّهِ اى الجامع لكل كمال المنزه عن كل شائبة نقص يَسِيرٌ فكيف ينكرون الثانى
فان قيل متى رأى الانسان بدء الخلق حتى يقال اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق اجيب بان المراد
بالرؤية العلم الواضح الذى هو كالرؤية فالعاقل يعلم ان البدء من الله تعالى لان الخلق الاول
لا يكون من مخلوق والا لما كان الخلق الاول خلقا اول فهو من الله تعالى فان قيل
علق الرؤية بالكيفية لا بالخلق ولم يقل اولم يروا ان الله خلق او بدأ الخلق والكيفية
غير معلومة اجيب بان هذا القدر من الكيفية معلوم وهو انه خلقه ولم يك شيئا مذكورا

وانه خلقه من نطفة هي من غذاء هو من ماء وتراب وهذا القدر كاف في حصول العلم بامكان
الاعادة فان قيل لم ابرز اسمه تعالى في ان ذلك على الله يسير ولم يقل ان ذلك عليه كما قال ثم يعيده
من غير ابراز اجيب بانه مع اقامة البرهان على انه يسير اكده باظهار اسمه فانه يوجب المعرفة
ايضا بكون ذلك يسيرا فان الانسان اذا سمع لفظ الله وفهم معناه انه الحيّ القادر بقدرة كاملة لا يعجزه
شيء محيط بذرات كل نافذ الارادة يقطع بجواز الاعادة وقرأ حمزة والكسائي وشعبة تروا بالتاء
على الخطاب على تقدير القول والباقون بالياء على الغيبة ولما ساق تعالى هذا الدليل الذي حاج
به الخليل قومه قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قُلْ اي لهؤلاء الذين تعبدوا بما قلدوا
بمذاهب ابائهم سِيرُوا ان لم تقتدوا بابيكم ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتتأملوا ما اقام من الدليل
القاطع والبرهان الساطع فِي الْأَرْضِ ان لم يكفكم النظر في احوال بلادكم فَانْظُرُوا اي نظر اعتبار كَيْفَ بَدَأَ
ربكم الذي خلقكم ورزقكم الْخَلْقَ من الحيوان والنبات والزروع والاشجار
وغير ذلك مما تضمنته الجبال والسهول ثُمَّ اللَّهُ اي الحائز لجميع صفات الكمال يُنْشِئُ النَّشْأَةَ
الْآخِرَةَ بعد النشأة الاولى وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الشين والف بعد الشين ممدودة قبل الهمزة
والباقون بسكون الشين والهمزة بعد الشين ثم علل ذلك بقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
لان نسبة الاشياء كلها اليه واحدة فان قيل ابرز اسم الله في الاية الاولى عند البدء فقال كيف
يبدئ الله واضمره عند الاعادة وههنا اضمره عند البدء وابرزه عند الاعادة فقال ثم الله ينشئ
اجيب بانه في الاية الاولى لم يسبق ذكر الله تعالى بفعل حتى يسند اليه البدء فقال كيف يبدئ
الله الخلق ثم يعيده اكتفاء بالاولى وفي الثانية كان ذكر البدء مسندا الى الله تعالى فاكتفى به ولم يبرزه
واما اظهاره عند الانشاء ثانيا فقال ثم الله ينشئ مع انه كان يكفي ان يقول ثم ينشئ النشأة الآخرة
فلحكمة بالغة وهي انه مع اقامة البرهان على امكان الاعادة اظهر اسمه حتى يفهم به صفات كماله
ونعوت جلاله فيقطع بجواز الاعادة فقال ثم الله مظهرا ليقع في ذهن الانسان من اسمه كمال قدرته
وشمول علمه ونفوذ ارادته فيعترف بوقوع بدئه وجواز اعادته فان قيل قال في الاولى اولم يروا كيف
يبدئ الله الخلق بلفظ المستقبل وههنا قال فانظروا كيف بدأ الخلق بلفظ الماضي فما الحكمة اجيب بان
الدليل الاول هو الدليل النفسي الموجب للعلم وهو موجب للعلم ببدء الخلق واما الدليل الثاني فمعناه
ان كان ليس لكم علم بان الله يبدأ الخلق فانظروا الى الاشياء المخلوقة فيحصل لكم العلم بان الله بدأ خلقها يحصل
من هذا القدر العلم بانه ينشئ كما بدأ فان قيل قال في هذه الاية ان الله على كل شيء قدير وقال
في الاولى ان ذلك على الله يسير فما فائدته اجيب بان فيه فائدتين الاولى ان الدليل الاول هو الدليل
النفسي وهو وان كان موجبا للعلم التام ولكن عند انضمام الدليل الآفاقي اليه يحصل العلم التام
لانه بالنظر الى نفسه علم حاجته الى غيره ووجوده منه فتم علمه بان كل شيء من الله تعالى فقال
عند تمام الدليل ان الله على كل شيء قدير وقال عند الدليل الواحد ان ذلك وهو الاعادة على

الله يسير الثانية ان العلم الاول اتم وان كان الثاني اعم وكون الاعم يسيرا على الفاعل اتم من كونه مقدورا
له بدليل قولك لمن يحمل مائة رطل انه قادر عليه فاذا سئلت عن حمله عشرة ارطال تقول ذلك
سهل يسير عليه فتقول كان التقدير ان لم يحصل لكم العلم التام بان هذه الامور عند الله سهلة
يسيرة فسيروا في الارض لتعلموا انه مقدور ونفس كونه مقدورا كاف في امكان الاعادة
ولما تم الدليل على الاعادة انتج لا محالة انه يُعَذِّبُ اي بعدله مَنْ يَشَاءُ تعذيبه اي
منكم ومن غيركم في الدنيا والاخرة وَيَرْحَمُ اي بفضله ورحمته مَنْ يَشَاءُ رحمته فلا يمسه
سوء فان قيل لم قدم التعذيب في الذكر على الرحمة مع ان رحمته سابقة كما قال صلى الله عليه وسلم
عن الله تعالى سبقت رحمتي غضبي اجيب بان السابق ذكر الكفار فذكر العذاب لسبق ذكر مستحقه
بحكم الايعاد وعقبه بالرحمة فذكر الرحمة وقع تبعا لئلا يكون العذاب مذكورا وحده وهذا تحقيق
قوله رحمتي سبقت غضبي وَاِلَيْهِ وحده تُقْلَبُوْنَ اي تردون بعد موتكم بايسر سعي وَمَا اَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ
ربكم عن ادراككم فِي الْاَرْضِ كيف تقلبتم في ظاهرها وباطنها واختلف في معنى قوله
تعالى وَلَا فِي السَّمَاءِ لان الخطاب مع الادميين وهم ليسوا في السماء فقال الفراء معناه ولا من
في السماء بمعجز ان عصى كقول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه * فمن يهجو رسول الله منكم *
ويمدحه وينصره سواء * اراد ومن يمدحه وينصره فاضمر من يريد انه لا يعجزه اهل الارض
من في الارض ولا اهل السماء من في السماء فالمعنى ان من في السماء عطف بتقدير ان يعصي
وقال الفراء وهذا من غوامض العربية وقال قطرب وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء لو
كنتم فيها كقول القائل ما يفوتني فلان ههنا ولا في البصرة اي ولا في البصرة لو كان بها وكقوله تعالى
ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض اي على تقدير ان تكونوا فيها وقال ابن عادل
وابعد من ذلك من قدر موصولين محذوفين اي وما انتم بمعجزين من في الارض من الجن
والانس ولا من في السماء من الملائكة فكيف تعجزون خالقهما وعلى قول الجمهور يكون المفعول
محذوفا اي وما انتم بمعجزين اي فائتين ما يريد الله تعالى وقال البقاعي ويمكن ان يكون له نظر
الى قصة نمروذ وبنائه الصرح الذي اراد به التوصل الى السماء لا سيما والايات مكتنفة بقصة ابراهيم
عليه السلام من قبلها ومن بعدها * ولما اخبرهم بانهم مقدور عليهم وكان ربما توهم ان غيرهم
ينصرهم صرح بنفيه في قوله تعالى وَمَا لَكُمْ اي اجمعين واشار الى سفول رتبة كل من سواه
بقوله تعالى مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اي غيره واكد النفي باثبات الجار بقوله مِنْ وَلِيٍّ اي
قريب يحميكم لاجل القرابة وَلَا نَصِيْرٍ ينصركم من عذابه * ولما بين الاصلين التوحيد
والاعادة وقررهما بالبرهان هدد كل من خالفه على سبيل التفصيل بقوله تعالى وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا
اي ستروا ما اظهرت لهم انوار العقول بِاٰيَاتِ اللّٰهِ اي بسبب دلائل الملك الاعظم المرئية
والمسموعة التي لا اوضح منها وَلِقَائِهٖ بالبعث بعد الموت الذي اخبر به واقام الدليل عليه

أولئك أي البعداء البغضاء يئسوا أي تحققوا يأسهم من الآن بل من الأزل لأنهم لم يرجوا
لقاء الله يوما ولا قال قائل منهم رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين من رحمتي أي من أن أفعل بهم
من الإكرام بدخول الجنة وغيرها فعل الراحم وأولئك لهم عذاب أليم أي مؤلم بالغ ألمه
فإن قيل هلا اكتفي بقوله تعالى أولئك مرة واحدة أجيب بأن ذلك كرر تفخيما للأمر فإنها
وصف لهم لأن المؤمن إنما يكون راجيا خائفا وأما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف وعن
قتادة أن الله تعالى ذم قوما هانوا عليه فقال أولئك يئسوا من رحمتي وقال ولا ييأس من روح الله
إلا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن أن لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وأن لا يأمن عذابه وعقابه
فصفة المؤمن أن يكون راجيا لله خائفا ثم إن الله تعالى أخبر عن فظاظة قوم إبراهيم وتكبرهم بقوله تعالى
فما كان جواب قومه لما أمرهم بالتوحيد وتقوى الله تعالى إلا أن قالوا أي قال بعضهم لبعض أو قاله
واحد منهم وكان الباقون راضين اقتلوه أو حرقوه بالنار فإن قيل كيف سمى قولهم اقتلوه
أو حرقوه جوابا مع أنه ليس بجواب أجيب عنه من وجهين أحدهما أنه خرج مخرج كلام
المتكبر كما يقول الملك لرسول خصمه جوابكم السيف مع أن السيف ليس بجواب
وإنما معناه لا أقابل بالجواب وإنما أقابل بالسيف وثانيهما أن الله تعالى أراد بيان ضلالتهم
وأنهم ذكروا ما ليس بجواب في معرض الجواب فبين أنهم لم يكن لهم جواب أصلا وذلك أن
من لا يجيب غيره وسكت لا يعلم أنه يقدر على الجواب أم لا لجواز أن يكون سكوته عن الجواب لعدم
الالتفات وأما إذا أجاب بجواب فاسد علم أنه قصد الجواب وما قدر عليه ثم إنهم استقر رأيهم
على الإحراق فجمعوا له حطبا إلى أن ملؤوا ما بين الجبال وأضرموا فيه النار حتى احترقت ما دنا منها
لعظيم الاشتعال وقذفوه فيها بالمنجنيق فأنجاه الله بما له من كمال العظمة من النار أي من حرقها
وأذاها ونفعته بأن أحرقت وثاقه إن في ذلك أي ما ذكر من أمره وما اشتملت عليه قصته من الحكم
لآيات أي براهين قاطعة في الدلالة على جميع أمر الله من تصرفه في الأعيان والمعاني لكون النار
لم تحرقه وأحرقت وثاقه وكل ما مر عليها من طائر وإخمادها مع عظمها في زمان يسير وإنشاء
روض مكانها وروي أنه لم ينتفع في ذلك اليوم الذي ألقي فيه إبراهيم عليه السلام بالنار وذلك
لذهاب حرها لقوم يؤمنون أي يصدقون بتوحيد الله وقدرته لأنهم المنتفعون بالفحص
عنها والتأمل فيها وقال أي إبراهيم عليه السلام غير هائب لتهديدهم بقتل أو غيره إنما اتخذتم
أي أخذتم بإصلاحكم وتكلف أشار إلى عظمة الله وعلو شأنه من دون الله الذي كل شيء تحت
قهره أوثانا أي أصناما تعبدونها وما مصدرية مودة بينكم أي توادكم على عبادتها في الحياة الدنيا
بالاجتماع عندها والتواصل في أمرها بالتناصر والتعاضد كما يتفق ناس على مذهب فيكون ذلك
سبب تصادقهم وهذا دال على أن جمع الفسوق لأهل الدنيا هو العادة المستمرة وأن الحب في الله
والاجتماع لعزيز جدا لما فيه من قطع علائق الدنيا وشهواتها التي زينت للناس على ما فيها من الإباء

وعظيم اليأس وقرأ نافع وابن عامر وشعبة مودّة بالنصب والتنوين وبينكم بنصب النون فنصب
مودّة على انه مفعول له اى لاجل مودّة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى برفع مودّة من غير
تنوين وكسر النون على ان مودّة خبر مبتدأ محذوف اى هى مودّة والباقون بنصب مودّة من
غير تنوين وكسر النون وهذا ايضا كاعراب المنونة ولما اشار الى هذا النفع الذى هو فى الحقيقة
ضرّ اتبع ذلك ما يعقبه من الضرّ البالغ معبرا باداة البعد بقوله ثُمَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فينكر
كل منكم محاسن اخيه ويتبرأ منه تلعن الاتباع القادة وتلعن القادة الاتباع كما قال تعالى
وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وتنكرون كلكم عبادة الاوثان تارة اذ تحققتم انها ضرر لا نفع لها وتقرّون
بها اخرى طالبين نصرتها راجين منفعتها وتنكر الاوثان عبادتكم وتجحد منفعتكم وَمَاْوٰكُمُ اى
جميعا انتم والاوثان النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نّٰصِرِيْنَ يحمونكم منها ثم بين تعالى اوّل من امن بابراهيم
بقوله تعالى فَاٰمَنَ لَهٗ اى لاجل دعائه له مع ما رأى من الايات لُوْطٌ وكان ابن اخيه هاران وهو
اوّل من صدّقه من الرجال وَقَالَ اى ابراهيم عليه السّلام لما هو جدير بالانكار من الهجرة
لصعوبتها اِنِّيْ مُهَاجِرٌ اى خارج من ارضى وعشيرتى على وجه الهجر فمنتقل ومنحاز اِلٰى رَبِّيْ اى
الى ارض ليس بها انيس ولا عشير ولا من ترجى نصرته ولا من تنفع مودّته فهاجر من كوثى
من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى الارض المقدّسة فكانت هجرتان ومن ثم قالوا لكل نبى هجرة
ولابراهيم عليه السّلام هجرتان وهو اوّل من هاجر فى الله وكان معه فى هجرته لوط وامرأته سارة
قال مقاتل وكان اذ ذاك ابن خمس وسبعين سنة فان قيل لم يقل انى مهاجر الى حيث امرنى ربى
مع ان المهاجرة توهم الجهة اجيب بان هذا القول ليس فى الاخلاص كقوله الى ربى لان الملك اذا صدر
منه امر يعلم الاخيار ثم ان واحدا منهم سار الى ذلك الموضع لغرض نفسه فقد هاجر الى حيث امره
الملك ولكن ليس لا مخلصا لوجهه فلذا قال مهاجر الى ربى يعنى بوجهى الى الجهة المامور بالهجرة اليها
ليس طلبا للجهة وانما هو طلب لله ثم علل ذلك بما يسليه عن فراق ارضه واهل ودّه من ذوى رحمه
وانسابه بقوله اِنَّهٗ هُوَ اى وحده الْعَزِيْزُ اى فهو يجدير باعزاز من انقطع اليه الْحَكِيْمُ فهو اذا اعز
احدا منعته حكمته من التعرض له بالاذلال بفعل او مقال ولما كان التقدير فاعززناه بما ظن
بنا عطف عليه قوله وَوَهَبْنَا لَهٗ اى بعظيم قدرتنا شكرا على هجرته اِسْحٰقَ من زوجته سارة رضى الله
تعالى عنها التى جمعت الى العقم فى شبابها اليأس فى كبرها وَيَعْقُوْبَ من ولده اسحق عليهما السّلام
فان قيل لم يذكر اسمعيل عليه السّلام وذكر اسحق وعقبه اجيب بان هذه السورة لما كان
السياق فيها للامتحان وكان ابراهيم عليه السّلام قد ابتلى فى اسمعيل بفراقه مع امّه ووضعهما
فى مضيعة من الارض لا انيس فيها لم يذكره تصريحا فى سياق الامتنان وافرد اسحق لانه لم يبتل
فيه بشئ من ذلك ولان الامتنان به لكون امّه عجوزا عقيما اكبر واعظم لانها اعجب وذكر اسمعيل
تلويحا فى قوله تعالى وَجَعَلْنَا اى بعظمتنا وحكمتنا فِيْ ذُرِّيَّتِهٖ من ولد اسحق واسمعيل

عليهما السلام النبوّة فلم يكن بعده نبيّ اجنبيّ عنه بل جميع الانبياء من ذرية اسحق الا نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم فانه من ذرية اسمعيل قاله بعض العلماء فان قيل ان الله تعالى جعل في ذريته النبوّة
اجابة لدعائه والوالد يسوّي بين اولاده فكيف صارت النبوّة في ولد اسحق عليه السلام اكثر
أجيب بان الله تعالى قسم الزمان من وقت ابراهيم الى يوم القيمة قسمين والناس اجمعين فالقسم
الاوّل من الزمان بعث الله تعالى فيه انبياء فيهم فضائل جمة وجاؤا تترى واحدا بعد واحد ومجتمعين
في عصر واحد كلهم من ذرية اسحق عليه السلام ثم في القسم الثاني من الزمان اخرج من ذرية
ولده اسمعيل عليه السلام واحدا اجتمع فيه ما كان فيهم وارسله الى كافة الخلق وهو محمد صلى الله
عليه وسلم وجعله خاتم النبيين وقد دام الخلق على دين اولاد اسحق اكثر من اربعة الاف سنة
ولا يبعد ان تبقى الخلق على دين ذرية اسمعيل ذلك المقدار والكتاب فلم ينزل كتاب الا على اولاده
فان قيل لم افرد الكتاب مع انها اربعة التورية والانجيل والزبور والفرقان أجيب بانه افرده ليدل
مع تناوله جنسية الكتب الاربعة انه لا شئ يستحق ان يكتب الا ما انزل فيها او كان راجعا اليها ولو جمع
لم يفد هذا المعنى وآتيناه اجره على هجرته في الدنيا بما خصصناه به مما لا يقدر عليه غيرنا
من سعة الرزق ورغد العيش وكثرة الولد والعزم في الشيخوخة وكثرة النسل والثناء
الحسن والمحبة من جميع الخلق وغير ذلك قال الرازي وفي الآية لطيفة وهي ان الله تعالى بدل جميع
احوال ابراهيم عليه السلام في الدنيا باضدادها لما اراد القوم تعذيبه بالنار كان وحيدا فريدا فبدل الله
تعالى وحدته بالكثرة حتى ملأ الدنيا من ذريته ولما كان اوّلا بعث الى قومه واقاربه الاقربين ضالين
مضلين من جملتهم آزر بدل الله تعالى اقاربه باقارب مهتدين هادين وهم ذريته الذين جعلت فيهم
النبوّة والكتاب وكان اوّلا لا جاه له ولا مال وهما غاية اللذة الدنيوية آتاه الله تعالى من المال والجاه حتى كان
له من المواشي ما علم الله تعالى عدده حتى قيل ان كان له اثنا عشر الف كلب حارس باطواق الذهب
واما الجاه فصار بحيث تقرن الصلوة عليه بالصلوة على سائر الانبياء الى يوم القيمة فصار معروفا
بشيخ المرسلين بعد ان كان خاملا حتى قال قائلهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وهذا الكلام لا يقال
الا للمجهول عند الناس وانه في الآخرة اي التي هي الدار ومحل الاستقرار لمن الصالحين اي الذين
خصصناهم بالسعادة وجعلنا لهم الحسنى وزيادة قال ابن عباس مثل آدم ونوح وفي اعراب قوله
تعالى ولوطا ما تقدّم في اعراب نصب ابراهيم اذ اي حين قال لقومه اهل سدوم الذين سكن
فيهم وصاهرهم وانقطع اليهم فصاروا قومه حين فارق عمه الخليل ابراهيم عليهما السلام منكرا
ما رأى من حالهم وقبيح فعالهم مؤكدا له ائنكم لتأتون الفاحشة وهي ادبار الرجال المجاوزة للحدّ
في القبح فكانها لذلك لا فاحشة غيرها ثم علل كونها فاحشة استئنافا بقوله ما سبقكم بها وهي
حالة مبينة لعظيم جرأتهم على المنكر اي غير مسبوقين به واغرق في النفي بقوله من احد وزاد
بقوله من العالمين اي كلهم من الانس والجن اي فضلا عن خصوص الناس ثم كرر الانكار

تأكيداً لتجاوز قبحها الذي ينكرونه بقوله أئنكم لتأتون الرجال اتيان الشهوة وعطف عليها ما ضموه
اليها من المناكر بقوله وتقطعون السبيل اى طريق المارة بالقتل واخذ المال بفعلكم الفاحشة
بمن يمر بكم فترك الناس الممر بكم او تقطعون سبيل النساء بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس
بحرث وتأتون في ناديكم المنكر اى تفعلون في مجلسكم فعل الفاحشة بعضكم ببعض وهو مما
تنكره الشرائع والمروآت والعقول وانتم لا تتحاشون عن شئ منه في المجتمع الذي يتحاشى فيه
الانسان من فعل خلاف الاولى من غير ان يستحيي بعضكم من بعض قال ابن عباس المنكر هو الخذف
بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب
والتضارط في مجالسهم والفحش والمزاح وعن عائشة رضي الله تعالى عنها كانوا يتحابقون وقيل
السخرية بمن يمر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح من سترها
ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناديا الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا
عنه لم يسم ناديا وعن مكحول في اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحناء وحل الازار و
الصفير والحذف واللوطية ودل على عنادهم بقوله تعالى مسبباً عن هذه الفضائح بالنهي عن
تلك القبائح فما كان جواب قومه اى الذين فيهم قوة ونجدة بحيث يخشى شرهم ويتقى اذاهم
لما انكر عليهم ما انكر الا ان قالوا عناداً وجهلاً واستهزاءً ائتنا بعذاب الله وعبروا بالاسم الاعظم
زيادة في الجرأة ان كنت من الصادقين اى في استقباح ذلك وان العذاب نازل بفاعليه
فان قيل قال قوم ابراهيم عليه السلام اقتلوه او حرقوه وقال قوم لوط ائتنا بعذاب الله ان كنت
من الصادقين وما هددوه مع ان ابراهيم كان اعظم من لوط فان لوطاً كان من قومه اجيب بان
ابراهيم كان يقدح في دينهم ويشتم آلهتهم ويعدد صفات نقصهم بقوله لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يغني
والسب في الدين صعب فجعلوا جزاءه القتل والتحريق ولوط كان ينكر عليهم فعلهم وينسبهم الى
ارتكاب الحرام وهم ما كانوا يقولون ان هذا واجب من الدين فلم يصعب عليهم مثل ما صعب على قوم
ابراهيم كلام ابراهيم فقالوا له انك تقول ان هذا حرام والله يعذب عليه فان كنت صادقاً فائتنا بالعذاب
فان قيل ان الله تعالى قال في موضع آخر فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط
من قريتكم وقال هنا فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله فكيف الجمع
اجيب بان لوطاً كان ثابتاً على الارشاد مكرراً على النهي والوعيد فقالوا اولاً ائتنا ثم لما كثر ذلك
منه ولم يسكت عنهم قالوا اخرجوا ولما يئس منهم طلب النصرة من الله بان قال اى لوط
عليه السلام معرضاً عنهم مقبلاً بكليته على المحسن اليه رب اى ايها المحسن الي انصرني على
القوم اى الذين فيهم من القوة ما لا طاقة لي بهم معه المفسدين اى العاصين باتيان الرجال
ووصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعاراً بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب لما
دعا لوط على قومه بقوله رب الي آخره استجاب الله تعالى دعاءه وامر ملائكته باهلاكهم

ع

وارسلهم مبشرين ومنذرين كما قال تعالى ولما جاءت واسقط ان لانه لم يتصل القول باول المجيء
بل كان قبله السلام والضيافة وعظم الرسل بقوله تعالى رسلنا اى من الملائكة تعظيما لهم وفى التسهيل
ابراهيم بالبشرى اى باسحق وولده ويعقوب ولد لاسحق عليهما السلام قالوا اى الرسل عليهم
السلام لابراهيم عليه السلام بعد ان بشروه وتوجهوا نحو سدوم انا مهلكوا اهل هذه القرية
اى قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ثم عللوا ذلك بقولهم ان اهلها كانوا
ظالمين اى غريقين فى هذا الوصف فلا حيلة فى رجوعهم عنه فان قيل قال تعالى فى قوم نوح
فاخذهم الطوفان وهم ظالمون ففى ذلك اشارة الى انهم كانوا على ظلمهم حين اخذهم ولم يقل فاخذهم
وكانوا ظالمين وههنا قال ان اهلها كانوا ظالمين ولم يقل وهم ظالمون اجيب بانه لا فرق فى موضعين
فى كونهما مهلكين وهم مصرون على الظلم لكن هناك الاخبار من الله تعالى عن الماضى حيث
قال فاخذهم وهم عند الوقوع فى العذاب ظالمون وههنا الاخبار من الملائكة عن المستقبل حيث
قالوا انا مهلكو فذكروا ما امروا به فان الكلام عن الملك بغير اذنه سوء ادب وهم كانوا ظالمين
فى وقت الامر وكونهم يبقون كذلك لا علم لهم به ولما قالت الملائكة لابراهيم عليه السلام
ذلك قال لهم مؤكدا تنبيها على حالة ابن اخيه ان فيها لوطا ولم يقل عليه السلام ان منهم لوطا
لانه نزيل عندهم فلذا جاء بالتصريح بالسؤال عنه قالوا اى الرسل عليهم السلام له نحن اعلم
منك بمن فيها اى من لوط وغيره لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين اى الباقين
فى العذاب وهم الغبرة لتتم وجهها معهم الغبرة وقرأ حمزة والكسائى بسكون النون الثانية وتخفيف
الجيم بعدها والباقون بفتح النون وتشديد الجيم بعدها ولما ان جاءت رسلنا لوطا اى المعظمون
سىء بهم اى حصلت المساءة والغم بهم اى بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء لما رأى من حسن
اشكالهم وهو يظن انهم من الناس لانهم جاؤا من عند ابراهيم عليه السلام اليه على صورة
البشر روى انهم كانوا يجلسون مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصا فاذا مر بهم عابر سبيل
حذفوه فايهم اصابه كان اولى به قيل انه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض
بذلك ولهذا يقال اجور من قاضى سدوم وضاق اى باعمال الحيلة فى الدفع عنهم بهم ذرعا
اى ذرعه اى طاقته والاصل فى ذلك ان من طالت ذراعه نال ما لا يناله قصيرها فضرب مثلا
فى العجز والقدرة ولما رأوه على هذه الحالة خفضوا عليه وقالوا له لا تخف انا رسل ربك لاهلاكهم
ولا تحزن اى على تمكنهم منا او على احد ممن يهلك فانه ليس فى احد منهم خير يشفق عليه
بسببه فانهم وصلوا فى الخبث الى حد لا مطمع فى الرجوع عنه مع ملازمته لدعائهم من غير
ملل ولا ضجر ثم عللوا ذلك بقولهم مبالغين فى التأكيد انا منجوك اى مبالغون فى انجائك وقولهم
واهلك منصوب على محل الكاف الا امرأتك كانت من الغابرين فان قيل القوم عذبوا
بسبب ما صدر منهم من الفاحشة وامرأته لم يصدر منها ذلك فكيف كانت من الغابرين معهم

اجيب بان الدال على الشر كفاعله كما ان الدال على الخير كفاعله وهي كانت تدل القوم على ضيوف
لوط حتى كانوا يقصدونهم فبالدلالة صارت كاحدهم فان قيل ما مناسبة قولهم انا منجوك
لقولهم لا تخف ولا تحزن فان خوفه ما كان على نفسه اجيب بان لوطا لما ضاق عليهم وحزن
لاجلهم قالوا له لا تخف اى علينا ولا تحزن لاجلنا فانا ملائكة ثم قالوا له يا لوط خفت علينا وحزنت
لاجلنا ففي مقابلة خوفك وقت الخوف نزيل خوفك وننجيك وفي مقابلة حزنك نزيل حزنك ولا نتركك
تفجع في اهلك فقالوا انا منجوك واهلك وقرأ ابن كثير وشعبة وحمزة والكسائي بسكون النون وتخفيف
الجيم والباقون بفتح النون وتشديد الجيم ثم انهم بعد بشارة لوط بالتنجية قالوا له إِنَّا مُنْزِلُونَ اى لا محالة
عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا اى عذابا مِنَ السَّمَاءِ فهو عظيم وقعه شديد صدعه واختلف في ذلك
الرجز فقيل حجارة وقيل نار وقيل خسف وعلى هذا يكون المراد ان الامر بالخسف والقضاء به
من السماء وقرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد الزاى والباقون بسكون النون وتخفيف الزاى
+ تنبيه + كلام الملائكة مع لوط جرى على نمط كلامهم مع ابراهيم عليه السلام فقدموا البشارة
على انزال العذاب ثم قالوا انا منجوك ثم قالوا انا منزلون ولم يعلل التنجية فلم يقولوا انا منجوك لانك نبي
او عابد وعللوا الاهلاك فقالوا بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ اى يخرجون في كل وقت من دائرة العقل والحياء
كقولهم هناك ان اهلها كانوا ظالمين + ولما كان التقدير ففعلت رسلنا ما وعدوه به من انجائه
واهلاك جميع قراهم فتركناها كان لم يسكنها احد عطف عليه قوله تعالى وَلَقَدْ تَرَكْنَا اى بما لنا
من العظمة مِنْهَا اى من تلك القرى آيَةً اى علامة على قدرتنا على كل ما نريد بَيِّنَةً اى ظاهرة
قال ابن عباس منازلهم الخربة وقال قتادة هي الحجارة التي اهلكوا بها ابقاها الله تعالى حتى ادركها
اوائل هذه الامة وقال مجاهد هو ظهور الماء الاسود على وجه الارض + فائدة + اتفق القراء على
ادغام الدال في التاء + تنبيه + في هذه الآية اشارة الى غفلة المخاطبين بهذه القصة من العرب
وغيرهم وانه ليس بينهم وبين الهدى الا تفكرهم في امرهم مع الانخلاع من الهوى وانما يكون ذلك
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ اى يتدبرون فمن لم يستبصر بذلك غير عاقل + تنبيه + ههنا اسئلة الاول كيف
جعل الآية في نوح وابراهيم عليهما السلام بالنجاة فقال فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية
وقال فانجاه الله من النار ان في ذلك لآيات وجعل ههنا الهلاك آية الثاني ما الحكمة في قوله
تعالى في السفينة جعلناها آية ولم يقل بينة وقال ههنا آية بينة الثالث ما الحكمة في قوله تعالى هناك للعالمين
وقال ههنا لقوم يعقلون اجيب عن الاول بان الآية في ابراهيم كانت في النجاة لان في ذلك الوقت لم
يكن اهلاك واما في نوح فلان الانجاء من الطوفان الذي علا الجبال باسرها امر عجيب الهي
وما به النجاة وهو السفينة كان باقيا والغرق لم يبق له بعده اثر محسوس في البلاد فجعل الباقي آية
واما ههنا فنجاة لوط لم تكن بامر يبقى اثره للحس والهلاك اثره محسوس في البلاد فجعل الآية
الامر الباقي ههنا البلاد وهناك السفينة وههنا لطيفة وهي ان الله تعالى آية قدرته موجودة

في الانجاء والاهلاك فذكر من كل باب اية وقدم ايات الانجاء لانها اثر الرحمة واخر ايات الهلاك
لانها اثر الغضب ورحمته سابقة وعن الثاني بان الانجاء بالسفينة لا يفتقر الى امر اخر واما الاية ههنا
الخسف وجعل ديارهم المعمورة عاليها سافلها وهو ليس بمعتاد وانما ذلك بارادة قادر يخصصه
بمكان دون مكان وبزمان دون زمان فهي بينة لا يمكن الجاهل ان يقول هذا امر يكون كذلك
وكان له ان يقول في السفينة امرها يكون كذلك فيقال له فلو دام الماء حتى ينفد زادهم كيف كانت
تحصل لهم النجاة ولو سلط الله تعالى عليهم الريح العاصفة كيف تكون احوالهم وعن الثالث بان
السفينة موجودة معلومة في جميع اقطار العالم فعند كل قوم مثال السفينة يتذكرون بها حالة نوح
واذا ركبوها يطلبون من الله النجاة منه ولا يثق احد بمجرد السفينة بل يكون دائما مرتجف القلب
متضرعا الى الله تعالى طالبا النجاة واما اثر الهلاك في بلاد لوط ففي موضع مخصوص لا يطلع عليه الا من
مر بها ويصل اليها ويكون له عقل يعلم ان ذلك من الله تعالى وارادته بسبب اختصاصه بمكان دون
مكان ووجوده في زمان دون زمان ولما كان شعيب عليه السلام ايضا قد ابتلي بتكذيب قومه
اتبع قصته بقصة لوط بقوله تعالى وَإِلَىٰ مَدْيَنَ اي ولقد ارسلنا او بعثنا الى مدين أَخَاهُمْ اي
من النسب والبلد شُعَيْبًا ومدين قيل اسم رجل في الاصل وحصل له ذرية فاشتهر في القبيلة
كتميم وقيس وغيرهما وقيل اسم ماء نسب القوم اليه فاشتهر في القوم قال الرازي والاول
كانه اصح لان الله تعالى اضاف الماء الى مدين بقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ولو كان اسما للماء لكانت
الاضافة غير صحيحة او غير حقيقة والاصل في الاضافة التغاير والحقيقة فان قيل قال تعالى في نوح
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقدم نوحا في الذكر وعرف القوم بالاضافة اليه وكذلك في ابراهيم
ولوط وههنا ذكر القوم اولا واضاف اليهم اخاهم شعيبا فما الحكمة في ذلك اجيب بان الاصل في الجميع
ان يذكر القوم ثم يذكر رسولهم لان الرسل لا تبعث الى غير معينين وانما تبعث الرسل الى قوم محتاجين
الى الرسل فيرسل الله تعالى اليهم من يختار غير ان قوم نوح وابراهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاصة
ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها فعرفوا بنبيهم عليه السلام فقيل قوم نوح وقوم لوط فاما قوم شعيب و
هود وصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به عند الناس فجرى الكلام على اصله وقال تعالى والى عاد
اخاهم هودا والى مدين اخاهم شعيبا فَقَالَ اي فتسبب عن ارساله وبعثه ان قال يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
اي الملك الاعلى وحده ولا تشركوا به شيئا فان العبادة التي فيها اشراك ظاهر او خفي عدم لان الله تعالى
اغنى الشركاء فهو لا يقبل الا ما كان له خالصا فان قيل لم يذكر عن لوط عليه السلام انه امر
قومه بالعبادة والتوحيد وذكر عن شعيب ذلك اجيب بان لوطا كان من قوم ابراهيم وفي زمانه
وكان ابراهيم سبقه بذلك واجتهد فيه حتى اشتهر الامر بالتوحيد عند الخلق من ابراهيم فلم يحتج
لوط الى ذكره وانما ذكر ما اختص به من المنع من الفاحشة وغيرها وان كان هو ابدا يامر بالتوحيد
اذ ما من رسول الا ويكون اكثر كلامه في التوحيد واما شعيب فكان بعد انقراض ذلك الزمن

وذلك القوم فكان هو أصلا في التوحيد فبدأ به ولما كان السياق لإقامة الأدلة على البعث الذي
هو من مقاصد السورة قال وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ أي وافعلوا ما ترجون به العاقبة فأقيم المسبب
مقام السبب أو أمروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الإيمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات
على إرادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ حال كونكم مُفْسِدِينَ أي
متعمدين الفساد ولما تسبب عن هذا النصح وتعقبه تكذيبهم تسبب عنه وتعقبه إهلاكهم تحقيقا
لأن أهل السيئات لا يسبقوننا قال تعالى فَكَذَّبُوهُ في ذلك فإن قيل ما حكاه الله تعالى عن شعيب
أمر ونهي والأمر لا يكذب ولا يصدق فإن من قال لغيره اعبد الله لا يقال له كذبت أجيب بأن
شعيبا كان يقول الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فلا تقربوه وهذه فيها
إخبارات فكذبوه فيما أخبر به فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ أي الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل
لأن القلوب رجفت بها فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ أي في بلدهم أو دورهم فاكتفى بالواحد ولم يجمع لأمن
اللبس جَاثِمِينَ أي باركين على الركب ميتين فإن قيل قال تعالى في الأعراف وههنا فأخذتهم
الرجفة وقال في هود فأخذتهم الصيحة والحكاية واحدة أجيب بأنه لا تعارض بينهما فإن
الصيحة كانت سببا للرجفة لأن جبريل لما صاح تزلزلت الأرض من صيحته فرجفت قلوبهم
والإضافة إلى السبب لا تنافي الإضافة إلى المسبب فإن قيل ما الحكمة في أنه تعالى إذا قال
فأخذتهم الصيحة قال في ديارهم وحيث قال فأخذتهم الرجفة قال في دارهم أجيب بأن المراد
من الدار هو الديار والإضافة إلى الجمع يجوز أن تكون بلفظ الجمع وأن تكون بلفظ الواحد إذا
أمن اللبس كما مر وإنما اختلف اللفظ للطيفة وهي أن الرجفة هائلة في نفسها فلم يحتج إلى تهويلها
وأما الصيحة فغير هائلة في نفسها لكن تلك الصيحة لما كانت عظيمة حتى أحدثت الزلزلة في الأرض ذكر الديار
بلفظ الجمع حتى تعلم هيئتها والرجفة بمعنى الزلزلة عظيمة عند كل أحد فلم يحتج إلى معظم للأمر ولما
كان معنى ختام قصة مدين فأهلكناهم عطف على هذا المعنى قوله تعالى وَعَادًا أي وأهلكنا أيضا عادا
وَثَمُودَ كما مر ما كانوا فيه من العتو والتكبر والعلو لأن من المقاصد العظيمة الدلالة على إتباع بعض
هذه الأمم بعضا في الخير والشر على نسق والجري بهم في إهلاك المكذبين وإنجاء المصدقين طبقا
عن طبق وقرأ حمزة وحفص في الوصل وثمود بغير تنوين على تأويل القبيلة وفي الوقف بسكون
الدال والباقون بالتنوين وفي الوقف بالألف وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ أي ما حل بهم مِنْ مَسَاكِنِهِمْ أي بعض
من هلاكهم وما كانوا فيه من شدة الأجسام وسفه الأحلام وعلو الاهتمام وتقريب الأذهان في
عظم الشأن عند مروركم بتلك المساكن ونظركم إليها في ضربكم في التجارة إلى الشام فصرفوا
في الإقبال على الاستمتاع بما تمحض الفاني من هذه الدنيا فأملوا بعيدا وبنوا شديدا ولم يغن عنهم شيء من ذلك
شيئا من أمر الله وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ البعيد من الرحمة المحترق باللعنة بقوة احتياله وخفي ضلاله
ومحاله أَعْمَالَهُمْ أي الفاسدة من الكفر والمعاصي فأقبلوا بكليتهم عليها فَصَدَّهُمْ أي

فتسبب عن ذلك صدّهم عن السبيل اى منعهم عن سلوك الطريق الذى لاطريق الا هو لكونه
يوصل الى النجاة وغيره يوصل الى الهلاك + ولما كان ذلك ربما ظنّ لفرط غباوتهم قال وكانوا
مستبصرين اى معدودين بين الناس من البصراء العقلاء + ولما كان فرعون ومن ذكر معه
من العتوّ بمكان لايخفى لما اوتوا من القوّة بالاموال والرجال قال وقارون اى واهلكنا قارون
وقدّمه لان وقوعه فى اسباب الهلاك اعجب لكونه من بنى اسرائيل ولانه ابتلى بالمال والعلم فكان
ذلك سبب اعجابه فتكبر على موسى وهرون عليهما السلام فكان ذلك سبب هلاكه وفرعون
وهامان وزيره الذى اوقد له على الطين فباع سعادته لكونه ذنبا لغيره ولقد جاءهم من قبل
موسى بالبينات اى بالحجج الظاهرات التى لم تدع لبسا فاستكبروا اى طلبوا ان يكونوا اكبر من كل
كبير بان كانت افعالهم افعال من يطلب ذلك فى الارض بعد مجئ موسى عليه السلام اليهم اكثر مما
كانوا قبله وما كانوا سابقين اى فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا اى فتسبب عن
تكذيبهم ان كلا اخذنا اى بمالنا من العظمة بذنبه اى اخذ عقوبة ليعلم انه لااحد يعجزنا فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا اى ريحا عاصفا فيها حصباء كقوم لوط وعاد ومنهم من اخذته الصيحة اى التى تظهر شدتها
الريح الحاملة لها الموافقة لقصدها فترجف لعظمتها الارض كمدين وثمود ومنهم من خسفنا
به الارض اى غيبناه فيها كقارون وجماعته ومنهم من اغرقنا بالغمر فى الماء كقوم نوح وفرعون
وقومه عذاب قوم صالح المدّ فى الاغراق والمدّ فى الخسف فتارة يهلك بريح تقذف بالحجارة من
السماء كقوم لوط او من الارض كعاد وما كان الله اى الذى لاشئ من الجمال والكمال الاله
ليظلمهم اى فيعذبهم بغير ذنب ولكن كانوا انفسهم لاغيرها يظلمون بارتكاب المعاصى ولم يقبلوا
النصح مع عجزهم ولاخافوا العقوبة على ضعفهم + ولما بين تعالى انه اهلك من اشرك عاجلا وعذب
من كذب اجلا ولم ينفعه معبوده مثّل تعالى اتخاذه ذلك معبودا باتخاذ العنكبوت بيتا فقال
مثل الذين اتخذوا اى تكلفوا ان اتخذوا من دون الله اى الذى لاكفؤ له فرضوا بالدون
الذى لاينفع ولايضر عوضا عمن لاتكيفه الاوهام والظنون اولياء ينصرونهم بزعمهم من
معبودات وغيرها فى الضعف والوهن كمثل العنكبوت اى الدابة المعروفة ذات
الارجل الكثيرة الطوال اتخذت بيتا اى تكلفت اخذه فى صنعتها له ليقيها الردى ويحميها البلاء
كما كلفت هؤلاء الاصطناع اربابهم ليقوهم ويحفظوهم بزعمهم فكان ذلك البيت مع تكلفها فى امره وتعبها
الشديد فى شانه فى غاية الوهن وان اى والحال ان اوهن البيوت اى اضعفها لبيت العنكبوت
لايدفع عنها حرا ولابردا كذلك الاصنام لاتنفع عابديها لو كانوا يعلمون اى لو كانوا
يعلمون ان هذا مثالهم وان امر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن وايضا انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه
فى دينهم ببيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون اى لو كان لهم
نوع ما من العلم لانتفعوا به ولعلموا ان هذا مثلهم فابعدوا عن اعتقاد ما هذا مثلهم ولقائل

وقف لازم

ان يقول مثل المشرك الذى يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذى يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ
بيتا بالاضافة الى رجل يبنى بيتا باجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها
بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان فان قيل
لم مثل تعالى باتخاذ العنكبوت ولم يمثل بنسجها اجيب بان نسجها فيه فائدة لولاه لما حصلت
وهو اصطياد الذباب به من غير ان يفوتها ما هو اعظم منه واتخاذهم الاوثان يفيدهم
ما هو اقل من الذباب من متاع الدنيا ولكن يفوتهم ما هو اعظم منها وهو الدار الآخرة التى
هى خير وابقى فليس اتخاذهم كنسج العنكبوت + تنبيه + نون العنكبوت اصلية والواو والتاء مزيدتان
بدليل جمعه على عناكب وتصغيره عنيكب ويذكر ويؤنث فمن التانيث قوله تعالى اتخذت ومن
من التذكير قول القائل ؎ على هطالهم منهم بيوت + كان العنكبوت هو ابتناها + وهذا مطرد
فى اسماء الاجناس تذكر وتؤنث وقرأ ورش وابو عمرو وحفص البيوت بضم الباء والباقون
بكسرها + ولما كان ضرب المثل بالشئ لا يعلم الا من العالم بذلك الشئ قال الله تعالى إِنَّ اللّٰهَ اى
الذى له صفات الكمال يَعْلَمُ مَا اى الذى يَدْعُونَ اى يعبدون مِنْ دُونِهِ اى غيره
مِنْ شَيْءٍ اى سواء كان صنما ام انسيا ام جنيا وَهُوَ الْعَزِيزُ فى ملكه الْحَكِيمُ فى صنعه وقرأ ابو عمرو وعاصم
يدعون بالياء التحتية والباقون بالفوقية ولما ذكر مثلهم وما توقفت صحته عليه كان كانه قيل
على وجه التعظيم هذا المثل مثلهم فعطف عليه قوله تعالى اشارة على امثال القرآن كلها
تفخيما لها وتنبيها على جليل قدرها وعلو شانها وَتِلْكَ الْاَمْثَالُ اى العالية عن ان تنال بنوع احتيال
ثم استأنف قوله تعالى نَضْرِبُهَا اى بما لنا من العظمة بيانا لِلنَّاسِ اى تصويرا للمعانى المعقولات
بصور المحسوسات لعلها تقرب من عقولهم فينتفعوا بها وهكذا حال التشبيهات كلها
هى طرق الى افهام المعانى المحتجبة فى الاستار تبرزها وتكشف عنها وتصورها روى
ان الكفار قالوا كيف يضرب خالق الارض والسموات الامثال بالهوام والحشرات كالذباب
والبعوض والعنكبوت فقال الله تعالى تجهيلا لهم وَمَا يَعْقِلُهَا اى حق تعقلها فينتفع بها اِلَّا الْعَالِمُوْنَ
اى الذين هيؤا للعلم وجعل طبعا لهم بما ثبت فى قلوبهم من النور واشرق فى صدورهم
من اسراره فهم يضعون الاشياء مواضعها وفى الحديث عن ابى اسامة عن جابر ان النبى صلى
الله عليه وسلم قال العالم الذى عقل عن الله وعمل بطاعته واجتنب سخطه قال البغوى والمثل
كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالاول يريد امثال القرآن التى يشبه بها احوال كفار
هذه الامة باحوال كفار الامم المتقدمة + ولما تقدم تعالى انه لا معجز له سبحانه ولا ناصر لمن خذله
استدل على ذلك بقوله تعالى خَلَقَ اللّٰهُ اى الذى لا يدانى فى عظمته السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ
اى الامر الذى يطابقه الواقع او بسبب اثبات الحق وابطال الباطل او بسبب انه محق غير
قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الجود والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار

اليه بقوله تعالى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً اى دلالة ظاهرة على قدرته تعالى لِلْمُؤْمِنِينَ واختص المؤمنون بذلك لانهم المنتفعون به ثم خاطب تعالى رأس اهل الايمان بقوله تعالى اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ اى القرآن الجامع لكل خير لتعلم ان نوحا ولوطا وغيرهما كانوا على ما انت عليه بلغوا الرسالة وبالغوا فى اقامة الدلالة ولم ينقذوا قومهم من الضلالة وهذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ولما ارشد تعالى الى مفتاح العلم دل على قانون العمل بقوله تعالى وَأَقِمِ الصَّلَاةَ اى التى هى احق العبادات ثم علل ذلك بقوله تعالى إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ اى توجد النهى وتجدده للمواظب على اقامتها بجميع حدودها عَنِ الْفَحْشَاءِ اى عن الخصال التى بلغ قبحها وَالْمُنكَرِ وهو ما لا يعرف فى الشرع فان قيل كم من مصل يرتكب الفحشاء اجيب بان المراد الصلوة التى هى الصلوة عند الله تعالى المستحق بها الثواب بان يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روى عن حاتم كان رجلى على الصراط والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت من فوقى واصلى بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد ان يصليها ولا يحبطها فهى الصلوة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال ابن مسعود وابن عباس ان الصلوة تنهى وتزجر عن معاصى الله عز وجل فمن لم تامره صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته من الله تعالى الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فصلوته وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلوة جره ذلك الى ان ينتهى عن السيئات يوما ما فقد روى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلى بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته لتردعه وقد روى ان فتى من الانصار كان يصلى معه الصلوة ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وقال ابن عوف معنى الآية ان الصلوة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها وعلى كل حال فان المراعى للصلوة لا بد ان يكون ابعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وايضا فكم من مصلين تنهاهم الصلوة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضى ان لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكر وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء العموم وقيل المراد بالصلوة القرآن كما قال تعالى ولا تجهر بصلوتك اى بقراءتك واراد به من يقرأ القرآن فى الصلوة فالقرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر روى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرأ القرآن الليل كله ويصبح سارقا قال ستنهاه قراءته ولما كان الناهى فى الحقيقة انما هو ذكر الله اتبع ذلك بقوله تعالى وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ اى لان ذكر المستحق لكل صفات كمال اكبر من كل شئ فذكر الله تعالى افضل الطاعات قال صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير من اعطاء الذهب والفضة وان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله وسئل صلى الله عليه وسلم اى العبادة افضل عند الله درجة يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا

يا رسول الله ومن الغازين في سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكر الله كثيرا افضل منه درجة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على جبل في طريق مكة يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات او والصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال تعالى فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله اكبر ليستقل بالتعليل كانه قال والصلوة اكبر لانها ذكر الله وعن ابن عباس ولذكر الله تعالى اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته وقال عطاء ولذكر الله اكبر من ان تبقى معه معصية والله اي المحيط علما وقدرة يعلم اي في كل وقت ما تصنعون من الخير والشر فيجازيكم على ذلك + ولما بين تعالى طريقة ارشاد المشركين بين طريقة ارشاد اهل الكتاب بقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب اي اليهود والنصارى ظنا منكم ان الجدال ينفع او يزيد في اليقين او يرد واحدا عن ضلال مبين الا بالتي اي المجادلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والدعاء الى الله تعالى باياته والتنبيه على حججه كما قال تعالى ادفع بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم بان حاربوا وابوا ان يقروا بالجزية فجادلوهم بالسيف الى ان يسلموا او يعطوا الجزية وقيل الا الذين اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وعن قتادة الاية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا مجادلة اشد من السيف ولما بين تعالى نحو موجب الخلاف امر بالاستعطاف بقوله تعالى وقولوا اي لمن قبل الاقرار بالجزية اذا اخبروكم بشيء مما في كتبهم امنا بالذي انزل الينا اي من هذا الكتاب المعجز وانزل اليكم من كتبكم اي لانه في اصله حق وان كان قد نسخ منه ما نسخ وان حدثوكم بشيء منه وليس عندكم ما يصدقه ولا ما يكذبه فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم لما روى ابو داود انه صلى الله عليه وسلم قال لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم اي فان هذا ادعى الى الانصاف وانفى للخلاف + ولما لم يكن هذا جامعا للفريقين اتبعه بالجامع بقوله تعالى والهنا والهكم واحد اي لا اله لنا غيره وان ادعى بعضكم عزيرا او المسيح ونحن له خاصة مسلمون اي خاضعون منقادون اتم انقياد فيما يامرنا به بعد الاصول من الفروع سواء كانت موافقة لفروعكم كالتوجه بالصلوة الى بيت المقدس او ناسخة كالتوجه الى الكعبة ولا نتخذ الاحبار والرهبان اربابا من دون الله لنا خذ ما يشرعونه لنا مخالفا لكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وكذلك اي ومثل ذلك الانزال الذي انزلناه الى انبيائهم من التورية وغيرها انزلنا اليك الكتاب اي القران مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله تعالى فالذين اتيناهم الكتاب اي التورية كعبد الله بن سلام وغيره يؤمنون به اي بالقران ومن هؤلاء اي اهل مكة او ممن في عهده صلى الله عليه وسلم من اهل الكتابين من يؤمن به وهم مؤمنو اهل

مكة واهل الكتابين وما يجحد اي ينكر قال قتادة والجحود انما يكون بعد المعرفة بآياتنا اي التي جاوزت
اقصى غايات العظمة حتى انها استحقت الاضافة الينا الا الكافرون اي اليهود ظهر لهم ان القرآن
حق والجائي به محق وجحدوا ذلك وهذا تنفير لهم عما هم عليه يعني انكم آمنتم بكل شيء وامتزتم
عن المشركين بكل فضيلة الا هذه المسئلة الواحدة وبانكارها تلحقون بهم وتبطلون مزاياكم
فان الجاحد بآية يصير كافرا وما اي وانزلنا اليك الكتاب والحال انك ما كنت تتلوا اي تقرأ اصلا
من قبله اي هذا الكتاب الذي انزلناه اليك واكد استغراق الكتب بقوله تعالى من كتاب اصلا
ولا تخطه اي تجدده وتلازم خطه وصور الخط واكده بقوله بيمينك فان قيل ما فائدة قوله بيمينك
اجيب بانه ذكر اليمين التي هي اقوى الجارحتين وهي التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي
عنه من كونه كاتبا الا ترى انك اذا قلت في الاثبات رأيت الامير يخط هذا الكتاب
بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى كتبه فكذلك النفي وفي ذلك اشارة الى انه لا تحدث الريبة
في امره لعاقل الا بالمواظبة القوية التي ينشأ عنها ملكة فكيف اذا لم يحصل اصل الفعل ولذلك قال
تعالى اذا اي لو كنت ممن يخط ويقرأ لارتاب اي شك المبطلون اي اليهود فيك وقالوا الذي
في التوراة انه امي لا يقرأ ولا يكتب او لارتاب مشركوا مكة وقالوا لعله تعلمه او التقطه من
كتب الاولين وكتبه بيده فان قيل لم سماهم مبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده في
كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان اهل مكة ايضا على حق في قولهم لعله تعلمه او كتبه بيده فان رجل
كاتب قارئ اجيب بانه سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب فكانه قال هؤلاء
المبطلون في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحينئذ ليس بقارئ ولا كاتب فلا وجه
لارتيابهم وايضا سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم وبما جاؤا
به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب انه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي
آمنوا منه بموسى وعيسى على ان المنزل اليهم معجز وهذا المنزل معجز فاذا هم مبطلون حيث لم يؤمنوا
وهو امي ومبطلون حيث لم يؤمنوا وهو غير امي ولما كان التقدير ولكنه لا ريب لهم اصلا
ولا شبهة لقولهم انه باطل قال تعالى بل هو اي القرآن الذي جئت به وارتابوا فيه فكانوا
مبطلين لذلك على كل تقدير آيات اي دلالات بينات اي واضحات جدا في الدلالة على
صدقك في صدور الذين اوتوا العلم اي المؤمنين يحفظونه فلا يقدر احد على تحريف شيء منه
لبيان الحق لديهم وفي ذلك اشارة الى ان خفاءه عن غيرهم وقال ابن عباس وقتادة بل هو
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب لانهم
يجدونه بنعته ووصفه في كتبهم وما يجحد وكان الاصل به ولكنه اشار الى عظمته بقوله تعالى
بآياتنا اي ينكرها بعد المعرفة على ما لها من العظمة باضافتها الينا والبيان الذي لا يجهله
احد الا الظالمون اي المتوغلون في الظلم المكابرون فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى

ههنا الا الظالمون ومن قبل قال الا الكافرون اجيب بان ما من حسنة ولا كلمة في القرآن الا
وفيه فائدة ثم ان العقول البشرية تدرك بعضها ولا تصل الى اكثرها وما اوتي البشر من العلم الا
قليلا ولكن الحكمة هنا انهم قبل بيان المعجزة قيل لهم ان لكم المزايا فلا تبطلوها بانكار محمد صلى الله
عليه وسلم فتكونوا كافرين فلفظ الكافر هناك كان ابلغ لمنعهم عن ذلك لاستنكافهم عن الكفر ثم بعد
بيان المعجزة قال لهم ان جحدتم هذه الآية لزمكم انكار ارسال الرسل فتلتحقون في اول الامر
بالمشركين حكما وتلتحقون عند جحود هذه الآيات بالمشركين حقيقة فتكونوا ظالمين اي مشركين
كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم فهذا اللفظ هنا ابلغ ولما كانت لتقدير يجحدها بالعموم الوضوح
في الظلم ولم يبدوا ما آيات فضلا عن كونها بينات عطف عليه قوله تعالى (وقالوا) اي مشركين مكة
اظهارا للصفة بادخال ما يدل على الصدق (لولا) اي هلا (انزل عليه) اي محمد صلى الله عليه وسلم
على اي وجه كان من وجوه الانزال (آيات) تدل قطعا على صدقه الآن بها (من ربه)
اي الذي يدعي احسانه اليه كما انزل على الانبياء قبله كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى
عليهم السلام يستدل بها على صدق مقاله وصحة ما يدعيه من رسالة وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر
وحفص آيات بالجمع لان بعده قل انما الآيات بالجمع اجماعا والباقون آية بالافراد لان غالب ما جاء
في القرآن كذلك ولما كانت هذه [illegible] مكابرة فيما اقترحوه من المعجزات تعنتا
حتى توقفوا اشار اليه بقوله تعالى (قل) اي لهم ارخاء للعنان حتى كأنهم اتيتهم بشيء (انما الآيات عند الله)
اي الذي له الامر كله ينزل ايها شاء [illegible] الا هو لا هواه ولو شاء
ان ينزل ما يقترحونه لفعل (وانما انا نذير مبين) اي فليس من شأني الا الانذار بما اعطيته
من الآيات ليس لي ان اقترح عليه الآيات فاقول انزل علي آية كذا دون آية كذا على ان المقصود
من الآيات الدلالة على الصدق وهي كلها في الحكم آية واحدة في [illegible] لانه ليس
من اسلوبها قوله تعالى (او لم يكفهم) [illegible] اي ان كانوا طالبين
للحق غير متعنتين آية مغنية عن كل آية (انا انزلنا) اي بما لنا من العظمة (عليك الكتاب) اي القرآن الجامع
لسعادة الدارين [illegible] (يتلى عليهم) [illegible] في كل
مكان وفي كل زمان من كل [illegible] من الآيات
الله على صدقك [illegible]
وتكون في مكان دون مكان [illegible]
وما دامت فان قلب العصا ثعبانا واحياء الميت [illegible]
بدون الكتاب واما القرآن فهو باق لو انكره واحد فيقال له ائت بآية من مثله [illegible]
كان في آن واحد لم يره من لم يكن في ذلك المكان اما القرآن فقد وصل الى المشرق والمغرب وسمعه كل احد
وههنا لطيفة وهي ان آيات نبينا صلى الله عليه وسلم كانت اشياء لا تختص بمكان دون مكان لان من

جعلها انشقاق القمر وهو يعم الارض لانهم يخسفون اذا وقع عم وذلك لان نبوته كانت عامة لا تختص
بقطر دون قطر وغاض بحيرة ساوة في قطر وسقط ايوان كسرى في قطر وانهدمت الكنيسة
بالروم في قطر اخر اعلاما بانه يكون امرا عاما الثالث ان غير هذه المعجزة يقول الكافر المعاند هذا
سحر وهل يدوم والقران لا يمكن هذا القول فيه وقال ابو العباس المرسي تشوف بعض الصحابة من بعض
اليهود لقرأ التوراة فنزلت اتشتغلوا من غير القران وهم انما اشتغلوا من التوراة وهي
كلام الله تعالى فما ظنك بمن يعرض عن كتاب الله ويتشبث بالملاهي والغناء ولما كان هذا القران
اعظم من كل اية يقترحونها قال تعالى ان في ذلك اي انزال الكتاب على هذا الوجه البعيد المنال
البديع المثال لرحمة اي نعمة عظيمة في كل لحظة وتطهير للخبث النفيس في كل لمحة وذكرى اي
عظة مستمرة تذكرها ولما عم بالقول خص من حيث النفع فقال لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون
بذلك ولما كان من المعلوم انهم يقولون نحن لا نصدق ان هذا الكتاب من عند الله فضلا
عن ان نكتفي به قال تعالى قل اي جوابا لما قد يقولونه من نحو هذا كفى بالله اي الحائز لجميع العظمة
وسائر الكمالات بيني وبينكم شهيدا اني قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم ونصحتكم وانذرتكم وانهم
قابلتموني بالجحد والتكذيب وقد صدقني بالمعجزات وروي ان كعب بن الاشرف وغيره قالوا يا محمد
من يشهد لك انك رسول الله فنزلت ثم وصف الشهيد وعلل كفايته بقوله يعلم ما في السموات
اي كلها والارض اي كذلك لا يخفى عليه شيء من ذلك فهو عليم بما تنسبونه اليه من التقول عليه
وبما انسبه انا اليه من هذا القران الذي يشهد لي به بعجزكم عنه فهو شاهد لي والله في الحقيقة
هو الشاهد لي فيه بالثناء علي والشهادة لي بالصدق لانه قد ثبت بالمعجزة انه كلامه ولما بين
تعالى الطريقين في ارشاد الفريقين المشركين واهل الكتاب هاديا الى الكامل الشامل لهما وللاخبار العام
فقال والذين امنوا بالباطل اي وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله اي الذي يجب الايمان
به والشكر له لان له الكمال كله وكل ما سواه هالك ليس له من ذاته الا العدم اولئك اي البعداء
البغضاء هم الخاسرون اي العريقون في الخسارة فانهم خسروا انفسهم ابدا لا بدين فان قيل
قوله اولئك هم الخاسرون يقتضي الحصر في من امن بالباطل وكفر بالله فمن ياتي باحدهما دون
الاخر لا يكون كذلك اجيب بانه يستحيل ان يكون الاتي باحدهما لا يكون اتيا بالاخر لان
المؤمن بما سوى الله تعالى مشرك لانه جعل غير الله مثله وغير الله عاجز ممكن باطل فيكون الله
تعالى كذلك ومن كفر بالله تعالى وانكره فيكون قائلا بان العالم واجب الوجود لذاته فيكون قائلا بان
غير الله اله فيكون اثباتا لغير الله وايمانا به فان قيل اذا كان الايمان بما سوى الله كفرا به فيكون كل
من امن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التاكيد الذي في قول القائل
قم ولا تقعد واقرب مني ولا تبعد اجيب بان فيه فائدة غيرها وهو انه ذكر الثاني لبيان قبح الاول
كقول القائل اتقول بالباطل وتترك الحق لبيان ان القول بالباطل قبيح ولما انذرهم صلى الله عليه وسلم

واوعد بالعذاب ان لم يؤمنوا اخبر الله تعالى عنهم بقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر
ابن الحرث حين قال فامطر علينا حجارة من السماء ان كنت من الصادقين ويجعلون تأخيره عنهم
شبهة لهم فيما يزعمون من التكذيب ولولا اجل مسمى قد ضربه لوقت عذابهم فلا نتقدم فيه
ولا نتأخر لجاءهم العذاب وقت استعجالهم لان القدرة تامة والعلم محيط وليأتينهم بغتة اي
فجاءة في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عند نزول الموت بهم وهم لا يشعرون بل هم في غاية
الغفلة عنه والاشتغال بما ينسيه ثم زاد في التعجيب من جهلهم بقوله تعالى مبدلا يستعجلونك بالعذاب
اي يطلبون منك ايقاعه بهم ناجزا ولو كان في غير وقته اللائق به ولو علموا انهم صائرون اليه لتمنوا
انهم لم يخلقوا فضلا عن ان يستعجلوا ولا عملوا جهدهم في الخلاص منه وان جهنم التي هي من عذاب
الآخرة لمحيطة بالكافرين اي ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او هي كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر
والمعاصي التي توجبها بهم واتى بالظاهر موضع المضمر تنبيها على ما استحقوا به عذابها وتعميما لكل
من اتصف به ثم ذكر تعالى كيفية احاطتها بهم بقوله عز وجل يوم يغشاهم العذاب اي يلحقهم ويلصق
بهم من فوقهم ومن تحت ارجلهم فعلم بذلك احاطته بهم من جميع الجوانب فان قيل لم خص
الجانبين ولم يذكر اليمين والشمال وخلف وقدام اجيب بان المقصود ذكر ما تتميز به نار جهنم
عن نار الدنيا ونار الدنيا تحيط بالجوانب الاربعة فان من دخلها تكون الشعلة قدامه وخلفه
ويمينه ويساره واما النار من فوق فلا تنزل وانما تصعد من سفل في العادة وتحت الاقدام لا تبقى الشعلة
بل تنطفي الشعلة التي تحت القدم ونار جهنم تنزل من فوق ولا تنطفي بالدوس موضع القدم فان قيل
ما الحكمة في قوله تعالى من فوقهم ومن تحت ارجلهم ولم يقل من فوق رؤسهم ولا قال من فوقهم ومن
تحتهم بل ذكر المضاف اليه عند ذكر تحت ولم يذكره عند ذكر فوق اجيب بان نزول النار من فوق
سواء كان من سمت الرأس ام من موضع آخر عجيب لان طبع النار الصعود الى فوق فلهذا لم يخصه
بالرأس واما بقاء النار تحت القدم فهو عجيب والا فمن جانب القدم في الدنيا تكون الشعلة
فذكر العجيب هو ما تحت الارجل حيث لم ينطفي بالدوس واما فوق فعلى الاطلاق وقوله تعالى ويقول
قرأ نافع والكوفيون بالياء اي الموكل بالعذاب من ملائكته بامره والباقون بالنون اي نأمر بالعذاب
او لمن بيده عذابهم حين عذابهم ذوقهم وهو ان يقال لهم على سبيل التنكيل والاهانة
ذوقوا ما كنتم تعملون جعل ذلك عين ما كانوا يعملون مبالغة بطريق اسم المسبب على السبب فان
عملهم كان سببا لعذابهم وهذا كثير في الاستعمال . ولما ذكر تعالى حال المشركين على حدة وحال
اهل الكتاب على حدة وجمعهما في الانذار وجعلهما من اهل النار اشتد عنادهم وزاد فسادهم
وسعوا في ايذاء المؤمنين ومنعهم من العبادة قال تعالى يا عبادي الذين آمنوا فشرفهم بالاضافة
اليه ان ارضي واسعة اي في الذات والرزق وكل ما تريدونه من الرفق ان لم تتمكنوا بسبب هؤلاء
المعاندين الذين يفتنونكم في دينكم قال مقاتل والكلبي نزلت في ضعفاء مسلمي مكة يقول الله تعالى

ان كنتم فى ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا منها فان ارض المدينة واسعة آمنة وقال مجاهد ان ارضى واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها وقال سعيد بن جبير اذا عمل فى ارض بالمعاصى فاخرجوا منها فان ارضى واسعة وكذا يجب على كل من كان فى بلد يعمل فيها بالمعاصى ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث تتهيأ له العبادة ولكن صارت البلاد فى زماننا كلها متساوية فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقرأ بفتح الياء ابن عامر والباقون بتسكينها وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقال مطرف بن عبد الله ارضى واسعة اى رزقى لكم واسع فاخرجوا وروى الثعلبى عن الحسن البصرى من سافر من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما * تنبيه * قوله تعالى يا عبادى لا يدخل فيه الكافر لوجوه الاول قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان والكافر تحت سلطنة الشيطان فلا يدخل فى قوله تعالى يا عبادى الثانى قوله تعالى يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الثالث ان العباد مأخوذ من العبادة والكافر لا يعبد الله فلا يدخل فى قوله تعالى يا عبادى وانما يختص بالمؤمنين الذين يعبدونه الرابع الاضافة بين الله تعالى والعبد يقول العبد الهى ويقول الله عبدى فان قيل اذا كان عبادى لا يتناول الا المؤمنين فما الفائدة فى قوله الذين آمنوا مع ان الوصف انما يذكر لتمييز الموصوف كما يقال يا ايها المكلفون المؤمنون ويا ايها الرجال العقلاء تمييزا بين الكافر والجاهل اجيب بان الوصف يذكر لا للتمييز بل لمجرد بيان ان فيه الوصف كما يقال الانبياء المكرمون والملائكة المطهرون مع ان كل نبى مكرم وكل ملك مطهر وانما يقال لبيان ان فيهم الاكرام والطهارة وفى قولنا الله العظيم فههنا ذكر لبيان انهم مؤمنون * ولما كانت الاقامة بمكة قبل الفتح مؤدية الى الفتنة قال تعالى ﴿فَإِيَّايَ﴾ اى خاصة بالهجرة الى ارض تامنون فيها ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ اى وحدون وان كان بالهجرة وكانت هجرة الاهل والاوطان شديدة فان قيل قوله تعالى يا عبادى يفهم منه كونهم عابدين فما الفائدة فى الامر بالعبادة اجيب بان فيه فائدتين احداهما المداومة اى يا من عبدتمونى فى الماضى اعبدونى فى المستقبل الثانية الاخلاص اى يا من تعبدنى اخلص العمل لى ولا تعبد غيرى فان قيل ما معنى الفاء فى فاعبدون اجيب بان الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضى واسعة فان لم تخلصوا العبادة لى فى ارض فاخلصوها فى غيرها * ولما امر الله تعالى عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يطلبوا لها اوفق البلاد وان بعدت حتى شق عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان خوفهم بالموت لتهون عليهم الهجرة بقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ اى كل نفس مفارقة ما الفته حتى بدنها الملابسة لها وانسها وانسته فان اطاعت بها نفسها لم تنقصها الطاعة من الاجل شيئا والا رهقت نفسها ولم تزدها المعصية فى الاجل شيئا فاذا ايقن الانسان انه ميت سهلت عليه الهجرة فانه ان لم يفارق بعض مألوفه بها فارق كل مألوفه بالموت وقد ورد اكثروا

من ذكر هادم اللذات اي الموت فانه ما ذكر في قليل اي من العمل الا كثره ولا ذكر في كثير اي من امل الدنيا
الا قلله ٠٠ والمقصود امر الصبر تصغير من يخشى في دينه بنقص شيء من الاشياء حثا على
الاستعداد بغاية الجهد في التزود للمعاد بقوله تعالى ثم الينا ترجعون على ابين وجه فنجازي
كلا منكم بما عمل وقرأ ابوبكر بالياء التحتية والباقون بالتاء الفوقية والذين آمنوا وعملوا اي
تصديقا لايمانهم الصالحات لنبوئنهم اي لننزلنهم من الجنة غرفا اي بيوتا عالية قال البقاعي
تحتها قاعات واسعة وقرأ حمزة والكسائي بعد النون بثاء مثلثة ساكنة وبعدها واو مكسورة وبعد
الواو ياء مفتوحة اي لنثوينهم اي لنقيمنهم من الثواء وهو الاقامة يقال ثوى الرجل اذا اقام
فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض اتساعا اي في غرف او تشبيه
الظرف المؤقت بالمبهم كقوله لاقعدن لهم صراطك والباقون بعد النون بباء موحدة وبعدها واو
مشددة وبعد الواو همزة مفتوحة وعلى هذه القراءة فانتصابها على انها مفعول ثان لان بوأ يتعدى
لاثنين قال الله تعالى تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ويتعدى باللام قال تعالى واذ بوأنا لابراهيم
٠٠ ولما كانت العلالي لا تروق الا بالرياض قال تعالى تجري من تحتها الانهار ومن المعلوم
انه لا يكون في موضع انهار الا ان يكون فيه بساتين كبار وزروع ورياض وازهار فيشرفون
عليها من تلك العلالي ٠٠ ولما كانت بحالة لا نكد فيها بوجه عبر في لذته ما كنى عنه بقوله تعالى
خالدين فيها اي لا يبغون عنها حولا ثم عظم امرها وشوق قصدها بقوله تعالى نعم اجر العاملين اي
هذا الاجر هذا في مقابلة قوله تعالى للكفار ذوقوا ما كنتم تعملون ثم وصفهم بما يرغب في الهجرة
بقوله تعالى الذين صبروا اي اوجدوا هذه الحقيقة حتى استحقوا هذا الوصف فكانت سجية
لهم فاذاقهم على كل شاق من التكاليف من هجرة وغيرها فان الانسان قل ان ينفك عن امر
شاق ينبغي الصبر عليه ثم رغب في الاستراحة بالتفويض اليه بقوله تعالى وعلى ربهم اي المحسن اليهم
وحده لا على اهل ولا وطن يتوكلون اي يوجدون التوكل ايجادا مستمرا تجديده كل حين يعرض
لهم ٠٠ ولما اشار بالتوكل الى انه الكافي في امر الرزق في الوطن والغربة لا مال ولا اهل قال عاطفا
على ما تقديره فكائن من متوكل عليه كفاه ولم يحوجه الى احد سواه فليبادر
من انقذه من الكفر وهداه الى الهجرة طالبا لرضاه وكاين من دابة اي كثير
من الدواب العاقلة وغيرها لا تحمل اي لا تطيق ان تحمل رزقها اي لا تدخر شيئا لساعة
اخرى لانها قد لا تدرك نفع ذلك وقد تدركه فتتوكل وعن الحسن لا تدخر
انما تصبح فيرزقها الله تعالى وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ الا الانسان والنملة والفارة وعن
بعضهم قال رأيت البلبل يحتكر في حضنه ويقال للعقعق مخابئ الا انه ينساها او لا تطيق
حمله لضعفها ثم كانه قيل فمن يرزقها فقيل الله اي المحيط علما وقدرة المتصف بكل كمال يرزقها
على ضعفها وهي لا تدخر واياكم مع قوتكم واحتيالكم واجتهادكم لا فرق بين ترزيقه لها على

ضعفها وعلام ادخارها وترزيقه لكم على توكلكم وادخاركم فانه هو المسبب وحده فان الفريقين
تارة يجد وتارة لا يجدون فصار الادخار وعدمه غير معتد ولا منظور اليه وقرأ ابن كثير بعد
الكاف بالف وبعد الالف همزة مكسورة والباقون بعد الكاف همزة مفتوحة وبعدها
ياء مشددة ووقف ابو عمرو على الياء ووقف الباقون على النون وحمزة في الوقف يسهل
الهمزة على اصله + تنبيه + كاين كلمة مركبة من كاف التشبيه واي التي تستعمل استعمال من وما ركبتا
وجعل المركب بمعنى كم ثم لم تكتب الا بالنون ليفصل بين المركب وغير المركب لان كاي تستعمل غير
مركبة كما يقول القائل رأيت رجلا كاي رجل يكون وحينئذ لا يكون كاي مركبا فاذا كان
كاي ههنا مركبا كتب بالنون للتمييز وهو السميع لاقوالكم لا يخفى الفقر والضيعة العليم
بما في ضمائركم واختلف في سبب نزول هذه الآية فعن ابن عمر انه قال دخلت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط الانصار فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلتقط الرطب بيده ويأكل فقال كل يا ابن عمر قلت لا اشتهيه يا رسول الله
قال لكني اشتهيه وهذه صبح رابعة لم اطعم طعاما ولم اجده فقلت يا رسول الله ان الله المستعان
فقال لو سألت ربي لاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر اضعافا مضاعفة ولكني اجوع يوما
واشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر اذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبئون
رزق سنة ويضعف اليقين فنزلت وكاين من دابة وذكر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة واذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج
الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا ويسقينا فنزلت وعن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان لا يدخر شيئا لغد وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم ايها الناس ليس شيء يقربكم الى
الجنة ويباعدكم من النار الا قد امرتكم به وليس شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا وقد
نهيتكم عنه وان الروح الامين نفث في روعي انه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا
الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله فانه لا يدرك ما عند الله
الا بطاعته ولئن اللام لام قسم سألتهم اي كفار مكة وغيرهم من خلق السموات والارض وسواهما
على هذا النظام العظيم وسخر الشمس والقمر لاصلاح الارزاق ومعرفة الاوقات وغير ذلك
من المنافع ليقولن الله اي الذي له جميع صفات الكمال لما تقرر في فطرهم من ذلك وتلقوه
من آبائهم موافقة للحق في نفس الامر قال اي فكيف ومن اي وجه يؤفكون اي
يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك فان قيل ذكر في السموات والارض الخلق وفي الشمس
والقمر التسخير اجيب بان مجرد خلق السموات والارض آية فلما كثرة الدلالات
خلق الشمس والقمر فانهما لو كانا في موضع واحد لا يتحركان ما حصل الليل والنهار

ولا الصيف ولا الشتاء فاذا الحكمة الظاهرة فى تحريكهما وتسخيرهما + ولما كان قد يشكل على
ذلك التفاوت فى الرزق عند من لم يتأمل حق التأمل فيقول ما بال الخلق متفاوتين فى الرزق قال تعالى
اَللّٰهُ اى بما له من الاحاطة بصفات الكمال يَبْسُطُ الرِّزْقَ بقدرته التامة امتحانا لِمَنْ يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهٖ على حسب ما يعلم من بواطنهم وَيَقْدِرُ اى يضيق لَهٗ بعد البسط او لمن يشاء ابتلاء
فظهر من ذلك قدرته وحكمته وانت ترى الملوك وغيرهم من الاقوياء يفاوتون
فى الرزق بين عمالهم بحسب ما يعلمون من علمهم الناقص باحوالهم فما ظنك بملك الملوك العالم
على الاتم نومن ساحته ظنون ولا شكوك كما قال تعالى اِنَّ اللّٰهَ اى الذى له صفات الكمال بِكُلِّ شَيْءٍ
اى من المرزوقين ومن الارزاق وكيف يمنع او يساق وغير ذلك عَلِيْمٌ يعلم مقادير الحاجات
والارزاق فهو على ذلك كله قدير يعلم ما يصلح العباد من ذلك وما يفسدهم ويعطيهم بحسب ذلك
ان شاء وكم رام بعض الاقوياء اغناء فقير وافقار غنى فكشف الحال عن فساد ما رامه من الانتقال
+ ولما قال الله تعالى الله يبسط الرزق ذكر اعترافهم بذلك بقوله تعالى وَلَئِنْ اللام لام قسم
سَاَلْتَهُمْ مَنْ نَّزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بعد ان كان مضبوطا فى جهة العلو فَاَحْيَا بِهِ الْاَرْضَ الغبراء
وانضارها باشجارها الى قرب الابان من زمان الموات فقال مِنْۢ بَعْدِ مَوْتِهَا فصار مخضرا
تهتز بعد ان لم يكن لها شئ من ذلك لَيَقُوْلُنَّ اللّٰهُ معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها
وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذى لا يقدر على شئ من ذلك فلما ثبت انه الخالق
بدأ واعادة كما يشاهد فى كل زمان قال منبها على عظمة صفاته اللازم من اثباتها صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم قُلِ يا افضل الخلق متعجبا منهم فى جحودهم كيف يقرون بما يلزمهم التوحيد ثم
لا يوحدون اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الذى لا سمى له وليس لغيره احاطة من الاشياء فلزمتهم الحجة بما اقروا به
من احاطته وهم لا يثبتون ذلك باعراضهم بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَ فيناقضون حيث يقرون بانه
المبدئ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به غيره مما هم معترفون بانه خلقه فهم لا يعرفون معنى الحمد
حيث لم يعملوا به ومنهم من آمن بعد ذلك فكان فى الذروة من كمال العقل فى التوحيد الذى
يلزمه سائر الفروع ومنهم من كان دون ذلك فكان نفى العقل عنه مقيدا بالكمال + ولما تبين
بهذه الآيات ان الدنيا مبنية على الفناء والزوال والتقلب والارتحال وهوان السرور بها فى
غير موضعه فلذلك قال مشيرا بعد سلب العقل عنهم الى انهم فيها كالبهائم يتهارجون وَمَا هٰذِهِ
الْحَيٰوةُ الدُّنْيَآ محقرا لها بالاشارة ولفظ الدناءة مع الاشارة الى هذه الاعترافات فهذا الاسم كائن
فى الالزام بالاعتراف بالاخرى اِلَّا لَهْوٌ وهو الاستمتاع بلذات الدنيا وَّلَعِبٌ وهو العبث وسميت
بهما لانها فانية وقيل اللهو الاعراض عن الحق واللعب الاقبال على الباطل فان قيل قد قال
تعالى فى الانعام وما الحيوة الدنيا ولم يقل وما هذه الحيوة وقال ههنا وما هذه الحيوة فما فائدته
اجيب بان المذكور من قبل ههنا امر الدنيا فاحيا به الارض من بعد موتها فقال

هذه والمذكور قبلها هناك الاخرة حيث قال يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم فلم تكن الدنيا في ذلك الوقت في خاطرهم فقال تعالى وما الحيوة الدنيا فان قيل ما الحكمة في تقديمه هناك اللعب على اللهو وههنا اخر اللعب عن اللهو اجيب بانه لما كان المذكور من قبل هناك الاخرة واظهارهم للحسرة ففي ذلك الوقت يبعد الاستغراق في الدنيا بل نفس الاشتغال بها فاخذ الابعد وههنا لما كان المذكور من قبل الدنيا وهي خداعة تدعو النفوس الى الاقبال عليها والاشتغال فيها اللهم الا المانع يمنع من الاستغراق فيشتغل بها من غير استغراق فيها ولعاصم يعصمه فلا يشتغل بها اصلا لكان الاستغراق اقرب من عدمه [illegible] ولما كانوا ينكرون الحيوة بعد الموت اخبر على سبيل التاكيد انه لا حيوة غيرها بقوله تعالى ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ﴾ اي خاصة ﴿الْحَيَوَانُ﴾ اي الحيوة التامة الباقية فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى هناك وللدار الاخرة خير وقال ههنا وان الدار الاخرة لهي الحيوان اجيب بانه لما كان الحاصل هناك حال اظهار الحسرة ما كان المكلف يحتاج الى وازع قوي فقال الاخرة خير ولما كان الحال هنا حال الاشتغال بالدنيا احتاج الى وازع قوي فقال لا حيوة الا حيوة الاخرة والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك اختير عليها ههنا ولما كانوا قد غلطوا في الدارين كليهما فنزلوا كل واحدة منهما غير منزلتها فعدوا الدنيا وجودا دائما على هذه الحالة وعدوا الاخرة عدما لا وجود لها نبههم قال تعالى ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ اي لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة الزوال فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى في الانعام افلا يعقلون وقال ههنا لو كانوا يعلمون اجيب بان المثبت هناك كون الاخرة خيرا ولانه ظاهر لا يتوقف الا على العقل والمثبت هنا ان لا حيوة الا حيوة الاخرة وهذا دقيق لا يعرف الا بعلم نافع ﴿فَإِذَا﴾ اي فتسبب عن عدم عقلهم المستلزم لعدم علمهم انهم اذا ﴿رَكِبُوا﴾ البحر ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ اي السفن ﴿دَعَوُا اللَّهَ﴾ اي الملك الاعلى ﴿مُخْلِصِينَ﴾ بالتوحيد ﴿لَهُ الدِّينَ﴾ معرضين عن الشركاء بالقلب واللسان حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ﴾ اي الله سبحانه وتعالى موصلا لهم ﴿إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ﴾ اي حين الوصول الى البر ﴿يُشْرِكُونَ﴾ به كما كانوا فهذا ابعادهم بانهم عند الشدائد مقرون ان القادر على كشفها هو الله عز وجل وحده فاذا زالت عادوا الى كفرهم قال عكرمة كان اهل الجاهلية اذا ركبوا في البحر حملوا معهم الاصنام فاذا اشتد عليهم الريح القوها في البحر وقالوا يا رب يا رب قال الرازي في اللوامع وهذا دليل على ان معرفة الرب فطرة كل انسان وانهم ان غفلوا في السراء فلا شك انهم يلوذون اليه في الحال الضراء انتهى فعلم ان الاشتغال بالدنيا هو الصاد عن كل خير وان الانقطاع عنها معين للفطرة الاولى المستقيمة ولهذا تجد الفقراء اقرب الى كل خير وفي اللام في قوله تعالى ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ وجهان اظهرهما ان اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين

وفي نسخة الاثم

بشركهم نعمة النجاة فيكون ذلك فعل من لا عقل له اصلا وهم يتحاشون عن مثل ذلك والثانى كونها
للامر وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها وقرأ ورش وابو عمرو وابن عامر وعاصم
بالكسر فهي محتملة للوجهين المتقدمين والباقون بالسكون وهي ظاهرة في الامر فان كانت اللام
للامر فقد عطف امرا على مثله فان قيل كونها للامر مشكل اذ كيف يامر الله تعالى بالكفر
وهو متوعد عليه اجيب بان ذلك على سبيل التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وان
كانت للعلة فقد عطفت كلاما على كلام فيكون المعنى لا فائدة لهم في الاشراك الا الكفر
والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ يومئذ ما يحل بهم
من العقاب + ولما كان الانسان يكون في البحر على اخوف ما يكون وفي بيته يكون على امن
ما يكون لا سيما اذا كان بيته في بلد حصين فلما ذكر الله المشركين عند الخوف الشديد ورأوا انفسهم
في تلك الحالة راجعة الى الله ذكرهم حالهم عند الامن العظيم بقوله تعالى أَوَلَمْ يَرَوْا اى اهل مكة
بعيون بصائرهم أَنَّا جَعَلْنَا بعظمتنا لهم حَرَمًا وقال آمِنًا لانه لا خوف على من دخله فلما امن
كل من دخله كان كانه هو نفسه الامن وهو حرم مكة فانها سد بينهم وبلدهم وبها سكناهم
ومولدهم وهي حصينة بحصن الله وآمنة موجبة التوحيد والاخلاص لانكم في اخوف ما انتم
دعوتم الله وفي امن ما حصلتم عليه كفرتم بالله وهذا متناقض لان دعاءكم في ذلك الوقت على
سبيل الاخلاص فما كان الا لقطعكم بان النعمة من الله لا غير وهذه النعمة العظيمة التي حصلتم
وقد اعترفتم بانها لا تكون الا من الله فكيف تكفرون بها والاصنام التي قلتم في حال الخوف
انها لا امن لها كيف آمنتم بها في حال الامن والحال انه وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ
اى من حول من فيه من كل جهة قتلا وسبيا مع قلة من بمكة وكثرة من حولهم فالذى خرق
العادة في فعل ذلك حتى صار على هذا السنن قادر على ان يعكس الحال فيجعل من بالحرم متخطفا
ومن حوله آمنا او يجعل الكل في الخوف على منهاج واحد أَفَبِالْبَاطِلِ من الشياطين والاديان
وغيرهما يُؤْمِنُونَ والحال انه لا يشك عاقل في بطلانه وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ التى احدثها لهم من الانجاء
وارسال محمد صلى الله عليه وسلم يَكْفُرُونَ حيث جعلوا موضع شكرهم له على النجاة وغيرها اشراكهم بعبادة
غيره وَمَنْ أَظْلَمُ اى اشد وضعا للاشياء في غير مواضعها مِمَّنِ افْتَرَى اى تعمد عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
اى اى كذب كان من الشرك وغيره كما كانوا يقولون اذا فعلوا فاحشة وجدنا عليها آباءنا
والله امرنا بها أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ اى النبي صلى الله عليه وسلم او القرآن المعجز المبين على لسان
هذا الرسول الامين الذى ما اخبر خبرا الا طابقه الواقع لَمَّا اى حين جَاءَهُ من غير امهال الى ان
ينظر ويتامل بل سارع الى التكذيب اول ما سمعه وقوله تعالى أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ
استفهام تقرير لثوائهم كقوله ‍— ألستم خير من ركب المطايا + واندى العالمين بطون راح +
قال بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة همزة

الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير والمعنى اما لهذا الكافر المكذب مثوى في جهنم حتى
اجترأ مثل هذه الجراءة وَالَّذِينَ جَاهَدُوا اي اوقعوا الجهاد بغاية جهدهم على ما دلّ عليه بالمفاعلة فِينَا
اي بسبب حقنا ومراقبتنا خاصة بلزوم الطاعات من جهاد الكفار وغيرهم من كل ما ينبغي الجهاد
فيه بالقول والفعل في الشدة والرخاء ومخالفة الهوى عند هجوم الفتن وشدائد المحن مستحضرين
لعظمتنا لَنَهْدِيَنَّهُمْ مما نجعل لهم من النور الذي لا يضل من صحبه هداية تليق بعظمتنا سُبُلَنَا اي
طريق السير الينا وهي الطريق المستقيمة والطرق المستقيمة هي التي توصل الى رضا الله عزّ وجلّ
قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل الثغور فان الله تعالى قال والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال الحسن الجهاد مخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين
جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في طاعتنا
لنهدينهم سبل ثوابنا وقال ابو سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن
بعضهم من عمل بما علم وفق لما لم يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لم نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم
وقيل المجاهدة هي الصبر على الطاعة وقرأ ابو عمرو بسكون الباء الموحدة والباقون بضمها وَإِنَّ اللَّهَ اي
بعظمته وجلاله وكبريائه لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ اي المؤمنين بالنصرة والمعونة في دنياهم والمغفرة والثواب في عقباهم
وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد المؤمنين والمنافقين فهو حديث موضوع ورواه ابن عادل عن ابي امامة عن ابي بن كعب

سورة الروم مكية

وهي ستون آية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة واربعة وثلاثون حرفا
بِسْمِ اللَّهِ الذي يملك الامر كله الرَّحْمَٰنِ الذي رحم الخلق كلهم بنصب الدلائل الرَّحِيمِ الذي
لطف باوليائه وقوله تعالى الٓمٓ تقدم الكلام على ذلك في اول سورة البقرة وقال
البقاعي لما ختم سبحانه وتعالى التي قبلها بانه مع المحسنين قال الم مشيرا بالالف القيام والعلو
ولام الوصلة وميم التمام الى ان الله الملك الاعلى القيوم ارسل جبريل عليه الصلوة والسلام
الذي هو وصلة بينه وبين انبيائه عليهم السلام الى اشرف خلقه محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث
لاتمم مكارم الاخلاق يوحي اليه وحيا معلما بالشاهد والغائب فيأتي الامر على ما اخبر
به دليلا على صحة رسالته وكمال علم مرسله وشمول قدرته ووجوب وحدانيته غُلِبَتِ الرُّومُ
وهم اهل كتاب غلبتهم فارس وليسوا اهل كتاب بل يعبدون الاوثان فِي أَدْنَى الْأَرْضِ اي
اقرب ارض الروم الى فارس بالجزيرة التقى فيها الجيشان والبادي بالغزو الفرس وَهُمْ اي
الروم مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ اضيف المصدر الى المفعول اي غلبة فارس اياهم سَيَغْلِبُونَ فارس
فِي بِضْعِ سِنِينَ وهو ما بين الثلاث الى التسع والعشر فالتقى الجيشان في السنة السابعة

من الالتقاء الاول وغلبت الروم فارس وسبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان
بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب فارس لان اهل فارس كانوا مجوسا
اميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم اهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل
عليه رجلا يقال له شهريار وبعث قيصر جيشا واستعمل عليه رجلا يدعى يخنس فالتقى مع شهريار باذرعات
وبصرى وهي ادنى الشام الى ارض العرب فغلبت فارس الروم وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه وهم بمكة فشق ذلك عليهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره ان تظهر الاميون
من المجوس على اهل الكتاب من الروم وفرح كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب والنصارى
اهل كتاب ونحن اميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من اهل الروم ولنظهرن عليكم
فنزلت هذه الآية فخرج ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الى الكفار فقال فرحتم بظهور اخوانكم
فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام اليه
ابي بن خلف الجمحي فقال كذبت يا ابا افضل فقال ابو بكر انت اكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا
اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل منهما فان ظهرت الروم على
فارس غرمت وان ظهرت فارس غرمت وجعلا الاجل ثلاث سنين فجاء ابو بكر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث
الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فخرج ابو بكر فلقي ابيا فقال لعلك ندمت قال لا فتعال ازايدك
في الخطر واماذك في الاجل فاجعلها مائة قلوص الى تسع سنين وقيل الى سبع سنين قال قد فعلت
فلما خشي ابي بن خلف ان يخرج ابو بكر من مكة اتاه فلزمه وقال اني اخاف ان تخرج من مكة فاقم
لي كفيلا فكفله له ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما اراد ابي بن خلف ان يخرج الى احد اتاه عبد الله بن ابي بكر
فلزمه وقال والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى احد ثم رجع ابي بن خلف
فمات بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على
فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر فاخذ ابو بكر الخطر
من ذرية ابي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة
على صحة النبوة وان القرآن من عند الله لانه انبأ عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله تعالى فان قيل
كيف صحت المناحبة وانما هي قمار اجيب بان قتادة رحمه الله تعالى قال كان ذلك قبل تحريم القمار قال
الزمخشري ومذهب ابي حنيفة ومحمد ان العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب
بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده ابو بكر رضي الله عنه بينه وبين ابي بن خلف
ولما كان تغلب ملك على ملك من الامور الهائلة وكان الاخبار به قبل كونه اهول ذكر علة ذلك
بقوله تعالى لِلّٰهِ اي وحده الْاَمْرُ مِنْ قَبْلُ اي قبل دولة فارس على الروم ثم دولة الروم على فارس
وَمِنْ بَعْدُ اي بعد دولة الروم عليهم ودولتهم على الروم ولما اخبر تعالى بهذه المعجزة اخبر بمعجزة

اخرى بقوله تعالى ويومئذ اى تغلب الروم على فارس يفرح المؤمنون اى الغريقون فى هذا الوصف
من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بنصر الله اى الذى لا راد لامره الروم على فارس وقد فرحوا
بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول جبريل عليه السلام بذلك فيه مع فرحهم بنصرهم
على المشركين فيه قال السدى فرح النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم
بدر وظهور اهل الكتاب على اهل الشرك وعن ابى سعيد الخدرى وافق ذلك يوم بدر وفى هذا
اليوم نصر المؤمنون ينصر من يشاء من ضعيف وقوى لانه لامانع له ولا يسئل عما يفعل فالغلبة
لا تدل على الحق بل الله قد يزيد ثواب المؤمن فيبتليه ويسلط عليه الاعادى وقد يختار تعجيل العذاب
الادنى دون العذاب الاكبر قبل يوم المعاد وهو العزيز فلا يعز من عادى ولا يذل من والى وقرأ
قالون وابو عمرو والكسائى بسكون الهاء والباقون بالضم ولما كان السياق لبشارة المؤمنين قال
الرحيم فيخصهم بالاعمال الزكية والاخلاق المرضية وعد الله اى الذى له جميع صفات الكمال مصدر
مؤكد ناصبه مضمر اى وعدهم الله ذلك وعدا بظهور الروم على فارس لا يخلف الله اى الذى
له الامر كله وعده به وهذا مقرر لمعنى هذا المصدر ويجوز ان يكون قوله تعالى لا يخلف الله وعده
حالا من المصدر فيكون كالمصدر الموصوف فهو مبين للنوع كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف
ولكن اكثر الناس بجهلهم وعدم تفكرهم لا يعلمون ذلك وقوله تعالى يعلمون بدل من قوله تعالى
لا يعلمون وفى هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك
انه لا فرق بين عدم العلم الذى هو الجهل وبين وجود العلم الذى لا يتجاوز الدنيا ظاهرا من الحيوة الدنيا
يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من امر معايشهم كيف يكسبون ويتجرون
ومتى يغرسون ثم يزرعون ويحصدون وكيف يبنون ويعرشون قال الحسن ان احدهم لينقر الدرهم
بطرف ظفره فيذكر وزنه وهو لا يخطئ وهو لا يحسن يصلى وامثال هذا الهم كثير وهو وان كان
عند اهل الدنيا عظيما فهو عند الله حقير فلذلك حقره لانهم ما زادوا فيه على ان ساووا البهائم
فى ادراكها ما ينفعها فتستجلبه بضرب من الحيل وما يضرها فتدفعه بانواع من الخداع واما علم
باطنها وهو انها مجاز الى الآخرة يتزود منها بالطاعة فهو ممدوح وفى تنكير الظاهر اشارة الى انهم
لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم اى هؤلاء الموصوفون خاصة عن الآخرة
اى التى هى المقصودة بالذات وما خلقت الدنيا الا للتوصل بها اليها ليظهر الحكم بالقسط وجميع
صفات العز والكبر والجلال والاكرام هم غافلون اى فى غاية الاستغراق والاضراب عنها بحيث لا تخطر
فى خواطرهم تنبيه هم الثانية يجوز ان تكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر هم الاولى وان
تكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى وايةما كانت فذكرها مناد على انهم معدن الغفلة
عن الآخرة ومقرها ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع اولم يتفكروا اى يجتهدوا فى
اعمال الفكر وقوله تعالى فى انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يحدثوا الفكر فى انفسهم

اى فى قلوبهم الفارغة من التفكر والتفكر لا يكون الا فى القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين
كقولك اعتقده فى قلبك واضمره فى نفسك وان يكون صلة اى اولم يتفكروا فى احوالها خصوصا
فيعلموا ان من كان منهم قادرا كاملا لا يختلف عداه وهو انسان ناقص فكيف بالاله الحق ويعلموا
ان الذى ساوى بينهم فى الايجاد من العدم وطورهم فى اطوار الصور وفاوت بينهم فى القوى والقدر
وبين احوالهم فى الطول والقصر وسلط بعضهم على بعض بانواع الضرر ومات اكثرهم مظلوما قبل
القصاص والظفر لابد فى حكمته البالغة من جمعه العدل بينهم فى جزاء من وفى او غدر او شكر
او كفر ففى ذلك دلالة على وحدانية الله تعالى وعلى الحشر ثم ذكر تعالى نتيجة ذلك وعلله
بقوله فى اسلوب التاكيد لاجل انكارهم وعلى التقدير الاول يكون المتفكر فيه مَا خَلَقَ اللّٰهُ اى بعز
جلاله وعلوه فى كماله السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ على ما هما عليه من النظام المحكم والقانون المتقن قال
البقاعى وافرد الارض لعدم دليل حسى او عقلى يدلهم على تعددها بخلاف السماء اه وقد
يرد هذا بقوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وَمَا بَيْنَهُمَا من المعانى التى بها كمال
منافعهما اِلَّا خلقا متلبسا بِالْحَقِّ اى الامر الثابت الذى يطابقه الواقع فاذا ذكر البعث الذى
هو مبدأ الاخرة التى هذا اسلوبها وجد الواقع فى تصوير النطفة ونفخ الروح وتمييز الصالح
منهما للتصوير من الفاسد يطابق ذلك اذا تدبر والنبات بعدما كان هشيما قد نزل عليه الماء فربا
واهتز ودبا وجده مطابقا لامر البعث فى اذا ذكر القدرة فرأى اختلاف الليل والنهار وسير الكواكب الصغار
والكبار وامطار الامطار واجراء الانهار ونحو ذلك من الاسرار رآه مطابقا لكل ما يخطر بالبال ولما
كان عندهم ان هذا الوجه حيوة وموت لا الى نفاد قال تعالى وَاَجَلٍ لايات ينتهى اليه مُسَمًّى
اى فى العلم من الازل لذلك يفنى عند انتهائه ويبدو البعث ولما كانوا ينكرون انهم على كفر اكد
قوله تعالى وَاِنَّ كَثِيْرًا مِّنَ النَّاسِ مع ذلك على وضوحه بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ اى الذى ملأهم احسانا
برجوعهم فى الاخرة الى العرض عليه للثواب والعقاب لَكٰفِرُوْنَ اى لا يؤمنون بالبعث بعد الموت
فان قيل ما الفائدة فى قوله تعالى ههنا وان كثيرا من الناس وقال من قبل ولكن اكثر الناس اجيب
بان فائدته انه من قبل لم يذكر دليلا على الاصلين وههنا قد ذكر الدلائل الراسخة والبراهين اللائحة
ولا شك فى ان الايمان بعد الدليل اكثر من الايمان قبل الدليل فبعد الدليل لابد ان يؤمن من ذلك
جمع فلا يبقى الاكثر كما هو فقال بعد اقامة الدليل وان كثيرا وقال قبله ولكن اكثر الناس لانه بعد
الدليل لا يمكن الذهول عنه وهو السموات والارض لانه من البعيد ان يذهل الانسان عن السماء
التى فوقه والارض التى تحته فلهذا ذكره ما يقع الذهول عنه وهو امثالهم وحكاية اشكالهم فقال
اَوَلَمْ يَسِيْرُوْا فِى الْاَرْضِ اى سير اعتبار وبقوله تعالى فَيَنْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ من الامم
وهى اهلاكهم بتكذيبهم رسلهم تقرير لسيرهم فى اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمرين كعاد وثمود
كَانُوْا اَشَدَّ مِنْهُمْ اى العرب قُوَّةً اى فى ابدانهم وعقولهم وَاَثَارُوا الْاَرْضَ اى

حرثوها وقلبوها للزرع والغرس والمعادن والمياه وغير ذلك وَعَمَرُوهَا اي اولئك السالفون
أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا اي هؤلاء الذين ارسلت اليهم بل ليس لهم من اثارة الارض في عمارتها كبير
امر فان بلاد العرب انما هي في جبال سود وفياف غبر فما هو الا تهكم بهم وبيان لضعف حالهم
في دنياهم التي لا فخر لهم بغيرها وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ اي بالحجج الظاهرات مثل ما اتاكم به رسولنا
من وعودنا الصادقة وامورنا الخارقة كامر الاسراء وما ظهر فيه من الغرائب كالاخبار بان العير تقدم
في يوم كذا يقدمها جمل صفته كذا وغرائره كذا فظهر كذلك وما امنتم به كما لم يؤمن من كان اشد
منكم قوة فَمَا اي تسبب انه ما كَانَ اللّٰهُ اي على ماله من اوصاف الكمال مريدا لِيَظْلِمَهُمْ بان يفعل
معهم فعل من تعدونه انتم ظالما بان يهلكهم في الدنيا ثم يقتص منهم في القيمة قبل اقامة الحجة
عليهم بارسال الرسل بالبينات وَلَكِنْ كَانُوا بغاية جهدهم أَنْفُسَهُمْ اي خاصة يَظْلِمُونَ اي
يجددون الظلم لها بايقاع الضر موقع جلب النفع ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ اي اخر امر الَّذِينَ أَسَاؤُا وقوله تعالى
السُّوأَى اي تانيث الاسوأ وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا
بالدمار ثم كان عاقبتهم السوأى الا انه وضع المظهر موضع المضمر اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات
في الاخرة وهي جهنم التي اعدت للكافرين وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وعاقبة بالرفع على انها
اسم كان والسوأى خبرها والباقون بالنصب على انها خبر كان وقيل السوأى اسم جهنم كما ان
الحسنى اسم للجنة واساءتهم أَنْ اي بان كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللّٰهِ اي القران وقيل تفسير السوأى
ما بعده وهو قوله تعالى ان كذبوا اي ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملتهم تلك السيئات على ان كذبوا
بايات الله وَكَانُوا بِهَا مع كونها ابعد شيء عن الهزء يَسْتَهْزِؤُنَ اي يستمرون على ذلك تجددا في كل
حين + ولما كان حاصل ما مضى انه تعالى قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء صرح بذلك في قوله
تعالى اَللّٰهُ اي المحيط علما وقدرة يَبْدَؤُا الْخَلْقَ اي بدأ منه ما رأيتم وهو مجدد في كل وقت ما يريد من
ذلك كما تشاهدون ثُمَّ يُعِيدُهُ اي خلقهم بعد موتهم احياء ولم يقل يعيدهم لرده الى الخلق
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ للجزاء فيجزيهم باعمالهم وقرأ ابو عمرو وشعبة بالياء على الغيبة على النسق الماضي
والباقون بالتاء على الخطاب اي اليه ترجعون معنى في اموركم كلها في الدنيا وان كنتم لقصور النظر
تنسبونها للاسباب وحسا بعد قيام الساعة وهي ابلغ من القراءة الاولى لانها انص على المقصود + ولما
ذكر الرجوع اتبعه ببعض احواله بقوله تعالى وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ سميت بذلك اشارة الى عظيم القدرة
عليها مع كثرة الخلائق على ما هم فيه من العظماء والكبراء والرؤساء يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ اي يسكت
المشركون لانقطاع حجتهم فالابلاس ان يبقى بائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فابلس ومنه الناقة
المبلاس اي التي لا ترغو وقال مجاهد مفتضحون وقال قتادة المعنى ييأس المشركون من كل خير
+ ولما كان الساكت ربما اغناه عن الكلام غيره نفى ذلك بقوله تعالى محققا له بجعله ماضيا وَلَمْ يَكُنْ
ومعناه لا يكون لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ اي ممن اشركوهم بالله وهم الاصنام شُفَعَاءُ ينقذونهم

هام فيه ليتبين لهم غلطهم وجهلهم المفرط فى قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولما ذكر تعالى
حال الشفعاء معهم ذكر حالهم مع الشفعاء بقوله تعالى وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ اى خاصة كَافِرِينَ
اى متبرئين منهم بانهم ليسوا بآلهة وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعاء فى المصحف
بواو قبل الالف كما كتب علماء بنى اسرائيل وكذلك كتب السوأى بالف قبل الياء اثباتا للهمزة على
صورة الحرف الذى منه حركتها وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ اى ويا له من يوم وزاد فى تهويله بقوله تعالى
يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ اى المؤمنون الذين يفرحون بنصر الله والكافرون فرقة لا اجتماع بعدها هؤلاء
فى عليين وهؤلاء فى اسفل سافلين كما قال عز من قائل فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا اى اقروا بالايمان بانفسهم
وَعَمِلُوا تصديقا لاقرارهم الصَّالِحَاتِ فَهُمْ اى خاصة فِى رَوْضَةٍ وهى ارض عظيمة جدا منبسطة واسعة
ذات ماء غدق ونبات معجب بهيج مثلا اصلها فى اللغة قال الطبرى ولا تجد احسن منظرا ولا اطيب
نشرا من الرياض اهـ والتنكير لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات
وماء ومن امثالهم احسن من بيضة فى روضة يريدون بيضة النعامة يُحْبَرُونَ قال ابو بكر
ابن عياش التيجان على رؤسهم وقال ابو عبيدة يسرون والحبر على سبيل التجدد كل وقت سرورا
تشرق له الوجوه وتبسم الافواه وتزهر العيون فيظهر حسنها وبهجتها فتظهر النعمة بظهور آثارها
على اسهل الوجوه وايسرها وقال ابن عباس يكرمون وقال قتادة ينعمون وقال الاوزاعى عن يحيى
ابن كثير يحبرون هو السماع فى الجنة وقال الاوزاعى اذا اخذ فى السماع لم يبق فى الجنة شجرة الا وردت
وقال ليس احد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ فى السماع قطع على اهل سبع سموات
صلواتهم وتسبيحهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفى آخر القوم اعرابى
قال يا رسول الله هل فى الجنة من سماع قال نعم يا اعرابى ان فى الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء
خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق مثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الداودى فسألت
ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروى ان فى الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل
الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا
لماتوا طربا وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا اى غطوا ما كشفته انوار العقول وَكَذَّبُوا عنادا بِآيَاتِنَا التى لا اصدق
منها ولا اضوأ من انوارها بما لها من عظمتنا وهو القرآن وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ اى بالبعث وغيره فَأُولَئِكَ
اى البغضاء البعداء فِى الْعَذَابِ الكامل لا غيره مُحْضَرُونَ اى مدخلون لا يغيبون عنه فَسُبْحَانَ اللَّهِ
اى سبحوا الله تعالى بمعنى صلوا حِينَ تُمْسُونَ اى حين تدخلون فى المساء وفيه صلاتان المغرب
والعشاء وَحِينَ تُصْبِحُونَ اى تدخلون فى الصباح وفيه صلوة الصبح وقوله تعالى وَلَهُ الْحَمْدُ
فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اعتراض ومعناه يحمده اهلهما وقوله تعالى وَعَشِيًّا عطف على حين
وفيه صلوة العصر وَحِينَ تُظْهِرُونَ اى تدخلون فى الظهيرة وفيه صلوة الظهر قال نافع بن الازرق
لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس فى مواقيتها فى القرآن فقرأ هاتين الآيتين وقال

جمعت الآيتان الصلوات الخمس ومواقيتها وانما خص هذه الاوقات مع ان افضل الاعمال ادومها لان الانسان لا يقدر ان يصرف جميع اوقاته الى التسبيح لانه محتاج الى ما يرتفق به من مأكول ومشروب وغير ذلك فخفف الله عنه العبادة فى غالب الاوقات وامره بها فى اول النهار ووسطه وآخره وفى اول الليل ووسطه فاذا صلى العبد ركعتى الفجر فكانما سبح قدر ساعتين وكذلك باقى الركعات وهى سبع عشرة مع ركعتى الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس فى اوقاتها فكانما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقى عليه سبع ساعات من جميع الليل والنهار وهى مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع اوقاته بالتسبيح فى العبادة او بمعنى تنزيهه من السوء بالثناء عليه بالخير فى هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعم الله تعالى الظاهرة عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت احد يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وعن جويرية بنت الحرث زوج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها انه خرج ذات غداة من عندها وكان اسمها برة فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فسماها جويرية فكره ان يقال خرج من عند برة فخرج وهى فى مسجدها اى مصلاها فرجع بعد ما تعالى النهار فقال ما زلت فى مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرات لو وزن بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وعن سعد بن ابى وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايعجز احدكم ان يكتسب فى كل يوم الف حسنة فسأله سائل من جلسائه كيف يكتسب كل يوم الف حسنة قال يسبح مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة او يحط عنه الف خطيئة وفى غير رواية مسلم ويحط بغير الف ولما كان الانسان عند الاصباح يخرج من سنة النوم الى سنة الوجود وهى اليقظة وعند العشاء يخرج من اليقظة الى النوم اتبعه الاحياء والاماتة حقيقة بقوله تعالى يُخْرِجُ الْحَيَّ كالانسان والطائر مِنَ الْمَيِّتِ كالنطفة والبيضة وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ كالبيضة والنطفة مِنَ الْحَيِّ على عكس ذلك او يعقب الحياة الموت وبالعكس وقيل يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وَيُحْيِي الْأَرْضَ اى بالمطر واخراج النبات بَعْدَ مَوْتِهَا اى يبسها وَكَذَلِكَ اى ومثل هذا الاخراج تُخْرَجُونَ اى بيسر امر من الارض بعد تفرق اجسامكم فيها باحيائه للبعث والحساب وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائى الميت بكسر الياء المشددة والباقون بالسكون وقرأ حمزة والكسائى وابن ذكوان بخلاف عنه بفتح التاء قبل الخاء وضم الراء على البناء للفاعل والباقون بضم التاء وفتح الراء على البناء للمفعول وَمِنْ آيَاتِهِ اى ومن جملة علاماته فى قدرته وكمال تفرده أَنْ خَلَقَكُمْ اى اصلكم وهو آدم عليه السلام مِنْ تُرَابٍ

ع

لم يكن له اصلا اتصاف ما بحياة او انه خلقكم من نطفة والنطفة من الغذاء والغذاء انما يتولد من الماء
والتراب ﴿ثم﴾ اى بعد اخراجكم منه ﴿اذا انتم بشر تنتشرون﴾ فى الارض كقوله تعالى وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء + تنبيه الترتيب والمهلة ههنا ظاهران فانهم يصيرون بشرا بعد اطوار كثيرة
وتنتشرون حال واذا هى الفجائية الا ان الفجائية اكثر ما تقع بعد الفاء لانها تقتضى التعقيب ووجه
وقوعها مع ثم بالنسبة الى ما يليق بالحالة الخاصة اى بعد تلك الاطوار التى قصها علينا فى موضع آخر من
كونها نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما مجردا ثم عظما مكسوا لحما فاجأ البشرية والانتشار ﴿ومن آياته﴾
اى على ذلك ﴿ان خلق لكم﴾ اى لاجلكم ليبقى نوعكم بالتوالد وفى تقديم الجار وهو قوله تعالى ﴿من انفسكم﴾
اى جنسكم بعد ايجادها من ذات ابيكم آدم عليه السلام ﴿ازواجا﴾ اناثا من شفعكم دلالة ظاهرة على
حرمة التزوج من غير الجنس كالجن قال البقاعى والتعبير بالنفس اظهر فى كونها من بدن الرجل
اى فخلق حواء من ضلع آدم ﴿لتسكنوا﴾ مائلين ﴿اليها﴾ بالشهوة والالفة من قولهم سكن اليه اذا مال
وانقطع واطمأن اليه ولم يجعلها من غير جنسكم لئلا تنفروا منها قال ابن عادل والصحيح ان المراد
من جنسكم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ويدل عليه قوله تعالى لتسكنوا اليها
يعنى ان الجنسين المختلفين لا يسكن احدهما الى الآخر اى لا تثبت نفسه معه ولا يميل قلبه اليه
ولما كان المقصود بالسكن لا ينتظم الا بدوام الالفة قال تعالى ﴿وجعل﴾ اى بسبب الخلق على
هذه الصفة ﴿بينكم مودة﴾ اى معنى من المعانى يوجب ان لا يحب احد من الزوجين ان يصل الى
صاحبه شئ يكرهه ﴿ورحمة﴾ اى معنى يحمل كلا على ان يجتهد للآخر فى جلب الخير ودفع الضر وقيل
المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد تمسكا بقوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا وقوله تعالى
ورحمة منا ﴿ان فى ذلك﴾ اى الذى تقدم من خلق الازواج على الحال المذكور وما يتبعه من المنافع
﴿لآيات﴾ اى دلالات واضحات على قدرة فاعله وحكمته ﴿لقوم يتفكرون﴾ اى يستعملون افكارهم
على القوانين المحررة ويجتهدون فى ذلك فيعلمون ما فى ذلك من الحكم ولما بين تعالى دلائل
الانفس ذكر دلائل الآفاق بقوله تعالى ﴿ومن آياته﴾ اى الدالة على ذلك ﴿خلق السموات﴾ على علوها واحكامها
﴿والارض﴾ على اتساعها واتقانها وقدم السماء على الارض لان السماء كالذكر لها ولما اشار الى
دلائل الانفس والآفاق ذكر ما هو من صفات الانفس بقوله تعالى ﴿واختلاف السنتكم﴾ اى
لغاتكم من العربية والعجمية وغيرهما ونغماتكم وهيآتها فلا تكاد تسمع منطقين متفقين فى همس
ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا لكنة ولا فصاحة ولا غير ذلك من صفات النطق واشكاله وانتم
من نفس واحدة ﴿واختلاف الوانكم﴾ من ابيض واسود واشقر واسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان
وانتم بنو رجل واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة فى ذلك ان الانسان يحتاج الى التمييز بين
الاشخاص ليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق ليحترز قبل وصول العدو اليه
وليقبل على الصديق قبل ان يفوته الاقبال عليه وذلك قد يكون بالبصر فخلق اختلاف الصور وقد يكون

بالسمع فخالق اختلاف الاصوات واما اللمس والشم والذوق فلا يفيدن فائدة فی معرفة العلم والتمكن فلا يقع التمييز بين كل واحد بشكله وحليته وصورته ولو اتفقت الصور والاصوات وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتبهان فی الحلية فيدرك الخطأ فی التمييز بينهما فسبحان من خلق الخلق علی ما اراد وكيف اراد وفی ذلك اية بينة حيث ولدوا من اب واحد وتفرعوا من اصل فذهم علی الكثرة التی لا يعلمها الا الله تعالی مختلفون متفاوتون + ولما كان هذا مع كونه فی غاية الوضوح لا يختص بجنس من الخلق دون غيره قال اِنَّ فِیْ ذٰلِكَ ای الامر العظيم العالی الرتبة فی بيانه وظهور برهانه لَاٰیٰتٍ ای دلالات واضحات جدا علی وحدانيته تعالی لِّلْعٰلِمِیْنَ ای ذوی العقول والعلم ولا يختص به صنف منهم دون صنف من جن ولا انس لا غيرهم فهذا هو حكمة قوله تعالی هنا العالمين وفيما تقدم بقوله تعالی لقوم يتفكرون وقرأ حفص وحده بكسر اللام + ولما ذكر تعالی بعض العرضيات اللازمة وهو الاختلاف ذكر الاعراض المفارقة ومن جملتها النوم بالليل والحركة فی النهار طلبا للرزق كما قال تعالی وَمِنْ اٰیٰتِهٖ الدالة علی القدرة والعلم مَنَامُكُمْ ای نومكم ومكانه وزمانه الذی يغلبكم بحيث لا تستطيعون له دفعا بِالَّیْلِ وَالنَّهَارِ قيلولة وَابْتِغَآؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهٖ ای منامكم فی الزمانين لاستراحة القوی النفسانية وقوة القوی الطبيعية وطلب معاشكم فيهما فان كثيرا ما يكسب الانسان بالليل او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار خلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين وهما الواوان اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده آيات اخر كقوله تعالی وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وقوله تعالی وجعلنا اية النهار مبصرة ويكون التقدير هكذا ومن اياته منامكم وابتغاؤكم بالليل والنهار من فضله واخر الابتغاء وقرنه فی اللفظ بالفضل اشارة الی ان العبد ينبغی ان لا يری الرزق من كسبه وبحذقه بل من فضل ربه ولهذا قرن الابتغاء بالفضل فی كثير من المواضع منها قوله تعالی فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فی الارض وابتغوا من فضل الله وقوله تعالی ولتبتغوا من فضله + تنبيه + قدم الله تعالی المنام بالليل علی الابتغاء بالنهار فی الذكر لان الاستراحة مطلوبة لذاتها والطلب لا يكون الا لحاجة فلا يتبعی الاحتياج فی الحال او خائف من المال اِنَّ فِیْ ذٰلِكَ ای الامر العظيم العلی الرتبة من ايجاد النوم بعد النشاط والنشاط بعد النوم الذی هو الموت الاصغر وايجاد كل من الملوين بعد اعدامهما والجد فی الابتغاء بعد المفارقة فی التحصيل لَاٰیٰتٍ عديدة علی القدرة والعلم لا سيما البعث لِّقَوْمٍ يَّسْمَعُوْنَ ای من الدعاة والنصاح سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة + تنبيه + قال هنا ايات لقوم يسمعون وقال تعالی من قبل لقوم يتفكرون وقال تعالی للعالمين لان المنام بالليل والابتغاء يظن الجاهل والغافل انهما مما يقتضيه طبع الحيوان فلا يظهر لكل احد كونهما من نعم الله تعالی فلم يقل ايات العالمين ولان الامرين الاولين وهما اختلاف الالسنة والالوان من اللوازم والمنام والابتغاء من الامور المفارقة فالنظر اليهما لا يدوم

لزوالهما في بعض الاوقات ولا كذلك اختلاف الالسنة والالوان فانهما يدومان بدوام الانسان
فجعلها آيات عليه واما قوله تعالى لقوم يتفكرون فان من الاشياء ما يعلم من غير تفكر ومنها ما يكفي
فيه مجرد الفكر ومنها ما يحتاج الى موقف يوقف عليه ومرشد يرشد اليه فيفهمه اذا سمعه من ذلك
المرشد ومنها ما يحتاج بعض الناس في تفهمه الى امثال حسية كالاشكال الهندسية لان خلق الازواج
لا يقع لاحد انه بالطبع الا اذا كان جامد الفكرة فاذا تفكر علم كون ذلك الخلق آية واما المنام والابتغاء
فقد يقع لكثير انهما من افعال العباد وقد يحتاج الى مرشد معين لفكره فقال لقوم يسمعون ويجعلون
بالسمع من كلام المرشد ولما ذكر تعالى العرضيات اللازمة للانفس والمفارقة ذكر العرضيات التي
للآفاق بقوله تعالى ﴿ومن آياته﴾ الدالة على عظيم قدرته ﴿يريكم البرق﴾ اي اداتكم له هيئات
وكيفيات طال ما شاهدتموها تارة تأتي بما يضر وتارة بما يسر كما قال تعالى ﴿خوفاً﴾ اي للاخافة
من الصواعق المحرقة ﴿وطمعاً﴾ اي وللاطماع في المياه المحيية به ﴿وينزل من السماء ماء﴾ اي الذي
لا يمكن لاحد غيره ادعاءه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون
وتشديد الزاي ﴿فيحيي به﴾ اي بذلك الماء خاصة لان اكثر الارض لا يسقى بغيره ﴿الارض﴾ اي بالنبات
الذي هو لها كالروح لجسد الانسان ﴿بعد موتها﴾ اي بيبسها ﴿ان في ذلك﴾ اي الامر العظيم العالي القدر
﴿لآيات﴾ لا سيما على القدرة على البعث ﴿لقوم يعقلون﴾ اي يتدبرون فيستعملون عقولهم في استنباط
اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع + تنبيه + كما قدم السماء على الارض قدم ما هو
من السماء وهو البرق والمطر على ما هو من الارض وهو الانبات والاحياء وكما ان في انزال المطر وانبات
الشجر منافع كذلك في تقديم الرعد والبرق على المطر منفعة وهي ان البرق اذا لاح فالذي لا يكون
تحت كن يخاف الابتلال فيستعد له والذي له صهريج او مصنع يحتاج الى الماء او زرع يسوي
مجاري الماء وايضاً اهل البوادي لا يعلمون البلاد المعشبة ان لم يكونوا قد رأوا البرق اللائح من جانب
دون جانب واعلم ان دلائل البرق وفوائده وان لم تظهر للمقيمين في البلاد فهي ظاهرة للبادين
فلهذا جعل تقديم البرق على تنزيل الماء من السماء نعمة وآية فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى هنا لآيات
لقوم يعقلون وفيما تقدم لقوم يتفكرون اجيب بانه لما كان حدوث الولد من الوالد امراً عادياً
مطرداً قليل الاختلاف كان يتطرق الى الاوهام العامية ان ذلك بالطبيعة لان المطرد اقرب الى الطبيعة
من المختلف والبرق والمطر ليس امراً مطرداً غير مختلف بل يختلف اذ يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت
دون وقت وتارة يكون قوياً وتارة يكون ضعيفاً فهو اظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار فقال هو آية
لمن كان له عقل وان لم يتفكر تفكراً تاماً ثم ذكر تعالى من لوازم السماء والارض قيامهما بقوله تعالى
﴿ومن آياته﴾ اي على تمام القدرة وكمال الحكمة ﴿ان تقوم السماء والارض بامره﴾ قال ابن مسعود
قامتا على غير عمد بامره اي بارادته فان الارض لثقلها يتعجب الانسان من وقوفها وعدم
نزولها وكون السماء في علوها يتعجب من علوها وثباتها من غير عمد وهذا من اللوازم فان

الارض لا تخرج عن مكانها الذي هي فيه وانما اتى بالسماء والارض لان السماء الاولى والارض الاولى
لا تقبل التلاشي لانهما مشاهدتان لا هم صلاحية النقد بالكل لانه جنس + تنبيه + ذكر تعالى من
كل باب امرين اما من الانفس فقوله تعالى خلقكم وخلق لكم واستدل بخلق الزوجين ومن الآفاق
السماء والارض فقال تعالى خلق السموات والارض ومن لوازم الانسان اختلاف الالسن واختلاف
الالوان ومن عوارض الآفاق البرق والامطار ومن لوازمهما قيام السماء والارض لان الواحد
يكفي للاقرار بالحق والثاني يفيد الاستقرار ومن هذا اعتبر شهادة شاهدين فان قول احدهما
يفيد الظن وقول الآخر يفيد تاكيده ولهذا قال ابراهيم عليه السلام بلى ولكن ليطمئن قلبي فان قيل
ما الفائدة في قوله تعالى هنا ومن آياته ان تقوم وقال تعالى قبله ومن آياته يريكم البرق ولم يقل
ان يريكم ليصير كالمصدر اجيب بان القيام لما كان غير متجدد اخرج الفعل بان عن الفعل
المستقبل ولم يذكر مع البرق ان المصدرية فان قيل ما الحكمة في انه تعالى ذكر ست دلائل وذكر
في اربع منها ان في ذلك لآيات ولم يذكر في الاول وهو قوله تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب ولا في الاخير
وهو قوله ومن آياته ان تقوم السماء والارض اجيب عن ذلك اما عن الاول فلان قوله بعده
ومن آياته ان خلق لكم ايضا دليل الانفس فخلق الانفس وخلق الازواج من باب واحد على ما تقدم
من انه تعالى ذكر من كل باب امرين للتقرير والتاكيد فلما قال في الثانية ان في ذلك لآيات كان
عائدا اليهما واما في قيام السماء والارض فلانه ذكر في الآيات السماوية انها آيات للعالمين لقوم
يعقلون وذلك لظهورها فلما كان في اول الامر ظاهرا ففي آخر الامر بعد سرد الادلة يكون اظهر
فلم يميزها في ذلك عن الاخر + ثم انه تعالى لما ذكر الدليل على القدرة والتوحيد ذكر مدلوله وهو قدرته على
الاعادة بقوله تعالى ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ واشار الى هوان ذلك القول عنده بقوله عز وجل دَعْوَةً اي واحدة مِنَ الْأَرْضِ
بان ينفخ اسرافيل في الصور للبعث من القبور فيها فيقول ايها الموتى اخرجوا إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ اي منها
احياء بعدما فصلكم بالموت والبلا فلا يبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال تعالى
ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فان قيل بم يتعلق من الارض بالفعل ام بالمصدر اجيب
بهيهات اذا جاء نهر الله من الفعل بطل نهر معقل وهو المصدر ثم اما للتراخي زمانه او لعظم
ما فيه فان قيل ما الفرق بين اذا واذا اجيب بان الاولى للشرط والثانية للمفاجاة وهي
تنوب مناب الفاء في جواب الشرط ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الاولى + تنبيه
قال هنا اذا انتم تخرجون وقال تعالى في خلق الانسان اولا ثم اذا انتم بشر تنتشرون لان هناك
يكون خلق وتقدير وتدريج حتى يصير التراب قابلا للحياة فينفخ فيه روحه فاذا هو بشر واما
في الاعادة فلا يكون تدريج وتراخ بل يكون نداء وخروج فلم يقل هنا ثم + ولما ذكر تعالى الآيات التي
تدل على القدرة على الحشر الذي هو الاصل الآخر والوحدانية التي هي الاصل الاول اشار اليهما
بقوله تعالى وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ملكا وخلقا كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ قال ابن عباس كل له

مطيعون في الحيوة والفناء والموت والبعث وان عصوا في العبادة وقال الكلبي هذا خاص بمن
كان منهم مطيعا ونفس السموات والارضين له وملكه فكل له منقادون فلا شريك له
اصلا ثم ذكر المدلول الاخر بقوله تعالى وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ اي على سبيل التجديد كما تشاهدون
+ واشار الى تعظيم الاعادة باداة التراخي فقال ثُمَّ يُعِيدُهُ اي بعد الموت للبعث وفي قوله تعالى
وَهُوَ اَهْوَنُ عَلَيْهِ اقوال احدها انها للتفضيل على بابها وعلى هذا يقال كيف يتصور التفضيل
والاعادة والبداءة بالنسبة الى الله تعالى على حد سواء وفي ذلك اجوبة احدها ان ذلك بالنسبة
الى اعتقاد البشر باعتبار المشاهدة من ان اعادة الشيء اهون من اختراعه لاحتياج الابتداء الى
اعمال فكر غالبا وان كان هذا منتفيا عن الباري سبحانه وتعالى فخوطبوا بحسب ما الفوه
ثانيها ان الضمير في عليه ليس عائدا على الله تعالى انما يعود على الخلق اي والعود اهون على الخلق
اي اسرع لان البداءة فيها تدريج من طور الى طور الى ان صارت انسانا والاعادة لا تحتاج الى
هذه التدريجات فكانه قيل وهو اقصر عليه وايسر واقل انتقالا والمعنى يقومون بصيحة واحدة
فيكون اهون عليهم يعني ان يقوموا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى ان يصيروا رجالا ونساء وهي رواية
الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ثالثها ان الضمير في عليه يعود على المخلوق بمعنى والاعادة اهون
على المخلوق اي اعادته شيئا بعد ما انشأه هذا في عرف المخلوقين فكيف ينكرون ذلك في جانب
الله تعالى والثاني ان اهون ليس للتفضيل بل هي صفة بمعنى هين كقولهم الله اكبر اي كبير وهي
رواية العوفي عن ابن عباس وقد يجيء افعل بمعنى الفاعل كقول الفرزدق ـه ان الذي سمك السماء
بنى لنا + بيتا دعائمه اعز واطول + اي عزيزة طويلة وعود الضمير على الباري تعالى اولى ليوافق
الضمير في قوله تعالى وَلَهُ الْمَثَلُ اي الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة والحكمة الشاملة
قال ابن عباس هو انه ليس كمثله شيء وقال قتادة هو انه لا اله الا هو قال البيضاوي ومن
فسره بلا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية الْاَعْلٰى اي الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه
+ ولما كان الخلق لقصورهم مقيدين بما لهم به نوع مشاهدة قال فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ
اي اللتين خلقهما ولم يستعصيا عليه فكيف يستعصي عليه شيء فيهما وَهُوَ اي وحده الْعَزِيْزُ
اي الذي اذا اراد شيئا كان له في غاية الانقياد كائنا ما كان الْحَكِيْمُ اي الذي اذا اراد
شيئا اتقنه فلم يقدر غيره الى التوصل الى نقض شيء منه ولا تتم حكمة هذا الكون على هذه الصورة
الا بالبعث بل هي الحكمة العظمى ليصل كل ذي حق الى حقه باقصى التحرير + ولما ابان من هذا
انه تعالى المنفرد بالملك بشمول العلم وتمام القدرة وكمال الحكمة اتصل بحسن امثاله واحكام
مقاله فقال تعالى ضَرَبَ اي جعل لَكُمْ بحكمته ايها المشركون في امر الاصنام
وبيان الابطال من يشرك بها وفساد قوله باجلى ما يكون من التقريب مَثَلًا مبتدأ مِنْ
اَنْفُسِكُمْ التي هي اقرب الاشياء اليكم ثم بين المثل بقوله تعالى هَلْ لَكُمْ اي يا من جعلوا مع الله

ربع ع

غيره مِنْ مَّا اي من بعض مَّا مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ اي من العبيد والاماء الذين هم بشر مثلكم وعمم في النفي
الذي هو المراد بالاستفهام بزيادة الجار بقوله تعالى مِنْ شُرَكَآءَ اي في حالة من الحالات يسوغ
لكم بذلك ان تجعلوا لله شركاء فِيْ مَا رَزَقْنٰكُمْ من الاموال وغيرها مع ضعف ملككم فيه
فائدة + في مقطوعة عن ما فَاَنْتُمْ اي يا معاشر الاحرار والعبيد فِيْهِ اي الشيء الذي وقعت فيه
الشركة سَوَآءٌ فيكون انتم وهم شركاء يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم فان قيل
اي فرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله تعالى من انفسكم اجيب بان الاولى للابتداء
كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهي من انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة
مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ثم بين المساواة بقوله تعالى تَخَافُوْنَهُمْ اي
معاشر السادة في التصرف في ذلك الشيء المشترك كَخِيْفَتِكُمْ اَنْفُسَكُمْ اي كما تخافون بعض من
تشاركونه ممن يساويكم في الحرية والعظمة ان تتصرفوا في الامر المشترك بشيء لا يرضيه وبدون
اذنه وظهور ان حالكم في عبيدكم مثل له فيما اشركتموهم به موضح لبطلانه فاذا لم ترضوا هذا لانفسكم
وهو ان تستوي عبيدكم معكم في الملك فكيف ترضونه لخالقكم في هذه الشركاء التي
زعمتموها فتسوونها به وهي من اضعف خلقه افلا تستحيون كَذٰلِكَ اي مثل هذا التفصيل
العالي نُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ اي نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لِقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَ اي يتدبرون
هذه الدلائل بعقولهم والامر لا يخفى بعد ذلك الا على من لا عقل له بَلِ اتَّبَعَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْٓا اي اشركوا فانهم
وضعوا الشيء في غير موضعه فعل الماشي في الظلام اَهْوَآءَهُمْ وهي ما تميل اليه نفوسهم بِغَيْرِ عِلْمٍ
اي جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه + ثم بين تعالى ان ذلك بارادته
بقوله تعالى فَمَنْ يَّهْدِيْ مَنْ اَضَلَّ اللّٰهُ اي الذي له الامر كله اي لا يقدر احد على هدايته وَمَا لَهُمْ
مِّنْ نّٰصِرِيْنَ اي مانعين يمنعونهم من عذاب الله لا من الاصنام ولا من غيرها + ولما تحررت
الادلة وانتصبت الاعلام اقبل تعالى على خلاصة خلقه ايذانا بانه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره بقوله سبحانه
فَاَقِمْ وَجْهَكَ اي قصدك كله لِلدِّيْنِ اي اخلص دينك لله قال سعيد بن جبير وقال غيره سدد
عملك والوجه ما يتوجه اليه وقيل اقبل بكلك على الدين عبر بالوجه عن الذات كقوله تعالى كل شيء هالك
الا وجهه اي ذاته بصفاته وقوله تعالى حَنِيْفًا حال من فاعل اقم او مفعوله او من الدين ومعنى حنيفا
اي مائلا اليه مستقيما عليه ومل عن كل شيء لا يكون في قلبك شيء اخر وهذا قريب من معنى قوله تعالى
ولا تكونن من المشركين وقوله تعالى فِطْرَتَ اللّٰهِ اي خلقته منصوب على الاغراء او المصدر بما دل عليه
ما بعدها وهي بتاء مجرورة وقف عليها ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء
ثم اكد ذلك بقوله تعالى الَّتِيْ فَطَرَ النَّاسَ قال ابن عباس خلق الناس عَلَيْهَا وهو دينه وهو التوحيد
قال صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا وهو يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
فقوله على الفطرة على العهد الذي اخذه عليهم بقوله تعالى الست بربكم قالوا بلى وكل مولود في العالم

على ذلك الاقرار وهى الحنيفية التى وقعت الخلقة عليها وان عبد غيره قال الله تعالى ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ولكن لا عبرة بالايمان
الفطرى فى احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعى المأمور به وهذا قول ابن عباس وجماعة
من المفسرين وقيل الآية مخصوصة بالمؤمنين وهم الذين فطرهم الله تعالى على الاسلام وروى عن
عبد الله بن المبارك قال معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته اى على خلقته التى جبل عليها
فى علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر فى العاقبة الى ما فطر عليه وعامل فى الدنيا
بالعمل المشاكل لها فمن علامات الشقاوة ان يولد بين يهوديين او نصرانيين فيحملانه لشقائه على
اعتقاد دينهما وقيل معنى الحديث ان كل مولود يولد فى مبدأ الفطرة على الخلقة اى الجبلة
السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود
حسنه فى العقول وانما يعدل عنه من يعدل الى غيره لآفة من النشوء والتقليد فمن يسلم من تلك الآفات
لم يعتقد غيره ذكر هذه المعانى ابو سليمان الخطابى فى كتابه ولما كانت سلامة الفطرة امرا مستمرا قال
تعالى لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ اى الملك الاعلى الذى لا كفؤ له فلا يقدر احد ان يبدله فمن حمل الفطرة
على الدين قال معناه لا تبديل لدين الله فهو خبر بمعنى النهى اى لا تبدلوا دين الله قال مجاهد
وابراهيم والمعنى الزموا فطرة الله اى دين الله واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك ومن حملها على
الخلقة قال معناه لا تبديل لخلق الله اى ما جبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد
شقيا ولا الشقى سعيدا وقال عكرمة معناه تحريم اخصاء البهائم اى فى غير المأكول وفى المأكول الكبير
اما المأكول الصغير فانه يجوز ويلحق بالخصى المحرم كل تغيير محرم كالوشم ذٰلِكَ اى الشأن العظيم
الدِّينُ الْقَيِّمُ اى المستقيم الذى لا عوج فيه توحيد الله تعالى وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ ان ذلك
هو الدين المستقيم لعدم تدبرهم وقوله تعالى مُنِيْبِيْنَ اى راجعين اِلَيْهِ تعالى فيما امر به ونهى عنه
حال من فاعل اقم قال الزمخشرى فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد
ذلك للبيان والتلخيص وَاتَّقُوْهُ اى خافوه فانكم وان عبدتموه فلا تأمنوا ان تزيغوا عن سبيله
وَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ اى داوموا عليها وعلى ادائها فى اوقاتها وَلَا تَكُوْنُوْا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ اى لا تكونوا ممن
يشرك فى عبادتهم بموادة او معاشرة او عمل تشابههم فيه فانه من تشبه بقوم فهو منهم وهو
عام فى كل مشرك سواء كان بعبادة صنم او نار او غير ذلك وقوله تعالى مِنَ الَّذِيْنَ بدل من المشركين
باعادة الجار فَرَّقُوْا دِيْنَهُمْ اى الذى هو الفطرة الاولى فعبد كل قوم منهم شيئا والوا دينا غضب
دين من سواهم وهو معنى وَكَانُوْا شِيَعًا اى فرقا مختلفة كل واحدة منهم تشايع من دان
بدينها على من خالفهم حتى كفر بعضهم بعضا واستباحوا الدماء والاموال فلم يفطنوا انهم كلهم
ليسوا على الحق وقرأ حمزة والكسائى بالف بعد الفاء وتخفيف الراء والباقون بغير الف وتشديدها

الياء فعلى القراءة الاولى فارقوا اى تركوا دينهم الذى امروا به ولما كان هذا امرا يتعجب من وقوعه
زاده عجبا بقوله تعالى استئنافا كُلُّ حِزْبٍ اى منهم بِمَا لَدَيْهِمْ اى عندهم فَرِحُونَ اى مسرورون
ظنا منهم انهم صادفوا الحق وفازوا به دون غيرهم ولما بين تعالى التوحيد بالدليل وبالمثل
بين ان لهم حالة يعترفون بها وان كانوا ينكرونها فى وقت وهى حالة الشدة بقوله تعالى
وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ اى قحط وشدة دَعَوْا رَبَّهُمْ اى الذى لم يشركه فى الاحسان اليهم احد مُنِيبِينَ
اى راجعين من جميع ما لا ينفعهم إِلَيْهِ اى دون غيره علما منهم بانه لا فرج لهم عند شىء غيره قال الوالد
فى اللوامع فى اواخر العنكبوت وهذا دليل على ان معرفة الرب فى فطرة كل انسان وانهم ان غفلوا
فى السراء فلا شك انهم يلوذون اليه فى حال الضراء ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً اى خلاصا من
ذلك الضر إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ اى المحسن اليهم دائما المجدد لهم هذا الاحسان من هذا الضر
يُشْرِكُونَ اى فاجأ فريق منهم الاشراك بربهم الذى عافاهم فاذا الفجائية وقعت جواب الشرط
لانها كالفاء فى انها للتعقيب ولا تقع اول كلام وقد تجامعها الفاء زائدة فان قيل ما الحكمة
فى قوله ههنا اذا فريق منهم وقال فى العنكبوت فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ولم يقل فريق
اجيب بان المذكور هناك ضر معين وهو ما يكون من هول البحر والتخلص منه بالنسبة الى
الخلق قليل والذى لا يشرك منهم بعد الخلاص فرقة منهم فهم فى غاية القلة فلم يجعل المشركين فريقا
لقلة من خرج من الشرك واما المذكور ههنا الضر مطلقا فيتناول ضر البحر والامراض والاهوال
والمتخلص من انواع الضر خلق كثير بل جميع الناس قد يكونون قد وقعوا فى ضر ما فتخلصوا منه والذى
لا يبقى بعد الخلاص مشركا من جميع الانواع اذا جمع فهم خلق عظيم وهو جميع المسلمين فانهم تخلصوا
من ضر ولم يبقوا مشركين واما المسلمون فلم يتخلصوا من ضر البحر باجمعهم فلما كان الناجى
من الضر المؤمن جمعا كثيرا سمى الباقى فريقا وقوله تعالى لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ يجوز ان تكون اللام
فيه لام كى وان تكون لام الامر ومعناه التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا
هذا خطاب تهديد بقوله تعالى فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ عاقبة تمتعكم فى الآخرة وفى هذا التفات
من الغيبة أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا اى دليلا واضحا قاهرا او ذا سلطان اى ملكا معه برهان فقوله
فَهُوَ يَتَكَلَّمُ على الاول تكلما مجازيا وعلى الثانى تكلما حقيقيا وعلى كلا الحالين هو جواب
الاستفهام الذى تضمنته ام المنقطعة بِمَا اى بصحة ما كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ اى فيأمرهم بالاشراك
بحيث لا يجدوا بدا من متابعته لتزول عنهم الملامة وهذا الاستفهام بمعنى الانكار اى ما انزلنا
بما يقولون سلطانا قال ابن عباس حجة وعذرا وقال قتادة كتابا يتكلم بما كانوا به يشركون
اى ينطق بشركهم ولما بين تعالى حال المشرك الظاهر شركه بين تعالى حال المشرك الذى
دونه وهو من تكون عبادته للدنيا بقوله تعالى وَإِذَا معبرا باداة التحقيق اشارة الى ان الرحمة اكثر
من النقمة واسند الفعل اليه فى مقام العظمة اشارة الى سعة جوده فقال أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً

اى نعمة من خصب وكثرة مطر وغنى ونحوه لاسبب لها الا رحمتنا فرحوا بها اى فرح بطر مطمئنين
من زوالها ناسين شكر من انعم بها ولا ينبغى ان يكون العبد كذلك فان قيل الفرح بالرحمة مامور
به قال تعالى بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وههنا ذمهم على الفرح برحمة اجيب بانه هناك
فرحوا برحمة الله من حيث انها مضافة الى الله وههنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر
من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم اذا كان من الله تعالى وَإِنْ تُصِبْهُمْ
سَيِّئَةٌ اى شدة من جدب وقلة مطر وفقر ونحوه بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ من السيئات إِذَا هُمْ
يَقْنَطُونَ اى ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمنين فانهم يشكرونه عند
النعمة ويرجونه عند الشدة وقرأ ابو عمرو والكسائى بكسر النون بعد القاف
والباقون بالفتح أَوَلَمْ يَرَوْا اى يعلموا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ اى يوسعه لِمَنْ يَشَاءُ امتحانا وَيَقْدِرُ اى يضيق
لمن يشاء ابتلاء وهذا شانه دائما فى الشخص الواحد فى اوقات متعاقبة متباعدة ومتقاربة ومع
الاشخاص فى الوقت الواحد فلو اعتبروا حال قبضه سبحانه لم يبطروا ولو اعتبروا حال بسطه لم يقنطوا
بل كان حالهم الصبر فى البلاء والشكر فى الرخاء والاقلاع من السيئة التى نزل بسببها
القضاء + ولما لم تغن عن احد منهم فى استجلاب الرزق قوته وعزارة عقله ودقة مكره وكثرة حيله
ولا اضرّه ضعفه وقلة عقله وعجز حيلته وكان ذلك امرا عظيما ومتى عام شدة ظهوره وجلالته
خفيا دقيقا قال بعضهم + كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه + وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا + اشار
سبحانه الى عظمته بقوله مؤكدا لان عملهم فى شدة اهتمامهم بالسعى فى الدنيا عمل من يظن ان تحصيله
انما هو على قدر الاجتهاد فى الاسباب إِنَّ فِي ذَٰلِكَ اى الامر العظيم من الاقتار فى وقت الاغناء
فى امر والتوسيع على شخص والتقتير على اخر والامن من زوال الحاضر من النعم مع تكرر المشاهدة
للزوال فى النفس والغير واليأس من حصولها عند المحنة مع كثرة وجدان الفرج وغير ذلك
من اسرار الآية لَآيَاتٍ اى دلالات واضحات على الوحدانية لله تعالى وتمام العلم وكمال القدرة وانه
لا فاعل فى الحقيقة الا هو لكن لِقَوْمٍ اى ذوى همم وكفاية القيام بما يحق لهم ان يقوموا به يُؤْمِنُونَ
اى يوجدون هذا الوصف ويديمون تجديده كل وقت لما يتواصل عندهم من قيام الادلة
بادام التامل والامعان والتفكر والاعتماد فى الرزق على من قال ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر اى من طالب علم فيعان عليه فلا يفرحون بالنعم اذا حصلت ولا من زوالها
اذا اراد القاهر ذلك ولا يغتمون بها اذا تاخرت رجاء فى اقبالها فضلا من الرازق لان افضل العبادة
انتظار الفرج بل همهم ما عليهم من وظائف العبادة واجبها ومندوبها معرضون عما سوى ذلك
قد وكلوا امر الرزق الى من تولى امره وفرغ من قسمه وقام بضمانه وهو القدير العليم + ولما افهم ذلك
عدم الاكتراث بالدنيا لان الاكتراث بها لا يرد ما فات والتهاون بها لا ينقصها قال تعالى مخاطبا لاعظم
المتأهلين لتنفيذ اوامره فَآتِ يا خير الخلق ذَا الْقُرْبَىٰ اى القرابة حَقَّهُ اى من البر والصلة

لانه احق الناس بالبر وصلة الرحم جودا وكرما وَالْمِسْكِينَ سواء كان ذا قرابة ام لا وَابْنَ السَّبِيلِ وهو المسافر
كذلك من الصدقة وامة النبي صلى الله عليه وسلم تبع له في ذلك + تنبيه + عدم ذكر بقية الاصناف
يدل على ان ذلك في صدقة التطوع ودخل الفقير من باب اولى لانه اسوأ حالا من المسكين فان قيل
كيف تعلق قوله تعالى فآت ذا القربى حقه بما قبله حتى جيء بالفاء اجيب بانه لما ذكر ان السيئة اصابتهم
بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك وقد احتج ابو حنيفة بهذه الآية
في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي رضي الله عنه لا نفقة
بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابة على ابن العم لانه لا ولادة بينهم + ولما امر بالايثار
رغب فيه بقوله تعالى ذٰلِكَ اي الايثار العالي الرتبة خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللّٰهِ اي ذاته او جهته
وجانبه اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا لجهه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى اي
يقصدون بجهة التقرب الى الله تعالى لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة
وَأُولٰئِكَ اي العالو الرتبة لغناهم عن كل فان هُمُ الْمُفْلِحُونَ اي الفائزون الذين لا يشوب فلاحهم
شيء واما غيرهم فخائب اما من لم ينفق فواضح واما من انفق على وجه الرياء فقد خسر ماله وابقى عليه
وباله كما قال تعالى وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا اي مال على وجه الربا المحرم بزيادة في المعاملة او المكروه بعطية
يتوقع بها مزيد مكافأة وكان هذا محرما على النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر
اي لا تعط وتطلب اكثر مما اعطيته تشريفا له وكره لعامة الناس فسمي باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة
فالربا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذي ليس بحرام ان يستدعي بهديته
او بهبته اكثر منها وقرأ ابن كثير بقصر الهمزة بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا والباقون بمدها لِيَرْبُوَا
اي يزيد ويكثر ذلك فِي أَمْوَالِ النَّاسِ اي يحصل فيه زيادة تكون اموال الناس ظرفا لها فهو
كناية عن ان الزيادة التي يأخذها المرابي من اموالهم لا يملكها اصلا وقرأ نافع بتاء الخطاب بعد
اللام مضمومة وسكون الواو والباقون بالياء التحتية مفتوحة وفتح الواو فَلَا يَرْبُوا اي يزكو وينمو
فلا ثواب فيه عِنْدَ اللّٰهِ اي الملك الاعلى الذي له الغنى المطلق وصفات الكمال وكل ما لا يربو عند
الله فهو محقوق لا وجود له فماله الى فناء وان كثر يمحق الله الربا ويربي الصدقات + ولما ذكر ما زيادته
نقص اتبعه ما نقصه زيادة بقوله وَمَا آتَيْتُمْ اي اعطيتم مِنْ زَكَاةٍ اي صدقة وعبر عنها بذلك
ليفيد الطهارة والزيادة اي تطهرون بها اموالكم من الشبه وابدانكم من مواد الخبث واخلاقكم
من الغل والدنس + ولما كان الاخلاص عزيزا اشار الى عظمته بتكريره بقوله عز وجل تُرِيدُونَ
اي بها وَجْهَ اللّٰهِ اي عظمة الملك الاعلى فيعرفون من حقه ما يتلاشى عندهم كل ما سواه
فيخلصون له فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ اي ذوو الاضعاف الذين ضاعفوا اموالهم في الدنيا بسبب
بالحفظ والبركة وفي الآخرة بكثرة الثواب عند الله من عشرة امثال الى ما لا يحصيه الا الله نظير المضعف
المقوي والموسر الذي القوة واليسار + ولما وضح بهذا انه لا زيادة الا فيما يزيده الله ولا خير الا فيما يجعله

الله بين تعالى ذلك بطريق لا اوضح منه بقوله تعالى ﴿اللّٰهُ﴾ اى بعظيم جلاله لا غيره ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ اى
اوجدكم على ما انتم عليه من التقدير لا تملكون شيئا ﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ
مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ اى ممن اشركتم بالله ﴿مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ﴾ مشيرا الى علو رتبته باداة البعد وخطابا لكل
+ ولما كان الاستفهام الانكارى التوبيخى فى معنى النفى قال مؤكدا له مستغرقا لكل ما يمكن
منه ولو قل جدا ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ اى يستحق هذا الوصف الذى تطلقونه عليه + ولما لزمهم قطعا ان يقولوا
لا وعزتك ما لهم ولا لاحد منهم فعل شئ من ذلك قال تعالى معرضا عنهم منزلها لنفسه الشريفة
﴿سُبْحَانَهُ﴾ اى تنزه تنزها لا يحيط به الوصف من ان يكون محتاجا الى شريك ﴿وَتَعَالَى﴾ اى
علا علوا لا تصل اليه العقول ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فى ان يفعلوا شيئا من ذلك + تنبيه يجوز فى خبر الجلالة
الكريمة وجهان اظهرهما انه الموصول بعدها والثانى انه الجملة من قوله تعالى هل من شركائكم
والموصول صفة والراجع من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية يفيد ان شيوع الحكم
فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم النفى فكل منهما مستقلة بتاكيد لتعجيز الشركاء
وقرا حمزة والكسائى بتاء الخطاب والباقون بالياء التحتية + ولما بين لهم تعالى من حقارة شركائهم
ما كان حقهم به ان يرجعوا فلم يفعلوا اتبعه ما اصابهم به على غير ما كان فى اسلافهم عقوبة لهم
على قبيح ما ارتكبوا استعطافا للتوبة بقوله تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ﴾ اى النقص فى جميع ما ينفع الخلق
﴿فِي الْبَرِّ﴾ بالقحط والخوف وقلة المطر ونحو ذلك ﴿وَالْبَحْرِ﴾ بالغرق وقلة الفوائد من الصيد ونحوه من كل
ما كان يحصل منه وقلة المطر كما تؤثر فى البر تؤثر فى البحر فتخلو اجواف الاصداف من اللؤلؤ وذلك
لان الصدف اذا جاء المطر ترتفع على وجه الماء وينفتح فما وقع فيه من المطر صار لؤلؤا وقالوا اذا انقطع
القطر عميت دواب البحر وقيل المراد بالبر البوادى والمفاوز وبالبحر المدائن والقرى التى على المياه
الجارية قال عكرمة العرب تسمى المصر بحرا تقول اجدب البر وانقطعت مادة البحر ثم بين سببه
بقوله تعالى ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ اى بسبب شؤم ذنوبهم ومعاصيهم كقوله تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم قال ابن عباس الفساد فى البر قتل احد بنى آدم اخاه وفى البحر
غصب الملك الجبار السفينة قال الضحاك كانت الارض خضرة مونقة لا ياتى ابن آدم شجرة الا وجد
عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد الاسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت
الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوانات بعضها بعضا وقال قتادة هذا قبل
مبعث نبينا صلى الله عليه وسلم امتلأت الارض ظلما فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم رجع
راجعون من الناس وقيل اراد بالناس كفار مكة + ولما ذكر تعالى علة البداية ثنى بعلة الجزائية بقوله تعالى
﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ اى من ما عملوا ويعفو عن كثير اما اصلا ورأسا واما عن المعاجلة به ويؤخره
الى وقت ما فى الدنيا او الآخرة وقرأ قنبل بالنون بعد اللام والباقون بالياء التحتية ثم ثلث بالعلة الغائية
بقوله تعالى ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ اى عما هم عليه + ولما بين تعالى حالهم بظهور الفساد فى احوالهم بسبب

فساد اقوالهم بين لهم ضلال امثالهم واشكالهم الذين كانت افعالهم كافعالهم بقوله تعالى لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم قُلْ اي لهؤلاء الذين لا همّ لهم سوى الدنيا سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فانّ سيركم
الماضي لكونه لم تصحبه عبرة عدم فَانْظُرُوا نظر اعتبار كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ اي من قبل
ايامكم لتروا منازلهم ومساكنهم خالية فتعلموا انّ الله تعالى اذاقهم وبال امرهم واوقعهم في
خفائر مكرهم كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ اي فلذلك اهلكناهم ولم تغن عنهم كثرتهم وانجينا
المؤمنين وما ضرّتهم قلّتهم + ولما نهى الله تعالى الكفار عما هم عليه امر المؤمنين بما هم عليه فخاطب
النبيّ صلى الله عليه وسلم ليعلم المؤمن فضيلة ما هو مكلف به فانّه امر به اشرف الانبياء بقوله تعالى
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ اي المستقيم وهو دين الاسلام مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ اي عظيم لَا مَرَدَّ لَهُ
اي لا يقدر ان يردّه احد وقوله تعالى مِنَ اللَّهِ يجوز ان يتعلق بياتي او بمحذوف يدل عليه المصدر
اي لا يردّه من الله احد والمراد به يوم القيمة لا يقدر احد على ردّه من الله وغيره عاجز عن ردّه
فلا بدّ من وقوعه يَوْمَئِذٍ اي اذ ياتي يَصَّدَّعُونَ اي يتفرّقون فريق في الجنة وفريق في السعير ثم
اشار الى التفرّق بقوله تعالى مَنْ كَفَرَ اي منهم فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ اي وبال كفره وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا اي بالايمان
وما يترتب عليه فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ اي يوطئون منازلهم في القبور وفي الجنة بل وفي الدنيا
فانّ الله تعالى يعزّهم بعزّ طاعته + تنبيه + اظهر قوله تعالى صالحا ولم يضمر لئلا يتوهم عود الضمير على
من كفر وبشارة بانّ اهل الجنة كثير وان كانوا قليلا لانّ الله تعالى هو مولاهم فهو مزكيهم وافرد الشرط و
جمع الجزاء في قوله تعالى فلانفسهم يمهدون اشارة الى انّ الرحمة اعمّ من الغضب فتشمله واهله وذريته
وفيه ترغيب في العمل من غير نظر الى مساعد وبانه ينفع لنفسه وغيره لانّ المومن للمومن كالبنيان يشدّ
بعضه بعضا واقلّ ما ينفع والديه وشيخه في ذلك العمل وقوله تعالى لِيَجْزِيَ اي الله سبحانه وتعالى الذي
انزل هذه السورة لبيان انه ينصر اولياءه الاحسان مع المحسنين ولذلك اقتصر هنا على فضله بقوله تعالى
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اي تصديقا لايمانهم مِنْ فَضْلِهِ علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار
على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء عن فحوى قوله تعالى إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ
فانه فيه اثبات البغض لهم فيعذبهم والمحبة للمؤمنين فيثيبهم وتاكيد اختصاص الصلاح المفهوم
من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل لهم وقوله تعالى من فضله دالّ على ان الاثابة بمحض
الفضل + ولما ذكر تعالى ظهور الفساد والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح ولم يذكر انه
بسبب العمل الصالح لانّ الكريم لا يذكر لاحسانه عوضا ويذكر لاضداده سببا لئلا يتوهم به الظلم
قال تعالى وَمِنْ آيَاتِهِ اي الآيات الواضحة أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ اي بالمطر كما قال تعالى نشرا
بين يدي رحمته اي قبل المطر وقيل مبشرات بصلاح الاهوية والاحوال فانّ الرياح لو لم تهب لظهر
الوباء والفساد وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح بالافراد على ارادة الجنس والباقون بالجمع وهي الجنوب
والشمال والصبا لانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم

اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقوله تعالى وليذيقكم اى بها من رحمته اى من نعمته من المياه
العذبة والاشجار الرطبة وصحة الابدان وما يتبع ذلك من امور لا يحصيها الا خالقها معطوف على
مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم او على علة محذوفة دل عليها مبشرات او على
يرسل باضمار فعل معلل دل عليه اى وليذيقكم ارسلها ولتجرى الفلك اى السفن فى جميع البحار
وما جرى مجراها عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا تكون موافقة فلا بد من
ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت واغرقتها ولتبتغوا اى تطلبوا من فضله من رزقه
بالتجارة فى البحر ولعلكم اى ولتكونوا اذا فعل بكم ذلك على رجاء من انكم تشكرون على ما انعم
عليكم من نعمه ودفع عنكم من نقمه. تنبيه. قال تعالى فى ظهر الفساد ليذيقهم بعض الذى عملوا
وقال ههنا وليذيقكم من رحمته فخاطبهم ههنا تشريفا ولان رحمته قريب من المحسنين فحينئذ
فالمحسن قريب فيخاطب والمسئ بعيد فلم يخاطب وقال هناك بعض الذى عملوا فاضاف ما اصابهم
الى انفسهم واضاف ما اصاب المؤمن الى رحمته فقال تعالى من رحمته لان الكريم لا يذكر لرحمته
واحسانه عوضا فلا يقول اعطيتك لانك فعلت كذا بل يقول هذا لك منى واما ما فعلت من الحسنة
فجزاءه بعد عندى وايضا فلو قال ارسلت بسبب فعلكم لا يكون بشارة عظيمة واما اذا قال من رحمته
كان غاية البشارة وايضا فلو قال بما فعلتم لكان ذلك موهما لنقصان ثوابهم فى الآخرة واما فى حق الكفار
فاذا قال بما فعلتم انبأ عن نقصان عقابهم وهو كذلك وقال هناك لعلهم يرجعون وقال هنا ولعلكم تشكرون
فقالوا واشارة الى توفيقهم للشكر فى النعم وعطف على النعم قوله تعالى ولقد ارسلنا اى بما لنا من القوة
وقال تعالى من قبلك رسلا تنبيها على انه خاتم النبيين بتخصيص ارسال غيره بما قبل زمانه وقال
الى قومهم اعلاما بان امر الله اذا جاء لا ينفع فيه قريب ولا بعيد فجاؤهم بالبينات فانقسم قومهم
الى مسلمين ومجرمين فانتقمنا اى فكانت معاداة المسلمين للمجرمين لنا سببا لانا انتقمنا
بما لنا من العظمة من الذين اجرموا اى اهلكنا الذين كذبوهم لاجرامهم وهو قطع
ما امرناهم بوصله. ولما كان محط الفائدة الزامه سبحانه لنفسه بما تفضل به قدمه تعجيلا
للسرور وتطييبا للنفوس فقال تعالى وكان اى على سبيل الثبات والدوام حقا علينا اى مع اوجبنا
بوعدنا الذى لا خلف فيه نصر المؤمنين اى الفريقين فى ذلك الوصف فى الدنيا والآخرة ولم يزل
هذا دابنا فى كل ملة على مدى الدهر فليحذر هؤلاء لمثل هذا وليأخذوا المثل لذلك اهبة
لينظروا من المغلوب هل ينفعهم شئ روى الترمذى وحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله تعالى وكان
حقا علينا نصر المؤمنين قال البقاعى فالآية من الاحتباك اى وهو ان يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شئ
يكون نظمهما بحيث يدل ما اثبت فى كل على ما حذف من الآخر فحذف اولا الاهلاك الذى هو اثر
الخذلان لدلالة النصر عليه وثانيا الانعام لدلالة الانتقام عليه. ثم نبه تعالى على كمال قدرته فهو

الناصر للمؤمنين بقوله تعالى اَللّٰهُ اى وحده اَلَّذِىْ يُرْسِلُ مرة بعد اخرى الرِّيٰحَ مضطربة هائجة بعد ان كانت ساكنة فَتُثِيْرُ سَحَابًا اى تزعجه وتنشره فَيَبْسُطُهٗ بعد اجتماعه فِى السَّمَآءِ اى جهة العلو كَيْفَ يَشَآءُ فى اى ناحية شاء قليلا تارة كمسير ساعة وكثيرا اخرى كمسير ايام على حسب ارادته واختياره لا مدخل فيه لطبيعة ولا غيرها وَيَجْعَلُهٗ اذا اراد كِسَفًا اى قطعا غير متصل بعضها ببعض اتصالا يمنع نزول الماء وقرأ ابن عامر بسكون السين بخلاف عن هشام والباقون بفتحها فَتَرَى بسبب ارسال الله له او بسبب جعله ذا مسام وفروج يا من هو من اهل الرؤية او يا اشرف خلقنا الذى لا يعرف هذا حق معرفته سواه الْوَدْقَ اى المطر يَخْرُجُ مِنْ خِلٰلِهٖ اى السحاب الذى هو اسم جنس فى حالتى الاتصال والانفصال فَاِذَآ اَصَابَ اى الله بِهٖ اى بالودق مَنْ اى ارض من يَّشَآءُ ونبه على ان ذلك فضل منه لا يجب عليه لاحد شئ اصلا بقوله تعالى مِنْ عِبَادِهٖٓ اى الذين لم تزل عبادته واجبة عليهم جديرون بملازمة شكره والخضوع لامره اِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُوْنَ اى يظهر عليهم البشر وهو السرور الذى تشرق له البشرة حال الاصابة تظهر الهم بالعطيا ما يرجو مما يحدث عنه من الاثر النافع من الخصب والرطوبة واللين ثم بين تعالى عجزهم بقوله تعالى وَاِنْ اى والحال انهم كَانُوْا فى الزمن الماضى مِنْ قَبْلِ اَنْ يُّنَزَّلَ عَلَيْهِمْ اى المطر وقرأ ابو عمرو وابن كثير بسكون النون وتخفيف الزاى والباقون بفتح النون وتشديد الزاى وقوله تعالى مِنْ قَبْلِهٖ من باب التكرير والتاكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول بعد ما استحكم ياسهم وقوله تعالى لَمُبْلِسِيْنَ اشارة الى انهم تمادى بالابلاس فكان الاستبشار على قدر اهتمامهم بذلك وقيل الاولى ترجع الى المطر والثانية الى انشاء السحاب فلا تاكيد فَانْظُرْ اِلٰٓى اٰثٰرِ رَحْمَتِ اللّٰهِ والرحمة هى الغيث واثرها هو النبات وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى بالف بعد الثاء المثلثة والباقون بغير الف ورسمت رحمت هنا بالمجرورة فوقف ابن كثير وابو عمرو والكسائى بالهاء والباقون بالتاء كَيْفَ يُحْيِ اى الله الْاَرْضَ باخراج النبات بَعْدَ مَوْتِهَا اى يبسها اِنَّ ذٰلِكَ اى القادر العظيم الشان الذى قدر على احياء الارض لَمُحْيِ الْمَوْتٰى كلها من الحيوانات والنباتات اى ما زال قادرا على ذلك قال تعالى وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ من ذلك وغيره قَدِيْرٌ لان نسبة القدرة منه سبحانه وتعالى الى كل ممكن على حد سواء + ولما بين انهم عند توقف الخير يكونون ايسين وعند ظهوره يكونون مستبشرين بين ان تلك الحالة ايضا لا يدوم عليها بقوله تعالى وَلَئِنْ اَرْسَلْنَا اى بعد وجود هذا الاثر الحسن رِيْحًا عقيما فَرَاَوْهُ اى الاثر لان الرحمة هى الغيث واثرها هو النبات او الزرع لدلالة السياق عليه مُصْفَرًّا قد بدل واخذ فى التلف من شدة يبس الريح اما بالحر او البرد وقيل رأوا السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر ويجوز ان يكون الضمير للريح من التعبير بالسبب عن المسبب + تنبيه + اللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله تعالى لَّظَلُّوْا اى لصاروا مِنْۢ بَعْدِهٖ اى اصفراره

يكفرون اى بيأسهم من روح الله جواب سدّ مسدّ الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال + تنبيه +
سمى النافعة رياحا والضارّة ريحا لوجوه احدها ان النافعة كثيرة الانواع كثيرة الافراد فجمعها لانّ
فى كل يوم وليلة تهب نفحات من الرياح النافعة ولا تهب الريح الضارّة فى اعوام بل الضارّة
لا تهب فى الدهور ثانيها انّ النافعة لا تكون الا رياحا واما الضارّة فنفخة واحدة تقتل كريح السموم
ثالثها جاء فى الحديث ان ريحا هبت فقال عليه الصلاة والسلام اللهمّ اجعلها رياحا ولا تجعلها
ريحا اشارة الى قوله تعالى فارسلنا عليهم الريح العقيم وقوله تعالى ريحا صرصرا الى قوله تنزع الناس
+ ولما علم الله تعالى نبيّه صلى الله تعالى عليه وسلم بوجوه الادلة ووعد واوعد ولم يزدهم دعاؤه الا فرارا
وكفرا واصرارا قال تعالى فانّك لا تسمع الموتى اى ليس فى قدرتك اسماع الذين لا حياة لهم فلا نظر
لا سمع او موتى القلوب اسماعا ينفعهم لانه مما اختص به الله تعالى وهؤلاء مثل الاموات لانّ الله
تعالى قد ختم على مشاعرهم ولا تسمع الصمّ اى الذين لا سماع لهم الدعاء اذا دعوتهم + ولما
كان الاصم قد يحس بدعائك اذا كان مقبلا بحاسة بصره قال تعالى اذا ولّوا وذكر الفعل ولم يقل
ولّت اشارة الى قوة التولى لئلا يظن انه اطلق على الجانبية مثلا ولهذا قال تعالى مدبرين
وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية فى الوصل والباقون بالتحقيق
واذا وقف حمزة وهشام على الدعاء ابدلا الهمزة الفا مع المدّ والتوسط والقصر وما انت
بهادى العمى اى بموجد لهم هداية عن ضلالتهم اذا ضلوا عن الطريق وقرأ حمزة بتاء
الخطاب مفتوحة وسكون الهاء والعمى بنصب الياء والباقون بالباء الموحدة مكسورة وفتح الهاء والعمى
بالخفض + تنبيه + قد جعل الله تعالى الكافر بهذه الصفات وهو انه شبهه اولا بالميت وارشاد
الميت محال والمحال ابعد من الممكن ثم بالاصم وارشاد الاصم صعب فانه لا يسمع الكلام وانما يفهم
بالاشارة والافهام بالاشارة صعب ثم بالاعمى وارشاد الاعمى ايضا صعب فانك اذا قلت له مثلا الطريق
عن يمينك فانه يدور الى يمينه لكنه لا يبقى عليه بل يحيد عن قريب فارشاد الاصم اصعب ولهذا
تكون المعاشرة مع الاعمى اسهل من المعاشرة مع الاصم الذى لا يسمع لان غاية الافهام وليس كل
ما يفهم بالكلام يفهم بالاشارة فانّ المعدوم والغائب لا اشارة اليه فبدأ اولا بالميت لانه اعلى ثم بالادون
منه وهو الاصم وقيده بقوله تعالى اذا ولوا مدبرين ليكون ادخل فى الامتناع لانّ الاصم وان كان
يفهم فانما يفهم بالاشارة فاذا ولى لا يكون نظره الى المشير فامتنع افهامه بالاشارة ايضا ثم بادنى
منه وهو الاعمى لما مرّ ثم قال تعالى ان اى ما تسمع اى سماع افهام وقبول الا من يؤمن بآياتنا اى
القرآن فاثبت للمؤمن استماع الآيات فلزم ان يكون المؤمن حيا سميعا بصيرا لانّ المؤمن ينظر
فى البراهين ويسمع زواجر الوعظ فتظهر منه الافعال الحسنة ويفعل ما يجب عليه فهم
مسلمون اى مطيعون كما قال تعالى عنهم وقالوا سمعنا واطعنا + ولما اعاد تعالى دليل الآفاق
بقوله تعالى الله الذى يرسل الرياح اعاد دليلا من دلائل الانفس وهو خلق الآدمى وذكر

احوال بقوله تعالى الله اى الجامع لصفات الكمال الذى خلقكم من ضعف اى ماء ذى ضعف لقوله تعالى
الم نخلقكم من ماء مهين ثم جعل من بعد ضعف آخر وهو ضعف الطفولية قوة اى قوة الشباب
ثم جعل من بعد قوة ضعفا اى ضعف الكبر وشيبة اى شيب الهرم وهى بياض فى الشعر
يحصل اوله فى الغالب فى السنة الثالثة والاربعين وهو اول سن الاكتهال والاخذ فى النقص
بالفعل بعد الخمسين الى ان يزيد النقص فى الثالثة والستين وهو اول سن الشيخوخة ويقوى الضعف
الى ما شاء الله وقرأ عاصم وحمزة بخلاف عن حفص بفتح الضاد فى الثلاثة وهو لغة تميم والباقون بضم
وهو لغة قريش وهذا كله تقريب على العادة الغالبة وكان الناس متفاوتين فيها وكان من الناس
من يطعن فى السن وهو قوى ونتيجة ذلك كله انه لا بد ان يكون التصرف بالاختيار مع شمول
العلم وتمام القدرة كما قال تعالى يخلق ما يشاء اى من هذا وغيره وهو العليم بتدبير خلقه القدير
على ما يشاء فان قيل ما الحكمة فى قوله تعالى هنا وهو العليم القدير وقوله تعالى من قبل وهو العزيز
الحكيم والعزة اشارة الى كمال القدرة والحكمة اشارة الى كمال العلم فقدم القدرة هناك على
العلم اجيب بان المذكور هناك الاعادة بقوله تعالى وهو اهون عليه وله المثل الاعلى فى السموات
والارض وهو العزيز الحكيم لان الاعادة بقوله تعالى كن فيكون فالقدرة هناك اظهر وههنا المذكور
الابداء وهو اطوار واحوال والعلم بكل حال حاصل فالعلم ههنا اظهر ثم ان قوله تعالى وهو العليم
القدير فيه تبشير وانذار لانه اذا كان عالما باحوال الخلق يكون عالما باحوال المخلوق فان عملوا خيرا علمه
وان عملوا شرا علمه ثم اذا كان قادرا فاذا علم الخير اثاب واذا علم الشر عاقب ولما كان العلم بالاحوال قبل
الاثابة والعقاب اللذين هما بالقدرة فالعلم قدم العلم واما الآية الاخرى فالعلم بتلك الاحوال قبل لتقا
فقال وهو العزيز الحكيم ولما ثبت قدرته تعالى على البعث وغيره عطف على قوله اول السورة يوم
تقوم الساعة يبلس المجرمون ويوم تقوم الساعة اى القيامة سميت بذلك لانها تقوم فى آخر ساعة من
ساعات الدنيا او لانها تقوم بغتة او اعلاما بتيسيرها على الله تعالى وصارت علما عليها بالغلبة كالكوكب
للزهرة يقسم اى يحلف المجرمون اى الكافرون وقوله تعالى ما لبثوا جواب قوله تعالى يقسم
وهو على المعنى اذ لو حكى قولهم بعينه لقيل ما لبثنا اى فى الدنيا غير ساعة استقلوا اجل الدنيا لما عاينوا
فى الآخرة وقال مقاتل والكلبى ما لبثوا فى قبورهم غير ساعة كما قال تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا
الا عشية او ضحاها وكما قال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقيل
فيما بين فناء الدنيا والبعث وفى حديث رواه الشيخان ما بين النفختين اربعون وهو محتمل للساعات
والايام والاعوام كذلك اى مثل ذلك الصرف عن حقائق الامور الى شكوكها كانوا فى الدنيا كونا
هو كالجبلة لهم يؤفكون اى يصرفون عن الحق فى الدنيا وقال مقاتل والكلبى كذبوا فى قولهم غير
ساعة كما كذبوا فى الدنيا ان لا بعث والمعنى ان الله تعالى اراد ان يفضحهم فحلفوا على شىء تبين لاهل
الجمع انهم كاذبون فيه ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم والايمان

وهم الملائكة والانبياء والمؤمنون لقد لبثتم فى كتاب الله اى فيما كتب الله لكم فى سابق علمه وقضائه
او فى اللوح المحفوظ او فيما وعد به فى كتابه من الحشر والبعث فيكون فى كتاب الله متعلق
بلبثتم وقال مقاتل وقتادة فيه تقديم وتاخير معناه وقال الذين اوتوا العلم بكتاب الله والايمان لقد لبثتم
الى يوم البعث وفى ترد بمعنى الباء فردوا ما قال هؤلاء الكفار وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم
وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث الذى انكرتموه وقرأ نافع وابن كثير وعاصم
باظهار الثاء المثلثة عند التاء المثناة والباقون بالادغام + تنبيه + سبب اختلاف الفريقين ان
الموعود بوعد اذا ضرب له اجل ان علم ان مصيره الى النار وهو الكافر يستقل مدة اللبث ويختار
تاخير الحشر والابقاء فى القبر وان علم ان مصيره الى الجنة وهو المؤمن فيستكثر المدة ولا يريد
تاخيرها فيختلف الفريقان وفى هذه الفاء قولان اظهرهما انها عاطفة هذه الجملة على لبثتم وقال
الزمخشرى هى جواب شرط مقدر اى ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اى فقد تبين
بطلان ما قلتم + ولما كان التقدير فقد تبين انه كما كتبه علينا فلو كان لكم نوع من العلم
لصدقتمونا فى اخبارنا به فنفعكم ذلك لان عطف عليه قوله تعالى ولكنكم كنتم اى كونا هو كالجبلة لكم
فى انكاركم له لا تعلمون اى ليس لكم علم اصلا لتفريطكم فى طلب العلم من اهله والتوصل اليه باسبابه فلذلك
كذبتم به فاستوجبتم جزاء ذلك لتكذيب اليوم + ولما كانت الاية ارشدت الى ان هذه الدار دار عمل وان
الاخرة دار جزاء وان البرزخ حائل بينهما فلا يكون فى واحدة منهما ما للاخرى تسبب عن ذلك
قوله تعالى فيومئذ اى اذ يقع ذلك ويقول الذين اوتوا العلم تلك المقالة لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم
فى انكارهم له ولا هم يستعتبون اى لا يطلب منهم الرجوع الى ما يرضى الله تعالى كما دعوا اليه فى الدنيا
من قولهم استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته وقرأ الكوفيون لا ينفع بالياء التحتية
لان المعذرة بمعنى العذر ولان تانيثها غير حقيقى وقد فصل بينهما والباقون بالتاء الفوقية + ثم
اشار تعالى الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار وانه لم يبق من جانب الرسول
صلى الله عليه وسلم تقصير بقوله تعالى ولقد ضربنا اى جعلنا للناس فى هذا القرءان اى فى هذه السورة
وغيرها من كل مثل اى معنى غريب هو اوضح واثبت من اعلام الجبال فى عبارة هى ارشق من
سائر الامثال فان طلبوا شيئا اخر غير ذلك فهو عناد محض لان من كذب دليلا حقا لا يصعب
عليه تكذيب الدلائل بل لا يجوز للمستدل ان يشرع فى دليل اخر بعد ذكره دليلا جيدا مستقيما
ظاهر الاشكال عليه وعانده الخصم وهذا من العالم فكيف بالنبى صلى الله عليه وسلم فان قيل الانبياء
عليهم الصلوة والسلام ذكروا انواعا من الدلائل اجيب بانهم سردوها سردا ثم قرروا فردا فردا
لكن يقول الدليل عليه من وجوه الاول كذا والثانى كذا والثالث كذا وفى مثل هذا عدم
الالتفات الى عناد المعاند لانه يريد تضييع الوقت كى لا يتمكن المستدل من الاتيان بجميع ما وعد
من الدليل فتحبط درجته والى هذا اشار بقوله تعالى ولئن اللام لام قسم جئتهم بافضل

الخلق بآية مثل العصا واليد لموسى عليه السلام ليقولن الذين كفروا منهم إن أي ما أنتم إلا
مبطلون أي أصحاب أباطيل فإن قيل لم وحد في قوله تعالى جئتهم وجمع في قوله تعالى إن أنتم أجيب
بأن في ذلك لنكتة وهي أن الله تعالى أخبر في موضع آخر فقال ولئن جئتهم بكل آية أي جاءت بها الرسل
فقال الكفار ما أنتم أيها المدعون للرسالة كلكم إلا كذا وقال الجلال المحلي إن أنتم أي محمد وأصحابه
وأما الذين آمنوا فيقولون نحن بهذه الآية مؤمنون كذلك أي مثل هذا الطبع العظيم يطبع الله أي
الذي له العظمة والكمال كلها على قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله فإن قيل من لا يعلم شيئاً أي فائدة في الإخبار
عن الطبع على قلبه أجيب بأن معناه أن من لا يعلم الآن فقد طبع على قلبه من قبل ثم إنه تعالى سلى نبيه
صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فاصبر أي على أذاهم مع هذا الجفاء والرد بالباطل والأذى فإن الكل
فعلنا لم يخرج منه شيء عن إرادتنا إن وعد الله أي الذي له الكمال كله بنصرك وإظهار دينك على الدين
كله وفي كل ما وعد به حق أي ثابت جداً يطابقه الواقع كما يكشف عنه الزمان وتأتي به مطايا الحدثان
ولما كان التقدير فلا تعجل عطف عليه قوله تعالى ولا يستخفنك أي يحملنك على الخفة ويطلب لك
خفة باستعجال النصر خوفاً من عواقب تأخيره وتثنيك عن التبليغ الذين لا يوقنون أي أذى الذين
لا يصدقون بوعدنا من البعث والحشر وغير ذلك تصديقاً ثابتاً في القلب بل هم شاكون وفي
شيء يزلزلهم كمن أجاب الله حجته أو مكذبون فهم بالغون في العداوة والتكذيب حتى أنهم لا يصدقون
في وعد الله بنصر الروم على فارس كأنهم على ثقة وبصيرة من أمرهم في أن ذلك لا يكون فإذا صدق الله
وعده في ذلك بإظهار الروم علموا كذبهم عياناً وعلموا إن كان لهم علم أن الوعد بالساعة لا بد منه لإقامة العدل
على الظالم والعود بالفضل على المحسن كما ابتدأ الخلق وهم صاغرون يحشرون ثم هم داخرون وسيعلم الذين ظلموا
أي منقلب ينقلبون فقد انعطف آخر السورة على أولها واتصل بها اتصال القريب بالقريب وها أنا
أسأل الله تعالى القريب المجيب أن يغفر ذنوب من كتب هذا وهو محمد الشربيني الخطيب وأن يفعل ذلك
بوالديه وأولاده ومشايخه وكل محب له وحبيب وقول البيضاوي تبعاً للزمخشري عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء
والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته حديث موضوع ورواه الثعلبي في تفسيره والله تعالى أعلم بالصواب

سورة لقمن مكية

مكية إلا ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام الآيتين وهي أربع أو ثلاث وثلاثون آية وخمسمائة
وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف بسم الله أي الذي وسع كل شيء رحمة
وعلماً الرحمن الذي شملت نعمته سائر بريته الرحيم بأوليائه فخصهم بمعرفته قوله تعالى الم تقدم
الكلام عليه في أول سورة البقرة وقيل إنه أشار بذلك إلى أن الله الملك الأعلى أرسل جبريل عليه
السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم بوحي ناطق من الحكم والأحكام بما لم ينطق به من قبله أمام

ولا يلحقه في ذلك نبي مدى الايام فهو المبدأ وهو الختام والى ذلك اوما بتعبيره باداة البعد في
قوله تعالى تلك اي الآيات التي هي من العلو والعظمة بمكان آيات الكتاب اي الجامع لجميع
انواع الخير الحكيم بوضع الاشياء في حواق مراتبها فلا يستطاع نقض شيء من ابرامه ولا معارضة شيء
من كلامه الدال ذلك على تمام علم منزله وشمول عظمته وقدرته والاضافة بمعنى من وقوله تعالى
هدى ورحمة بالرفع وهي قراءة حمزة خبر مبتدأ مضمر هي او هو وقرأ الباقون بالنصب على الحال
من آيات والعامل ما في اسم الاشارة من معنى الفعل وقال تعالى للمحسنين اشار الى ان رحمة الله قريب
من المحسنين فانه تعالى قال في البقرة ذلك الكتاب ولم يقل الحكيم وههنا قال الحكيم لانه لما زاد ذكر
وصف في الكتاب زاد ذكر من احواله فقال هدى ورحمة وقال هناك هدى للمتقين فقوله تعالى
هدى في مقابلة قوله تعالى الكتاب وقوله تعالى ورحمة في مقابلة قوله تعالى الحكيم ووصف الكتاب بالحكيم
على معنى ذي الحكمة كقوله تعالى في عيشة راضية اي ذات رضا وقوله تعالى هناك للمتقين وقوله تعالى
هنا للمحسنين لانه لما ذكر انه هدى ولم يذكر شيئا آخر قال للمتقين اي يهدي به من يتقي الشرك
والعناد وههنا زاد قوله تعالى ورحمة فقال للمحسنين كما قال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة فناسب
زيادة قوله تعالى ورحمة ولان المحسن متق وزيادة ثم وصف المحسنين بقوله تعالى الذين يقيمون الصلاة
اي يجعلونها كانها قائمة بسبب اتقان جميع ما امر به فيها او ندب اليه ودخل فيها الحج لانه لا يعظم
البيت في كل يوم خمس مرات الا معظم له بالحج فعلا او قوة ويؤتون الزكاة اي كلها فيدخل فيها الصوم
لانه لا يؤدي زكاة الفطر الا من صامه فعلا او قوة + ولما كان الايمان اساس هذه الاركان وكان
الايمان بالبعث جامعا للجميع لانه حامل على سائر وجوه الاحسان قال تعالى وهم بالآخرة
اي التي تقدم ان المجرمين عنها غافلون هم يوقنون اي يؤمنون بها ايمان موقن فهو لا يفعل شيئا
ينافي الايمان ولا يغفل عنه طرفة عين فهو في الذروة العليا من ذلك فهو يعبد الله تعالى كانه يراه
فآية البقرة بداية وهذه نهاية + ولما كانت هذه الخلال امهات الافعال الموجبة للكمال وكانت مساوية
من وجه لآية البقرة ختمها بختامها بعد ان زاد بداءتها فقال اولئك اي العالو الرتبة الحائزون
من منازل القرب اعظم رتبة على هدى اي متمكنون منه تمكن المستعلي على الشيء وقال من ربهم
تذكيرا لهم بانه لولا احسانه لما وصلوا الى شيء ليلزموا تمريغ الجباه على الاعتاب خوفا من الاحتجاب
واولئك هم المفلحون اي الظافرون بكل مراد + ولما بين سبحانه وتعالى حال من تحلى
بهذه الخلال فترقى الى حلية اهل الكمال بين حال اضدادهم بقوله تعالى ومن الناس من
يشتري لهو الحديث اي ما يلهي عما يعني كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار
فيها والمضاحك وفضول الكلام فان قيل ما معنى اضافة اللهو الى الحديث اجيب بان معناها
التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف الشيء الى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج
والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث

والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة
الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض
الحديث الذي هو اللهو قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث بن كلدة كان يتجر فيأتي
الحيرة ويشتري اخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا
احدثكم بحديث رستم واسفنديار واخبار الاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن
فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد يعني شراء المغنيات والمغنين ووجه الكلام على هذا
التأويل من يشتري ذات او ذا لهو الحديث وقيل كان النضر يشتري المغنيات ولا يظفر باحد
يريد الاسلام الا انطلق به الى قينة فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير لك مما يدعوك اليه
محمد من الصلوة والصيام وان تقاتل بين يديه وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن واثمانهن حرام وفي مثل هذا نزلت الآية وما من رجل يرفع صوته
بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه
بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمارة وقال مكحول من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها
وضربها مقيما عليه حتى يموت لم اصل عليه ان الله يقول ومن الناس من يشتري لهو الحديث
الآية وعن الحسن وغيره قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشتري لهو
الحديث يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال ابو الصهباء سألت ابن مسعود
عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعي الغناء
ينبت النفاق في القلب قال وكان اصحابنا يأخذون بأفواه السكك يخرقون الدفوف وقال ابن جريج
لهو الحديث هو الطبل وقال الضحاك هو الشرك وقال قتادة هو كل لهو ولعب وقيل الغناء منفدة
للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ﴾ اي الطريق الواضح الموصل للملك الاعلى
المستجمع لصفات الكمال ضلّ ما كان على الحسنين من الهدى وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء
قبل الضاد من الضلالة بمعنى ليثبت على ضلاله والباقون بضمها ونكر قوله تعالى ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ليفيد
السلب العام لكل نوع من انواع العلم اي لانه لا يأتي من حال السبيل ولا حال غيرها علما
يستحق اطلاق العلم عليه فان قيل ما معنى قوله تعالى بغير علم اجيب بانه تعالى لما جعله مشتريا لهو
الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى
والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي وما كانوا مهتدين بالتجارة
وبصراء بها ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ اي السبيل التي لا اشرف منها مع ما ثبت له من الجهل المطلق ﴿هُزُوًا﴾ اي
مهزوا بها وقرأ حمزة والكسائي وحفص بنصب الذال عطفا على يضل والباقون بالرفع عطفا على يشتري
وسكن حمزة زاي هزوا وضمها الباقون ولما افهم هذا الشقاء الدائم بينه بقوله تعالى

أُولَٰئِكَ اى هؤلاء البعداء البغضاء لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ لاهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه + ولما
كان الانسان قد يكون غافلا فاذا نبه انتبه نبه سبحانه وتعالى على ان هذا الانسان المنهمك فى
اسباب الخسران لا يزداد على ممر الزمان الا مفاجاة لكل ما يرد عليه من البيان بقوله تعالى وَإِذَا تُتْلَىٰ
عَلَيْهِ آيَاتُنَا اى تجدد عليه تلاوتها اى تلاوة القرآن من كل تال كان وَلَّىٰ اى بعد السماع مطلق
التولية سواء كان على الجانبة او مدبرا مُسْتَكْبِرًا اى طالبا للكبر موجدا له بالاعراض عن الطاعة
كَأَنْ اى كانه لَمْ يَسْمَعْهَا فهو لم يدل على حالة المتكبر كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا اى صمما يستوى معه
تكلم غيره له وسكوته + تنبيه + جملتا التشبيه حالان من ضمير ولى او الثانية بيان للاولى وقرأ
نافع بسكون الذال والباقون بضمها + ولما تسبب عن ذلك استحقاقه لما يزيل كبره وعظمته قال
تعالى فَبَشِّرْهُ اى اعلمه بِعَذَابٍ أَلِيمٍ اى مؤلم وذكر البشارة تهكم به وهو النضر بن الحرث كما مرت
الاشارة اليه + ولما بين تعالى حال المعرض عن سماع الآيات بين حال من يقبل على تلك الآيات
بقوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اى اوجدوا الايمان وَعَمِلُوا اى تصديقا له الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ اى
بساتين النَّعِيمِ اى نعيم جنات فعكس للمبالغة كما ان لهؤلاء العذاب المهين ووحد العذاب وجمع
الرحمة اشارة الى ان الرحمة واسعة اكثر من الغضب + ولما كان ذلك قد لا يكون دائما وكان السرور
بشئ قد ينقطع قال تعالى خَالِدِينَ فِيهَا اى دائما وقوله تعالى وَعْدَ اللَّهِ اى الذى لا شئ اجل منه
مصدر مؤكد لنفسه لان قوله تعالى جنات فى معنى وعدهم الله تعالى ذلك وقوله تعالى حَقًّا
مصدر مؤكد لغيره اى لمضمون تلك الجملة الاولى وعاملهما مختلف فتقدير الاولى وعد الله ذلك
وعدا وتقدير الثانية احق ذلك حقا فاكد نعيم الجنات ولم يؤكد العذاب المهين وَهُوَ الْعَزِيزُ اى
فلا يغلبه شئ الْحَكِيمُ اى الذى لا يضع شيئا الا فى محله + ولما ختم بصفتى العزة وهى غاية القدرة والحكمة
وهى ثمرة العلم دل عليهما باتقان افعاله بقوله تعالى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ على علوها وكبرها وضخامتها
بِغَيْرِ عَمَدٍ وقوله تعالى تَرَوْنَهَا فيه وجهان احدهما انه راجع الى السموات اذ ليست بعمد اصلا وانتم
ترونها كذلك بغير عمد الثانى انه راجع الى العمد ومعناه بغير عمد مرئية وعلى كلا الوجهين هى
ثابتة لا تزول وليس ذلك الا بقدرة قادر مختار + تنبيه + اكثر المفسرين ان السموات مبسوطة
كصحف مستوية لقوله تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب وقال بعضهم انها
مستديرة وهو قول جميع المهندسين والغزالى رحمه الله تعالى حيث قال ونحن نوافقهم فى
ذلك فان لهم على ذلك دليلا من المحسوسات ومخالفة الحس لا تجوز وان كان فى الباب خبر نؤوله بما
يحتمله فضلا عن ان ليس فى القرآن والخبر ما يدل على ذلك صريحا بل فيه ما يدل على الاستدارة
كقوله تعالى كل فى فلك يسبحون والفلك اسم لشئ مستدير بل الواجب ان السموات سواء كانت
مستديرة او صفيحة مستقيمة هى مخلوقة لله تعالى باختيار لا بايجاب وطبع + ولما ذكر تعالى العمد المقلة
ذكر الاوتاد المقرة بقوله تعالى وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ اى التى انتم عليها جبالا رواسى والعجب انها من فوقها

وجمیع الرواسی التی تعرفونها تکون من تحت تثبتها عن ان تمید ای تتحرک بکم کما هو شان ما علی
ظهر الماء وبث ای فرق فیها من کل دابة وقوله تعالی وانزلنا ای بما لنا من القوة من السماء ماء
فیه التفات عن الغیبة ولما تسبب عن ذلک تدبیر الاقوات وکان من آثار الحکمة التابعة للعلم
دل علیه بقوله تعالی فانبتنا ای بما لنا من العلو فی الحکمة فیها ای الارض بخلط الماء بترابها من
کل زوج ای صنف من النبات متشابه کریم بما له من البهجة والنضرة الجالبة للسرور
وفی هذا دلیل علی عزته التی هی کمال القدرة وحکمته التی هی کمال العلم ومهد به قاعدة
التوحید وقررها بقوله تعالی هذا ای الذی تشاهدونه کله خلق الله ای الذی له جمیع الکمال
فلا کفء له فان ادعیتم ذلک فارونی ماذا خلق الذین من دونه ای غیره بکتهم بان هذه
الاشیاء العظیمة مما خلقه تعالی وانشاه فارونی ما خلقته آلهتکم حتی استوجبوا عندکم العبادة
تنبیه ما استفهام انکار مبتدا وذا بمعنی الذی بصلته خبره وارونی معلق عن العمل
وما بعده سد مسد المفعولین ثم اضرب عن تبکیتهم بقوله تعالی بل منبها علی ان الجواب لیس
لهم خلق هکذا کان الاصل ولکنه قال تعالی الظالمون العریقون فی الظلم تعمیما
وتنبیها علی الوصف الذی اوجب لهم کونهم فی ضلال عظیم مما یحیط بهم مبین ای فی غایة
الوضوح وهو کونهم یضعون الاشیاء فی غیر مواضعها لانهم فی مثل الظلام لا نور لهم لانحجاب
شمس الانوار عنهم بحجب الهوی فلا حکمة لهم ثم انه تعالی لما نفاها عنهم اثبتها لبعض اولیائه بقوله تعالی
ولقد آتینا بما لنا من العظمة والحکمة لقمان وهو عبد من عبیدنا المطیعین لنا الحکمة وهو العلم
المؤید بالعمل او العمل المحکم بالعلم قال ابن قتیبة لا یقال للشخص حکیم حتی یجتمع له الحکمة فی القول والفعل
قال ولا یسمی المتکلم بالحکمة حکیما حتی یکون عاملا بها وعن ابن عباس رضی الله عنهما هی العقل
والفهم والفطنة واختلف فی نسبه وفی سبب حکمته فقیل هو لقمان بن باعوراء ابن اخت ایوب
علیه السلام او ابن خالته وقیل کان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرک داود علیه السلام
واخذ عنه العلم وکان یفتی قبل مبعث داود علیه السلام فلما بعث قطع الفتوی فقیل له فقال الا
اکتفی اذا کفیت وقیل کان قاضیا فی بنی اسرائیل واکثر الاقاویل انه کان حکیما ولم یکن نبیا اخرج
ابن ابی حاتم عن وهب بن منبه انه سئل اکان لقمان نبیا قال لا لم یوح الیه وکان رجلا حکیما وعن
ابن عباس لقمان لم یکن نبیا ولا ملکا ولکن کان راعیا اسود فرزقه الله تعالی العتق ورضی قوله
ووصیته فقص امره فی القرآن لتمسکوا بوصیته وقال ابن المسیب کان اسود من سودان مصر
خیاطا وقال مجاهد کان عبدا اسود غلیظ الشفتین مشقق القدمین وقیل کان نجارا وقیل کان
راعیا وقیل کان یحتطب لمولاه کل یوم حزمة حطب وقال عکرمة والشعبی کان نبیا وقیل خیر
بین النبوة والحکمة فاختار الحکمة وعنه انه قال لرجل ینظر الیه ان کنت ترانی اسود فقلبی ابیض
وعن عکرمة قال کان لقمان اهون مملوک علی سیده واول ما روی من حکمته انه بینما هو

مع مولاه اذ دخل المخرج واطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الحاجة يفجع منه
الكبد ويكون منه الباسور ويصعد الحر الى الرأس فخرج وكتب حكمته على الحش قال وسكر مولاه فخاطر
قوما على ان يشرب ماء بحيرة فلما افاق عرف ما وقع منه فدعا لقمان فقال لمثل هذا كنت
اخبؤك قال اجمعهم فلما اجتمعوا قال على اى شىء خاطرتموه قالوا على ان يشرب ماء هذه البحيرة
قال فان لها مواد فاحبسوا موادها عنه قالوا وكيف نستطيع ان نحبس موادها قال فكيف يستطيع
ان يشربها ولها مواد واخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول عن ابى مسلم الخولانى قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لقمان كان عبدا كثير التفكر حسن الظن كثير الصمت احب الله
فاحبه الله فمنّ عليه بالحكمة نودى بالخلافة قبل داود فقيل له يا لقمان هل لك ان يجعلك الله
خليفة فى الارض تحكم بين الناس قال لقمان ان اجبرنى ربى قبلت فانى اعلم انه ان فعل ذلك
اعاننى وعلمنى وعصمنى وان خيرنى اخترت العافية ولم اسأل البلاء فقالت الملائكة يا لقمان لم قال
لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان فيخذل او يعان فان اصاب
فبالحرى ان ينجو وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلا فهو خير من ان يكون
شريفا ضائعا ومن تخير الدنيا على الاخرة فتنته الدنيا ولا يصيب الاخرة فعجبت الملائكة من حسن
منطقه فنام نومة فاعطى الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودى داود بعده بالخلافة فقبلها ولم يشترط
ما اشترط لقمان فوقع فى الذى حكاه الله عنه فصفح الله تعالى عنه وتجاوز وكان لقمان يوازره
اى يساعده بعلمه وحكمته فقال داود طوبى لك يا لقمان اوتيت الحكمة فصرفت عنك البلية واوتى
داود الخلافة فابتلى بالذنب والفتنة واخرج ابن ابى حاتم عن قتادة قال خير الله تعالى لقمان بين
الحكمة والنبوة فاختار الحكمة فاتاه جبريل وهو نائم فذرّ عليه الحكمة فاصبح ينطق بها فقيل له كيف اخترت
الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال انه لو ارسل الىّ بالنبوة عزمة لرجوت فيها الفوز منه
ولكنت ارجو ان اقوم بها ولكنه خيرنى فخفت ان اضعف عن النبوة فكانت الحكمة احب الىّ
وروى انه دخل على داود وهو يسرد الدروع وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يسأله
فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة
وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروى ان مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج منها
اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك وان يخرج اخبث مضغتين فاخرج
اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا وروى انه
لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال الست فلان الراعى فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث
واداء الامانة وترك ما لا يعنينى وعن ابن المسيب انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير
الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان كان اسود نوبيا
ذا مشافر وروى سادات السودان اربعة لقمان الحبشى والنجاشى وبلال ومهجع وعن

ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في العزلة وواحد
في الصمت وقال لقمان لا مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقال ضرب الوالد لولده كالسماد للزرع ولما
كانت الحكمة هي الاقبال على الله قال الله تعالى أَنِ اشْكُرْ لِلّٰهِ اي وقلنا له ان اشكر لله على
اعطاك من الحكمة وَمَنْ يَشْكُرْ اي يجدد الشكر ويتعاهده بنفسه كائنا من كان فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهٖ
اي لان ثواب شكره له وَمَنْ كَفَرَ اي النعمة فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عن الشكر وغيره حَمِيْدٌ اي لجميع المحامد
وان كفره جميع الخلق وَاذكر اِذْ قَالَ لُقْمٰنُ لِابْنِهٖ وَهُوَ يَعِظُهٗ يٰبُنَيَّ تصغير اشفاق وقرأ حفص
بفتح الياء وسكنها ابن كثير وكسرها الباقون لَا تُشْرِكْ بِاللّٰهِ اي الملك الاعظم اِنَّ الشِّرْكَ
اي بالله لَظُلْمٌ عَظِيْمٌ فرجع اليه واسلم ثم قال له ايضا يا بني اتخذ تقوى الله تعالى تجارة يأتيك الفرج
من غير بضاعة يا بني احضر الجنائز ولا تحضر العرس فان الجنائز تذكر الآخرة والعرس يشهيك الدنيا
يا بني لا تأكل شبعا من شبع فانك ان تلقيه للكلب خير من ان تأكله يا بني لا تكونن اعجز من
هذا الديك الذي يصوت بالاسحار وانت النائم على فراشك يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت
ياتي بغتة يا بني لا ترغب في ود الجاهل فيرى انك ترضى عمله يا بني اتق الله ولا تري الناس انك
تخشى ليكرموك بذلك وقلبك فاجر يا بني ما ندمت على الصمت قط فان الكلام اذا كان من فضة
كان السكوت من ذهب يا بني اعتزل الشر كما يعتزلك فان الشر للشر خلق يا بني اياك وشدة الغضب
فان شدة الغضب ممحقة لفؤاد الحكيم يا بني عليك بمجالس العلماء واستمع كلام الحكماء فان الله تعالى
يحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل المطر فان من كذب ذهب ماء وجهه ومن ساء خلقه
كثر غمه ونقل الصخور من مواضعها ايسر من افهام من لا يفهم يا بني لا ترسل رسولا جاهلا
فان لم تجد حكيما فكن رسول نفسك يا بني لا تنكح امة غيرك فتورث بنيك حزنا طويلا يا بني يأتي
على الناس زمان لا تقر فيه عين حليم يا بني اختر المجالس على عينك فاذا رأيت المجلس يذكر فيه الله
عز وجل فاجلس معهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك وان تك غبيا يعلموك وان يطلع الله عز وجل
عليهم برحمة تصبك معهم يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر فيه الله تعالى فانك ان تكن عالما لا ينفعك
علمك وان تكن غبيا يزيدوك غباوة وان يطلع الله تعالى عليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم يا بني لا يأكل
طعامك الا الاتقياء وشاور في امرك العلماء يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير
فاجعل سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الايمان بالله وشراعها التوكل على الله لعلك ان تنجو ولا اراك
ناجيا يا بني اني حملت الجندل والحديد فلم احمل شيئا اثقل من جار السوء وذقت المرارة كلها فلم اذق
اشد من الفقر يا بني كن ممن لا يبتغي محمدة الناس ولا يكسب مذمتهم فنفسه منه في عناء والناس
منه في راحة يا بني ان الحكمة اجلست المساكين مجالس الملوك يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك
فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض الميتة بوابل السماء يا بني لا تتعلم ما لا تعلم حتى تعمل بما تعلم
يا بني اذا اردت ان تواخي رجلا فاغضبه قبل ذلك فان انصفك عند غضبه والا فاحذره يا بني انك

منذ نزلت الى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة فدار انت اليها تسير اقرب من دار انت عنها
تباعد يا بني عود لسانك ان يقول اللهم اغفر لي فان لله ساعات لا ترد يا بني اياك والدين فانه ذل
النهار وهم الليل يا بني ارج الله رجاء لا يجرئك على معصيته وخف الله خوفا لا يؤيسك من رحمته اهـ
وانما اكثرت من ذلك لعل الله ينفعني ومن طالعه بذلك وسيأتي في كلام الله تعالى زيادة على
ذلك واقتصرت على هذا القدر والا فمواعظه لابنه لو اراد شخص الاكثار منها لجعل منها مجلدات
فقد اخرج ابن ابي الدنيا عن حفص بن عمر الكندي قال وضع لقمان عليه السلام جرابا من خردل الى جنبه
وجعل يعظ ابنه موعظة ويخرج خردلة فنفد الخردل فقال يا بني وعظتك موعظة لو وعظتها جبلا
لتفطر فتفطر ابنه فسبحان من يعز ويذل ويغني ويفقر ويشفي ويمرض ويرفع من يشاء وان كان
عبدا فلا بدع ان يخص محمدا صلى الله عليه وسلم ذا النسب العالي والمنصب المنيف بالرسالة من بين
قريش وان لم يكن من اهل الدنيا المتعظمين بها + ولما ذكر سبحانه ما اوصى به ولده من شكر المنعم
الاول الذي لم يشركه في ايجاده احد وذكر ما عليه الشرك من الفظاعة والشناعة اتبعه وصيته سبحانه للولد
بالوالد لكونه المنعم الثاني بالسببية في وجوده بقوله تعالى وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ اي امرناه ان
يبرهما ويطيعهما ويقوم بهما ثم بين تعالى السبب في ذلك بقوله تعالى حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا اي حال
كونها ذات وهن بحمله وبالغ في جعلها نفس الفعل دلالة على شدة ذلك الضعف عَلَىٰ وَهْنٍ اي
ضعف الحمل وضعف الطلق وضعف الولادة ثم اشار الى ما لها عليه من المنة بعد ذلك بالشفقة
وحسن الكفالة وهو لا يملك لنفسه شيئا بقوله تعالى وَفِصَالُهُ اي فطامه من الرضاع بعد وضعه
فِي عَامَيْنِ تقاسي فيهما في منامه وقيامه ما لا يعلمه حق علمه الا الله تعالى فان قيل وصى الله تعالى
بالوالدين وذكر السبب في حق الام مع ان الاب وجد منه اكثر من الام لانه حمله في صلبه سنين
ورباه بكسبه سنين فهو ابلغ اجيب بان المشقة الحاصلة للام اعظم فان الاب حمله خفيفا لكونه من
جملة جسده والام حملته ثقيلا آدميا مودعا فيها وبعد وضعه وتربيته ليلا ونهارا وبينهما ما لا يخفى
من المشقة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك
ثم اباك وقوله تعالى أَنِ اشْكُرْ لِي لاني المنعم في الحقيقة وَلِوَالِدَيْكَ اي لكوني جعلتهما سببا لوجودك
والاحسان بتربيتك تفسير لوصينا او علة له ثم علل الامر بالشكر محذرا بقوله تعالى إِلَيَّ لا الى غيري
الْمَصِيرُ فاحاسبك على شركك ومعاصيك وعن القيام بحقوقهما قال سفيان بن عيينة في هذه
الآية من صلى الصلوة الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات الخمس فقد شكر للوالدين
+ ولما ذكر تعالى وصيته بهما واكد حقهما اتبعه الدليل على ما ذكر لقمان من قباحة الشرك بقوله تعالى
وَإِنْ جَاهَدَاكَ اي مع ما امرتك به من طاعتهما عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي وقوله تعالى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
موافق للواقع لانه لا يمكن ان يدل علم من انواع العلوم على شيء من الشرك بل العلوم كلها دالة على
الوحدانية + ولما قرر ذلك على هذا المنوال البديع قال مسببا عنه فَلَا تُطِعْهُمَا اي في ذلك

نصف

ولو اجتهدا على المجاهدة لك عليه بل خالفهما وان ادى ادى الامر الى السيف فجاهدهما به لان امرهما
بذلك مناف للحكمة حامل على محض الجور والسفه ففيه تنبيه لقريش على محض الغلط في التقليد
لآبائهم في ذلك وربما افهم ذلك الاعراض عنهما بالكلية فلهذا قال تعالى وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا
اي في امورها التي لا تتعلق بالدين ما دمت حيا بهما مَعْرُوفًا ببرهما ان كانا على دين يقران عليه
ومعاملتهما بالحلم والاحتمال وما تقتضيه مكارم الاخلاق ومعالي الشيم + ولما كان ذلك قد يجر الى نوع
وهن في الدين بحسن مصاحبتهما نفى ذلك بقوله تعالى وَاتَّبِعْ اي بالغ في ان تتبع سَبِيلَ اي دين وطريق
مَنْ أَنَابَ اي اقبل خاضعا اليّ لم يلتفت الى عبادة غيري وهم المخلصون فان ذلك لا يخرجك عن برهما
ولا عن توحيد الله تعالى ولا عن الاخلاص له + تنبيه + في هذا حث على معرفة الرجال بالحق وامر
بعرض المشائخ وغيرهم على محك الكتاب والسنة فمن كان عمله موافقا لهما اتبع ومن كان عمله مخالفا
لهما اجتنب واذا كان مرجع امورهم كلها اليه في الدنيا ففي الآخرة كذلك كما قال تعالى ثُمَّ إِلَيَّ اي
في الآخرة مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ اي افعل فعل من يبالغ في التعقيب والاختبار عقب ذلك وتبيينه لان
ذلك انسب شيء للحكمة وتعقب كل شيء بحسب ما يليق به بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اي تجددون عمله
من صغير وكبير وجليل وحقير فاجازي من اريد واغفر لمن اريد فاعد لذلك عدة ولا تعمل
عمل من ليس له مرجع يحاسب فيه ويجازي على مثاقيل الذر من اعماله والآيتان معترضتان
في تضاعيف وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال تعالى ووصينا بمثل ما وصى
وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلوا البارئ في استحقاق التعظيم والطاعة
لا يجوز ان يتبعا في الاشراك فما ظنكم بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه
ثلاثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب الي هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه
فان سعدا اسلم بدعوة ابي بكر له ثم ان ابن لقمان قال لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني
احد كيف يعلمها الله تعالى فقال يَا بُنَيَّ مجيبا له مستعطفا مصغرا له بالنسبة الى حمل شيء من غضب الله
تعالى إِنَّهَا اي الخطيئة إِنْ تَكُ واسقط النون لغرض الايجاز في الايماء مِثْقَالَ اي وزن
ثم حقر ما يقول حَبَّةٍ وزاد في ذلك بقوله مِنْ خَرْدَلٍ اي ان تكن في الصغر كحبة
الخردل وقرأ نافع مثقال بالرفع على ان الهاء ضمير الخطيئة مسكما صرا او القصة وكان
تامة وتانيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقول الاعشى * وتشرق بالقول الذي قد اذعته * كما
شرقت صدر القناة من الدم + والشرق الغصة يقال شرق بريقه اي غص والشاهد في شرقت حيث
انثه لاضافة الصدر الى القناة وصدرها ما فوق نصفها ثم اثبت النون في قوله مبينا عن صغرها فتكن
اشارة الى ثباتها في مكانها وليزداد شوق النفس الى محط الفائدة ويذهب الوهم كل مذهب مبينا
عن اعظم الخفاء واتم الاحوال فِي صَخْرَةٍ اي صخرة كانت ولو انها اشد الصخور واخفاها ولما اخفى وبين
الظهور والسمو والرفعة والخفض لكون اعظم لضياعها لمقادير تها بقوله أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ

اى فى اىّ مكان منها على سعة ارجائها وتباعد انحائها واعدادها ونصا على ارادة كل منهما على حدته بقوله اَوْ فِي الْاَرْضِ اى كذلك وهذا كما ترى لا ينفى ان تكون الصخرة فيهما او فى غيرهما او فى احدهما واخرج ابن ابى حاتم عن على بن رباح انه لما وعظ لقمان ابنه وقال انها ان تك الآية اخذ حبة من خردل فاتى بها الى اليرموك فالقاها فى عرضه ثم مكث ما شاء الله تعالى ثم ذكرها وبسط يده فاقبل بها ذباب حتى وضعها فى راحته وقال بعض المفسرين المراد بالصخرة صخرة عليها الثور وهى لا فى الارض ولا فى السماء وقال الزمخشرى فيه اضمار تقديره ان تكن فى صخرة او فى موضع آخر فى السموات او فى الارض وقيل هذا من تقديم الخاص وتاخير العام وهو جائز فى مثل هذا التقسيم وقيل خفاء الشئ يكون بطرق منها ان يكون فى غاية الصغر ومنها ان يكون بعيدا ومنها ان يكون فى ظلمة ومنها ان يكون وراء حجاب فاذا امتنعت هذه الامور فلا يخفى فى العادة فاثبت الله الرؤية والعلم مع انتفاء الشرائط بقوله ان تك مثقال حبة من خردل اشارة الى الصغر وقوله فتكن فى صخرة اشارة الى الحجاب وقوله او فى السموات اشارة الى البعد فانها ابعد الابعاد وقوله او فى الارض اشارة الى الظلمات فان جوف الارض اظلم الاماكن وقوله يَأْتِ بِهَا اللّٰهُ ابلغ من قول القائل يعلمها الله لان من يظهر له شئ ولا يقدر على اظهاره لغيره يكون حاله فى العلم دون حال من يظهر له الشئ ويظهره لغيره فقوله يات بها الله اى يظهرها للاشهاد يوم القيمة فيحاسب بها عاملها اِنَّ اللّٰهَ اى الملك العظيم لَطِيْفٌ اى نافذ القدرة يتوصل علمه الى كل خفى عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خَبِيْرٌ اى عالم ببواطن الامور فيعلم مستقرها روى فى بعض الكتب ان هذه آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها فمات قال الحسن معنى الآية هو الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها ولما نبه على احاطة علمه سبحانه واقامته للحساب امره بما يدخره لذلك توسلا اليه وتخشعا لديه وهو راس ما يصلح به العمل ويصح التوحيد ويصدقه بقوله يٰبُنَيَّ مكررا المناداة تنبيها على فرط النصيحة لفرط الشفقة اَقِمِ الصَّلٰوةَ اى بجميع حدودها وشروطها ولا تغفل عنها تسببا فى نجاة نفسك وتصفية سرك فان اقامتها وهو الاتيان بها على النحو المرضى مانعة من الخلل فى العمل ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر لانها الاقبال على من وحدته فاعتقدت انه الفاعل وحده واعرضت عن كل ما سواه لانه فى التحقيق عدم ولهذا الاقبال والاعراض كانت ثابتة للتوحيد وبهذا يعلم ان الصلوة كانت فى سائر الملل غير ان هيآتها اختلفت وترك ذكر الزكوة تنبيها على انه من حكمته والحكمة تخليه وتخلى ولده من الدنيا حتى ما يكفيهم لقوتهم + ولما امره بتكميله فى نفسه توفية لحق الحق عطف على ذلك تكميله لغيره بقوله وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوْفِ اى كل من تقدر على امره تهذيبا لغيرك وشفقة على نفسك لتخليص ابناء جنسك وَانْهَ اى كل من قدرت على نهيه عَنِ الْمُنْكَرِ حبا لاخيك ما تحب لنفسك تحقيقا لنصيحتك وتكميلا لعبادتك ومن هذا الطراز قول ابى الاسود رحمه الله تعالى ابدأ بنفسك فانهها عن غيها + فان انتهت عنه فانت حكيم +

لانه امره اولا بالمعروف وهو الصلوة الناهية عن الفحشاء والمنكر فاذا امر نفسه ونهاها ناسب ان يامر غيره وينهاه وهذا وان كان من قول لقمان الا انه لما كان فى سياق المدح له كنا مخاطبين به فان قيل كيف قدم فى وصيته لابنه الامر بالمعروف على النهى عن المنكر وحين امر ابنه قدم النهى عن المنكر على الامر بالمعروف فقال لا تشرك بالله ثم قال اقم الصلوة اجيب بانه كان يعلم ان ابنه معترف بوجود الاله فما امره بهذا المعروف بل نهاه عن المنكر الذى ترتب على هذا المعروف واما ابنه فامره امرا مطلقا والمعروف يقدم على المنكر ولما كان القابض على دينه فى غالب الازمان كالقابض على الجمر قال له وَاصْبِرْ صبرا عظيما بحيث تكون مستعليا عَلٰى مَا اى الذى اَصَابَكَ اى فى عباداتك وغيرها من الامر بالمعروف وغيره سواء اكان بواسطة العباد ام لا كالمرض وقد بدأ هذه الوصية بالصلوة وختمها بالصبر لانهما ملاك الاستعانة قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة واخرج احمد عن هشام بن عروة عن ابيه قال مكتوب فى الحكمة يعنى حكمة لقمان عليه السلام لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك بسيطا تكن احب الى الناس ممن يعطيهم العطايا وقال مكتوب فى الحكمة او فى التورية الرفق راس الحكمة وقال مكتوب فى التورية كما ترحمون ترحمون وقال مكتوب فى الحكمة كما تزرعون تحصدون وقال مكتوب فى الحكمة احب خليلك وخليل ابيك وقيل للقمان اى الناس شر قال الذى لا يبالى ان يراه الناس مسيأ ومن حكمته انه قال اتمرعن اللجاجة ولا نطق فيما لا يعنينى ولا اكون مضحاكا من غير عجب ولا مشاء لغير ارب ومنها من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ ومن انصف الناس من نفسه زاده الله بذلك عزا والذل فى طاعة الله اقرب من التعزز بالمعصية ومنها انه كان يقول ثلاثة لا يعرفون الا فى ثلاثة مواطن الحليم عند الغضب والشجاع عند الحرب واخوك عند حاجتك اليه + ولما كان ما امره لولده عظيم الجدوى وجعل ختامه الصبر الذى هو ملاك الاعمال نبه بذلك بقوله على سبيل الاستئناف والتعليل اِنَّ ذٰلِكَ اى الامر العظيم الذى اوصيك به لا سيما الصبر على المصائب مِنْ عَزْمِ الْاُمُوْرِ اى معزوماتها تسمية لاسم المفعول والفاعل بالمصدر اى الامور المقطوع بها المفروضة او القاطعة الجازمة بجزم فاعلها ثم حذره عن الكبر معبرا عنه بلازمه لان نفى الاعم نفى للاخص بقوله وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ اى لا تمله متعمدا امالته بامالة العنق متكلفا لها صرفا عن الحالة القاصدة قال ابو عبيدة واصل الصعر داء يصيب البعير يلوى منه عنقه وقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم بغير الف بعد الصاد وتشديد العين والباقون بالف بعد الصاد وتخفيف العين والرسم يحتملهما فانه رسم بغير الف وهما لغتان لغة الحجاز التخفيف وتميم التثقيل + ولما كان ذلك قد يكون لغرض من الاغراض التى لا تدوم اشار الى المقصود بقوله لِلنَّاسِ بلام العلة اى لا تفعل ذلك لاجل الامالة عنهم وذلك لا يكون الا تهاونا بهم من الكبر بل اقبل عليهم بوجهك كله مستبشرا منبسطا من غير كبر ولا عتو وعن ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه الشحنة فيلقاك فتعرض

مع فعلهما ان قيل الخ لا يخفى ما فيه فتامل

عنه وقيل هو الذي اذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحتقر الفقير ليكن الفقير والغني عندك
سواء ثم اتبع ذلك ما يلزمه بقوله وَلَا تَمْشِ واشار بقوله فِي الْأَرْضِ الى ان اصله تراب وهو لا يقدر
ان يعدوه وسيصير اليه واوقع المصدر موقع الحال والعلة في قوله مَرَحًا اي اختيالا وتبخترا اي
لا تكن منك هذه الحقيقة لان ذلك مشي اشر وبطر وتكبر فهو جدير بان يظلم صاحبه
ويفحش ويبغي بل امش هونا فان ذلك يفضي بك الى التواضع فتصل الى كل خير فترفق
بك الارض اذا صرت في بطنها إِنَّ اللَّهَ اي الذي له الكبرياء والعظمة لَا يُحِبُّ اي يعاقب
كُلَّ مُخْتَالٍ اي مراء للناس في مشيه متبختر يرى له فضلا على الناس فَخُورٍ على الناس بنفسه يظن ان
اسباغ النعم الدنيوية من محبة الله تعالى وذلك من جهله فان الله يسبغ نعمه على الكافر الجاحد
فينبغي للعارف ان لا يتكبر على عباده فان الكبر هو الذي تردى به سبحانه فمن نازعه
فيه قصمه + ولما كان النهي عن ذلك امرا بضده قال وَاقْصِدْ اي اقتصد واسلك الطريق
الوسطى فِي مَشْيِكَ بين ذلك قواما اي ليكن مشيك قصدا لا تخيلا ولا اسراعا اي بين مشيين
لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار قال صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب
بهاء المؤمن واما قول عائشة في عمر رضي الله تعالى عنهما كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة
المرتفعة عن دبيب المتماوت وقال عطاء امش بالوقار والسكينة لقوله تعالى يمشون
على الارض هونا وعن ابن مسعود كانوا ينهون عن وثب اليهود ودبيب النصارى والقصد
في الافعال كالقسط في الاوزان قال الرازي في اللوامع وهو المشي الهون الذي ليس فيه تصنع
للخلق لا بتواضع ولا بتكبر وَاغْضُضْ اي انقص مِنْ صَوْتِكَ لئلا يكون صوتك منكرا وتكون
برفع الصوت فوق الحاجة كالاذان فهو مامور به وكانت الجاهلية يتمدحون برفع الصوت قال القائل
ـه جهير الكلام جهير العطاس + جهير الرواء جهير النعم + وقال مقاتل اخفض من صوتك فان قيل
لم ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي اجيب بان رفع الصوت يؤذي
السامع ويقرع الصماخ بقوة وربما يخرق الغشاء الذي داخل الاذن واما سرعة المشي
فلا تؤذي وان اذت فلا تؤذي غير من في طريقه والصوت يبلغ من على اليمين واليسار ولان المشي
يؤذي آلة المشي والصوت يؤذي آلة السمع وآلة السمع على باب القلب فان الكلام ينتقل من السمع
الى القلب ولا كذلك المشي وايضا فلان قبح القول اقبح من قبح الفعل وحسنه احسن لان اللسان
ترجمان القلب + ولما كان رفع الصوت فوق الحاجة منكرا كان خفضه دونها تماوتا وتكبرا
وكان قد اشار الى النهي عن هذا بمن فافهم ان الطرفين مذمومان علل النهي عن الاول بقوله
إِنَّ أَنْكَرَ اي افظع واشنع واوحش الْأَصْوَاتِ كلها المشتركة في المكاره برفعها فوق الحاجة
واخلى الكلام من لفظ التشبيه واخرجه مخرج الاستعارة تصويرا للصوت الرافع صوته فوق الحاجة
بصورة النهاق وجعل المصوت كذلك حمارا مبالغة في التهجين وتنبيها على انه من الكراهة بمكان

فقال لصوت الحمير اى هذا الجنس لما له من العلو المفرط من غير حاجة فان كل حيوان قد يفهم
من صوته انه يصيح من ثقل او تعب كالبعير او لغير ذلك والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل
لا يصيح وفى بعض اوقات عدم الحاجة يصيح وينهق بصوت اوله زفير وآخره شهيق وهما فعل
اهل النار وافرد الصوت ليكون نصا على ارادة الجنس لئلا يظن ان الاجتماع شرط فى ذلك ولذكر
الحمار مع ذلك من بلاغة الشتم والذم ما ليس لغيره ولذلك يستهجن التصريح باسمه بل يكنون عنه
ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد فى
مساوى الآداب ان يجرى ذكر الحمار فى مجلس قوم من ذوى المروأة ومن العرب من لا يركب
الحمار استنكافا وان بلغت منه الرحلة وانما ركبه صلى الله عليه وسلم لمخالفته عاداتهم واظهارا للتواضع
من نفسه واما الرفع مع الحاجة فغير مذموم فانه ليس بمستنكر ولا مستبشع فان قيل كيف يفهم
كونه انكر الاصوات مع ان حز المنشار بالمبرد ودق النحاس بالحديد اشد صوتا اجيب من وجهين الاول
ان المراد انكر اصوات الحيوانات صوت الحمير فلا يرد السؤال والثانى ان الصوت الشديد لحاجة
ومصلحة لا يستبشع ولا ينكر صوته كامرة الاشادة اليه بخلاف صوت الحمير قال موسى بن اعين
سمعت سفيان الثورى يقول فى قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير قال صياح كل شئ
تسبيح الله تعالى الا الحمار وقال جعفر الصادق فى ذلك هى العطسة القبيحة المنكرة وقال وهب تكلم
لقمان باثنى عشر الف كلمة من الحكمة ادخلها الناس فى كلامهم قال خالد الربعى كان لقمان عبدا ومن
حكمته انه دفع اليه مولاه شاة فقال له اذبحها وائتنى باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب ثم دفع
اليه مولاه شاة فقال له اذبحها وائتنى باخبث مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فسأله مولاه
فقال ليس شئ اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا وقد مرت الاشارة الى ذلك ومن
حكمته انه قال لابنه يا بنى لا ينزلن بك امر رضيته او كرهته الا جعلت فى الضمير منك ان ذلك خير
لك ثم قال لابنه يا بنى ان الله قد بعث نبيا هلم حتى نأتيه نصدقه فخرج على حمار وابنه على حمار
وتزودا ثم سارا اياما وليالى حتى لقيتهما مفازة فاخذا اهبتهما لها فدخلاها فسارا ما شاء الله تعالى
حتى ظهرا وقد تعالى النهار واشتد الحر ونفد الماء والزاد واستبطأ حماريهما فنزلا وجعلا يشتدان
على سوقهما فبينما هما كذلك اذ نظر لقمان امامه فاذا هو بسواد ودخان فقال فى نفسه السواد الشجر
والدخان العمران والناس فبينما هما يشتدان اذ وطئ ابن لقمان على عظم ناتئ على الطريق فخر
مغشيا عليه فوثب اليه لقمان فضمه الى صدره واستخرج العظم باسنانه ثم نظر اليه لقمان فذرفت
عيناه فقال يا ابت انت تبكى وانت تقول هذا خير لى وقد نفد الطعام والماء وبقيت انا وانت فى
هذا المكان فان ذهبت وتركتنى على حالى ذهبت بهم وغم ما بقيت وان اقمت معى متنا جميعا فقال
يا بنى اما بكائى فرقة الوالدين واما ما قلت كيف يكون هذا خيرا فلعل ما صرف عنك اعظم مما ابتليت
به ولعل ما ابتليت به ايسر مما صرف عنك ثم نظر لقمان امامه فلم ير ذلك الدخان والسواد

واذا بشخص اقبل على فرس ابلق عليها ثياب بياض وعمامة بيضاء مسح الهواء مسحا فلم يزل يرمقه بعينه حتى كان منه قريبا فتوارى عنه ثم صاح به انت لقمان قال نعم قال انت الحكيم قال كذلك يقال قال ما قال لك ابنك قال يا عبد الله من انت اسمع كلامك ولا ارى وجهك قال انا جبريل امرني ربي بخسف هذه القرية ومن فيها فاخبرت انكما تريدانها فدعوت ربي ان يحبسكما عني بما شاء فحبسكما بما ابتلى به ابنك ولولا ذلك لخسفت بكما مع من خسفت ثم مسح جبريل عليه السلام بيده على قدم ابنه فاستوى قائما ومسح بيده على الذي كان فيه الطعام فامتلأ طعاما وعلى الذي كان فيه الماء فامتلأ ماء ثم حملهما وحمارهما فزجل بهما كما يرحل الطير فاذا هما في الدار التي خرجا منها بعد ايام وليال وعن عبد الله بن دينار ان لقمان قدم من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال ما فعل ابي فقال مات قال الحمد لله ملكت امري قال ما فعلت امي قال ماتت قال ذهب همي قال ما فعلت امراتي قال ماتت قال جدد فراشي قال ما فعلت اختي قال ماتت قال سترت عورتي قال ما فعل اخي قال مات قال انقطع ظهري وعن ابي قلابة قال قيل للقمان اي الناس اصبر قال صبر لا معه اذى قيل فاي الناس اعلم قال من ازداد من علم الناس الى علمه قيل فاي الناس خير قال الغني قيل الغنى من المال قال لا ولكن الغنى من التمس عنده خير وجد والا اغنى نفسه عن الناس وعن سفيان قيل للقمان اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيئا وعن عبد الله بن زيد قال قال لقمان الا ان يد الله على افواه الحكماء لا يتكلم احدهم الا ما هيأ الله تعالى له ولما استدل سبحانه بقوله تعالى خلق السموات بغير عمد على الوحدانية وبين بحكمة لقمان ان معرفة ذلك غير مختصة بالنبوة استدل ثانيا على الوحدانية بالنعم بقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ اى تعلموا علما هو في ظهوره كالمشاهدة ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ اى الحائز لكل كمال ﴿سَخَّرَ لَكُمْ﴾ اى لاجلكم ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من الانارة والاظلام والشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطر والبرد وغير ذلك من الانعامات مما لا يحصى كما قال والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ﴿وَ﴾ سخر لكم ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من البحار والثمار والآبار والانهار والدواب والمعادن وغير ذلك مما لا يحصى ﴿وَأَسْبَغَ﴾ اى وسع واتم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وقوله تعالى ﴿نِعَمَهُ﴾ قرأ نافع وابو عمرو وحفص بفتح العين وبعد الميم هاء مضمومة والباقون بسكون العين وبعد الميم تاء مفتوحة منونة ومعناها الجمع ايضا كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واختلف في قوله عز وجل ﴿ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ على اقوال فقال عكرمة عن ابن عباس النعمة الظاهرة القرآن والاسلام والباطنة ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة وقال الضحاك الظاهرة حسن الصورة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقال مقاتل الظاهرة تسوية الخلق والرزق والاسلام والباطنة ما ستر من الذنوب وقال الربيع الظاهرة الجوارح والباطنة القلب قال عطاء الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقال مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقال سهل بن عبد الله الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته وقيل الظاهرة تمام الرزق والباطنة تمام الخلق وقيل الظاهرة الامداد بالملائكة والباطنة القاء الرعب في قلوب

الكفار وقيل الظاهرة الاقرار باللسان والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة البصر والسمع
واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك ويروى في دعاء
موسى عليه السلام الهي دلني على اخفاء نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس ويروى
ان ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس ونزل في النضر بن الحرث وابي بن خلف واشباههم
كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله تعالى وفي صفاته ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ اي اهل مكة ﴿مَنْ
يُجَادِلُ﴾ اي يحاجج فلا اعظم من جداله ولا كبر مثل كبره ولا ضلال مثل ضلاله واظهر زيادة
التشنيع على هذا المجادل بقوله تعالى ﴿فِي اللَّهِ﴾ اي المحيط علما وقدرة ثم بين تعالى مجادلته انها ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾
اي مستفاد من دليل بل بالفاظ في ركاكة معانيها لعدم اسنادها الى حس ولا عقل ملحقة
باصوات الحيوانات العجم فكان بذلك حادا تابعا للهوى ﴿وَلَا هُدًى﴾ اي من رسول عهده منه سندا او
الاقوال والافعال بما ابدى من المعجزات والايات البينات فوجب اخذ اقواله مسلمة وان لم يظهر
معناها ﴿وَلَا كِتَابٍ﴾ اي من الله تعالى ثم وصفه بما هو لازم له بقوله تعالى ﴿مُنِيرٍ﴾ اي بين غاية البيان بل
انما يجادل بالتقليد كما قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ اي من اي قائل كان ﴿لَهُمُ﴾ اي المجادلين هذا الجدال
﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ اي الذي خلقكم وخلق اباءكم الاولين ﴿قَالُوا﴾ جمودا لا نفعل ﴿بَلْ نَتَّبِعُ﴾ وان اتيتنا بكل
دليل ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ لانهم اثبت منا عقولا واقوم قيلا واهدى سبيلا فهذه المجادلة في
غاية القبح فان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى كلام الله وهم يأخذون بكلام ابائهم وبين
كلام الله تعالى وبين كلام العلماء بون عظيم فكيف ما بين كلام الله تعالى وكلام الجهال ﴿أَوَلَوْ﴾ اي ايتبعونهم
ولو ﴿كَانَ الشَّيْطَانُ﴾ اي البعيد من الرحمة المحترق باللعنة ﴿يَدْعُوهُمْ﴾ الى الضلال فيوقعهم فيما يسخط الرحمن
فيؤديهم ذلك ﴿إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام
للانكار والتعجب والمعنى ان الله تعالى يدعوهم الى الثواب والشيطان يدعوهم الى العذاب وهم
مع هذا يتبعون الشيطان + ولما بين تعالى حال المشرك والمجادل في الله بين تعالى حال المسلم المستسلم
لامر الله تعالى بقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ﴾ اي في الحال والاستقبال ﴿وَجْهَهُ﴾ اي قصده وتوجهه وذاته
كلها ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ اي الذي له صفات الكمال بان فوض امره اليه فلم يبق لنفسه امر اصلا فهو لا يتحرك
الا بامر من اوامره سبحانه ﴿وَهُوَ﴾ اي والحال انه ﴿مُحْسِنٌ﴾ اي مخلص بباطنه كما اخلص بظاهره فهو
دائما في حال الشهود ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ اي اوجد الامساك بغاية ما يقدر عليه من القوة في
تأدية الامور ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ اي اعتصم بالعهد الاوثق الذي لا يخاف انقطاعه لان اوثق العرى
جانب الله تعالى فان كل ما عداه هالك منقطع وهو باق لا انقطاع له وهذا من باب التمثيل
مثل حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق جبل فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق
عروة من حبل متين مأمون انقطاعه فان قيل كيف قال ههنا ومن يسلم وجهه الى الله فعداه بالى
وقال في البقرة بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فعداه باللام اجيب بان اسلم يتعدى تارة

باللام وتارة بالى كما يتعدى ارسل تارة باللام وتارة بالى قال تعالى وارسلناك للناس رسولا وقال تعالى كما
ارسلنا الى فرعون رسولا وَإِلَى اللّٰهِ اى الملك الاعلى عَاقِبَةُ الْأُمُورِ اى مصير جميع الاشياء اليه كما ان
منه بادئتها وانما خص العاقبة لانهم مقرون بالبادية ولما بين تعالى حال المسلم رجع الى بيان
حال الكافر فقال تعالى وَمَنْ كَفَرَ اى ستر ما اداه اليه عقله من ان الله تعالى لا شريك له
وان لا قدرة اصلا لاحد سواه ولم يسلم وجهه اليه فَلَا يَحْزُنْكَ اى يهمك ويوجعك كُفْرُهُ كائنا من
كان فانه لم يفتك شئ فيه ولا معجز لنا ليحزنك ولا تبعة عليك بسببه فى الدنيا وفى الآخرة وافرد الضمير
فى كفره اعتبارا بلفظ من لارادة التنصيص على كل فرد وفى التعبير هنا بالماضى وفى الاول بالمضارع
بشارة بدخول كثير فى هذا الدين وانهم لا يرتدون بعد اسلامهم وترغيب فى الاسلام لكل من
كان خارجا عنه فالآية من الاحتباك ذكر الحزن ثانيا دليلا على حذف ضده اولا وذكر الاستمساك
اولا دليلا على حذف ضده ثانيا اِلَيْنَا اى فى الدارين مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ اى بسبب احاطتنا بامرهم
وعقب رجوعهم بِمَا عَمِلُوا اى ونجازيهم عليه ان اردنا اِنَّ اللّٰهَ اى الذى لا كفؤ له عَلِيمٌ اى
محيط العلم بما له من الاحاطة باوصاف الكمال بِذَاتِ الصُّدُورِ اى لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم
فينبئهم بما اسرت صدورهم نُمَتِّعُهُمْ اى نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا قَلِيلًا اى الى انقضاء
اٰجالهم فان كل آت قريب وان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ اى نلجئهم
ونردهم فى الآخرة اِلٰى عَذَابٍ غَلِيظٍ اى شديد ثقيل لا ينقطع عنهم اصلا ولا يجدون لهم
منه محيصا من جهة من جهاته كانه فى شدته وثقله جرم عظيم غليظ جدا اذا برك على شئ لا يقدر
على الخلاص منه ثم انه تعالى لما سلى قلب النبى صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فلا يحزنك كفره اى لا تحزن
على تكذيبهم فان صدقك وكذبهم تبين عن قريب وهو رجوعهم الينا على انه لا يتأخر الى ذلك اليوم
بل يتبين قبل يوم القيمة كما قال تعالى وَلَئِنْ اللام لام قسم سَاَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ اى باسرها ومن
فيها وَالْاَرْضَ كذلك وقوله تعالى لَيَقُوْلُنَّ اللّٰهُ اى اسمى بهذا الاسم حذف منه نون الرفع لتوالى الامثال
وواو الضمير لالتقاء الساكنين فقد اقروا بان كل ما اشركوا به بعض خلقه ومصنوع من مصنوعاته ولما
تبين بذلك صدقه صلى الله عليه وسلم وكذبهم قال الله تعالى مستانفا قُلِ الْحَمْدُ اى الاحاطة بجميع اوصاف
الكمال لِلّٰهِ اى الذى له الاحاطة الشاملة من غير تقييد بخلق الخافقين ولا غيره على ظهور الحجة
عليهم بالتوحيد بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ اى ليس لهم علم يمنعهم من تكذيبك مع اعترافهم
بما يوجب تصديقك ولما اثبت لنفسه سبحانه الاحاطة باوصاف الكمال استدل على
ذلك بقوله تعالى لِلّٰهِ اى الملك الاعظم مَا فِى السَّمٰوٰتِ كلها وَالْاَرْضِ كذلك
ملكا وخلقا فلا يستحق العبادة فيهما غيره ولما اثبت ذلك انتج قطعا قوله تعالى اِنَّ اللّٰهَ اى
الذى لا كفؤ له هُوَ اى وحده الْغَنِىُّ مطلقا لان جميع الاشياء له ومحتاجة اليه وليس محتاجا

لسان من السنة الاحوال والاقوال لانه هو الذى انطقها ومن قيد الخرس اطلقها + ولما قال تعالى
لله ما فى السموات والارض اوهم تناهى ملكه لانحصار ما فى السموات والارض فيهما وحكم العقل الصحيح
بتناهيهما بين تعالى انه لاحد ولا ضبط لمعلوماته ومقدوراته الموجبة لحمده بقوله تعالى
وَلَوْ اَنَّ مَا فِى الْاَرْضِ اى كلها ودل على الاستغراق وتقضى كل فرد فرد من افراد الجنس بقوله تعالى
مِنْ شَجَرَةٍ حيث وحدها اَقْلَامٌ اى والشجرة يمدها من بعدها على سبيل المبالغة سبع شجرات
وان ما فى الارض من البحر مداد لتلك الاقلام وَالْبَحْرُ اى والحال ان البحر يَمُدُّهُ اى يكون مدادا له
وزيادة فيه مِنْ بَعْدِهِ اى من ورائه سَبْعَةُ اَبْحُرٍ تكتب بتلك الاقلام وذلك المداد او الذى فى
الارض كلها دواة مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللّٰهِ وفنيت الاقلام والمداد قال المفسرون نزل بمكة قوله تعالى
ويسئلونك عن الروح الاية فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه احبار اليهود فقالوا يا محمد
بلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا افعنيتنا ام قومك فقال صلى الله عليه وسلم كلا قد عنيت
فقالوا الست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التوراة وفيها علم كل شئ فقال صلى الله عليه وسلم هى فى
علم الله تعالى قليل وقد اتاكم ما ان عملتم به انتفعتم قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول ومن
يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فانزل الله تعالى هذه الاية
وقال قتادة ان المشركين قالوا ان القران وما ياتى به محمد يوشك ان ينفد فينقطع فنزلت فان
قيل كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد اجيب بانه اغنى عن ذكر المداد
قوله تعالى يمده لانه من مد الدواة وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة
مملوءة مدادا فهى تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود
بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد
كقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى لان المحصور لا يفى
بما ليس بمحصور فيالها من عظمة لا تتناهى ومن كبرياء لا يجارى ولا يضاهى فان قيل لم قيل من شجرة
على التوحيد دون اسم الجنس اجيب بانه اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من
جنس الشجر ولا واحدة الا وقد بريت اقلاما فان قيل الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير
لا التقليل فهلا قيل كلم الله اجيب بان معناه ان كلماته لا تفى بها البحار فكيف بكلمه وقرأ
ابو عمرو والبحر بنصب الراء وذلك من وجهين احدهما العطف على اسم ان اى ولو ان البحر
ويمده الخبر والثانى النصب بفعل مضمر يفسره يمده والواو حينئذ للحال والجملة حالية ولم يحتج الى
ضمير رابط بين الحال وصاحبها للاستغناء عنه بالواو والتقدير ولو ان الذى فى الارض حال كون
البحر ممدودا بكذا وقرأ الباقون برفع الراء وذلك من وجهين ايضا احدهما عطف على ان وما فى
حيزها والثانى انه مبتدأ ويمده الخبر والجملة حالية والرابط الواو + تنبيه + قوله تعالى سبعة ليس
لانحصارها فى سبعة وانما الاشارة الى المدد والكثرة ولو بالف بحر وانما خصصت السبعة

بالذكر من بين الاعداد لانها عدد كثير يحصر المعدودات في العادة ويدل على ذلك وجهان الاول
ان المعلوم عند كل احد لحاجته اليه هو الزمان والمكان فالزمان منحصر في سبعة ايام والمكان
منحصر في سبعة اقاليم ولان الكواكب السيارة سبعة والمنجمون ينسبون اليها امورا فصارت السبعة
كالعدد الحاصر للكثرات الواقعة في العادة فاستعملت في كل كثير ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء الثاني ان في السبعة معنى يخصها ولذلك
كانت السموات سبعا والارضون سبعا وابواب جهنم سبعا وابواب الجنة ثمانية لانها الحسنى
وزيادة فالزيادة هي الثامن لان العرب عند الثامن يزيدون واوا كقول الفراء لها واو الثمانية
وليس ذلك الا للاستئناف لان العدد تم بالسبعة ثم بين نتيجة ذلك بقوله تعالى إِنَّ اللّٰهَ اي المحيط
بكل شيء قدرة وعلما عَزِيزٌ اي كامل القدرة لا نهاية لمقدوراته حَكِيمٌ اي كامل العلم لا نهاية
لمعلوماته تنبيه قد علم مما قررت ان الآية من الاحتباك ذكر الاقلام دليلا على حذف مداد
وذكر السبعة في مبالغة الابحر دليلا على حذفها في الايجاد ولما ختم تعالى بهاتين الصفتين بعد
اثبات القدرة على الابداع من غير انتهاء ذكر بعض آثارهما في البعث بقوله تعالى مَا خَلْقُكُمْ اي
كلكم في عزته وحكمته الا كخلق نفس واحدة واعاد النافي نصا على كل واحد من الخلق والبعث على
حدته بقوله تعالى وَلَا بَعْثُكُمْ اي كلكم إِلَّا كَنَفْسٍ اي كبعث نفس وبين الافراد تحقيقا للمراد تأكيدا للسهولة
بقوله تعالى وَاحِدَةٍ فان كلماته مع كونها غير نافدة نافذة وقدرته مع كونها باقية بالنسبة
فنسبة القليل والكثير الى قدرته على حد سواء لانه لا يشغله شأن عن شأن ثم دل على ذلك بقوله
تعالى مؤكدا إِنَّ اللّٰهَ اي الملك الاعلى سَمِيعٌ اي بالغ السمع يسمع كل مسموع بَصِيرٌ اي بليغ البصر يبصر
كل مبصر لا يشغله شيء عن شيء ولما قرر تعالى هذه الآية الخارقة دل عليها بامر محسوس يشاهد
كل يوم مرتين بقوله تعالى أَلَمْ تَرَ وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون الخطاب مع النبي صلى الله
عليه وسلم وعليه الاكثر وكأنه تعالى ترك الخطاب مع غيره لان من هو غيره
من الكفار لا فائدة في الخطاب معهم ومن هو غيره من المؤمنين فهم تبع له والوجه الثاني
المراد منه الوعظ والواعظ يخاطب ولا يعين احدا فيقول لجمع عظيم يا مسكين الى الله مصيرك
فمن نصيرك ولماذا تقصيرك أَنَّ اللّٰهَ اي بجلاله وعز كماله يُولِجُ اي يدخل ادخالا لا مرية فيه
اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ فيغيب فيه بحيث لا يرى شيء منه فاذا النهار قد عم الارض كلها اسرع من اللمح
وَيُولِجُ النَّهَارَ اي يدخله كذلك فِي اللَّيْلِ فيخفى حتى لا يبقى له اثر فاذا الليل قد طبق الآفاق مشارقها
ومغاربها في مثل الطرف فيميز سبحانه كلا منهما من الآخر بعد اضمحلاله فكذلك الخلق والبعث
في قدرته لعزته وحكمته لبلوغ سمعه ونفوذ بصره وَسَخَّرَ الشَّمْسَ آية النهار يدخل الليل فيه وَالْقَمَرَ
اي آية الليل كذلك ثم استأنف ما سخرا فيه بقوله تعالى كُلٌّ اي منهما يَجْرِي اي في فلكه
سائرا متماديا وبالغا ومنتهيا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لا يتعداه في منازل معروفة في جميع الفلك

لا يزيد ولا ينقص هذا في الشهر مرة وتلك في السنة مرة لا يقدر واحد منهما ان يتعدى طوره
ولا ان ينقص دوره ولا ان يغير سيره + تنبيه قال تعالى يولج بصيغة المستقبل وقال في الشمس
والقمر وسخر بصيغة الماضي لان ايلاج الليل في النهار امر يتجدد كل يوم وتسخير الشمس والقمر امر
مستمر كما قال تعالى حتى عاد كالعرجون القديم وقال ههنا الى اجل وفي الزمر لاجل لان المعنيين
لائقان بالحرفين فلا عليك في ايهما وقع قال الاكثرون هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين وقيل عام + ولما كان الليل والنهار محل الافعال بين ان ما يقع في هذين الزمانين
اللذين هما بتصرف الله لا يخفى عليه بقوله تعالى وَأَنَّ اللّٰهَ اي بما له من صفات الكمال بِمَا تَعْمَلُونَ اي
في كل وقت على سبيل التجديد خَبِيرٌ اي لا يخفى عليه شيء منه لانه الخالق له كله دقه وجله + ولما ثبت
بهذه الاوصاف الحسنى والافعال العليا انه لا موجد بالحقيقة الا الله تعالى ذٰلِكَ اي المذكور
بِأَنَّ اي بسبب ان اللّٰهَ اي الذي لا عظيم سواه هُوَ وحده الْحَقُّ اي بسبب انه الثابت في ذاته
الواجب من جميع جهاته المستحق للعبادة وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ اي هؤلاء المختوم على مداركهم
واشار الى سفول رتبتهم بقوله تعالى مِنْ دُونِهِ اي غيره الْبَاطِلُ اي العدم في حد
ذاته لا يستحق ان تضاف اليه الالهية بوجه من الوجوه وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي
وحفص يدعون بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب وان مقطوعة من ما في الرسم
وَأَنَّ اللّٰهَ اي الملك الاعظم وحده هُوَ الْعَلِيُّ على خلقه بالقهر فله الصفات العليا والاسماء الحسنى
الْكَبِيرُ اي العظيم في ذاته وصفاته + ولما قال تعالى الم تر ان الله يولج الليل في النهار وسخر الشمس
والقمر ذكر اية سماوية واشار الى السبب والمسبب ذكر بعده اية ارضية تدل على باهر قدرته
وكمال نعمته وشمول انعامه واشار الى السبب والمسبب بقوله تعالى أَلَمْ تَرَ وفي المخاطب بذلك ما تقدم
أَنَّ الْفُلْكَ اي السفن كبارا وصغارا تَجْرِي اي بكم حاملة ما تعجزون عن نقل مثله في البر فِي الْبَحْرِ اي
على وجه الماء بِنِعْمَتِ اللّٰهِ اي بانعام الملك الاعلى المحيط علما وقدرة المحسن اليكم بتعليم صنعتها حتى
تهيأت لذلك على يد ابيكم نوح العبد الشكور عليه السلام وقيل نعمة الله هنا هي الريح التي تتحرك
بامر الله لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ اي عجائب قدرته ودلائله التي تدلكم على انه الحق الذي اثبت بوجوب
وجوده ما ترون من الاحمال الثقال على وجه الماء الذي ترسب فيه الابرة فما دونها
إِنَّ فِي ذٰلِكَ اي الامر الهائل البديع الرفيع لَآيَاتٍ اي دلالات واضحات على ما له من صفات
الكمال لِكُلِّ صَبَّارٍ على المشاق فيبعث نفسه في التفكر في عدم غرقه وفي مسيره الى البلاد الشاسعة
والاقطار البعيدة وفي كون سيره ذهابا وايابا تارة بريحين وتارة بريح واحدة في انجاء ابيه
نوح عليه السلام ومن اراد الله تعالى من خلقه بها واغراق غيرهم من جميع اهل الارض وفي غير
ذلك من شؤونه واموره شَكُورٍ اي مبالغ في كل من الصبر والشكر لانهما الايمان كما ورد الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر وعلم من صيغة المبالغة في كل منهما انه لا يعرف في الرخاء من

ع ٣

عظمة الله ما كان يعرفه في الشدة الا من طبعهم الله تعالى على ذلك ووفقهم لدوام نعمه عليهم لهذا قال تعالى وقليل من عبادي الشكور وها انا اسأل الله الحنان المنان من فضله ان يجعلني منهم ويفعل ذلك باهلي واحبابي فانه كريم جواد ولما ذكر تعالى ان في ذلك لآيات ذكر ان الكل معترفون غير ان البصير يدركه اولا ومن في بصيرته ضعف لا يدركه الا كما قال تعالى وَإِذَا غَشِيَهُم اي علاهم وهم في الفلك حتى صار كالمغطي لهم مَّوْجٌ اي هذا الجنس وافرده لشدة اضطرابه واتيانه شيئا في اثر شيء متتابعا يركب بعضه بعضا كانه شيء واحد واصله من الحركة والازدحام واختلف في قوله تعالى كَالظُّلَلِ فقال مقاتل كالجبال وقال الكلبي كالسحاب والظلل جمع ظلة تشبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها فان قيل كيف جعل الموج وهو واحد كالظلل وهو جمع اجيب بان الموج يأتي منه شيء بعد شيء فلما صاروا الى هذه الحالة دَعَوُا اللَّهَ اي مستحضرين لما يقدر عليه الانسان من كماله بجلاله وجماله عالمين بجميع مضمون الآية السابقة من حقيته وعلوه وكبريائه وبطلان ما يدعونه من دونه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ اي الدعاء بان ينجيهم لا يدعون شيئا سواه بالسنتهم ولا بقلوبهم لما اضطرهم الى ذلك فَلَمَّا نَجَّاهُمْ اي خلصهم من تلك الاهوال إِلَى الْبَرِّ نزلوا عن تلك المرتبة التي اخلصوا فيها الدين وانقسموا قسمين فَمِنْهُم اي تسبب عن نعمة الانجاء انه كان منهم مُّقْتَصِدٌ اي عدل موف في البر بما قد عاهد الله عليه في البحر من التوحيد بمعنى انه ثبت على ذلك وهم قليل كما دل عليه التصريح بالتبعيض قيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل هرب في عام الفتح الى البحر فجاءتهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن نجاني الله من هذه لارجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم ولاضعن يدي في يده فسكنت الريح فرجع عكرمة الى مكة فاسلم وحسن اسلامه قال مجاهد مقتصد في القول مضمر للكفر وقال الكلبي مقتصد في القول اي من الكفار لان بعضهم كان اشد قولا واعلى في الافتراء من بعض ومنهم جاحد للنعمة ملق لجلباب الحياء في التصريح بذلك وهو الاكثر كما دل عليه ترك التصريح فيه بالتبعيض فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى في العنكبوت فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وقال هنا فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اجيب بانه لما ذكر ههنا امرا عظيما وهو الموج الذي كالجبال بقي اثر ذلك في قلوبهم فخرج منهم مقتصد وهناك لم يذكر مع ركوب البحر معاينة مثل ذلك الامر فذكروا اشراكهم حيث لم يبق عندهم اثر وقوله تعالى وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ اي غدار فانه نقض للعهد الفطري اي لما كان في البحر والختر اشد الغدر كَفُورٍ اي للنعم في مقابلة قوله تعالى ان في ذلك لآيات اي يعترف بها الصبار الشكور ويجحدها الختار الكفور فالصبار في موازنة الختار لفظا ومعنى والكفور في موازنة الشكور كذلك اما لفظا فيهما فظاهر واما كون الختار في موازنة الصبار معنى فلان الختار هو الغدار الكثير الغدر او شديد الغدر مثال مبالغة في الختر وهو اشد الغدر والغدر لا يكون الا من قلة الصبر لان الصبور لا يعهد منه الاضرار فانه يصبر ويفوض الامر الى الله تعالى واما الغدار فيعاهدك ولا يصبر على العهد فينقضه واما ان الكفور في

بمقابلة الشكور معنى فظاهر ولما ذكر تعالى الدلائل من اول السورة الى هنا وعظ بالتقوى بقوله
تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ اى عامة وقيل اهل مكة اتَّقُوا رَبَّكُمْ اى الذى لا محسن اليكم غيره وَاخْشَوْا
اى خافوا يَوْمًا لا يشبه الايام ولا يعد هول البحر ولا غيره عند ادنى هول من اهواله شيئا بوجه
لَا يَجْزِي اى لا يقضى ولا يغنى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ والراجع الى الموصوف محذوف اى لا يجزى فيه
وفى التعبير بالمضارع اشارة الى ان الوالد لا تزال تدعوه الوالدية الى الشفقة على الولد ويتجدد
عنده العطف والرقة والمفعول اما محذوف لانه اشد فى النفى واما مدلول عليه بما فى الشق الذى
بعده وقوله تعالى وَلَا مَوْلُودٌ عطف على والد او مبتدأ خبره هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ اى فيه شَيْئًا
من الجزاء وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزى وقطع طمع من توهم من المؤمنين
ان ينفع اباه الكافر فى الآخرة إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ اى الذى له معاقد العز والجلال حَقٌّ اى ان هذا اليوم الذى
هذا شأنه هو كائن لان الله تعالى وعد به ووعده حق وقيل ان وعد الله حق بان لا يجزى والد عن ولده
ولا مولود هو جاز عن والده شيئا لانه وعد بان لا تزر وازرة وزر اخرى ووعد الله حق فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بزخرفها ورونقها فانها زائلة لوقوع اليوم المذكور بالوعد الحق وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ اى الذى
لا اعظم منه ولا مكافئ مع ولايته معكم الْغَرُورُ اى الكثير الغرور المبالغ فيه وهو الشيطان الذى
لا احقر منه لما جمع من البعد والطرد والاحتراق مع عداوته بما يزين لكم من امرها ويلهيكم به
من تعظيم قدرها وينسيكم كيدها وغدرها وتعبها واذاها فيوجب ذلك لكم الاعراض عن ذلك
اليوم فلا تعدون له معادا فلا تتخذون له زادا لما اقترون بغروره من حلم الله تعالى وامهاله قال
سعيد بن جبير الغرة بالله ان يعمل المعصية ويتمنى المغفرة ۞ وروى ان الحرث بن عمرو اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة وانى قد القيت حبا فى الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتى
اذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزل قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ اى بما له من العظمة وجميع اوصاف
الكمال عِنْدَهُ اى خاصة عِلْمُ السَّاعَةِ اى وقت قيامها لا علم لغيره بذلك اصلا وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ اى فى
اوانه المقدر له والمحل المعين له فى علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح النون وتشديد الزاى والباقون
بسكون النون وتخفيف الزاى وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ اى من ذكر او انثى او حى او ميت تام او ناقص
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ اى من الانفس البشرية وغيرها مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا اى من خير او شر وربما تعزم
على شئ وتفعل خلافه وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ اى كما لا تدرى فى اى وقت تموت ويعلمه
الله تعالى وروى ابن ابى حاتم عن مجاهد قال جاء رجل من اهل البادية فقال يا رسول الله ان
امرأتى حبلى فاخبرنى ما تلد وبلادنا مجدبة فاخبرنى متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت
فاخبرنى متى اموت فانزل الله تعالى هذه الآية وعن عكرمة ان رجلا يقال له الوارث من بنى مازن
جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد متى قيام الساعة وقد اجدبت بلادنا فمتى تخصب وقد تركت
امرأتى حبلى فمتى تلد وقد علمت ما كسبت اليوم فماذا اكسب غدا وقد علمت باى ارض ولدت

نباى ارض اموت فنزلت هذه الاية وعن قتادة قال خمس من الغيب استاثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ان الله عنده علم الساعة فلا يدرى احد من الناس متى تقوم الساعة في اى سنة ولا في اى شهر ليلا ام نهارا وينزل الغيث فلا يعلم احد متى ينزل الغيث ليلا ام نهارا ويعلم ما في الارحام فلا يعلم احد ما في الارحام اذكر ام انثى احمر ام اسود وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا اخير ام شر وما تدرى نفس باى ارض تموت ليس احد من الناس يدرى اين مضجعه من الارض افي بحر ام في بر ام سهل ام جبل وعن احمد بن ابي شيبة موقوفا على شهر بن حوشب ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا فقال ملك الموت فقال فكانه يريد في فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند فامر سليمان الريح فحملته الى بلاد الهند في سحابة فلما استقر فيها قبض روحه ملك الموت عليه السلام ثم جاء الى سليمان عليه السلام فسأله عن نظره الى الرجل فقال ملك الموت كان دوام نظرى اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله لا يعلم ما في غد الا الله ولا متى تقوم الساعة الا الله ولا ما في الارحام الا الله ولا متى ينزل الغيث الا الله وما تدرى نفس باى ارض تموت الا الله وعن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه ان رجلا قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسئول عنها باعلم من السائل ولكن ساحدثكم باشراطها اذا ولدت الامة ربتها فذاك من اشراطها واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذاك من اشراطها واذا تطاول رعاء الغنم في البنيان فذاك من اشراطها وخمس من الغيب لا يعلمهن الا الله ثم تلا ان الله عنده علم الساعة الى اخر الاية وعن ابي امامة ان اعرابيا وقف على النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر على ناقة له عشراء فقال يا محمد ما في بطن ناقتي هذه فقال له رجل من الانصار دع عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهلم الى حتى اخبرك وقعت انت عليها وفي بطنها ولد منك فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله يحب كل حيى كريم ويبغض كل فاسق اثيم متفحش ثم اقبل على الاعرابي فقال خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة الاية وعن سلمة بن الاكوع قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة حمراء اذ جاء رجل على فرس فقال له من انت قال انا رسول الله قال متى الساعة قال غيب وما يعلم الغيب الا الله قال ما في بطن فرسى قال غيب وما يعلم الغيب الا الله قال فمتى تمطر قال غيب وما يعلم الغيب الا الله وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اوتيت مفاتيح كل شئ الا الخمس ان الله عنده علم الساعة الاية وعن ابن مسعود قال اوتى نبيكم صلى الله عليه وسلم مفاتيح كل شئ غير خمس ان الله عنده علم الساعة الاية وعن على بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه لم يعم على نبيكم الا الخمس من سرائر الغيب هذه الاية في اخر لقمان ان الله عنده علم الساعة الى اخر السورة وعن ربعى قال حدثني رجل من بني عامر انه قال يا رسول الله هل بقى من العلم شئ لا تعلمه فقال لقد علمني الله خيرا وان من العلم ما لا يعلمه الا الله الخمس ان الله عنده علم الساعة الاية وعن بنت معوذ قالت دخل على رسول الله صلى الله

عليه وسلم صبيحة عرسى وعندى جاريتان تغنيان وتقولان وفينا نبي يعلم ما في غد فقال اما هذا فلا تقولاه
ما يعلم ما في غد الا الله وعن ابي عزة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله
قبض عبد بارض جعل له اليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما تدرى نفس باى ارض تموت وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في مجلس
فيه اصحابه جاءه جبريل في غير صورته يحسبه رجلا من المسلمين فسلم فرد عليه السلام ثم وضع يديه
على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله ما الاسلام قال ان تسلم وجهك لله وتشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وتقيم الصلوة وتؤتى الزكوة قال فاذا فعلت ذلك
فقد اسلمت قال نعم ثم قال ما الايمان قال ان تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين
والموت والحياة بعد الموت والجنة والنار والحساب والميزان والقدر خيره وشره قال فاذا فعلت
ذلك فقد آمنت قال نعم ثم قال ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
قال فاذا فعلت ذلك فقد احسنت قال نعم ثم قال فمتى الساعة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبحان الله خمس من الغيب لا يعلمها الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما
في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت ان الله اى
المختص باوصاف الكمال عليم اى شامل علمه للامور كلها كلياتها وجزئياتها فاثبت العلم المطلق
لنفسه سبحانه بعد ان نفاه عن الغير في هذه المفاتيح خبير اى يعلم خبايا الامور وخفايا الصدور كما يعلم
ظواهرها وجليها كل عنده على حد سواء فهو العالم في ذاته وصفاته ولذلك اخفى هذه المفاتيح عن عباده
لانه لو اطلعهم عليها لفات كثير من الحكم باختلال هذا النظام على ما فيه من الاحكام فقد انطبق آخر
السورة باثبات العلم والخبر مع تقرير امر الساعة التي هي مفتاح الدار الآخرة على اولها المخبر
بحكمة صفته التي من علمها حق علمها وتخلق بما دعت اليه وحضت عليه لا سيما الايقان بالآخرة
كان حكيما فسبحانه من هذا كلامه وتعالى كبرياؤه وعز مرامه وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري
من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة
واعطى من الحسنات عشرا بعدد من عمل المعروف ونهى عن المنكر حديث موضوع

سورة السجدة مكية

وهي ثلاثون آية وثلاثمائة وثمانون كلمة والف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا بسم الله
ذي الجلال والاكرام الرحمن بعموم البشارة والنذارة الرحيم الذي سكن في قلوب احبابه
الشوق اليه والخضوع بين يديه وتقدم في البقرة وغيرها الكلام على الم وما لم يسبق
انها اشارة الى ان الله تعالى ارسل جبريل عليه السلام الى محمد الفاتح الخاتم صلى الله عليه وسلم
بكتاب معجز دال باعجازه على صحة رسالته ووحدانية مرسله وسموه سبحانه هذه الاحرف

في اوائل اربع من هذه السور فزادت على الطواسين بواحدة اشارة الى ان هذه المعانى فى غاية الثبات
لا انقطاع لها ، ولما كان المقصود فى التى قبلها اثبات الحكمة لمنزل هذا الكتاب الذى فيه تبيان كل
شيء اخبر سبحانه وتعالى عن هذا بانه من عنده بقوله تعالى تَنْزِيلُ الْكِتَابِ اى الجامع لكل هدى
على ما ترون من التدريج من السماء لَا رَيْبَ اى لا شك فِيهِ لانّ نافى الشك هو الاعجاز معه
لا ينفك عنه فكل ما تقولونه مما يخالف ذلك تعنت او جهل من غير ريب حال كونه مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ
اى الخالق لهم المدبر لمصالحهم فلا يجوز فى عقل ولا يخطر فى بال ولا يقع فى وهم ولا يتصور
فى خيال انه يصل شيء من كتابه تعالى الى هذا النبى الكريم بغير امره ولا يتخيل ان شيئا منه ليس
بقول الله تعالى ثم لا يتخيل انه من كلامه ولكنه اخذه من بعض اهل الكتاب لانّ هذا لا يفعل مع
بعض الملوك فكيف بملك الملوك فكيف بمن هو عالم بالسر والجهر محيط علمه بالخفى والجلى ، تنبيه فى
تنزيل الكتاب اعرابات مختلفة واظهرها ما جرى عليه الجلال المحلى من انّ تنزيل الكتاب مبتدأ
ولا ريب فيه خبر اول ومن رب العالمين خبر ثان وقوله تعالى اَمْ يَقُولُونَ اى مع ذلك الذى
لا يمترى فيه عاقل افْتَرَاهُ اى تعمد كذبه ام فيه هى المنقطعة والاضراب للانتقال لا للابطال وقيل الميم
صلة اى اتقولون افتراه وقوله تعالى بَلْ هُوَ الْحَقُّ اى الثابت ثباتا لا يضاهيه ثبات شيء من الكتب
قبله اضراب ثان ولو قيل بانه اضراب ابطالى لنفس افتراه وحده لكان صوابا وعلى هذا يقال
كل ما فى القرآن اضراب فهو اضراب انتقالى الا هذا فانه يجوز ان يكون ابطاليا لانه ابطال لقولهم
اى ليس هو كما قالوا مفترى بل هو الحق وفى كلام الزمخشرى ما يرشد الى هذا فانه قال والضمير فى
فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب فى ذلك اى فى كونه من رب العالمين قال ابن عادل
ويشهد لوجاهته ام يقولون افتراه لانّ قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك
قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه من عند الله وهذا اسلوب صحيح محكم انتهى وقوله تعالى
مِنْ رَبِّكَ اى المحسن اليك بانزاله واحكامه حال من الحق والعامل فيه محذوف على القاعدة وهو
العامل ايضا فى لِتُنْذِرَ ويجوز ان يكون العامل فى لتنذر غيره اى انزله لتنذر قَوْمًا اى ذوى قوة
وجلد ومنعة مَا اَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ اى رسول فى هذه الازمان القريبة لقول ابن عباس انّ المراد الفترة
ويؤيده اثبات الجار فى قوله تعالى مِنْ قَبْلِكَ ولما ذكر تعالى علة الانزال اتبعه علة الانذار بقوله تعالى
لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ اى ليكون حالهم فى مجارى العادات حال من ترجى هدايته الى كمال الشريعة واما التوحيد
فلا عذر لاحد فيه مع اقامة الله تعالى من جهة العقل ومع ما تقدمه الرسل عليهم الصلوة والسلام
ادم فمن بعده من اوضح النقل بآثار دعواتهم وبقايا دلالاتهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لمن سأله عن ابيه ابى وابوك فى النار وغير ذلك من الادلة الدالة على انّ من مات قبل دعوته
على الشرك فهو فى النار لكن ذكر بعض العلماء انّ من خصائصه صلى الله عليه وسلم انّ الله تعالى
احياله ابويه واسلما على يديه ولا بدع فى ذلك فانّ الله تعالى اكرمه باشياء لا تحصى ، ولما ذكر

تعالى الرسالة وبين ما على الرسول من الدعاء الى توحيد [illegible]
لجميع صفات الكمال وحده الذي خلق السموات كلها والارض باسرها وما بينهما من المنافع
العينية والمعنوية في ستة ايام كما ياتي تفصيله في فصلت ان شاء الله تعالى ثم استوى على العرش وهو
في اللغة سرير الملك استواء يليق به تعالى لم تعهدوا مثله وهو انه تعالى اخذ في تدبيره وتدبير ما سواه
بنفسه لا شريك له ولا نائب فيه ولا وزير كما تعهدون من ملوك الدنيا اذا امتنعت ممالكهم وتباعدت
اطرافها وتناءت اقطارها ما لكم من دونه لان كل ما سواه دونه وتحت قهره ودل على عموم النفي
بقوله تعالى من ولي اي يلي اموركم ويقوم بمصالحكم وينصركم اذا حل بكم شيء مما تنذرونه ولا شفيع
يشفع عنده في تدبيركم او في احد منكم بغير اذنه افلا تتذكرون هذا فتؤمنون • ولما نفى ان يكون
له وزير او شريك في الخلق ذكر كيف يفعل في هذا الملك العظيم الذي ابدعه فقال مستأنفا
مفسرا المراد بالاستواء يدبر الامر اي كل امر هذا العالم بان يفعل في ذلك فعل الناظر في ادباره
لاتقان خواتمه ولوازمه كما نظر في اقباله لاحكام فواتحه وعوازمه لا يكل شيئا منه الى احد من
خلقه قال الرازي في اللوامع وهذا دليل على ان استواءه على العرش بمعنى اظهار القدرة والعرش
مظهر التدبير لا مقر للمدبر • ولما كان المقصود للقريب انما هو تدبير ما يمكن مشاهدتهم له من العالم
قال تعالى مفردا من السماء اي فينزل ذلك الامر الذي اتقنه كما يتقن من ينظر في ادبار ما يعمله
الى الارض اي غير متعرض الى ما فوق ذلك على ان السماء تشمل كل عال فيدخل جميع العالم العلوي
والارض تشمل كل ما سفل فيشمل ذلك العالم السفلي • تنبيه • ههنا همزتان مكسورتان فقالون
وابن كثير يسهل الاولى كالياء مع المد والقصر وورش وقنبل يسهل الثانية ولهما ابدالها
من غير مد واسقط ابو عمرو الاولى مع المد والقصر والباقون بتحقيقهما • ولما كان الصعود اشق
من النزول على ما جرت به العوائد فكانت بذلك مستبعدا اشار الى ذلك بقوله تعالى ثم يعرج اي
يصعد اليه اي بصعود الملك الى الله تعالى اي الى الموضع الذي شرفه او امره بالكون فيه كقوله تعالى
اني ذاهب الى ربي ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ونحو ذلك والى الموضع الذي
ابتدأ منه نزول التدبير الى السماء كانه صاعد في معاريج وهي الدرج على ما تتعارفون بينكم في
اسرع من لمح البصر في يوم اي من ايام الدنيا كان مقداره لو كان الصاعد واحدا منكم على ما تعهدون
الف سنة مما تعدون من سنيكم التي تعهدونها قال البقاعي والذي دل على هذا التقدير شيء
من العرف وشيء من اللفظ اما اللفظ فالتعبير بكان مع انتظام الكلام بدونها لو اريد غير ذلك واما
العرف فهو ان الانسان المتمكن يبني البيت العظيم العالي في سنة مثلا فاذا فرغه صعد اليه خادمه الى اعلاه
في اقل من دقيقتين من درج الوصل فلا تكون نسبة ذلك من زمن بنائه الاجزءا ولا يبعد هذا وخلق محتاج
فما ظنك بمن خلق الخلق في ستة ايام ولو شاء لخلقهم في لمحة وهو غني عن كل شيء قادر على كل شيء انتهى
فنزول الامر وعروج العمل في مسافة الف سنة مما تعدون وهو ما بين السماء والارض [illegible]

مسافة خمسمائة فينزل في مسيرة خمسمائة سنة ويعرج في خمسمائة سنة فهو مقدار ألف سنة كأنه تعالى
يقول لو سار أحد من بني آدم لم يقطعه إلا في ألف سنة والملائكة يقطعونه في يوم واحد هذا في وصف
عروج الملك من الأرض إلى السماء وأما قوله تعالى تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره
خمسين ألف سنة فأراد مدة المسافة من الأرض إلى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه السلام
يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا
قال مجاهد والضحاك وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال بين السماء والأرض خمسمائة ثم قال أتدرون
ما الذي فوقها قلنا الله ورسوله أعلم قال سماء أتدرون كم بينهما وبينها قلنا الله ورسوله أعلم
قال خمسمائة عام حتى عد سبع سموات ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قلنا الله ورسوله أعلم قال
العرش ثم قال أتدرون ما بينه وبين السماء السابعة قلنا الله ورسوله أعلم قال مسيرة خمسمائة عام ثم قال
ما هذه تحتكم قلنا الله ورسوله أعلم قال أرض أتدرون ما تحتها قلنا الله ورسوله أعلم قال أرض أخرى
أتدرون كم بينهما قلنا الله ورسوله أعلم قال مسيرة سبعمائة عام حتى عد سبع أرضين ثم قال أيم الله
لو دليتم بحبل لهبط على علم الله وقدرته وروي مثل السموات والأرض في الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة
وإن فضل الكرسي على السموات والأرض كفضل الفلاة على تلك الحلقة وقوله تعالى وسع كرسيه
السموات والأرض يدل على أن الكرسي محيط بالكل وقيل مقدار ألف سنة وخمسين ألف سنة
كلها في القيامة ومعناه حينئذ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا ثم يعرج أي يرجع الأمر
والتدبير إليه بعد فناء الدنيا في يوم كان مقداره ذلك وذلك اليوم يتفاوت فهو على الكافر
كخمسين ألف سنة وعلى المؤمن دون ذلك بل جاء في الحديث أنه يكون على المؤمن كمثل صلاة
مكتوبة صلاها في الدنيا وقيل أن ذلك إشارة إلى امتداد نفاذ الأمر وذلك لأن من نفذ أمره غاية
النفاذ في يوم أو يومين وانقطع لا يكون مثل من ينفذ أمره في سنين متطاولة فقوله في يوم كان مقداره ألف سنة
يعني يدبر الأمر في زمان يوم منه ألف سنة فكم يكون شهر منه وكم يكون سنة منه وكم يكون دهر منه وعلى
هذا فلا فرق بين هذا وبين قوله مقداره خمسين ألف سنة لأن ذلك إذا كان إشارة إلى دوام نفاذ الأمر
فسواء يعبر بالألف سنة أو بخمسين ألف سنة لا يتفاوت إلا أن المبالغة بالخمسين أكثر وسيأتي بيان فائدتها
في موضعها إن شاء الله تعالى + ولما تقرر هذا من عالم الأشباح للخلق ثم عالم الأرواح والأمر بين أنه
تعالى عالم بما كان وما يكون بقوله تعالى ذلك أي الإله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة أي
ما غاب عن الخلق ومنه الذي تقدمت مفاتحه وما حضر لهم فيدبر أمرهما العزيز أي الغالب
على أمره الرحيم على العباد في تدبيره وفيه إيماء بأنه تعالى يراعي المصالح تفضلا وإحسانا + ولما
ذكر تعالى الدليل على الوحدانية من الآفاق بقوله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما ذكر
الدليل عليها من الأنفس بقوله تعالى الذي أحسن كل شيء خلقه قال ابن عباس أتقنه وأحكمه
فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الإنسان

في احسن تقويم وقال مقاتل علم كيف يخلق كل شئ من قول القائل فلان يحسن كذا اذا كان يتقنه
وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض وقيل معناه احسن الى
كل خلقه وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام فعلا ماضيا والجملة صفة للمضاف او المضاف اليه والباقون
بسكونها على انه بدل من كل شئ بدل اشتمال والضمير عائد على كل شئ ولما كان الحيوان اشرف
الاجناس وكان الانسان اشرفه خصه بالذكر ليقوم دليل الوحدانية بالانفس كما قام بالآفاق فقال دالا
على البعث وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ اي آدم عليه السلام مِن طِينٍ قال الرازي ويمكن ان يقال الطين
ماء وتراب مجتمعان فالآدمي اصله مني والمني اصله غذاء والاغذية اما حيوانية او نباتية والحيوانية
ترجع الى النباتية والنبات وجوده بالماء والتراب الذي هو الطين ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ اي ذريته مِن
سُلَالَةٍ اي نطفة سميت سلالة لانها تسل من الانسان اي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه
قولهم للولد سليل هذا على التفسير الاول لان آدم كان من الطين ونسله من سلالة مِّن مَّاءٍ
مَّهِينٍ اي ضعيف وعلى التفسير الاول هو ان اصله من طين ثم يوجد من ذلك الاصل سلالة هي
ماء مهين وهو نطفة الرجل واشار الى عظمة ما بعد ذلك من خلقه وتطويره بقوله تعالى ثُمَّ سَوَّاهُ
قومه بتصوير اعضائه وابدانه على ما ينبغي وَنَفَخَ فِيهِ اي آدم مِن رُّوحِهِ اي جعله حيا
حساسا بعد ان كان جمادا واضافة الروح الى الله تعالى اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله فياله
من شرف ما اعلاه ففيه اشعار بانه خلق عجيب وان له شانا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية قال
البيضاوي ولاجله اي ولاجل كون ان له شانا الى آخره ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه هذا
الحديث لا اصل له وبتقدير ان له اصلا ليس معناه ذكر بل معناه من عرف نفسه وتامل في
حقيقتها عرف ان لها صانعا موجدا له واليه اشار بقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون ثم ذكر ما يترتب
على نفخ الروح في الجسد مخاطبا للذرية بقوله تعالى وَجَعَلَ لَكُمُ بعد ان كنتم نطفا امواتا السَّمْعَ اي
لتدركوا به ما يقال لكم وَالْأَبْصَارَ اي لتدركوا بها الاشياء على ما هي عليه وَالْأَفْئِدَةَ اي القلوب المودعة
غرائز العقول فان قيل ما الحكمة في تقديم السمع على البصر والبصر على الافئدة اجيب بان الانسان
يسمع اولا كلاما فينظر الى قائله ليعرفه ثم يتفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه فان قيل
ما الحكمة في ذكر المصدر في السمع وفي البصر والفؤاد الاسم ولهذا جمع الابصار والافئدة
ولم يجمع السمع لان المصدر لا يجمع اجيب بان السمع قوة واحدة ولها محل واحد وهو الاذن
ولا اختيار لها فيه وان الصوت من اي جانب كان يصل اليه ولا قدرة للاذن على تخصيص
السمع بادراك البعض دون البعض واما البصر فمحله العين ولها فيه اختيار فانها تتحرك الى جانب
المرئي دون غيره وكذلك الافئدة محل الادراك وله نوع اختيار يلتفت الى ما يريد دون غيره فالسمع
اصل دون محله لعدم الاختيار له والعين كالاصل وقوة الابصار آلتها والفؤاد كذلك فقوة الفهم آلته
فذكر في السمع المصدر الذي هو القوة وفي الابصار والافئدة الاسم الذي هو محل القوة ولان السمع

قوة واحدة لها محل واحد ولهذا لا يسمع الانسان في زمان واحد كلامين على وجه يضبطهما ويرى في زمان واحد صورتين فاكثر ويتبينهما فان قيل م قدم السمع ههنا وقدم القلب في قوله تعالى في البقرة ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم اجيب بانه تعالى عند الاعطاء ذكر الادنى ثم ارتقى الى الاعلى فكانه قال اعطاكم السمع ثم اعطاكم ما هو اشرف منه وهو القلب وعند السلب قال ليس لهم قلب يدركون به ولا ما هو دونه وهو السمع الذي يسمعون به ممن له قلب يفهم الحقائق ويستخرجها ولما لم يبادروا الى الايمان عند التذكير بهذه النعم الجسام قال تعالى ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ اي تشكرون شكرا قليلا فما مزيدة مؤكدة للقلة وقوله تعالى ﴿وَقَالُوا﴾ معطوف على ما سبق منهم فانهم قالوا محمد ليس برسول والاله ليس بواحد والبعث ليس بممكن فدل على صحة الرسالة بنفي الريب عن الكتاب ثم على الوحدانية بشمول القدرة واحاطة العلم بابداع الخلق على وجه هو نعمة لهم وختم بالتعجب من كفرهم وكان استبعادهم البعث الذي هو الثابت الاصل من اعظم كفرهم وهو قولهم ﴿أَإِذَا﴾ اي ابعث اذا ﴿ضَلَلْنَا﴾ اي غبنا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه واصله من ضل الماء في اللبن اذا ذهب فيه وقولهم ﴿أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ اي يجدد خلقنا استفهام انكار في زيادة في الاستبعاد فان قيل انه تعالى ذكر الرسالة من قبل وذكر دليلها وهو التنزيل الذي لا ريب فيه وذكر الوحدانية وذكر دليلها وهو خلق السموات والارض وخلق الانسان من طين ولما ذكر انكارهم الحشر لم يذكر الدليل اجيب بانه ذكر دليله ايضا وهو ان خلقه الانسان ابتداء دليل على قدرته على الاعادة ولهذا استدل تعالى على انكارهم الحشر بالخلق الاول ثم يعيده وهو اهون عليه وقوله تعالى الذي انشأها اول مرة وبخلق السموات والارض كما قال اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وقرأ نافع والكسائي ائذا ضللنا في الارض انا الاول بالاستفهام والثاني بالخبر وقرأ ابن عامر الاول بالخبر والثاني بالاستفهام والباقون بالاستفهام فيهما ومذهب قالون وابي عمرو في الاستفهام تسهيل الثانية وادخال الالف بينها وبين همزة الاستفهام وورش وابن كثير بتسهيل الثانية من غير ادخال وهشام يسهل الثانية ويحققها مع الادخال والباقون بتحقيقهما من غير ادخال وقوله تعالى ﴿بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ اي جاحدون اضراب عن الاول اي ليس انكارهم لمجرد الخلق ثانيا بل يكفرون بجميع احوال الآخرة حتى لو صدقوا بالخلق الثاني لما اعترفوا بالعذاب والثواب ويكون المعنى لم ينكروا البعث لنفسه بل لكفرهم بلقاء الله فانهم كرهوه فانكروا المفضي اليه ثم بين لهم ما يكون من الموت الى العذاب بقوله تعالى ﴿قُلْ﴾ اي يا افضل الخلق لهم ﴿يَتَوَفَّاكُم﴾ اي يقبض ارواحكم ﴿مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ اي بقبض ارواحكم وهو عزرائيل عليه السلام والتوفي استيفاء العدد معناه انه يقبض ارواحهم حتى لا يبقى احد من العدد الذي كتب عليه الموت روي ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما احب من غير مشقة فهو يقبض انفس الخلق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان

ملائكة الرحمة واعوان من ملائكة العذاب وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خطوة ملك الموت
ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت الارض مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وفي
بعض الاخبار ان ملك الموت على معراج بين السماء والارض فتنزع اعوانه روح الانسان فاذا بلغ
ثغرة نحره قبضه ملك الموت وعن معاذ بن جبل ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب
وهو يتصفح وجوه الناس فما من اهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فاذا رأى انسانا
قد انقضى اجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال الآن يزار بك عسكر الموتى فيصير ملقى لا روح في شيء منه
وهو على حاله كاملا لا نقص في شيء منه يدعى الخلل بسببه فاذا كان هذا فعل عبد من عبيده تعالى وتصرفه
في ذلك فقام به كانه مع ان ممازجة الروح للبدن اشد من ممازجة تراب البدن لبقية التراب
لانه ربما يستدل بعض الحذاق على بعض ذلك بنوع دليل من شم ونحوه فكيف يستبعد شيء من الاشياء
على رب العالمين ومدبر الخلائق اجمعين نسأل الله تعالى ان يقبضنا على التوحيد وان يستعملنا في
طاعته ما احيانا ويفعل ذلك باهلنا واحبابنا + ولما قام هذا البرهان القطعي على قدرته التامة علم
ان التقدير ثم يعيدكم خلقا جديدا كما كنتم اول مرة فحذفه كما هو عادة القرآن في حذف كل ما دل عليه السياق
ولم يدع داع الى ذكره وعطف عليه قوله تعالى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ اي الذي ابتدأ خلقكم وتربيتكم
واحسن اليكم غاية الاحسان تُرْجَعُونَ اي تصيرون اليه احياء فيجزيكم باعمالكم + ولما تقرر
دليل البعث بما لا خفاء فيه ولا لبس شرع في بعض احواله بقوله تعالى وَلَوْ تَرَىٰ اي تبصر إِذِ الْمُجْرِمُونَ
اي الكافرون نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ اي مطأطؤها خوفا وخجلا وحزنا وذلا عِنْدَ رَبِّهِمْ المحسن
اليهم المتوحد بتدبيرهم قائلين بغاية الذل والرقة رَبَّنَا اي المحسن الينا أَبْصَرْنَا اي ما كنا
نكذب به وَسَمِعْنَا منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه فَارْجِعْنَا بما لك من هذه
الصفة المقتضية للاحسان الى الدنيا دار العمل نَعْمَلْ صَالِحًا فيها إِنَّا مُوقِنُونَ اي ثابت لنا الآن
الايقان بجميع ما اخبرنا به عنك فلا ينفعهم ذلك ولا يرجعون وجواب لو محذوف تقديره لرأيت
امرا فظيعا والخاطب يحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم شفاء لصدره فانهم كانوا
يؤذونه بالتكذيب ويحتمل ان يكون عاما واذ على بابها من المضي لان لو تصرف المضارع للمضي
وانما جيء هنا ماضيا لتحقق وقوعه نحو اتى امر الله وجعله ابو البقاء مما وقع فيه اذ موقع اذا ولا حاجة
اليه وقوله تعالى وَلَوْ شِئْنَا اي بما لنا من العظمة لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ اي مكلفة لان الكلام فيها
هُدَاهَا فتهتدي بالايمان والطاعة باختيار منها جواب عن قولهم ربنا ابصرنا وسمعنا وذلك ان الله
تعالى قال اني لو اردت منكم الايمان لهديتكم في الدنيا ولما لم اهدكم تبين اني ما اردت الا شقاءكم
فلا اردكم وهذا صريح في الدلالة على صحة مذهب اهل السنة حيث قالوا ان الله تعالى
ما اراد الايمان من الكافر وما شاء منه الا الكفر وَلَٰكِنْ لم اشاء ذلك لانه حَقَّ

من ذلك يليق بجنابي لا يحل بساحتي ولكن لاجل انكارهم فقال مقسما لأملأن جهنم أي
التي هي محل اهانتي من الجنة أي الجن طائفة ابليس وكأنه تعالى اشار بتقديمهم هنا من استعظم
أمرهم ونبه بهم لاستعظامهم لهم ولانهم الذين اضلوهم والناس أجمعين
حيث قلت لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين فلذلك شئت كفر
الكافر وعصيان العاصي بعد ان جعلت لهم اختيارا وغيبت العاقبة عنهم فصار الكسب ينسب
اليهم ظاهرا والخلق في الحقيقة والمشيئة لي ودل بالتسبب عن هذا القول الصادق انه لا محيص
لهم عن عذابهم قال لهم الخزنة اذا دخلوا جهنم فذوقوا العذاب بما أي بسبب ما
نسيتم لقاء يومكم وحققه وبين ذلك بقوله تعالى هذا أي بترككم الايمان به
إنا نسيناكم أي عاملناكم بما لنا من العظمة ولكم من الحقارة معاملة الناسي لكم تركناكم في النار
وذوقوا عذاب الخلد أي المختص بانه لا آخر له بما أي بسبب ما كنتم تعملون أي
من الكفر والتكذيب وانكار البعث. ولما ذكر تعالى علامة اهل الكفران ذكر علامة
اهل الايمان بقوله تعالى إنما يؤمن بآياتنا أي الدالة على عظمتنا الذين إذا ذكروا بها
أي من أي مذكر كان في أي وقت كان خروا سجدا أي بادروا الى السجود مبادرة من
كأنه سقط من غير قصد خضوعا لله من شدة تواضعهم وخشيتهم واخباتهم خضوعا ثابتا
دائما وسبحوا أي اوقعوا التنزيه عن كل شائبة نقص متلبسين بحمد ربهم أي قالوا
سبحان الله وبحمده وقيل صلوا بامر ربهم ولما تضمن هذا تواضعهم صرح به في قوله تعالى
وهم لا يستكبرون أي عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصير مستكبرا. وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التي فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد احدنا مكانا لوضع
جبهته في غير وقت الصلاة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ
ابن آدم السجدة فسجد اعتزل ابليس يبكي يقول يا ويلتي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة
وامرت بالسجود فأبيت فلي النار وهذه من عزائم سجود القرآن فتسن للقارئ والمستمع والسامع
ولما كان التواضع ربما ينسب الى الكسل نفى ذلك عنهم مبينا لما تضمنته الآية
السالفة من خوفهم بقوله تعالى تتجافى أي ترتفع وتتنحى جنوبهم عن المضاجع عبر به عن ترك النوم
قال ابن رواحة: يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين المضاجع
والمضاجع جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفراش ثم هم المتهجدون الذين يقيمون
الصلاة قال انس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي
العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس ايضا قال نزلت في اناس من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم كانوا يصلون صلوة المغرب الى صلوة العشاء قال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا
[illegible] في جماعة [illegible]

كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة وعن انس كنا نجتنب الفرش قبل صلوة
العشاء وعنه ايضا قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم راقدا قط قبل العشاء ولا متحدثا بعدها
فان هذه الاية نزلت في ذلك وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الذين لا ينامون
قبل العشاء فاثنى عليهم فلما ذكر ذلك جعل الرجل يعتزل فراشه مخافة ان تغلبه عينه فوقته قبل ان
ينام الصغير ويكسل الكبير وعن مالك بن دينار قال سألت انسا عن هذه الاية فقال كان قوم من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الاولين يصلون المغرب ويصلون بعدها
الى العشاء الاخرة فنزلت هذه الاية فيهم وعن ابن ابي حاتم قال هي ما بين المغرب والعشاء صلوة الاوابين
وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال قيام العبد
من الليل وعن معاذ بن جبل ايضا قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاصبحت يوما قريبا
منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت
عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة و
تصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفي الخطيئة وصلوة
الرجل من جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال الا اخبرك برأس
الامر وعموده وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله فقلت بلى يا نبي الله فاخذ
بلسانه فقال كف عليك هذا فقلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك
يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد السنتهم وعن كعب قال اذا حشر الناس
نادى مناد هذا يوم الفصل اين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع اين الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم ثم يخرج عنق من نار فيقول امرت بثلاثة بمن جعل مع الله الها اخر وبكل
جبار عنيد وبكل معتد لانا اعرف بالرجل من الوالد بولده والمولود بوالده ويؤمر بفقراء المسلمين
الى الجنة فيحبسون فيقولون تحبسونا ما كان لنا اموال وما كنا امراء وعن ابي امامة الباهلي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وقربة الى ربكم وتكفير للسيئات
ومنهاة عن الاثام ومطردة للداء وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عجب
ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه بين حبه واهله الى صلوته رغبة فيما عندي وشفقا مما
عندي ورجل غزا في سبيل الله فانهزم مع اصحابه فعلم ما عليه من الانهزام وما عليه في الرجوع فرجع
حتى هريق دمه وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تتفطر
قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا
شكورا وعن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها
من ظاهرها اعدها الله لمن الان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام واخرج
البيهقي في شعب الايمان عن ربيعة الجرشي قال يجمع الله الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد

فيكونون ما شاء الله ان يكونوا ثم ينادى مناد سيعلم اهل الجمع لمن يكون العز اليوم والكرم ليقم الذين
تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا فيقومون وفيهم قلة ثم يلبث ما شاء الله
ان يلبث ثم يعود فينادى المنادى سيعلم اهل الجمع لمن العز اليوم والكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله فيقومون وهم اكثر من الاولين ثم يلبث ما شاء الله ان يلبث ثم يعود فينادى سيعلم اهل الجمع لمن العز
اليوم والكرم ليقم الحامدون على كل حال فيقومون وهم اكثر من الاولين واخرج ابن جرير
عن ابن عباس تتجافى جنوبهم عن المضاجع يقول تتجافى لذكر الله اما فى الصلوة واما فى قيام او قعود
او على جنوبهم لا يزالون يذكرون الله ولما كان هجران المضجع قد يكون لغير العبادة بين انه
لها بقوله تعالى مبينا لحالهم يَدْعُونَ اى داعين رَبَّهُمْ الذى عودهم باحسانه ثم علله
بقوله تعالى خَوْفًا اى من سخطه وعقابه فان اسباب الخوف من نقائصهم كثيرة سواء اعرفوا سببا يوجب
خوفا او لا لانهم لا يأمنون مكر الله لانه يفعل ما يشاء وَطَمَعًا فى رضاه الموجب لثوابه وقال ابن عباس
خوفا من النار وطمعا فى الجنة وعبر به دون الرجاء اشارة الى انهم لشدة معرفتهم بنقائصهم لا يعدون
اعمالهم شيئا بل يطلبون فضله بغير سبب وان كانوا مجتهدين فى طاعته ولما كانت العبادة
تقطع غالبا عن التوسع فى الدنيا ربما دعت نفس العابد الى التمسك بما فى يده خوفا من نقص
العبادة عند الحاجة وصفهم الله تعالى وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ اى بعظمتنا لا بحول منهم ولا قوة يُنْفِقُونَ
من غير اسراف ولا اقتار فى جميع وجوه القرب التى شرعناها لهم فلا يبخلون بما عندهم اعتمادا
على الخلاق الرزاق الذى ضمن الخلق فهم بما ضمن لهم اوثق منهم بما عندهم ولما ذكر تعالى
جزاء المستكبرين ذكر جزاء المتواضعين بقوله عز من قائل فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ اى من جميع النفوس مقربة
ولا غيرها مَا أُخْفِيَ اى خبئ لَهُمْ اى لهؤلاء المذكورين من مخازن الغيوب فخزنتها كما كانوا يخفون
اعمالهم فى الصلوة فى جوف الليل وبالصدقة وبغير ذلك وقرأ حمزة بسكون الياء والباقون بالفتح
ولما كانت العين لا تقر فتهجع الا عند الامن والسرور قال تعالى مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ اى من شئ
نفيس تقر به اعينهم لاجل ما اقلقوها عن قرارها بالنوم ثم صرح بما افهمته فاء السبب بقوله تعالى جَزَاءً
اى اخفاها لهم لجزائهم بِمَا اى بسبب مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اى من الطاعات فى دار الدنيا وفى
البخارى فى التفسير عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى اعددت
لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال ابو هريرة اقرؤا ان شئتم
فلا تعلم نفس ما اخفى لهم الاية وعن ابن مسعود قال انه لمكتوب فى التورية لقد اعد الله تعالى للذين
تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على قلب بشر ولا يعلمه ملك مقرب
ولا نبى مرسل وانه لفى القرآن فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وعن ابن عمر قال ان الرجل
من اهل الجنة ليجئ فيشرف عليه النساء فيقلن يا فلان بن فلان ما انت بمن خرجت من عندها باولى
بك منا فيقول ومن انتن فيقلن نحن من اللاتى قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين

جزاء بما کانوا یعملون وعن عامر بن عبد الواحد قال بلغنی ان الرجل من اهل الجنة یمکث فی مکان
سبعین سنة ثم یلتفت فاذا هو بامرأة احسن مما کان فیه فتقول له قد ان لک ان یکون لنا منک نصیب
فیقول من انت فتقول انا مزید فیمکث معها سبعین سنة و یلتفت فاذا هو بامرأة احسن مما کان
فیه فتقول قد ان لک ان یکون لنا منک نصیب فیقول من انت فتقول انا التی قال الله تعالی فلا تعلم
نفس ما اخفی لهم من قرة اعین وعن سعید بن جبیر قال یدخلون علیهم علی مقدار کل یوم من
ایام الدنیا ثلاث مرات معهم التحف من الله من جنات عدن ما لیس فی جناتهم وذلک قوله تعالی
فلا تعلم نفس ما اخفی لهم من قرة اعین وعن کعب قال ساصف لکم منزل رجل من اهل الجنة کان
یطلب حلالا و یاکل حلالا حتی لقی الله تعالی علی ذلک فانه یعطی یوم القیامة قصرا من لؤلؤة واحدة
لیس فیها صدع ولا وصل فیها سبعون الف غرفة واسفل الغرف سبعون الف بیت کل بیت سقفه
صفائح الذهب والفضة لیس بموصول ولولا ان الله تعالی سخر له النظر لذهب بصره من نوره غلظ
الحائط خمسة عشر میلا وطوله فی السماء سبعون میلا فی کل بیت سبعون الف باب یدخل علیه
فی کل بیت من کل باب سبعون الف خادم لا یراهم من فی هذا البیت ولا یراهم من فی هذا البیت فاذا خرج
من قصره سار فی ملکه مثل عمر الدنیا یسیر فی ملکه عن یمینه وعن یساره ومن ورائه وازواجه معه
ولیس معه ذکر غیره ومن بین یدیه ملائکة قد سخروا له وبین ازواجه ستر وبین یدیه ستر ووصاف
ووصائف قد الهموا ما یشتهی وما تشتهی ازواجه ولا یموت هو ولا ازواجه ولا خدامه ابدا نعیمهم یزداد
کل یوم من غیر ان یبلی الاول وقرة عین لا تنقطع ابدا لا یدخل علیه فیه روعة ابدا وعن ابی هریرة ان رسول الله
صلی الله علیه وسلم قال والذی نفسی بیده لو ان احد اهل الجنة رجل اضاف آدم فمن دونه فوضع لهم
طعاما وشرابا حتی خرجوا من عنده لا ینقصه ذلک شیئا مما اعطاه الله وعن سهل بن سعد قال بینما نحن
عند رسول الله صلی الله علیه وسلم وهو یصف الجنة حتی انتهی ثم قال فیها ما لا عین رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر علی قلب بشر ثم قال تتجافی جنوبهم عن المضاجع الآیتین قال القرطبی انهم اخفوا عملا واخفی لهم
ثوابا فقدموا علی الله فقرت تلک الاعین وعن ابی الیمان قال الجنة مائة درجة اولها درجة فضة وارضها
فضة ومساکنها فضة وآنیتها فضة وترابها المسک والثانیة ذهب وارضها ذهب ومساکنها ذهب وآنیتها
ذهب وترابها المسک والثالثة لؤلؤ وارضها لؤلؤ وآنیتها لؤلؤ وترابها المسک وسبع وتسعون بعد ذلک
ما لا عین رأت ولا اذن سمعت ولا خطر علی قلب بشر وتلا هذه الآیة فلا تعلم نفس ما اخفی لهم من
قرة اعین الآیة وعن المغیرة بن شعبة یرفعه الی النبی صلی الله علیه وسلم ان موسی علیه السلام سأل
ربه فقال ای رب ای اهل الجنة ادنی منزلة فقال رجل یجیء بعد ما دخل اهل الجنة الجنة فیقال له
ادخل فیقول کیف ادخل وقد نزلوا منازلهم واخذوا اخذاتهم فیقال له اترضی ان یکون لک
مثل ما کان لملک من ملوک الدنیا فیقول نعم ای رب قد رضیت فیقال له فان لک هذا وعشرة امثاله
معه فیقول قد رضیت ای رب فیقال له فان لک هذا وما اشتهت نفسک ولذت عینک فقال موسی

اى رب فاى اهل الجنة ارفع منزلة قال اياها اردت وسأحدثك عنهم انى غرست كرامتهم بيدى
وختمت عليها فلا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال ومصداق ذلك فى كتاب الله
فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين + ونزل فى على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه والوليد بن عقبة بن
ابى معيط اخى عثمان لامه حين تنازعا فقال الوليد بن عقبة لعلى اسكت فانك صبى وانا شيخ وانا والله ابسط
منك لسانا واحد منك سنانا واشجع جنانا واملأ منك حشوا فى الكتيبة فقال له على اسكت فانك فاسق
أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا اى راسخا فى التصديق بجميع ما اخبرت به الرسل كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا اى راسخا فى الفسق
خارجا عن دائرة الاذعان وقال تعالى لَا يَسْتَوُونَ ولم يقل تعالى لا يستويان لانه لم يرد مومنا واحدا
ولا فاسقا واحدا بل اراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين فلا يستوى جمع من هؤلاء بجمع من اولئك
ولا فرد بفرد قال قتادة لا يستوون لا فى الدنيا ولا عند الموت ولا فى الآخرة + ولما نفى استواءهم
اتبعه حال كل على سبيل التفصيل وبدأ بحال المؤمن بقوله تعالى أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا تصديقا
لايمانهم الصَّالِحَاتِ اى الطاعات فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى اى التى يأوى اليها المؤمنون فانها المأوى
الحقيقى والدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وهى نوع من الجنات قال الله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى
عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روى عن ابن عباس قال تأوى
اليها ارواح الشهداء وقيل هى عن يمين العرش نُزُلًا اى اعدادا لهم اول قدومهم قال البقاعى
كما يهيأ للضيف على ما لاح اى عند قدومه بِمَا اى بسبب ما كَانُوا يَعْمَلُونَ
من الطاعات فان اعمالهم من رحمة ربهم واذا كانت هذه الجنات نزلا فما ظنك بما بعد ذلك هو
لعمرى ما اشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهم كل لحظة
فى زيادة لان قدرة الله تعالى لا نهاية لها فاياك ان تخادع او يغرنك ملحد + ثم ثنى بحال الكافر بقوله تعالى
وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا اى خرجوا عن دائرة الايمان الذى هو معدن التواضع واهل للمصاحبة والملازمة
فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ اى التى لا صلاحية فيها للايواء بوجه من الوجوه ملجؤهم ومنزلهم اى فالنار لهم
مكان جنة المأوى للمؤمنين كُلَّمَا أَرَادُوا اى وهم مجتمعون فكيف اذا اراد بعضهم أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا بان
يخيل اليهم ما يظنون به القدرة على الخروج منها كما كانوا يخرجون نفوسهم من محيط الادلة ومن
دائرة الطاعات الى ميدان المعاصى والزلات فيعالجون الخروج فاذا ظنوا انه تيسر لهم وهم بعد
فى غمراتها أُعِيدُوا فِيهَا فهو عبارة عن خلودهم فيها وَقِيلَ لَهُمْ اى من اى قائل وكل بهم ذُوقُوا
عَذَابَ النَّارِ اهانة لهم وزيادة فى تغيظهم وقوله تعالى الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ صفة لعذاب وجوز
ابو البقاء ان يكون صفة للنار قال وذكر على معنى الجحيم والحريق + ولما كان المؤمنون الآن يتمنون
اصابتهم بشئ من الهوان قال تعالى وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى اى عذاب الدنيا قال الحسن
هو مصائب الدنيا واسقامها وقال عكرمة الجوع بمكة سبع سنين اكلوا فيها الجيف والعظام
والكلاب وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ وهو عذاب

الآخرة فان عذاب الدنيا لا نسبة له الى عذاب الآخرة فان قيل ما الحكمة فى مقابلة الادنى بالاكبر
والادنى انما هو فى مقابلة الاقصى والاكبر انما هو فى مقابلة الاصغر اجيب بانه حصل
فى عذاب الدنيا امران احدهما انه قريب والآخر انه قليل صغير وحصل فى عذاب
الآخرة ايضا امران احدهما انه بعيد والآخر انه عظيم كبير لكن المقصود فى عذاب الدنيا
هو انه الذى يصلح للتخويف فان العذاب الآجل وان كان قليلا فلا يحترز عنه بعض الناس اكثر
مما يحترز من العذاب الشديد اذا كان آجلا وكذا الثواب الآجل قد يرغب فيه بعض الناس
ويستبعد الثواب العظيم الآجل واما فى عذاب الآخرة فالذى يصلح للتخويف به هو العظيم
والكبير لا البعيد لما ذكر فقال فى عذاب الدنيا العذاب الادنى ليحترز العاقل ولو قال
تعالى ولنذيقنهم من العذاب الاصغر ما كان يحترز عنه لصغره وعدم فهم كونه عاجلا وقال
فى عذاب الآخرة الاكبر لذلك المعنى ولو قال من العذاب الابعد الاقصى لما حصل التخويف به
مثل ما يحصل بوصفه من الكبر لعلهم يرجعون الى الايمان اى من بقى منهم بعد بدر فان قيل ما الحكمة
فى هذا الترجى وهو على الله تعالى محال اجيب بوجهين احدهما معناه لنذيقنهم اذاقة الراجى كقوله
تعالى انا نسيناكم يعنى تركناكم كما يترك الناسى حيث لا يلتفت اليه اصلا كذلك ههنا والثانى نذيقنهم
العذاب اذاقة يقول القائل لعلهم يرجعون بسببه ومن اى لا احد اظلم ممن ذكر بآيات ربه
اى القرآن ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها
الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما فى بيت الحماسة ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى
غمرات الموت ثم يزورها * اى لا يكشف الامر العظيم الا رجل كريم موصوف بما ذكر والغماء بتشديد
الميم والمد اى فى مدة اقتحام الحرب والشاهد فى قوله ثم يزورها فالمعنى انه استبعد ان يزور
غمرات الموت بعد ان رآها واستيقنها واطلع على شدتها انا من المجرمين اى الكافرين منتقمون
وعبر بصيغة العظمة تنبيها على ان الذى يحصل لهم من العذاب لا يدخل تحت الوصف
على مجرد العذاب فى الظالمين فكيف اذا كانوا ظالمين والجملة الاسمية تدل على دوام ذلك
عليهم فى الدنيا اما باطنا بالاستدراج بالنعم واما ظاهرا باحلال النقم وفى الآخرة بدوام
العذاب على ممر الآباد ولما قرر الاصول الثلاثة وعاد الى الاصل الذى بدأ به وهو الرسالة المذكورة
فى قوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير بين انه ليس بدعا من الرسل بقوله تعالى ولقد
آتينا موسى الكتاب اى الجامع للاحكام وهو التوراة فكان قبلك رسل مثلك وذكر موسى
عليه السلام لقربه من النبى صلى الله عليه وسلم وهو اول من انزل عليه كتاب من انبياء
بنى اسرائيل بعد فترة كثيرة من الانبياء بينه وبين يوسف عليهما السلام ولم يختر عيسى عليه السلام
للذكر والاستدلال لان اليهود ما كانوا يوافقون على نبوته واما النصارى فكانوا يعترفون بنبوة موسى
عليه السلام فذكر المجمع عليه فلا تكن فى مرية اى شك واختلف فى الهاء فى قوله تعالى من لقائه على

ع

اقوال احدها انها عائدة على موسى عليه السلام والمصدر مضاف لمفعوله اى من لقائك موسى
ليلة الاسراء وامتحن المبرد الزجاج فى هذه المسئلة فاجاب بما ذكر قال ابن عباس عن النبى صلى الله
فلا تكن فى شك من لقاء موسى فانك تراه وتلقاه روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
رأيت ليلة اسرى بى موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوعا
الى الحمرة والبياض سبط الرأس ورأيت مالكا خازن النار والدجال فى آيات اراهن الله اياه وعن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت على موسى ليلة اسرى بى عند الكثيب الاحمر وهو يصلى
فى قبره فان قيل قد صح فى حديث المعراج انه رآه فى السماء السادسة ومراجعته فى امر الصلوة فكيف
الجمع بين هذين الحديثين اجيب بانه يحتمل ان تكون رؤيته فى قبره عند الكثيب الاحمر قبل
صعوده الى السماء وذلك فى طريقه الى بيت المقدس فلما صعد الى السماء السادسة وجده هناك
قد سبقه لما يريده الله تعالى وهو على كل شئ قدير فان قيل كيف تصح منه الصلوة فى قبره وهو ميت وقد
سقط عنه التكليف وهو فى الدار الآخرة وهى ليست دار عمل وكذلك رأى النبى صلى الله عليه وسلم
جماعة من الانبياء وهم يحجون اجيب عن ذلك باجوبة الاول ان الانبياء افضل من الشهداء والشهداء
احياء عند ربهم فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا كما صح فى الحديث وان يتقربوا الى الله تعالى بما استطاعوا
لانهم وان كانوا قد توفوا لكنهم بمنزلة الاحياء فى هذه الدار التى هى دار العمل الى ان
تفنى ويفضوا الى دار الجزاء التى هى الجنة الجواب الثانى انه صلى الله عليه وسلم رأى حالهم التى
كانوا عليها فى حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم وصلوتهم الجواب الثالث
ان التكليف وان ارتفع عنهم فى الآخرة لكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم
فيها سبحانك اللهم وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما تلهمون النفس فالعبد يعبد ربه
تعالى فى الجنة اكثر مما كان يعبده فى دار الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار مثل حال الملائكة الذين
قال الله تعالى فى حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما فى الباب ان العبادة ليست عليهم
بتكليف بل هى مقتضى الطبع ثانيها ان الضمير يعود الى الكتاب وحينئذ يجوز ان تكون الاضافة للفاعل
اى من لقاء الكتاب لموسى او المفعول اى من لقاء موسى الكتاب لان اللقاء تصح نسبته الى كل منهما
لان من لقيك فقد لقيته قال السدى المعنى فلا تكن فى مرية من لقائه اى تلقى موسى كتاب الله تعالى
بالرضا والقبول ثالثها ان يعود على الكتاب على حذف مضاف اى من لقاء مثل كتاب موسى رابعها
انه عائد على ملك الموت عليه السلام لتقدم ذكره خامسها عوده على الرجوع المفهوم من قوله الى ربكم
ترجعون اى لا تكن فى مرية من لقاء الرجوع سادسها انه يعود على ما يفهم من سياق الكلام مما ابتلى
به موسى من الابتلاء والامتحان قاله الحسن اى لا بد ان تلقى ما لقى موسى من قومه واختار موسى
عليه السلام لحكمة وهى ان احدا من الانبياء لم يؤذه من قومه الا الذين لا يؤمنوا واما الذين آمنوا
به فلم يخالفوه غير قوم موسى عليه السلام فان من لم يؤمن به آذاه كفرعون ومن آمن به من

بني اسرائيل اذاه ايضا بالمخالفة فطلبوا اشياء مثل رؤية الله جهرة وكقولهم اذهب انت وربك فقاتلا
واظهر هذه الاقوال ان الضمير اما لموسى واما للكتاب واختلف في الضمير ايضا في قوله تعالى وَجَعَلْنَاهُ على
قولين احدهما يرجع الى موسى اي وجعلنا موسى هُدًى اي هاديا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ كما جعلناك هاديا
لامتك والثاني انه يرجع الى الكتاب اي وجعلنا كتاب موسى هاديا كما جعلنا كتابك كذلك
وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ اي من انبيائهم واحبارهم أَئِمَّةً يَهْدُونَ اي يرفعون البيان ويعملون على حسبه
بِأَمْرِنَا اي بما انزلنا فيه من الاوامر كذلك جعلنا من امتك صحابة يهدون كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة
قبل الميم ولهم ايضا ابدالها ياء وحققها الباقون ومد هشام بين الهمزتين بخلاف عنه وقوله تعالى
لِمَا صَبَرُوا قرأ حمزة والكسائي بكسر اللام وتخفيف الميم اي بسبب صبرهم على دينهم وعلى البلاء
من عدوهم ولاجله وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد الميم اي حين صبرهم على ذلك وان كان
الصبر ايضا انما هو بتوفيق الله تعالى وَكَانُوا بِآيَاتِنَا الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا لما لها من العظمة
يُوقِنُونَ اي لا يرتابون في شيء منها ولا يعملون فعل الشاك فيها بالاعراض ولما افهم قوله تعالى
منهم انه كان منهم من يضل عن امر الله قال الله تعالى إِنَّ رَبَّكَ اي المحسن اليك بارسالك
ليعظم ثوابك هُوَ وحده يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ اي بين الهادين والمهديين والضالين والمضلين
يَوْمَ الْقِيَامَةِ بالقضاء الحق فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اي من امر الدين لا يخفى عليه شيء منه واما
غير ما اختلفوا فيه فللحكم فيه لهم او عليهم وما اختلفوا فيه لا على وجه القصد فيقع في محل العفو ولما
اعاد ذكر الرسالة اعاد ذكر التوحيد بقوله تعالى أَوَلَمْ يَهْدِ اي يبين كما رواه البخاري عن
ابن عباس لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا اي كثرة من اهلكنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ الماضين
من المعرضين عن الآيات ونجينا من امن بها وقوله تعالى يَمْشُونَ حال من ضمير لهم فِي مَسَاكِنِهِمْ
اي في اسفارهم الى الشام وغيرها لمساكن عاد وثمود وقوم لوط فيعتبروا إِنَّ فِي ذَلِكَ اي الامر
العظيم لَآيَاتٍ اي دلالات على قدرتنا أَفَلَا يَسْمَعُونَ سماع تدبر واتعاظ فيتعظوا بها أَوَلَمْ او يقولون
في انكار البعث ائذا ضللنا في الارض وَلَمْ يَرَوْا أَنَّا بما لنا من العظمة نَسُوقُ الْمَاءَ اي من السماء
او الارض إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ اي التي جرز نباتها اي قطع باليبس والتهشيم او بايدي الناس فصارت
ملساء لا نبات فيها وفي البخاري عن ابن عباس انها التي لا تمطر الا مطرا لا يغني عنها شيئا ولا يقال
التي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله تعالى فَنُخْرِجُ بِهِ من اعماق الارض بذلك الماء زَرْعًا
اي نبتا لا ساق له باختلاط الماء بالتراب وقيل الجرز اسم موضع باليمن تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ اي من
حبه وورقه وتبنه وحشيشه وَأَنْفُسُهُمْ اي من الحبوب والاقوات وقدم الانعام لوقوع الامتنان بها
لان بها قوامهم في معايشهم وابدانهم ولان الزرع غذاء الدواب لا بد منه واما غذاء الانسان
فقد يصلح للحيوان فكان الحيوان يأكل الزرع ثم الانسان يأكل من الحيوان فان قيل

في سورة عبس قدّمه على الانسان اولا فما الحكمة أجيب بان السياق فيها لطعام الانسان الذى هو نهاية الزرع حيث قال فلينظر الانسان الى طعامه ثم قال فانبتنا فيها حبا وذكر من طعامه من العنب وغيره مالا يصلح للانعام فقدّمه وهذا السياق لمطلق اخراج الزرع واول صلاحه انما هو لاكل الانعام ولا يصلح للانسان ولما كانت هذه الآية مبصرة قال افلا يبصرون هذا فيعلموا انا نقدر على اعادتهم بخلاف الآية الماضية فانها كانت مسموعة فقال افلا يسمعون ولما بين الرسالة والتوحيد بين الحشر بقوله تعالى ويقولون اى مع هذا البيان الذى ليس معه خفاء متى هذا الفتح اى يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة ان كنتم صادقين اى عريقين فى الصدق بالاخبار بانه لا بد من وقوعه حتى نؤمن اذا رأيناه قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اى لهؤلاء الجهلة يوم الفتح اى الذى تستهزؤن به وهو يوم القيامة لا ينفع الذين كفروا اى غطوا آيات ربهم التى لا خفاء بها سواء فى ذلك انتم وغيركم ممن اتصف بهذا الوصف ايمانهم لانه ليس ايمانا بالغيب ولا هم ينظرون اى يمهلون فى ايقاع العذاب بهم لحظة ما من منتظر ما فان قيل قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا عن سؤالهم أجيب بانه كان غرضهم فى السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا على حسب ما علم من غرضهم فى سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكانى بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم فى ادراك العذاب فلم تنظروا فان قيل فمن فسره بيوم الفتح او بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر أجيب بان المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم فى حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه حال ادراك الغرق وقوله تعالى فاعرض عنهم اى لا تبال بتكذيبهم وانتظر اى انزال العذاب بهم انهم منتظرون اى بك حادث موت او قتل فيستريحون منك كان ذلك قبل الامر بقتالهم وقيل انتظر عذابهم بيقينك انهم منتظرون بلفظهم استهزاء كما قالوا فاتنا بما تعدنا وعن ابى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الفجر الجمعة الم تنزيل اى فى الركعة الاولى وهل اتى على الانسان اى فى الركعة الثانية وعن جابر قال كان النبى صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ تبارك والم تنزيل ويقول هما يفضلان على كل سورة فى القرآن بسبعين حسنة ومن قرأهما كتب له سبعون حسنة ورفع له سبعون درجة وعن ابى بن كعب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الم تنزيل اعطى من الاجر كمن احيا ليلة القدر وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام قال شيخ شيخنا ابن حجر لم اجده والله تعالى اعلم بالصواب

سورة الاحزاب مدنية

وهي ثلاث وسبعون اٰية والف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة الاف وتسعمائة وتسعون حرفا وعن
ابي ذرّ قال قال ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قال ثلاثا وسبعين اٰية قال والذي يحلف
به ابي ابن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرأنا منها اٰية الرجم الشيخ والشيخة
اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي انّ ذلك من جملة ما نسخ من القراٰن
واما ما حكى انّ تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فاكلتها الداجن فمن تاليفات الملاحدة والروافض
بِسْمِ اللّٰهِ الذي مهما اراد كان الرَّحْمٰنِ الذي شملت رحمته كل موجود بالكرم والجود الرَّحِيْمِ
لمن توكل عليه بالعطف عليه ونزل في ابي سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور عمرو بن
سفيان السلمي لما قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن ابي رأس المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم
النبيّ صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وطعمة بن
ابيرق فقالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة
وقل انّ لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبي صلى الله عليه وسلم قولهم فقال عمر يا رسول
الله ائذن لي في قتلهم فقال اني قد اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه وامر النبيّ
صلى الله عليه وسلم عمر ان يخرجهم من المدينة يٰاَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللّٰهَ وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال انّ اهل مكة منهم الوليد بن مغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبيّ صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن
قوله على ان يعطوه شطر اموالهم وخوّفه المنافقون من اليهود بالمدينة ان لم يرجع قتلوه فانزل الله تعالى
يا ايها النبي اتق الله اي دم على التقوى كما يقول الرجل لغيره وهو قائم قم قائما اي اثبت قائما فسقط بذلك
ما يقال الامر بالشئ لا يكون الا عند اشتغال المامور بغير المامور به اذ لا يصح ان يقال للجالس اجلس
وللساكت اسكت والنبيّ صلى الله عليه وسلم كان متقيا لان الامر بالمداومة يصح في ذلك فيقال
للجالس اجلس هنا حتى اتيك ويقال للساكت قد احسنت فاسكت تسلم اي دم على ما انت عليه
وايضا من جهة العقل انّ الملك يتقى منه عادة على ثلاثة اوجه بعضهم يخاف من عقابه وبعضهم يخاف
من قطع ثوابه وثالث يخاف من احتجابه فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالتقوى بالاول ولا
بالثاني واما الثالث فالمخلص لا يأمنه ما دام في الدنيا فكيف والامور الدنيوية شاغلة فالادمي
في الدنيا تارة مع الله والاخرى مقبل على ما لا بدّ منه وان كان معه الله ولهذا اشار بقوله عليه
الصلوٰة والسّلام انما انا بشر مثلكم يوحي اليّ يعني يرفع الحجاب عني وقت الوحي ثم اعود اليكم
كاني منكم فامر بتقوى توجب ادامة الحضور وقال الضحاك معناه اتق الله ولا تنقض الذي بينك
وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد الامة تنبيه جعل الله تعالى نداءه نبيه
صلى الله عليه وسلم بالنبيّ والرسول في قوله تعالى يا ايها النبيّ اتق الله يا ايها النبيّ لم تحرم يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك وترك نداءه باسمه كما قال تعالى يا اٰدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة وتشريفا وتنويها
بفضله فان قيل ان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه في الاخبار في قوله تعالى محمد رسول الله

وما هو الا رسول اجيب بان ذلك لتعليم الناس انه رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه
به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره
بنحو ما ذكر في النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة والله ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ولو كانوا يؤمنون بالله
والنبي ان الله وملائكته يصلون على النبي وقرأ نافع النبيء بالهمزة والباقون بغير الهمز + ولما وجه
اليه صلى الله عليه وسلم الامر بخشية الولي الودود اتبعه النهي عن الالتفات لنحو العدو والحسود بقوله
تعالى وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ في شيء من الاشياء لم يتقدم اليك من الخالق فيه امر وان
لاح لك فيه خوف او برق رجاء في جانبهم واحترس منهم فانهم اعداء الله تعالى واعداء المؤمنين
لا يريدون الا المضارة والمضادة قال ابو حيان سبب نزولها انه روي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
كان يحب اسلام اليهود فتابعه ناس على النفاق وكان يلين لهم جانبه وكانوا يظهرون النصائح من
طريق المخادعة فنزلت تحذيرا له منهم وتنبيها على عداوتهم انتهى وبهذا سقط ما قيل لم خص الكافر
والمنافق بالذكر ولان ذكر غيرهما لا حاجة اليه لانه لا يكون عنده الا مطاعا ولان كل من طلب من النبي
صلى الله عليه وسلم طاعته فهو كافر او منافق لان من يامر النبي صلى الله عليه وسلم بامر ايجاب معتقدا
انه ان لم يفعله يعاقبه يجوز يكون كافرا وقرأ ابو عمرو والدوري عن الكسائي الكافرين بالامالة المحضة
وورش بين بين والباقون بالفتح + ثم علل تعالى الامر والنهي بما يزيل الهموم ويوجب الاقبال عليهما
واللزوم لهما بقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ اي بعظيم كماله كَانَ ازلا وابدا عَلِيمًا اي شامل العلم حَكِيمًا اي بالغ الحكمة
فهو تعالى لم يامرك بامر الا وقد علم ما يترتب عليه واحكم اصلاح الحال فيه + ولما كان ذلك مفهما
لمخالفة كل ما يدعوا اليه كافر وكان الكافر ربما دعا الى شيء من مكارم الاخلاق قيده بقوله تعالى
وَاتَّبِعْ اي بغاية جهدك مَا يُوحَى اي يلقى اليك خفيا كما يفعل المحب مع حبيبه إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
اي المحسن اليك بصلاح جميع امرك واتى موضع الضمير بالظاهر ليدل على الاحسان في التربية
ليقوى على امتثال ما امرت به الآية السابقة + ولما امر باتباع الوحي رغبه فيه بالتعليل باوضح
من التعليل الاول في ان مكرهم خفي بقوله تعالى مذكرا بالاسم الاعظم الجامع لما يدل عليه من الاسماء
الحسنى زيادة في التقوى على الامتثال مؤكدا للترغيب إِنَّ اللَّهَ اي بعظمته وكماله كَانَ
ازلا وابدا بِمَا يَعْمَلُونَ اي الفريقان من المكائد وان دق خَبِيرًا اي فلا تهتم بشأنهم فانه
كافيكه وان تعاظم وقرأ ابو عمرو بما يعملون خبيرا وبما يعملون بصيرا بالياء على الغيبة
على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين والباقون بالتاء على الخطاب فيهما + ولما كان الآدمي موضع
الحاجة قال تعالى وَتَوَكَّلْ اي دع الاعتماد على التدبير في امورك واعتمد فيها عَلَى اللَّهِ اي المحيط
علما وقدرة فانه يكفيك في جميع امورك وَكَفَى بِاللَّهِ اي الذي له الامر كله على الاطلاق وَكِيلًا
اي موكولا اليه الامور كلها فلا تلتفت في شيء من امرك الى غيره لانه ليس لك قلبان تصرف كل

واحد منهما الى واحد كما قال تعالى ﴿ما جعل الله﴾ اى الذى له الحكمة البالغة والعظمة الباهرة
﴿لرجل﴾ اى لاحد من بنى آدم ولا غيره فعبر بالرجل لانه اقوى جسما وفهما فيفهم غيره من باب
اولى واشار الى التأكيد بقوله تعالى ﴿من قلبين﴾ وأكد الحقيقة وقررها وجلاها وصورها بقوله تعالى
﴿فى جوفه﴾ اى ما جمع الله تعالى قلبين فى جوف لان القلب معدن الروح الحيوانى المتعلق
للنفس الانسانى اولا ومنبع القوى باسرها ومدبر للبدن باذن الله تعالى وذلك يمنع التعدد
﴿وما جعل ازواجكم اللائى﴾ اباح لكم التمتع بهن ﴿تظهرون منهن﴾ كما يقول الانسان للواحدة منهن
انت علىّ كظهر امى ﴿امهاتكم﴾ بما حرم عليكم من الاستمتاع بهن حتى تجعلوا ذلك على التأبيد وترتبوا
على ذلك احكام الامهات كلها ﴿وما جعل ادعياءكم﴾ جمع دعىّ وهو من يدعى لغير ابيه
﴿ابناءكم﴾ حقيقة يجعل لهم ان ترثوكم ويحرم عليكم حلائلهم وغير ذلك من احكام الابناء
والمعنى ان الله سبحانه وتعالى كما لم ير فى حكمته ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو ان يفعل
باحدهما مثل ما يفعل بالآخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليها واما ان يفعل
بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدى الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا
شاكا فى حالة واحدة لم ير ايضا ان تكون المرأة واحدة اما لرجل زوجا له لان الام مخدومة
مخفوض لها الجناح والمرأة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان
متنافيتان ولم ير ايضا ان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان النبوة اصالة فى النسب وعراقة
فيه والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع فى الشئ الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل
وهذا مثل ضربه الله تعالى فى زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبى صغيرا وكانت العرب فى
جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها النبى صلى الله
عليه وسلم وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخيّر فاختار النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ابوه وعمه يا زيد
اتختار العبودية على الربوبية قال ما انا بمفارق هذا الرجل فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حرصه عليه اعتقه وتبناه قبل الوحى وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج امرأة ابنه وهو ينهى الناس
عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية وكذا قوله تعالى ﴿ما كان محمد ابا احد من رجالكم﴾ وروى ان
رجلا كان يسمى ابا معمر جميل بن معمر الفهرى وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ
ابو معمر هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول لى قلبان اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد
فلما هزم الله تعالى المشركين يوم بدر انهزم ابو معمر فيهم فلقيه ابو سفيان وهو معلق احدى نعليه
بيده والاخرى فى رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له فما بال
احدى نعليك فى يدك والاخرى فى رجلك فقال ما ظننت الا انهما فى رجلىّ فاكذبه الله تعالى قوله وقولهم
وضربه مثلا فى الظهار والتبنى وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله

الله تعالى وقيل سها في صلوته فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن
نزلت في ان الواحد يقول لي نفسان نفس تأمرني ونفس تنهاني فان قيل ما وجه تعدية الظهار
واخواته بمن اجيب بان الظهار كان طلاقا في الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون
المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها جهة الظهار فلما تضمن معنى التباعد منها عدي بمن
فان قيل ما معنى قولهم انت علي كظهر امي اجيب بانهم ارادوا ان يقولوا انت علي حرام
كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج لانه عمود البطن
ومنه حديث عمر يجيء به احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره ووجه آخر وهو ان اتيان
المرأة وظهرها الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المرأة
ووجهها الى الارض جاء الولد احول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها
بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله كظهر امه وهو منكر وزور وفيه كفارة كما سيأتي ان شاء الله تعالى
في سورة المجادلة وقرأ ابن عامر والكوفيون اللائي بالهمزة المكسورة والياء بعدها في الوصل و
سهل الياء كالهمزة ورش والبزي وابو عمرو مع المد والقصر وعن ابي عمرو والبزي ايضا ابدالها
ياء ساكنة مع المد لا غير وقالون وقنبل بالهمز ولا ياء بعدها وقرأ تظهرون عاصم بضم التاء وتخفيف
الظاء والف بعدها وكسر الهاء مخففة وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والظاء مخففتين والف بعد الظاء وفتح
الهاء مخففة وابن عامر كذلك الا انه يشدد الظاء والباقون بفتح التاء والظاء والهاء مع تشديد الظاء
والهاء ولا الف بعد الظاء وقوله تعالى ذٰلِكُمْ اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ
اي مجرد قول لسان من غير حقيقة كالهذيان وَاللهُ اي المحيط علما وقدرة وله جميع صفات الكمال
يَقُولُ الْحَقَّ اي ما له حقيقة الثابت الذي يوافق ظاهره باطنه فلا قدرة لاحد على نقضه فان اخبر
عن شيء فهو كما قال وَهُوَ اي وحده يَهْدِي السَّبِيلَ اي يرشد الى سبيل الحق ولما كان كانه قيل فما نقول
اهدنا الى سبيل الحق قال تعالى اُدْعُوهُمْ اي الادعياء لِآبَائِهِمْ اي الذين ولدوهم ان علموا ولذا قال
زيد بن حارثة قال صلى الله عليه وسلم من دعي الى غير ابيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام واخرجه
الشيخان عن سعد بن ابي وقاص ثم علل تعالى ذلك بقوله تعالى هُوَ اي هذا الدعاء اَقْسَطُ
اي اقرب الى العدل من التبني وان كان انما هو لزيادة الشفقة على المتبنى والاحسان اليه عِنْدَ اللهِ
اي الجامع لصفات الكمال وعن ابن عمر ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم لآبائهم الآية وقيل كان الرجل في الجاهلية
اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب ذكر من اولاده من ميراثه وكان
ينسب اليه فيقال فلان بن فلان اما اذا جهلوا فهو ما ذكر بقوله تعالى فَاِنْ لَمْ تَعْلَمُوْا آبَاءَهُمْ لجهل اصلي
او طارئ فَاِخْوَانُكُمْ اي فهم اخوانكم فِي الدِّيْنِ ان كانوا دخلوا في دينكم اي قولوا لهم اخوانا وَمَوَالِيْكُمْ
ان كانوا محررين اي قولوا موالي فلان وعن مقاتل ان لم تعلموا لهم ابا فانسبوهم

اخوانكم فى الدين اى ان تقول عبد الله وعبد الرحمن وعبيد الله واشباههم من الاسماء وان يدعى الى اسم مولاه وقيل مواليكم اى اولياؤكم فى الدين + ولما كان عادتهم الخوف مما سبق من احوالهم على النهى لشدة ورعهم اخبرهم انه تعالى اسقط عنهم ذلك لكونه خطأ وساقه على وجه يعم ما بعد النهى ايضا بقوله تعالى وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اى اثم وميل واعوجاج وعبر بالظرف ليفيد ان الخطأ لا اثم فيه بوجه ولو عبر بالباء لظن ان فيه اثما ولكن يعفى عنه فقال تعالى فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ اى من الدعاء بالبنوة والمظاهرة او فى شئ قبل النهى او بعده ودل قوله تعالى وَلَكِنْ مَا اى الاثم فيما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ على زوال الحرج ايضا فيما وقع بعد النهى على سبيل النسيان او سبق اللسان ودل تأنيث الفعل على انه لا يعتمد بعد البيان الشافى الا قلب فيه رخاوة الانوثة ودل جمع الكثرة على عموم الاثم ان لم ينته المعتمد + تنبيه + يجوز فى ما هذه وجهان احدهما ان تكون مجرورة المحل عطفا على ما المجرورة قبلها بفى والتقدير ولكن الجناح فيما تعمدت كما مرت الاشارة اليه والثانى انها مرفوعة المحل بالابتداء والخبر محذوف تقديره تؤاخذون به او عليكم فيه الجناح ونحوه ولما كان هذا الكرم خاصا بما تقدم عم سبحانه وتعالى بقوله وَكَانَ اللَّهُ ازلا وابدا غَفُورًا اى من صفته الستر البليغ على المذنب التائب رَحِيمًا به ولما نهى تعالى عن التبنى وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد تبنى زيد بن حارثة مولاه لما اختاره على ابيه وعمه كما مر علل تعالى النهى فيه بالخصوص بقوله تعالى دالا على ان الامر اعظم من ذلك النَّبِيُّ اى الذى ينبئه الله تعالى بدقائق الاحوال فى بدائع الاقوال ويرفعه دائما فى مراقى الكمال ولا يريد ان يشغله بولد ولا مال أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ اى الراسخين فى الايمان فغيرهم اولى فى كل شئ من امور الدين والدنيا لما حازه من الحضرة الربانية مِنْ أَنْفُسِهِمْ فضلا عن ابائهم فى نفوذ حكمه فيهم ووجوب طاعته عليهم روى ابو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وانا اولى الناس به فى الدنيا والاخرة اقرؤا ان شئتم النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم فاى مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا فان ترك دينا او ضياعا فليأتنى فانا مولاه وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يقول انا اولى بكل مؤمن من نفسه فايما رجل مات وترك دينا فالى ومن ترك مالا فهو لورثته وعن ابى هريرة قال كان المؤمن اذا توفى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل هل عليه دين فان قالوا نعم قال هل ترك وفاء لدينه فان قالوا نعم صلى عليه وان قالوا لا قال صلوا على صاحبكم وانما لم يصل عليه صلى الله عليه وسلم اولا فيما اذا لم يترك وفاء لان شفاعته صلى الله عليه وسلم لا ترد وقد ورد ان نفس المؤمن محبوسة عن مقامها الكريم ما لم يوف دينه وهو محمول على من قصر فى وفائه فى حال حياته اما من لم يقصر لفقره مثلا فلا كما اوضحت ذلك فى شرح المنهاج فى باب الرهن انما كان صلى الله عليه وسلم اولى بهم من انفسهم لانه لا يدعوهم الا الى العقل والحكمة ولا يأمرهم الا بما ينجيهم وانفسهم انما تدعوهم الى الهوى والفتنة فتأمرهم بما يرديهم فهو يتصرف فيهم تصرف الاباء بل اعظم بهذا السبب الربانى فاى حاجة الى السبب الجسمانى

وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ اى المؤمنين اى مثلهن فى تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن وطاعتهن
اكراما له صلى الله عليه وسلم لا فى حكم الخلوة والنظر والظهار والمسافرة والنفقة والميراث وهو
صلى الله عليه وسلم اب للرجال والنساء واما قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم فمعناه
ليس احد من رجالكم ولد صلبه وسيأتى ذلك بتحريم سؤالهن الا من وراء حجاب وسيأتى ما يتعلق بذلك
ان شاء الله تعالى فى محله وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بغلام وهو يقرأ فى المصحف النبى
اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فقال يا غلام حكها فقال هذا مصحف ابى فذهب
اليه فسأله فقال انه كان يلهينى القرآن ويلهيك الصفق بالاسواق ومعنى ذلك ان هذا كان يقرأ
اولا ونسخ لما روى عن عكرمة انه قال كان فى الحرف الاول النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو
ابوهم وعن الحسن قال فى القراءة الاولى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقوله تعالى
وَأُولُو الْأَرْحَامِ اى القرابات بانواع النسب من النبوة وغيرها بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بحق القرابة بِبَعْضٍ اى
فى التوارث ثم نسخ لما كان فى صدر الاسلام فانهم كانوا فيه يتوارثون بالحلف والنصرة فيقول ذمتى
ذمتك ترثنى وارثك ثم نسخ بالاسلام والهجرة ثم نسخ باية المواريث وبالاية التى فى اخر الانفال واعادها
تاكيدا فان اية المواريث مقدمة ترتيبا ونزولا على اية الانفال على هذه وكذلك وقوله
تعالى فِي كِتَابِ اللَّهِ يحتمل ان ذلك فى اللوح المحفوظ او فيما انزل وهو هذه الايات
المذكورة او فيما فرض الله ولما بين انهم اولى بسبب القرابة بين المفضل عليه بقوله تعالى مِنَ
اى هم اولى بسبب القرابة من الْمُؤْمِنِينَ الانصار من غير قرابة مرجحة وَالْمُهَاجِرِينَ اى ومن المهاجرين
المؤمنين من غير قرابة كذلك وقوله تعالى إِلَّا أَن تَفْعَلُوا استثناء منقطع كما جرى عليه الجلال المحلى
اى لكن ان تفعلوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا بوصية فجائز ويجوز ان يكون استثناء من اعم العام كما
قاله الزمخشرى فى معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبى الا فى الوصية تريد
انه احق منه فى كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا فى الوصية والمراد بفعل
المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدى تفعلوا بالى لانه فى معنى تسدوا والمراد بالاولياء
المؤمنون والمهاجرون للولاية فى الدين كَانَ ذَٰلِكَ اى ما ذكر من ايتى ادعوهم والنبى اولى وقيل
اى ما نسخ من الايات الارث بالايمان والهجرة ثابتا فِي الْكِتَابِ اى اللوح المحفوظ والقرآن مَسْطُورًا
قال الاصبهانى وقيل فى التوراة قال البقاعى لان فى التوراة اذا نزل رجل بقوم من اهل دينه فعليهم
ان يكرموه ويواسوه وميراثه لذوى قرابته فالاية من الاحتباك اثبت وصف الايمان اولا دليلا
على حذفه ثانيا وصفة الهجرة ثانيا دليلا على حذف النصرة اولا وَإِذْ اى واذكر حين أَخَذْنَا
بعظمتنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ اى عهودهم فى تبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم فى النشط والكره
وفى تصديق بعضهم لبعض وفى اتباعك فيما اخبرنا به فى قولنا لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وقولهم اقررنا ولما ذكر ما اخذ على جميع الانبياء من

العهد في ابلاغ ما يوحى اليهم والعمل بمقتضاه ذكر ما اخذ عليهم من العهد في التبليغ بقوله تعالى
ومنك اي في قولنا في هذه السورة اتق الله واتبع ما يوحى اليك وفي المائدة يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فلا تهتم بمراعاة
عدو ولا خليل حقير ولا جليل ولما كان المراد بهم الاولين وخصه صلى الله عليه وسلم مع الباقين متبدئا
به لقوله صلى الله عليه وسلم كنت اول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث بيانا لتشريفه لان المقصود
بالذات اتباعه بقية اولي العزم الذين هم اصحاب الكتب مشاهير ارباب الشرائع ورتبهم على ترتيبهم في الزمان
لانه لم يقصد المفاضلة بينهم بالنسبة الى المتقدمين والمتأخرين قال ومن نوح اول الرسل الى المخالفين
وابراهيم ابي الانبياء وموسى اول اصحاب الكتب من بني اسرائيل وعيسى ابن مريم ختام انبياء
بني اسرائيل ونسبه الى امه منبها له على ضلال من ضل فيه بدعوى الالوهية وبالتوبيخ والتبجيل بالقضية
تنبيه + ذكر هذه الخمسة من عطف الخاص على العام كما علم مما تقرر وقوله تعالى واخذنا
اي بعظمتنا في ذلك منهم ميثاقا غليظا اي شديدا بالوفاء بما حملوه وهو الميثاق الاول وانما كرر
لزيادة وصفه بالغلظ وهو استعارة من وصف الاجرام والمراد عظيم الميثاق وجلالة شأنه في بابه
وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوه ثم اخذ الميثاق ليسأل اي الله تعالى
يوم القيامة الصادقين اي الانبياء الذين صدقوا عهودهم عن صدقهم اي عما قالوه لقومهم تبكيتا
للكافرين بهم وقيل ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت
كان صادقا في قوله وقيل ليسأل الانبياء ما الذي اجابتهم به اممهم وقيل ليسأل الصادقين بافواههم
عن صدقهم بقلوبهم وقوله تعالى واعد للكافرين عذابا اليما اي مؤلما معطوف على اخذنا من ع
النبيين لان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين واعد للكافرين
عذابا اليما ويجوز ان يعطف على ما دل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال اثاب المؤمنين واعد للكافرين
وقيل انه قد حذف من الثاني ما اثبت مقابله في الاول ومن الاول ما اثبت مقابله في الثاني والتقدير
ليسأل الصادقين عن صدقهم فاثابهم ويسأل الكافرين عما كذبوا به رسلهم واعد لهم عذابا اليما
+ ثم حقق الله تعالى ما سبق لهم من الامر بتقوى الله تعالى بحيث لا يبقى معه خوف من احد بقوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اذكروا ورغبهم في الشكر بذكر الاحسان في التصريح بالاسم الاعظم بقوله تعالى نعمة الله
اي الملك الاعلى الذي لا كفؤ له عليكم اي لتشكروه عليها بالنفوذ لامره وعبر بالنعمة لانها المقصود
بالذات والمراد انعامه يوم الاحزاب وهو يوم الخندق ثم ذكر وقت تلك النعمة زيادة في تصويرها
ليذكرهم ما كان فيه منها بقوله تعالى اذ اي حين جاءتكم جنود اي الاحزاب وهم قريش وغطفان
ويهود قريظة والنضير وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهارها والباقون بالادغام
فارسلنا اي تسبب عن ذلك انا لما رأينا عجزكم عن مقابلتهم ومقاومتهم ارسلنا عليهم ريحا وهي ريح
الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقي ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقالت الشمال ان الحرة لا تسري بالليل فكانت الريح التي ارسلت لهم الصبا لما روى ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور لان الصبا ريح فيها روح ما هبت على محزون الا ازال حزنه وَجُنُودًا اي وارسلنا جنودا من الملائكة لَمْ تَرَوْهَا وكانوا الفا ولم تقاتل يومئذ فبعث الله عليهم تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط واطفأت النيران واكفأت القدور وجالت الخيل بعضها على بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان هلم الي واذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء فانهزموا من غير قتال لما بعثه الله تعالى عليهم من الرعب وَكَانَ اللهُ اي الذي له جميع صفات الجلال والجمال بِمَا تَعْمَلُونَ اي الاحزاب من التحزب والتجمع والمكر وغير ذلك بَصِيرًا اي بالغ الابصار والعلم + تنبيه + قال البخاري قال موسى بن عقبة كانت غزوة الخندق وهي الاحزاب في شوال سنة اربع روى محمد بن اسحق عن مشائخه قال دخل حديث بعضهم في بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام ابن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق وهوذة بن قيس وابو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر يهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير ام دينه قالوا دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله تعالى وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمعوا على ذلك ثم خرج اولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان فدعوهم الى ذلك واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فاجابوهم فخرجت قريش وقائدهم ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي اشار به على النبي صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي رضي الله عنه وكان اول مشهد شهده سلمان رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى اكملوه واحكموه قال انس رضي الله عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال * اللهم ان العيش عيش الآخرة + فاغفر للانصار والمهاجرة + فقالوا مجيبين له * نحن الذين بايعوا محمدا + على الجهاد ما بقينا ابدا +

قال البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبرّ بطنه وهو يقول
شعر والله لولا الله ما اهتدينا + ولا تصدقنا ولا صلينا + فانزلن سكينة علينا + وثبت الاقدام ان لاقينا +
ان الاولى قد بغوا علينا + اذا ارادوا فتنة ابينا + ورفع بها صوته ابينا ابينا فلما فرغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الخندق واقبلت قريش فى عشرة الاف من الاحابيش وبنى كنانة
واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان حتى نزلت بمجمع الاسيال من رومة بين الجرف والغابة واقبلت
غطفان فى الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل من هوازن
وانضافت لهم اليهود من قريظة والنضير حتى نزلوا الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة الاف من المسلمين فضرب هنالك
عسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذرارى والنساء فرفعوا الى الآطام ومضى على الفريقين
قريب من شهر لاحرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة وكان بنو غطفان من اعلى الوادى
من قبل المشرق وقريش من اسفل الوادى من قبل المغرب كما قال تعالى إِذْ جَاۤءُوكُمْ وهو
بدل من اذ جاءتكم مِنْ فَوْقِكُمْ اى من اعلى الوادى وَمِنْ اَسْفَلَ مِنْكُمْ اى من اسفل الوادى وَاِذْ
اى واذكر حين زَاغَتِ الْاَبْصَارُ اى مالت عن سداد القصد فعل الواله الجزع بما حصل لهم من الثقلة
الحاصلة من الرعب وقوله تعالى وَبَلَغَتِ الْقُلُوْبُ الْحَنَاجِرَ جمع حنجرة وهى منتهى الحلقوم كناية
عن شدة الرعب والخفقان قال البقاعى ويجوز وهو الاقرب ان يكون ذلك حقيقة بجذب
الطحال والرئة لها عند ذلك بانتفاخهما الى اعلى الصدر ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره اى رئته
فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحرث
ابن عمرو وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة واستشارهما فيه فقالا يا رسول الله اشئ انزل الله
تعالى به لابد لنا من عمل به ام امر تحبه فتصنعه ام شئ تصنعه لنا قال لا والله بل لكم والله ما اصنع ذلك
الا لانى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد وكالبوكم من كل جانب فاردت ان اكسر عنكم
شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة
الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان ياكلوا منا تمرة الا قرى او بيعا فحين اكرمنا الله تعالى
بالاسلام واعزنا الله تعالى بك نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى
يحكم الله بيننا وبينهم فقال صلى الله عليه وسلم انت وذلك فتناول سعد رضى الله تعالى عنه
الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدوهم
محاصرهم ولم يكن بينهم قتال الا فوارس من قريش عمرو بن عبد ود اخو بنى عامر بن

الخطاب وهبيرة بن ابى وهب اخو محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم ومروا على بنى كنانة فقالوا تهيأوا للحرب يا بنى كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما رأوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحمت فيه فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع وخرج على رضى الله تعالى عنه فى نفر من المسلمين حتى اخذوا عليهم الثغرة التى اقتحموا منها خيلهم واقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد احدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال له على يا عمرو انك كنت تعاهد الله تعالى لا يدعوك رجل من قريش الى خصلتين الا اخذت منه احداهما قال اجل قال له على فانى ادعوك الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام قال لا حاجة لى بذلك قال فانى ادعوك الى البراز قال ولم يا ابن اخى فوالله ما احب ان اقتلك قال على ولكنى والله احب ان اقتلك فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على على فتنازلا وتجاولا فقتله على وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان اصابه سهم فمات بمكة ونوفل ابن عبد الله المخزومى وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يا معشر العرب قتلة احسن من هذه فنزل اليه على رضى الله تعالى عنه فقتله فغلب المسلمون على جسده فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا فى جسده وثمنه فشأنكم به فخلى بينهم وبينه ✱ ولما نشأ عن هذا تقلب القلوب وتجدد لها بسبب الافكار كل مذهب عبر بالمضارع الدال على دوام التجدد بقوله تعالى وَتَظُنُّونَ بِاللّٰهِ الذى له صفات الكمال الظُّنُونَا اى انواع الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تعالى منجز وعده فى اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وقد روى ان المسلمين قالوا بلغت القلوب الحناجر فهل من شئ نقول فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللّٰهمّ استر عوراتنا وآمن روعاتنا واما الضعاف القلوب والمنافقون فقالوا ما حكى الله عنهم فيما سيأتى وقرأ نافع وابن عامر وشعبة الظنونا هنا والرسولا والسبيلا فى آخر السورة باثبات الالف فى الثلاثة وقفا ووصلا وابو عمرو وحمزة بحذف الالف وقفا ووصلا قال الزمخشرى وهو القياس والباقون بالالف فى الوقف دون الوصل زادوها فى الفاصلة كما زادوها فى القافية قال ✱ اقلى اللوم عاذل والعتابا ✱ ورسم الثلاثة بالالف ✱ ولما كانت الشدة فى الحقيقة انما هى للثابت لانه ما عنده الا الهلاك او النصرة قال تعالى هُنَالِكَ اى فى ذلك الوقت العظيم البعيد الرتبة ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وَزُلْزِلُوا اى حركوا وازعجوا بما يرون من الاهوال بتظافر الاعداء مع الكثرة وتظاهر الاراجيف زِلْزَالًا شَدِيدًا فثبتوا بتثبيت الله تعالى لهم على عدوهم وعن صفية قالت مر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت

... رسول الله

صلى الله عليه وسلم واصحابه فى نحور عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم اذ اتانا آت قالت
فقلت يا حسان ان هذا اليهودى يطوف بنا كما ترى بالحصن وانى والله ما آمنه ان يدل على عوراتنا
من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانزل اليه فاقتله فقال
يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما انا بصاحب هذا قالت فلما قال ذلك لى ولم ار عنده شيئا
احتجزت ثم اخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى
الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه الا انه رجل قال ما لى بسلبه من حاجة
يا ابنة عبد المطلب واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر
عدوهم واتيانهم من فوقهم ومن اسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى قد اسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فانما الحرب خدعة فخرج
نعيم بن مسعود حتى اتى قريظة وكان لهم نديما فى الجاهلية فقال لهم يا بنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم
وخاصة ما بينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاؤا لحرب محمد
وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به اموالكم واولادكم ونساؤكم
لا تقدرون على ان تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان اموالهم وابناؤهم
ونساؤهم بغيره ان رأوا نهزة وغنيمة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم
وبين الرجل والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا
من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا صلى الله عليه وسلم حتى تناجزوه
قالوا لقد اشرت برأى ونصح ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب ومن معه من رجال
قريش قد عرفتم ودى اياكم وفراقى محمدا وقد بلغنى امر رأيت ان حقا على ان ابلغكم نصحا لكم فاكتموا
على قالوا نفعل قال تعلموا ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه
انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا ان نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من
اشرافهم فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم فارسل اليهم ان نعم فان
بعث اليكم اليهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا ثم خرج حتى اتى غطفان
فقال يا معشر غطفان انتم اهلى وعشيرتى واحب الناس الى ولا اراكم تتهمونى قالوا صدقت قال
فاكتموا على قالوا نفعل ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كانت ليلة السبت فى شوال سنة
خمس وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ارسل ابو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة
عكرمة بن ابى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر
فاعدوا للقتال حتى نناجز محمدا صلى الله عليه وسلم ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم
ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان احدث فيه بعضنا حدثا فاصابه ما لم يخف

عليكم ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى
نناجز محمدا صلى الله عليه وسلم فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم ان تسيروا الى بلادكم
وتتركونا والرجل ببلادنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد صلى الله عليه وسلم فلما رجعت اليهم الرسل
بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمن والله ان الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق
فارسلوا الى بني قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا
فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل اليهم بهذا ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد
القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان يكن غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم
وبين الرجل في بلادكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم
وخذل الله تعالى بينهم وبعث الله تعالى عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ
قدورهم وتطرح ابنيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من امرهم قال من
يقوم فيذهب الى هؤلاء القوم فياتينا بخبرهم ادخله الله تعالى الجنة قال حذيفة فما قام منا رجل ثم
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فاسكت القوم وما قام منا
رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال الا من رجل يقوم فينظر لنا
ما فعل القوم على ان يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة البرد فلما لم يقم احد
دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقلت
لبيك يا رسول الله وقمت حتى اتيته وان جنبي ليضطربان فمسح رأسي ووجهي ثم قال ائت هؤلاء
القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع الي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه
وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمي وشددت علي اسلابي ثم انطلقت امشي
نحوهم كاني امشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد ارسل الله عليهم ريحا وجنود الله تعالى تفعل فيهم
ما تفعل وابو سفيان قاعد يصطلي فاخذت سهما فوضعته في كبد قوسي فاردت ان ارميه ولو رميته
لاصبته فذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحدثن شيئا حتى ترجع فرددت سهمي في كنانتي فلما رأى
ابو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله تعالى بهم لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فقال يا معشر قريش
ليأخذن كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسي فقلت من انت قال سبحان الله
اما تعرفني انا فلان فاذا رجل من هوازن فقال ابو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار
مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون
فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما اطلق
عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كاني امشي في حمام فاتيته وهو قائم يصلي فلما اخبرته الخبر ضحك حتى
بدت انيابه في سواد الليل قال فلما اخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفء فادناني النبي صلى

الله عليه وسلم فانامني عند رجليه والقى علىّ طرف ثوبه والصق صدري ببطن قدميه فلم ازل
نائما حتى اصبحت فقال قم يا نومان + ثم ان الله تعالى بين حال غير الثابتين بقوله تعالى وَإِذْ يَقُولُ
الْمُنَافِقُونَ معتب بن قشير وقيل عبد الله بن ابي واصحابه وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ اي
ضعف اعتقاد مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا اي باطلا استدرجنا به الى الانسلاخ عما كنا
عليه من دين آبائنا والى الثبات على ما صرنا اليه بعد ذلك الانسلاخ بما وعدنا به من ظهور هذا
الدين على الدين كله والتمكين في البلاد حتى حفر الخندق فانه قال انه ابصر بما برق له من ضوء
صخرة سلمان مدينة صنعاء من اليمن وقصور كسرى من الحيرة من ارض فارس وقصور الشام
من ارض الروم وان تابعيه ليظهرون على ذلك كله وقد صدق الله وعده في جميع ذلك حتى
في لبس سراقة بن مالك بن جعشم سوار كسرى بن هرمز كما هو مذكور في دلائل النبوة للبيهقي
وكذبوا في شكهم ففاز المصدقون وخاب الذين هم في ريبهم يترددون وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ
مِنْهُمْ اي من المنافقين وهم اوس بن قيظي واصحابه يَا أَهْلَ يَثْرِبَ اي المدينة وقال ابو عبيدة
يثرب اسم ارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في ناحية منها وفي بعض الاخبار
ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة يثرب وقال هي طابة كانه كره تلك اللفظة
فعدلوا عن هذا الاسم الذي سماها به النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسم الذي كانت تدعى به
قديما مع نهيه عنه واحتمال قبحه باشتقاقه من التثريب الذي هو اللوم والتعنيف وقال اهل
اللغة يثرب اسم المدينة وقيل اسم البقعة التي فيها المدينة وامتناع صرفها اما العلمية والوزن والعلمية
والتأنيث واما يترب بالمثناة وفتح الراء فموضع آخر باليمن قال الشاعر وعدت وكان الخلف
منك سجية + مواعيد عرقوب اخاه بيثرب + وقال آخر وقد وعدتك موعدا لو وفيت به
مواعيد عرقوب اخاه بيثرب + لَا مُقَامَ حفص بضم الميم اي لا اقامة لَكُمْ في مكان القتال
ومصارعة الابطال والباقون بفتحها اي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه فَارْجِعُوا الى منازلكم
عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال الى منازلكم + ولما بين تعالى هؤلاء الذين
هتكوا الستر وبينوا ما هم فيه من سفول الامر اتبعهم آخرين تستروا ببعض الستر متمسكين
باذيال النفاق خوفا من اهوال الشقاق بقوله تعالى وَيَسْتَأْذِنُ اي يجدد كل وقت طلب الاذن لاجل
الرجوع الى البيوت والكون مع النساء فَرِيقٌ مِنْهُمُ اي طائفة شانها الفرقة النَّبِيَّ في الرجوع
وقد رأوا ما حواه من علو المقدار بماله من حسن الخلق والخلق وماله من جلالة الشمائل وكرم
الخصائل وهم بنو حارثة وبنو سلمة يَقُولُونَ اي في كل قليل مؤكدين لعلمهم بكذبهم وتكذيب
المؤمنين قولهم إِنَّ بُيُوتَنَا اتوا بجمع الكثرة اشارة الى كثرة اصحابهم من المنافقين عَوْرَةٌ
اي غير حصينة بها خلل كبير يمكن كل من اراد من الاحزاب ان يدخلها يدخلها منه وقيل
قصيرة الجدران فاذا ذهبنا اليها حفظناها منهم وكفينا من يأتي الينا من مفسديهم حماية للدين

وذبا عن الاهلين وقرأ ورش وابو عمرو وحفص بضم الباء والباقون بالكسر ثم اكذبهم الله تعالى بقوله
تعالى وما اى والحال انها ما هي بعورة في ذلك الوقت الذي قالوا هذا فيه ولا يريدون بذهابهم
حمايتها ان اى ما يريدون باستئذانهم الا فرارا من القتال + ولما كانت عنايتهم مشتدة بملاذ
دورهم فاظهروا اشتداد العناية بحمايتها زورا بين تعالى ذلك بقوله تعالى ولو دخلت
اى بيوتهم او المدينة وانث الفعل نصا على المراد واشارة الى ان ما ينسب اليهم جدير بالضعف
واتى باداة الاستعلاء بقوله تعالى عليهم اشارة الى انه دخول غلبة من اقطارها اى جوانبها كلها
بحيث لا يكون لهم مكان للهرب وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء الاحزاب او
غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا من اى سائل كان الفتنة اى الشرك
ومقاتلة المسلمين وقرأ لاتوها نافع وابن كثير بقصر الهمزة لجاؤها او فعلوها والباقون بالمد
اى لاعطوها اجابة لسؤال من سألهم وما تلبثوا بها اى ما احتبسوا عن الفتنة الا يسيرا اى لاسرعوا
الى الاجابة للشرك طيبة بها انفسهم فعلم بذلك انهم لا يقصدون الا الفرار لا حفظ البيوت
من المضار وهذا قول اكثر المفسرين وقال الحسن المراد بالفتنة الخروج من البيوت سمى بذلك
لان الانسان لا يخرجه من بيته الا الموت او ما هو يقاربه فكانه فتنة وعلى هذا يكون الضمير في بها
راجعا للبيوت او المدينة اى ما لبثوا بالبيوت او بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا يسيرا حتى هلكوا ولقد
كانوا اى هؤلاء الذين اسرعوا الاجابة الى الفرار عاهدوا الله الذي لا اجل منه من قبل اى
من قبل غزوة الخندق لا يولون الادبار اى لا ينهزمون وقال يزيد بن رومان هم بنو حارثة
هموا يوم احد ان يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها وقال
قتادة هم اناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر فرأوا ما اعطى الله تعالى اهل بدر من الكرامة والفضيلة
قالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله تعالى اليهم ذلك قال مقاتل والكلبي هم سبعون رجلا
بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقالوا اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه
انفسكم وازواجكم واولادكم قالوا واذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الاخرة
قالوا قد فعلنا فذلك عهدهم قال البغوي وهذا القول ليس بمرضي لان الذين بايعوا ليلة
العقبة كانوا سبعين نفرا ليس فيهم شاك ولا من يقول مثل هذا القول وانما الاية في قوم عاهدوا الله
تعالى ان يقاتلوا ولا يفروا فنقضوا العهد انتهى ولما كان الانسان قد يتهاون بالعهد لاعراضه عما عاهد
عليه قال تعالى وكان عهد الله المحيط بصفات الكمال مسؤلا اى عن الوفاء به ثم امر الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى قل اى لهم واكد لظنهم نفع الفرار لن ينفعكم الفرار في تأخير آجالكم
في وقت من الاوقات للذي ما كان استفدتم الاسباب ان فررتم من الموت او القتل اى الذي كتب
لكم لان الاجل ان كان قد حضر لم يتأخر بالفرار ولم ينقص بالثبات كما كان علي رضي الله

تعالى عنه يقول دهم الامر وتوقفا العمر واشتد من الحرب الحرا ئ يوماً من الموت افى يوم لا يقدر

او يوم قليل وذلك ان اجل الله الذى جعله محيطا بالانسان لا يقدر ان يتعداه اصلا وَاِذًا اى ان

فررتم لَا تُمَتَّعُوْنَ فى الدنيا بعد فراركم اِلَّا قَلِيْلًا اى مدة اجالكم وهى قليل فالعاقل لا يرغب فى شئ قليل

يفوت عليه شيئا كثيرا + ولما كان ربما يقولون لن ينفعنا الا ناطالما رأينا من هرب فسلم ومن ثبت

فاصطلم امره الله تعالى بالجواب عن هذا بقوله تعالى قُلْ اى لهم منكرا عليهم مَنْ ذَا الَّذِىْ يَعْصِمُكُمْ

اى يجيركم ويمنعكم مِّنَ اللّٰهِ المحيط بكل شئ قدرة وعلما فى حال الفرار وقبله وبعده اِنْ اَرَادَ بِكُمْ سُوْءًا اى

هلاكا او هزيمة فيرد ذلك عنكم او يصيبكم بسوء ان اَرَادَ اى الله بِكُمْ رَحْمَةً اى خيرا سماء بها لانه اثرها

والمعنى هل احترزتم فى جميع اعماركم عن سوء اراده فنفعكم الاحتراز او اجتهد غيره فى منعكم رحمة منه

فتم له امره او اوقع الله بكم شيئا من ذلك فقدرا حد مع بذل الجهد على كشفه بدون اذنه ويمكن ان

تكون الاية من الاحتباك ذكر السوء اولا دليلا على حذف ضده ثانيا وذكر الرحمة ثانيا دليلا على حذف

ضدها اولا وهذا بيان لقوله تعالى لن ينفعكم الفرار وقوله تعالى وَلَا يَجِدُوْنَ لَهُمْ اى فى وقت

من الاوقات مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ اى غيره وَلِيًّا اى يواليهم فينفعهم بنوع نفع وَّلَا نَصِيْرًا اى ينصرهم

من امره فيرد ما اراده بهم من السوء عنهم تقرير لقوله تعالى من ذا الذى يعصمكم من الله

الاية + ولما اخبرهم تعالى بما علم مما اوقعوه من اسرارهم وامره صلى الله عليه وسلم بوعظهم هددهم

بدوام علمه بمن يخون منهم بقوله تعالى قَدْ يَعْلَمُ اللّٰهُ الذى له احاطة الجلال والجمال الْمُعَوِّقِيْنَ مِنْكُمْ

اى المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون وَالْقَآئِلِيْنَ لِاِخْوَانِهِمْ اى ساكنى المدينة

هَلُمَّ اى ائتوا واقبلوا اِلَيْنَا موهمين ان ناحيتهم مما يقام فيها القتال ويواظب فيها على صالح الاعمال

قال قتادة هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يثبطون انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون

لاخوانهم ما محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه الا اكلة رأس ولو كانوا لحما لالتقمهم ابو سفيان

واصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقال مقاتل نزلت فى المنافقين وذلك ان اليهود ارسلت

الى المنافقين وقالوا ما الذى يحملكم على قتل انفسكم بيد ابى سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم فى هذه المرة

لم يستبقوا منكم احدا فانا انشفق عليكم انتم اخواننا وجيراننا فهلم الينا فاقبل عبد الله بن ابى واصحابه

على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بابى سفيان ومن معه وقالوا ما ترجون من محمد ما عندنا خير

ما هو الا ان يقتلنا هنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعنى اليهود فلم يزداد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا و

احتسابا + تنبيه + هلم اسم صوت سمى به فعل متعد مثل احضر وقرب واهل الحجاز يسوون فيه

بين الواحد والجماعة وبلغتهم جاء القرآن العزيز واما بنو تميم فتقول هلم يا رجل هلما يا رجلان

هلموا يا رجال وَلَا اى والحال انهم لا يَاْتُوْنَ الْبَاْسَ اى الحرب او مكانها اِلَّا قَلِيْلًا اى للرياء والسمعة

بقدر ما يراهم المخلصون فاذا اشتغلوا بالمعاركة وكفى كل منهم ما اليه تسللوا عنه لواذا وعاذوا بمن لا ينفعهم

نفع منهم او من غيرهم نفس او مال + تنبيه + اشحة جمع شحيح وهو جمع لا قياس اذ قياس فعيل الوصف
الذى عينه ولامه من واد واحد ان يجمع على افعلاء نحو خليل واخلاء وضنين واضناء وقد سمع اشحاء
وهو القياس والشح البخل وصفهم الله تعالى بالبخل ثم بالجبن بقوله تعالى فاذا جاء الخوف اى بمجئ
اسبابه من الحرب ومقدماتها رأيتهم اى ايها المخاطب وقوله تعالى ينظرون فى محل حال من
مفعول رأيتهم لان الرؤية بصرية وبين بعدهم حسا ومعنى بحرف الغاية بقوله تعالى اليك اى
حال كونهم تدور فهى اما حال ثانية واما حال من ينظرون يمينا وشمالا بادارة الطرف اعينهم اى
زائغة رعبا ثم شبهها فى سرعة تقلبها لغير قصد صحيح بقوله تعالى كالذى اى كدوران عين الذى
يغشى عليه مبتدأ غشيانه من الموت اى من معالجة سكراته خوفا ولواذا بك وذلك لان قرب
الموت وغشية اسبابه تذهب عقله وتشخص بصره فلا يطرف فاذا ذهب الخوف وحيزت
الغنائم سلقوكم اى تناولوكم تناولا صعبا بانواع الاذى ناسين ما وقع منهم عن قريب من الجبن
والخور واصل السلق البسط بقهر اليد او اللسان ومنه سلق امرأته اى بسطها وجامعها قال القائل
سه فقد نهى لنا المعجم + فان شئت سلقناك + وان شئت على اربع وقيل السليقة الطبيعة المباينة
والسليق المطمئن من الارض بألسنة حداد اى ذربة قاطعة فصيحة بعد ان كانت عند الخوف فى
غاية الجلجلة لا تقدر على الحركة من قلة الريق ويبس الشفاه وهذا لطلب العرض الفانى من الغنيمة
وغيرها يقال للخطيب الذرب اللسان الفصيح مسلق وقال ابن عباس سلقوكم اى عضهوكم
وتناولوكم بالنقص والغيبة وقال قتادة بسطوا السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة ويقولون اعطونا
فانا شهدنا معكم القتال ولستم باحق بالغنيمة منا ثم بين المراد بقوله تعالى اشحة اى شحا مستعليا
على الخير اى المال الذى عندهم وفى اعتقادهم انه لا خير غيره لا يريدون ان يصل شئ منه اليكم
ولا يفوتهم شئ منه فهم عند الغنيمة اشح قوم وعند البأس اجبن قوم ولما وصفهم تعالى بهذه
الصفات الدنية اخبر تعالى ان اساسها الذى نشأت عنه عدم الوثوق بالله تعالى لعدم الايمان
فقال اولئك اى البعداء البغضاء لم يؤمنوا اى لم يوجد منهم ايمان بقلوبهم وان اقرت بالسنتهم
فاحبط الله اى بجلاله وتفرده فى كبريائه وكماله اعمالهم التى كانوا يأتونها مع المسلمين اى اظهر
بطلانها واذا لم تثبت لهم الاعمال فتبطل وقال قتادة ابطل الله تعالى جهادهم وكان ذلك اى
الاحباط على الله بما له من صفات العظمة يسيرا اى هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه وقوله
تعالى يحسبون الاحزاب لم يذهبوا يجوز ان يكون مستأنفا اى هم من الخوف بحيث انهم
لا يصدقون ان الاحزاب قد ذهبوا عنهم ويجوز ان يكون حالا من احد الضمائر المتقدمة اذا
صح المعنى بذلك ولو بعد العامل قاله ابو البقاء والمعنى ان هؤلاء المنافقين يحسبون الاحزاب يعنى
قريشا وغطفان واليهود ولم يتفرقوا عن قتالهم من غاية الجبن عند ذهابهم كانهم غائبون عنهم

والباقون بالكسر وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ بعد ما ذهبوا كرة اخرى يَوَدُّوا اى يتمنوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ
فِي الْأَعْرَابِ اى كائنون في البادية بين الاعراب الذين هم عندهم في محل نقص وممن تكره مخالطته
ثم ذكر حال فاعل بادون بقوله تعالى يسئلون كل وقت عَنْ أَنْبَائِكُمْ اى اخباركم العظيمة
مع الكفار وما آل اليه امركم جريا على ما هم عليه من النفاق ليبقوا لهم عندكم وجها كانهم مهتمون
بكم يظهرون بذلك تحرقا على غيبتهم عن هذه الحرب وَلَوْ كَانُوا اى والحال انهم لو كانوا هؤلاء
المنافقون فِيكُمْ هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال مَا قَاتَلُوا معكم إِلَّا قَلِيلًا نفاقا كما فعلوا قبل
ذهاب الاحزاب من حضورهم معكم تارة واستئذانهم في الرجوع الى منازلهم اخرى +
ولما اخبر تعالى عنهم بهذه الاحوال التي هي غاية في الدناءة اقبل عليهم اقبالا يدلهم على تناهي
الغضب بقوله تعالى مؤكدا محققا لاجل انكارهم لَقَدْ كَانَ لَكُمْ ايها الناس كافة الذين
المنافقون في غمارهم فِي رَسُولِ اللَّهِ الذي جلاله من جلاله وكماله من كماله أُسْوَةٌ اى قدوة حَسَنَةٌ
اى صالحة وهو المؤتسى به اى المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا اى هي في نفسها
هذا المبلغ من الحديد او ان فيه خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب
ومقاسات الشدائد اذ كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه واوذي بضروب الاذى فواساكم
مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك واستنوا بسنته + تنبيه + الاسوة اسم وضع موضع المصدر وهو الائتساء
فالاسوة من الائتساء كالقدوة من الاقتداء وائتسى فلان بفلان اى اقتدى به وقرأ عاصم بضم الهمزة
والباقون بكسرها وهما لغتان كالعدوة والعدوة والقدوة والقدوة وقوله تعالى لِمَنْ كَانَ اى كونا
كانه جبلة له يَرْجُو اللَّهَ اى في جبلته انه يجدد الرجاء مستمرا للذي لا اعظم في الحقيقة سواه فيؤمل سعادة
ويخشى ابعاده تخصيص بعد التعميم للمؤمنين اى ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله وقال مقاتل يخشى الله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ اى يخشى يوم
البعث الذي فيه جزاء الاعمال وَذَكَرَ اللَّهَ اى الذي له صفات الكمال وقيده بقوله تعالى كَثِيرًا
تحقيقا لما ذكر في معنى الرجاء الذي به الفلاح او ان المراد به الدائم في حال السراء والضراء + ولما بين
تعالى حال المنافقين ذكر حال المؤمنين عند لقاء الاحزاب بقوله تعالى وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ اى الكاملون
في الايمان الْأَحْزَابَ اى الذين ادهشت رؤيتهم القلوب قَالُوا اى مع ما حصل لهم من الزلزال
وتعاظم الاهوال هَذَا اى الذي نراه من الهول مَا وَعَدَنَا اللَّهُ اى الذي له الامر كله من تصديق
دعوانا الايمان بالبلاء والامتحان وَرَسُولُهُ المبلغ عنه بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما
يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
احسب الناس ان يتركوا وامثال ذلك ثم قالوا في مقابلة قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله
الا غرورا وَصَدَقَ اللَّهُ اى الذي له صفات الكمال وَرَسُولُهُ اى الذي كماله من كماله اى ظهر
صدقهما في عالم الشهادة في كل ما وعدا به من السراء والضراء كما رأيناه وهما صادقان فيما غاب عنا منهما

وعملا به من نصر وغيره واظهار الاسمين للتعظيم والتيمن بذكرهما قال بعض المفسرين ولو اعيدا
مضمرين لجمع بين البارى تعالى واسم رسوله صلى الله عليه وسلم فكان يقال وصدقا وقد رد صلى الله
عليه وسلم على من جمعهما بقوله من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وانكر عليه
بقوله بئس خطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله قصدا الى تعظيم الله تعالى وقيل انما رد عليه
لانه وقف على يعصهما واستشكل بعضهم الاول بقوله حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
فقد جمع بينهما فى ضمير واحد واجيب بانه صلى الله عليه وسلم اعرف بقدر الله تعالى منا فليس لنا
ان نقول كما يقول وقد يقال اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فالله جل وعلا اولى
وحينئذ فالقائل بانه انما رد عليه لانه وقف على يعصهما اولى. ولما كان هذا قولا يمكن ان يكون
لسانيا فقط كقول المنافقين اكده لنفى المنافقين ذلك بقوله تعالى شاهدا لهم وما زادهم اى ما راوه
من مرهم او الرعب الا ايمانا بالله ورسوله وتسليما بجميع جوارحهم فى جميع القضاء والقدر. ثم وصف
الله تعالى بعض المؤمنين بقوله تعالى من المؤمنين اى المذكورين سابقا وغيرهم رجال
اى فى غاية العظمة عندنا ثم وصفهم بقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله المحيط علما وقدرة
عليه اى اقاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به فمنهم من قضى نحبه اى نذره بان قاتل حتى
استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر واستعير للموت لانه كنذر
لازم فى رقبة كل حيوان وقيل النحب الموت ايضا قال قتادة قضى نحبه اى اجله وقيل قضى
نحبه اى بذل جهده فى الوفاء بالعهد من قول العرب نحب فلان فى سيره يومه وليلته اى اجتهد. وقيل
قضى نحبه قتل يوم بدر او يوم احد. روى ان انسا قال غاب عمى انس بن النضر عن قتال بدر فقال
يا رسول الله غبت عن اول قتال قاتلت المشركين لئن اشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما اصنع
فلما كان يوم احد وانكشف المسلمون قال اللهم انى اعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى اصحابه وابرأ
اليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم واستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو والى اين فقال
واها لريح الجنة اجدها دون احد فقاتل حتى قتل قال انس بن مالك فوجدنا فى جسده بضعا
وثمانين ضربة بالسيف او طعنة برمح او رمية بسهم فوجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه
احد الا اخته ببنانه قال انس كنا نرى او نظن ان هذه الاية نزلت فيه وفى اشباهه ومنهم اى الصادقين
من ينتظر اى الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا اى العهد ولا غيروه تبديلا اى شيئا من التبديل
روى ان ممن لم يقتل فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله احد العشرة المشهود
لهم بالجنة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وفعل ما لم يفعله غيره لزم النبى صلى الله
عليه وسلم فلم يفارقه وذب عنه ووقاه بيده حتى شلت اصبعه قال اسمعيل بن قيس رأيت يد طلحة
شلاء وقى بها النبى صلى الله عليه وسلم يوم احد وعن معاوية سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى
نحبه وعن طلحة لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم من احد صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قرأ رجال

صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية كلها فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من هؤلاء فقال ايها
السائل هذا منهم وعنه ايضا ان اصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى
نحبه من هو وكانوا لا يجترؤن على مسئلته يهابونه ويوقرونه فسأله الاعرابي فاعرض عنه ثم سأله
فاعرض عنه ثم سأله فاعرض عنه ثم انى طلعت من باب المسجد فقال اين السائل عمن قضى نحبه قال الاعرابي
انا فقال هذا ممن قضى نحبه وهذا يقوي القول بان المراد بالنحب بذل الجهد في الوفاء بالعهد وعن
خباب بن الارت هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله نبتغي وجه الله فوجب
اجرنا على الله فمنا من مضى لم يأكل من اجره شيئا منهم مصعب بن عمير قتل يوم احد فلم يوجد له شيء
يكفن فيه الا نمرة فكنا اذا وضعناها على راسه خرجت رجلاه منها واذا وضعناها على رجليه خرج رأسه
منها فقال صلى الله عليه وسلم ضعوها مما يلي رأسه واجعلوا على رجليه من الاذخر قال ومنا من اينعت له
ثمرته فهو يهدبها اينعت اي ادركت ونضجت له ثمرتها ويهدبها اي يجنيها وهذا كناية عما فتح الله
تعالى لهم من الدنيا وعن زيد بن ثابت قال لما نسخنا المصحف من المصاحف فقدت آية من سورة
الاحزاب كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها لم اجدها مع احد الا مع خزيمة بن ثابت
الانصاري الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه فالحقتها في سورتها في المصحف ليجزي الله اي الذي يريد اظهار جميع صفاته في
البعث للخاص والعام ظهورا تاما الصادقين اي في الوفاء بالعهد وادعاء انهم امنوا بصدقهم
اي فيعلي امرهم وينعمهم في الآخرة فالصدق سبب ان كان فضلا منه لانه الموفق له + تنبيه + في لام
ليجزي وجهان احدهما انها لام العلة والثاني انها لام الصيرورة وفيما تتعلق به اوجه اما بصدقوا
واما بزادهم واما بما بدلوا وعلى هذا جعل المنافقين كانهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم
كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب
فكانهما استويا في طلبهما والسعي لتحصيلهما ويعذب المنافقين اي الذين اخفوا الكفر واظهروا
الاسلام في الدين بكذبهم في دعواهم الايمان المقتضي لبيع النفس والمال ان شاء بان يميتهم
على نفاقهم او يتوب عليهم ان شاء بان يهديهم الى التوبة فيتوبوا فالكل بارادته + تنبيه + جواب
ان شاء مقدر وكذا مفعول شاء اي ان شاء تعذيبهم عذبهم وقرأ قالون والبزي وابو عمرو باسقاط
الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل ورش وقنبل الثانية وابدلاها ايضا حرف مد وحققها
الباقون وفي الابتداء بالثانية الجميع بالتحقيق + ولما كانت توبة المنافقين مستبعدة لما يرون من
صلابتهم في الخداع وخبث سرائرهم قال معللا ذلك كله على وجه التاكيد ان الله اي بماله
من الجلال والجمال كان ازلا وابدا غفورا لمن تاب رحيما بهم ثم بين تعالى بعض ما جزاهم الله تعالى
بصدقهم بقوله تعالى ورد الله اي بماله من صفات الكمال الذين كفروا وهم من تحزب من العرب
وغيرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بلادهم عن المدينة ومضايقة المؤمنين حال كونهم

بغيظهم اي متغيظين لم يشف صدورهم بنيل ما ارادوا بل تفرقوا من غير طائل حال كونهم لم ينالوا
خيرا لا من الدين ولا من الدنيا بل ذلا وندامة فهو حال ثانية او حال من الحال الاولى فهي متداخلة
وكفى الله اي الذي له العزة والكبرياء المؤمنين القتال بما القى في قلوبهم من الداعية للانصراف
بالريح والجنود من الملائكة وغيرهم منهم نعيم بن مسعود لما تقدم من الحيلة التي فعلها قال سعيد
ابن المسيب لما كان يوم الاحزاب حصر النبي صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة حتى خلص
الى كل امرئ منهم الكرب وحتى قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني انشدك عهدك ووعدك
اللهم انك ان تشأ لا تعبد فبينما هم على ذلك اذ جاء نعيم بن مسعود الاشجعي وكان يأمنه الفريقان
جميعا فخذل بين الناس فانطلق الاحزاب منهزمين من غير قتال فذلك قوله تعالى وكفى الله المؤمنين
القتال وكان الله اي الذي له صفات الكمال ازلا وابدا قويا على احداث ما يريده عزيزا
غالبا على كل شئ + ولما اتم الله تعالى حال الاحزاب اتبعه حال من عاونهم بقوله تعالى وانزل
الذين ظاهروهم اي عاونوا الاحزاب من اهل الكتاب وهم بنو قريظة ومن دخل معهم في حصنهم
من بني النضير من صياصيهم اي حصونهم متعلق بانزل ومن لابتداء الغاية والصياصي جمع
صيصية وهي الحصون والقلاع والمعاقل ويقال لكل ما يمتنع به ويتحصن فيه صيصية ومنه قيل لقرن
الثور والظبي ولشوكة الديك صيصية عن سعيد بن جبير قال كان يوم الخندق بالمدينة جاء
ابو سفيان بن حرب ومن تبعه من قريش ومن تبعه من كنانة وعيينة بن حصن ومن تبعه من
غطفان وطليحة ومن تبعه من بني اسد وابو الاعور ومن تبعه من بني سليم وقريظة كان بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا ذلك وظاهروا المشركين فانزل الله تعالى فيهم وانزل الذين
ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وكانت غزوة بني قريظة في اخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة
وعن موسى بن عقبة انها في سنة اربع قال العلماء بالسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصبح في الليلة
التي انصرف الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن
الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر اتى جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس والسرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة
قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله
ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله تعالى يامرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله دقهم دق
البيض على الصفا وانهم لك طعمة فاذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة
وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب برايته اليهم وابتدرها الناس فسار علي حتى
اذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الاخباث قال اظنك سمعت
في منهم اذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد راوني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله

عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا
ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه قبل ان يصل الى بني قريظة قال هل مر بكم احد
قالوا مر بنا دحية بن خليفة على بغلة شهباء عليها قطيفة من ديباج قال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل
بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف في قلوبهم الرعب ولما اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بني قريظة نزل على بئر من آبارها فتلاحق به الناس فاتاه رجال من بعد صلاة العشاء الاخرة
ولم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلي احد العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر
بها بعد العشاء الاخرة فما عابهم الله تعالى بذلك ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
حيي بن اخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن اسد
بما كان عاهده فلما ايقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال
كعب بن اسد يا معشر يهود انه قد نزل بكم من الامر ما نزل واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها
شئتم قالوا وما هي قال نبايع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه
في كتابكم فتأمنوا على دياركم وابنائكم واموالكم ونسائكم قالوا لا نفارق حكم التوراة ابدا ولا نستبدل به
غيره قال فاذا ابيتم هذا فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد واصحابه فان
نهلك نهلك ولم نترك وراءنا احدا ولا شيئا نخشى عليه وان نظهر فلعمري لنجدن النساء والابناء قالوا
نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان ابيتم هذه فان الليلة ليلة السبت فعسى ان يكون
محمد واصحابه قد امنوا فانزلوا لعلنا ان نصيب منهم غرة قالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن احدث
فيه من كان قبلنا فتركهم قال علماء السير وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة
حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فابوا وكانوا قد طلبوا
ابا لبابة بن عبد المنذر اخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس يستشيرونه في امرهم فارسله رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال والنساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم فقالوا
يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه يعني انه يقتلكم قال ابو لبابة فوالله
ما زالت قدماي حتى قد عرفت اني خنت الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه ولم يأت رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال لا ابرح من مكاني حتى يتوب الله
تعالى علي مما صنعت وعاهد الله تعالى لا يطأ بني قريظة ابدا ولا يراني الله تعالى في بلد خنت فيه الله
ورسوله فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وابطأ عليه قال اما لو جاءني لاستغفرت له فاما
اذ فعل ما فعل فما انا بالذي اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
تنزلون على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم
فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم

وخندق في سوق المدينة خندقا وقدموهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا
ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير وقذف اي الله تعالى في قلوبهم الرعب حتى سلموا انفسهم للقتل
واولادهم ونساءهم للسبي كما قال الله تعالى فريقا تقتلون وهم الرجال يقال كانوا ستمائة وتاسرون
فريقا وهم النساء والذراري يقال كانوا سبعمائة وخمسين ويقال تسعمائة فان قيل ما فائدة تقديم
المفعول في الاول حيث قال تعالى فريقا تقتلون وتاخيره في الثاني حيث قال وتاسرون فريقا
اجيب بان الرازي قال ما من شيء من القران الا وله فائدة منها ما يظهر ومنها ما لا يظهر والذي
يظهر من هذا والله اعلم ان القاتل يبدأ بالاهم فالاهم والاقرب فالاقرب والرجال كانوا مشهورين
وكان القتل واردا عليهم وكان الاسراهم النساء والذراري ولم يكونوا مشهورين بالسبي والاسر
اظهر من القتل لانه يبقى فيظهر لكل احد انه اسير فقدم من المحلين ما اشتهر على الفعل القائم به ومن
الفعلين ما هو اشهر قدمه على المحل الخفي انتهى وقرأ ابن عامر والكسائي الرعب بضم العين والباقون
باسكانها ولما ذكر الناطق بقسميه ذكر الصامت بقوله تعالى واورثكم ارضهم من الحدائق والمزارع
وديارهم اي حصونهم لانه يحامي عليها ما لا يحامي على غيرها واموالهم من النقد والماشية
والسلاح والاثاث وغيرها فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم للفارس ثلاثة اسهم للفرس سهمان
ولفارسه سهم كالراجل ومن ليس له فرس سهم واخرج منها الخمس وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا
وكان هذا اول فيء وقع فيه السهمان وجرى على سننه في المغازي واصطفى رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سباياهم ريحانة بنت عمرو بن قريظة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص عليها ان
يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله تتركني في ملكك فهو اخف علي وعليك فتركها
وكانت حين سباها كرهت الاسلام وابت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في
نفسه من امرها فبينما هو مع اصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا لثعلبة بن شعبة يبشرني باسلام
ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد اسلمت ريحانة فسره ذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم
جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما
خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه طعمة لي دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وانزل الله تعالى
توبة ابي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يضحك فقالت مم تضحك يا رسول الله اضحك الله تعالى سنك فقال تيب على ابي لبابة فقالت
الا ابشره بذلك يا رسول الله قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن
الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله تعالى عليك فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى الصبح اطلقه ومات سعد
ابن معاذ بعد انقضاء غزوة بني قريظة قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر
فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء ابي بكر واني لفي حجرتي قالت وكانوا كما قال

الله تعالى بحماية بينهم واختلف في تفسير قوله تعالى وأرضا لم تطؤها فعن مقاتل
انها خيبر وعليه اكثر المفسرين وعن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن
عكرمة كل ارض تفتح الى القيامة ومن بدائع التفسير انه اراد نساءهم انتهى ولما كان ذلك امرا
باهرا سهله بقوله تعالى وكان الله اي الذي له الامر كله ازلا وابدا بما له من صفات الكمال على كل شيء
من هذا وغيره قديرا اي شامل القدرة روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول لا اله الا الله وحده اعز جنده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلا شيء
بعده ولما ارشد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم الى ما ينبغي بجانب التعظيم لله تعالى بقوله تعالى
يا ايها النبي اتق الله ذكر ما يتعلق بجانب الشفقة وبدأ بالزوجات فانهن اولى الناس بالشفقة ولهذا
قدمهن في النفقة فقال يا ايها النبي قل لازواجك اي نسائك ان كنتن اي كونا راسخا تردن اي
اختيارا على الحيوة ووصفها بما يزهد فيها ذوي الهمم ويذكر من يعقل بالآخرة بقوله تعالى
الدنيا اي ما فيها من السعة والرفاهية والنعمة وزينتها اي الفانية المعرض به من الاعراض
عنه واحتقاره من امرها لانها ابغض خلقه اليه لانها قاطعة عنه فتعالين اصله ان الآمر يكون
اعلى من المأمور فيدعوه ان يرفع نفسه اليه ثم كثر حتى صار معناه اقبل وهو هنا كناية عن
الاختيار والارادة بعلاقة ان المخبر يدنو الى من يخبره امتعكن اي بما احسن به اليكن
من متعة الطلاق وهي واجبة لزوجة لم يجب لها نصف مهر فقط بان يجب لها جميع المهر
او كانت مفوضة لم توطأ ولم يفرض لها شيء صحيح اما في الاولى فلان المهر في مقابلة منفعة بضعها وقد
استوفاها الزوج فيجب للايحاش المتعة واما في الثانية فلان المفوضة لم يحصل لها شيء فيجب لها متعة
للايحاش بخلاف من وجب لها النصف فلا متعة لها لانه لم يستوف منفعة بضعها فيكفي نصفها
للايحاش هذا اذا كان الفراق لا بسببها وسن ان لا تنقص عن ثلاثين درهما او ما قيمته ذلك وان
لا تبلغ نصف المهر فان تراضيا على شيء فذاك والا قدرها قاض باجتهاده بقدر حالهما من يسار
واعسار ونسبها وصفاتها قال تعالى ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره واسرحكن
اي من حبالة عصمتي سراحا جميلا اي طلاقا من غير مضارة ولا توحشة ولا مقاهرة وان كنتن اي
بما لكن من الجبلة تردن الله اي الآمر بالاعراض عن الدنيا ورسوله اي المؤتمر بما امره به من الانسلاخ
عنها المبلغ للعباد جميع ما ارسله به من امر الدنيا والدين لا يدع منه شيئا لما له عليكن وعلى
سائر الناس من الحق بما يبلغهم عن الله تعالى والدار الآخرة اي التي هي الحيوان بما لها من البقاء
والعلو والارتقاء فان الله بما له من جميع صفات الكمال اعد اي في الدنيا والآخرة للمحسنات منكن
اي اللاتي يفعلن ذلك اجرا عظيما تستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للبيان لانهن كلهن
محسنات قال المفسرون سبب نزول هذه الآية ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألنه من
عرض الدنيا شيئا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن

رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ان لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى اصحابه فقالوا ما شانه وكانوا
يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لاعلمن لكم شانه قال فدخلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اطلقتهن قال لا فقلت يا رسول الله انى دخلت المسجد والمسلمون
يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه افانزل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت
فقمت على باب المسجد فناديت باعلى صوتى لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزل قوله
تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه
الذين يستنبطونه منهم فكنت انا الذى استنبط ذلك الامر وانزل الله تعالى اية التخيير وكان تحت رسول الله
صلى الله عليه وسلم تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت ابى بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابى سفيان
وام سلمة بنت ابى امية وسودة بنت زمعة واربع من غير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة
بنت الحرث الهلالية وصفية بنت حيى بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت الحرث المصطلقية فلما
نزلت اية التخيير عرض عليهن رضى الله تعالى عنهن ذلك وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعائشة رأس المحسنات اذ ذاك وكانت احب اهله فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله
والدار الاخرة فرؤى الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعنها على ذلك قال قتادة
فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا يحل لك النساء من بعد
وعن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر رضى الله عنه يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس
جلوسا ببابه لم يؤذن لاحد منهم فاذن لابى بكر فدخل ثم اقبل عمر ثم استأذن فاذن له فوجد النبى صلى
الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا قال فقال لاقولن شيئا اضحك النبى صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سألتنى النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها
فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وقال هن حولى كما ترى يسألننى النفقة فقام ابو بكر الى عائشة يجأ عنقها وقام عمر
الى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول لا تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن
شهرا او تسعا وعشرين يوما ثم نزلت هذه الاية يا ايها النبى قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا
عظيما قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة انى اعرض عليك امرا لا احب ان تعجلى فيه حتى تستشيرى ابويك
قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الاية فقالت افيك يا رسول الله استشير ابوى بل اختار الله ورسوله والدار
الاخرة واسألك ان لا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلت قال لا تسألنى امرأة منهن الا اخبرتها ان الله
لم يبعثنى معنتا ولكن بعثنى معلما ميسرا قوله واجما اى مهتما والواجم الذى اسكته الهم وعلته الكآبة و
قيل الوجوم الحزن وقوله فوجأت عنقها اى دققته وقوله يبعثنى معنتا العنت المشقة والصعوبة وروى
الزهرى ان النبى صلى الله عليه وسلم اقسم ان لا يدخل على ازواجه شهرا قال الزهرى فاخبرنى عروة عن عائشة
قالت فلما مضت تسع وعشرون اعدهن دخل على فقلت يا رسول الله انه مضى تسع وعشرون اعدهن
فقال ان الشهر تسع وعشرون * تنبيه * اختلف العلماء فى هذا الخيار هل كان ذلك تفويضا للطلاق

اليهنّ حتى يقع بنفس الاختيار او لا ذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق
وانما خيرهنّ على انهنّ اذا اخترن الدنيا فارقهنّ لقوله تعالى فتعالين امتعكنّ واسرحكنّ
ويدل عليه انه لم يكن جوابهنّ على الفور فانه قال لعائشة لا تعجلي حتى تستشيري ابويك وفي تفويض
الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب آخرون الى انه كان تفويض طلاق ولو اخترن انفسهنّ
كان طلاقا واختلف العلماء في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس اذا خير الرجل امرأته
فاختارت زوجها لا يقع شيء ولو اختارت نفسها وقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى
وسفيان والشافعي واصحاب الرأي الا ان عند اصحاب الرأي انه يقع طلقة بائنة اذا اختارت نفسها وعند الآخرين
رجعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج تقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها فثلاث
وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروي عن علي انها اذا اختارت زوجها تقع طلقة واحدة
رجعية وان اختارت نفسها فطلقة بائنة واكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لا يقع
شيء وعن مسروق قال ما ابالي خيرت امرأتي واحدة او مائة او الفا بعد ان تختارني قال الرازي
وهنا مسائل منها هل كان هذا التخيير واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم ام لا والجواب
ان التخيير كان قولا واجبا من غير شك لانه ابلاغ للرسالة لان الله تعالى لما قال له قل لهنّ صار
من الرسالة واما التخيير معنى فمبني على ان الامر للوجوب ام لا والظاهر انه للوجوب ومنها ان واحدة
منهنّ لو اختارت نفسها وقلنا انها لا تبين الا بابانة النبيّ صلى الله عليه وسلم فهل كان يجب على النبيّ
صلى الله عليه وسلم الطلاق ام لا الظاهر نظرا الى منصب النبيّ صلى الله عليه وسلم انه كان يجب لانّ
الخلف في الوعد من النبيّ صلى الله عليه وسلم غير جائز بخلاف احدنا فانه لا يلزمه شرعا الوفاء بما يعد
ومنها ان المختارة بعد البينونة هل كانت تحرم على غيره ام لا الظاهر انها لا تحرم والا لم يكن التخيير
ممكنا لها من التمتع بزينة الدنيا ومنها ان من اختارت الله ورسوله هل كان يحرم على النبيّ صلى الله عليه
وسلم طلاقها ام لا الظاهر الحرمة نظرا الى منصب الرسول صلى الله عليه وسلم بمعنى ان النبي صلى الله عليه
وسلم لا يباشره اصلا لا بمعنى انه لو اتى به لعوقب او عوتب انتهى ولما خيرهنّ واخترن الله ورسوله هدهنّ
الله للتوقي عما يسوء النبيّ صلى الله عليه وسلم واوعدهنّ بتضعيف العذاب بقوله تعالى يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ
اي المختارات لما بينه وبين الله تعالى مما يظهر شرفه مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ اي سيئة
من قول او فعل كالنشوز وسوء الخلق واختيار الحيوة الدنيا وزينتها على الله تعالى ورسوله
صلى الله عليه وسلم وغير ذلك وقال ابن عباس المراد هنا بالفاحشة النشوز وسوء الخلق وقيل هو
كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وقرأ ابن كثير وشعبة مُبَيَّنَةٍ بفتح الياء التحتية اي ظاهر فحشها
والباقون بكسرها اي واضحة ظاهرة في نفسها يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ اي بسبب ذلك ضِعْفَيْنِ
اي ضعفي عذاب غيرهنّ اي مثليه وانما ضوعف عذابهنّ لان ما قبح من سائر النساء كان اقبح منهنّ
واقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم

اشد منه للعاصى الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذلك جعل حد الحر ضعفى حد العبد وعوتب الانبياء بما لم يعاتب به غيرهم وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائى بالياء التحتية والف بعد الضاد وتخفيف العين مفتوحة العذاب بالرفع وابن كثير وابن عامر بالنون ولا الف بعد الضاد وتشديد العين مكسورة العذاب بالنصب وابو عمرو بالياء وتشديد العين مفتوحة العذاب بالرفع وقوله تعالى وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيْرًا فيه ايذان بان كونهن نساء للنبى صلى الله عليه وسلم ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغنى عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه + ولما بين تعالى زيادة عقابهن اتبعه زيادة ثوابهن بقوله تعالى وَمَنْ يَّقْنُتْ اى يطع مِنْكُنَّ لِلّٰهِ الذى هو اهل لان لا يلتفت الى غيره وَرَسُوْلِهٖ الذى لا ينطق عن الهوى فلا تخالفه فيما امر به ولا تختار عيشا غير عيشه وَتَعْمَلْ اى مع ذلك بجوارحها صَالِحًا اى فى جميع ما امر به سبحانه او نهى عنه فلا تقتصر على عمل القلب نُّؤْتِهَآ اَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ اى مثل ثواب غيرهن من النساء قال مقاتل مكان كل حسنة عشرين حسنة فمرة على الطاعة ومرة لطلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة + تنبيه + قوله تعالى نؤتها اجرها مرتين فى مقابلة قوله تعالى يضاعف لها العذاب ضعفين وفيه لطيفة وهى انه عند ايتاء الاجر ذكر المؤتى وهو الله تعالى وعند العذاب لم يصرح بالمعذب بل قال يضاعف وهذا اشارة الى كمال الرحمة والكرم وقرأ حمزة والكسائى بالياء التحتية فى يعمل ويؤتها حملا على لفظ من وهو الاصل والباقون بالتاء الفوقية فى يعمل على معنى من والنون فى نؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى وَاَعْتَدْنَا اى هيأنا بما لنا من العظمة لَهَا اى بسبب قناعتها مع النبى صلى الله عليه وسلم المريد للتخلى من الدنيا التى يبغضها الله تعالى مع ما فى ذلك من توفير الحظ فى الآخرة رِزْقًا كَرِيْمًا اى فى الدنيا والآخرة زيادة على اجرها اما فى الدنيا فلان ما يرزقهن منه يوفقن لصرفه على وجه يكون فيه اعظم الثواب ولا يخشى من اجله نوع عتاب واما فى الآخرة فلا يوصف ولا يحد ولا نكد فيه اصلا ولا كد وهذا ما جرى عليه البقاعى وهو اولى مما جرى عليه كثير من المفسرين من الاقتصار على رزق الجنة وعلله الرازى بقوله ووصف رزقا بكونه كريما مع ان الكريم لا يكون وصفا الا للرزاق وذلك اشارة الى ان الرزق فى الدنيا مقدر على ايدى الناس فان التاجر يسترزق من السوقة والعاملون والصناع من المستعملين والملوك من الرعية والرعية منهم فالرزق فى الدنيا لا يأتى بنفسه انما هو مسخر للغير يكتسبه ويرسله الى الاغيار واما فى الآخرة فلا يكون له مرسل وممسك فى الظاهر فهو الذى يأتى بنفسه فلاجل هذا لا يوصف فى الدنيا بالكريم الا الرزاق وفى الآخرة يوصف بالكريم نفس الرزق انتهى + ولما ذكر تعالى ان عذابهن ضعف عذاب غيرهن واجرهن مثلا اجر غيرهن صرن كالحرائر بالنسبة الى الاماء قال تعالى يٰنِسَآءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَاَحَدٍ قال البغوى ولم يقل كواحدة لان الاحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث والمعنى لستن كجماعة ولا كواحدة مِّنْ جماعات النِّسَآءِ اذا تقصيت جماعة النساء



واحدة واحدة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومنه قوله تعالى والذين آمنوا
بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق
المبين وقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين
والحمل على الافراد بان يقال ليست كل واحدة منكن كواحدة من آحاد النساء صحيح بل اولى
ليلزم تفضيل الجماعة بخلاف الحمل على الجمع وعن ابن عباس معنى لستن كاحد من النساء يريد
ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات انتن اكرم علي وثوابكن اعظم لدي
+ ولما كان المعنى بل انتن اعلى النساء ذكر شرط ذلك بقوله تعالى إِنِ اتَّقَيْتُنَّ الله تعالى اي
جعلتن بينكن وبين غضب الله تعالى وغضب رسوله صلى الله عليه وسلم وقاية ثم سبب عن هذا
النهي قوله تعالى فَلَا تَخْضَعْنَ اي اذا تكلمتن بحضرة اجنبي بِالْقَوْلِ اي بان يكون لينا عذبا رخيما
والخضوع التطامن والتواضع واللين ثم سبب عن الخضوع قوله تعالى فَيَطْمَعَ اي في الخيانة
الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ اي فساد وريبة من فسق ونفاق او نحو ذلك وعن زيد بن علي قال المرض
مرضان مرض زنا ومرض نفاق وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق قال له اخبرني عن قوله
تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض قال الفجور والزنا قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم اما سمعت
الاعشى وهو يقول ـ حافظ الفرج راض بالتقى + ليس ممن قلبه فيه مرض + والتعبير بالطمع للدلالة
على ان امنيته لا سبيل لها في الحقيقة لان اللين في كلام النساء خلق لهن لا تكلف فيه واريد من نساء
النبي صلى الله عليه وسلم التكلف للاتيان بضده بل المرأة مندوبة الى الغلظة في المقالة اذا خاطبت
الاجانب لقطع الاطماع + ولما نهاهن عن الاسترسال مع سجية النساء في رخاوة الصوت امرهن بضده
بقوله تعالى وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا اي يعرف انه بعيد عن محل الطمع من ذكر الله وما تحتجن اليه
من الكلام مما يوجب الدين والاسلام بتصريح وبيان من غير خضوع + ولما امرهن بالقول وقدمه
لعمومه اتبعه الفعل بقوله تعالى وَقَرْنَ اي اسكن وامكثن دائما فِي بُيُوتِكُنَّ فمن كسر القاف وهم
غير نافع وعاصم جعل الماضي قر بفتح العين ومن فتحه وهو نافع وعاصم فهو عنده قرر بكسرها
وهما لغتان قال البغوي وقيل وهو الاصح انه امر من الوقار كقوله من الوعد عدن ومن الوصل
صلن اي كن اهل وقار وسكون من قولهم وقر فلان يقر وقورا اذا سكن واطمأن انتهى ومن
فتح القاف فضم الراء ومن كسرها فتح الراء وعن محمد بن سيرين قال نبئت انه قيل لسودة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم ما لك لا تحجين ولا تعتمرين كما تفعل اخواتك فقالت قد حججت
واعتمرت وامرني الله ان اقر في بيتي فوالله لا اخرج من بيتي حتى اموت قال فوالله ما خرجت من
باب حجرتها حتى خرجت بجنازتها + واختلف في معنى التبرج في قوله تعالى وَلَا تَبَرَّجْنَ فقال
مجاهد وقتادة هو التكسر والتغنج وقال ابن جريج هو التبختر وقيل هو ابراز الزينة وابراز
المحاسن للرجال وقرأ البزي بتشديد التاء في الوصل والباقون بالتخفيف واختلف ايضا

في معنى قوله تعالى تبرج الجاهلية الاولى فقال الشعبي هي ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم
وقال ابو العالية هي زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تتخذ قميصا من الدر
غير مخيط الجانبين فيرى خلقها منه وقال الكلبي كان ذلك في زمن نمروذ الجبار كانت المرأة تتخذ
الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي وسط الطريق ليس عليها شئ غيره وتعرض نفسها على الرجال وروى
عكرمة عن ابن عباس انه قال الجاهلية الاولى فيما بين نوح وادريس عليهما السلام وكانت الف سنة
وان بطنين من ولد آدم كان احدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحا
وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا من اهل السهل
واجر نفسه منه فكان يخدمه واتخذ شيئا مثل الذي يزمر به الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس
مثله فبلغ ذلك من حوله فاتوه وهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فيتبرج النساء
للرجال ويتزين الرجال لهن وان رجلا من اهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء
وصباحتهن فاتى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة بينهم
فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقال قتادة ما قبل الاسلام وقيل الجاهلية
الاولى ما ذكرنا والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل الجاهلية
الاولى ما كانوا عليه قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده
قوله صلى الله عليه وسلم لابي ذر كما في الصحيحين ان فيك جاهلية كفر او اسلام وقول البيضاوي
عن ابي الدرداء قال ابن حجر لم اجده عن ابي الدرداء وقيل قد تذكر الاولى وان لم تكن لها اخرى
كقوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى ولم تكن لها اخرى ولما امرهن بلزوم البيوت للتخلية عن
الشوائب ارشدهن الى التحلية بالرغائب بقوله تعالى واقمن الصلوة اي فرضا ونفلا وصلة لما بينكن
وبين الخالق ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وآتين الزكوة احسانا الى الخلائق وفي هذا بشارة
بالفتوح وتوسيع الدنيا عليهن فان العيش وقت نزولها كان ضيقا عن القوة فضلا عن الزكوة ولما
امرهن بخصوص ما تقدم لانهما اصل الطاعات البدنية والمالية ومن اعتنى بهما حق الاعتناء
جرتاه الى ما وراءهما ثم عمم في قوله تعالى واطعن الله اي الذي له صفات الكمال ورسوله اي الذي
لا ينطق عن الهوى فيما امر به ونهى عنه انما يريد الله اي الذي هو ذو الجلال والاكرام بما امركن به
ونهاكن عنه من الاعراض عن الزينة وما يتبعها والاقبال عليه ليذهب اي لاجل ان يذهب
عنكم الرجس اي الاثم الذي نهى الله تعالى عنه النساء قاله مقاتل وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان
وما ليس فيه رضا الرحمن وقال قتادة يعني السوء وقال مجاهد الرجس الشك وقوله تعالى
اهل البيت في نصبه اوجه احدها النداء اي يا اهل البيت او المدح اي امدح اهل البيت والاختصاص
اي اخص اهل البيت كما قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث والاختصاص
في المخاطب اقل منه في المتكلم وسمع بك الله نرجو الفضل والاكثر انما هو في المتكلم كقولها

نحن بنات طارق + نمشي على النمارق + وقولهم نحن بني ضبة اصحاب الجمل + الموت احلى
عندنا من العسل + وقولهم نحن العرب اقرى الناس للضيف + واختلف في اهل البيت والاولى فيهم
ما قال البقاعي انهم كل من يكون من الزام النبي صلى الله عليه وسلم من الرجال والنساء والازواج
والاماء والاقارب وكلما كان الانسان منهم اقرب وبالنبي صلى الله عليه وسلم اخص والزم كان
بالارادة احق واجدر ويؤيده قول البيضاوي وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي
وابنيهما رضي الله تعالى عنهم لما روي انه عليه الصلوة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرط
مرحل من شعر اسود فجلس فجاءت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن
والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك
على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف وعن ابن عباس انهم نساء النبي صلى الله عليه وسلم
لانهن في بيته وتلا قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله وعن ام سلمة رضي الله تعالى
عنها قالت في بيتي انزل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قالت فارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال هؤلاء اهل بيتي فقلت يا رسول الله اما
انا من اهل البيت فقال بلى ان شاء الله وقال زيد بن ارقم اهل بيته من حرم الصدقة بعده آل علي
وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال الرازي والاولى ان يقال هم اولاده وازواجه والحسن
والحسين وعلي منهم لانه كان من اهل بيته لمعاشرته بنت النبي صلى الله عليه وسلم وملازمته له
ولما استعار للمعصية الرجس استعار للطاعة الطهر ترغيبا لاصحاب الطباع السليمة والعقول المستقيمة
في الطاعة وتنفيرا لهم عن المعصية بقوله تعالى وَيُطَهِّرَكُمْ اي يفعل في طهركم الصيانة عن جميع
القاذورات الحسية والمعنوية فعل المبالغ فيه وزاد ذلك عظما بالمصدر بقوله تعالى تَطْهِيرًا
وعن ابن عباس قال شهدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة اشهر يأتي كل يوم باب علي بن ابي طالب
عند وقت كل صلوة فيقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا الصلوة رحمكم الله كل يوم خمس مرات ثم بين تعالى ما انعم الله به عليهن
من ان بيوتهن مهابط الوحي بقوله تعالى وَاذْكُرْنَ اي في انفسكن ذكرا دائما واذكرنه لغيركن على
جهة الوعظ والتعليم مَا يُتْلَى اي ما يتابع ويوالي ذكره فِي بُيُوتِكُنَّ اي بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم
الذي عمر بيوتكن وقوله تعالى مِنْ آيَاتِ اللهِ اي القرآن بيان للموصول فيتعلق باعني ويجوز ان يكون
حالا اما من الموصول واما من عائده المقدر فيتعلق بمحذوف ايضا واختلف في قوله تعالى
وَالْحِكْمَةِ فقال قتادة يعني السنة وقال مقاتل احكام القرآن ومواعظه إِنَّ اللهَ اي الذي له
جميع العظمة كَانَ اي ولم يزل لَطِيفًا اي يوصل الى المقاصد بلطائف الاسباب خَبِيرًا
اي بجميع خلقه يعلم ما يسرون وما يعلنون لا يخفى عليه خافية فيعلم من يصلح لبيت النبي
صلى الله عليه وسلم ومن لا وما يصلح الناس دينا ودنيا وما لا يصلحهم والطرق الموصلة

ع

لكل ما قضاه وقدره وان كانت على غير ما يألفه الناس من انقطع الى الله كفاه الله تعالى مؤنته ورزقه
من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها ولقد صدق الله تعالى وعده في لطفه
وحقق بره في خبره بان فتح على نبي صلى الله عليه وسلم خيبر فافاض بها من رزقه الواسع ولما توفي
نبيه صلى الله عليه وسلم تحميه من زهرة الحيوة الدنيا فتح الفتوحات الكبار من بلاد فارس والروم
ومصر وما بقي من اليمن ثم الفتح بجميع الاقطار الشرق والغرب والجنوب والشمال ومكن اصحاب
نبيه صلى الله عليه وسلم من كنوز تلك البلاد وذخائر اولئك الملوك حتى صار الصحابة رضوان
الله تعالى عليهم يكيلون المال كيلا وزاد الامر حتى دوّن عمر رضي الله تعالى عنه الدواوين
وفرض للناس عامة ارزاقهم حتى للرضعاء وكانوا لا يفرض للمولود حتى يفطم فكانوا
يستعجلون بالفطام فنادى مناديه لا تعجلوا اولادكم بالفطام فانا نفرض لكل مولود في الاسلام وفاوت
بين الناس في العطاء بحسب القرب من النبي صلى الله عليه وسلم والبعد منه وبحسب السابقة
في الاسلام والهجرة ونزل الناس منازلهم بحيث ارضى جميع الناس حتى قدم عليه خالد
ابن عرفطة فسأله عما وراءه فقال تركتهم يسألون الله تعالى ان يزيد في عمرك من اعمارهم
قال عمر انما هو حقهم وانا اسعى باداته اليهم واني لاعم بنصيحتي كل من طوقني الله امره فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات غاشا لرعيته لم يرح ريح الجنة فكان فرضه لازواج النبي
صلى الله عليه وسلم اثنا عشر الفا لكل واحدة وهي نحو الف دينار في كل سنة واعطى عائشة خمسة
وعشرين الفا لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها فابت ان تأخذ الا ما تأخذه صواحباتها وروي
عن برزة بنت رافع قالت لما خرج العطاء ارسل عمر الى زينب بنت جحش بالذي لها فلما ادخل اليها قالت
غفر الله لعمر غيري من اخواتي اقوى على قسم هذا مني قالوا هذا كله لك قالت سبحان الله ثم قالت صبوه
واطرحوا عليه ثوبا ثم قالت لي ادخلي يدك واقبضي منه قبضة فاذهبي بها الى بني فلان وبني فلان
من ذوي رحمها وايتام لها فقسمته حتى بقيت منه بقية تحت الثوب قالت برزة بنت رافع غفر الله
لك يا ام المؤمنين والله لقد كان لنا في هذا المال حق قالت فلكم ما تحت الثوب قالت فوجدنا تحته
خمسمائة وثمانين درهما ثم رفعت يديها الى السماء وقالت اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا
فماتت قال البقاعي ذكر ذلك البلاذري في كتاب فتوح البلاد انتهى وعن مقاتل قال قالت ام سلمة بنت
ابي امية ونسيبة بنت كعب الانصارية للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء
في شيء من كتابه نخشى ان لا يكون فيهن خير فانزل الله تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ اي الداخلين في الاسلام
المنقادين لحكم الله في القول والعمل ولما كان الاسلام مع كونه اكمل الاوصاف واعلاها يمكن ان يكون
بالظاهر فقط اتبعه المحقق له وهو اسلام الباطن بالتصديق التام بقوله الاحقاء ان نقال عاطفا له
ولما بعده من الاوصاف التي يمكن اجتماعها بالواو والدلالة على تمكن الجامعين لهذه الاوصاف
[illegible] ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ اي المصدقين بما يجب ان يصدق به ولما كا

المؤمن المسلم قد لا يكون فى اعماله مخلصا قال وَالْقٰنِتِيْنَ وَالْقٰنِتٰتِ اى المخلصين فى ايمانهم واسلامهم المداومين على الطاعة + ولما كان القنوت قد يطلق على الاخلاص المقتضى للمداومة وقد يطلق على مطلق الطاعة قال وَالصّٰدِقِيْنَ وَالصّٰدِقٰتِ اى فى ذلك كله من قول وعمل + ولما كان الصدق وهو اخلاص القول والعمل عن شوب يلحقه او شئ يدنسه قد لا يكون دائما قال مشيرا الى ان لا يكون دائما لا يكون صدقا فى الواقع وَالصّٰبِرِيْنَ وَالصّٰبِرٰتِ اى على الطاعات وعن المعاصى + ولما كان الصبر قد يكون بهيجة دل على صرفه الى الله بقوله تعالى وَالْخٰشِعِيْنَ وَالْخٰشِعٰتِ اى المتواضعين لله تعالى بقلوبهم وجوارحهم + ولما كان الخشوع والخضوع والاخبات والسكون لا يصح مع توفير المال فانه سكون اليه قال معلما انه اذ ذاك لا يكون على حقيقته وَالْمُتَصَدِّقِيْنَ وَالْمُتَصَدِّقٰتِ بما وجب فى اموالهم وبما استحب سرا وعلانية تصديقا لخشوعهم + ولما كان بذل المال قد لا يكون مع الايثار اتبعه ما يعين عليه بقوله تعالى وَالصَّآئِمِيْنَ وَالصّٰٓئِمٰتِ اى فرضا ونفلا للايثار بالقوت وغير ذلك + ولما كان الصوم يكسر شهوة الفرج وقد يثيرها قال تعالى وَالْحٰفِظِيْنَ فُرُوْجَهُمْ وَالْحٰفِظٰتِ اى عما لا يحل لهم وحذف مفعول الحافظات لتقدم ما يدل عليه والتقدير والحافظاتها وكذلك والذاكرات وحسن الحذف رؤس الفواصل + ولما كان حفظ الفرج وسائر الاعمال لا يكاد يوجد الا بالذكر وهو الذى يكون عنده المراقبة الموصلة الى المحاضرة المحققة للمشاهدة المحببة للفناء قال تعالى وَالذّٰكِرِيْنَ اللّٰهَ كَثِيْرًا وَّالذّٰكِرٰتِ اى بقلوبهم والسنتهم فى كل حالة ومن علامات الاكثار من الذكر اللهج به عند الاستيقاظ من النوم وقال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله تعالى قائما وقاعدا ومضطجعا وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون قال الذاكرون الله تعالى كثيرا والذاكرات قال عطاء بن ابى رباح من فوض امره الى الله عز وجل فهو داخل فى قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات ومن اقر بان الله تعالى ربه ومحمدا صلى الله عليه وسلم رسوله لم يخالف قلبه لسانه فهو داخل فى قوله تعالى والمؤمنين والمؤمنات ومن اطاع الله تعالى فى الفرض والرسول صلى الله عليه وسلم فى السنة فهو داخل فى قوله تعالى والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل فى قوله تعالى والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعات وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل فى قوله تعالى والصابرين والصابرات ومن صلى ولم يعرف من عن يمينه وعن يساره فهو داخل فى قوله تعالى والخاشعين والخاشعات ومن تصدق فى كل سبوع بدرهم فهو داخل فى قوله تعالى والمتصدقين والمتصدقات ومن صام فى كل شهر ايام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل فى قوله تعالى والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عن الحرام فهو داخل فى قوله تعالى والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل فى قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اَعَدَّ اللّٰهُ اى الذى لا يقدر احد ان يقدره حق قدره لانه لا حد لعظمته

شئ لهم مغفرة اى لما اقترفوه من الصغائر لانها مكفرات بفعل الطاعات في الآية علمه وفضل الله
تعالى واسع * ولما ذكر تعالى الفضل بالتجاوز اتبعه الفضل بالكرم والرحمة بقوله تعالى واجرا عظيما اى
على طاعتهم والآية وعد لهن ولامثالهن بالاثابة على الطاعة والتدرع بهذه الخصال وروى ان
سبب نزول هذه الآية ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن
ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فانزل الله تعالى هذه الآية وروى
ان اسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله
عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شئ من القرآن قلن لا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
ان النساء لفي خيبة وخسار قال ومم ذاك قالت لانهن لا يذكرن بخير كما تذكر الرجال فانزل الله
عز وجل هذه الآية وقيل لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل
فينا شئ فنزلت * تنبيه * عطف الاناث على الذكور لاختلاف جنسيهما والعطف فيه ضروري لاختلافهما
ذاتا وعطف الزوجين وهو مجموع المؤمنين والمؤمنات على الزوجين وهو مجموع المسلمين والمسلمات
لتغاير وصفيهما وليس العطف فيه بضروري بخلافه في الاول لان اختلاف الجنس اشد من اختلاف
الصفة وفائدة العطف عند تغاير الاوصاف الدلالة على ان اعداد المعد من المغفرة والاجر العظيم اى
تهيئته للمذكورين لجمعهم بين هذه الصفات فصار المعنى ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر
اعد الله تعالى لهم مغفرة واجرا عظيما وقوله تعالى وما كان اى وما صح لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله
امرا اى اذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله تعالى
نزلت في زينب بنت جحش الاسدية واخيها عبد الله بن جحش وامها امية بنت عبد المطلب عمة النبي
صلى الله عليه وسلم لما خطب النبي صلى الله عليه وسلم زينب على مولاه زيد بن حارثة وكان اشتراه
في الجاهلية بعكاظ فاعتقه وتبناه فلما خطب النبي صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه يخطبها
لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد بن حارثة ابت وقالت انا ابنة عمتك يا رسول الله فلا ارضاه
لنفسي وكانت بيضاء جميلة فيها حدة وكذلك كره اخوها ذلك رواه الدارقطني بسند ضعيف وقيل
في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد ان يكون لهم الخيرة من
امرهم اى ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله تعالى ورسوله
صلى الله عليه وسلم * تنبيه * الخيرة مصدر من تخير كالطيرة من تطير على غير قياس وجمع الضمير في قوله
تعالى لهم وفي قوله تعالى من امرهم لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انها في سياق النفي ويجوز ان يكون
الضمير في من امرهم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وجمع للتعظيم كما جرى عليه البيضاوي وقرأ
ان يكون الكوفيون وهشام بالياء التحتية والباقون بالفوقية ولانه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى
ومن عصاه فقد عصى الله تعالى كما قال تعالى ومن يعص الله اى الذى لا امر لاحد معه
ورسوله اى الذى معصيته معصية الله تعالى لكونه بينه وبين الخلق في بيان ما ارسل به اليهم

وقوله تعالى فقد ضل قرأه قالون وابن كثير وعاصم بالاظهار والباقون بالادغام وزاد ذلك بقوله تعالى
ضلالاً مبيناً اى فقد اخطأ خطأ ظاهر الاخفاء فيه فالواجب على كل احد ان يكون معه
صلى الله عليه وسلم فى كل ما يختاره وان كان فيه اعظم المشقات عليه تمثلاً بقول الشاعر
ـه وقف الهوى بى حيث انت فليس لى + متأخر عنه ولا متقدم + واهنتنى فاهنت نفسى عامداً +
ما من يهون عليك ممن يكرم + فلما نزلت هذه الآية رضيت زينب بذلك وجعلت امرها
بيد النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك اخوها فانكحها صلى الله عليه وسلم زيداً فدخل بها وساق اليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً ودرعاً وازاراً وملحفة
وخمسين مداً من الطعام وثلاثين صاعاً من تمر ومكثت عنده حيناً ثم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتى زيداً ذات يوم لحاجة فابصر زينب قائمة فى درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق
من اتم نساء قريش فوقعت فى نفسه واعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما
جاء زيد ذكرت ذلك له ففطن زيد فالقى فى نفس زيد كراهتها فى الوقت فاتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال انى اريد ان افارق صاحبتى قال مالك ارابك منها شئ قال لا والله يا رسول الله ما رأيت
منها الا خيراً ولكنها تتعاظم على لشرفها وتؤذينى بلسانها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم
امسك عليك زوجك يعنى زينب بنت جحش واتق الله فى امرها فانزل الله تعالى وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي
أَنْعَمَ اللَّهُ اى الملك الذى له كل الكمال عَلَيْهِ وفى نبيه عليه الصلوة والسلام اياه وقرأ نافع وابن كثير
وابن ذكوان وعاصم بالاظهار والباقون بالادغام ثم بين تعالى منزلته من النبى صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ اى بالعتق والتبنى حيث استشارك فى فراق زوجته التى اخبرك
الله تعالى انه يفارقها وتصير زوجتك أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ اى زينب رضى الله عنها وَاتَّقِ اللَّهَ
الذى له جميع العظمة فى جميع امرك وَتُخْفِي اى والحال انك تخفى اى تقول قولاً مخفياً فِي
نَفْسِكَ اى ما اخبرك الله من انها ستصير احدى زوجاتك عند طلاق زيد مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ
اى مظهره بحمل زيد على تطليقها وان امرته بامساكها وتزويجك بها وامرك بالدخول
عليها وهذا دليل على انه ما اخفى غير ما اعلمه الله تعالى من انها ستصير زوجته عند طلاق زيد
لان الله تعالى ما ابدى غير ذلك ولو اخفى غيره لابداه سبحانه لانه لا يبدل قوله وقول ابن عباس
كان فى قلبه حبها بعيد وكذا قول قتادة وود انه لو طلقها زيد وكذا قول غيرهما كان فى قلبه لو فارقها
زيد تزوجها ولما ذكر تعالى اخفاءه ذلك ذكر علته بقوله تعالى عاطفاً على تخفى وَتَخْشَى النَّاسَ
اى من ان تخبر بما اخبر الله تعالى به فيصوبوا اليك مرجمات الظنون لاسيما اليهود والمنافقون
وقال ابن عباس والحسن تستحييهم وقيل تخاف لائمة الناس ان يقولوا امر رجلاً بطلاق
امرأته ثم نكحها وَاللَّهُ اى والحال ان الذى لا شئ اعظم منه أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ اى وحده ولا تجمع
خشية الناس مع خشيته فى ان تؤخر شيئاً اخبرك به حتى يأتيك فيه امر قال عمر وابن مسعود

وعائشة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي اشد عليه من هذه وروى عن مسروق
قال قالت عائشة لو كتم النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً مما اوحى اليه لكتم هذه الآية وتخفي في
نفسك ما الله مبديه ويؤيد ما مر ما روى سفيان بن عيينة عن علي عن زيد بن جدعان قال سألني
علي بن الحسين زين العابدين ما يقول الحسن في قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس
والله احق ان تخشاه قال قلت يقول لما جاء زيد الى النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله اني اريد
ان اطلقها فقال له امسك عليك زوجك فقال علي بن الحسين ليس كذلك لان الله تعالى قد اعلمه
انها ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال اني اريد ان اطلقها قال له امسك
عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من
ازواجك وهذا هو اللائق والاليق بحال الانبياء عليهم السلام وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى اعلم
انه يبدي ويظهر ما اخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا اي حاجة
من زواجها والدخول بها وذلك بانقضاء عدتها منه لان به يعرف انه لا حاجة له فيها وانه قد
تقاصرت عنها همته والا لراجعها زَوَّجْنَاكَهَا اي ولم نحوجك الى ولي من الخلق يعقد لك عليها
تشريفا لك ولها بما لنا من العظمة التي خرقنا بها عوائد الخلق حتى اذعن لذلك كل من علم به وسرت
به جميع النفوس ولم يقدر منافق ولا غيره على الخوض في ذلك ببنت شفة مما يوهنه ويؤثر فيه فلو كان
الذي اضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها او ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر
انه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء ما اعلمه الله تعالى من انها ستكون
زوجة له وانما اخفاه استحياء ان يقول لزيد ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون امرأتي قال البغوي
وهذا هو الاولى والاليق وان كان الآخر وهو انه اخفى محبتها او نكاحها لو طلقها
لا يقدح في حال الانبياء عليهم السلام لان العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء
ما لم يقصد فيه المأثم لان الود وميل النفس من طبع البشر وقوله امسك عليك زوجك واتق الله امر
بالمعروف وهو خشية الاثم فيه وقوله والله احق ان تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه
عليه الصلوة والسلام قال انا اخشاكم لله واتقاكم له ولكن المعنى الله احق ان تخشاه وحده ولا تخشى احدا
معه فانت تخشاه وتخشى الناس ايضا ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله احق بالخشية في عموم
الاحوال وفي جميع الاشياء انتهى وذكر قضاء الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها اذا
طلقت وانقضت عدتها روى مسلم في صحيحه عن انس رضي الله عنه قال لما انقضت عدة زينب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها علي قال فانطلق زيد حتى اتاها وهي تخمر
عجينها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت
[illegible]

فدخل عليها بغير اذن قال ولقد رأيتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حتى امتد
النهار فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته
فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت اهلك قال فما ادري انا اخبرته
ان القوم خرجوا او اخبرني قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت ادخل معه فالقى الستر بيني وبينه
ونزل الحجاب وعن انس رضي الله عنه قال ما اولم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه ما اولم
على زينب اولم بشاة وفي رواية اكثر وافضل ما اولم على زينب قال ثابت فما اولم قال اطعمهم خبزا
ولحما حتى تركوه قال انس رضي الله عنه كانت زينب تفخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
تقول زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي
صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن جدي وجدك واحد
وانكحنيك الله في السماء وان السفير جبريل عليه السلام واخرج ابن سعد والحاكم عن محمد بن
يحيى بن حبان قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت زيد بن حارثة يطلبه وكان زيد يقال
له زيد بن محمد فربما فقده رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة فيقول اين زيد فجاء منزله
يطلبه فلم يجده وتقوم اليه زينب بنت جحش زوجته فضلا فاعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنها فقالت ليس هو ههنا يا رسول الله فادخل فابى ان يدخل فاعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فولى وهو
يهمهم بشيء لا يكاد يفهم منه الا ربما اعلن بسبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب فجاء زيد الى منزله
فاخبرته امرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى منزله فقال زيد الا قلت له ان يدخل قالت
قد عرضت ذلك عليه فابى قال فسمعت شيئا منه قالت سمعته حين ولى تكلم بكلام لا افهمه وسمعته
يقول سبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب فجاء زيد حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
بلغني انك جئت منزلي فهلا دخلت يا رسول الله لعل زينب اعجبتك فافارقها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك فما استطاع زيد اليها سبيلا بعد ذلك اليوم فياتي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيخبره فيقول امسك عليك زوجك ففارقها زيد واعتزلها وانقضت عدتها
فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس يتحدث مع عائشة اذ اخذته غشية فسري عنه وهو
يتبسم ويقول من يذهب الى زينب يبشرها ان الله زوجنيها من السماء وقرأ واذ تقول للذي الآية
قالت عائشة فاخذني ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمالها واخرى هي اعظم الامور واشرفها
زوجها الله من السماء وقلت هي تفخر علينا بهذا + ولما ذكر تعالى التزويج على ما له من العظمة ذكر
علته بقوله تعالى لِكَيْ لَا يَكُوْنَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ حَرَجٌ اي ضيق واثم فِيْ اَزْوَاجِ اَدْعِيَائِهِمْ اي الذين
تبنوهم واجروهم في تحريم ازواجهم مجرى ازواج البنين على الحقيقة اِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا
اي حاجة بالدخول بهن ثم الطلاق وانقضاء العدة + فائدة + لا مقطوعة في الرسم من لكي
+ تنبيه + الادعياء جمع دعي وهو المتبني اي زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته

ليعلم ان زوجة المتبنى حلال للمتبنى وان كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امرأة ابن الصلب لا تحل للاب وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ من الحكم بتزويجها وان كرهت وتركت اظهار ما اخبرك الله تعالى به كراهية سوء المقالة واستحياء من ذلك وكذا كل امر يريده سبحانه مَفْعُولًا اى قضاء الله تعالى ماضيا وحكمه نافذا فى كل ما اراده لا معقب لحكمه مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ اى الذى منزلته من الله تعالى الاطلاع على ما لا يطلع عليه غيره من الخلق مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اى قدر اللهُ بما له من صفات الكمال واوجبه له لانه لم يكن على المؤمنين مطلقا حرج فى ذلك فليكن برأس المؤمنين وقوله تعالى سُنَّةَ اللَّهِ منصوب بنزع الخافض اى كسنة الله فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ من الانبياء عليهم السلام انه لا حرج عليهم فيما اباح لهم قال الكلبى ومقاتل اراد داود عليه السلام حين جمع بينه وبين المرأة التى هويها فكذلك جمع بين محمد وبين زينب وقيل اراد بالسنة النكاح فانه من سنة الانبياء عليهم السلام فكان من كان من الانبياء عليهم السلام هذا سنتهم فقد كان لسليمان بن داود عليهما السلام الف امرأة وكان لداود مائة امرأة وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ اى قضاء الملك الاعظم فى ذلك وغيره قَدَرًا واكده بقوله تعالى مَقْدُورًا اى لا خلف فيه لا بد من وقوعه فى حينه الذى حكم بكونه فيه وقوله تعالى الَّذِينَ نعت للذين قبله يُبَلِّغُونَ اى الى اممهم رِسَالَاتِ اللَّهِ اى الملك الاعظم سواء كانت فى نكاح ام غيره وَيَخْشَوْنَهُ اى فيخبرون بكل ما اخبرهم به وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا قل او جل إِلَّا اللَّهَ فلا يخشون قالة الناس فيما احل الله لهم وَكَفَى بِاللَّهِ اى المحيط بجميع صفات الكمال حَسِيبًا اى حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم + ولما افاد هذا كله ان الدعى ليس ابنا وكانوا قد قالوا لما تزوج زينب كما رواه الترمذى عن عائشة تزوج حليلة ابنه قال تعالى مَا كَانَ اى بوجه من الوجوه مُحَمَّدٌ اى على كثرة نسائه واولاده أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ لا مجازا بالتبنى ولا حقيقة بالولادة فثبت بذلك انه يحرم عليه زوجة الابن ولم يقل تعالى من بنيكم لانه لم يكن له فى ذلك الوقت سنة خمس ما داناها ابن ذكر لعلمه تعالى انه سيولد له ابنه ابراهيم عليه السلام مع ما كان له قبله من البنين الطاهر والطيب والقاسم وانه لم يبلغ احد منهم الحلم عليهم السلام قال البيضاوى ولو بلغوا لكانوا رجاله لا رجالهم انتهى وهذا انما ياتى على ان المراد التبنى وقال البغوى والصحيح انه اراد باحد من رجالكم الذين لم يلدهم انتهى ومع هذا الاول اوجه كما جرى عليه البقاعى + ثم لما نفى تعالى ابوته عنهم قال وَلَكِنْ كان فى علم الله غيبا وشهادة رَسُولَ اللَّهِ اى الملك الاعظم الذى كل من سواه عبده وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ اى اخرهم الذى ختمهم لان رسالته عامة ومعها اعجاز القران فلا حاجة مع ذلك الى استنباء ولا ارسال وذلك مقتض لئلا يبلغ له ولد اذ لو بلغ له ولد لاق بمنصبه ان يكون نبيا اكراما له لانه اعلى النبيين رتبة واعظمهم شرفا وليس لاحد من الانبياء كرامة الا وله مثلها واعظم منها ولو صار احد من ولده رجلا لكان نبيا بعد ظهور نبوته وقد قضى الله تعالى ان لا يكون بعده نبى اكراما له روى احمد وابن ماجة عن انس وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم

قال في ابنه ابراهيم عليه السلام لو عاش لكان صديقا نبيا وللبخاري نحوه عن البراء بن عازب وللبخاري
من حديث ابن ابي اوفى لو قضى ان يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي لعاش ابنه ولكن لا نبي بعده
وقال ابن عباس رضي الله عنه يريد لو لم اختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون من بعده نبيا وروى
عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه لما حكم انه لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا وقيل
من لا نبي بعده يكون اشفق على امته واهدى لهم اذ هو كالوالد لولد ليس له غيره والحاصل انه
لا يأتي بعده نبي مطلقا بشرع جديد ولا يتجدد بعده مطلقا استنباء وهذه الآية مثبتة لكونه خاتما
على ابلغ وجه واعظمه وذلك انها في سياق الانكار بان يكون بينه وبين احد من رجالهم بنوة
حقيقية او مجازية لو كانت بعده لاحد لم يكن ذلك الا لولده ولان فائدة اثبات النبي تتميم شيء لم يأت
به من قبله وقد حصل به صلى الله عليه وسلم التمام فلم يبق بعد ذلك مرام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
واما تجديد ما وهى مما احدثه بعض الفسقة فالعلماء كافون فيه لوجود ما خص به صلى الله عليه وسلم
من هذا القرآن المعجز الذي من سمعه فكانما سمعه من الله عز وجل لوقوع الحق والقطع بانه لا يقدر
غيره ان يقول شيئا منه فمهما حصل ذهول عن ذلك قرره من يريد الله تعالى من العلماء فيحصل به
الاستبصار كما روي في بعض الآثار علماء امتي كانبياء بني اسرائيل واما اتيان عيسى عليه السلام بعد
تجديد الهدى لجميع ما وهى من اركان المكارم فلاجل فتنة الدجال ثم طامة ياجوج وماجوج ونحوه للتي
مما لا يستقل باعبائه غير نبي وما احسن قول حسان بن ثابت في مرثية لابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم
مضى ابنك محمود العواقب لم يشب + بعيب ولم يذمم بقول ولا فعل + رأى انه ان عاش ساواك في العلا
فآثر ان تبقى وحيدا بلا مثل + وقال الغزالي في آخر كتاب الاقتصاد ان الامة فهمت من هذا
اللفظ ومن قرائن احواله صلى الله عليه وسلم انه افهم عدم نبي بعده ابدا وعدم رسول
بعده ابدا وانه ليس فيه تأويل ولا تخصيص وقال ان من اوله بتخصيص النبيين باولي العزم
من الرسل ونحو هذا فكلامه من انواع الهذيانات لا يمنع الحكم بتكفيره لانه مكذب لهذا النص الذي
اجمعت الامة على انه غير مؤول ولا مخصوص انتهى وقد بان بهذا ان اتيان عيسى عليه السلام
غير قادح في هذا النص فانه من امته صلى الله عليه وسلم المقررين لشريعته وهو قد كان نبيا قبله
لم يتجدد له شيء لم يكن فلم يكن ذلك قادحا في الختم وهو مثبت لشرف نبينا صلى الله عليه وسلم اذ لولاه
لما وجد وذلك انه لم يكن لنبي من الانبياء شرف الا وله صلى الله عليه وسلم مثله او اعلى منه
وقد كانت الانبياء تاتي مقررة لشريعة موسى عليه السلام مجددة لها فكان المقرر لشريعة نبينا
صلى الله عليه وسلم المتبع لملته من كان ناسخا لشريعة موسى صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بفتح التاء
والباقون بكسرها فالفتح اسم للآلة التي يختم بها كالطابع والقالب لما يطبع به ويقلب فيه
والكسر على انه اسم فاعل وقال بعضهم هو بمعنى المفتوح يعني بمعنى آخرهم
لانه ختم النبيين فهو خاتمهم وكان الله اي الذي له كل صفة كمال ازلا وابدا بكل شيء من

ذلك وغيره عليما فيعلم من يليق بالختم ومن يليق بالبدء قال الاستاذ ولى الدين الملوى فى
كتابه حسن النفوس فى سؤال القبر واختصاصه صلى الله عليه وسلم بالاحمدية والحمد باعلام وصفه
برهان على ختمه اذ الحمد مقرون بانقضاء الامور مشروع عنده وآخر دعواهم ان الحمد لله
رب العالمين وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثلى ومثل الانبياء
كمثل قصر احكم بنيانه ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه الا موضع
تلك اللبنة لا يعيبون بسواها فكنت انا موضع تلك اللبنة ختم بى البنيان وختم بى الرسل وقال
عليه الصلوة والسلام ان لى اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى يمحو الله تعالى بى الكفر وانا الحاشر
الذى يحشر الله تعالى الناس على قدمى وانا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبى ولما
كان ما اثبته لنفسه سبحانه من احاطة العلم مستلزما للاحاطة باوصاف الكمال قال تعالى
يا ايها الذين آمنوا اى ادعوا ذلك بالسنتهم اذكروا الله الذى هو اعظم من كل شئ تصديقا
لدعواكم ذلك ذكرا كثيرا قال ابن عباس لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة الا جعل لها حدا
معلوما ثم عذر اهلها فى حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر احدا فى
تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم به فى الاحوال فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم
وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا اى بالليل والنهار والبر والبحر والصحة والسقم فى السر والعلانية
وقال مجاهد الذكر الكثير ان لا ينساه ابدا فيعم ذلك سائر الاوقات فى سائر ما هو اهله من التقديس والتهليل
والتمجيد وسبحوه بكرة واصيلا اى اول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما
على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقال
البغوى وسبحوه اى صلوا له بكرة اى صلوة الصبح واصيلا يعنى صلوة العصر وقال الكلبى واصيلا يعنى
صلوة الظهر والعصر والعشاءين وقال مجاهد معناه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله فعبر بالتسبيح عن اخواته وقيل المراد من قوله تعالى ذكرا كثيرا هذه الكلمات يقولها
الطاهر والجنب والمحدث وعن انس لما نزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى قال
ابو بكر رضى الله عنه يا رسول الله ما انزل الله تعالى عليك خيرا الا اشركنا فيه فانزل الله تعالى
هو الذى يصلى عليكم اى يرحمكم وملائكته اى يستغفرون لكم فالصلوة من الله تعالى رحمة ومن الملائكة
استغفار للمؤمنين فذكر صلوته تحريضا للمؤمنين على الذكر والتسبيح قال السدى قالت بنو اسرائيل
لموسى عليه السلام ايصلى ربنا فكبر هذا الكلام على موسى فاوحى الله تعالى اليه قل لهم انى اصلى
وان صلوتى رحمتى وقد وسعت رحمتى كل شئ وقيل الصلوة من الله هى اشاعة الذكر الجميل له فى
عباده وقيل الثناء عليه واستغفار الملائكة ودعاؤهم المؤمنين ترحم عليهم وهو سبب للرحمة من حيث
انهم مجابو الدعوة فقد اشتركت الصلاتان واللفظ المشترك يجوز استعماله فى معنييه معا وكذلك
الجمع بين الحقيقة والمجاز فى لفظ جائز قال الرازى وينسب هذا القول للشافعى رحمه الله تعالى

وهو غير بعيد وذلك لان الرحمة والاستغفار مشتركان فى العناية بحال المرحوم والمستغفر له والمراد
هو القدر المشترك فتكون الدلالة تضمنية + ولما كان فعل الملائكة منسوبا اليه قال تعالى ليخرجكم
اى ليديم اخراجه اياكم بذلك مِنَ الظُّلُمٰتِ اى الكفر والمعصية إِلَى النُّوْرِ الى الايمان والطاعة
او ليخرجكم من الجهل الموجب للضلال الى العلم المثمر للهدى وَكَانَ اى ازلا وابدا بِالْمُؤْمِنِيْنَ
اى الذين صار الايمان وصفا لهم رَحِيْمًا اى بليغ الرحمة بتوفيقهم حيث اعتنى بصلاح امرهم
واستعمل فى ذلك ملائكته المقربين فحملهم ذلك على الاخلاص فى الطاعات فرفع لهم الدرجات
فى روضات الجنات تَحِيَّتُهُمْ اى المؤمنين يَوْمَ يَلْقَوْنَهٗ اى يرون الله تعالى سَلٰمٌ اى يسلم الله تعالى
عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وَرُوِىَ عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام
يعنى يلقون ملك الموت فلا يقبض روح مؤمن الا يسلم عليه وَعَن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت
ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم حين يخرجون من
قبورهم وَاَعَدَّ اى والحال انه اعد لَهُمْ اى بعد السلامة الدائمة اَجْرًا كَرِيْمًا هو الجنة وتقدم ذكر
الكريم فى الرزق فان قيل الاعداد انما يكون ممن لا يقدر عند الحاجة الى الشئ عليه واما الله تعالى
فغير محتاج ولا عاجز بحيث يلقاه يؤتيه ما يرضى به وزيادة فما معنى الاعداد من قبل اجيب بان
الاعداد للاكرام لا للحاجة قال البيضاوى ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو
اهم يٰاَيُّهَا النَّبِيُّ اى الذى نخبره بما لا يطلع عليه غيره اِنَّآ اَرْسَلْنٰكَ اى بعظمتنا الى سائر خلقنا شَاهِدًا
اى عليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالتهم او شاهدا للرسل بالتبليغ وهو حال مقدرة
او مقارنة لقرب الزمان وَّمُبَشِّرًا اى لمن آمن بالجنة وَّنَذِيْرًا اى لمن كذب بالنار وَّدَاعِيًا اِلَى اللّٰهِ
اى الى توحيده وطاعته وقوله تعالى بِاِذْنِهٖ حال اى متلبسا بتسهيله ولا يريد حقيقة الاذن لانه
مستفاد من ارسلناك وَسِرَاجًا اى مثله فى الاهتداء به يمد البصائر فيجلى ظلمات الجهل بالعلم
للبصر مواقع الزلل كما يجلى النور الحسى نور الابصار مُّنِيْرًا اى نيرا على من اتبعه فيصير فى اعظم ضياء ومن تخلف
عنه كان فى اشد ظلام وعبر به دون الشمس مع ان الشمس اشد اضاءة من السراج لان نور الشمس لا يؤخذ
منه شئ والسراج يؤخذ منه انوار كثيرة اذا انطفأ الاول يبقى الذى اخذ منه وكذلك ان غاب النبى
صلى الله عليه وسلم كان كل صحابى سراجا يؤخذ منه نور الهداية كما قال صلى الله عليه اصحابى كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم قال ابن عادل وفى هذا الخبر لطيفة وهى ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يجعل صحابه
كالسرج وجعلهم كالنجوم لان النجم لا يؤخذ منه نور بل له فى نفسه نور اذا غرب لا يبقى نور يستفاد
منه فكذلك الصحابى اذا مات فالتابعى يستنير بنور النبى صلى الله عليه وسلم فلا يؤخذ الا قول
النبى صلى الله عليه وسلم وفعله فانوار المجتهدين كلهم من النبى صلى الله عليه وسلم ولو جعلهم كالسرج
والنبى صلى الله عليه وسلم كان سراجا كان للمجتهد ان يستنير بمن اراد منهم ويأخذ النور ممن
اختار وليس كذلك فان مع نص النبى صلى الله عليه وسلم لا يعمل بقول الصحابى بل يؤخذ

النور من النبي صلى الله عليه وسلم ولا يؤخذ من الصحابي فلم يجعله سراجا + تنبيه + جوز الفراء
ان يكون الاصل وتاليا سراجا فيعني بالسراج القرآن وعلى هذا فيكون من عطف الصفات
وهي الذات واحدة لان التالي هو المرسل وقوله تعالى وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ عطف على محذوف مثل
فراقب احوال امتك ولم يقل انذر المعرضين اشارة للكرم وقوله تعالى بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا
كقوله تعالى اعد لهم اجرا عظيما والعظيم والكبير متقاربان + ولما امره سبحانه وتعالى بما يسر نهاه
عما يضر بقوله تعالى وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ اي لا تترك ابلاغ شيء مما انزلت اليك من الانذار
وغيره كراهة لشيء من مقالهم وافعالهم في امر زينب وغيرها فانك نذير لهم وذا اجمال
ما في اول السورة بعد الفائدة في قوله مصرحا بما اقتضاه ما قبله وَدَعْ اي اترك على حالة حسنة لك امر تحمل
بك أَذَاهُمْ فلا تحسب له حسابا اصلا واصبر عليه فان الله تعالى دافع عنك لانك داع باذنه وَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ اي الملك الاعلى وَكَفَى بِاللَّهِ اي الذي له الاحاطة الكاملة وَكِيلًا اي حافظا قال البغوي
وهذا منسوخ باية القتال ولما بدأ الله تعالى بتاديب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر ما يتعلق
بجانب الله تعالى بقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله وثنى بما يتعلق بجانب من هو تحت يده من ازواجه
الشريفات بقوله تعالى بعده يا ايها النبي قل لازواجك وثلث بما يتعلق بذكر العامة بقوله تعالى يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا وكان تعالى كلما ذكر لنبيه مكرمة وعلمه ادبا ذكر للمؤمنين ما يناسبه فلذلك بدأ
في ارشاد المؤمنين بجانب الله تعالى فقال يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ثم ثنى بما يتعلق بجانب
من تحت ايديهم بقوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ اي عقدتم على الموصوفات
بهذا الوصف الشريف المقتضي لغاية الرغبة فيهن ودوام الوصلة بينكم وبينهن ثم كما ثلث في
تاديب النبي صلى الله عليه وسلم بجانب الامة ثلث في حق المؤمنين بما يتعلق بهم فقال بعد هذا
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فان قيل اذا كان
هذا ارشادا بما يتعلق بجانب من هو من خواص المرأة فلم خص المطلقات اللاتي طلقن قبل
المسيس بقوله تعالى ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ اي تجامعوهن اطلق المس على الجماع لانه
طريق له كما سمي الخمر اثما لانها سببه اجيب بان هذا ارشاد الى اعلى درجات المكرمات ليعلم منها
ما دونها وبيانه ان المرأة اذا طلقت قبل المسيس لم يحصل بينهما تاكيد العهد ولهذا قال تعالى في
حق الممسوسة وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا فاذا امر الله
تعالى بالتمتع والاحسان مع من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بما حصلت المودة بالنسبة اليها
بالافضاء او حصل تاكدها بحصول الولد بينهما وهذا كقوله تعالى فلا تقل لهما اف ولو قال لا تضربهما
ولا تشتمهما ظن انه حرام لمعنى يختص بالضرب او الشتم لهما فاما اذا قال لا تقل لهما اف علم
منه معان كثيرة فكذلك هنا امر بالاحسان مع من لا مودة معها فعلم منه الاحسان الى الممسوسة
[illegible] تطلق [illegible] منه وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء والف بعد الميم والباقون بفتح

التاء ولا الف بعد الميم + ولما كانت العدّة حقا للرجال وان كانت لا تسقط باسقاطهم لما فيها من حق الله تعالى
قال تعالى فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ اى ايام يتربصن فيها بانفسهن تَعْتَدُّونَهَا اى تحصونها وتستوفونها
بالاقراء وغيرها فتعتدونها صفة لعدّة وتعتدونها اما من العدد واما من الاعتداد اى تحسبونها
او تستوفون عددها من قولك عدّ الدراهم فاعتدّها اى استوفى عددها نحو كلته فاكتاله ووزنته
فاتزنه فان قيل ما الفائدة فى الاتيان بثمّ وحكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك اجيب
بان ذلك ازاحة لما قد يتوهم ان تراخى الطلاق ريثما تمكن الاصابة كما يؤثر فى النسب فيؤثر
فى العدّة وظاهره يقتضى عدم وجوب العدة بمجرّد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام
للتنبيه على ان شان المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفة المؤمن وفى هذه الاية دليل على ان
تعليق الطلاق قبل النكاح لا يصح لانّ الله تعالى رتب الطلاق بكلمة ثم وهى للتراخى حتى لو قال لاجنبية
اذا نكحتك فانت طالق او كل امرأة اتزوّجها فهى طالق فنكح لا يقع الطلاق وهو قول على وابن مسعود
وجابر ومعاذ وعائشة رضى الله تعالى عنهم وبه قال اهل العلم منهم الشافعى واحمد رضى الله تعالى
عنهما وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه قال يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعى
واصحاب الرأى وقال ربيعة ومالك والاوزاعى ان عين امرأة يقع وانّ عم فلا يقع وروى
عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال كذبوا على ابن مسعود رضى الله عنه ان كان قالها
فزلة من عالم فى الرجل يقول ان تزوّجت فلانة فهى طالق يقول الله تعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم
طلقتموهنّ ولم يقل اذا طلقتموهنّ ثم نكحتموهنّ وروى عطاء عن جابر لا طلاق قبل النكاح وقوله
تعالى فَمَتِّعُوهُنَّ اى اعطوهنّ ما يستمتعن به محله كما قال ابن عباس رضى الله عنه اذا لم يكن سمى لها
صداقا والا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الاية منسوخة بقوله تعالى فنصف
ما فرضتم اى فلا متعة لها مع وجوب نصف الفرض واختلف فى المتعة هل هى واجبة او مندوبة
وهى عندنا واجبة بشروط وقد تقدم الكلام عليها عند قوله تعالى فتعالين امتعكن وعند بعض الائمة
انها مندوبة وقال بعضهم هى مندوبة عند استحقاقها نصف المهر واجبة عند عدمه وذهب بعضهم
الى انها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الاية وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا اى خلوا سبيلهن بالمعروف
من غير ضرار وليس لكم عليهنّ عدّة وقيل السراح الجميل ان لا يطالب بما دفعه اليها بان يخلى
لها جميع المهر وقوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ اى مهورهنّ
لانّ المهر اجر على البضع بيان لايثار الافضل له لا لتوقف الحل عليه وليفيد احلال المملوكة
بكونها مسبية بقوله تعالى وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ اى الذى له الامر كله عَلَيْكَ مثل صفية
بنت حيى النضيرية وريحانة القرظية وجويرية بنت الحرث الخزاعية مما كان فى ايدى الكفار
وتقييد الاقارب بكونهن مهاجرات معه فى قوله تعالى وَبَنَاتِ عَمِّكَ اى الشقيق وغيره
وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ اى نساء قريش ولما بدأ بالعمومة لشرفها اتبعها قوله تعالى وَبَنَاتِ خَالِكَ جاريا

في الافراد والجمع على ذلك النحو وبنت خالتك من نساء بني زهرة وقال البقاعي ويمكن في ذلك
احتباك عجيب وهو بنات اعمامك وبنات عماتك وبنات عمتك وبنات خالك وبنات خوالك
وبنات خالاتك انتهى وقوله تعالى اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ يحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة
ويعضده ما روى الترمذي والحاكم عن ام هانئ بنت ابي طالب انها قالت خطبني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله تعالى انا احللنا لك ازواجك الآية فلم اكن
احل له لاني لم اهاجر كنت من الطلقاء اي الاسراء الذين اطلقوا من الاسر وخلي سبيلهم قال
ابن عادل ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل انتهى ثم ان الله تعالى ذكر ما خص به نبيه صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ اي الذي اعلينا قدره
بما خصصناه به أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا اي يوجد نكاحه بها بجعلها من منكوحاته فتصير له بمجرد ذلك بلا مهر
ولا ولي ولا شهود وخرج بالمؤمنة الكتابية فلا تحل له لانها تكره صحبته ولانه اشرف من ان يضع ماءه
في رحم كافرة ولقوله تعالى وازواجه امهاتهم ولا يجوز ان تكون المشركة ام المؤمنين ولخبر
سألت ربي ان لا ازوج الا من كان معي في الجنة فاعطاني رواه الحاكم وصحح اسناده واما التسري
بالكتابية فلا يحرم عليه قال الماوردي لانه صلى الله عليه وسلم تسرى بريحانة وكانت يهودية من
بني قريظة واستشكل بهذا تعليلهم السابق بانه اشرف من ان يضع ماءه في رحم كافرة واجيب
بان القصد بالنكاح اصالة التوالد فاحتيط له وبانه يلزم فيه ان تكون الزوجة المشركة ام المؤمنين بخلاف الملك فيهما
وخرج بالحرة الرقيقة وان كانت مؤمنة لان نكاحها معتبر بخوف العنت وهو معصوم وبفقدان
مهر حرة ونكاحه غني عن المهر ابتداء وانتهاء وبرق الولد ومنصبه صلى الله عليه وسلم منزه عنه
تنبيه في نصب امرأة وجهان احدهما انه عطف على مفعول احللنا اي واحللنا لك امرأة موصوفة
بهذين الشرطين قال ابو البقاء وقد رد هذا قوم وقالوا احللنا ماض وان وهبت وهو صفة المرأة مستقبل
فاحللنا في موضع جوابه وجواب الشرط لا يكون ماضيا في المعنى قال وهذا ليس بصحيح لان معنى الاحلال
ههنا الاعلام بالحل اذا وقع الفعل على ذلك كما تقول ابحت لك ان تكلم فلانا ان سلم عليك والثاني
انه نصب بمقدر تقديره ويحل لك امرأة وفي قول الله تعالى ان وهبت ان اراد اعتراض الشرط
على الشرط والثاني هو قيد في الاول ولذلك نعربه حالا لان الحال قيد ولهذا اشترط الفقهاء ان
يتقدم الثاني على الاول في الوجود فلو قال لزوجته ان اكلت ان ركبت فانت طالق فلا بد ان يتقدم
الركوب على الاكل وهذا لتحقيق الحالية والتقييد كما ذكر اذ لو لم يتقدم لخلا جزء من الاكل غير مقيد
بركوب فلهذا اشترط تقدم الثاني ولكن يشترط ان لا يكون ثم قرينة تمنع من تقدم الثاني على الاول
كقوله لامرأة ان تزوجتك ان طلقتك فعبدي حر لا يتصور هنا تقدم الطلاق على التزوج قال بعض
المفسرين وقد عرض لي اشكال على ما قاله الفقهاء بهذه الآية وذلك ان الشرط الثاني هنا لا يمكن تقدمه
في الوجود بالنسبة الى الحكم بالنبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يمكن عقلا وذلك ان المفسرين

فسروا قوله تعالى ان اراد بمعنى قبل الهبة لان بالقبول منه صلى الله عليه وسلم يتم نكاحه وهذا لا يتصور
تقدمه على الهبة اذ القبول متأخر فان العصمة كانت فى تأخر ارادته عن هبتها ولما جاء ابو حيان الى
هنا جعل الشرط الثانى مقدما على الاول على القاعدة العامة ولم يستشكل شيئا مما ذكر قال ذلك
البعض وقد عرضت هذا الاشكال على جماعة من اعيان زماننا فاعترفوا به ولم يظهر عنه جواب الا
ما قدمته من انه ثم قرينة مانعة من ذلك كما مثلته انفا ولما كان ربما فهم ان غير النبى صلى الله عليه وسلم
يشاركه فى هذا المعنى قال الله منبها للخصوصية خَالِصَةً لَكَ وزاد المعنى بيانا بقوله تعالى مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِيْنَ اى من الانبياء وغيرهم تنبيهات الاول فى اعراب خالصة وفيه اوجه احدها انه
منصوب على الحال من فاعل وهبت اى حالة كونها خالصة لك دون غيرك ثانيها انه نعت مصدر مقدر
اى هبة خالصة فنصبه بوهبت ثالثها انه حال من امرأة لانها وصفت فتخصصت وهو بمعنى الاول واليه
ذهب الزجاج وقيل غير ذلك والمعنى انا احللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق
التنبيه الثانى فى انعقاد النكاح بلفظ الهبة فى حق الامة وفيه خلاف فقال سعيد بن المسيب والزهرى
ومجاهد وعطاء لا ينعقد الا بلفظ الانكاح او التزويج وبه قال مالك وربيعة والشافعى ومعنى الاية
ان اباحة الوطء بالهبة وحصول التزويج بلفظها من خواصه صلى الله عليه وسلم وقال النخعى
وابو حنيفة واهل الكوفة ينعقد بلفظ الهبة والتمليك وان معنى الاية ان تلك المرأة صارت خالصة
لك زوجة من امهات المؤمنين لا تحل لغيرك ابدا بالتزويج واجيب بان هذا التخصيص بالواهبة
لا فائدة فيه فان ازواجه صلى الله عليه وسلم كلهن خالصات له وما مر فللتخصيص فائدة التنبيه
الثالث فى التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم هل كانت عنده امرأة منهن فقال عبد الله
ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبى صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة
الا بعقد نكاح او ملك يمين وقوله تعالى وهبت نفسها على طريق الشرط والجزاء وقال غيرهما بل
كانت موهوبة وهو ظاهر الاية واختلفوا فيها فقال الشعبى هى زينب بنت خزيمة الهلالية يقال
لها ام المساكين وقال قتادة هى ميمونة بنت الحرث وقال على بن الحسين والضحاك ومقاتل هى
ام شريك بنت جابر من بنى اسد وقال عروة بن الزبير هى خولة بنت حكيم من بنى سليم التنبيه
الرابع فى ذكر شئ من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت منها اشياء كثيرة بشرح الصدر
بها فى شرح التنبيه فلا اطيل بذكرها هنا ولكن اذكر منها طرفا يسيرا تبركا ببركة صاحبها عليه افضل
الصلوة والسلام فان ذكرها مستحب قال النووى فى روضته ولا يبعد القول بوجوبها لئلا يرى
الجاهل بعض الخصائص فى الخبر الصحيح فيعمل به اخذا باصل التأسى فوجب بيانها لتعرف وهى
انواع احدها الواجبات وهى اشياء كثيرة منها الضحى والوتر والاضحية وفى الحديث ما يدل على
ان الواجب اقل الضحى وقياسه ان الوتر كذلك ومنها السواك لكل صلوة والمشاورة لذوى الاحلام
فى الامر وتخيير نسائه بين مفارقته طلبا للدنيا واختياره طلبا للاخرة ولا يشترط الجواب لفظا منهن

فورا فلو اختارته واحدة لم يحرم عليه طلاقها او كرهته توقفت الفرقة على الطلاق وليس قولها اخترت نفسي بطلاق كما مرت الاشارة اليه وله تزوجها بعد الفراق + النوع الثاني المحرمات وهي اشياء كثيرة منها الزكوة والصدقة وتعلم الخط والشعر ومد العين الى متاع الدنيا وخائنة الاعين وهي الايماء بما يظهر خلافه دون الخديعة في الحرب وامساك من كرهت نكاحه + ومنها نكاح كتابية لا التسري بها كما مر ولا يحرم عليه اكل الثوم ونحوه ولا الاكل متكئا + النوع الثالث التخفيفات والمباحات وهي كثيرة جدا منها تزوج من شاء من النساء ان شاء ولو لنفسه بغير اذن من المرأة ووليها متوليا للطرفين وزوجه الله تعالى وابيح له الوصال وصفي المغنم ويحكم ويشهد لولده ولو لنفسه وابيح له نكاح تسع وقد تزوج صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ومات عن تسع قال الائمة وكثرة الزوجات في حقه صلى الله عليه وسلم للتوسعة في تبليغ الاحكام عنه الواقعة سرا مما لا يطلع عليه الرجال ونقل محاسنه الباطنة فانه صلى الله عليه وسلم تكمل له الظاهر والباطن وحرم عليه الزيادة عليهن ثم نسخ وسيأتي ذلك ان شاء الله تعالى وينعقد نكاحه محرما وبلفظ الهبة ايجابا لا قبولا بل يجب لفظ النكاح او التزويج لظاهر قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها ولا مهر للواهبة له وان دخل بها وتجب اجابته على امرأة رغب فيها ويجب على زوجها طلاقها لينكحها + النوع الرابع الفضائل وهي كثيرة لا تدخل تحت الحصر منها تحريم منكوحاته على غيره سواء كن موطوءات ام لا مطلقات باختيارهن املا وتحريم سراريه وهن اماؤه الموطوءات بخلاف غير الموطوءات وتقدم ان نساءه امهات المؤمنين لا المؤمنات بخلافه صلى الله عليه وسلم فانه ابو الرجال والنساء وتقدم الكلام على قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وان ثوابهن وعقابهن مضاعف ومنها انه يحرم سؤالهن الا من وراء حجاب وافضلهن خديجة ثم عائشة وافضل نساء العالمين مريم بنت عمران اذ قيل بنبوتها ثم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خديجة ثم عائشة ثم اسية امرأة فرعون واما خبر الطبراني خير نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ثم اسية امرأة فرعون فاجيب عنه بان خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة وتقدم انه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ومنها انه اول النبيين خلقا وافضل الخلق على الاطلاق وخص بتقديم نبوته فكان نبيا وادم منجدل في طينته وتقديم اخذ الميثاق عليه وبانه اول من قال بلى وقت الست بربكم وبخلق ادم وجميع المخلوقات من اجله وبكتابة اسمه الشريف على العرش والسموات والجنات وسائر ما في الملكوت وبشق صدره الشريف وبجعل خاتم النبوة بظهره بازاء قلبه وبحراسة السماء من استراق السمع والرمي بالشهب وباحياء ابويه حتى امنا به وبانه اول من تنشق عنه الارض يوم القيمة واول من يقرع باب الجنة واول شافع واول مشفع واكرم بالشفاعات الخمس يوم القيمة اولها العظمى في الفصل بين اهل الموقف حين يفزعون اليه بعد الانبياء + الثانية في ادخال خلق الجنة بغير حساب جعلنا الله واحبابنا منهم الثالثة في ناس استحقوا

دخول النار فلا يدخلونها + الرابعة فى ناس دخلوا النار فيخرجون منها + الخامسة فى رفع درجات
ناس فى الجنة وكلها ثبتت بالاخبار وخص منها بالعظمى ودخول خلق من امته الجنة بغير حساب
وهى الثانية قال النووى فى روضته ويجوز ان يكون خص بالثالثة والخامسة ايضا ونصر بالرعب مسيرة
شهر وجعلت له الارض مسجدا وترابها طهورا واحلت له الغنائم وارسل الى الكافة ورسالة غيره
خاصة واما عموم رسالة نوح عليه السلام بعد الطوفان فلانحصار الباقين فيمن كان معه فى السفينة
وهو اكثر الانبياء اتباعا وامته خير الامم وافضلها اصحابه وافضلهم الخلفاء الاربعة على ترتيبهم
فى الخلافة ثم باقى العشرة وهى معصومة لا تجتمع على ضلالة وصفوفهم كصفوف الملائكة ولها فضائل
كثيرة على سائر الامم + ومنها انها اول من يدخل الجنة بعد الانبياء عليهم السلام + ومنها وضع الاصر
وليلة القدر والجمعة ورمضان على احد قولين ونظر الله تعالى اليهم ومغفرته لهم اول ليلة منه
وطيب خلوف فم صائمه عنده تعالى واستغفار الملائكة عليهم السلام فى ليله ونهاره وامر الله تعالى
الجنة ان تتزين لهم ورد صدقاتهم الى فقرائهم والغرة والتحجيل من اثر الوضوء وسلسلة الاسناد
والحفظ عن ظهر قلب واخذ العلم عن الاحداث والمشائخ وكتابه صلى الله عليه وسلم معجز محفوظ
من التغيير والتبديل واقيم بعده لحجة على الناس ومعجزات سائر الانبياء انقرضت وشريعتنا مؤبدة
ناسخة لغيرها من الشرائع وتطوعه قاعدا كقائم ويحرم رفع الصوت فوق صوته قال القرطبى وكره بعضهم
رفعه عند قبره صلى الله عليه وسلم ولا تبطل صلوة من خاطبه بالسلام وتجب اجابته فى الصلوة ولو بالفعل ولا تبطل
ويحرم نداؤه من وراء الحجرات ويحرم نداؤه باسمه كيا محمد صلى الله عليه وسلم لا بكنيته كيا ابا القاسم
ويحرم التكنى بكنيته مطلقا وقيل يختص بزمنه وقيل على من اسمه محمد وكان يتبرك ويستشفى
ببوله ودمه وفضلاته النازلة من الدبر لا تنزى بخلافهما من القبل والذى صوبه بعض المتاخرين
طهارتها وهو الصواب واولاد بناته ينسبون اليه واعطى جوامع الكلم وكان يؤخذ عن الدنيا عند تلقى
الوحى ولا يسقط عنه التكليف ورؤيته فى النوم حق ولا يعمل بها فيما يتعلق بالاحكام لعدم ضبط النائم ولكن
عمدا عليه كبيرة ولا يجوز الجنون على الانبياء ولا الاحتلام ولا تاكل الارض لحومهم وفى هذا القدر كفاية
ومن اراد الزيادة على ذلك فعليه بكتب الخصائص فان العلماء قد صنفوا فى ذلك تصانيف انا نسأل الله
تعالى من فضله وكرمه ان يشفعه فينا ويدخلنا معه الجنة ويفعل ذلك باهلينا ومشائخنا واخواننا ومحبينا
ولا يحرمنا زيارته ولا رؤيته قبل الممات + ولما كانت التخصيص لا يصح ولا يتصور الا من محيط العلم بان هذا الامر
ما كان لغير المخصوص تام القدرة لمنع غيره من ذلك قال تعالى قَدْ اى اخبرناك بان هذا مر يخصك
غيرهم لانا قد عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا اى قدرنا بعظمتنا عَلَيْهِمْ اى على المؤمنين فِىٓ اَزْوَاجِهِمْ اى
من شرائط العقد وانهم لا تحل لهم امرأة بلفظ الهبة منها ولا بد من مهر ولا بد من ولى وشهود
وهذا عام لجميع المؤمنين المتقدمين والمتاخرين وَفِى مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ من الاماء بشراء وغيره بان
تكون الامة ممن تحل لمالكها كالكتابية بخلاف المجوسية والوثنية وان تستبرأ قبل الوطء وقبل

المراد ان احدا غيرك لا يملك رقبة بهبتها نفسها فيكون احق من سيدها + ولما فرغ من تعليل الدنية على التخصيص لما وقتها انشوشا بقوله تعالى لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ اى ضيق فى شئ مما من النساء حيث احللنا لك انواع المنكوحات وزدناك واهبة فلكيلا متعلق بخالصة وما بينهما اعتراض ومن دون متعلق بخالصة كما تقول خلص من كذا وَكَانَ اللّٰهُ اى المتصف بصفات الكمال ازلا وابدا غَفُوْرًا رَّحِيْمًا اى بليغ الستر على عباده + ولما ذكر تعالى ما فرض فى الازواج والاماء الشامل للعدل فى عشرتهن وكان صلى الله عليه وسلم اعدل الناس فيهما واشدهم لله خشية وكان يعدل بينهن ويعتذر مع ذلك عن ميل القلب الذى هو خارج عن طوق البشر بقوله اللهم هذا قسمى فيما املك فلا تلمنى فيما لا املك خفف سبحانه وتعالى بقوله تُرْجِيْ اى تؤخر وتترك مصاحبتها مَنْ تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِىْ اى تضم اِلَيْكَ مَنْ تَشَآءُ وتصاحبها وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائى بياء ساكنة بعد الجيم من الارجاء اى تؤخرها مع افهام تكون بها راجية لعطفك والباقون بهمزة مضمومة وهو مطلق التاخير وَمَنِ ابْتَغَيْتَ اى طلبت مِمَّنْ عَزَلْتَ اى من القسمة فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ اى فى وطئها وضمها اليك + تنبيه + اختلف المفسرون فى معنى هذه الآية فاشهر الاقوال انها فى القسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن فى القسم كانت واجبة عليه فلما نزلت هذه الآية سقط عنه وصار الاختيار اليه فيهن وقال ابن زيد نزلت هذه الآية حين غار بعض امهات المؤمنين على النبى صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة فى النفقة فهجرهن النبى صلى الله عليه وسلم شهرا حتى نزلت آية التخيير فامره الله عز وجل ان يخيرهن بين الدنيا والآخرة وان يخلى سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله على انهن امهات المؤمنين ان لا ينكحن ابدا وعلى ان يؤوى اليه من يشاء ويرجى من يشاء فيرضين قسم لهن او لم يقسم قسم لبعضهن دون بعض او فضل بعضهن فى النفقة والقسمة فيكون الامر فى ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى امته نسبة السيد المطاع والرجل وان لم يكن نبيا فالزوجة فى ملك نكاحه والنكاح عليها رق فكيف زوجات النبى صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه فاذا هن كالمملوكات له ولا يجب القسم بين المملوكات واختلفوا هل اخرج احدا منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج احدا منهن عن القسم بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوى بينهن فى القسم الا سودة فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعائشة وقيل اخرج بعضهن روى جرير عن منصور عن ابى رزين قال لما نزلت آية التخيير اشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فنزلت هذه الآية فارجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن وآوى اليه بعضهن فكان ممن آوى عائشة وحفصة وزينب وام سلمة وكان يقسم بينهن سواء وارجأ منهن خمسا ام حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان يقسم لهن ما شاء وقال مجاهد ترجى من تشاء منهن اى تعزل من تشاء منهن بغير طلاق وترد

اليك من تشاء بعد العزل بلا تجديد عقد وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء
وقال الحسن تترك نكاح من شئت من نساء امتك قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة
لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشاء من المؤمنات
اللاتي يهبن انفسهن لك فتؤويها اليك وتترك من تشاء فلا تقبلها وروى هشام عن ابيه قال
كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اما تستحي المرأة
ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشاء منهن قلت يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع
في هواك ذلك اي التفويض الى مشيئتك ادنى اي اقرب ان اي الى ان تقر اعينهن اي بما حصل
لهن من عشرتك الكريمة وهو كناية عن السرور والطمأنينة ببلوغ المراد لان من كان كذلك كانت عينه
قارة ومن كان مهموما كانت عينه كثيرة التقلب هذا اذا كان من القرار بمعنى السكون ويجوز ان
يكون من القر الذي هو ضد الحر لان المسرور تكون عينه باردة والمهموم تكون عينه حارة فلذلك
يقال للصديق اقر الله تعالى عينك وللعدو اسخن الله عينك ولا يحزن اي بالفراق وغيره مما يحزن
من ذلك ويرضين لعلمهن ان ذلك من الله تعالى بما آتيتهن اي من الاجور ونحوها من نفقة وقسم
وايثار وغيرها ثم اكد ذلك بقوله تعالى كلهن اي ليس منهن واحدة الا هي كذلك لان حكم كلهن
فيه سواء ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله تعالى
فتطمئن نفوسهن وزاد ذلك تأكيدا لما له من الغرابة بقوله تعالى والله اي بما له من الاحاطة
بصفات الكمال يعلم ما في قلوبكم اي الخلائق كلهم فلا بدع ان يعلم ما في قلوب هؤلاء وكان الله
اي ازلا وابدا عليما اي بكل شيء من يطيعه ومن يعصيه حليما لا يعاجل من عصاه بل يديم احسانه اليه
في الدنيا فيجب ان يتقى لعلمه وحلمه فعلمه موجب للخوف منه وحلمه مقتض للاستحياء منه واخذ
الحليم شديد فينبغي للعبد المحب له ان يحلم عمن يعلم تقصيره في حقه فانه سبحانه يأجره على ذلك
بان يحلم عنه فيما علمه منه ويرفع قدره ويعلي ذكره وروى البخاري في التفسير عن معاذة عن عائشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد ان انزلت هذه الآية ترجي
من تشاء الآية قلت لها ما كنت تقولين قالت كنت اقول له ان كان ذلك الي فاني لا اريد يا رسول الله
ان اوثر عليك احدا + ولما امره الله تعالى بالتخيير وخيرهن واخترن الله ورسوله زاد الله تعالى
سرورهن بقوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد اي بعد من معك من هؤلاء التسع اللاتي اخترنك
شكرا من الله لهن لكونهن لما نزلت آية التخيير اخترن الله ورسوله فحرم عليه النساء سواهن
ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن بقوله تعالى ولا ان تبدل بهن اي هؤلاء التسع
واغرق في النفي بقوله تعالى من اي شيئا من ازواج اي بان تطلقهن اي هؤلاء المعينات او بعضهن
وتأخذ بدلها من غيرهن ولو اعجبك حسنهن اي النساء المغايرات لمن معك قال ابن عباس يعني
اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب فلما استشهد اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

يخطبها فنهى عن ذلك وقرأ ابو عمرو ولا تحل لك بالتاء الفوقية والباقون بالياء التحتية وشدد البزى التاء
من ان تبدل + تنبيه + فى الاية دليل على اباحة النظر الى من يريد نكاحها لكن من غير العورة فى الصلوة
فينظر الرجل من الحرة الوجه والكفين ومن الامة ما عدا ما بين السرة والركبة واحتج لذلك بقوله
صلى الله عليه وسلم للمغيرة وقد خطب امرأة انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما اى تدوم المودة
والالفة رواه الحاكم وصححه وقوله تعالى إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ استثناء من النساء لانه يتناول الازواج
والاماء اى فتحل لك وقد ملك بعدهن مارية وولدت له ابراهيم ومات واختلفوا اهل ابيح له النساء
من بعد قالت عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل الله له النساء اى فنسخ ذلك
وابيح له ان ينكح اكثر منهن بآية انا احللنا لك ازواجك فان قيل هذه الاية متقدمة وشرط الناسخ
ان يكون متأخرا اجيب بانها مؤخرة فى النزول ومقدمة فى التلاوة وهذا هو الاول وقال انس
مات على التحريم وقال عكرمة والضحاك معنى الاية لا تحل لك النساء بعد التى احللنا لك بالصفة
التى تقدم ذكرها وقيل لابى بن كعب لو مات نساء النبى صلى الله عليه وسلم اكان يحل له ان يتزوج
فقال وما يمنعه من ذلك قيل قوله تعالى لا تحل لك النساء من بعد قال انما احل الله تعالى له ضربا
من النساء فقال يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك ثم قال لا تحل لك النساء من بعد قال
ابو صالح امر ان لا يتزوج اعرابية ولا غريبة ويتزوج من نساء قومه من بنات العم والعمة والخال والخالة ان شاء
ثلثمائة وقال مجاهد معناه لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ولا ان تبدل بهن
يقول ولا ان تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى وقال ابن زيد فى قوله تعالى ولا ان تبدل بهن
من ازواج كانت العرب فى الجاهلية يتبادلون بازواجهم يقول الرجل للرجل بادلنى بامرأتك
وابادلك بامرأتى تنزل لى عن امرأتك وانزل لك عن امرأتى فانزل الله تعالى ولا ان تبدل بهن من
ازواج يعنى تبادل بازواجك غيرك بان تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته الا ما ملكت يمينك فلا بأس ان
تبادل بجاريتك من شئت فاما الحرائر فلا روى عطاء بن يسار عن ابى هريرة قال دخل عيينة بن حصن
على النبى صلى الله عليه وسلم بغير اذن ومعه عائشة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين الاستئذان
قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ ادركت ثم قال من هذه الحميراء الى جنبك فقال
هذه عائشة ام المؤمنين فقال عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال هذا احمق مطاع وانه على
ما ترين لسيد قومه + ولما امر تعالى فى هذه الايات باشياء ونهى عن اشياء وحد حدودا وحذر
من التهاون بشئ منها ولو بنوع تأويل بقوله تعالى وَكَانَ اللَّهُ اى الذى لا شئ اعظم منه وهو المحيط
بجميع صفات الكمال عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا اى حافظا عالما بكل شئ قادرا عليه فتحفظوا امركم ولا تتخطوا
ما حد لكم وهذا من اشد الاشياء وعيدا + ولما ذكر حالة النبى صلى الله عليه وسلم مع امته فى قوله
تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ذكر حالهم معه من الاحترام له صلى الله عليه وسلم بقوله

تعالى يا ايها الذين آمنوا اى ادعوا الايمان صدقوا دعواكم فيه بان لا تدخلوا بيوت النبى اى الذى
تأتيه الانباء من علام الغيوب بما فيه رفعته فى حال من الاحوال اصلا الا فى حال ان يؤذن لكم
اى ممن له الاذن فى بيوته صلى الله عليه وسلم منه او ممن ياذن له فى الدخول بالدعاء الى طعام
اى اكله حال كونكم غير ناظرين اى منتظرين اناه اى نضجه وهو مصدر انى يانى وقرأ هشام وحمزة
والكسائى بالامالة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح ولما كان هذا الدخول بالاذن
مطلقا وكان يراد تقييده قال تعالى ولكن اذا دعيتم اى ممن له الدعوة فادخلوا اى لاجل ما دعاكم
ثم تسبب عنه قوله تعالى فاذا طعمتم اى اكلتم طعاما او شربتم شرابا فانتشروا اى اذهبوا حيث شئتم
فى الحال ولا تمكثوا بعد الاكل والشرب لا مستانسين لقرار الطعام ولا مستانسين لحديث
اى طالبين الانس لاجله فائدة قال الحسن حسبك بالثقلاء ان الله لم يتجوز فى امورهم
وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت حسبك بالثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم ثم علل ذلك
بقوله تعالى مصوبا الخطاب الى جميعهم معظما له باداة البعد ان ذلكم اى الامر الشديد وهو
المكث بعد الفراغ كان يؤذى النبى اى الذى هيأناه لسماع ما ننبئه به مما يكون سبب شرفكم وعلوكم
فى الدارين فاحذروا ان تشغلوه عن شئ منه ثم تسبب عن ذلك المانع له من مواجهتهم لما يؤذيه
اذاه بقوله تعالى فيستحيى منكم اى بان يامركم بالانصراف والله اى الذى له جميع الامر
لا يستحيى من الحق اى لا يفعل فعل المستحيى فيؤديه ذلك الى ترك الامر به تنبيه قال اكثر المفسرين
نزلت هذه الآية فى شان وليمة زينب حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما روى ابن شهاب
قال اخبرنى انس بن مالك انه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
قال فكانت امهاتى تواظبنى على خدمة النبى صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفى وانا
ابن عشرين سنة فكنت اعلم الناس بشان الحجاب حين انزل وكان اول ما انزل فى بناء رسول الله
صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش اصبح النبى صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فاصابوا
من الطعام ثم خرجوا وبقى رهط منهم عند النبى صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام النبى
صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكى يخرجوا فمشى النبى صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى
جاء عتبة حجرة عائشة رضى الله تعالى عنها ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل
على زينب فاذاهم جلوس لم يخرجوا فرجع النبى صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى اذا بلغ حجرة
عائشة فظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذاهم قد خرجوا فضرب النبى صلى الله عليه وسلم
بينى وبينه الستر ونزلت آية الحجاب وقال ابو عثمان واسمه الجعد عن انس قال فدخل يعنى رسول
الله صلى الله عليه وسلم البيت وارخى الستر وانى لفى الحجرة وهو يقول يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت
النبى الا ان يؤذن لكم الى قوله تعالى والله لا يستحيى من الحق وروى عن ابن عباس انها نزلت فى ناس
من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام الى

ان يدركـ ثم ياكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتاذى بهم فنزلت الاية
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية وروى ابو يعلى الموصلي عن انس قال بعثتني ام سليم
برطب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعته بين يديه فاصاب منه ثم اخذ بيدي فخرجنا وكان
حديث عهد بعرس زينب بنت جحش قال فمر بنساء من نسائه وعندهن رجال يتحدثون فهنينه
وهناه الناس فقالوا الحمد لله اقر بعينك يا رسول الله فمضى حتى اتى عائشة فاذا عندها رجال قال فكره ذلك
وكان اذا كره الشيء عرف في وجهه قال فاتيت ام سليم فاخبرتها فقال ابو طلحة لئن كان كما قال ابنك
ليحدثن امر قال فلما كان من العشي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم تلا هذه
الاية يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا الاية وروى البخاري وغيره عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
عروسا بزينب فقالت لي ام سليم لو اهديت للنبي صلى الله عليه وسلم هدية فقلت لها افعلي فعمدت
الى تمر واقط وسمن فاتخذت حيسة في برمة وارسلت بها معي اليه فقال لي ضعها ثم امرني فقال
ادع لي رجالا سماهم وادع لي من لقيت ففعلت الذي امرني فرجعت فاذا البيت غاص باهله وفي
رواية الترمذي ان الراوي قال قلت لانس كم كانوا قال زهاء ثلثمائة فرأيت النبي صلى الله عليه
وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله تعالى ثم يدعو عشرة عشرة ياكلون منه
ويقول لهم اذكروا اسم الله تعالى وليأكل كل رجل مما يليه حتى تصدعوا كلهم عنها قال
الترمذي فقال لي يا انس ارفع فرفعت فما ادري حين وضعت كانت اكثر او حين رفعت فخرج من
من خرج وبقي قوم يتحدثون فنزلت، ولما كان البيت يطلق على المرأة الملازمة له عادة اعاد الضمير
عليه مرادا به النساء استخداما فقال تعالى وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ اي الازواج مَتَاعًا اي شيئا من الات
البيت فَسْئَلُوهُنَّ اي ذلك المتاع كائنين وكائنات مِنْ وَرَآءِ حِجَابٍ اي ستر يسترهن عنكم ويستركم
عنهن وقرأ ابن كثير والكسائي بفتح السين ولا همزة بعدها والباقون بسكون السين وهمزة مفتوحة
بعدها ذٰلِكُمْ اي الامر العالي الرتبة أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ اي من وساوس الشيطان والريب
لان العين وزيرة القلب فاذا لم تر العين لم يشته القلب فاما اذا رات العين فقد يشتهي القلب
وقد لا يشتهي فالقلب عند عدم الروية اطهر وعدم الفتنة حينئذ اظهر روى ابن شهاب
عن عروة عن عائشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن
الى المناصع وهو صعيد افيح فكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب
نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر الا قد عرفناك يا سودة حرصا على ان
ينزل الحجاب فانزل الله عز وجل الحجاب وعن انس قال قال عمر وافقت ربي في ثلاثة قلت يا رسول الله
لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فانزل الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل عليك
البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فانزل الله تعالى اية الحجاب قال وبلغني ما اذين

رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قال فدخلت عليهن فجعلت استقريهن واحدة واحدة فقلت
والله لتنتهن او ليبدلنه الله تعالى ازواجا خيرا منكن حتى اتيت على زينب فقالت يا عمر اما كان في
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن انت قال فخرجت فانزل الله تعالى عسى ربه
ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن الآية + ولما بين تعالى للمؤمنين الادب اكده بما يعلمهم
على ملاطفة نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى وَمَا كَانَ اي وما صح وما استقام لَكُمْ في حال
من الاحوال أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ فله اليكم من الاحسان ما يستوجب به منكم غاية الاكرام والاجلال
فضلا عن الكف عن الاذى فلا تؤذوه بالدخول الى شيء من بيوته بغير اذنه او المكث بعد فراغ الحاجة
ولا بغير ذلك + ولما كان قد قصر صلى الله عليه وسلم عليهن احل له غيرهن وقصرهن الله
عليه بقوله تعالى وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا اي فيما يستقبل من الزمان أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ اي فراقه بموت او
طلاق سواء ادخل بها ام لا أَبَدًا زيادة لشرفه واظهارا لمزيته ولانهن امهات المؤمنين ولانهن
ازواجه في الجنة ولان المرأة في الجنة مع آخر ازواجها كما قال ابن القشيري وروي ان هذه
الآية نزلت في رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم لانكحن عائشة قال مقاتل بن سليمان هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله تعالى ان ذلك
محرم وقال إِنَّ ذَلِكُمْ اي الايذاء بالنكاح وغيره كَانَ عِنْدَ اللَّهِ اي القادر على كل شيء عَظِيمًا اي
ذنبا عظيما فان قيل روى معمر عن الزهري ان العالية بنت ظبيان التي طلقها النبي صلى الله
عليه وسلم تزوجت رجلا وولدت له اجيب بان ذلك كان قبل تحريم ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم على الناس وقيل لا تحرم غير الموطوءة لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر
فهم برجمهما فاخبر بانه صلى الله عليه وسلم فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير فاما اماؤه صلى
الله عليه وسلم فيحرم منهن الموطوآت على غيره اكراما له بخلاف غير الموطوآت وقيل لا تحرم الموطوآت
ايضا ونزل فيمن اضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إِنْ تُبْدُوا اي بالسنتكم وغيرها
شَيْئًا اي من ذلك او غيره أَوْ تُخْفُوهُ في صدوركم فَإِنَّ اللَّهَ اي الذي له جميع صفات الكمال كَانَ
اي ازلا وابدا به هكذا كان الاصل ولكنه اتى بما يعمه وغيره فقال بِكُلِّ شَيْءٍ اي من ذلك وغيره
عَلِيمًا فهو يعلم ما اسررتم وما اعلنتم وان بالغتم في كتمه فيجازي عليه من ثواب وعقاب وفي
هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد + ولما نزلت آية الحجاب قال
الآباء والابناء والاقارب ونحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فنزل قوله تعالى لَا جُنَاحَ اي
لا اثم عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ دخولا وخلوة من غير حجاب سواء كان الاب من النسب او من الرضاع
وَلَا أَبْنَائِهِنَّ اي من البطن او الرضاعة وَلَا إِخْوَانِهِنَّ لان عارهن عارهم فلا فرق ان يكونوا
من النسب او الرضاع وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ فانهن بمنزلة اباتهم وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ فانهن بمنزلة
امهاتهم وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بابدال الهمزة الثانية ياء خالصة في الوصل وحققها

الباقون وفي الابتداء بالثانية الجميع بالتحقيق ولا نسائهن اي المسلمات القربى منهن والبعدى
بمنزلة واحدة واما الكافرات فهن بمنزلة الاجانب من الرجال لكن رجح النووي انه يجوز ان
تنظر منها ما يبدو عند المهنة ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد لانهم لما لهن عليهم من السلطان
يبعد منهم الريبة هيبة لهن مع مشقة الاحتجاب عنهم + تنبيه + قدم تعالى الاباء لان اطلاعهم على
بناتهم اكثر وكيف وهم قد رأوا جميع بدن البنات في حال صغرهن ثم الابناء ثم الاخوة وذلك ظاهر
وانما الكلام في بني الاخوة حيث قدمهم الله تعالى على بني الاخوات لان بني الاخوات اباؤهم ليسوا بمحارم
خالات بناتهم وبني الاخوات اباؤهم محارم ففي بني الاخوات مفسدة ما وهي ان الابن ربما يحكي
خالته عند ابيه وهو ليس بمحرم ولا كذلك في بني الاخوة فان قيل لم يذكر الله تعالى من المحارم
الاعمام والاخوال فلم يقل ولا اعمامهن ولا اخوالهن اجيب عن ذلك بوجهين احدهما ان ذلك
معلوم من بني الاخوة وبني الاخوات لان من علم ان بني الاخ للعمات محارم علم ان بنات الاخ
للاعمام محارم وكذلك الحال في امر الخالة وثانيهما ان الاعمام ربما يذكرون بنات الاخ عند
ابنائهم وهم غير محارم وكذلك الحال في ابن الخال وذكر مالك اليمين بعد هذا كله لان المفسدة والتكشف
لهم ظاهرة وقوله تعالى واتقين عطف على محذوف اي امتثلن ما امرتن به واتقين الله اي الذي لا شيء
اعظم منه فلا تقربن شيئا مما يكرهه وانما امرهن لان الريبة من جهة النساء اكثر لانه لا يكاد الرجل
يتعرض الا لمن ظن بها الاجابة لما يرى من مخايلها ومخايل اشكالها + ولما كان الخوف لا يعظم
الا ممن كان حاضرا مطلعا قال ان الله اي العظيم الشان كان اي ازلا وابدا على كل شيء من افعالكن
وغيرها شهيدا اي لا يغيب عنه شيء وان دق فهو مطلع عليكن حال الخلوة فلا تخفى
عليه خافية + ولما امر تعالى بالاستئذان وعدم النظر الى نسائه احتراما له كمل بيان حرمته
بقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي اي محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس اراد ان الله
تعالى يرحم النبي والملائكة يدعون له وعن ابن عباس ايضا يصلون يتبركون والصلوة من الله الرحمة و
من الملائكة الاستغفار وقال ابو العالية صلوة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوة الملائكة الدعاء
+ تنبيه + بيان كمال حرمته في ذلك ان حالاته منحصرة في حالتين حالة خلوة فذكر ما يدل على
احترامه في تلك الحالة بقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي وحالة تكون في ملأ والملأ اما الملأ الاعلى واما الملأ
الادنى اما احترامه في الملأ الاعلى فان الله وملائكته يصلون عليه واما احترامه في الملأ الادنى ف
بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اي ادعوا له بالرحمة وسلموا تسليما اي حيوه بتحية الاسلام
واظهروا شرفه بكل ما تصل قدرتكم اليه من حسن متابعته وكثرة الثناء الحسن عليه والانقياد
لامره في كل ما يامر به ومنه الصلوة والسلام عليه بالسنتكم روى عبد الرحمن بن ابي ليلى لقيني
كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك هدية سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت بلى فاهدها لي
قال قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

٤٦

كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وروى ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله
كيف نصلي عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته
كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد وروى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بي يوم القيمة
اكثرهم علي صلوة وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي واحدة صلى الله
عليه عشرا وروى عبد الله بن ابي طلحة عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه جاء ذات يوم
والبشرى ترى في وجهه فقلنا انا لنرى البشرى في وجهك فقال جاءني جبريل فقال يا محمد ان
ربك يقرئك السلام ويقول اما يرضيك ان لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم
عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا وروى عامر بن ربيعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
من صلى علي صلوة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل العبد من ذلك او ليكثر وروى انس ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلوة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر
خطيئات ورفعت له عشر درجات وروى عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام + تنبيه + دلت الآية على وجوب الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم لان الامر للوجوب قالوا وقد اجمع العلماء انها لا تجب في غير الصلوة
فتعين وجوبها فيها والمناسب لها من الصلوة التشهد الاخير فتجب في التشهد آخر الصلوة اي بعده
وهو مذهب الشافعي واحدى الروايتين عن احمد فالقائل بوجوبها في المرة لا في غيرها محجوج
باجماع من قبله وبحديث كيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم الى آخره وقيل تجب كلما ذكر واختاره الطحاوي من الحنفية
والحليمي من الشافعية لقول جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم رقى المنبر فلما رقي الدرجة الاولى قال آمين
ثم رقي الثانية فقال آمين ثم رقي الثالثة فقال آمين فقالوا يا رسول الله سمعناك تقول آمين ثلاث
مرات فقال لما رقيت الدرجة الاولى جاءني جبريل فقال شقي عبد ادرك رمضان فانسلخ منه ولم يغفر
له فقلت آمين ثم قال شقي عبد ادرك والديه او احدهما فلم يدخلاه الجنة فقلت آمين ثم قال شقي عبد
ذكرت عنده ولم يصل عليك فقلت آمين وفي رواية رقي المنبر فقال آمين آمين آمين قيل يا رسول الله
ما كنت تصنع هذا فقال قال لي جبريل رغم انف رجل ادرك والديه او احدهما لم يدخلاه الجنة فقلت
آمين ثم قال رغم انف عبد دخل عليه رمضان لم يغفر له فقلت آمين ثم قال رغم انف امرئ ذكرت عنده
لم يصل عليك فقلت آمين وكذلك قوله وسلموا امر فيجب السلام ولم يجب في غير الصلوة فيجب فيها وهو
قولنا في التشهد سلام عليك ايها النبي الخ وذكر في السلام المصدر للتاكيد ولم يذكره في الصلوة لانها كانت
مؤكدة بقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي واقل الصلوة عليه اللهم صل على محمد واكملها اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد

كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وال ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما + فائدة
كل الانبياء من بعد ابراهيم عليه السلام من ولد اسحق الا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه من نسل
اسمعيل ولم يكن من نسله نبي غيره وخص ابراهيم عليه السلام بالذكر لان الرحمة والبركة لم يجتمعا لنبي
غيره فقال الله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت فان قيل اذا صلى الله وملائكته عليه فاي حاجة
به الى صلاتنا اجيب بان الصلوة عليه ليست لحاجة اليها والا فلا حاجة الى صلوة الملائكة مع صلوة الله
تعالى عليه وانما هو اظهاره وتعظيمه منا شفقة علينا ليثيبنا عليه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا وفي رواية اخرى وملائكته سبعين ويجوز الصلوة على غيره تبعا
له وتكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال لمحمد عز وجل وان
كان عزيزا جليلا + ولما امر الله تعالى باحترام نبيه محمد صلى الله عليه وسلم نهى عن ايذاء نفسه وايذاء
رسوله بقوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّٰهَ اي الذي لا اعظم منه ولا نعمة عندهم الا من فضله
وَرَسُولَهُ اي الذي استحق عليهم بما يخبرهم به عن الله تعالى ما لا يقدرون على القيام بشكره
لَعَنَهُمُ اللّٰهُ اي ابعدهم وابغضهم فِي الدُّنْيَا بالحمل على ما يوجب السخط وَالْاٰخِرَةِ بادخال دار الاهانة كما
قال تعالى وَاَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِيْنًا اي ذا اهانة وهو النار ومعنى يؤذون الله يقولون فيه ما صورته اذى
وان كان تعالى لا يلحقه ضرر ذلك حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الانداد ونسبة الولد
والزوجة اليه قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله
وقالوا يد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن اغنياء واما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة
واما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه
اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ
الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وعن ابي هريرة ايضا عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال قال الله تعالى يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار
معنى الحديث انه كان من عادة العرب في الجاهلية ان يسبوا الدهر ويذموه عند النوازل لاعتقادهم
ان الذي يصيبهم من افعال الدهر فقال تعالى انا الدهر اي انا الذي احل بهم النوازل وانا فاعل
لذلك الذي تنسبونه للدهر في زعمكم وقيل معنى يؤذون الله يلحدون في اسمائه وصفاته وقيل هم
اصحاب التصاوير وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز
وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبة او شعيرة ويحتمل ان يكون ذلك على
حذف مضاف اي اولياء الله كقوله تعالى واسأل القرية قال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من عادى لي
وليا فقد اذنته بالحرب قال من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة امر الله

[illegible] وجل منزه عن ان يلحقه اذى من

احد وقال بعضهم اتى بالجلالة تعظيما والمراد يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى انما يبايعون الله واما ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس انه شج فى وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر مجنون + ولما كان من اعظم اذاه اذى من تابعه وكان الاتباع لكونهم غير معصومين بتصور ان يؤذوا على الحق قال تعالى مقيدا للكلام وَالَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنٰتِ اى الراسخين فى صفة الايمان بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوْا اى بغير شئ واقعوه متعمدين له حتى اباح اذاهم فَقَدِ احْتَمَلُوْا اى كلفوا انفسهم ان حملوا بُهْتَانًا اى كذبا وفجورا زائدا على الحد موجبا للجزاء فى الدنيا والاخرة وَّاِثْمًا مُّبِيْنًا اى ذنبا ظاهرا جدا موجبا للعقاب فى الاخرة + تنبيه + اختلفوا فى سبب نزول هذه الاية فقال مقاتل نزلت فى على بن ابى طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقال نزلت فى شان عائشة وقال الضحاك والكلبى نزلت فى الزناة الذين كانوا يمشون فى طريق المدينة يبتغون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيغمزون المرأة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زى الكل كان واحدا يخرجن فى درع وخمار الحرة والامة فشكوا ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الاية ثم نهى الحرائر ان يتشبهن بالاماء بقوله تعالى يٰاَيُّهَا النَّبِيُّ ذكره بالوصف الذى هو منبع المعرفة والحكمة قُلْ لِّاَزْوَاجِكَ بدأ بهن لما لهن به من الوصلة بالنكاح وَبَنٰتِكَ ثنى بهن لما لهن من الوصلة ولهن فى القسمين من الشرف واخرهن عن الازواج لان ازواجه يكفونه امرهن وَنِسَآءِ الْمُؤْمِنِيْنَ يُدْنِيْنَ اى يقربن عَلَيْهِنَّ اى على وجوههن وجميع ابدانهن فلا يدعن شيئا منها مكشوفا مِنْ جَلَابِيْبِهِنَّ ولا يتشبهن بالاماء فى لباسهن اذا خرجن لحاجتهن بكشف الشعور ونحوها ظنا ان ذلك اخفى لهن واستر والجلباب القميص وثوب واسع دون الملحفة تلبسه المرأة والملحفة ما ستر اللباس والخمار وهو كل ما غطى الرأس وقال البغوى الجلباب الملاءة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقال حمزة الكرمانى قال الخليل كل ما يستتر به من دثار وشعار وكساء فهو جلباب والكل تصح ارادته هنا فان كان المراد القميص فادناؤه اسباغه حتى يغطى بدنها ورجليها وان كان ما يغطى الرأس فادناؤه ستر وجهها وعنقها وان كان المراد ما يغطى الثياب فادناؤه تطويله وتوسيعه بحيث يستر جميع بدنها وثيابها وان كان المراد ما دون الملحفة فالمراد ستر الوجه واليدين قال ابن عباس وعبيدة امر نساء المؤمنين ان يغطين رؤسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن حرائر + ولما امر تعالى بذلك علله بقوله تعالى ذٰلِكَ اى الستر اَدْنٰٓى اى اقرب من تركه فى اَنْ يُّعْرَفْنَ انهن حرائر بما يميزهن عن الاماء فَلَا اى فتسبب عن معرفتهن ان لا يُؤْذَيْنَ ممن يتعرض للاماء فلا يشتغل قلبك عن تلقى ما يرد عليك من الانباء الالهية قال ابن عادل ويمكن ان يقال المراد يعرفن انهن لا يزنين لان من تستر وجهها مع انه ليس بعورة اى فى الصلوة لا يطمع فيها انها

تكشف عورتها فيفرض انهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن انتهى + ولما نهاهن تعالى لهذا
الامر خفف عاقبة ما كان فيه من التشبيه بالاماء فاخبرهن تعالى بوسع كرمه وجوده بقوله تعالى
وَكَانَ اللّٰهُ اى الذى له الكمال المطلق ازلا وابدا غَفُوْرًا اى لما سلف منهن من ترك الستر فهو محاه
لان توبة عينا واثرا رَّحِيْمًا بهن اذ سترهن ومن يمتثل اوامره ويجتنب نواهيه قال البغوى قال
انس مرت بعمر جارية مقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع اتتشبهين بالحرائر القى القناع ويظهر
ان عمر انما فعل ذلك خوفا من ان تلتبس الاماء بالحرائر فلا يعرف الحرائر فيعود الامر كما كان + ولما
كان المأذون بما مضى وغيره اهل النفاق ومن داناهم حذرهم بقوله تعالى مؤكدا دفعا لظنهم دوام
الحلم عليهم لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ عن الاذى الْمُنٰفِقُوْنَ اى الذين يبطنون الكفر ويظهرون الاسلام وَالَّذِيْنَ
فِىْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ اى غل مقرب من النفاق حامل على المعاصى وَالْمُرْجِفُوْنَ فِى الْمَدِيْنَةِ المؤمنين
اى بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذيعون فى الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد اتاكم العدو ونحو ذلك واصل الرجفة
التحريك من الرجفة وهى الزلزلة سمى به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ
اى لنسلطنك عليهم بالقتل والجلاء او بما يضطرهم الى طلب الجلاء وقوله تعالى ثُمَّ لَا يُجَاوِرُوْنَكَ
اى يساكنونك فِيْهَآ اى المدينة عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعظم ما يصيبهم اِلَّا قَلِيْلًا اى زمانا او جوارا قليلا ثم يخرجون منها وقيل نسلطك
عليهم حتى تقتلهم وتخلى منهم المدينة وقوله تعالى مَّلْعُوْنِيْنَ اى مبعدين عن الرحمة حال من فاعل
يجاورونك قاله ابن عطية والزمخشرى وابو البقاء اَيْنَمَا ثُقِفُوْٓا اى وجدوا اُخِذُوْا وَقُتِّلُوْا
ثم اكده بالمصدر بتضعيفه دارها بانهم بقوله تعالى تَقْتِيْلًا اى الحكم فيهم هذا على وجه الامر به
وقوله تعالى سُنَّةَ اللّٰهِ اى المحيط بجميع العظمة مصدر مؤكد اى سن الله ذلك فِى الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ
اى فى الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا فى وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا
وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّٰهِ اى طريقة الملك الاعظم تَبْدِيْلًا اى ليست هذه السنة مثل الحكم الذى
يتبدل وينسخ فان النسخ يكون فى الاقوال اما الافعال اذا وقعت والاخبار فلا تنسخ + ولما بين
تعالى حالهم فى الدنيا انهم ملعونون ومهانون ويقتلون اراد ان يبين حالهم فى الآخرة
فذكرهم بالقيامة وذكر ما يكون لهم فيها بقوله يَسْئَلُكَ يا اشرف الخلق النَّاسُ اى المشركون
استهزاء منهم وتعنتا وامتحانا عَنِ السَّاعَةِ اى متى تكون فى اى وقت قُلْ اى لهم فى جوابهم
اِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللّٰهِ الذى احاط علمه بجميع الاشياء وَمَا يُدْرِيْكَ اى اى شىء يعلمك من الساعة
ومتى يكون قيامها انت لا تعرفه لَعَلَّ السَّاعَةَ اى التى لا ساعة فى الحقيقة غيرها لما لها من العجائب
تَكُوْنُ اى توجد وتحدث على وجه مهول عجيب قَرِيْبًا اى فى زمن قريب قال البقاعى ويجوز
ان يكون التذكير لاجل الوقت لان السؤال عنها انما هو عن تعيين وقتها قال البخارى

في الصحيح اذا وصفت صفة المؤنث قلت قريبة واذا جعلته ظرفا او بدلا ولم ترد الصفة نزعت الهاء
من المؤنث وكذلك لفظها في الاثنين والجمع للذكر والانثى + ثم استأنف الاخبار بحال السائلين عنها
بقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ اي الملك الاعلى لَعَنَ اي ابعد ابعادا عظيما من رحمته الْكَافِرِينَ اي الساترين
لما من شأنه ان يظهر مما دلت عليه العقول السليمة من امرها وَأَعَدَّ اي اوجد وهيأ لَهُمْ من الآن
سَعِيرًا اي نارا شديدة الاضطرام والتوقد لتكذيبهم بها وبغيرها مما اوضح لهم ادلته خَالِدِينَ
اي مقدرا خلودهم فِيهَا اي السعير واعاد عليها الضمير مؤنثا لانها مؤنثة او لانه في معنى جهنم
وقوله تعالى أَبَدًا بيان لارادة الحقيقة لئلا يتوهم بالخلود المكث الطويل لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا
اي يتولى امرا مما يصيبهم بشفاعة او غيرها وَلَا نَصِيرًا ينصرهم وقوله تعالى يَوْمَ معمول لخالدين
اي مقدرا خلودهم فيها على تلك الحال يوم تُقَلَّبُ اي تقلبا كثيرا وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ
اي ظهرا لبطن كاللحم يشوى بالنار حالة كونهم يَقُولُونَ وهم في محل الجزاء وقد
فات المحل القابل للعمل متمنين بقولهم يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اي في الدنيا اللَّهَ اي الذي لا امر لاحد
معه لما لا يدركون تلافيه لانهم لا يجدون ما يشتد انه يبرد غلتهم من ولي ولا نصير ولا غيرهما
سوى هذا التمني + ولما كان المقام للمبالغة في الاذعان والخضوع اعادوا العامل بقولهم وَأَطَعْنَا
الرَّسُولَا اي الذي بلغنا عنه حتى لا نبتلى بهذا العذاب + تنبيه + تقدم الكلام على القراءة
في الرسولا والسبيلا اول السورة عند الظنونا وَقَالُوا اي الاتباع منهم لما لم ينفعهم شيء متبرئين
بالدعاء على من اضلهم بما لا يبرئ عليلا ولا يشفي غليلا رَبَّنَا اي ايها المحسن الينا واسقطوا اداة
النداء على عادة اهل الخصوص بالحضور زيادة في التوثيق باظهار انه لا واسطة لهم الا ذلهم
وانكسارهم إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر بالف
بعد الدال وكسر التاء على جمع الجمع للدلالة على الكثرة والباقون بغير الف بعد الدال وفتح التاء
على انه جمع تكسير غير مجموع بالف وتاء فَأَضَلُّونَا اي فتسبب عن ذلك انهم اضلونا بما كان لهم
من نفوذ الكلمة السَّبِيلَا اي طريق الهدى فاحالوا ذلك على غيرهم كما هي عادة المخطئ من الاحالة
على غيره مما لا ينفعه ثم كأنه قيل فما تريدون لهم فقالوا مبالغين في الرقة للاستعطاف باعادة الرب
رَبَّنَا اي المحسن الينا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ اي مثلي عذابنا لانهم ضلوا واضلوا وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا
اي اطردهم عن محال الرحمة طردا متناهيا وقرأ عاصم بالباء الموحدة اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه
والباقون بالثاء المثلثة اي كثير العدد ولما بين تعالى ان من يؤذي الله ورسوله يلعن ويعذب
ارشد المؤمنين الى الامتناع من الايذاء بقوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اي صدقوا بما يتلى عليهم
لَا تَكُونُوا بايذائكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بامر زينب وغيره كونا هو كالطبع لكم كَالَّذِينَ
آذَوْا مُوسَى من قومه بني اسرائيل اذوه بانواع الاذى كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم حين قسم
قسما فتكلم فيه بعضهم فقال لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر واختلفوا فيما اوذي به موسى

فروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لايرى من
جلده شئ استحياء منه فاذاه من اذاه من بنى اسرائيل فقالوا ما تستر هذا الستر الا من عيب بجلده
اما برص واما ادرة واما آفة وان الله تعالى اراد ان يبرئه مما قالوا كما قال تعالى فَبَرَّأَهُ اى فتسبب عن
اذاهم ان برأه اللّٰهُ الذى له صفات الجلال والكمال مِمَّا قَالُوا فخلا يوما وحده ليغتسل فوضع ثيابه
على حجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه لياخذها ففر الحجر بثوبه فجمع موسى عليه السلام واخذ عصاه
وطلب الحجر فجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى الى ملأ من بنى اسرائيل فرأوه عريانا احسن
ما خلق الله وابرأه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه واستتر به وطفق بالحجر يضربه بعصاه فوالله ان
بالحجر لندبا من اثر ضربه ثلاثا او اربعا او خمسا والادرة عظم الخصية لنفخة فيها وقوله فجمح اى اسرع
وقوله ندبا هو بفتح النون والدال واصله اثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به الضرب بالحجر وقال
قوم ايذاؤهم اياه انه لما مات هرون فى التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله الملائكة عليهم السلام
حتى مروا به على بنى اسرائيل فعرفوا انه لم يقتله فبراه الله مما قالوا وقال ابو العالية هو ان قارون
استاجر مومسة اى زانية لتقذف موسى بنفسها على رأس الملا فعصمها الله تعالى وبرأ موسى من
ذلك وكان ذلك سبب الخسف بقارون ومن معه وقال عبد الله بن مسعود لما كان يوم حنين
اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا فى القسمة فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى فلانا
كذا الناس من العرب اثرهم فى القسمة فقال رجل هذه قسمة والله ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله فقلت
والله لاخبرن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فاخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال
فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال يرحم الله موسى قد اوذى باكثر من هذا فصبر والصرف بكسر
الصاد صبغ احمر يصبغ به الاديم ولما كان قصدهم بهذا الاذى اسقاطه وجاهته قال تعالى وَكَانَ اى
موسى عليه السلام كونا راسخا عِنْدَ اللّٰهِ اى الذى لا يذل من والاه وَجِيْهًا اى معظما رفيع القدر
ذا وجاهة يقال وجه الرجل يوجه فهو وجيه اذا كان ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان عظيما عند الله
تعالى لا يسأله شيئا الا اعطاه وقال الحسن كان مجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا ولما نهاهم
عن الاذى امرهم بالنفع ليصيروا ذوى وجاهة عنده مكررا النداء استعطافا واظهارا للاهتمام
بقوله تعالى يٰاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اى ادعوا ذلك اتَّقُوا اللّٰهَ اى صدقوا دعواكم بمخافة من له
جميع العظمة فاجعلوا لكم وقاية من سخطه بان تبذلوا له جميع ما اودعكم من الامانة
وَقُوْلُوْا فى حق النبى صلى الله عليه وسلم فى امر زينب وغيرها وفى حق بناته ونسائه وفى
حق المؤمنين ونسائهم وغير ذلك قَوْلًا سَدِيْدًا قال ابن عباس صوابا وقال قتادة عدلا
وقال الحسن صدقا وقال عكرمة هو قول لا اله الا الله وقيل مستقيما يُصْلِحْ لَكُمْ اَعْمَالَكُمْ قال ابن عباس
يتقبل حسناتكم وقال مقاتل يزكى اعمالكم وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ اى يمحها عينا واثرا
فلا يعاقبكم عليها ولا يعاتبكم وَمَنْ يُّطِعِ اللّٰهَ اى الذى لا اعظم منه وَرَسُوْلَهُ

اى الذى عظمته من عظمته فى الاوامر والنواهى فَقَدْ فَازَ واكد ذلك بقوله تعالى فَوْزًا عَظِيمًا
اى ظفر بجميع مراداته يعيش فى الدنيا حميدا وفى الآخرة سعيدا ٭ ولما ارشد الله تعالى
المؤمنين الى مكارم الاخلاق وادب النبى صلى الله عليه وسلم باحسن الآداب بين ان التكليف
الذى وجهه الله تعالى الى الانسان امر عظيم بقوله تعالى إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ واختلف فى هذه الامانة
المعروضة فقال ابن عباس اراد بالامانة الطاعة من الفرائض التى فرضها الله تعالى على عباده
عرضها عَلَى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ على انهم ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم وقال
ابن مسعود الامانة اداء الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء
الدين والعدل فى المكيال والميزان واشد من هذا كله الودائع وقال مجاهد الامانة الفرائض
وحدود الدين وقال ابو العالية ما امر وا به ونهوا عنه وقال زيد بن اسلم هو الصوم والغسل
من الجنابة وما يخفى من الشرائع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله تعالى
من الانسان فرجه وقال هذه امانتى استودعتكها فالفرج امانة والعين امانة واليد امانة والرجل
امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وقال بعضهم هى امانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن ان
لا يغش مؤمنا ولا معاهدا فى شئ قليل ولا كثير وهى رواية الضحاك عن ابن عباس وجماعة من التابعين
واكثر السلف ان الله تعالى عرض هذه الامانة على السموات والارض والجبال فقال لهن اتحملن هذه الامانة
بما فيها قلن وما فيها فقال ان احسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن فَأَبَيْنَ على عظم اجرامها
وقوة اركانها وسعة ارجائها أَنْ يَحْمِلْنَهَا اى قلن لا يا رب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا
عقابا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا اى وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لله تعالى ان لا يقوموا بها لا معصية
ومخالفة وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها فالجمادات كلها خاضعة
لله عز وجل مطيعة ساجدة له كما قال تعالى للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طائعين وقال فى الحجارة وان منها لما يهبط من خشية الله وقال تعالى الم تر ان الله يسجد له من فى السموات
ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال الآية وقال بعض اهل العلم ركب الله فيهن العقل والفهم
حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن الخطاب واجبن بما اجبن وقال بعضهم المراد بالعرض
على السموات والارض هو العرض على اهل السموات والارض عرضها على من فيهما من الملائكة
كقوله تعالى واسأل القرية اى اهلها وقيل المراد المقابلة اى قابلنا الامانة مع السموات والارض
والجبال فرجحت الامانة قال البغوى والاول اصح وهو قول اكثر العلماء ٭ تنبيه ٭ قوله تعالى فابين
اتى بضمير هذه كضمير الاناث لان جمع تكسير غير العاقل يجوز فيه ذلك وانما ذكر ذلك لئلا يتوهم
انه قد غلب المؤنث وهو السموات على المذكر وهو الجبال فان قيل ما الفرق بين ابائهن واباء ابليس
فى قوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين اجيب بان الاباء هناك كان استكبارا لان السجود كان فرضا
وههنا استصغار لان الامانة كانت عرضا وانما امتنعن خوفا كما قال تعالى واشفقن منها اى خفن

من الامانة لا يؤدّينها فيلحقهنّ العقاب وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ اى ادم قال الله تعالى لادم انى عرضت
الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل انت اخذها بما فيها قال يا رب وما فيها
قال ان احسنت جوزيت وان اسأت عوقبت فتحملها ادم عليه السّلام وقال بين اذنى وعاتقى
فقال الله تعالى اما اذ تحملت فسأعينك اجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى ما لا يحل فارخ
عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلقا فاذا خشيت فاغلق واجعل لفرجك سترا فاذا خشيت فلا تكشفه
على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين ان تحملها وبين ان اخرج من الجنة الا قدر ما بين الظهر
والعصر وحكى النقاش باسناده عن ابن مسعود انه قال مثلت الامانة بصخرة ملقاة ودعيت السموات
والارض والجبال اليها فلم يقربوا منها وقالوا لا نطيق حملها وجاء ادم عليه السّلام من غير ان يدعى
وحرّك الصخرة وقال لو امرت بحملها لحملتها فقلن احمل فحملها الى ركبتيه ثم وضعها
وقال والله اردت ان ازداد لازددت فقلن له احمل فحملها الى حقويه وقال والله لو اردت
ان ازداد لازددت فقلن له احمل فحملها حتى وضعها على عاتقه فاراد ان يضعها فقال له الله تعالى
مكانك فانها فى عنقك وعنق ذرّيتك الى يوم القيمة إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا قال ابن عباس ظلوما
لنفسه جهولا بامر الله تعالى وما احتمل من الامانة وقال الكلبى ظلوما حين عصى ربه جهولا لا يدرى
ما العقاب فى ترك الامانة وقال مقاتل ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة ما تحمل وذكر الزجاج وغيره من
اهل المعانى فى قوله تعالى وحملها الانسان قولا آخر فقالوا ان الله تعالى ائتمن ادم واولاده على
شئ وائتمن السموات والارض والجبال على شئ فالامانة فى حق بنى ادم ما ذكرنا من الطاعة والقيام
بالفرائض والامانة فى حق السموات والارض والجبال هى الخضوع والطاعة لما خلقن له وقوله تعالى
فابين ان يحملنها اى ابين الامانة يقال فلان حمل الامانة اى اثم فيها بالخيانة قال تعالى وليحملن
اثقالهم انه كان ظلوما جهولا حكى عن الحسن على هذا التاويل انه قال وحملها الانسان يعنى الكافر
والمنافق حملا الامانة اى خانا فيها والاول قول السلف وهو الاولى وقيل المراد بالامانة العقل
والتكليف وبعرضها عليهنّ اعتبارها بالاضافة الى استعدادهنّ وباباءهنّ الاباء الطبيعى الذى
هو عدم اللياقة والاستعداد وتحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب
عليه من القوّة الغضبيّة والشهويّة وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل
ان يكون مهيمنا على القوّتين حافظا لهما عن التعدّى ومجاوزة الحدّ ومعظم مقصود التكليف
تعديلهما وكسر سورتهما وعن ابى هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث
القوم فجاء اعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع
ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السائل عن الساعة قال ها انا يا رسول
الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادّ الامانة
الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وعن ابى سعيد الخدرىّ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان من اعظم الامانة عند الله يوم القيمة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر سرها وقوله
تعالى لِيُعَذِّبَ اللّٰهُ اى الملك الاعظم متعلق بعرضنا المترتب عليه حمل الانسان الْمُنٰفِقِيْنَ وَالْمُنٰفِقٰتِ وَ
الْمُشْرِكِيْنَ وَالْمُشْرِكٰتِ اى المضيعين الامانة + تنبيه + لم يعد اسمه تعالى فلم يقل ويعذب الله المشركين
واعاده فى قوله تعالى وَيَتُوْبَ اللّٰهُ اى بماله من العظمة عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنٰتِ اى المؤدين للامانة
ولو قال تعالى ويتوب على المؤمنين والمؤمنات كان المعنى حاصلا ولكنه اراد تفضيل المؤمن على
المنافق فجعله كالكلام المستأنف + ولما ذكر تعالى فى الانسان وصفين الظلوم والجهول ذكر تعالى
من اوصافه وصفين بقوله تعالى وَكَانَ اللّٰهُ اى على ماله من الكبرياء والعظمة غَفُوْرًا
للمؤمنين حيث عفا عن فرطاتهم رَّحِيْمًا بهم حيث اثابهم بالعفو على طاعتهم مكرما لهم
بانواع الكرم وما رواه البيضاوى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الاحزاب
وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطى الامان من عذاب القبر حديث موضوع رواه الثعلبى

سورة سبا مكية

الا ويرى الذين اوتوا العلم الاية وهى اربعة او خمس وخمسون اية وثمانمائة وثلاث وثمانون
كلمة واربعة الاف وخمسمائة واثنا عشر حرفا بِسْمِ اللّٰهِ اى الذى من شمول قدرته اقامة الحساب
الرَّحْمٰنِ اى الذى من عموم رحمته ترتيب الثواب والعقاب الرَّحِيْمِ اى الذى يمن على اهل
كرامته بطاعته حتى لا عقاب يلحقهم ولا عتاب + ولما ختم السورة التى قبل هذه بصفتى المغفرة
والرحمة بدأ هذه بقوله اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اى ذى الجلال والجمال على هذه النعم + فائدة + السور
المفتتحة بالحمد خمس سورتان فى النصف الاول وهو الانعام والكهف وسورتان فى النصف
الاخير وهما هذه السورة وسورة الملائكة والخامسة هى فاتحة الكتاب تقرأ مع النصف الاول
ومع النصف الثانى الاخير والحكمة فيها ان نعم الله مع كثرتها وعدم قدرتنا على احصائها منحصرة فى
قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقاء فان الله تعالى خلقنا اولا برحمته وخلق لنا ما نقوم به وهذه النعمة
توجد مرة اخرى بالاعادة فانه يخلقنا مرة اخرى ويخلق لنا ما ندوم به فلنا حالتان الابتداء والاعادة وفى كل حالة
له تعالى نعمتان نعمة الايجاد ونعمة الابقاء فقال فى النصف الاول الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل
الظلمات والنور اشارة الى الشكر على نعمة الايجاد ويدل عليه قوله تعالى هو الذى خلقكم من
طين فاشار الى الايجاد الاول وقال فى السورة الثانية الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل
له عوجا قيما فاشار الى الشكر على نعمة الابقاء فان الشرائع بها البقاء ولولا شرع تنقاد له الخلق لاتبع
كل واحد هواه ووقعت المنازعات وادت الى التقاتل والنفاق وقال ههنا الحمد لله الَّذِىْ لَهٗ مَا
فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ ملكا وخلقا اشارة الى نعمة الايجاد الثانى بدليل قوله تعالى وَلَهُ اى وحده
الْحَمْدُ اى الاحاطة بالكمال فِى الْاٰخِرَةِ اى ظاهرا لكل من يجمعه الحشر وله كل ما فيهما لا يدعى

احد ذلك فى شئ منه ظاهرا و لا باطنا وقال فى سورة الملائكة الحمد لله فاطر السموات و الارض
اشارة الى نعمة الابقاء بدليل قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اى يوم القيمة يرسلهم الله تعالى مسلمين
على المسلمين كما قال تعالى وتتلقاهم الملائكة وقال تعالى عنهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين فالفاتحة
الكتاب لما اشتملت على ذكر نعمتين اشار بقوله تعالى الحمد لله رب العالمين الى النعمة العاجلة و اشار بقوله تعالى
مالك يوم الدين الى النعمة الآجلة فرتب الافتتاح والاختتام عليها فان قيل قد ذكرتم ان الحمد هنا
اشارة الى النعم التى فى الآخرة فلم ذكر الله تعالى السموات والارض اجيب بان نعم الآخرة غير
مرئية فذكر الله تعالى النعم المرئية وهى ما فى السموات وما فى الارض ثم قال وله الحمد فى الآخرة
ليقابل نعم الآخرة بنعم الدنيا ويعلم فضلها بدوامها وقيل الحمد فى الآخرة هو حمد
اهل الجنة كما قال تعالى وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن والحمد لله الذى صدقنا
وعده وتقدم الكلام على الحمد لغة واصطلاحا والشكر كذلك فى اول الفاتحة فتح الله علينا بكل
خير وفعل ذلك باحبابنا ولما تقررت الحكمة لا تتم الا بايجاد الآخرة قال تعالى وَهُوَ الْحَكِيمُ
اى الذى بلغت حكمته النهاية التى لا مزيد عليها والحكمة هى العلم بالامور على وجه الصواب
متصلا بالعمل على وفقه الْخَبِيرُ اى البليغ الخبر وهو العلم بظواهر الامور وبواطنها حالا ومآلا ثم بين
كمال خبره بقوله تعالى يَعْلَمُ مَا يَلِجُ اى يدخل فِي الْأَرْضِ اى هذا الجنس من المياه والاموال والاموات
وغيرها وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا من المياه والمعادن والنبات وغيرها وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ اى من هذا
الجنس من قرآن وملائكة وماء وحرارة وبرودة وغير ذلك وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا من الكلام الطيب قال
تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والملائكة والاعمال الصالحة قال تعالى والعمل الصالح يرفعه + تنبيه + قدم
ما يلج فى الارض على ما ينزل من السماء لان الحبة تبذر اولا ثم تسقى ثانيا وقال تعالى ما يعرج فيها
ولم يقل ما يعرج اليها اشارة الى قبول الاعمال الصالحة لان الكلمة الى للغاية فلو قال وما يعرج اليها
لفهم الوقوف عند السموات فقال وما يعرج فيها ليفهم نفوذه فيها وصعوده و مكثه فيها ولهذا
قال فى الكلم الطيب اليه يصعد الكلم الطيب لان الله تعالى هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول اليه وَهُوَ
اى والحال انه وحده مع كثرة نعمه المقيمة للابدان الرَّحِيمُ اى المنعم بانزال الكتب وارسال
الرسل لاقامة الاديان وغير ذلك الْغَفُورُ اى المحاء للذنوب للمفرطين فى شكر نعمته مع كثرتها
او فى الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر + تنبيه + قدم تعالى صفة الرحمة
على صفة الغفور ليعلم ان رحمته سبقت غضبه + ثم بين تعالى ان هذه النعمة التى يستحق الله
تعالى بها الحمد وهى نعمة الآخرة انكرها قوم فقال وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا اى ستروا ما دلتهم
عليه عقولهم من براهينها الظاهرة لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ اى انكروا مجيئها او استبطاؤا استهزاء
بالوعد به وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قُلْ اى لهم بَلَى رد لكلامهم واثبات لما نفوه
... المجىء ... بما حصل به معكم و بما خصنى من تنبئ وارسالى اليكم الى غيرذلك من امور

لا يجليها الا هو لتأتينكم اى الساعة لتظهر فيها ظهورا تاما الحكمة بالعدل والفضل وغير ذلك
من عجائب الحكم والفضل وقوله تعالى عالم الغيب قرأ نافع وابن عامر برفع الميم على هو عالم الغيب
او مبتدأ وخبره ما بعده وابن كثير وابو عمرو وعاصم بجره نعتا لربى وقرأ حمزة والكسائى بعد
العين بلام الف مشددة وخفض الميم لا يعزب اى لا يغيب عنه مثقال اى وزن ذرة اى من
ذات ولا معنى والذرة النملة الحمراء الصغيرة جدا صارت مثلا فى اقل القليل فهى كناية عنه
وقرأ الكسائى بكسر الزاى والباقون بضمها وقوله تعالى فى السموات ولا فى الارض
فيه لطيفة وهى ان الانسان له جسم وروح فالاجسام اجزاؤها فى الارض والارواح فى السماء
فقوله تعالى فى السموات اشارة الى علمه بالارواح وما فيها من الملائكة وغيرهم وقوله تعالى ولا
فى الارض اشارة الى علمه بالاجسام وما فى الارض من غيرها فاذا علم الارواح والاجسام قدر
على جمعها فلا استبعاد فى الاعادة وقوله تعالى ولا اصغر اى ولا يكون شئ اصغر من ذلك اى
المثقال ولا اكبر اى منه الا فى كتاب مبين اى بين هو اللوح المحفوظ جملة مؤكدة لنفى العزوب
فان قيل فاى حاجة الى ذكر الاكبر فان من علم الاصغر من الذرة لا بد وان يعلم
الاكبر اجيب بانه تعالى اراد بيان اثبات الامور فى الكتاب فلو اقتصر على الاصغر لتوهم
متوهم انه يثبت الصغار لكونها محل النسيان واما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته فقال
الاثبات فى الكتاب ليس كذلك فان الاكبر ايضا مكتوب ثم بين علة ذلك كله بقوله ليجزى
الذين آمنوا وعملوا اى تصديقا لايمانهم الصالحات اى وانه ما خلق الاكوان الا لاجل الانسان
فلا يدعه بغير جزاء ثم بين جزاءهم بقوله تعالى اولئك اى العالو الرتبة لهم مغفرة اى لزلاتهم
وهفواتهم لان الانسان المبنى على النقصان لا يقدر ان يقدر العظيم السلطان حق قدره ورزق
كريم اى جليل عظيم دائم لذيذ نافع شهى لا كدر فيه وهو رزق الجنة تنبيه ذكر تعالى فى الذين
آمنوا وعملوا الصالحات امرين الايمان والعمل الصالح وذكر لهم امرين المغفرة والرزق الكريم
فالمغفرة جزاء الايمان فكل مؤمن مغفور له لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا اله الا الله ومن فى قلبه وزن ذرة من
ايمان والرزق الكريم على العمل الصالح وهذا مناسب فان من عمل لسيد كريم عملا فعند فراغه لا بد
وان ينعم عليه وقوله تعالى كريم بمعنى ذى كرم او مكرم او لانه يأتى من غير طلب بخلاف رزق الدنيا
فانه ان لم يطلبه ويتسبب فيه لا يأتى غالبا فان قيل ما الحكمة فى تمييز الرزق بانه كريم ولم يصف المغفرة
اجيب بان المغفرة واحدة وهى للمؤمنين واما الرزق فمنه شجرة الزقوم والحميم ومنه الفواكه والشراب
الطهور فميز الرزق لحصول الانقسام فيه ولم يميز المغفرة لعدم الانقسام فيها ولما بين تعالى حال
المؤمنين يوم القيامة بين حال الكافرين فى ذلك اليوم بقوله سبحانه والذين سعوا اى فعلوا فعل
الساعى فى آياتنا اى القرآن بالابطال وتزهيد الناس فيها وقوله تعالى معاجزين قرأ ابن كثير وابو عمرو

بغير الف بعد العين وتشديد الجيم اى مبطئين عن الايمان من اراده والباقون بالف بعد العين
وتخفيف الجيم وكذا فى اخر السورة اى مسابقين كى يفوتونا أُولٰئِكَ المقيدون عن ان يبلغوا مرادنا
بمعاجزتهم لَهُمْ عَذَابٌ واى عذاب مِنْ رِجْزٍ اى سيئ العذاب أَلِيمٌ اى مؤلم وقرأ ابن كثير وحفص
اليم بالرفع على انه صفة لعذاب والباقون بالجر على انه صفة لرجز قال الرازى قال هناك لهم رزق
كريم ولم يقل بمن التبعيضية فلم يقل لهم نصيب من رزق ولا رزق من جنس كريم وقال ههنا لهم عذاب
من رجز اليم بلفظة صالحة للتبعيض وذلك اشارة الى سعة الرحمة وقلة الغضب وقوله وَيَرَى الَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ اى الذى قذفه الله تعالى فى قلوبهم سواء كانوا ممن اسلم من العرب او اهل الكتاب وقيل
مؤمنوا اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقيل الصحابة ومن شايعهم فيه وجهان احدهما انه عطف على
ليجزى اى وليعلم الذين اوتوا العلم والثانى انه مستأنف اخبر عنهم بذلك الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
اى المحسن اليك بانزاله هُوَ الْحَقَّ اى انه من عند الله تعالى + تنبيه + الذى انزل هو المفعول
الاول وهو ضمير فصل والحق مفعول ثان لان الرؤية علمية وقوله تعالى وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ اى طريق
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ فى فاعله وجهان اظهرهما انه ضمير الذى انزل وهو القرآن والثانى ضمير اسم الله تعالى
وهاتان الصفتان يفيدان الرهبة والرغبة العزيز يفيد التخويف والانتقام من المكذب والحميد يفيد
الترغيب فى الرحمة للمصدق وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا اى قال بعضهم على وجه التعجب لبعض هَلْ نَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ رَجُلٍ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يُنَبِّئُكُمْ اى يخبركم اخبارا لا اعظم منه بما حواه من العجب
الخارج عما تعقله انكم إِذَا مُزِّقْتُمْ اى قطعتم وفرقتم بعد موتكم وقوله تعالى كُلَّ مُمَزَّقٍ يحتمل ان يكون
اسم مفعول اى كل تمزيق فلم يبق شئ من اجسادكم مع شئ بل صار الكل بحيث لا يميز بين ترابه
وتراب الارض ويحتمل ان يكون ظرف مكان بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم الرياح والسيول كل مذهب
إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ اى تنشؤن خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا والهمزة فى قوله أَفْتَرَىٰ
اى تعمد عَلَى اللَّهِ اى الذى لا اعلم منه كَذِبًا اى بالاخبار بخلاف الواقع وهو عاقل صحيح القصد
همزة استفهام فالقراء الجميع يحققونها واستغنى بها عن همزة الوصل فانها تحذف
لاجلها فلذلك تثبت هذه الهمزة ابتداء ووصلا قال البغوى هذه الالف استفهام دخلت على
الف الوصل فلذلك نصبت أَمْ بِهِ جِنَّةٌ اى جنون يحكى به ذلك واستدل الجاحظ بهذه الاية على
ان الكلام ثلاثة اقسام صدق وكذب ولا صدق ولا كذب ووجه الدلالة منه على القسم الثالث
ان قولهم ام به جنة لا جائز ان يكون كذبا لانه قسيم الكذب وقسيم الشئ غيره ولا جائز ان يكون
صدقا لانهم لم يعتقدوه فثبت قسم ثالث واجيب عنه بان المعنى ام لم يفتر ولكن عبر عن هذا بقولهم
ام به جنة لان المجنون لا افتراء له + تنبيه + قوله افترى يحتمل ان يكون من تمام قول الكافرين اولا اى من
كلام القائلين هل ندلكم ويحتمل ان يكون من كلام السامع المجيب للقائل هل ندلكم كان القائل لما قال
له هل ندلكم على رجل قال له هل افترى على الله كذبا ان كان يعتقد خلافه ام به جنة اى جنون

ان كان لا يعتقد خلافه + ولما كان الجواب ليس به شئ من ذلك عطف عليه قوله تعالى بَلِ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ اى لا يوجدون الايمان لانهم طبعوا على الكفر بِالْآخِرَةِ اى المشتملة على البعث والعذاب
فِي الْعَذَابِ اى فى الآخرة وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ اى عن الصواب فى الدنيا فرد الله تعالى عليهم ترديدهم
واثبت لهم سبحانه ما هو اقطع من القسمين فقوله تعالى بل الذين كفروا فى العذاب فى مقابلة قولهم
افترى على الله كذبا وقوله تعالى والضلال البعيد فى مقابلة قولهم ام به جنة وكلاهما مناسب اما
العذاب فلان نسبة الكذب الى الصادق مؤد الى انه شهادة عليه بانه يستحق العذاب فجعل العذاب
عليهم حيث نسبوا الكذب الى البرئ واما الضلال فلان نسبة الجنون الى العاقل دونه فى الايذاء
فانه لا يشهد عليه بانه يعذب وانما ينسبه الى عدم الهداية فبين تعالى انهم هم الضالون + ثم وصف
ضلالهم بالبعد ووصف الضلال به للاسناد المجازى لان من يسمى المهدى ضالا يكون اضل
والنبى صلى الله عليه وسلم هادى كل مهتد + ولما ذكر تعالى الدليل على كونه عالم الغيب وكونه مجازيا
على السيئات والحسنات ذكر دليلا آخر فيه التهديد والتوحيد بقوله تعالى أَفَلَمْ يَرَوْا اى ينظروا
إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ اى امامهم وَمَا خَلْفَهُمْ وذلك اشارة الى جميع الجوانب من كلا الخافقين
فقوله تعالى مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ دليل التوحيد فانهما يدلان على الوحدانية ويدلان على الحشر
والاعادة لانهما يدلان على كمال القدرة لقوله تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم واما دليل التهديد فقوله تعالى إِنْ نَشَأْ اى بما لنا من العظمة
نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ اى كما فعلنا بقارون وذويه لانه ليس نفوذ بعض افعالنا فيه باولى من
غيره أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا اى قطعا مِنَ السَّمَاءِ فتهلكهم بها وقرأ حفص بفتح السين والباقون بسكونها
+ تنبيه + فى قوله تعالى افلم يروا الرايان المشهوران قدره الزمخشرى افعموا فلم يروا وغيره
يدعى ان الهمزة مقدمة على حرف العطف وقوله من السماء بيان الموصول فيتعلق بمحذوف
ويجوز ان يكون حالا فيتعلق به ايضا قيل وثم حال محذوفة تقديره افلم يروا الى كذا مقهورا تحت
قدرتنا او محيطا بهم فيعلموا انهم حيث كانوا فان ارضى وسمائى محيطة بهم لا يخرجون من
اقطارها وانا القادر عليهم وقرأ حمزة والكسائى ان يشا يخسف بهم الارض او يسقط بالياء
فى الثلاثة لقوله تعالى افترى على الله كذبا والباقون بالنون وادغم الكسائى الفاء فى الباء واظهر الباقون
إِنَّ فِي ذَلِكَ اى فيما ترون من السماء والارض لَآيَةً اى علامة بينة تدل على قدرتنا على البعث
لِكُلِّ عَبْدٍ اى متحقق انه مربوب ضعيف مسخر لما يراد منه مُنِيبٍ اى فيه قابلية الرجوع الى ربه
بقلبه + ولما ذكر تعالى من ينيب من عباده وكان من جملتهم داود عليه السلام كما قال به فاستغفر ربه
وخر راكعا واناب ذكره بقوله تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا اى اعطينا اعطاء عظيما دالا على نهاية المكنة بما لنا
من العظمة دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا اى النبوة والكتاب او الملك او جميع ما اوتى من حسن الصوت وتليين
الحديد وغير ذلك مما خص به وهذا الاخير اولى + تنبيه + قوله تعالى منا فيه اشارة الى بيان

ع

فضل داود عليه السلام لان قوله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا مستقل المفهوم تام كما يقول
القائل آتى الملك زيدا خلعة فاذا قال القائل آتاه منه خلعة يفيد انه كان من خاص ما يكون له
فكذلك ايتاء الله تعالى الفضل عام لكن النبوة من عنده خاص بالبعض ونظيره قوله تعالى يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان فان رحمة الله تعالى واسعة تصل الى كل احد لكن رحمته في الآخرة
على المؤمنين رحمة من عنده لخواصه وقوله تعالى يَا جِبَالُ محكي بقول مضمر ثم ان شئت قدرته
مصدرا ويكون بدلا من فضل على جهة تفسيره به كانه قيل آتيناه فضلا قولنا يا جبال وان شئت
قدرته فعلا وحينئذ لك وجهان ان شئت جعلته بدلا من آتينا معناه آتيناه قلنا يا جبال
وان شئت جعلته مستأنفا أَوِّبِي اي رجعي مَعَهُ بالتسبيح اذا سبح امر من تأويب وهو الترجيع
وقيل التسبيح بلغة الحبشة وقال العيني اصله من التأويب في السير وهو ان يسير النهار كله وينزل
ليلا كانه يقول اوبي النهار كله بالتسبيح معه وقال وهب نوحي معه وقيل سيري معه وقوله
تعالى وَالطَّيْرَ منصوب باجماع القراء السبعة واختلف في وجه نصبه على اوجه احدها
انه عطف على محل جبال لانه منصوب تقديرا لان كل منادى في موضع نصب الثاني انه عطف
على فضلا قاله الكسائي ولا بد من حذف مضاف تقديره آتيناه فضلا وتسبيح الطير الثالث انه منصوب
باضمار فعل اي وسخرنا له الطير قاله ابو عمرو تنبيه لم يكن الموافق له في التأويب منحصرا في الطير
والجبال ولكن ذكر الجبال لان الصخور للجمود والطير للنفور وكلاهما تستبعد منه الموافقة فاذا
وافقته هذه الاشياء فغيرها اولى ثم من الناس من لم يوافقه وهم القاسية قلوبهم هي اشد قسوة
قال المفسرون كان داود عليه الصلوة والسلام اذا نادى بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت
الطير عليه من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه الناس اليوم من ذلك وقيل كان داود اذا تخلل الجبال
فسبح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح وقيل كان داود اذا لحقه فتور اسمعه الله تسبيح الجبال
تنشيطا له وقال وهب بن منبه كان يقول للجبال سبحي وللطير اجيبي ثم ياخذ في تلاوة الزبور بين تلك
بصوته الحسن فلا يرى الناس منظرا احسن من ذلك ولا يسمعون شيئا اطيب منه وذلك كما كان الحصى
يسبح في كف نبينا صلى الله عليه وسلم وكف ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وكما كان الطعام يسبح بحضرته
الشريفة وهو يؤكل وكما كان الحجر يسلم عليه واسكفة الباب وحوائط البيت تؤمن على دعائه وحنين الجذع
مشهور وكما كان الضب يشهد له والجمل يشكو اليه ويسجد بين يديه ونحو ذلك وكما جاء الطائر الذي
يسمى الحمرة تشكو الذي اخذ بيضها فامره النبي صلى الله عليه وسلم برده رحمة لها ولما ذكر تعالى طاعة
الكثيف الارض والطف الحيوان الذي انشأه الله تعالى منها ذكر سبحانه وتعالى ما انشأه من ذلك
الكثيف وهو اصلب الاشياء بقوله تعالى وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ اي الذي ولدناه من الجبال جعلناه في يديه
كالشمع والعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة وذلك في قدرة الله تعالى يسير و
كان سبب ذلك ما روي في الاخبار ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته ان يخرج

للناس متنكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه يسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود واليكم
هنا اى رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فقيض الله تعالى له ملكا في صورة آدمي فلما رآه
داود تقدم اليه على عادته يسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك وقال ما هي
يا عبد الله فقال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى ان يسبب له
سببا يستغني به عن بيت المال يتقوت منه ويطعم عياله فالان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع
وانه اول من اتخذها يقال انه كان يبيع كل درع باربعة آلاف درهم فيأكل ويطعم منها عياله ويتصدق منها
على الفقراء والمساكين ويقال انه كان يعمل كل يوم درعا يبيعها بستة آلاف درهم فينفق منها الفين على نفسه
وعياله ويتصدق باربعة آلاف درهم على فقراء بني اسرائيل وانما اختار الله تعالى له ذلك لانه وقاية للروح
التي هي من امره ويحفظ الآدمي المكرم عند الله تعالى من القتل فالزراد خير من القواس والسياف
وغيرهما لان القوس والسيف وغيرهما من السلاح ربما يستعمل في قتل النفس المحرمة بخلاف
الدرع قال صلى الله عليه وسلم كان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده ثم ذكر سبحانه وتعالى
علة الالانة بصيغة الامر اشارة الى ان عمله كان لله تعالى بقوله عز من قائل أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ اى
دروعا طوالا واسعات يجرها لابسها على الارض ثم ذكر الصنعة ليعلم منها الموصوف اختلفوا في معنى
قوله سبحانه وتعالى وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ اى نسج الدروع يقال لصانعها السراد والزراد فقيل قدر المسامير
في حلق الدروع اى لا تجعل المسامير غلاظا فتكسر الحلق ولا دقاقا فتتقلقل فيها ويقال السرد المسمار
في الحلقة يقال درع مسرودة اى مسمورة الحلق وقدر في السرد اجعله على القصد وقدر الحاجة وقيل
اجعل كل حلقة مساوية لاختها مع كونها ضيقة لئلا ينفذ منها سهم ولتكن في ثخنها بحيث لا يقطعها
سيف ولا تثقل على الدارع فتمنعه خفة التصرف وسرعة الانتقال في الكر والفر والطعن والضرب
في البرد والحر والظاهر كما قال البقاعي انه لم يكن في حلقها مسامير لعدم الحاجة بالالانة الحديد
اليها والا لم يكن بينه وبين غيره فرق ولا كان للالانة كبير فائدة وقد اخبر بعض من رأى ما نسب اليه
بغير مسامير وقال الرازي يحتمل ان يقال السرد هو عمل الزرد قوله تعالى وقدر في السرد اى انك
غير مأمور به امر ايجاب انما هو اكتساب والكسب يكون بقدر الحاجة وباقي الايام والليالي للعبادة فقدر
في ذلك العمل ولا تشتغل جميع اوقاتك بالكسب بل حصل به القوت فحسب ويدل عليه قوله تعالى
وَاعْمَلُوا صَالِحًا اى لستم مخلوقين الا للعمل الصالح فاعملوا ذلك واكثروا منه واما الكسب فقدروا فيه
ثم اكد طلب العمل الصالح بقوله تعالى إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ اى مبصر فاجازيكم به يريد به داود و
آله + تنبيه + كما الان الله تعالى لداود عليه السلام الحديد الان لنبينا صلى الله عليه وسلم في الخندق
تلك الكدية وذلك بعد ان لم تتمكن المعاول تعمل فيها وبلغت غاية الجهد منهم فضربها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضربة واحدة وفي رواية رش عليها ماء فعادت كثيبا اهيل لا ترد فاسا وتلك
الصخرة التي اخبر سلمان عنها انها كسرت فؤوسهم ومعاولهم وعجزوا عنها فضربها صلى الله

عليه وسلم ثلاث ضربات كسر في كل ضربة ثلثا منها وبرقت مع كل ضربة برقة كبر تكبيرة واضاءت للصحابة رضي الله تعالى عنهم ما بين لابتي المدينة بحيث كانت في النهار كانها مصباح في جوف بيت مظلم فسألوه عن ذلك فاخبرهم صلى الله عليه وسلم ان احدى الضربات اضاءت له صنعاء من ارض اليمن حتى راى ابوابها من مكانه ذلك واخبره جبريل عليه السلام انها ستفتح على امته واضاءت له الاخرى قصور الحيرة البيض كانها انياب الكلاب واخبر انها مفتوحة لهم واضاءت له الاخرى قصور الشام الحمر كانها انياب الكلاب واخبر بفتحها عليهم فصدقه الله تعالى في جميع ما قال واعظم من ذلك تصلب الخشب له عليه السلام حتى صار سيفا فوق المتن جيد الحديدة وذلك ان سيف عبد الله بن جحش انقطع يوم احد فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجونا فصار في يده سيفا قائمة منه فقاتل به فكان يسمى العرجون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده حتى قتل وهو عنده وعن الواقدي انه انكسر سيف سلمة بن اسلم يوم بدر فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان في يده من عراجين رطاب فقال اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل والهام داود للحديد يابس باعجب من الهام النبي صلى الله عليه وسلم ليد معوذ بن عفراء لما قطعها ابو جهل يوم بدر فاتى بها يحملها في يده الاخرى فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت ومعجزته مثل اختها كما نقله البيهقي وغيره ومعجزاته صلى الله عليه وسلم لا تنحصر وانما ذكر بعضها تبركا بذكره صلى الله عليه وسلم واسال الله تعالى ان يحشرنا في زمرته ويفعل ذلك باهلينا ومحبينا + ولما اتم الله تعالى المراد من ايات داود عليه السلام اتبعها بعض ايات ابنه سليمان عليه الصلوة والسلام لمشاركته في الانابة بقوله تعالى وَلِسُلَيْمَٰنَ اي عوضا عن الخيل التي عقرها الله تعالى الرِّيحَ قرأ شعبة الريح بالرفع على الابتداء والخبر في الجار قبله او محذوف والباقون بالنصب باضمار فعل اي وسخرنا غُدُوُّهَا اي سيرها من الغدوة بمعنى الصباح الى الزوال شَهْرٌ اي تحمله وتذهب به وبجميع عسكره من الصباح الى نصف النهار مسيرة شهر وَرَوَاحُهَا اي من الزوال الى الغروب شَهْرٌ اي مسيرته فكانت تسير به في يوم واحد مسيرته شهرين قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وهذا كما سخر الله تعالى الريح لنبينا صلى الله عليه وسلم في غزوة الاحزاب فكانت تهد خيامهم وتضرب وجوههم بالتراب والحجارة وهي لا تجاوز عسكرهم الى ان هزمهم الله تعالى بها وكما حملت شخصين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم في الغزوة تبوك فالقتهما بجبل طي وتحمل من اراد الله تعالى من اولياء امته كما هو في غاية الشهرة ونهاية الكثرة واما امر الاسراء والمعراج فهو من الجلالة والعظم بحيث لا يعلمه الا الله تعالى مع ان الله تعالى صرفه في ايات السماء بحبس المطر تارة وارساله اخرى + ولما ذكر تعالى الريح اتبعها ما هو من اسباب تكوينه بقوله تعالى وَأَسَلْنَا اي اذبنا بما لنا من العظمة لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ اي النحاس حتى صار كانه عين ماء فاجريت ثلاثة ايام بلياليهن كجري الماء وعمل الناس الى اليوم مما اعطى سليمان وَمِنَ الْجِنِّ اي الذي سترناهم عن العيون

من الشياطين وغيرهم عطفت على الريح اى وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه اى قد امكنه الله تعالى
منهم غاية الامكان فى غيبته وحضوره باذن اى بامر ربه اى بتمكين المحسن اليه ومن يزغ اى
يمل منهم عن امرنا اى عن امره الذى هو من امرنا نذقه من عذاب السعير اى النار فى
الآخرة وقيل فى الدنيا بان يضربه ملك بسوط منها ضربة يحرقه وهذا كما امكن نبينا صلى الله
عليه وسلم من ذلك العفريت فخنقه وهم بربطه حتى تلعب به صبيان المدينة ثم تركه تأدبا مع اخيه سليمان
عليه السلام فيما سأل الله تعالى فيه واما الاعمال التى يدور عليها اقامة الدين فاغناه الله تعالى فيها
عن الجن بالملائكة الكرام عليهم السلام وسلط جمعا من صحابته على جماعة من مردة الجان منهم
ابو هريرة رضى الله تعالى عنه لما وكله النبى صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ومنهم ابى بن كعب
قبض على شخص منهم كان يسرق من تمره وقال لقد علمت الجن فيهم من هو اشد منى ومنهم معاذ بن جبل
لما جعله النبى صلى الله عليه وسلم على صدقة المسلمين فاتاه شيطان يسرق وتصور له بصور منها صورة
فيل فضبطه والتفت يداه عليه وقال له يا عدو الله فشكا له الفقر واخبره انه من جن نصيبين وانهم كانت لهم
المدينة فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم اخرجهم منها وسأله ان يخلى عنه على ان لا يعود ومنهم بريدة
ومنهم ابو ايوب الانصارى رضى الله تعالى عنه ومنهم زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه ومنهم عمر بن
الخطاب رضى الله تعالى عنه صارع الشيطان فصرعه عمر ومنهم عمار بن ياسر قاتل الشيطان فصرعه عمار
وادمى انف الشيطان بحجر ذكر ذلك البيهقى فى الدلائل واما عين القطر فهى مما تضمنه قول
النبى صلى الله عليه وسلم اعطيت مفاتيح خزائن الارض والملك فى الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فاخترت
ان اكون نبيا عبدا اجوع يوما واشبع يوما الحديث فشمل ذلك اللؤلؤ الرطب الى عين الذهب المصفى الى
ما دون ذلك وروى الترمذى وقال حسن عن ابى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال عرض
على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت تضرعت اليك
وشكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وللطبرانى باسناد حسن عن ابن عباس ان اسرافيل اتى النبى
صلى الله عليه وسلم بمفاتيح خزائن الارض وقال ان الله امرنى ان اعرض عليك ان نسير معك
جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومأ الى
جبريل عليه السلام ان تواضع فقال نبيا عبدا ورواه ابن حبان فى صحيحه مختصرا من حديث
ابى هريرة وله فى الصحيح عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت بمقاليد الدنيا
على فرس ابلق عليه قطيفة من سندس وفى البخارى فى غزوة احد عن عقبة بن عامر ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال اعطيت مفاتيح خزائن الارض او مفاتيح الارض هذا ما يتعلق بالارض وقد زاد نبينا
صلى الله عليه وسلم على ذلك بان ايده ربه سبحانه بالتصرف فى خزائن السماء تارة بشق القمر وتارة برجم النجوم وتارة
باختراق السموات وتارة بحبس المطر وتارة بارساله الى غير ذلك مما اكرمه الله تعالى به مما لا يحيط به الا الله
عز وجل صلى الله عليه وسلم وعلى آله وازواجه وذريته واصحابه وحشرنا وحبيبنا معهم فى دار

كرامته + ولما اخبر تعالى انه سخر لسليمان الجن ذكر حالهم في اعمالهم بقوله تعالى يعملون له اي في
اي وقت شاء ما يشاء اي عمله من محاريب اي ابنية مرتفعة غير مساجد يصعد اليها بالدرج سميت
بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها ومساجد والمحاريب مقدم كل مسجد ومجلس وبيت وكان
مما عملوه له بيت المقدس ابتدأه داود عليه السلام ورفعه قامة رجل فاوحى الله تعالى اليه اني لم اقض
ذلك على يديك ولكن ابن لك اسمه سليمان عليه السلام اقضي تمامه على يديه فلما توفاه الله تعالى
استخلف سليمان عليه السلام فاحب اتمام بناء بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال
فخص كل طائفة منهم بعمل يستصلحه له فارسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الابيض من
معادنه وامر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثني عشر ربضا وانزل على كل ربض سبطا
من الاسباط وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين
فرقا يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافي من البحر وفرقا يقتلعون
الجواهر من الحجارة من اماكنها وفرقا ياتونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب من اماكنها فاتى من
ذلك بشيء لا يحصيه الا الله تعالى ثم احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها الواحا
واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللآلي فبنى المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر
وعمده باساطين المها الصافي وسقفه بالواح الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللآلي والياقوت
وسائر الجواهر وبسط ارضه بالواح الفيروزج فلم يكن يومئذ في الارض ابهى ولا انور من ذلك
المسجد وكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع احبار بني اسرائيل فاعلمهم انه بناه
لله تعالى وان كل شيء فيه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيدا لله تعالى روى عبد الله
ابن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل ربه
ثلاثا فاعطاه اثنتين وانا ارجو ان يكون اعطاه الثالثة سأله حكما يصادف حكمه فاعطاه اياه وسأله
ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاعطاه اياه وسأله ان لا يأتي هذا البيت احد يصلي فيه ركعتين الا خرج
من ذنوبه كيوم ولدته امه وانا ارجو ان يكون قد اعطاه ذلك قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه
سليمان حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد واخذ ما كان في سقوفه وحيطانه
من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر الى دار مملكته من ارض العراق وبنى الشياطين
باليمن لسليمان حصونا كثيرة عجيبة من الصخرة وتماثيل جمع تمثال وهو كل شيء مثلته بشيء اي كانوا يعملون
له تماثيل اي صورا من نحاس وزجاج ورخام ونحو ذلك فان قيل كيف استجاز سليمان عليه
السلام عمل التصاوير اجيب بان هذا مما يجوز ان تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل
كالظلم والكذب وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ التصاوير اذ ذاك محرما ويجوز ان تكون غير صور الحيوان
كصور الاشجار ونحوها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان
او مصورة محذوفة الرؤس روى انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين في اعلاه

فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وقيل كانوا
يتخذون صور الانبياء والملائكة والصالحين فى المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة قيل ولعل هذا
كان اول الامر فلما تقادم الزمن قال لهم ابليس ان اباءكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوا الاصنام
ولم تكن التصاوير ممنوعة فى شريعتهم كما ان عيسى عليه السلام كان يتخذ صورا من الطين فينفخ فيها
فتكون طيرا وجفان اى قصاع وصحاف يؤكل فيها واحدها جفنة كالجواب جمع جابية وهى الحوض
الكبير يجبى اليه الماء اى يجتمع يقال كان يجلس على الجفنة الواحدة الف رجل ياكلون منها وقرأ
ورش وابو عمرو باثبات الياء بعد الباء الموحدة فى الوصل دون الوقف وابن كثير باثباتها وقفا
ووصلا والباقون بالحذف وقفا ووصلا + ولما ذكر القصاع على وجه يتعجب منه ذكر ما يطبخ فيه
طعام تلك الجفان بقوله تعالى وقدور راسيات اى ثابتات ثباتا عظيما لانها كالجبال لها
قوائم لا يحركن عن اماكنها لعظمهن ولا ينزلن ولا يعطلن وكان يصعد عليها بالسلالم وكانت باليمن
+ ولما ذكر المساكن وما يتبعها اتبعها الامر بالعمل بقوله تعالى اعملوا اى وقلنا لهم اعملوا اى تمتعوا و
اعملوا ودل على قربهم بحذف اداة النداء وعلى شرفهم بالتعبير بالآل بقوله تعالى آل داود
وقوله تعالى شكرا يجوز فيه اوجه احدها انه مفعول به اى اعملوا الطاعة وسميت الصلوة ونحوها
شكرا لسدها مسده ثانيها انه مصدر من معنى اعملوا كانه قال اشكروا شكرا بعملكم او اعملوا عمل
شكر ثالثها انه مفعول من اجله اى لاجل الشكر واقتصر على هذا البقاعى رابعها انه مصدر واقع
موقع الحال اى شاكرين خامسها انه منصوب بفعل مقدر من لفظه تقديره واشكروا شكرا سادسها
انه صفة لمصدر اعملوا تقديره اعملوا عملا شكرا اى ذا شكر + تنبيه + كما قال تعالى عقب قوله سبحانه ان
اعمل سابغات اعملوا صالحا قال عقب ما تعمله الجن لهم اعملوا آل داود شكرا اشارة الى انه لا ينبغى ان يجعل
الانسان نفسه مستغرقة فى هذه الاشياء وانما الاكثار من العمل الصالح الذى يكون شكرا ثم قوله تعالى
وقليل خبر مقدم وقوله تعالى من عبادى صفة له وقوله تعالى الشكور مبتدأ والمعنى ان العامل
بطاعتى المتوفر الدواعى بظاهره وباطنه من قلبه ولسانه ويديه على الشكر بان يصرف جميع ما انعم
الله تعالى به عليه فيما يرضيه قليل ومع ذلك لا يوفى حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر
لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وعبر بصيغة فعول اشارة الى ان من
يقع منه مطلق الشكر كثير واقل ذلك حال الاضطرار وقيل المراد من آل داود عليه السلام هو
داود نفسه وقيل داود وسليمان واهل بيتهما عليهما السلام قال جعفر بن سليمان سمعت ثابتا
يقول كان داود عليه السلام نبى الله صلى الله عليه وسلم قد جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتى ساعة
من ساعات الليل والنهار الا وانسان من آل داود عليه السلام قائم يصلى وقال صلى الله عليه وسلم فى صلوة النفل
افضل الصلوة صلوة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقال فى صوم التطوع افضل
الصيام صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وروى عن عمر رضى الله عنه انه سمع رجلا يقول اللهم

اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور
فانا ادعوه ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس اعلم من عمر ولما كان الموت مكتوبا على
كل احد قال تعالى فلما قضينا وحقق صفة القدرة باداة الاستعلاء بقوله تعالى عليه اى سليمان عليه
السلام الموت قال اهل العلم كان سليمان يتحنث في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين
واقل من ذلك واكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فلما دنا اجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة
نابتة قد انطقها الله تعالى فيسألها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول لاى شيء خلقت فتقول لكذا وكذا
فيؤمر بها فتقلع فان كانت تنبت لغرس غرسها وان كانت تنبت لدواء كتب ذلك حتى نبتت
الخروبة فقال لها ما انت قالت الخروبة قال لاى شيء نبت قالت لخراب مسجدك قال سليمان عليه السلام
ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها
في حائطه ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب لانهم كانوا
يسترقون السمع ويموهون على الناس انهم يعلمون الغيب فقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني
فقال امرت بك قد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب
فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض الله روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه
اينما صلى وكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه فكانت الجن تعمل الاعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في
حياته وينظرون الى سليمان عليه السلام فيرونه قائما متكئا على عصاه فيحسبونه حيا فلا ينكرون
خروجه الى الناس لطول صلاته فمكثوا يدأبون له بعد موته حولا كاملا حتى اكلت الارضة عصا
سليمان فخر ميتا فعلموا بموته حينئذ كما قال تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض اى الارضة لانا جعلنا
له من سعة العلم ونفوذ الهيبة ونفوذ الامر ما تمكن به من اخفاء موته عنهم تأكل منسأته قال البخاري يعني
عصاه فالمنسأة العصا اسم آلة من نسأه اخره كالمكسحة والمكنسة من نسأت الغنم اى زجرتها وسقتها
ومنه نسأ الله في اجله اى اخره وقرأ نافع وابو عمرو بعد السين بالف وابن ذكوان بعد السين بهمزة
ساكنة والباقون بهمزة مفتوحة بعد السين فاذا وقف حمزة سهل الهمزة وقيل لم يكن شيطان
ينظر اليه في صلاته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد
خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فلما خر اى سقط على الارض بعد ان قصمت
الارضة عصاه تبينت الجن اى علمت علما بينا لا يقدرون معه على تدليس وتلبيس انفسهم امرهم وظهر
ظهورا تاما ان اى انهم لو كانوا اى الجن يعلمون الغيب اى علمه ما لبثوا اى اقاموا حولا
في العذاب المهين من ذلك العمل الذي كانوا مسخرين فيه ويجوز ان تكون ان تعليلية ويكون
التقدير تبينت حال الجن فيما يظن بهم من انهم يعلمون الغيب لانهم الخ وسبب علمهم مدة كونه
ميتا قبل ذلك انهم وضعوا الارضة على موضع من العصا فاكلت منها يوما وليلة مقدارا وحسبوا على ذلك
النحو فوجدوه قد مات منذ سنة قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم يأتونها بالماء والطين في جوف

الخشب + تنبيه + قد تقدّم ان كل شئ اثبت لمن قبل نبينا صلى الله عليه وسلم من الانبياء عليهم
السّلام من الخوارق ثبت له مثله او اعظم منه اما له نفسه او لاحد من امته وهذا الذى ذكر
سليمان عليه السّلام من حفظه بعد موته سنة لاجيل قد ثبت مثله لشخص من هذه الامة من غير
شئ يعتمد عليه قال القشيرى فى رسالته فى باب احوالهم عند الخروج من الدنيا وقال ابو عمران
الاصطخرى رأيت ابا تراب فى البادية قائما ميتا لا يمسكه شئ انتهى + فائدة + روى ان سليمان
عليه السّلام كان عمره ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه اربعون سنة وملك يوم ملك وهو ابن
ثلاث عشرة سنة وابتدأ فى بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه + وروى ان داود
عليه السّلام اسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه السّلام فمات قبل ان يتم
فوصى به الى سليمان عليه السّلام فامر الشياطين باتمامه + ولما بقى من عمله سنة سأل الله تعالى
ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب + وروى ان افريدون جاء
ليصعد كرسيه فلما دنا منه ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعد ان يدنو منه + ولما بين
تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان عليهما السّلام بين حال الكافرين لانعمه
بحكاية اهل سبا فقال تعالى لقد كان لسبإ اى القبيلة المشهورة + روى ابو سبرة النخعى
عن ابى فروة بن مسيك القطيعى قال قال رجل يا رسول الله اخبرنى عن سبا كان رجلا او امرأة
او ارضا قال كان رجلا من العرب وله عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشاءم منهم اربعة
فاما الذين تيامنوا فكندة والاشعريون والازد ومذحج وانمار وحمير فقال رجل وما انمار قال
الذين منهم خثعم وبجيلة واما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان وسبا يجمع هذه
القبائل كلها والجمهور على ان جميع العرب ينقسمون الى قسمين قحطانية وعدنانية فالقحطانية
شعبان سبا وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم
نسبها الى قحطان وبعضهم الى عدنان قيل ان قحطان اول من قيل له انعم صباحا وابيت اللعن
قال بعضهم وجميع العرب منسوب الى اسمعيل بن ابراهيم وليس بصحيح فان اسمعيل عليه السّلام
نشأ بين جرهم بمكة وكانوا عربا والصحيح ان العرب العاربة كانوا قبل اسمعيل عليه السّلام منهم
عاد وثمود وطسم وجديس واميم وجرهم والعماليق يقال ان اميما كان ملكا
ويقال انه اول من سقف البيوت بالخشب المنشور وكانت الفرس تسميه آدم الاصغر وبنوه
قبيلة يقال لها وبار هلكوا بالرمل ارسله الله عليهم فاهلكهم وطمّ مناهلهم وفى ذلك يقول
بعض الشعراء + وكرّ دهر على وبار + فهلكت عنوة وبار + واسم سبا عبد شمس بن يشجب بن يعرب
ابن قحطان وسمى سبا قيل لانه اول من سبا فى العرب قاله السهيلى ويقال انه اول من تتوج وذكر
بعضهم انه كان مسلما وله شعر بشر فيه بوجود النبى صلى الله عليه وسلم وقال فى سليمان عليه السّلام
+ سيملك بعدنا ملك عظيم + نبى لا يرخص فى الحرام + ويملك بعده منهم ملوك + يدينونه التدين بكل دامى +

ويملك بعدهم منا ملوك + يصير الملك فينا باقتسام + ويملك بعد قحطان نبي + تقي مخبت خير الانام +
يسمى احمدا يا ليت اني + اعمر بعد مبعثه بعام + فاعضده واحبوه بنصري + بكل مدجج وبكل رامي +
متى يظهر فكونوا ناصريه + ومن يلقاه يبلغه سلامي + وقرأ البزي وابو عمرو بعد الموحدة بهمزة
مفتوحة من غير تنوين لانه صار اسم قبيلة وقنبل بهمزة ساكنة والباقون
بهمزة مكسورة منونة واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة الفا ولهما ايضا الروم
مع التسهيل وقرأ في مسكنهم اي التي هي في غاية الكثرة حمزة وحفص بسكون
السين وفتح الكاف بلا الف بينهما اشارة الى انها لشدة اتصال النافع والموافق
كالمسكن الواحد وقرأ الكسائي كذلك الا انه يكسر الكاف والباقون بفتح السين
والف بعدها وكسر الكاف اشارة الى انها في غاية الملائمة لهم واليمن وكانت بأرض
مأرب من بلاد اليمن وقال حمزة الكرماني قال ابن عباس على ثلاثة فراسخ من صنعاء
آية اي علامة ظاهرة على قدرتنا ثم فسر الآية بقوله تعالى جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ اي عن
يمين الوادي وشماله قد احاطت الجنتان بذلك الوادي وقيل عن يمين من اتاها وشماله
فان قيل كيف عظم الله تعالى جنتي اهل سبأ وجعلهما آية ورب قرية من
قرى العراق يحتف بها من الجنات ما شئت اجيب بانه لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما
اراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدتهم واخرى عن شمالها وكل واحدة
من الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة
وبساتينها او اراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال تعالى
جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب فكانت اخصب البلاد واطيبها واكثرها ثمارا
حتى كانت المرأة تضع على رأسها مكتلا فتطوف به بين الاشجار فيمتلئ المكتل من
جميع انواع الفواكه من غير ان تمس شيئا بيدها لما يتساقط فيه من الثمر وقوله تعالى
كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ اي المحسن اليكم الذي اخرج لكم منهما ما تشتهون وَاشْكُرُوا لَهُ
اي خصوه بالشكر بالعمل في كل ما يرضيه ليديم لكم النعمة حكاية لما قال
لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك ثم استأنف تعظيم
ذلك بقوله بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ اي حسنة التربة ليس بها سباخ حسنة الهواء سليمة من الهوام ليس فيها
بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية يمر الغريب بها وفي ثيابه القمل فيموت من
طيب هوائها واشار الى انه لا يقدر احد ان يقدره حق قدره بقوله تعالى وَرَبٌّ غَفُورٌ اي
للذنب من شكره وتقصيره فلا يعاقب عليه ولا يعاتب قال البقاعي واخبرني بعض اهل اليمن انها
اليوم مفازة قريب صنعاء قال وفي بعضها عنب يعمل منه زبيب كبار جدا في مقدار دربلي بلاد الشام
وهو في غاية الصفاء كانه قطع المصطكي وليس له نوى اصلا انتهى + ولما تسبب عن هذا الانعام

فاعرضوا

بطرهم الموجب لاعراضهم عن الشكر دل على ذلك بقوله تعالى فَأَعْرَضُوا اى عن الشكر فكفروا قال
وهب ارسل الله تعالى الى سبا ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله وذكروهم نعم الله تعالى عليهم وانذروهم
عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله تعالى علينا من نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان
استطاع + ولما تسبب عن اعراضهم مقتهم بينه بقوله تعالى فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ جمع عرمة
وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره الى وقت حاجته اى سيل واديهم فاغرق جنتيهم واموالهم
+ قال ابن عباس رضى الله عنهما ووهب وغيرهما كان ذلك السد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا
يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد بالعرم وهو المسناة بلغة حمير فسدت ما بين الجبلين
وجعلت له ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثنى عشر مخرجا على عدة
انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا سدوها فاذا جاء المطر اجتمع اليه ماء اودية اليمن فاحتبس
السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه فى البركة فكانوا يسقون من الباب
الاعلى ثم من الثانى ثم من الثالث الاسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه
بينهم على ذلك فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله تعالى عليهم جرذا يسمى الخلد
فنقب السد من اسفله فاغرق الماء جنتيهم وخرب ارضهم قال وهب وكانوا فيما يزعمون
يجدون فى علمهم وكهانتهم انه يخرب سدهم فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها
هرة فلما جاء زمانه وما اراد الله تعالى بهم من التغريق اقبلت فيما يذكرون فارة حمراء كبيرة الى هرة
من تلك الهرر فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها فتغلغلت
فى السد فنقبت وحفرت حتى اوهنته للسيل وهم لا يدرون ذلك فلما جاء السيل وجد خللا
فدخل فيه حتى اقتلع السد وفاض على اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل ففرقوا ومزقوا كل
ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون صار بنو فلان ايدى سبا وتفرقوا ايادى سبا اى تفرقوا
وتبددوا قيل والاوس والخزرج منهم قال البقاعى وكان ذلك فى الفترة التى كانت بين عيسى ونبينا
صلى الله عليهما وسلم + تنبيه + فى العرم اقوال غير ما ذكر احدها انه من باب اضافة الموصوف لصفته
فى الاصل اذ الاصل السيل العرم والعرم الشديد واصله من العرامة وهى الشراسة والصعوبة الثانى
انه من باب حذف الموصوف واقامة صفته مقامه تقديره فارسلنا عليهم سيل المطر العرم اى الشديد
الكثير الثالث ان العرم اسم للوادى الذى كان فيه الماء نفسه قال ابن الاعرابى العرم السيل الذى
لا يطاق وقيل كان ماء احمر ارسله الله تعالى عليهم من حيث شاء الرابع انه اسم للجرذ وهو الفار و
قيل هو الخلد وانما اضيف اليه لانه تسبب عنه كما مر وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ اى جعلنا لهم بدلهما
جَنَّتَيْنِ هما فى غاية ما يكون من مضادة جنتيهم ولذلك فسرهما بقوله تعالى اعلاما بان اطلاق الجنتين
عليهما مشاكلة لفظية للتهكم بهم ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ اى ثمر بشع والخمط الاراك وثمره يقال له البرير هذا
قول اكثر المفسرين قال المبرد والزجاج كل نبت قد اخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن اكله فهو

خمط وقال ابن الاعرابي الخمط ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع به وعن
ابي عبيدة كل شجر ذي شوك وقرأ ابو عمرو اكل بغير تنوين والباقون بالتنوين وسكن الكاف نافع و
ابن كثير وضمها الباقون قال البغوي فمن جعل الخمط اسما للمأكول فالتنوين في اكل احسن ومن جعله
اصلا وجعل الاكل ثمرة فالاضافة فيه ظاهرة والتنوين سائغ تقول العرب في بستان فلان اعناب
كرم واعناب كرم فتصف الاعناب بالكرم لانها منه وقوله تعالى وَأَثْلٍ اي وذوات اثل وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ
قَلِيلٍ معطوفا على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقيل هو شجر يشبه الطرفاء اعظم منه
واجود عودا وقيل هو نوع من الطرفاء ولا يكون عليه ثمر الا في بعض الاوقات يكون عليه شيء
كالعفص اخضر في طعمه وطبعه والسدر شجر معروف وهو شجر النبق وينتفع بورقه لغسل اليد ويغرس
في البساتين ولم يكن هذا من ذاك بل كان سدرا بريا لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشيء ولهذا قال
بعضهم السدر سدران سدر له ثمرة عفصة لا تؤكل ولا ينتفع بورقه في الاغتسال وهو الضال وسدر له
ثمرة تؤكل وهي النبق ويغسل بورقه والمراد في الاية الاول وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فغيره الله
تعالى من شر الشجر باعمالهم * تنبيه * قد نبهت في شرح المنهاج على ان الباء في الابدال والتبديل
والتبدل والاستبدال هل تدخل على المتروك او على المأخوذ عند قول المنهاج ولو ابدل ضادا بظاء
ذَلِكَ اي الجزاء العظيم بالتبديل جَزَيْنَاهُمْ بما لنا من العظمة بِمَا كَفَرُوا اي غطوا الدليل الواضح و
هو ما جاءت به الرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وقيل بكفرانهم النعمة وَهَلْ نُجَزِي
اي مثل هذا الجزاء الذي هو على وجه العقاب إِلَّا الْكَفُورَ اي الا البليغ في الكفر وقال مجاهد يجازى اي
يعاقب ويقال في العقوبة يجازى وفي المثوبة يجزى قال الفراء المؤمن يجزى ولا يجازى اي يجزى
الثواب بعمله ولا يكافأ بسيئاته وقال بعضهم المجازاة تقال في النقمة والجزاء في النعمة لكن قوله تعالى ذلك
جزيناهم يدل على ان يجزي في النقمة ايضا قال ابن عادل ولعل من قال ذلك اخذه من ان المجازاة
مفاعلة وهي في اكثر الامر تكون ما بين اثنين يوجد من كل واحد جزاء في حق الاخر وفي النعمة
لا تكون مجازاة لان الله تعالى مبتدئ بالنعم وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله
فيجازى بجميع ما يفعله من السوء وليس لقائل ان يقول لم قيل وهل يجازى الا الكفور على
اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للمؤمن والكافر لانه لم يرد الجزاء العام انما اراد الخاص
وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت جزيناهم بما كفروا
وهل يجازى الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يعد كلاما فتبين انما يتخيل من السؤال مضمحل وان
الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون مضمومة وكسر الزاي الكفور بالنصب والباقون بالياء
المضمومة ونصب الزاي الكفور بالرفع * ولما تم الخبر عن الجنان التي بها القوام نعمة ونقمة اتبعه
مواضع السكان بقوله تعالى وَجَعَلْنَا اي بما لنا من العظمة بَيْنَهُمْ اي بين سبأ وهم باليمن

وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا اى بالتوسعة على اهلها بالماء والشجر وغيرهما وهى قرى الشام التى
يسيرون اليها للتجارة قُرًى ظَاهِرَةً اى متواصلة من اليمن الى الشام وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ اى بحيث
يقيلون فى واحدة ويبيتون فى اخرى الى انتهاء سفرهم ولا يحتاجون فيه الى حمل زاد وماء من سبا
الى الشام وقيل كانت قراهم اربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا الى الشام فلا يحملون شيئا مما
جرت به عوائد السفار فكان سيرهم فى الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم و
صلوا الى قرية ذات مياه واشجار وقال قتادة كانت المرأة تخرج ومعها مغزلها وعلى راسها مكتلها
فتمتهن بمغزلها فلا تأتى بيتها حتى يمتلئ مكتلها من الثمار فكان ما بين اليمن والشام كذلك فهى حقيقة
بان يقال لاهلها والنازلين بها على سبيل الامتنان بلسان القال او الحال سِيرُوا ودل على تقاربها
جدا قوله تعالى فِيهَا ودل على كثرتها وطول مسافتها وصلاحيتها للسير اى وقت اريد مقدما ما هو
ادل على الامن واعدل للسير فى البلاد الحارة بقوله تعالى لَيَالِيَ واشار الى كثرة الظلال والرطوبة
والاعتدال الذى يمكن معه السير فى جميع النهار بقوله تعالى وَأَيَّامًا اى فى اى وقت شئتم والى عظيم
امانها فى كل وقت بالنسبة الى كل مسافر بقوله آمِنِينَ اى لا تخافون فى ليل او نهار وان طالت مدة
سفركم فيها او سيروا فيها ليالى اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن فلا تخافون عدوا ولا جوعا
ولا عطشا وقيل تسيرون فيها ان شئتم ليالى وان شئتم اياما لعدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة فان
بعضها يسلك ليلا لعدم علم العدو بسيرهم وبعضها يسلك نهارا لئلا يقصدهم عدو واذا كان العدو غير
مجاهر بالقصد والعداوة ولما انقضى الخبر عن هذه الاوصاف التى تستدعى غاية الشكر لما فيها
من الالطاف دل على بطرهم للنعمة بها بانهم جعلوها سببا للضجر والملال بقوله تعالى فَقَالُوا اى على
وجه الدعاء رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا اى الى الشام اى اجعلها مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب
الرواحل وتزود الازواد والماء فبطروا النعمة وملوا العافية كبنى اسرائيل لما طلبوا الثوم والبصل
فاجابهم الله تعالى بتخريب القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بتشديد العين
ولا الف قبلها فعل طلب والباقون بالف قبل العين وتخفيف العين وقرئ بلفظ الخبر
على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا فى الترفه وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم
فيه وَظَلَمُوا حيث عدوا النعمة نقمة والاحسان اساءة أَنْفُسَهُمْ بالكفر فَجَعَلْنَاهُمْ اى بما لنا من العظمة
أَحَادِيثَ اى عبرة لمن بعدهم يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون
ذهبوا ايدى سبا وتفرقوا ايادى سبا قال كثير ــ ايادى سبا يا عز ما كنت بعدكم + فلم يحل
للعينين بعدك منظر + وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ اى فرقناهم فى كل جهة من البلاد كل التفريق قال
الشعبى لما غرقت قراهم تفرقوا فى البلاد اما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد الى عمان وخزاعة
الى تهامة ومر خزيمة الى العراق والاوس والخزرج الى يثرب وكان الذى قدم منهم المدينة عمرو
ابن عامر وهو جد الاوس والخزرج إِنَّ فِي ذَٰلِكَ اى المذكور لَآيَاتٍ اى عبرا ودلالات بينة

جداً على قدرة الله تعالى على التصرف فيما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض بالايجاد والاعدام
للذوات والصفات والخسف والمسخ فانه لا فرق بين خارق وخارق وعلى ان يطيعهم لتلك النعمة حتى
ملوها ودعوا بازالتها دليل على ان الانسان ما دام حيا فهو فى نعمة يجب عليه شكرها كائنة ما كانت وان
كان يراها بلية لانه لما طبع عليه من القلق كثيرا ما يرى النعم نقما واللذة الما ولذا ختم الآية بالصبار
بصيغة المبالغة بقوله تعالى لِكُلِّ صَبَّارٍ على طاعة الله وعن معصيته شَكُورٍ لنعمه قال مقاتل يعنى المؤمن
من هذه الامة صبور على البلاء شكور على النعماء قال مطرف هو المؤمن اذا اعطى شكر
واذا ابتلى صبر وقرأ قوله تعالى وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ اى الذى هو من البلس وهو ما لا
خير عنده او الابلاس وهو الياس من كل خير ليكون ذلك ابلغ فى التبكيت والتوبيخ ظَنَّهُ قرأ
الكوفيون بتشديد الدال بعد الصاد اى ظن فيهم ظنا حيث قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين لاحتنكن
ولا تجد اكثرهم شاكرين فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك بهم واتباعهم اياه والباقون
بالتخفيف اى صدق عليهم فى ظنه بهم اى على اهل سبا كما قاله اكثر المفسرين حين رأى انهماكهم
فى الشهوات او الناس كلهم كما قاله مجاهد اى حين رأى اباهم آدم ضعيف العزم او ما ركب فيهم
من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم ولاغوينهم
اى الكفار ومنهم سبا كما قاله الجلال المحلى فَاتَّبَعُوهُ اى بغاية الجهد بميل الطبع وقوله إِلَّا فَرِيقًا
مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ استثناء متصل على قول مجاهد ومنقطع على قول غيره وقال السدى عن ابن عباس
رضى الله عنه يعنى المؤمنين كلهم لان المؤمنين لم يتبعوه فى اصل الدين وتقليلهم بالاضافة الى الكفار
او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه فى العصيان وهم المخلصون قال ابن قتيبة ان ابليس لعنه الله تعالى
لما سأل النظرة فانظره الله تعالى وقال لاغوينهم ولاضلنهم لم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان
ما قاله فيهم يتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه واطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم + ولما كان ذلك ربما اوهم
ان لابليس امرا بنفسه نفاه بقوله تعالى وَمَا اى والحال انه ما كَانَ اصلا لَهُ عَلَيْهِم اى الذين اتبعوه ولا غيرهم
واغرق فيما هو الحق من النفى بقوله تعالى مِّن سُلْطَانٍ اى تسلط قاهر بشئ من الاشياء بوجه من الوجوه
لانه مثلهم فى كونه عبدا عاجزا مقهورا ذليلا خائفا مدحورا قال القشيرى هو مسلط ولو امكنه ان
يضل غيره امكنه ان يمسك على الهداية نفسه والمعنى ان الامر لله وحده إِلَّا اى لكن نحن سلطناه
عليهم بسلطاننا وملكناه قيادهم بقهرنا وعبر عن التمييز الذى هو سبب العلم بالعلم فقال لِنَعْلَمَ اى
بما لنا من العظمة مَن يُؤْمِنُ اى يوجد الايمان لله بِالْآخِرَةِ اى يتعلق علمنا بذلك فى عالم الشهادة
فى حال تمييزه تعلقا تقوم به الحجة فى مجارى عادات البشر كما كان متعلقا به فى عالم الغيب مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا
اى الآخرة فِى شَكٍّ فهو لا يجدد لها ايمانا اصلا لان الشك ظرف له محيط به وانما استعار الاوضع لكن
اشارة الى انه مكنه تمكينا تاما صار به كمن له سلطان حقيقى + تنبيه + قال الرازى ان علم الله تعالى
من الازل الى الابد محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير وهو فى كونه عالما لا يتغير ولكن يتغير تعلق

علمه فان العلم صفة كاشفة يظهر فيها كل ما في نفس الامر فعلم الله تعالى في الازل ان العالم
سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم واذا عدم علمه معدوما ومثال ذلك المرآة المصقولة
الصافية يظهر فيها صورة زيد ان قابلها ثم اذا قابلها عمرو تظهر فيها صورته والمرآة لم تتغير
في ذاتها ولا تبدلت في صفاتها وانما التغيير في الخارجيات كذا هنا قوله الا لنعلم اي ليقع في العلم صدور
الكفر من الكافر والايمان من المؤمن وكان علم الله تعالى انه سيكفر زيد ويؤمن عمرو وقال البغوي المعنى الا
لنميز المؤمن من الكافر واراد علم الوقوع والظهور وقد كان معلوما عنده بالغيب قوله تعالى وَرَبُّكَ
اي المحسن اليك باغواء الشيطان بشقاوته واجتنابه عن امتك عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ من المكلفين وغيرهم
حَفِيظٌ اي حافظ اتم حفظ تحقيق ذلك ان الله تعالى قادر على منع ابليس عنهم عالم بما سيقع فالحفظ يدخل
في مفهومه العلم والقدرة اذ الجاهل بالشيء لا يمكنه حفظه ولا العاجز ولما بين تعالى حال الشاكرين
وحال الكافرين وذكرهم بمن مضى عاد الى خطابهم فقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم
قُلِ اي يا اعلم الخلق باقامة الادلة لهؤلاء الذين اشركوا من لا يشك في حقارته من له ادنى
مسكة ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ اي انهم الهة كما تدعون الله تعالى لاسيما في وقت الشدائد وحذف
مفعولي زعم وهما ضميرهم والهة تنبيها على استهجان ذلك واستبشاعه وليس المذكور في الآية مفعو
لي زعم ولا قائما مقام المفعول لفساد المعنى ثم بين حقارتهم بقوله تعالى مِنْ دُونِ اللَّهِ اي الذي حاز
جميع العظمة وللعلو دعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صحت دعواكم ثم اجاب
عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ من خير او شر فِي السَّمَاوَاتِ
وَلَا فِي الْأَرْضِ اي في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان الهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب
وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وارضية والجملة استئناف
لبيان حالهم ولما كان هذا ظاهرا في نفي الملك الخاص عن ثبوت المشاركة ايضا بقوله تعالى
مؤكدا لتكذيبا لهم فيما يدعونه وَمَا لَهُمْ اي الالهة فِيهِمَا اي في السموات والارض ولا في غيرهما
ولا فيما بينهما واغرق في النفي بقوله تعالى مِنْ شِرْكٍ اي شركة لا خلقا ولا ملكا وَمَا لَهُ اي الله مِنْهُمْ
واكد النفي باثبات الجار فقال مِنْ ظَهِيرٍ اي معين على شيء مما يريده من تدبير امرهما وغيرهما
فكيف يصح مع هذا العجز ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى ويعبدوا كما يعبد ولما كان
قد بقي من اقسام النفع الشفاعة وكان المقصود منها اثرها لا عينها نفاه بقوله تعالى وَلَا تَنْفَعُ
الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ اي فلا تنفعهم شفاعة كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ
اي وقع منه اذن له على لسان من شاء من جنوده بواسطة واحدة او اكثر في ان يشفع في غيره وفي ان
يشفع فيه غيره وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة والباقون بفتحها وقوله تعالى حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ
عَنْ قُلُوبِهِمْ غاية لمفهوم الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين
للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان

وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليها قوله عز من قائل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كأنه قيل يتوقعون ويتربصون مليا فزعين ذاهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشفت الفزع عن قلوبهم اي كشفت الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن قالوا اي قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم اي في الشفاعة ذاكرين صفة الاحسان لين جمع اليهم رجاؤهم فتسكن بذلك قلوبهم قالوا قال القول الحق اي الثابت الذي لا يمكن ان يبدل بل يطابق الواقع فلا يكون شيء يخالفه وهو الاذن في الشفاعة لمن ارتضى منهم وهم المؤمنون وهو العلي الكبير اي ذو العلو فلا رتبة الا دون رتبته والكبرياء فليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه روى البخاري في التفسير عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي من السماء وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله ان يوحي بالامر وتكلم بالوحي اخذت السماء رجفة او قال رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع بذلك اهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع راسه جبريل عليه السلام فيكلمه الله تعالى من وحيه بما اراد ثم يمر جبريل عليه السلام على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل عليه السلام قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما يقول جبريل عليه السلام فينتهي جبريل عليه السلام بالوحي حيث امره الله تعالى وقال مقاتل والكلبي والسدي كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام خمسمائة وخمسين سنة وقيل ستمائة سنة لم تسمع الملائكة فيها وحيا فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل عليه السلام بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا انه الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند اهل السموات من اشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل عليه السلام جعل يمر بكل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير وقال الحسن وابن زيد حتى اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت اقامة للحجة عليهم قالت لهم الملائكة عليهم السلام ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا الحق فاقروا به حيث لم ينفعهم الاقرار + ولما سلب تعالى عن شركائهم

ان يملكوا شيئا من الاكوان واثبت جميع الملك له وحده وامر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقررهم
بما يلزم منه ذلك بقوله تعالى قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوٰتِ اى بالمطر وَالْاَرْضِ اى بالنبات
وافرازها الارض لانهم لا يعلمون غيرها ثم امره تعالى ان يتولى الاجابة بقوله تعالى
قُلِ اللّٰهُ اى ان لم يقولوا رازقنا الله تعالى فقل انت ان رازقكم الله وذلك للاشعار بانهم يقرون
به بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذى تمكن من صدورهم من العناد وحب
الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله تعالى
رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على
الرزق الا ترى الى قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار
حتى قال فسيقولون الله ثم قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقرون
بالسنتهم مرة ومرة يتلعثمون عنادا وفرارا وحذرا من الزام الحجة ونحوه قوله عز وجل
قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا
ولا ضرا وامره بان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذى ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه
وَاِنَّآ اَوْ اِيَّاكُمْ اى احد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من السموات والارض
بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذى لا يوصف بالقدرة لَعَلٰى هُدًى اى فى متابعة
ما ينبغى ان يعمل مستعلين عليه اَوْ فِىْ ضَلٰلٍ عن الحق مُّبِيْنٍ اى بين فى نفسه داع لكل احد
الى معرفة انه ضلال وهذا ليس على طريق الشك لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك انه على
هدى ويقين وان الكفار على ضلال مبين وانما هذا الكلام جار على ما تخاطب به العرب من
استعمال الانصاف فى محاوراتهم على سبيل الفرض والتقدير ويسميه اهل البيان الاستدراج
وهو ان يذكر المخاطب امرا يسلمه وان كان بخلاف ما يذكر حتى يصغى الى ما يلقيه اليه اذ لو بداه
بما يكره لم يصغ ونظيره قولهم اخزى الله الكاذب منى ومنك ومثله قول حسان رضى الله
تعالى عنه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا سفيان * اتهجوه ولست له بكفء * فشركما
لخيركما الفداء * فان ابى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء * مع العلم لكل احد انه صلى الله
عليه وسلم خير خلق الله كلهم * تنبيه * ذكر تعالى فى الهدى كلمة على وفى الضلال كلمة فى لان المهتدى
كانه مرتفع مطلع فذكره بكلمة التعالى فكانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال منغمس
فى الظلمة غريق فيها فاتى بكلمة فى فكانه منغمس فى ظلام مرتبك فيه لا يدرى اين يتوجه قال البغوى
وقال بعضهم او بمعنى الواو والالف فيه صلة كانه يقول وانا واياكم لعلى هدى وفى ضلال مبين يعنى نحن على
الهدى وانتم فى الضلال قُلْ اى لهم لَا تُسْئَلُوْنَ اى من سائل ما عَمَّآ اَجْرَمْنَا اى لا تؤاخذون به وَلَا نُسْئَلُ
اى فى وقت من الاوقات من سائل ما عَمَّا تَعْمَلُوْنَ اى من الكفر والتكذيب هذا ادخل فى الانصاف
وابلغ فى التواضع حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين وقيل المراد

بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبا لعمل الكفر والمعاصي العظام قل اى لهم يجمع بيننا ربنا اى يوم القيمة ثم يفتح اى يحكم بيننا بالحق اى الامر الثابت الذى لا يقدر احد منا ولا منكم على التخلف عنه وهو العدل والفضل من غير ظلم ولا ميل فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح اى الحاكم الفاصل في القضايا المغلقة البليغ الفتح لما انغلق فلا يقدر احد على فتحه العليم اى البليغ العلم بكل دقيق وجليل فلا تخفى عليه خافية قل اى لهم اروني اى اعلموني الذين الحقتم به اى بالله شركاء اى في العبادة هل يخلقون وهل يرزقون وقوله تعالى كلا اى لا يخلقون ولا يرزقون ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بابطال المقايسة كما قال ابراهيم عليه السلام اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم بقوله تعالى بل هو الله العزيز اى الغالب على امره الذى لا مثل له وكل شيء محتاج اليه الحكيم اى المحكم لكل ما يفعله فلا يستطيع احد نقض شيء منه فكيف يكون له شريك وانتم تزدرون له من هاتين الصفتين المنافيتين للالهية وفي هذا الضمير وهو هو قولان احدهما انه عائد الى الله تعالى اى ذلك الذى الحقتم به شركاء هو الله العزيز الحكيم صفتان والثاني انه ضمير الامر والشان والله مبتدأ والعزيز الحكيم خبران والجملة خبر هو فان قيل ما معنى قوله اروني وكان يراهم ويعرفهم اجيب بانه اراد بذلك ان يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله تعالى وان يقاس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على احالة القياس اليه والاشراك به ولما بين تعالى مسئلة التوحيد شرع في الرسالة بقوله سبحانه وتعالى وما ارسلناك اى بعظمتنا الا كافة للناس اى ارسالا عاما شاملا لكل ما شمله ايجادنا فكانه حال من الناس قدم للاهتمام وقول البيضاوى ولا يجوز جعلها حالا من الناس اى لان تقديم حال المجرور عليه كتقديم المجرور على الجار رده ابو حيان بقوله هذا ما ذهب اليه الجمهور وذهب ابو علي وابن كيسان وابن برهان وابن ملكون الى جوازه وهو الصحيح انتهى وهذا هو الذى ينبغي اعتماده ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة ومن امثلة ابى علي زيد خير ما يكون خير منك والتقدير زيد خير منك خير ما يكون وانشد

اذا المرء اعيته المعالي ناشئا
فمطلبها كهلا عليه شديد

اى فمطلبها عليه كهلا وانشد ايضا

تسليت طرا عنكم بعد بينكم
بذكراكم حتى كانكم عندي

اى عنكم طرا وقيل انه حال من كاف ارسلناك والمعنى الا جامعا للناس في الابلاغ والكافة بمعنى الجامع والهاء فيه للمبالغة كهي في علامة وراوية قاله الزجاج وقيل ان كافة صفة لمصدر محذوف تقديره الا ارسالة كافة قال الزمخشري الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم قال ابو حيان اما كافة بمعنى عامة فالمنقول عن النحويين انها لا تكون الا حالا ولم يتصرف فيها بغير ذلك فجعلها صفة لمصدر

كافة

محذوف نحو ما قلنا ولا يحفظ ايضا استعمال الكافة لموصوف محذوف وقد قال الزجاج انما يعنى الكافة في
العجم مشهوداً اى ارسل اليهم واما الملائكة فالقول على الارسال اليهم في غاية الانتهاء
انتهى فما هو الا لكونهم من امته وان خالف في ذلك الجلال المحلي في شرحه على جمع الجوامع في عموم
رسالته صلى الله عليه وسلم فضيلة على جميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام فلئن كان داود عليه السلام
فضل بطاعة الجبال له والطير والانة الحديد وسليمان عليه السلام بما ذكر له فقد فضل محمد صلى الله عليه وسلم
ببعثه بالرسالة الى الناس كافة وتسبيح الحصا في كفه والجبال امرت بالسير معه ذهبا وفضة فابى وشكت اليه
الابل فرأفها او بعضها والضب شهد له بالرسالة والجمل شكا اليه وحن له والاشجار اطاعته والاحجار
سلمت عليه وانشقت باحره وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر وانما ذكرت ذلك تبركاً بذكره
صلى الله عليه وسلم وانا اسأل الله تعالى ان يشفع فيّ وفي ولدي وجميع احبائي وبقية المسلمين
اجمعين ولما كانت البشارة هي الخبر الاول الصادق السار وكان في ذكرها رد لقولهم في الكذب
والسحر قال تعالى ﴿بشيراً﴾ اى مبشرا المؤمنين بالجنة ﴿ونذيراً﴾ اى منذرا الكافرين بالعذاب ﴿ولكن
اكثر الناس﴾ اى كفار مكة ﴿لا يعلمون﴾ فيحملهم جهلهم على مخالفتك ولما سلب عنهم العلم اتبعه
دليله بقوله تعالى معبرا بصيغة المضارع الدال على ملازمة التكرير الاعلام بانه على
سبيل الاستهزاء لا الاسترشاد ﴿ويقولون﴾ من فرط جهلهم بعاقبة ما يوعدون ﴿متى هذا الوعد﴾
اى البشارة والنذارة في يوم الجمع وغيره فسموه وعداً زيادة في الاستهزاء ولما كان قول الجماعة
اجدر بالقبول وابعد عن الرد من قول الواحد اشاروا الى زيادة جهلهم بقوله تعالى ﴿ان كنتم﴾
اى ايها النبي واتباعه ﴿صادقين﴾ اى متمكنين في الصدق ﴿قل لكم﴾ اى ايها الجاحدون ان الاخلاف لانه
لا يجوز من الملكات او لا يتبدل من ما او غيرهما من الدلالات ﴿ميعاد يوم﴾ اى لا يحتمل القول
وصفت عظمته لما يأتي فيه لكم من العقاب سواء كان يوم الموت كما قاله الضحاك او البعث كما قاله
اكثر المفسرين ﴿لا تستأخرون﴾ اى لا يوجب تأخركم ﴿عنه ساعة﴾ لان الآتي به عظيم القدر محيط العلم
ولذلك قال ﴿ولا تستقدمون﴾ اى لا يوجد تقدمكم لحظة فما دونها ولا تتمكنون من طلب ذلك
فان قيل كيف تطابق هذا جواباً عن سؤالهم اجيب بانهم ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له
الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الانكار
والتعنت وانهم مرصدون بيوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه ﴿وقال
الذين كفروا﴾ مؤكدين قطعا للاطماع عن جماعتهم ﴿لن نؤمن﴾ اى نصدق ابدا وصرحوا بالمنزل
عليه صلى الله عليه وسلم بالاشارة فقالوا ﴿بهذا القرآن﴾ اى وان جمع جميع الحكم والمقاصد المتضمنة
لبقية الكتب ﴿ولا بالذي بين يديه﴾ اى قبله من الكتب كالتوراة والانجيل وغيرهما الاخر فانحرفوا بما جاءنا
عليه اباءنا وذلك لما روي ان كفار مكة سألوا بعض اهل الكتاب فاخبروهم ان صفة هذا النبي عندهم
في كتبهم فاغضبهم ذلك فقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر بها فكفروا بها

بـ[illegible] قبل الذي بين يديه يوم القيمة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله وان يكون
مادل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة + ثم اخبر عن عاقبة امرهم ومآلهم في الاخرة فقال تعالى لرسوله
صلى الله عليه وسلم او للمخاطب وَلَوْ اي والحال انك لو تَرَى اي يوجد منك رؤية لحالهم إِذِ الظَّالِمُونَ
اي الذين يضعون الاشياء في غير محالها بتصديق آبائهم لاحسان يسير مكدر من غير دليل ولا يصدقون
ربهم الذي لا نعمة عندهم ولا عند آبائهم الا منه مَوْقُوفُونَ اي بعد البعث بايدي جنوده او غيرها
بايسر امر منه عِنْدَ رَبِّهِمْ اي في موضع المحاسبة يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ اي على وجه الخصام عداوة كان
سببها موادة في الدنيا باطاعة بعضهم لبعض في معاصي الله تعالى إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ اي بالملامة
والمباكتة والمخاصمة + تنبيه + مفعول ترى وجواب لو محذوف فات للفهم اي لو ترى حال الظالمين
وقت وقوفهم راجعا بعضهم الى بعض القول لرأيت حالا فظيعة وامرا منكرا ويرجع حال من ضمير
موقوفون والقول مفعول يرجع لانه يتعدى قال تعالى فان رجعك الله وقوله تعالى يَقُولُ
الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا اي وقع استضعافهم ممن هو فوقهم في الدنيا وهم الاتباع في تلك الحال
على سبيل اللوم لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا اي اوجدوا الكبر وطلبوه بما وجدوا من اسبابه التي ادت
الى استضعافهم للاولين وهم الرؤس المتبوعون لَوْلَا أَنْتُمْ اي لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان
لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ اي باتباع الرسول تفسير لقوله تعالى يرجع فلا محل له قال ابن عادل وانتم بعد
لولا مبتدأ على احسن المذاهب وهذا هو الافصح اعني وقوع ضمائر الرفع بعد لولا اي وغيره
فصيح خلافا للمبرد حيث جعل خلاف هذا لحنا وانه لم يرد الا في قول زياد وكم موطن
لولاي والاكثر جعل الياء ضمير نصب او جر قام مقام ضمير الرفع وسيبويه جعله ضمير جر
+ ولما لم يتضمن كلامهم سوى شبهة واحدة ذكر الجواب عنها بقوله تعالى قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا على
طريق الاستئناف لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا ردا عليهم وانكارا لقولهم انهم هم الذين صدوهم أَنَحْنُ
صَدَدْنَاكُمْ اي منعناكم عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ اي على السنة الرسل عليهم الصلوة والسلام لم نفعل
ذلك لان المانع ينبغي ان يكون ارجح من المقتضي حتى يعمل عمله والذي جاء به الرسل هو الهدى
والذي صدر من المستكبرين لم يكن شيئا يوجب الامتناع من قبول ما جاؤا به فلم يصح تعلقكم
بالمانع وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الذال عند الجيم والباقون بالادغام وامال
الالف بعد الجيم حمزة وابن ذكوان وفتحها الباقون وكذا الاظهار والادغام في اذ تأمروننا واذا وقف
حمزة على جاءكم سهل الهمزة مع المد والقصر وله ايضا ابدالها الفا مع المد والقصر بَلْ كُنْتُمْ اي جبلة وخلقا
مُجْرِمِينَ اي كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا فان قيل اذ واذا من الظروف الملازمة للظرفية
فلم وقعت اذ مضافا اليها اجيب بانه قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها الزمان كما اضيف
الى الجمل في قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ + ولما انكر المستكبرون بقولهم
نحن صددناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان

ذلك بكسبهم واختيارهم كتعليمهم المستضعفون كما قال تعالى وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا
رداً لانكارهم صدّهم بل اى الصادّ لنا مكر الليل والنهار اى الواقع فيهما من مكركم فابطلوا اضرابهم
باضرابهم كانهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم بنا ليلاً ونهاراً اذ تأمروننا ان
نكفر بالله اى الملك الاعظم بالاستمرار على ما كنا عليه قبل اتيان الرسل ونجعل له انداداً اى شركاء
نعبدهم من دونه فان قيل لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا
اجيب بان الذين استضعفوا مرّ اولا كلامهم فجئ بالجواب محذوف العاطف على طريق الاستئناف
ثم جئ بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول + تنبيه + يجوز رفع مكر من ثلاثة اوجه
احدها الفاعلية تقديره بل صدّنا مكركم فى هذين الوقتين كما مرّ الثانى ان يكون مبتدأ خبره محذوف
اى مكر الليل صدّنا الثالث العكس اى سبب كفرنا مكركم واضافة المكر الى الليل والنهار اما على
الاسناد المجازى كقولهم ليل ماكر والعرب تضيف الفعل الى الليل والنهار على توسع الكلام
كقول الشاعر * ونمت وما ليل المطى بنائم * فيكون مصدراً مضافاً للمرفوع واما على الاتساع فى الظرف
فجعل كالمفعول به فيكون مصدراً مضافاً لمفعوله قال ابن عادل وهذا احسن من قول من
ان الاضافة بمعنى فى اى مكر فى الليل لان ذلك لم يثبت فى محل النزاع وقيل مكر الليل
والنهار طول السلامة وطول الامل فيهما كقوله تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم
+ تنبيه + قوله تعالى اولاً يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا بلفظ المستقبل
وقوله تعالى فى الآيتين الاخيرتين وقال الذين استكبروا وقال الذين استضعفوا بلفظ الماضى
مع ان السؤال والمراجعة فى القول لم يقع اشارة الى ان ذلك لابدّ من وقوعه فان الامر الواجب
الوقوع كانه وقع كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون واما الاستقبال فعلى الاصل وأسرّوا
اى الفريقان الندامة من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون فى قوله تعالى اذ الظالمون
موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين
لما اى حين رأوا العذاب اى حين رؤية العذاب اخفاها كل عن رفيقه مخافة التعيير وقيل معنى
الاسرار الاظهار وهو من الاضداد اى اظهروا الندامة قال ابن عادل ويحتمل ان يقال انهم لما
تراجعوا فى القول رجعوا الى الله تعالى بقولهم ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا واجيبوا بان الامر ذلكم فاسروا
ذلك القول وقوله تعالى وجعلنا الاغلال اى الجوامع التى تغل اليد الى العنق فى اعناق الذين كفروا
منهم الاتباع والمتبوعين جميعا وكان الاصل فى اعناقهم ولكن جاء بالظاهر تنويها بذمهم
وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال وهذا اشارة على كيفية عذابهم هل يجزون اى بهذه
الاغلال الا ما اى الاجزاء ما كانوا يعملون اى على سبيل التجديد والاستمرار + ولما كان
فى هذا تسلية اخروية للنبى صلى الله عليه وسلم اتبعه التسلية الدنيوية بقوله تعالى وما ارسلنا
اى بعظمتنا فى قرية ما واكد النفى بقوله تعالى من نذير الا قال مترفوها اى رؤساؤها

الذين لا شغل لهم الا التنعم بالغانى حتى اكسبهم البغى والطغيان ولذلك قالوا لرسلهم إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ
اى ايها المنذرون كَافِرُونَ اى واذا قال المتنعمون ذلك تبعهم المستضعفون وَقَالُوا اى المترفون
ايضا متفاخرين نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا اى فى هذه الدنيا ولو لم يرض منا ما نحن عليه ما رزقنا
ذلك فاعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى
قياسهم ذلك قالوا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ اى ان الله تعالى قد احسن الينا فى الدنيا بالمال والولد
فلا يعذبنا فى الآخرة ثم ان الله سبحانه وتعالى بين خطاهم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
قُلْ اى لهم إِنَّ رَبِّي اى المحسن الى بالانعام بالسعادة الباقية يَبْسُطُ الرِّزْقَ اى يوسعه فى كل وقت
ارادة بالاموال والاولاد وغيرهما لِمَن يَشَاءُ امتحانا وَيَقْدِرُ اى يضيقه على من يشاء ابتلاء بدليل
مقابلته بيبسط وهذا هو الطباق البديعى فالرزق فى الدنيا لا تدل سعته على رضا الله تعالى
ولا ضيقه على سخطه فربما وسع على العاصى وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما
وضيق عليهما فكم من موسر شقى وكم من معسر تقى وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ اى كفار مكة لَا يَعْلَمُونَ
اى ليس لهم علم يتدبرون به ما ذكرنا من الامر فيعلمون انه ليس كل موسع عليه فى دنياه
سعيدا فى عقباه ولا كل مضيق عليه فى دنياه شقيا ثم بين تعالى فساد استدلالهم بقوله سبحانه
وتعالى وَمَا أَمْوَالُكُمْ اى ايها الخلق الذى انتم من جملتهم وان كثرت وكرر النافى تصريحا بابطال
كل على حياله فقال وَلَا أَوْلَادُكُم كذلك بِالَّتِي اى بالاموال والاولاد التى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا
اى على ما لنا من العظمة زُلْفَىٰ اى درجة علية وقربة مكينة + تنبيه + قوله تعالى بالتى تقربكم صفة
للاموال والاولاد لان جمع التكسير غير العاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة وقال الفراء
والزجاج انه حذف من الاول لدلالة الثانى عليه قالا والتقدير وما اموالكم بالتى تقربكم عندنا
زلفى ولا اولادكم بالتى تقربكم ولا حاجة الى هذا ونقل عن الفراء ما تقدم من ان التى صفة للاموال
والاولاد معا وهو الصحيح وجعل الزمخشرى التى صفة لموصوف محذوف قال ويجوز ان تكون
التى هى التقوى وهى المقربة عند الله تعالى زلفى وحدها اى ليست اموالكم ولا اولادكم بتلك
الموصوفة عند الله بالتقريب قال ابو حيان ولا حاجة الى هذا الموصوف انتهى وزلفى مصدر
من معنى الاول اذ التقدير تقربكم قربى وقال الاخفش زلفى اسم مصدر كانه قال بالتى تقربكم عندنا تقريبا
وامالها حمزة والكسائى محضة وابو عمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح
وقوله تعالى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا اى تصديقا لايمانه على ذلك الاساس استثناء من مفعول
تقربكم اى الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى سبيل الله ويعلم
ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اى الاموال والاولاد
من امن وعمل صالحا فَأُولَٰئِكَ اى العالى الرتبة لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ اى ان يأخذوا جزاءهم
ضعفا مضاعفا لنفسه من عشرة امثاله الى ما لا نهاية له بِمَا عَمِلُوا اى ان اعمالهم ثابتة محفوظة

باساس الايمان ثم زاد وقال تعالى وَهُمْ فِي الْغُرُفٰتِ اى العلالى المبنية فوق البيوت فى الجنات
زيادة على ذلك اٰمِنُوْنَ اى ثابت امانهم دائما لايخرف عليهم من شئ من الاشياء اصلا واما غيرهم
وهم المرادون بما بعده فاموالهم واولادهم وبال عليهم وقرء حمزة بسكون الراء ولا الف بعد
الفاء على التوحيد على ارادة الجنس ولعدم اللبس لانه معلوم ان لكل احد غرفة تخصه وقد اجمع
على التوحيد فى قوله تعالى يجزون الغرفة ولان لفظ الواحد اخف فوضع موضع الجمع مع امن اللبس
والباقون بضم الراء والف بعد الفاء على الجمع جمع سلامة وقد اجمع على الجمع فى قوله تعالى لنبوئنهم
من الجنة غرفا ثم بين حال المسئ وهو من يبعده ماله وولده من الله تعالى بقوله سبحانه وتعالى
وَالَّذِيْنَ يَسْعَوْنَ اى يجدون السعى من غير توبة باموالهم واولادهم فِيْ ابطال اٰيٰتِنَا اى حججنا على
ما لها من عظمة الانتساب الينا مُعٰجِزِيْنَ اى طالبين تعجيزها اى تعجيزا لاتين بها عن انفاذ مرادهم
بها بما يلقون من الشبه فيضلون غيرهم بها او سعا عليهم واعززناهم به من الاموال والاولاد
اُولٰٓئِكَ اى هؤلاء البعداء البغضاء فِي الْعَذَابِ اى المزيل للعذوبة مُحْضَرُوْنَ اى يحضرهم فيه الموكلون
بهم من جندنا على اهون وجه واسهله قُلْ اى يا اشرف الخلق ومنبههم هؤلاء اِنَّ رَبِّيْ
اى المحسن الى بهذا البيان وغيره يَبْسُطُ الرِّزْقَ اى يوسعه لِمَنْ يَّشَآءُ متى شاء مِنْ عِبَادِهٖ
وَيَقْدِرُ اى يضيقه له بعد البسط ابتلاء قال البيضاوى فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين
وما سبق فى شخصين فلا تكرار ولما بين بهذا البسط ان فعله بالاختيار بعد ان بين
بالاول كذبهم فى انه سبب السلامة من النار دل على انه الفاعل لاغيره بقوله تعالى وَمَآ اَنْفَقْتُمْ مِّنْ
شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهٗ اى فهو يعوضه لامعوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التى هى كنز لاينفد و
اما آجلا بالثواب الذى كل خلف دونه وعن سعيد بن جبير ما كان فى غير اسراف ولا تقتير فهو
يخلفه وعن الكلبى ما تصدقتم من صدقة وانفقتم فى خير من نفقة فهو يخلفه على المنفق اما ان يعجله
فى الدنيا واما ان يدخره فى الآخرة وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان
الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما فى يده ثم يبقى طول عمره
فى فقر ولا يتأول وما انفقتم من شئ فهو يخلفه فان هذا فى الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف
فهو منه فدل ذلك على انه المختص بالاخلاف لانه ضمن الاخلاف لكل ما ينفق على اى وجه كان
وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك
ولمسلم يا ابن آدم انفق انفق عليك وعن ابى هريرة ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم
يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا
تلفا وعنه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله رجلا
بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله عز وجل وعن عبد الحميد بن الحسن الهلالى قال انبأنا
محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة

وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى الرجل به عرضه كتب له بها صدقة
قلت ما معنى وقى به عرضه قال ما اعطى الشاعر وذا اللسان المتقى وما انفق المؤمن نفقة فعلى الله
خلفها ضامنا الا ما كان من نفقة في بنيان او معصية الله عز وجل قوله قلت ما معنى مقول عبد الحميد
لمحمد بن المنكدر وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ فان قيل قوله تعالى خير الرازقين ينبئ عن كثرة الرازقين ولا رازق
الا الله تعالى اجيب بان الله تعالى هو خير الرازقين الذين يظنونهم هذا الغلط ممن يقيمهم الله تعالى
فيضيفون الرزق اليهم لان كل من يرزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده
او رجل يرزق عياله فهو واسطة لا يقدر الا على ما قدره الله واما هو سبحانه فهو يوجد المعدوم ويرزق
من يطيعه ومن يعصيه ولا يضيق رزقه باحد ولا يشغله فيه احد عن احد وعن بعضهم الحمد لله الذي
اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشتهٍ لا يجد وواجد لا يشتهي وقرأ ابو عمرو وقالون والكسائي
فهو يخلفه بسكون الهاء والباقون بالضم ولما بين تعالى ان حال النبي صلى الله عليه وسلم كحال من تقدمه
من الانبياء وحال قومه كحال من تقدم من الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة اموالهم واولادهم
بين ما يكون عاقبة حالهم بقوله تعالى وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ اي نجمعهم جمعا بكره بعد البعث وهم التابع
والمتبوع بقوله تعالى جَمِيعًا فلم نغادر منهم احدا وقرأ حفص يحشرهم ثم يقول بالياء والباقون
بالنون ولما كانت مواقف الحشر طويلة وزلازله مهولة قال تعالى ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ اي
توبيخا للكافرين واقناطا مما يرجون منهم من الشفاعة أَهَؤُلَاءِ اي الضالون واشار الى انه
لا ينفع من العبادة الا ما كان خالصا بقوله تعالى إِيَّاكُمْ اي خاصة كَانُوا يَعْبُدُونَ
فهذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر + اياك اعني واسمعي يا جاره +
ونحوه قوله عز وجل أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم سبحانه كون
الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض ان يقول
ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم اعظم ولذلك قَالُوا اي الملائكة
متبرئين منهم منتحين بالتنزيه خضعا بين يدي البراءة خوفا سُبْحَانَكَ اي تنزهك تنزيها يليق
بجلالك ان نحن يستحق احدا غيرك ان يعبد أَنْتَ وَلِيُّنَا اي معبودنا الذي لا وصلة بيننا وبين احد
الا باذنه مِنْ دُونِهِمْ اي ليس بيننا وبينهم ولاية بل عداوة وكذا كل من تقرب الى شخص بمعصية
الله تعالى فانه يقسي الله تعالى قلبه عليه ويبغضه فيه فيجانبه ويعاديه + ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم
عبدوهم على الحقيقة بقولهم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ اي ابليس وذريته الذين زينوا لهم عبادتنا
من غير رضا منا بذلك وكانوا يدخلون في اجواف الاصنام ويخاطبونهم ويستجيرون بهم في الاماكن
المخوفة ومن هذا تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة وقيل صورت الشياطين لهم صور
قوم من الجن وقالوا هذه صور الجن فاعبدوها استأنفوا قولهم أَكْثَرُهُمْ اي الانس بِهِمْ اي الجن
مُؤْمِنُونَ اي راسخون في الاشراك لا يقصدون بعباداتهم غيرهم وقيل الضمير الاول

للمشركين والاكثر بمعنى الكل وقيل منهم من يقصد بعبادته بتزيين الجن غيرهم وهم مع ذلك يصدقون
ما يرد عليهم من اخبارات الجن على السنة الكهان وغيرهم مع ما يرون فيها من الكذب في كثير
من الاوقات ولما بطلت تمسكاتهم وانقطعت تعلقاتهم تسبب عن ذلك تقريعهم الناشئ عن
تنديمهم بقوله تعالى بلسان العظمة فَالْيَوْمَ اي يوم مخاطبتهم بهذا التبكيت وهو يوم الحشر لَا يَمْلِكُ
اي شيئا من الملك بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اي من المقربين والمبعدين نَفْعًا وَلَا ضَرًّا بل تنقطع الاسباب التي
كانت في دار التكليف من دار الجزاء التي المقصود فيها تمام اظهار العظمة لله وحده على اتم الوجوه
فان قيل قوله تعالى نفعا مفيد للحسرة فما فائدة ذكر الضر مع انهم لو كانوا يملكون الضر لما
نفع الكافرين ذلك اجيب بان العبادة لما كانت تقع لدفع ضرر المعبود كما يعبد الجبار
ويخدم مخافة شره بين انه ليس فيهم ذلك الوجه الذي تحسن لاجله عبادتهم وقوله تعالى
وَنَقُولُ اي في ذلك الحال من غير امهال لِلَّذِينَ ظَلَمُوا اي بوضع العبادة في غير موضعها عند
ادخالهم النار ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ اي جبلة وطبعا بِهَا تُكَذِّبُونَ عطف على لا يملك
بين المقصود من تمهيده فان قيل قوله ههنا التي كنتم بها صفة للنار وفي السجدة وصف العذاب
فجعل المكذب هنا النار وجعل المكذب في السجدة العذاب وهم كانوا يكذبون بالكل فما فائدته
اجيب بانهم كانوا متلبسين بالعذاب مترددين فيه بدليل قوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون فوصف لهم ما لابسوه وهنا لم يلابسوه
بعد لانه عقب حشرهم وسؤالهم فهو اول ما رأوا النار فقيل لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون
وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ اي في وقت من الاوقات من اي تال كان آيَاتُنَا اي من القرآن حال كونها بَيِّنَاتٍ
اي واضحات بلسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قَالُوا مَا هَذَا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم
إِلَّا رَجُلٌ اي مع كونه واحدا هو مثل واحد من رجالكم وتزيدون انتم عليه بالكثرة يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ
بهذا الذي يتلوه عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ من الاصنام اي لا قصد له الا ذلك لتكونوا له اتباعا فعارضوا
البرهان بالتقليد وَقَالُوا مَا هَذَا اي القرآن وقيل القول بالوحدانية إِلَّا إِفْكٌ اي كذب مصروف
عن وجهه مُفْتَرًى باضافته الى الله تعالى كقوله تعالى في حقهم افكا آلهة دون الله تريدون كقولهم
للرسول اجئتنا لتافكنا عن آلهتنا وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا اي ستروا ما دلت عليه العقول من
القرآن لِلْحَقِّ اي الهدى الذي لا اثبت منه باعتبار كمال الحقية فيه لَمَّا جَاءَهُمْ من غير نظر ولا تامل
إِنْ اي ما هَذَا اي الثابت الذي لا شيء اثبت منه إِلَّا سِحْرٌ اي خيال لا حقيقة له مُبِينٌ اي
ظاهر قال ابن عادل وهذا انكار للتوحيد وكان مختصا بالمشركين واما انكار القرآن والمعجزة فكان
متفقا عليه بين المشركين واهل الكتاب فقال تعالى وقال الذين كفروا على العموم انتهى ولم يحملهم على ذلك
الا الحظوظ النفسانية والعلق الشهوانية قال الطفيل بن عمرو الدوسي ذو النور لقد اكثروا
علي في امره صلى الله عليه وسلم حتى حشوت في اذني ماء الكرسف خوفا من ان يخلص الي

شيء من كلامهم فيفتنني ثم اراد الله تعالى الخير فقلت واثكل امي اني والله للبيب عاقل شاعر ولي
معرفة بنقد الكلام من سمينه فما لي لا اسمع منه فان كان حقا تبعته وان كان باطلا كنت منه على
بصيرة او كما قال قال فقصدت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت اعرض علي ما جئت به فلما عرضه علي
قلت بابي وامي ما سمعت قولا قط هو احسن منه ولا امرا اعدل منه فما توقفت في ان اسلمت ثم سأل
النبي صلى الله عليه وسلم في ان يدعو له الله تعالى ان يعطيه آية يعينه بها على قومه فلما اشرف على حاضر
قومه كان له نور في جبهته فخشي ان يظنوا انها مثلة فدعا الله تعالى بتحويله فتحول في طرف سوطه
فاعانه الله تعالى على قومه فاسلموا + تنبيه + في تكرير الفعل وهو قال والتصريح بذكر الكفرة وما في لامي
الذين والحق من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المفاجاة الى البت بهذا القول
انكار عظيم للقول وتعجيب بليغ منه + ولما بادروا بهذا القول من غير اثارة من علم ولا خبر من سمع
بين ذلك بقوله تعالى وَمَا اي قالوا ذلك والحال انا ما آتَيْنَاهُمْ اي هؤلاء العرب مِنْ كُتُبٍ اصلا
لانهم لم ينزل عليهم قط قبل القرآن كتاب واتى بصيغة الجمع مع تاكيد النفي قبل كتابك الجامع
يَدْرُسُونَهَا اي يجددون دراستها كل حين فيها دليل على صحة الاشراك وَمَا أَرْسَلْنَا اي رسالة لا شبهة
فيه لمناسبته لما لنا من العظمة إِلَيْهِمْ اي خاصة بمعنى ان ذلك الرسول مامور بهم باعيانهم فهم مقصودون
بالذات لانهم داخلون في عموم او مقصودون من باب الامر بالمعروف في جميع الزمان الذي
قَبْلَكَ اي قبل رسالتك الجامعة لكل رسالة مِنْ نَذِيرٍ اي يكون عندهم قول منه يدعوهم الى الاشراك
او ينذرهم على تركه وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى وَكَذَّبَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ اي من قوم نوح ومن بعدهم بادروا الى ما بادر اليه هؤلاء من التكذيب
لان التكذيب كان في طباعهم لما عندهم من الجلافة والكبر وَمَا بَلَغُوا اي هؤلاء مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ
اي عشرا صغيرا مما آتيناه لتلك من القوة في الابدان والاموال والمكنة في كل شيء من العقول و
طول الاعمار والخلو من الشواغل فَكَذَّبُوا اي بسبب ما طبعوا عليه من العناد رُسُلِي اليهم فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ اي انكاري على المكذبين لرسلي بالعقوبة والاهلاك اي هو واقع موقعه فليحذر هؤلاء
من مثله ولا تكرير في كذب لان الاول للتكثير اي فعلوا التكذيب كثيرا فكان سببا لتكذيب الرسل والثاني
للتكذيب او الاول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ اي ارشدكم وانصح لكم
بِوَاحِدَةٍ اي بخصلة واحدة هي أَنْ تَقُومُوا اي توجهوا نفوسكم الى تعرف الحق وعبر بالقيام
اشارة الى الاجتهاد لِلَّهِ اي الذي لا اعظم منه على وجه الاخلاص واستحضار ما له من العظمة
بما له لديكم من الاحسان لا لارادة المغالبة حال كونكم مَثْنَى اي اثنين اثنين قال البقاعي
وقدمه اشارة الى ان اغلب الناس ناقص العقل وَفُرَادَى اي واحدا واحدا من وثق
بنفسه في رصانة عقله واصابة رأيه قام وحده ليكون اصفى لسره واعون على خلوص فكره ومن
خاف عليها ضم اليه آخر ليذكره اذا نسي ويقومه اذا زاغ ولم يذكر غيرهما من الاقسام لان الازد

ع

يشوش الخواطر ويخلط القول، ولما كان ما طلب منهم هذا لاجله عظيما جديرا بان يهتم له هذا الاهتمام اشار اليه باداة التراخي بقوله تعالى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا اى فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيته مَا بِصَاحِبِكُمْ اى رسولكم الذى ارسل اليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم مِنْ جِنَّةٍ اى جنون يحمله على ذلك إِنْ اى ما هُوَ اى المحدث عنه بعينه إِلَّا نَذِيرٌ اى خالص انذاره لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ اى قبل حلول عَذَابٍ شَدِيدٍ اى فى الآخرة ان عصيتموه، روى البخارى عن ابن عباس انه قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا ذات يوم فقال يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا ما لك فقال ارأيتم لو اخبرتكم ان العدو يصبحكم او يمسكم اما كنتم تصدقونى قالوا بلى قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك الهذا جمعتنا فانزل الله تعالى تبت يدا ابى لهب وتب، ولما انتفى عنه بهذا ما قذفوه به بقى امكان ان يكون لغرض امر دنيوى فنفاه بقوله تعالى قُلْ اى لهم يا اشرف الخلق مَا اى مهما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ اى على دعائى لكم من الانذار والتبليغ فَهُوَ لَكُمْ اى لا اريد منه شيئا وهو كناية عن انى لا اسألكم على دعائى لكم الى الله تعالى اجرا اصلا بوجه من الوجوه فاذا ثبت ان الدعاء ليس لغرض دنيوى وان الداعى ارجح الناس عقلا ثبت ان الذى حمله على تعريض نفسه لتلك الاخطار العظيمة انما هو امر الله تعالى الذى له الامر كله إِنْ اى ما أَجْرِيَ اى ثوابى إِلَّا عَلَى اللَّهِ اى الذى لا اعظم منه فلا ينبغى لذى همة ان يطلب شيئا الا من عنده وَهُوَ اى والحال انه عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ اى حفيظ مهيمن بليغ العلم باحوالى فيعلم صدقى وخلوص نيتى، وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص اجرى فى الوصل بفتح الياء والباقون بالسكون قُلْ اى لمن انكر التوحيد والرسالة والحشر إِنَّ رَبِّي اى المحسن الى بانواع الاحسان يَقْذِفُ بِالْحَقِّ اى يلقيه الى انبيائه او يرمى به الباطل الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه عَلَّامُ الْغُيُوبِ اى ما غاب من خلقه فى السموات والارض، تنبيه: فى رفع علام اوجه اظهرها انه خبر ثان لان او خبر مبتدأ مضمر او بدل من الضمير فى يقذف، وقال الزمخشرى رفع محمول على محل ان واسمها او على المستكن فى يقذف يعنى بقوله محمول على محل ان واسمها النعت الا ان ذلك ليس مذهب البصريين لانهم لا يعتبرون المحل الا فى العطف بالحرف بشروط عند بعضهم ويريد بالحمل على الضمير فى يقذف انه بدل منه لا انه نعت له لان ذلك انفرد به الكسائى، وقرأ حمزة وشعبة بكسر الغين والباقون بالضم قُلْ لهؤلاء جَاءَ الْحَقُّ اى الاسلام وقيل القرآن وقيل كل ما ظهر على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وقيل المعجزات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد من مجىء الحق ظهور الحق لان كل ما جاء فقد ظهر واكد تكذيبا لهم فى ظنهم انهم يبطلون بقوله تعالى وَمَا اى والحال انه ما يُبْدِئُ الْبَاطِلُ اى الذى انتم عليه من الكفر وَمَا يُعِيدُ اى ذهب فلم تبق منه بقية ماخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدى ولا يعيد مثلا فى الهلاك ومنه قول

اثر من اهله عليه اى لا يبدى ولا يعيد والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى جاء
الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ثلثمائة وستون
صنما فجعل يطعنها بعود ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ
الباطل وما يعيد وقيل الباطل ابليس اى ما ينشئ خلقا ولا يعيده والمنشئ والباعث هو الله تعالى
وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اى لا ينفعهم فى الدنيا والآخرة وقال الزجاج
اى شئ ينشئه ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل الشيطان الباطل لانه صاحب الباطل
ولانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك وحينئذ يكون غير منصرف وان جعلته من
شطن كان منصرفا ولما لم يبق بعد هذا الا ان يقولوا عنادا انت ضال ليس بك جنون ولا كذب
ولكنك قد عرض لك ما اضلك عن المحجة قال تعالى قُلْ اى لهؤلاء المعاندين على سبيل
الاستعطاف بما فى قولك من الانصاف وتعليم الادب إِنْ ضَلَلْتُ اى عن الطريق على سبيل
الفرض فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي اى اثم اضلالى عليها وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا اى فاهتدائى انما هو بما
يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي اى المحسن الى من القرآن والحكمة لا بغيره فلا يكون فيه ضلال لانه لا حظ للنفس
فيه اصلا فان قيل اين التقابل بين قوله تعالى فانما اضل على نفسى وقوله تعالى
فبما يوحى الى ربى وانما كان يقال فانما اضل على نفسى وان اهتديت فانما اهتدى لها
كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله تعالى فمن اهتدى فلنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل بنفسى اجيب بانهما متقابلان من جهة المعنى
لان النفس كل ما عليها فهو بسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربه وتوفيقه
وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسنده الى نفسه لان الرسول
اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به وفتح الياء من ربى عند الوصل
نافع وابو عمرو والباقون بالسكون وهم على مراتبهم فى المد ثم علل الضلال والهداية بقوله تعالى
إِنَّهُ اى ربى سَمِيعٌ اى لكل ما يقال قَرِيبٌ اى يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه
ولما ابطل تعالى شبههم وحقق من صفاته بما يقتضى البعث بين حالهم عطف على ولو ترى
اذ الظالمون وَلَوْ تَرَى اى تبصر يا اشرف الخلق إِذْ فَزِعُوا اى عند الموت او البعث او يوم بدر
وجواب لو محذوف نحو لرأيت امرا عظيما فَلَا اى فتسبب عن ذلك الفزع انه لا فَوْتَ اى لهم
منا لانهم فى قبضتنا ثم عطف امرهم بالبناء للمفعول بقوله تعالى وَأُخِذُوا اى عند الفزع من كل
من تامره باخذهم سواء اكان قبل الموت ام بعده مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ اى القبور او من الموقف
الى النار او من صحراء بدر الى القليب وقال الكلبى من تحت اقدامهم وقيل اخذوا من
ظهر الارض الى بطنها وحيثما كانوا فهم من الله تعالى قريب لا يفوتونه والمعنى على فزعوا
فلا فوت وَقَالُوا اى عند الاخذ ومعاينة الثواب والعقاب آمَنَّا بِهِ اى القرآن الذى قالوا انه افك

مفترى اى محمد صلى الله عليه وسلم الذى قالوا انه ساحر وَاَنّٰى اى وكيف ومن اين لَهُمُ التَّنَاوُشُ اى تناول الايمان تناولا سهلا مِنْ مَّكَانٍ بَعِيْدٍ اى عن محله اذ هم فى الاخرة ومحله فى الدنيا ولايمكن الا برجوعهم الى الدنيا التى هى دار العمل وهذا تمثيل لحالهم فى طلبهم ان ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين ايمانهم فى الدنيا بحال من اراد ان يتناول شيئا من علوه كما يتناوله الاخر من قدر ذراع تناولا سهلا لاتعب فيه فان قيل كيف قال تعالى من مكان بعيد وقد قال تعالى فى كثير من المواضع ان الاخرة من الدنيا قريب وسمى الله تعالى الساعة قريبة فقال اقتربت الساعة اقترب للناس حسابهم لعل الساعة قريب اجيب بان الماضى كالامس الدابر وهو من ابعد ما يكون اذلا وصول اليه والمستقبل وان كان بينه وبين الحاضر سنون فانه آت فيوم القيمة الدنيا بعيدة منه لمضيها ويوم القيمة فى الدنيا قريب لاتيانه وقرأ ابوعمرو وابوبكر وحمزة والكسائى بعد الالف بهمزة مضمومة والباقون بعد الالف بواو مضمومة فمعناه على هذا كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا فى الدنيا فضيعوه واما من همز فقيل معناه هذا ايضا + وقيل التناوش بالهمز من التنؤش الذى هو حركة فى ابطاء يقال جاء نئيشا اى مبطئا متأخرا والمعنى من اين لهم الحركة فيما لاحيلة لهم فيه قال ابن عباس يسألون الرد فيقال وانى لهم الرد الى الدنيا من مكان بعيد اى من الاخرة الى الدنيا وامال انى محضة حمزة والكسائى وابوعمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وَقَدْ اى كيف لهم ذلك والحال انهم قد كَفَرُوْا بِهٖ اى بالذى طلب منهم ان يؤمنوا به محمد صلى الله عليه وسلم او القران او البعث مِنْ قَبْلُ اى فى دار العمل والحال انهم حال كفرهم يَقْذِفُوْنَ اى يرمون بِالْغَيْبِ ويتكلمون بما يظهر لهم فى الرسول صلى الله عليه وسلم من المطاعن وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن وفى القران سحر شعر كهانة وقال قتادة يعنى يرجمون بالظن يقولون لابعث ولاجنة ولانار مِنْ مَّكَانٍ بَعِيْدٍ اى ما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة وهذا تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى شيئا ولايراه من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه وَحِيْلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُوْنَ اى من نفع الايمان يومئذ والنجاة من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا + وقرأ ابن عامر والكسائى بضم الحاء وهو المسمى بالاشمام والباقون بكسرها كَمَا فُعِلَ اى بايسر وجه بِاَشْيَاعِهِمْ اى اشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم مِّنْ قَبْلُ اى قبل زمانهم فان حالهم كان كحالهم ولم يختل امرنا فى امة من الامم بل كان كلما كذبت امة رسولها اخذناها فاذا اذقناهم بأسنا اذعنوا وخضعوا فلم يقبل منهم ذلك ولانفعهم شيئا لايا الكف عن هلاكهم ولا لادراكهم شيئا من الخير بعد اهلاكهم ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ثم علل عدم الوصول الى قصدهم بقوله تعالى مؤكدا لانكارهم ان يكون عندهم شئ من شك فى شئ من امرهم اِنَّهُمْ كَانُوْا اى فى دار القبول فِىْ شَكٍّ اى فى جميع ما تخبرهم به رسلنا عنا من الجزاء والبعث وغير ذلك مُّرِيْبٍ اى موقع فى الريبة فهو بليغ

فى بابه كما يقال عجب عجيب او هو واقع فى الريب كما يقال شعر شاعر اى ذو شعر فهو اسم فاعل من اراب اى اتى بالريب و دخل فيه اربته اى اوقعته فى الريب نسبة الارابة الى الشك مجاز قال الزمخشرى الا ان بينهما فرقا وهو ان المريب من المتعدى منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى ومن اللازم منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر انتهى قول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبا لم يبق نبى ولا رسول الا كان له يوم القيمة رفيقا و مصافحا حديث موضوع

سورة فاطر مكية

وهى ست واربعون اية وسبعمائة وسبعون كلمة وثلاثة الاف ومائة وثلاثون حرفا وهى ختام السور المفتتحة باسم الحمد التى فصلت فيها النعم الاربع التى هى امهات النعم المجموعة فى الفاتحة وهى الايجاد الاول ثم الابقاء الاول ثم الايجاد الثانى المشار اليه بسورة سبا ثم الابقاء الثانى الذى هو انهاها واحكمها وهو المشار اليه بهذه السورة المفتتحة بالابتداء الدال عليه بانهاء القدرة واحكمها المفصل امره فيها فى فريقى السعادة والشقاوة تفصيلا شافيا على انه استوفى فى هذه السورة النعم الاربع كما ياتى بيانه فى محله بِسْمِ اللَّهِ الذى احاطت دائرة قدرته بالممكنات الرَّحْمٰنِ الذى عم الخلق بعموم الرحمة الرَّحِيْمِ الذى شرف اهل الكرامة بدوام المراقبة ولما اثبت سبحانه فى التى قبلها الحشر الذى هو الايجاد الثانى وكان الحمد يكون بالمنع والاعدام كما يكون بالاعطاء والانعام قال تعالى ما هو نتيجة ذلك اَلْحَمْدُ اى الاحاطة باوصاف الكمال اعداما وايجادا لِلّٰهِ اى وحده ولما كان الايجاد من العدم ادل دليل على ذلك قال تعالى دالا على استحقاقه للمحامد فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق قاله ابن عباس او شاقهما لنزول الارواح من السماء وخروج الاجساد من الارض عن مجاهد عن ابن عباس ما كنت ادرى ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الى اعرابيان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها تنبيه ان جعلت اضافة فاطر محضة كان نعتا وان جعلتها غير محضة كان بدلا وهو قليل من حيث انه مشتق ولما كانت الملائكة عليهم السلام مثل الخافقين فى ان كلا منهم مبدع من العدم على غير مثال سبق من غير مادة وكان لا طريق لعامة الناس الى معرفتهم الى الخبر اخبر عنهم بعدهما اخبر عما طريقه المشاهدة بقوله تعالى جَاعِلِ الْمَلٰٓئِكَةِ رُسُلًا اى وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون رسالته بالوحى والالهام والرؤية الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه اُولِىٓ اى اصحاب اَجْنِحَةٍ يهيؤهم لما يراد منهم ثم وصفها بقوله تعالى مَثْنٰى اى جناحين لكل واحد من صنف منهم وَثُلٰثَ اى ثلاثة ثلاثة لصنف آخر منهم وَرُبٰعَ اى اربعة اربعة لصنف آخر منهم فهم متفاوتون بتفاوت مالهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون ويسرعون بها نحو ما وكلهم الله تعالى عليه فيتصرفون فيه على ما امرهم به وانما لم تصرف هذه الصفات لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ

الاعداد من صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ اى يزيد
فى خلق الاجنحة وفى غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين
ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه فان قيل قياس الشفع من الاجنحة
ان يكون فى كل شق نصفه فما صورة الثلاثة اجيب بان الثالث لعله يكون فى وسط الظهر بين الجناحين
يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران قال الزمخشرى فقد مرّ بى فى بعض الكتب ان صنفا من الملائكة
لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما فى الامر من امور الله تعالى
وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله تعالى انتهى وروى ابن ماجة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال رأيت جبريل عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح ينثر من راسه الدر
والياقوت وروى انه عليه السلام سأل جبريل ان يتراءى فى صورته فقال انك لن تطيق ذلك
فقال انى احب ان تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة مقمرة فاتاه جبريل فى صورته فغشى
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه على صدره
والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت
اسرافيل عليه السلام له اثنا عشر الف جناح جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على
كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله تعالى حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء وهو الوجه الحسن والصوت الحسن
والشعر الحسن وقيل هو الخط الحسن وعن قتادة الملاحة فى العينين والاية كما قال الزمخشرى مطلقة
تتناول كل زيادة فى الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام فى الاعضاء وقوة فى البطش
ومتانة فى العقل وجزالة فى الرأى وجرأة فى القلب وسماحة فى النفس وذلاقة فى اللسان ولباقة
فى التكلم وحسن تأتّ فى مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف ثم علّل تعالى ذلك كله
بقوله مؤكدا لاجل انكارهم البعث إِنَّ اللَّهَ اى الجامع لجميع اوصاف الكمال عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
وتخصيص بعض الاشياء دون بعض انما هو من جهة الارادة قال ابو جعفر بن الزبير لما وصفت
سورة سبأ انه سبحانه مالك السموات والارض ومستحق الحمد فى الدنيا والاخرة اوضحت هذه
السورة ان ذلك خلقه كما هو ملكه وانه الاهل للحمد والمستحق اذ الكل خلقه وملكه وتجردت
سورة سبأ لتعريف العباد بعظيم ملكه سبحانه وتجردت هذه للتعريف بالاختراع والخلق
+ ولما وصف سبحانه نفسه المقدسة بالقدرة الكاملة دل على ذلك بما يشاهده كل احد فى نفسه
من السعة والضيق مع العجز عن دفع شئ من ذلك او اقتناصه وقال مستأنفا او معللا مستنتجا ما
اى مهما فهى شرطية يَفْتَحِ اللَّهُ اى الذى لا يكافئه شئ لِلنَّاسِ لان كل ما فى الوجود لاجلهم مِن رَّحْمَةٍ
اى من الارزاق الحسية والمعنوية من اللطائف والمعارف التى لا تدخل تحت حصر قلت او كثرت
فيرسلها فَلَا مُمْسِكَ لَهَا اى الرحمة بعد فتحه كما يعلمه كل احد فى نفسه من انه اذا حصل له خير

لا يعدمه من يودّ انه لم يحصل ولو قدر على ازالته لا زاله ولا يقدر على تأثير ما فيه وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه + ولما كان ربما ادعى احد فجور اهال امساك الرحمة او النعمة انه هو الممسك قال تعالى مِنْ بَعْدِهٖ اى امساكه وارساله وَهُوَ اى هو فاعل ذلك والحال انه هو وحده الْعَزِيْزُ اى القادر على الامساك والارسال الغالب على كل شئ ولا غالب له الْحَكِيْمُ اى الذى يفعل في كل من الامساك والارسال وغيرهما ما يقتضيه علمه به ويتقن ما اراده على قوانين الحكمة فلا يستطاع نقض شئ منه + ولما بين بما يشاهده كل احد في نفسه انه المنعم وحده امر بذكر نعمته بالاعتراف انها منه فان الذكر يعود الى الشكر وهو قيد الموجود وصيد المعدوم المفقود قال يٰاَيُّهَا النَّاسُ اى الجميع لان جميعهم مغمورون في نعمة الله تعالى وعن ابن عباس يريد يا اهل مكة اذْكُرُوْا بالقلب واللسان نِعْمَتَ اللّٰهِ اى الذى لا منعم في الحقيقة سواه عَلَيْكُمْ اى في دفع ما دفع عنكم من المحن وصنع ما صنع لكم من المنن لتشكروه ولا تكفروه + تنبيه + نعمت هنا مجرورة في الرسم وقف عليه ابن كثير وابو عمرو والكسائى بالهاء والباقون بالتاء واذا وقف الكسائى امال الهاء + ولما امر بذكر نعمته اكد التعريف بانها منه وحده على وجه بين عزته وحكمته بقوله تعالى منبها لمن غفل موبخا لمن جحد ورادا على اهل القدر الذين يدعون انهم يخلقون افعالهم ومنبها على نعمة الايجاد الاول هَلْ مِنْ خَالِقٍ اى للنعم وغيرها غَيْرُ اللّٰهِ اى فليس لغيره في ذلك مدخل يستحق ان يشرك به + وقرأ حمزة والكسائى بكسر الراء نعتا لخالق على اللفظ ومن خالق مبتدأ مزاد فيه من والباقون بالرفع وفيه ثلاثة اوجه احدها انه خبر المبتدأ والثانى انه صفة لخالق على الموضع والخبر اما محذوف واما يرزقكم والثالث انه مرفوع باسم الفاعل على جهة الفاعلية لان اسم الفاعل قد اعتمد على اداة الاستفهام + ولما كان جواب الاستفهام قطعا لا بل هو الخالق وحده قال منبها على نعمة الابقاء الاول بقوله تعالى يَرْزُقُكُمْ اى وحده فنعمة الله تعالى مع كثرتها منحصرة في قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقاء + ولما كانت كثرة الرزق كما هو مشاهد مع وحدة المنبع ادل على العظمة قال مِنَ السَّمَآءِ اى بالمطر وغيره وَالْاَرْضِ اى بالنبات وغيره + ولما بين تعالى انه الرازق وحده قال لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ فَاَنّٰى تُؤْفَكُوْنَ اى من اين تصرفون عن توحيده مع اقراركم بانه الخالق الرازق وتشركون المنحوت بمن له الملكوت + ولما بين تعالى الاصل الاول وهو التوحيد ذكر الاصل الثانى وهو الرسالة بقوله تعالى وَاِنْ يُّكَذِّبُوْكَ اى يا اشرف الخلق في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب وغير ذلك فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ في ذلك فان قيل فما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء ان يعقب الشرط وهذا سابق له اجيب بان معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعنى

ج ٣ / ٤٠

بالتكذيب عن التأسى فان قيل ما معنى التنكير فى رسل اجيب بان معناه فقد كذبت رسل اى رسل ذو وعدد كثير واولو آيات ونذر واهل اعمار طوال واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك وهذا تسلى له واحث على المصابرة قال القشيرى وفى هذا اشارة للحكماء وارباب القلوب مع العوام والاجانب من هذه الطريقة فانهم لا يقبلون منهم الا القليل واهل الحقائق ابدا منهم فى مقاساة الاذية والعوام اقرب الى هذه الطريقة من القراء المتعنتين ثم بين من حيث الاجمال ان المكذب فى العذاب وان المكذب له الثواب بقوله تعالى وَإِلَى اللَّهِ اى وحده لان له الامور كلها تُرْجَعُ الْأُمُورُ اى فى الآخرة فيجازيكم واياهم على الصبر والتكذيب ثم بين تعالى الاصل الثالث وهو الحشر بقوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ ولما كانوا ينكرون البعث اكد قوله تعالى إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ اى الذى له صفات الكمال بكل ما وعد به من البعث وغيره حَقٌّ اى ثابت لا خلف فيه وقد وعد انه يردكم اليه فى يوم تنقطع فيه الاسباب ويعرض عن الاحساب والانساب فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ اى بانواع الخداع من اللهو والزينة الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فانه لا يليق بذى همة علية اتباع الدنى والرضا بالدون الزائل عن العالى الدائم وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ اى الذى لا يخلف الميعاد وهو الكبير المتعال الْغَرُورُ اى الذى لا يصدق فى شئ وهو الشيطان العدو ولذلك استأنف قوله تعالى مظهرا فى موضع الاضمار إِنَّ الشَّيْطَانَ اى المحترق بالغضب البعيد عن الخير لَكُمْ اى خاصة عَدُوٌّ فهو فى غاية الفراغ لاذاكم بتصويب مكائده كلها اليكم وبما سبق له مع ابيكم آدم عليه السلام بما وصل اذاه اليكم وايضا من عادى اباك فقد عاداك فاجتهدوا فى الهرب منه ولا تولوه كما قال تعالى فَاتَّخِذُوهُ اى بغاية جهدكم عَدُوًّا اى فى عقائدكم وافعالكم ولا يوجدن منكم الا ما يدل على معاداته ومناصبته فى سركم وجهركم قال القشيرى ولا تقوى على عداوته الا بدوام الاستعانة بالرب فانه لا يغفل عن عداوتك فلا تغفل انت عن مولاك لحظة ثم علل عداوته بقوله إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ اى الذين يوسوس لهم فيعرضهم لاتباعه والاعراض عن الله تعالى لِيَكُونُوا باتباعه كونا راسخا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ وهذا غرضه لا غرض له سواه ولكنه يجتهد فى تعمية ذلك عنهم بان يقرر فى نفوسهم جانب الرجاء وينسيهم جانب الخوف ويريهم ان التوبة فى ايديهم ويسوف لهم بها بالفسحة فى الامل والابعاد فى الاجل للافساد فى العمل والرحمن انما يدعو عباده ليكونوا من اهل النعيم كما قال تعالى والله يدعو الى دار السلام ثم بين تعالى ما حال حزب الشيطان بقوله تعالى الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ اى فى الدنيا بفوات ما يأملونه مع تفرقة قلوبهم وانسداد بصائرهم وسفالة هممهم حتى انهم رضوا ان يكون الههم حجرا وفى الآخرة بالسعير التى دعاهم الى صحبتها ثم بين حزبه تعالى بقوله سبحانه وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا اى تصديقا لايمانهم الصَّالِحَاتِ من صلوة وزكوة وصوم وغير ذلك من المأمورات لَهُم مَّغْفِرَةٌ اى ستر لذنوبهم فى الدنيا ولولا ذلك لافتضحوا فى الآخرة بحيث لا عتاب ولا عقاب ولولا ذلك لهلكوا وَأَجْرٌ كَبِيرٌ هو الجنة والنظر الى وجهه

الكريم فالمغفرة فى مقابلة الايمان فلا يؤبد مؤمن فى النار والاجر الكبير فى مقابلة العمل الصالح
ونزل كما قال ابن عباس فى ابى جهل ومشركى العرب أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ اى قبحه الذى من
شانه ان يسوء صاحبه حالا او مآلا بان غلب وهمه وهواه على عقله فَرَآهُ اى السئ بسبب التزيين
حَسَنًا اى عملا صالحا فَإِنَّ اى السبب فى رؤية الاشياء على غير ما هى عليه ان اللّٰه اى الذى له الامر
كله يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فلا يرى شيئا على ما هو به فيقدم على الهلاك البين وهو يراه عين النجاة
وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فلا يشكل عليه امر ولا يفعل الا حسنا تنبيه من موصول مبتدأ وما بعده
صلته والخبر محذوف واختلف فى تقديره فقدره الكسائى تذهب نفسك عليهم حسرات
لدلالة قوله تعالى تسلية لرسوله صلى اللّٰه عليه وسلم حيث حزن على اصرارهم بعد اتيانه بكل آية
ظاهرة وحجة قاهرة فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ اى المزين لهم حَسَرَاتٍ اى لاجل حسراتك
المترادفة لاجل اعراضهم جمع حسرة وهى شدة الحزن على ما فات من الامر وقدره الزجاج واضله اللّٰه
كمن هداه وقدره غيرهما كمن يزين له وهو احسن لموافقته لفظا ومعنى ونظيره افمن كان على بينة
من ربه اى كمن هو اعمى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى قال سعيد بن جبير
نزلت هذه الآية فى اصحاب الاهواء والبدع قال قتادة منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين
واموالهم فاما اهل الكتاب فليسوا منهم لانهم لا يستحلون الكبائر إِنَّ اللّٰهَ اى المحيط بجميع صفات الكمال عَلِيمٌ
اى بالغ العلم بِمَا يَصْنَعُونَ فيجازيهم عليه ثم عاد تعالى الى البيان بقوله سبحانه وَاللّٰهُ اى الذى له صفات
الكمال لا شئ غيره من طبيعة ولا غيرها الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ اى اوجدها من العدم فهو بها دليل على
الفاعل المختار لان الهواء قد يسكن وقد يتحرك وعند حركته قد يتحرك الى اليمين وقد يتحرك الى الشمال
وفى حركاته المختلفة قد ينشئ السحاب وقد لا ينشئ فهذه الاختلافات دليل على مسخر مدبر مؤثر مقدر وقوله
تعالى فَتُثِيرُ سَحَابًا عطف على ارسل لان ارسل بمعنى المستقبل فلذلك عطف عليه واتى بارسل
لتحقيق وقوعه وبتثير لتصور الحال واستحضار الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة كقوله تعالى انزل
من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ولما اسند فعل الارسال اليه تعالى وما يفعله يكون بقوله تعالى كن
فلا يبقى فى العدم لا زمانا ولا جزأ من الزمان فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة تكوينه
فكأنه كان ولانه فرغ عن كل شئ فهو قدر الارسال فى الاوقات المعلومة الى المواضع المعينة
+ ولما اسند فعل الاثارة الى الريح وهى تؤلف فى زمان فقال تثير اى على هيئتها وقرأ ابن كثير
وحمزة والكسائى بالتوحيد والباقون بالجمع وقوله تعالى فَسُقْنَاهُ فيه التفات عن الغيبة إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ
اى لا نبات بها وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائى بتشديد الياء والباقون بالتخفيف
فَأَحْيَيْنَا بِهِ اى بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكر المطر حيث اقيم مقامه او بالسحاب فانه سبب
السبب او الصائر مطرا الْأَرْضَ بالنبات والكلأ بَعْدَ مَوْتِهَا اى يبسها + تنبيه + العدول
فى سقنا واحيينا من الغيبة فى قوله تعالى واللّٰه الذى ارسل الرياح الى ما هو ادخل

في الاختصاص وهو التكلم فيهما من مزيد الصنع والكاف في قوله تعالى كذلك في محل رفع اى مثل احياء الموات النشور للاموات وجه الشبه من وجوه اولها ان الارض الميتة قبلت الحياة كذلك الاعضاء تقبل الحياة ثانيها كما ان الريح يجمع السحاب المقطع كذلك تجمع الاعضاء المتفرقة ثالثها كما ان نسوق الريح والسحاب الى البلد الميت كذلك نسوق الروح الى الجسد الميت فان قيل ما الحكمة في اختيار هذه الاية من بين الايات مع ان الله تعالى له في كل شئ اية تدل على انه واحد اجيب بان الله تعالى لما ذكر كونه فاطر السموات والارض وذكر من الامور السماوية الارواح وارسالها بقرينه تعالى جاعل الملائكة رسلا ذكر من الامور الارضية الرياح وروى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى وما اية ذلك في خلقه فقال هل مررت بواد اهلك محلا ثم مررت به يهتز فقال نعم فقال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك ايته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت منه اجساد الخلق ولما كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا والذين امنوا بالسنتهم غير مواطئة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا بين تعالى ان لا عزة الا لله بقوله سبحانه مَن كَانَ اى في وقت من الاوقات يُرِيدُ الْعِزَّةَ اى الشرف والمنعة فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا اى في الدنيا والاخرة والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله تعالى فلله العزة جميعا موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشئ لا يطلب الا من عند صاحبه ومالكه ونظيره قولهم من اراد النصيحة فهي عند الابرار يريد فليطلبها عندهم الا انك اقمت ما يدل عليه مقامه وقال قتادة من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله تعالى ومعناه الدعاء الى طاعة من له العزة اى فليطلب العزة من عند الله بطاعته كما يقال من كان يريد المال فالمال لفلان اى فليطلبه من عنده ثم عرف ان ما تطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله تعالى إِلَيْهِ اى لا الى غيره يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ قال المفسرون هو قول لا اله الا الله وقيل هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا انبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فلا يمر على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله عز وجل قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب ذكر الله وعن قتادة اليه يصعد الكلم الطيب اى يقبل الله الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القران وعن الحاكم موقوفا وعن الثعلبي مرفوعا انه صلى الله عليه وسلم قال هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم تقبل وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ اى يقبله فصعود الكلم الطيب والعمل الصالح مجاز عن قبوله

تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحفهما والمستكن في يرفعه الله تعالى وتخصيص العمل بهذا الشرف
لما فيه من الكلفة وقال سفيان بن عيينة العمل الصالح هو الخالص يعني الاخلاص سبب قبول الخيرات
من الاقوال والافعال لقوله تعالى فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء + تنبيه + صعود الكلم الطيب والعمل الصالح مجاز عن قبوله
تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحفهما والمستكن في يرفعه لله تعالى وتخصيص العمل
بهذا الشرف لما فيه من الكلفة او للحكم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد او للعمل فانه
يحقق الايمان ويقويه قال الرازي في اللوامع العلم لا يتم الا بالعمل كما قيل العلم يهتف بالعمل
فان اجاب والا ارتحل انتهى وقد قيل ؎ لا ترض من رجل حلاوة قوله + حتى يصدق
ما يقول فعاله + فاذا وزنت مقاله بفعاله + فتوازنا فاخاء ذاك جماله + وقال الحسن الكلم
الطيب ذكر الله تعالى والعمل الصالح اداء فرائضه فمن ذكر الله تعالى ولم يؤد فرائضه رد كلامه
على عمله وليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال
حسنا وعمل غير صالح رد الله تعالى عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه الله + ولما بين
ما يحصل العزة من علو الهمة بين ما يكسب المذلة ويوجب النقمة من دنيء الهمة بقوله تعالى
وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ اي يعملون على وجه المكر اي استر المكرات السَّيِّئَاتِ اي مكرات قريش بالنبي
صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم الرأي في احدى ثلاث حبسه وقتله واجلائه
كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية وقال الكلبي معناه يعملون
السيئات وقال مقاتل يعني الشرك وقال مجاهد هم اصحاب الرياء لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
اي لا تؤبه دونه بما يمكرون وَمَكْرُ أُولَئِكَ اي البعداء من الفلاح هُوَ اي وحده دون
مكر من يريد بمكره الخير فان الله ينفذه ويعلي امره يَبُورُ اي يفسد ولا ينفذ اذ الامور مقدرة
فلا تتغير بسبب مكرهم كما دل عليه بقوله تعالى وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ اي بتكوين ابيكم
آدم منه فمزجه مزجا لا يمكن لغيره تمييزه ثم احاله عن ذلك الجوهر اصلا ورأسا واليه الاشارة
بقوله تعالى ثُمَّ اي بعد ذلك في الزمان والرتبة خلقكم مِنْ نُطْفَةٍ اي جعلها اصلا ثانيا من ذلك
الاصل التراب اشد امتزاجا منه ثم بعد ان انهى التدبير زمانا ورتبة الى النطفة التي لا مناسبة
بينها وبين التراب دلالة على كمال القدرة والفعل بالاختيار جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا اي بين ذكور
واناث دلالة هي اظهر مما قبلها على الاختيار وعن قتادة زوج بعضكم بعضا + تنبيه + يصح
ان يقال كما قال ابن عادل خلقكم خطاب مع الناس وهم اولاد آدم عليه السلام وكلهم من تراب
ومن نطفة لان كلهم من نطفة والنطفة من غذاء والغذاء ينتهي بالآخرة الى الماء والتراب فهم
من تراب صاروا نطفة + ولما بين تعالى بقوله سبحانه خلقكم من تراب كمال قدرته بين بقوله
سبحانه وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ اي حملها إِلَّا اي مصحوبا بِعِلْمِهِ اي في وقته ونوعه وشكله

رغبني ذلك من شأنه مختصا بذلك كله حتى من امه التي هي اقرب اليه فلا يكون الا بتقديره
فيا شاء اتمه وما شاء اخرجه كما علمه ثم بين نفوذ ارادته بقوله تعالى وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ اي
وما يمد في عمره من مصغره الى كبره وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه فمعناه وما يعمر من احد
وفي عود ضمير قوله تعالى وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ قولان احدهما انه يعود على معمر آخر لان المراد
بقوله تعالى من معمر الجنس فهو يعود عليه لفظا لا معنى لانه بعد ان فرض كونه معمرا استحال
ان ينقص من عمره نفسه كما يقال لفلان عندي درهم ونصفه اي نصف درهم آخر والثاني انه
يعود على المعمر نفسه لفظا ومعنى والمعنى انه اذا ذهب من عمره حول احصى وكتب ثم حول
حول اخر كذلك فهذا هو النقص واليه ذهب ابن عباس وابن جبير وابو مالك ومنه قول الشاعر
ـه حياتك انفاس تعد فكلما مضى نفس منك انتقصت به جزءا + وقال الزمخشري هذا
من الكلام المتسامح فيه ثقة في تاويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه
بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض
يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق قال وفيه تاويل اخر وهو انه لا يطول عمر انسان
ولا يقصر الا في كتاب وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة وان حج
وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به
الاربعون فقد نقص عن عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله عليه
وسلم في قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب انه قال حين طعن
عمر رضي الله تعالى عنه لو ان عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله تعالى فاذا جاء اجلهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فقال هذا اذا اخضر الاجل فاما قبل ذلك فيجوز ان يزاد وينقص
وقرأ هذه الآية وقد استفاض على الالسنة اطال الله تعالى بقاءك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن
سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة
ايام حتى ياتي على اخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل
ستين سنة والكتاب في قوله تعالى إِلَّا فِي كِتَابٍ اي مكتوب فيه عمر فلان كذا وكذا وعمر فلان كذا
ان عمل كذا وعمره كذا ان لم يعمل كذا هو اللوح المحفوظ قاله ابن عباس قال الزمخشري ويجوز ان يراد
بكتاب الله علم الله تعالى او صحيفة الانسان + ولما كان ذلك امرا لا يحيط به العد ولا يحصره الحد فكان
في عداد ما ينكره الجهلة قال تعالى مؤكدا لسهولته إِنَّ ذَلِكَ اي الامر العظيم من كتب
الآجال كلها وتقديرها عَلَى اللَّهِ اي الذي له جميع العزة يَسِيرٌ اي هين وقوله تعالى
وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ اي طيب حلو لذيذ ملائم طبعه فُرَاتٌ اي بالغ العذوبة
سَائِغٌ شَرَابُهُ اي شربه مريء سهل انحداره لما له من اللذة والملائمة للطبع وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ
اي جمع الى الملوحة المرارة فلا يسوغ شرابه بل لو شرب لآلم الحلق واجج في البطن ما هو كالنار

ضرب مثلا للمؤمن والكافر وقوله تعالى وَمِنْ كُلٍّ اي الملح والعذب تَأْكُلُونَ اي من السمك المنوع
الى انواع تفوت الحصر لَحْمًا طَرِيًّا اي شهي المطعم وَتَسْتَخْرِجُونَ اي من الملح دون العذب حِلْيَةً
تَلْبَسُونَهَا اي نساؤكم من الجواهر الدر والمرجان وغيرهما ذكر استطرادا في
صفة البحرين وما فيهما من النعم وتمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في
الفوائد لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان فيما هو مقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما
ما افسده وغيره عن كمال فطرته فلا يتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما
في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصة العظمى وهي بقاء
احدهما على الفطرة الاصلية دون الآخر وقيل تخرج الحلية منهما كما هو ظاهر قوله تعالى
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال البغوي لانه قد يكون في البحر الاجاج عيون عذبة تمتزج بالملح
فيكون اللؤلؤ من ذلك انتهى + فائدة + عاب المبرد وغيره قول الشافعي رضي الله تعالى
عنه كل ماء من بحر عذب او ملح فالتطهر به جائز وقالوا انه لحن وانما يقال ملح كما قال تعالى
وهذا ملح اجاج وهم مخطئون في ذلك كما قيل ــه وكم من عائب قولا صحيحا + وآفته من الفهم
السقيم + ولكن تأخذ الآذان منه + على قدر القريحة والفهوم + قال النووي واجاب اصحابنا
باجوبة اصحها ان فيه اربع لغات ملح ومالح ومليح وملاح بضم الميم وتخفيف اللام قال عمر بن
ابي ربيعة ــه ولو تفلت في البحر والبحر مالح + لاصبح ماء البحر من ريقها عذبا + وقال آخر
ــه وللرزق اسباب تروح وتغتدي + واني منها غير غاد ورائح + فقنعت بثوب العدم
من حلة الغنى + ومن بارد عذب زلال بمالح + وقال محمد بن حازم ــه تلونت الوانا
علي كثيرة + وخالط عذبا من اخائك مالح + وقال خالد بن يزيد بن معاوية في
رملة بنت الزبير ــه ولو وردت ماء وكانت قبيله + مليحا شربنا ماءه باردا عذبا
وقال الخطابي يقال ماء ملاح كما يقال اجاج وزعاق وزلال قال وانما ترك الشافعي
من اللغة العالية التي هي ادنى للايضاح وحسما للاشكال والالتباس لئلا يتوهم متوهم
انه اراد بالملح المذاب فيظن ان الطهارة به جائزة وثاني الاجوبة ان الشافعي امام
في اللغة فقوله فيها حجة وثالثها ان هذه اللفظة ليست من كلام الشافعي
ولم يذكرها بل من كلام المزني وهذا ليس بشيء وكيف ينسب الخطأ الى المزني وعنه
مندوحة وقولهم لم يذكرها الشافعي غير صحيح وقد انكره البيهقي وقال بل سمى
الشافعي البحر مالحا في كتابين امالي الحج والمناسك الكبير + فائدة اخرى
وهي ان ابن عمر قال في البحر التيمم احب الينا منه وقال بحركم هذا نار وتحت النار بحر
حتى عد سبعة ابحر وسبعة انوار ولكن روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من
لم يطهره البحر فلا طهره الله ويؤول كلام ابن عمر بانه سيصير يوم القيمة نارا او بانه مهلكا

يهلك كما تهلك النار ولما كان الاكل والاستخراج من المنافع العامة عمم الخطاب ولما كانت
استقرار شئ فى البحر دون غرق امرا غريبا لكنه صار لشدة الفه لا يقوم بانه من
اكبر الآيات دلالة على القادر المختار الا اهل البصائر خص بالخطاب فقال وَتَرَى الْفُلْكَ
اى السفن سمى فلكا لدورانه وسفينة لقشره الماء وقدم الظرف فى قوله تعالى فِيهِ لانه
اشد دلالة على ذلك مَوَاخِرَ اى جوارى مستدبرة الريح الشاقة للماء بجريها هذه مقبلة وهذه
مدبرة وجهها الى ظهر هذه بريح واحدة يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات
مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذى اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء
كانها تقشره كما تمخره ثم علق بالمخر معللا قوله تعالى لِتَبْتَغُوا اى تطلبوا طلبا شديدا مِنْ فَضْلِهِ
اى الله بالتوصل بذلك الى البلاد الشاسعة للمتاجر وغيرها ولو جعلها ساكنة لم يترتب عليها
ذلك ولم يجر به ذكر فى الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
اى وليكون حالكم بهذه الدلالة على عظيم قدرة الله تعالى ولطفه حال من يرجى شكره
تنبيه: حرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل
كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا + ولما ذكر تعالى اختلاف الذوات الدالة على بديع صنعه اتبعه
اختلاف الازمنة الدالة على بديع قدرته بقوله تعالى يُولِجُ اى يدخل الله اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ
فيصير الظلام ضياء + ولما كان هذا الفعل فى غاية الاعجاب وكان لكثرة تكراره قد
صار مالوفا فغفل عما فيه من الدلالة على تمام القدرة نبه عليه باعادة الفعل بقوله تعالى
وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ فيصير ما كان ضياء ظلاما وتارة يكون التولج بقصر هذا وطول هذا
فدل كل ذلك على انه تعالى فاعل بالاختيار + ولما ذكر الليل والنهار ذكر ما ينشأ عنهما بقوله
تعالى وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ثم استأنف قوله تعالى كُلٌّ اى منهما يَجْرِى اى فى فلكه
لِاَجَلٍ اى لاجل اجل مُسَمًّى مضروب له لا يقدر ان يتعداه فاذا جاء ذلك الاجل غرب
هكذا كل يوم الى ان يأتى الاجل الاعظم فيختل هذا النظام باذن الملك العلام وتقوم الناس
ليوم الزحام وتكون الامور العظام + ولما ذكر سبحانه انه الفاعل المختار القادر على ما يريد
بما يشاهده كل احد فى نفسه وفى غيره وختم بما تكرر مشاهدته فى كل يوم مرتين انتج ذلك
قطعا قوله تعالى معظما باداة البعد وميم الجمع ذَلِكُمُ اى العالى المقدار الذى فعل هذه الافعال
كلها اللّٰهُ الذى له صفة كل كمال ثم نبههم على انه لا مدبر لهم سواه بخبر آخر بقوله تعالى رَبُّكُمْ
اى الموجد لكم من العدم المربى بجميع النعم لا رب لكم سواه ثم استأنف قوله تعالى لَهُ اى
وحده الْمُلْكُ اى كله وهو مالك كل شئ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ اى تعبدون مِنْ دُونِهِ
اى غيره وهم الاصنام وغيرها وكل شئ دونه مَا يَمْلِكُونَ فى حال من الاحوال واغرق
فى النفى بقوله تعالى مِنْ قِطْمِيرٍ وهو كما روى عن ابن عباس لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة الملتفة

عليها كناية عن ادنى الاشياء فكيف بما فوقه فليس لهم شيء من الملك والآية من الاحتباك ذكر الملك
اولا ليدل على حذفه ثانيا والملك ثانيا ليدل على حذفه اولا وقيل القطمير هو القمع وقيل ما بين القمع
والنواة ففي النواة على الاول اربعة اشياء يضرب بها المثل في القلة الفتيل وهو ما في شق النواة والقطمير
وهو اللفافة والنقير وهو ما في ظهر النواة والرقروق وهو ما بين القمع والنواة ثم بين ذلك بقوله
تعالى ان تدعوهم اى المعبودات من دونه دعاء عبادة او استعانة لا يسمعوا دعاءكم اى لانهم
جماد ولو سمعوا اى على سبيل الفرض والتقدير ما استجابوا لكم اى لعدم قدرتهم على الانتفاع
+ ولما بين عدم النفع فيهم في الدنيا بين عدم النفع منهم في الآخرة ووجود الضرر منهم في الآخرة
بقوله سبحانه ويوم القيمة اى حين ينطقهم الله تعالى يكفرون بشرككم اى باشراككم
فينكرونه ويتبرؤن منه بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون كما حكى الله تعالى ذلك عنهم في آية اخرى
ولا ينبئك اى يخبرك ايها السامع بالامر مخبر هو مثل خبير اى عالم به اى ان الخبير بالامر
وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به لانه لا يمكن الطعن في شيء مما اخبر به
بخلاف غيره والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت
به + ولما اختص تعالى بالملك ونفى عن شركائهم النفع انتج ذلك قوله تعالى يا ايها الناس اى
كافة انتم اى خاصة الفقراء وقوله سبحانه الى الله اعلام بانه لا افتقار الا اليه ولا اتكال الا عليه
وهذا يوجب عبادته لكونه مفتقرا اليه وعدم عبادة غيره لعدم الافتقار الى غيره فان قيل لم عرف
الفقراء اجيب بانه قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت
الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف
كان افقر وقد شهد الله تعالى على الانسان بالضعف في قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وقال
تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء قال القشيري والفقر على
ضربين فقر خلقة وفقر صفة فالاول عام فكل حادث مفتقر الى خالقه في اول حال وجوده
ليبديه وينشئه وفي ثاني حاله ليديمه ويبقيه واما فقر الصفة فهو التجرد وفقر العوام التجرد عن المال
وفقر الخواص التجرد عن الاعلال وحقيقة الفقر المحمود تجرد السر عن المعلولات + ولما ذكر العبد بوصفه
الحقيقي اتبعه ذكر الخالق باسمه الاعظم فقال والله هو الغني اى المستغني على الاطلاق فلا يحتاج الى
احد ولا الى عبادة احد من خلقه وانما امرهم بالعبادة لاشفاقه تعالى عليهم ففي هذا رد على
المشركين حيث قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله لعله محتاج الى عبادتنا حتى امرنا بها امرا
بالغا وهددنا على تركها مبالغا فان قيل قد قابل الفقر بالغنى فما فائدة قوله تعالى الحميد اى
المحمود في صنعه بخلقه اجيب بانه لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا
كان الغني منعما جوادا واذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به
على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه ان يحمدوه وقوله تعالى

إن يشأ يذهبكم أي جميعا بيان لغنائه وفيه بلاغة كاملة لأن قوله تعالى إن يشأ يذهبكم أي ليس
إذهابكم موقوفا إلا على مشيئته بخلاف الشيء المحتاج إليه فإن المحتاج إلى الشيء لا يقال فيه إن شاء فلان
هدم داره وإنما يقال لولا حاجة الساكن إلى الدار لبعتها ثم إنه تعالى زاد على بيان الاستغناء بقوله
تعالى ويأت بخلق جديد أي إن كان يتوهم متوهم أن بهذا الملك كماله وعظمته فلو أذهبه لزال
ملكه وعظمته فهو قادر أن يخلق خلقا جديدا أحسن من هذا وأجمل وعن ابن عباس يخلق بعدكم
من يعبده لا يشرك به شيئا وما ذلك أي الأمر العظيم من الإذهاب والإتيان على الله أي المحيط بجميع
صفات الكمال خاصة بعزيز أي بممتنع ولا شاق وهو محمود عند الإعدام كما هو محمود عند الإيجاد
فإن قيل استعمل تعالى العزيز تارة في القائم بنفسه فقال تعالى في حق نفسه وكان الله قويا عزيزا وقال
في هذه السورة عزيز غفور واستعمله تارة في القائم بغيره فقال تعالى وما ذلك على الله بعزيز وقال تعالى
عزيز عليه ما عنتم فهل هما بمعنى واحد أو بمعنيين أجيب بأن العزيز في اللغة هو الغالب والفعل إذا
كان لا يطيقه شخص يقال هو مغلوب بالنسبة إلى ذلك الفعل فقوله تعالى وما ذلك على الله
بعزيز أي ذلك الفعل لا يغلبه بل هو هين على الله تعالى وقوله سبحانه عزيز عليه ما عنتم أي
يحزنه ويؤذيه كالشغل الغالب وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى فيه حذف الموصوف
للعلم به أي ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى فإن قيل كيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى
وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم أجيب بأن تلك الآية في الضالين المضلين فإنهم يحملون
أثقال إضلالهم وكل ذلك أوزارهم وليس فيها شيء من أوزار غيرهم وإن تدع أي نفس
مثقلة أي بأوزار إلى حملها أي من الأوزار أحدا ليحمل بعضه لا يحمل أي من حامل ما منه شيء
أي لا طواعية ولا كرها لكل امرئ شأن يغنيه ولو كان ذلك الداعي أو المدعو للحمل ذا قربى
لمن دعاه فإن قيل ما الفرق بين معنى قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى ومعنى قوله تعالى
وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء أجيب بأن الأول في الدلالة على عدل الله تعالى
في حكمه وأنه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في أن لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى إن نفسا
قد أثقلتها الأوزار لو دعت إلى أن تخفف بعض وزرها لم تجب ولم تغث وإن كان الداعي أو المدعو
بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ قال ابن عباس يلقى الأب أو الأم ابنه فيقول يا بني احمل
عني بعض ذنوبي فيقول لا أستطيع حسبي ما علي تنبيه أضمر الداعي أو المدعو بدلالة إن تدع
عليه ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمعهم ذلك فلم ينفعهم نزل إنما تنذر أي إنذارا
يفيد الرجوع عن الغي الذين يخشون ربهم أي المحسن إليهم فيرعون هذا الفعل في الحال ويواظبون
عليه في الاستقبال ولما كان أولى الناس عقلا وأعلاهم همة من كان غيبه مثل حضوره قال تعالى
بالغيب وهو حال من الفاعل أي يخشونه غائبين عنه أو من المفعول أي غائبا عنهم ولما كانت
الصلاة جامعة للخضوع الظاهر والباطن فكانت أشرف العبادات كانت إقامتها بمعنى حفظ جميع

حده وحدها في كل حال ادل الطاعات على الاخلاص قال تعالى معبرا بالماضي لان المواقيت للصلوة
مضبوطة وَأَقَامُوا اي دليلا على خشيتهم الصلوة في اوقاتها الخمسة وما يتبع ذلك من السنن
وَمَنْ تَزَكَّى اي تطهر اي بفعل الطاعات وترك المعاصي فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ اذ نفعه لها وَإِلَى اللَّهِ
اي الذي لا اله غيره الْمَصِيرُ اي المرجع كما كان منه المبدأ فيجازي كلا على فعله * ثم لما بين تعالى
الهدى والضلالة وهدى الله تعالى المؤمن ولم يهد الكافر ضرب لهما مثلا بقوله تعالى
وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى اي عن الهدى وَالْبَصِيرُ بالهدى اي المؤمن والكافر وقيل الجاهل
والعالم وقيل هما مثلا للصنم ولله وَلَا الظُّلُمَاتُ اي الكفر وَلَا النُّورُ اي الايمان او لا الباطل ولا
الحق وَلَا الظِّلُّ اي الجنة وَلَا الْحَرُورُ اي النار او لا الثواب ولا العقاب * تنبيه * قال
ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار وقيل الحرور تكون بالنهار مع الشمس
وقيل السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقوله تعالى وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ
تمثيل اخر للمؤمن والكافر ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهال * تنبيه *
زيادة لا في الثلاثة لتاكيد نفي الاستواء وجاء ترتيب هذه المنفيات على احسن الوجوه فانه
تعالى لما ضرب الاعمى والبصير مثلين للمؤمن والكافر عقب بما كل منهما فيه والكافر في ظلمة
والمؤمن في نور لان البصير وان كان حديد البصر لا بد له من ضوء يبصر فيه وقدم الاعمى لان البصير
فاصلة فحسن تاخيره ولما تقدم الاعمى في الذكر ناسب تقديم ما هو فيه فلذلك قدمت الظلمة على النور
ولان النور فاصلة ثم ذكر ما لكل منهما فللمؤمن الظل وللكافر الحرور واخر الحرور لاجل الفاصلة
كما مر وقولنا لاجل الفاصلة اولى من قول بعضهم لاجل السجع لان القرآن ينزه عن ذلك وقد
منع الجمهور ان يقال في القرآن سجع وانما كرر الفعل في قوله تعالى وما يستوي الاحياء مبالغة
في ذلك لان المنافاة بين الحياة والموت اتم من المنافاة المتقدمة وقدم الاحياء لشرف الحياة ولم يعد لا
تاكيدا في قوله تعالى الاعمى والبصير وكررها في غيره لان منافاة ما بعده اتم فان الشخص الواحد قد
يكون بصيرا ثم يصير اعمى فلا منافاة الا من حيث الوصف بخلاف الظل والحرور والظلمات والنور فانها
متنافية ابدا لا يجتمع اثنان منها في محل فالمنافاة بين الظل والحرور وبين الظلمة والنور دائمة فان قيل الحياة
والموت بمنزلة العمى والبصر فان الجسم قد يكون متصفا بالحياة ثم يتصف بالموت اجيب بان المنافاة بينهما
اتم من المنافاة بين الاعمى والبصير لان الاعمى والبصير يشتركان في ادراكات كثيرة ولا كذلك
الحي والميت فالمنافاة بينهما اتم من المنافاة بين الاعمى والبصير لانه قابل الجنس بالجنس وقد يوجد
في افراد العميان من يساوي بعض افراد البصراء كاعمى ذكي له بصيرة يساوي بصيرا بليدا فالتفاوت
بين الجنسين مقطوع به لا بين الافراد وجمع الظلمات لانها عبارة عن الكفر والضلال وطرقهما كثيرة
متشعبة ووحد النور لانه عبارة عن التوحيد وهو واحد فالتفاوت بين كل فرد من افراد الظلمة
وهذا الفرد الواحد فالمعنى الظلمات كلها لا يوجد فيها ما يساوي هذا الواحد ثم نبه سبحانه بقوله تعالى

إن الله اي القادر على المفارقة بين هذه الاشياء وعلى كل شيء بما له من الاحاطة من صفات الكمال
يسمع من يشاء على ان الخشية والقسوة انما هو بيده تعالى وان الانذار انما هو لمن قضى بانتفاعه
فيتعظ ويجيب وما انت اي بنفسك من غير اقدار الله تعالى لك بمسمع اي بوجه من الوجوه
من في القبور اي الحسية او المعنوية اسماعا ينفعهم بل الله يسمعهم ان شاء فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات إن اي ما انت الا نذير اي تنبيه القلوب الميتة بقوارع الانذار ولست بوكيل
تقهرهم على الايمان + ثم بين تعالى انه ليس نذيرا من تلقاء نفسه انما هو باذن الله تعالى وارساله
بقوله تعالى إنا اي بما لنا من العظمة ارسلناك اي الى هذه الامة بالحق اي الامر الكامل في الثبات
الذي يطابقه الواقع فان من نظر الى كثرة ما اوتيه من الدلائل علم مطابقة الواقع لما يامر به
+ تنبيه يجوز في قوله تعالى بالحق اوجه احدها انه حال من الفاعل اي ارسلناك محقين او
من المفعول اي محقا او نعت لمصدر محذوف اي ارسالا متلبسا بالحق ويجوز ان يكون صلة
لقوله تعالى بشيرا اي لمن اطاع ونذيرا اي لمن عصى وإن اي وما من امة الا خلا اي سلف فيها
نذير اي نبي ينذرها + تنبيه + الامة الجماعة الكثيرة قال تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون
ويقال لكل اهل عصر امة والمراد ههنا اهل العصر فان قيل كم من امة في الفترة بين عيسى
ومحمد صلى الله عليهما وسلم لم يخل فيها نذير اجيب بان آثار النذارة اذا كانت باقية لم تخل
من نذير الى ان تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث الله تعالى محمدا صلى الله
عليه وسلم فان قيل كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما اجيب بانه لما كانت
النذارة مشفوعة من البشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الآية على
ذكرهما او لان الانذار هو المقصود والاهم من البعثة وإن يكذبوك اي اهل مكة فقد كذب الذين
من قبلهم اي ما اتتهم به رسلهم عن الله تعالى جاءتهم اي الامم الخالية رسلهم بالبينات
اي الآيات الواضحات الدالة على صحة الرسالة من المعجزات وغيرها وبالزبر اي الامور
المكتوبة كصحف ابراهيم عليه السلام وبالكتاب اي جنس الكتاب كالتوراة والانجيل المنير اي الواضح في
نفسه الموضح لطريق الخير والشر كما انك اتيت قومك بمثل ذلك وان كانت طريقتك اوضح واظهر وكتابك
انور وابين واظهر واشهر وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث علم ان غيره كان مثله في
التبليغ وكان محتملا لاذى القوم + تنبيه + لما كانت هذه الاشياء في جنسهم اسند المجيء بها اليهم اسنادا
مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب + ولما سلاه الله
تعالى هدد من خالفه وعصاه بما فعل في تلك الامم الماضية بقوله تعالى ثم اخذت اي بانواع الاخذ
الذين كفروا اي ستروا تلك الآيات المنيرة بعد طول صبر الرسل عليهم الصلاة والسلام عليهم ودعائهم لهم
فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بالعقوبة والاهلاك اي هو واقع موقعه + تنبيه + اثبت ورش
الياء بعد الراء في الوصل دون الوقف والباقون بغير ياء وقفا ووصلا + ولما ذكر تعالى الدلائل

ولم ينتفعوا قطع الكلام معهم والتفت الى غيرهم بقوله تعالى ألم تر تعلم اى ايها المخاطب إن الله
اى الذى له جميع صفات الكمال أنزل من السماء ماء كما ان السيد اذا نصح بعض عبيده
ولم ينزجر يقول لغيره اسمع ولا تكن مثل هذا ويكرر ما ذكره للاول ويكون فيه اشعار بان الاول
فيه نقيصة لا يصلح للخطاب فيتنبه له ويدفع عن نفسه تلك النقيصة وايضا فلا يخرج الى كلام اجنبى
عن الاول بل يأتى بما يقاربه لئلا يسمع الاول كلام الاخر فيترك التفكر فيما كان وقوله تعالى
فأخرجنا اى بما لنا من القدرة والعظمة به اى بالماء ثمرات اى متعددة الانواع فيه التفات من الغيبة
الى التكلم وانما كان ذلك لان المنة بالاخراج ابلغ من انزال الماء وقوله تعالى مختلفا نعت لثمرات وقوله تعالى
ألوانها فاعل به ولولا ذلك لأنث مختلفا ولكنه لما اسند الى جمع تكسير غير عاقل جاز تذكيره ولو انث فقيل
مختلفة كما تقول اختلفت الوانها لجاز اى مختلفة الاجناس من الرمان والتفاح والعنب وغيرها مما لا يحصى
او الهيئات من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها فالذى قدر على المفاوتة بينها وهى من ماء
واحد لا يستبعد عليه ان يجعل الدلائل بالكتاب وغيره نورا لشخص وعمى لآخر ولما ذكر تعالى
تنوع ما من الماء وقدمه لانه الاصل فى التكوين اتبعه التكوين من التراب الذى هو ايضا شىء واحد
بقوله تعالى ذاكرا ما هو اصلب الارض وابعدها عن قابلية التكوين ومن الجبال جدد قال
الجلال المحلى رحمه الله تعالى جمع جدة طريق فى الجبل وغيره وقال الزمخشرى الجدد الخطوط والطرق
وقال ابو الفضل الجدة ما تخالف من الطرائق لون ما يليها ومنه جدة الحمار للخطة السوداء على
ظهره وقد يكون للظبى جدتان مسكيتان تفصلان بين لونى ظهره وبطنه بيض وحمر وصفر وقوله
تعالى مختلف صفة لجدد وقوله تعالى ألوانها فاعل به كما مر فى نظيره ويحتمل معنيين احدهما ان البياض
والحمرة يتفاوتان بالشدة والضعف فرب ابيض اشد من ابيض واحمر اشد من احمر فنفس البياض
مختلف وكذا الحمرة فلذلك جمع الوانها فيكون من باب المشكك والثانى ان الجدد كلها على لونين
بياض وحمرة والبياض والحمرة وان كانا لونين الا انهما جمعا باعتبار محلهما وقوله تعالى
وغرابيب سود فيه ثلاثة اوجه احدها انه معطوف على حمر عطف ذى لون على ذى لون
ثانيها انه معطوف على بيض ثالثها واقتصر عليه الجلال المحلى انه معطوف على جدد اى صخور
شديدة السواد قال الجلال المحلى يقال كثيرا اسود غربيب وقليلا غربيب اسود وقال البغوى
اى سود غرابيب على التقديم والتاخير يقال اسود غربيب اى شديد السواد تشبيها بلون الغراب
اى طرائق سود وعن عكرمة هى الجبال الطوال السود وقال الزمخشرى الغربيب تاكيد للاسود
ومن حق التوكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع ووجهه ان يضمر المؤكد قبله فيكون الذى
بعده مفسرا لما اضمر كقول النابغة الجعدى — والمؤمن العائذات الطير تمسحها ركبان مكة بين
الغيل والسند — هما موضعان المؤمن اسم الله وهو مجرور بالقسم والعائذات منصوب بالمؤمن والمراد بها
الحمام لما تأوت بمكة والتجأت اليها حرم التعرض لها والطير منصوب بالبدل او بعطف البيان

صح

ووجه الاستدلال بذلك ان الطير دال على المحذوف وهو مفعول المؤمن في العائذات الطير قال ابو حيان وهذا لا يصح الا على مذهب من يجوز حذف المؤكد ومن النحويين من منعه وهو اختيار ابن مالك ورد عليه بان هذا ليس هو التاكيد المختلف في حذف مؤكده لان هذا من باب الصفة والتوكيد ومعنى تسمية الزمخشري له توكيدا من حيث انه لا يفيد معنى زائدا وانما يفيد المبالغة والتوكيد في ذلك اللون والنحويون قد سموا الوصف اذا لم يفد غير الاول توكيدا فقالوا وقد يجئ لمجرد التوكيد نحو قوله تعالى نفخة واحدة والهين اثنين والتوكيد المختلف في حذف مؤكده انما هو في باب التوكيد الصناعي ومذهب سيبويه جوازه وقال ابن عادل والاولى فيه ان يسمى توكيدا لفظيا اذ الاصل سود غرابيب سود ولما ذكر تعالى ما الاغلب فيه الماء مما استحال الى امر اخر بعيد من الماء واتبعه التراب الصرف ختم بما الاغلب فيه التراب مما استحال الى ما هو في غاية البعد من التراب فقال ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ﴾ ولما كانت الدابة في الاصل اسما لما دب على الارض ثم غلب اطلاقه على ما يركب قال ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ ليعم الكل صريحا ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ اي الوان ذلك البعض الذي افهمته من ﴿كَذَٰلِكَ﴾ اي مثل الثمار والاراضي منه ما هو ذو لون ومنه ما هو ذو لونين او اكثر + ولما قال تعالى الم تر بمعنى الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء وعدد ايات الله واعلام قدرته واثار صنعه وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس مما يستدل به عليه وعلى صفاته من انه فاعل بالاختيار فهو يفعل ما يشاء قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ﴾ اي الذي له جميع صفات الكمال ﴿مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه يريد انما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني فالخشية بمقدار معرفة المخشي والعالم يعلم الله فيخافه ويرجوه وهذا دليل على ان العالم اعلى درجة من العابد لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم بين تعالى ان الكرامة بقدر التقوى والتقوى بقدر العلم لا بقدر العمل فمن ازداد منه علما ازداد منه خشية وخوفا ومن كان علمه به اقل كانت خشيته اقل قال رسول الله عليه الصلوة والسلام اني لاعلمكم بالله واشدكم له خشية وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى الله كفى بالمرء جهلا ان يعجب بعمله وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال له العالم من خشي الله تعالى قال السهروردي في الباب الثالث من معارفه فينتفي العلم عمن لا يخشى الله تعالى كما اذا قال انما يدخل الدار بغدادي فينتفي دخول غير البغدادي الدار وقيل نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى اثرت فيه فان قيل هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول في هذا الكلام واخر اجيب بانه يختلف فانك اذا قدمت اسم الله واخرت العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم فاذا عملت على العكس انقلب المعنى الى انهم لا يخشون الا الله كقوله تعالى ولا يخشون احدا الا الله وهما معنيان مختلفان + تنبيه + رسم العلماء بالواو وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ اي المحيط بالجلال والاكرام ﴿عَزِيزٌ﴾ اي

أي غالب على جميع أمره غفور أي للذنوب لمن أراد من عباده تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب
للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه والمعاقب والمثيب حقه أن يخشى + ولما بين سبحانه
العلماء بالله وخشيتهم وكرامتهم بسبب خشيتهم ذكر العالمين بكتاب الله العاملين بما فيه بقوله تعالى
إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ أي يداومون على تلاوته وهي شأنهم وديدنهم وعن مطرف هي آية القراء
وعن الكلبي يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي هم أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن عطاء هم المؤمنون وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ أي أداموها وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ من زكاة
وغيرها سِرًّا وَعَلَانِيَةً قيل السر في المسنون والعلانية في المفروض + تنبيه + أشار تعالى بقوله سبحانه وتعالى
يتلون كتاب الله إلى الذكر وبقوله تعالى وأقاموا الصلوة إلى العمل البدني وبقوله تعالى وأنفقوا
مما رزقناهم إلى العمل المالي وفي هاتين الآيتين الشريفتين حكمة بالغة وهي أن قوله تعالى إنما
يخشى الله إشارة إلى عمل القلب وقوله تعالى الذين يتلون إشارة إلى عمل اللسان وقوله وأقاموا الصلوة
إشارة إلى عمل الجوارح ثم إن هذه الأشياء الثلاثة متعلقة بجانب تعظيم الله تعالى وقوله تعالى وأنفقوا
مما رزقناهم معنى الشفقة على خلقه وقوله تعالى سرا وعلانية حث على الإنفاق كيفما تهيأ فإن تهيأ
سرا فذاك وإلا فعلانية ولا يمنعه ظنه أن يكون رياء فإن ترك الخير مخافة ذلك هو عين الرياء + ولما
أحل تعالى هؤلاء بالمحل الأعلى بين حالهم بقوله تعالى يَرْجُونَ أي في الدنيا والآخرة تِجَارَةً أي
بما عملوا لَنْ تَبُورَ أي تكسد وتهلك بل هي باقية لأنها دفعت إلى من لا تضيع لديه الودائع وهي
رائجة رابحة لكونه تعالى تام القدرة شامل العلم له الغنى المطلق لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ أي جزاء أعمالهم
بالثواب وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ قال ابن عباس رضي الله عنه يعني سوى الثواب مما لم تر عين ولم تسمع
أذن ويحتمل أن يزيدهم النظر إليه تعالى كما جاء في تفسير الزيادة وهذا هو النعمة العظمى إِنَّهُ
غَفُورٌ شَكُورٌ قال ابن عباس رضي الله عنه يغفر الذنب العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم وقيل غفور
عند إعطاء الأجر شكور عند إعطاء الزيادة + تنبيه + في خبر إن من قوله إن الذين يتلون كتاب الله
وجهان أحدهما أنه الجملة من قوله تعالى يرجون تجارة أي إن التالين يرجون ولن تبور صفة
تجارة وليوفيهم متعلق بيرجون أو بتبور أو بمحذوف أي فعلوا ذلك ليوفيهم وعلى الوجهين
الأولين يجوز أن تكون لام العاقبة والثاني أن الخبر إنه غفور شكور جوز هذا الزمخشري على حذف
العائد أي غفور لهم وعلى هذا فيرجون حال من أنفقوا أي أنفقوا ذلك راجين + ولما بين تعالى
الأصل الأول وهو وجود الله تعالى الواحد بالدلائل في قوله تعالى الله الذي يرسل الرياح وقوله تعالى
والله خلقكم وقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ذكر الأصل الثاني وهو الرسالة بقوله تعالى
وَالَّذِي أَوْحَيْنَا أي بما لنا من العظمة إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ أي الجامع لخير الدارين + تنبيه + من الكتاب
يجوز أن تكون من للبيان كما يقال أرسل إلى فلان من الثياب جملة وأن تكون للجنس وأن تكون
لابتداء الغاية كما يقال جاء في كتاب من الأمير وعلى كل فالكتاب يمكن أن يراد به اللوح

المحفوظ يعني الذي اوحينا من اللوح المحفوظ هُوَ الْحَقُّ اى الكامل فى الثبات ومطابقة الواقع ويمكن ان
يراد به القرآن وهو ما اقتصر عليه الجلال المحلى يعنى الارشاد والتبيين للذين اوحينا اليك من القرآن
ويمكن ان تكون من للتبعيض وهو فصل اومبتدأ وقوله تعالى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ اى لما تقدمه
من الكتب حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق وهذا تقرير لكونه وحيا لان النبى صلى
الله عليه وسلم لما لم يكن قارئا كاتبا واتى ببيان ما فى كتاب الله لا يكون ذلك الا بوحى من الله تعالى
فان قيل لم يجعل ما تقدم مصدقا للقرآن اجيب بان القرآن كونه معجزة يكفى فى تصديقه بانه
وحى واما ما تقدم فلا بد فيه من معجزة تصدقه + تنبيه + قوله تعالى هو الحق آكد من قول القائل
الذى اوحينا اليك حق من وجهين احدهما ان التعريف للخبر يدل على ان الامر فى غاية الظهور
لان الخبر فى الاكثر يكون نكرة الثانى ان الاخبار فى الغالب تكون اعلاما بثبوت امر لا يعرفه
السامع كقولنا زيد قائم فان السامع ينبغى ان يكون عارفا بزيد ولا يعلم قيامه فيخبر به فاذا كان
الخبر معلوما فتكون الاخبار للنسبة فتعرف باللام كقولنا ان زيدا العالم فى هذه المدينة اذا كان
علمه مشهورا إِنَّ اللَّهَ اى الذى له جميع صفات الكمال بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ اى عالم ادق العلم واتقنه
ببواطن احوالهم بَصِيرٌ اى بظواهر امورهم وبواطنها اى فهو يسكن الخشية والعلم فى القلوب
على قدر ما اوتوا من الكتاب فى علمه فانت احقهم بالكمال لانك اخشاهم واتقاهم فلذلك آتيناك
هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب تقديم الخبير للدلالة على ان العمدة فى ذلك
الامور الروحانية وقوله تعالى ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ فى معناه وجهان احدهما انا اوحينا اليك القرآن
ثم اورثناه من بعدك اى حكمنا بتوريثه او قال تعالى اورثنا وهو يريد نورثه تعبيرا عنه بالماضى
لتحققه وقال مجاهد اورثنا اعطينا لان الميراث اعطاء واقتصر على هذا الجلال المحلى وقيل اورثنا
اخرنا ومنه الميراث لانه تاخر عن الميت ومعناه اخرنا القرآن من الامم السالفة واعطيناكموه
واهلناكم له + تنبيه + اكثر المفسرين على ان المراد بالكتاب القرآن وقيل ان المراد جنس الكتاب
الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا اى اخترنا مِنْ عِبَادِنَا قال ابن عباس رضى الله عنه يريد بالعباد امة محمد صلى الله
عليه وسلم اى من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيمة ونقل ابن الجوزى عن
ابن عباس رضى الله عنه ان الله تعالى اورث امة محمد صلى الله عليه وسلم كل كتاب انزله اى
لان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس وخصهم
بكرامة الانتماء الى افضل رسله تعالى وحمل الكتاب الذى هو افضل كتب الله ثم قسمهم بقوله تعالى
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ اى فى التقصير بالعمل به وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ اى يعمل به فى اغلب الاوقات وَمِنْهُمْ
سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ وهو من يضم الى العمل به التعليم والارشاد الى العمل روى اسامة بن زيد فى هذه الآية
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة وروى ابو عثمان النهدى قال
سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ على المنبر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية

فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وروى
ابو الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ثم اورثنا الكتاب الآية قال اما السابق
بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس في المقام
حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرأ قوله تعالى الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الآية وقال عقبة
ابن صهبان سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من
عبادنا الآية فقالت يا بني كلهم في الجنة اما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة واما المقتصد فمن اتبع اثره من اصحابه
حتى لحق بهم واما الظالم فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال مجاهد والحسن فمنهم ظالم لنفسه
هم اصحاب المشأمة ومنهم مقتصد هم اصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات السابقون المقربون
من الناس كلهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائي والظالم
الكافر نعمة الله تعالى غير الجاحد لها لانه تعالى حكم للثلاثة بدخول الجنة وقيل الظالم هو الراجح سيئاته
والمقتصد هو الذي تساوت سيئاته وحسناته والسابق هو الذي رجحت حسناته وقيل الظالم هو الذي
ظاهره خير من باطنه والمقتصد تساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير من ظاهره وقيل
الظالم هو الموحد بلسانه الذي تخالفه جوارحه والمقتصد هو الموحد الذي يمنع جوارحه من المخالفة
بالتكليف والسابق هو الموحد الذي ينسيه التوحيد غير التوحيد وقيل الظالم صاحب الكبيرة والمقتصد
صاحب الصغيرة والسابق المعصوم وقيل الظالم التالي للقرآن غير العالم به والعامل به والمقتصد التالي
العالم غير العامل والسابق التالي العالم العامل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقال
جعفر الصادق بدأ بالظالم اخبارا بانه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطفاء ثم ثنى
بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن احد مكره وكلهم في الجنة وقال
ابو بكر الوراق رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان احوال العبد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة
ثم قربة فاذا عصى دخل في حيز الظالمين فاذا تاب دخل في جملة المقتصدين فاذا صحت التوبة وكثرت
العبادة والمجاهدة دخل في عداد السابقين وقيل غير ذلك والله اعلم + ولما كان هذا ليس في قوة العبد
في مجاري العادات ولا يوجد بالكسب والاجتهاد اشار الى عظمته بقوله تعالى بِإِذْنِ اللّٰهِ اي بتمكين
من له القدرة التامة والعظمة العامة والفعل بالاختيار وجميع صفات الجمال والجلال والكمال
وتسهيله وتيسيره لئلا يأمن احد مكره تعالى قال الرازي في اللوامع ثم من السابقين من يبلغ
محل القرب فيستغرق في وحدانيته تعالى ذٰلِكَ اي ايراثهم الكتاب او السبق او الاصطفاء
هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ولما ذكر الله سبحانه وتعالى احوالهم بين جزاءهم ومآلهم بقوله تعالى مستأنفا جوابا
لمن سأل عن ذلك جَنّٰتُ عَدْنٍ اي اقامة بلا رحيل لانه لا سبب للرحيل عنها وقوله تعالى يَدْخُلُوْنَهَا
اي الثلاثة اصناف خبر جنات عدن فمن دخلها لم يخرج منها لانه لا شئ يخرجه ولا هو يريد

الخروج منها وقرأ ابو عمرو بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء ولما كان الداخل الى مكان اول ما ينظر الى ما فيه من النفائس قال تعالى يُحَلَّوْنَ فِيهَا اى يلبسون على سبيل التزيين والتحلي مِنْ اَسَاوِرَ اى بعض اساور مِنْ ذَهَبٍ فمن الاولى للتبعيض والثانية للتبيين وقوله تعالى وَلُؤْلُؤًا عطف على ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب فى صفاء اللؤلؤ وقرأ عاصم ونافع بالنصب عطفا على محل من اساور والباقون بالجر + تنبيه + اساور جمع اسورة وهي جمع سوار وذكر الاساور من بين سائر الحلى فى مواضع كثيرة كقوله تعالى وحلوا اساور من فضة يدل على كون المتحلي غير مبتذل فى الاشتغال لان كثرة الاعمال باليد فاذا احليت بالاساور علم الفراغ من الاعمال ولما كانت هذه الزينة لا تليق الا على اللباس الفاخر قال تعالى وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا اى ويقولون عند دخولهم وعبر عنه بالماضي تحقيقا له الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ اَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حزن النار وقال قتادة حزن الموت وقال مقاتل لانهم كانوا لا يدرون ما يصنع بهم وقال عكرمة حزن السيئات والذنوب وخوف رد الطاعات وقال القاسم حزن زوال النعم وخوف العاقبة وقيل حزن اهوال القيمة وقال الكلبى ما كان يحزنهم فى الدنيا من امر يوم القيمة وقال سعيد بن جبير الحزن فى الدنيا وقيل هم المعيشة وقال الزجاج اذهب الله تعالى عن اهل الجنة كل الاحزان ما كان منها لمعاش او معاد اى وهذا اولى الكل قال عليه الصلوة والسلام ليس على اهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى منشرهم وكانى باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ثم قالوا اِنَّ رَبَّنَا اى المحسن الينا مع اساءتنا لَغَفُوْرٌ اى محاء للذنوب عينا واثرا للصنفين الاولين ولغيرهما من المذنبين شَكُوْرٌ للصنف الثالث ولغيره من المطيعين + تنبيه + ذكر الله تعالى عن هذه الثلاثة ثلاثة امور كلها تفيد الكرامة الاول قولهم الحمد لله فان الحامد يثاب الثانى قولهم ربنا فان الله تعالى اذا نودى بهذا اللفظ استجاب للمنادى ما لم يكن يطلب ما لا يجوز الثالث قولهم غفور شكور والغفور اشارة الى ما غفر لهم فى الآخرة بحمدهم فى الدنيا والشكور اشارة الى ما يعطيهم الله ويزيدهم بسبب حمدهم فى الآخرة وقولهم الَّذِيْ اَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ اى الاقامة اشارة الى ان الدنيا منزلة ينزلها المكلف ويرتحل منها الى منزلة القبور ومن القبور الى منزلة العرصة التى فيها الجمع ومنها التفريق الى دار البقاء اما الى الجنة واما الى النار اجارنا الله تعالى ومحبينا منها وقولهم مِنْ فَضْلِهٖ اى بلا عمل منا فان حسناتنا انما كانت منا منه تعالى اذ لا واجب عليه متعلق باحلنا ومن اما للعلة واما لابتداء الغاية وقولهم لَا يَمَسُّنَا فِيْهَا اى فى وقت من الاوقات نَصَبٌ وَّلَا يَمَسُّنَا فِيْهَا لُغُوْبٌ حال من مفعول احلنا الاول او الثانى لان الجملة مشتملة على ضمير كل منهما وان كان الحال من الاول اظهر والنصب التعب والمشقة واللغوب الفتور الناشئ عنه وعلى هذا فيقال اذا انتفى السبب انتفى المسبب فاذا قيل لم آكل فيعلم انتفاء الشبع فلا حاجة الى قوله ثانيا فلم اشبع بخلاف العكس الا ترى انه يجوز لم اشبع ولم آكل والآية

الكريمة على ما تقرر من نفي السبب ثم نفي المسبب فما فائدته أجيب بان النصب هو تعب البدن واللغوب هو تعب النفس وقيل اللغوب الوجع وحينئذ فالسؤال زائل واجاب الرازي بجواب قال ابن عادل ليس بذاك فتركته ولما بين تعالى ما هم فيه من النعمة في دار السرور التي قال فيها القائل علياء لا تنزل الاحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء بين ما لاعدائهم من النقمة زيادة في سرورهم بما قاسوا في الدنيا من تكبرهم عليهم وفخارهم بقوله تعالى ‌﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اي ستروا ما دلت عليه عقولهم من شموس الآيات وانوار الدلالات ﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ اي بما تجهموا اولياء الله الدعاة اليه ﴿لَا يُقْضَى﴾ اي يحكم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ اي بموت ثان ﴿فَيَمُوتُوا﴾ اي فيتسبب عن القضاء موتهم فيستريحوا كقوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك اي بالموت فنستريح بل العذاب دائم + تنبيه + نصب فيموتوا باضمار ان + ولما كانت الشدائد في الدنيا تنفرج وان طال امدها قال تعالى ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ واعرق في النفي بقوله تعالى ﴿مِنْ عَذَابِهَا﴾ اي جهنم + تنبيه + في الآية الاولى ان العذاب في الدنيا ان دام قتل وان لم يقتل يعتاده البدن ويصير مزاجا فاسدا لا يحس به المعذب فقال عذاب نار الآخرة ليس كعذاب الدنيا اما ان يفني واما ان يألفه البدن بل هو في كل زمان شديد والمعذب فيه دائم الثانية وصف العذاب بانه لا يفتر ولا ينقطع ولا با قوى الاسباب وهو الموت حتى يتمنوه ولا يجابون كما قال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك اي بالموت الثالثة ذكر في المعذبين الاشقياء انه لا ينقضي عذابهم ولم يقل تعالى نزيدهم عذابا وفي المثابين قال تعالى يزيدهم من فضله وقوله تعالى ﴿كَذَلِكَ﴾ اما مرفوع المحل اي الامر كذلك واما منصوبه اي مثل ذلك الجزاء العظيم ﴿نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ اي كافر بالله تعالى وبرسوله وقرأ ابو عمرو بياء مضمومة وفتح الزاي ورفع كل والباقون بنون مفتوحة وكسر الزاي ونصب كل ﴿وَهُمْ﴾ اي فعل ذلك بهم والحال انهم ﴿يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ اي يوجدون الصراخ فيها بغاية ما يقدرون عليه من الجهد في الصياح من البكاء والتوجع يقولون ﴿رَبَّنَا﴾ اي المحسن الينا ﴿أَخْرِجْنَا﴾ اي من النار ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ ثم فسروه وبينوه بقولهم ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ في الدنيا فان قيل هلا اكتفى بقولهم نعمل صالحا كما اكتفى به بقوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة غير الذي كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه أجيب بان فائدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به واما الوهم فزائل بظهور حالهم في الكفر وظهور المعاصي ولانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله فيقال لهم توبيخا وتقريعا ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾ اي نطل اعماركم مع اعطائنا لكم العقول ولم نعاجلكم بالاخذ ﴿مَا﴾ اي زمانا ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ قال عطاء وقتادة

والكلبي ثماني عشرة سنة وقال الحسن اربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة وروى ذلك عن
علي وروى البزار انه صلى الله عليه وسلم قال العمر الذي اعذر الله تعالى فيه الى ابن ادم ستون سنة
وروى البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال من عمره الله ستين سنة فقد اعذر اليه في العمر
وروى الترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اعمار امتي ما بين
الستين الى السبعين واقلهم من يجوز ذلك وقوله تعالى وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ عطف على اولم نعمركم لانه في معنى
قد عمرناكم كقوله الم نربك ثم قال ولبثت وقال تعالى الم نشرح لك صدرك ثم قال تعالى ووضعنا
عنك وزرك اذ هما في معنى ربيناك وشرحنا واختلف في النذير فقال الاكثرون هو محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل القرآن وقال عكرمة وسفيان بن عيينة ووكيع هو الشيب والمعنى اولم نعمركم حتى شبتم ويقال
الشيب نذير الموت وفي الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدي فقد قرب الموت
ولما تسبب عن ذلك ان عذابهم لا ينفك قال تعالى فَذُوقُوا اي ما اعددناه لكم من العذاب
دائما ابدا فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ اي الذين وضعوا اعمالهم واقوالهم في غير موضعها مِن نَّصِيرٍ اي في وقت
الحاجة حتى يرفع العذاب عنهم قال البقاعي وهذا عام في كل ظالم ولما كان تعالى عالما بكل ما نفى
وما اثبت قال تعالى إِنَّ ٱللَّهَ اي الذي احاط بكل شيء قدرة وعلما عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
لا تخفى عليه خافية فلا يخفى عليه تعالى احوالهم وقوله تعالى إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ تعليل له لانه
اذا علم مضمرات الصدور قبل ان يعلمها اربابها حتى تكون غيبا محضا كان علمه بغيره ويعلم انكم لو مدت
اعماركم لم ترجعوا عن الكفر ابدا ولو رددتم لعدتم لما نهيتم عنه وانه لا مطمع في صلاحكم ولما كان
من انشأ شيئا كان اعلم به قال تعالى هُوَ اي وحده لا شركاؤكم ولا غيرهم ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ
ايها الناس خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ اي يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم امة واحدة خلفت من قبلها
ورأت فيمن قبلها ما ينبغي ان يعتبر به وقال القشيري اهل كل عصر خليفة عمن تقدمهم فمن
قوم هم اسلافهم جمال ومن قوم هم اراذل واسافل تنبيه خلائف جمع خليفة وهو الذي يقوم
بعد الانسان بما كان قائما به والخلفاء جمع خليفة قاله الاصبهاني فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ اي
وبال كفره وَلَا اي والحال انه لا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ اي المغطين للحق كُفْرُهُمْ اي الذي هم
متلبسون به ظانون انه يسعدهم وهم راسخون فيه غير متنقلين عنه عِندَ رَبِّهِمْ اي المحسن اليهم
إِلَّا مَقْتًا اي غضبا لان الكافر السابق كان ممقوتا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ اي الفريقين في صفة
التغطية للحق كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا اي للآخرة لان العمر كرأس مال من اشترى به رضا الله تعالى
ربح ومن اشترى به سخط الله تعالى خسر ولما بين انه سبحانه هو الذي استخلفهم اكد بيان
ذلك عندهم بامره صلى الله عليه وسلم بما يضطرهم الى الاعتراف بقوله تعالى قُلْ اي لهم
أَرَءَيْتُمْ اي اخبروني شُرَكَآءَكُمُ واضافهم اليهم لانهم وان كانوا جعلوهم شركاء لله لم ينالوا شيئا
من شركته لانهم ما نقصوه شيئا من ملكه وانما شاركوا العابدين في اموالهم بالسوائب

وغيرها فى اعمالهم فهم شركاؤهم بالحقيقة لا شركاؤه ثم بين المراد من عدّهم لهم شركاء بقوله تعالى
الَّذِينَ تَدْعُونَ اى تعبدون مِنْ دُونِ اللّهِ اى غيره وهم الاصنام الذين زعمتم انهم شركاء
الله تعالى أَرُونِي اى اخبرونى مَاذَا اى الذى او اى شئ خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ اى لتصح لكم دعوى
الشركة فيهم فان لا ادعاء لكم لذلك فيهم كذب محض وانكم تدعون انكم ابعد الناس منه فى الامور
البينة فكيف بمثل هذا أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ اى شركة مع الله تعالى وان قلت فِي السَّمَاوَاتِ اى
اروني ماذا خلقوا لكم من السموات فالاية من الاحتباك حذف اولا الاستفهام عن الشركة
فى الارض لدلالة مثله فى السماء ثانيا عليه وحذف الامر بالاراءة ثانيا لدلالة مثله اولا
عليه أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فَهُمْ الاحسن فى هذا الضمير ان يعود على
الشركاء لتناسق الضمائر وقيل يعود على المشركين قاله مقاتل فيكون التفاتا من خطاب الى غيبة عَلَى
بَيِّنَتٍ اى حجة مِّنْهُ بان لهم معى شركة ولما كان التقدير لا شئ لهم من ذلك قال تعالى
منبها على ذميم احوالهم وسفه ارائهم وخسة هممهم ونقصان عقولهم بَلْ إِنْ اى ما يَعِدُ
الظَّالِمُونَ اى الواضعون الاشياء فى غير موضعها بَعْضُهُم بَعْضًا اى الاتباع للمتبوعين بان شركاءهم
تقربهم الى الله تعالى زلفى وانها تشفع وتضر وتنفع إِلَّا غُرُورًا اى باطلا ولما بين تعالى حقارة
الاصنام بين عظمته سبحانه بقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ اى الذى له جميع صفات الكمال يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ
اى على كبرها وعلوها وَالْأَرْضَ اى على سعتها وبعدها عن التماسك على ما تشاهدون
وقوله تعالى أَن تَزُولَا اى برجة عظيمة وزلزلة كبيرة لا يجوز ان يكون مفعولا من اجله اى كراهة
ان تزولا وقيل لئلا تزولا ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا على اسقاط الخافض اى يمنعهما من ان تزولا
ويجوز ان يكون بدل اشتمال اى يمنع زوالهما لان ثباتهما على ما هما عليه على غير القياس لولا شامل
قدرته وباهر عزته وعظمته فان ادعيتم عنادا ان شركاءكم لا يقدرون على الخلق لعلة من العلل
فادعوهم لازالة ما خلق الله تعالى ولما كان فى هذا دليل على انهما حادثتان زائلتان اتبعه ما هو
ابين منه بقوله تعالى معبرا باداة الامكان وَلَئِن لام قسم زَالَتَا اى بزلزلة خراب او غير ذلك إِنْ
اى ما أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ جواب القسم الموطأ له بلام القسم وجواب الشرط محذوف
يدل عليه جواب القسم ولذلك كان فعل الشرط ماضيا وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى والجملة
سدت مسد الجوابين فيه تجوز فالمراد بسدها مسدهما انها تدل عليهما لا انها قائمة مقامهما
اذ يلزم ان تكون معمولة وغير معمولة لانها باعتبار جواب القسم لا محل لها من الاعراب وباعتبار
جواب الشرط لها محل ومن فى من احد مزيدة لتاكيد الاستغراق وفى من بعده لابتداء الغاية
والمعنى احد سواه او من بعد الزوال إِنَّهُ كَانَ اى ازلا وابدا حَلِيمًا اذ امسكهما وكانتا جديرتين
بان تهدا هدا كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا لانه
لا يستعجل الا من يخاف الفوت فينتهز الفرصة غَفُورًا اى محاء للذنوب من رجع اليه واقبل

بالاعتراف عليه فلا يعاقبه ولا يعاتبه ولما بلغ كفار مكة ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله
اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم وَأَقْسَمُوا اى كفار مكة بِاللَّهِ اى الذى لا يقسم بغيره جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ
اى غاية اجتهادهم فيها لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ اى رسول لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ اى اليهود
والنصارى وغيرهم اى اية واحدة منها لما رأوا من تكذيب بعضها بعضا اذ قالت اليهود ليست
النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ اى على ما شرطوا وزيادة
وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذى كانوا يشهدون انه خيرهم نفسا واشرفهم نسبا واكرمهم خلقا
مَا زَادَهُمْ اى مجيئه شيئا مما هم عليه من الاحوال إِلَّا نُفُورًا اى تباعدا عن الهدى لانه كان سببا فى
زيادتهم فى الكفر كالابل التى كانت نفرت من ربها فضلت عن الطريق فدعاها فازدادت
بسبب دعائه نفرة فصارت بحيث يتعذر او يتعسر ردها فتبين انه لا عهد لهم مع ادعائهم انهم
اوفى الناس ولا صدق عندهم مع جزمهم بانهم اصدق الخلق ثم علل نفورهم بقوله تعالى اسْتِكْبَارًا
اى طلبا لايجاد الكبر لانفسهم فِي الْأَرْضِ اى التى من شانها السفول والتواضع والخمول فلم يكن
نفورهم لامر محمود ولا مباح ويجوز ان يكون استكبارا بدلا من نفورا وان يكون حالا اى حال كونهم
مستكبرين قاله الاخفش وقوله تعالى وَمَكْرَ السَّيِّئِ فيه وجهان اظهرهما انه عطف على استكبارا
والثانى انه عطف على نفورا وهذا من اضافة الموصوف الى صفته فى الاصل اذ الاصل المكر
السيئ والبصريون يؤولونه على حذف موصوف اى العمل السيئ اى الذى من شانه ان يسوء
صاحبه وغيره وهو ارادتهم لاهانة امر النبى صلى الله عليه وسلم واطفاء نور الله عز وجل قال الكلبى
هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبى صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة فى الوصل بهمزة ساكنة اى
بنية الوقف اشارة الى تدقيقهم المكر واتقانه واخفائه جهدهم والباقون بهمزة مكسورة واذا وقف
حمزة ابدل الهمزة ياء وادغم الياء الاولى فى الياء الثانية ووقف الباقون بهمزة ساكنة وَلَا اى والحال
انه لا يَحِيقُ اى يحيط احاطة لازمة ضارة الْمَكْرُ السَّيِّئُ اى الذى هو عريق فى السوء إِلَّا بِأَهْلِهِ اى وان
اذى غير اهله لكنه لا يحيط بذلك الغير فان قيل كثيرا ما نرى الماكر يمكر ويفيده المكر ويغلب الخصم
بالمكر والآية تدل على عدم ذلك اجيب باجوبة احدها ان المكر فى الآية هو المكر الذى
مكروه مع النبى صلى الله عليه وسلم من العزم على القتل والاخراج ولم يحق الا بهم حيث قتلوا
يوم بدر وغيره ثانيها انه عام وهو الاصح ويدل له قول الزهرى بلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول وقرأ هذه الآية ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله
تعالى انما بغيكم على انفسكم ولا تنكثوا ولا تعينوا ناكثا قال الله تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه
ثالثها ان الاعمال بعواقبها ومن مكر بغيره ونفذ فيه المكر عاجلا فى الظاهر فهو فى الحقيقة هو
الفائز والماكر هو الهالك كمثل راحة الكافر ومشقة المسلم فى الدنيا ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى
فَهَلْ يَنْظُرُونَ اى ينتظرون إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ اى سنت الله تعالى فيهم من تعذيبهم

بتكذيبهم رسلهم والمعنى فهل ينتظرون الا ان ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار
ولما كان هذا النظر يحتاج الى صفاء في اللب وذكاء في النفس عدل عن ضميرهم الى خطاب اعلى الخلق
بقوله تعالى فَلَنْ تَجِدَ اي في وقت من الاوقات لِسُنَّتِ اللّٰهِ اي طريقة الملك الاعظم التي شرعها
وحكم بها وهي اهلاك العاصين وانجاء الطائعين تَبْدِيلًا اي من احد يأتي بسنة غيرها تكون بدلا لها
لانه تعالى لا مكافئ له وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّٰهِ اي الذي لا امر لاحد معه تَحْوِيلًا اي من حالة الى اخف منها
لانه لا مرد لقضائه فائدة رسم سنت لسنت لسنت الثلاثة بالتاء المجرورة كما رأيت ووقف
ابو عمرو وابن كثير والكسائي بالهاء والباقون بالتاء واذا وقف الكسائي امال الهاء الى اصله ولما
ذكر الله تعالى الاولين وسنتهم في اهلاكهم نبههم بتذكير حال الاولين بقوله تعالى أَوَلَمْ يَسِيرُوْا
اي فيما مضى من الزمان فِي الْأَرْضِ اي التي ضربوا في المتاجر بالسير اليها في الشام واليمن والعراق
فَيَنْظُرُوْا اي فيتسبب عن ذلك السير انه يتجدد لهم نظر واعتبار يوما من الايام فان العاقل من
اذا رأى شيئا تفكر فيه حتى يعرف ما ينطق به لسان حاله ان خفي عليه ما جرى من مقاله واشار
بسوقه في اسلوب الاستفهام الى انه لعظمه خرج عن امثاله فاستحق السؤال عن حاله كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
اي آخر امر الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ اي على اي حالة كان آخر امرهم ليعلموا انهم ما اخذوا الا بتكذيب
الرسل عليهم السلام فيخافوا ان يفعلوا مثل افعالهم فيكون حالهم كحالهم فانهم كانوا يمرون على ديارهم
ويرون آثارهم واملهم كان فوق املهم وعملهم كان دون عملهم وكانوا اطول منهم اعمارا واشد
اقتدارا ومع هذا لم يكذبوا مثل محمد صلى الله عليه وسلم وانتم يا اهل مكة كذبتم محمدا ومن قبله عليهم السلام
وَكَانُوْا اي اهلكناهم لتكذيبهم رسلنا والحال انهم كانوا أَشَدَّ مِنْهُمْ اي من هؤلاء قُوَّةً وَمَا كَانَ اللّٰهُ اي
الذي له جميع العظمة واكد الاستغراق في النفي بقوله تعالى لِيُعْجِزَهٗ اي مريدا الآن يعجزه ولما انتفت ارادة
العجز بطريق الاولى وابلغ في التاكيد بقوله تعالى مِنْ شَيْءٍ اي قل او جل وعم بما يصل اليه ادراكنا بقوله تعالى
فِي السَّمٰوٰتِ اي جهة العلو واكد بقوله عز وجل وَلَا فِي الْأَرْضِ اي جهة السفل إِنَّهٗ كَانَ
اي ازلا وابدا عَلِيْمًا اي بالاشياء كلها حقيرها وجليلها قَدِيْرًا اي كامل القدرة اي فلا يريد
شيئا الا كان ولما كانوا يستعجلون بالتوعد استهزاء كقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم على ان التقدير ولو عاملكم الله تعالى
معاملة المؤاخذ لعجل اهلاككم عطف عليه قوله تعالى اظهارا للحلم مع العلم وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّٰهُ
اي بما له من صفات العلو النَّاسَ اي المكلفين بِمَا كَسَبُوْا اي من المعاصي مَا تَرَكَ عَلٰى ظَهْرِهَا
اي الارض مِنْ دَابَّةٍ اي نسمة تدب عليها كما كان في زمن نوح عليه السلام
اهلك الله تعالى ما على ظهر الارض الا من كان في السفينة مع نوح فان قيل اذا كان الله
تعالى يؤاخذ الناس بما كسبوا فما بال الدواب اجيب بان المطر انعام من الله في حق العباد
واذا لم يستحقوا الانعام قطعت الامطار عنهم فيظهر الجفاف على وجه الارض فيموت

جميع الحيوانات وبان خلقة الحيوانات نعمة والمعاصى تزيل النعم فتغل النعم والدواب اقرب النعم لان المفرد اولا ثم المركب والمركب اما ان يكون معدنا واما ان يكون ناميا والنامى اما ان يكون حيوانا او نباتا والحيوان اما انسان او غير انسان فالدواب اعلى درجات المخلوقات فى عالم العناصر الا الانسان فان قيل كيف يقال لما عليه الخلق من الارض وجه الارض وظهر الارض مع ان الظهر مقابله الوجه فهو كالمتضاد اجيب بان الارض كالدابة الحاملة للاثقال والحمل يكون على الظهر واما وجه الارض فلان الظاهر من باب البطن والباطن من باب فوجه الارض ظهر لانه هو الظاهر وغيره منها باطن وبطن ﴿وَلَٰكِن﴾ لم يعاملهم معاملة المؤاخذ المناقش بل يحلم عنهم فهو ﴿يُؤَخِّرُهُمْ﴾ اى فى الحيوة الدنيا ثم فى البرزخ ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ اى سماه فى الازل لانقضاء اعمارهم ثم يبعثهم من قبورهم وهو تعالى لا يبدل القول لديه لما له من صفات الكمال ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ اى الفناء الاعدامى قبض كل واحد منهم عند اجله او الايجاد الابقائى بعث كلا منهم فجازاه بعمله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ اى الذى له الصفات العليا ﴿كَانَ﴾ ولم يزل ﴿بِعِبَادِهِ﴾ الذين اوجدهم ولا شريك له فى ايجاد واحد منهم بجميع ذواتهم واحوالهم ﴿بَصِيرًا﴾ اى بالغ البصر والعلم بمن يستحق العذاب ومن يستحق الثواب قال ابن عباس يريد اهل طاعته واهل معصيته وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيمة ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اى الابواب شئت حديث موضوع

سورة يس مكية

وهى ثلاث وثمانون اية وسبعمائة وتسعة وعشرون كلمة وثلاثة الاف حرف وتسمى ايضا القلب والدافعة والقاضية والمعمة تعم صاحبها بخير الدارين وتدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة والبيضاوى ذكر هذه التسمية عن النبى صلى الله عليه وسلم قال شيخنا القاضى زكريا لم اره ولكن المثبت مقدم على النافى ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ اى الذى بجل ملكه عن ان يحاط بمقداره ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ الذى عم بجل انذاره يوم الجمع رحمة عامة ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذى انار قلوب اوليائه بالاجتهاد ليوم لقائه وقوله تعالى ﴿يس﴾ كالم فى المعنى والاعراب قال ابن عباس يس قسم وروى عن شعبة ان معناه يا انسان بلغة طئ على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله فى ايمن الله وقال اكثر المفسرين يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم قاله الحسن وسعيد بن جبير وجماعة وقال ابو العالية يا رجل وقال ابو بكر الوراق يا سيد البشر قال ابن عادل فى ذكر هذه الحروف اوائل السور امور تدل على انها غير خالية من الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها والذى يدل على ان فيها حكمة هو ان الله عز وجل ذكر من الحروف نصفها وهى اربعة عشر حرفا فانصف ثمانية وعشرين حرفا هى جميع الحروف التى فى لسان العرب على قولنا الهمزة الف متحركة ثم ان الله تعالى قسم الحروف ثلاثة اقسام تسعة احرف من الالف الى الذال والتسعة الاخيرة من الفاء الى الياء وعشرة فى الوسط من الراء الى الغين وذكر من القسم الاول حرفين

ع ٥

الالف والهاء وترك سبعة وترك من القسم الاخير حرفين هما الالف واللام وذكر سبعة ولم يترك من القسم الاول من حروف الحلق والصدر الا واحدا لم يذكره وهو الخاء ولم يذكر من القسم الاخير من حروف الشفة الا واحدا لم يتركه وهو الميم والعشر الاوسط ذكر منه حرفا وترك حرفا فترك الزاى وذكر الراء وذكر السين وترك الشين وذكر الصاد وترك الضاد وذكر الطاء وترك الظاء وذكر العين وترك الغين وليس لهذا امر يقع اتفاقا بل هو ترتيب مقصود فهو لحكمة لكنها غير معلومة وهب ان واحدا يدعى فيه شيئا فماذا يقول فى كون بعض السور مفتتحة بحرف كسورة نٓ وقٓ وصٓ وبعضها بحرفين كسورة حمٓ ويسٓ وطسٓ وطهٓ وبعضها بثلاثة احرف كالٓمٓ وطسٓمٓ والٓرٓ وبعضها باربعة احرف كسورة الٓمٓرٓ والٓمٓصٓ وبعضها بخمسة احرف كسورة حمٓ عسقٓ وكٓهيعٓصٓ وهب ان قائلا يقول ان هذه اشارة بان الكلام اما حرف واما فعل واما اسم والحروف كثيرا ما جاء على حرف كواو العطف وفاء التعقيب وهمزة الاستفهام وكاف التشبيه وباء الالصاق وغيرها وجاء على حرفين كمن للتبعيض واو للتخيير وام للاستفهام المتوسط وان للشرط وغيرها والفعل والاسم والحرف جاءت ثلاثة احرف كالى وعلى فى الحرف والى وعلى فى الاسم ولا يالو الوار وعلا يعلو فى الفعل والاسم والفعل جاءا على اربعة احرف والاسم خاصة جاء على ثلاثة احرف واربعة وخمسة كجمل ومسجد وجردحل فما جاء فى القرآن اشارة الى ان تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه فماذا يقول هذا القائل فى تخصيص بعض السور بالحرف الواحد والبعض باكثر فلا يعلم ما السر الا الله تعالى ومن اعلمه الله تعالى واذا علم هذا فالعبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها جارحية وكل واحد منها قسمان قسم عقل معناه وحقيقته وقسم لم يعلم اما القلبية مع انها ابعد عن الشك والجهل فمنها ما لم يعلم دليله عقلا وانما وجب الايمان به والاعتقاد سمعا كالصراط الذى هو ادق من الشعر واحد من السيف ويمر عليه المؤمن كالبرق الخاطف والميزان الذى توزن به الاعمال التى لا ثقل لها فى نظر الناظر وكيفية الجنة والنار فان هذه الاشياء وجودها لم يعلم بدليل عقلى وانما المعلوم بالعقل امكانها ووقوعها معلوم مقطوع به بالسمع ومنها ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة الله تعالى وصدق الرسل وكذلك فى العبادات الجارحية ما علم معناه وما لم يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات والحكمة فى ذلك ان العبد اذا اتى بما امر به من غير ان يعلم ما فيه من الفائدة فلا يكون الاتيان الا لمحض الفائدة بخلاف ما لم تعلم الفائدة فربما ياتى الفائدة وان لم يؤمر كما لو قال السيد لعبده انقل هذه الحجارة من ههنا ولم يعلمه بما فى النقل نقلها ولو قال انقلها فان تحتها كنزا هو لك فانه ينقلها وان لم يؤمر واذا علم هذا فكذلك فى العبادات اللسانية الذكرية يجب ان يكون ما لم يفهم معناه اذا تكلم به العبد علم انه لا يعقل غير الانقياد لامر المعبود الالهى فاذا قال حمٓ طسٓ يسٓ علم انه لا يذكر ذلك لمعنى يفهمه بل يتلفظ به امتثالا لما امر به انتهى كلام ابن عادل بحروفه وهو كلام دقيق وقرأ يس بامالة الياء شعبة وحمزة والكسائى والباقون بالفتح واظهر النون من يس عند واو والقرآن قالون وابن كثير وابو عمرو وحفص وحمزة

وادغم الباقون وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به ثم وصف القرآن بقوله تعالى الْحَكِيمِ
اى المحكم بعظيم النظم وبديع المعانى وقوله تعالى إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ اى الذين حكمت عقولهم على
دواعي نفوسهم فصاروا بما وهبهم الله من القوة النورانية وبما تخلقوا به من اوامره ونواهيه
كالملائكة الذين تقدم ذكرهم فى السورة الماضية انهم رسله جواب القسم وهو رد على الكفار
حيث قالوا لست مرسلا فان قيل المطلب يثبت بالدليل لا بالقسم فما الحكمة بالاقسام اجيب
باوجه اولها ان العرب كانوا يتقون الايمان الفاجرة وكانوا يقولون ان الايمان الفاجرة توجب
خراب العالم وصحح النبى صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع ثم انهم كانوا
يقولون ان النبى صلى الله عليه وسلم يصيبه من آلهتهم وهي الكواكب عذاب والنبى صلى الله عليه
وسلم يحلف بامر الله وانزال كلامه عليه باشياء مختلفة وما كان يصيبه عذاب بل كان كل
يوم ارفع شانا وامنع مكانا فكان ذلك يوجب اعتقاد انه ليس بكاذب ثانيها ان المتناظرين اذا وقع
بينهما كلام وغلب احدهما الآخر بتمشية دليله واسكته يقول المغلوب انك قررت هذا بقوة
جدلك وانت خبير فى نفسك بضعف مقالتك وتعلم ان الامر ليس كما تقول وان اقمت عليه الدليل
صورة وعجزت انا عن القدح فيه وهذا كثير الوقوع بين المتناظرين فعند هذا لا يجوز ان ياتى بدليل آخر
لان الساكت المنقطع يقول فى الدليل الآخر ما قاله فى الاول فلا يجد امرا الا اليمين وكذلك النبى صلى الله
عليه وسلم اقام البراهين وقالت الكفرة ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما
هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين فالتمسك بالايمان لعدم
فائدة الدليل ثالثها ان هذا ليس بمجرد الحلف بل دليل خرج فى صورة اليمين لان القرآن معجزة
ودليل كونه مرسلا هو المعجزة والقرآن كذلك فان قيل لم يذكر فى صورة الدليل وما الحكمة فى
ذكر الدليل فى صورة اليمين اجيب بان الدليل اذا ذكر فى صورة اليمين واليمين لا يقع ولا سيما
من العظيم الاعلى امر عظيم والامر العظيم تتوفر الدواعي على الاصغاء اليه فلصورة اليمين يقبل
عليه السامع لكونه دليلا شافيا يسر به الفؤاد فيقع فى السمع وفى القلب وقوله تعالى عَلَى صِرَاطٍ اى
طريق واسع واضح مُسْتَقِيمٍ اى هو التوحيد والاستقامة فى الامر يجوز ان يكون متعلقا بالمرسلين
تقول ارسلت عليه كما قال تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل وان يكون متعلقا بمحذوف على انه
حال من الضمير المستكن فى لمن المرسلين لوقوعه خبرا وان يكون حالا من المرسلين وان يكون
خبرا ثانيا لانك وقرأ قنبل سراط بالسين عوضا عن الصاد وخلف بالاشمام وهو بين الصاد والزاى
والباقون بالصاد الخالصة ولما كان كانه قيل ما هذا الذى ارسل به كان كانه قيل جوابا هو القرآن
الذى وقع الاقسام به وهو تَنْزِيلُ او حال كونه تنزيل الْعَزِيزِ اى المتصف بجميع صفات الجلال
الرَّحِيمِ اى الحاوى لجميع صفات الاكرام الذى ينعم على من يشاء من عباده بعد الانتقام
باعدائهم فهو الواحد المتفرد فى ملكه وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى تنزيل بالنصب

علی الحال کما مرّ او باضمار اعنی والباقون بالرفع علی انه خبر مبتدأ مضمر کما مرّ، ولما ذکر تعالی
المرسل وهو الله تعالی والمرسل وهو النبی صلی الله علیه وسلم والمرسل به وهو القرآن ذکر المرسل الیهم
بقوله تعالی لِتُنْذِرَ قَوْمًا ای ذوی باس وقوة وذکاء وفطنة مَا أُنْذِرَ ای لم تنذر اصلاً آبَاؤُهُمْ ای لم ینذر
فی زمن الفترة فَهُمْ ای بسبب زمان الفترة غَافِلُونَ ای عن الایمان والرشد وقوله تعالی لَقَدْ حَقَّ
الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فیه وجوه اشهرها ان المراد بالقول هو قوله تعالی لقد حق القول منی لاملأن
جهنم منک وممن تبعک منهم اجمعین ثانیها ان معناه لقد سبق فی علمه تعالی ان هذا یؤمن وهذا
لا یؤمن فحق القول ای وجب وثبت بحیث لا یبدل کما قال تعالی ما یبدل القول لدی ثالثها المراد
لقد حق القول الذی قاله الله تعالی علی لسان الرسل من التوحید وغیره فَهُمْ ای بسبب ذلک
لَا يُؤْمِنُونَ ای بما یلقی الیهم من الانذار بل یزیدهم عمی استکباراً فی الارض ومکر السیئ، ونزل
فی ابی جهل وصاحبیه إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ای بان تضم الیها الایدی لان الغل یجمع الید
الی العنق وذلک ان ابا جهل کان قد حلف لئن رأی محمداً صلی الله علیه وسلم یصلی لیرضخن راسه
فاتاه وهو یصلی ومعه حجر لیدمغه به فلما رفعه اثبتت یده الی عنقه ولزق الحجر بیده الی عنقه فلما عاد
الی اصحابه واخبرهم بما رأی سقط الحجر فقال رجل من بنی مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو یصلی
لیرمیه بالحجر فاعمی الله تعالی بصره فجعل یسمع صوته ولا یراه فرجع الی اصحابه فلم یرهم حتی نادوه
فقالوا له ما صنعت فقال ما رأیته ولقد سمعت کلامه وحال بینی وبینه کهیئة الفحل یخطر بذنبه لو دنوت
منه لاکلنی فانزل الله تعالی هذه الآیة ووجه المناسبة لما تقدم انه لما قال تعالی لقد حق القول علی اکثرهم
وتقدم ان المراد به البرهان وقال بعد ذلک بل عاینوا وابصروا ما یقرب من الضرورة حیث
التزقت یده بعنقه ومنع من ارسال الحجر وهو مضطر الی الایمان ولم یؤمن علم انه لا یؤمن اصلاً
وقال اهل المعانی هذا علی طریق المثل ولم یکن هناک غل اراد منعناهم عن الایمان بموانع فجعل الاغلال
مثلاً لذلک فهو تقریر لتصمیمهم علی الکفر والطبع علی قلوبهم بحیث لا تغنی عنهم الآیات والنذر
بتمثیلهم بالذین غلت ایدیهم وقال الفراء معناه حبسناهم عن الانفاق فی سبیل الله کقوله تعالی
ولا تجعل یدک مغلولة الی عنقک معناه ولا تمسکها عن النفقة ومناسبة هذا لما تقدم ان قوله
تعالی فهم لا یؤمنون یدخل فیه انهم لا یصلون لقوله تعالی وما کان الله لیضیع ایمانکم
ای صلاتکم عند بعض المفسرین والزکوة مناسبة للصلوة فکانه قال لا یصلون ولا یزکون
واختلف فی عود الضمیر فی قوله تعالی فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ علی وجهین اشهرهما انه عائد علی الاغلال
لانها هی المحدث عنها ومعنی هذا الترتیب بالفاء ان الغل لغلظه وعرضه یصل الی الذقن لانه یلبس
العنق جمیعه قال الزمخشری والمعنی انا جعلنا فی اعناقهم اغلالاً ثقالاً بحیث تبلغ الی الاذقان فلم یتمکن
المغلول معها من ان یطاطئ راسه ثانیهما ان الضمیر یعود الی الایدی والیه ذهب الطبری
وعلیه جری الجلال المحلی لان الغل لا یکون الا فی العنق والیدین ودل علی الایدی وان لم تذکر

الملازمة المفهومة من هذه الآلة اعنى الغل وقرأ قالون وابو عمرو والكسائى بسكون الهاء والباقون بكسرها والاذقان جمع ذقن وهو مجمع اللحيين فَهُم مُّقْمَحُونَ اى رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم فى انهم لا يلتفتون لفتة الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطؤن رؤسهم له والاقماح رفع الرأس الى فوق كالاقناع وهو من قمح البعير راسه اذا رفعها بعد الشرب اما لبرودة الماء واما لكراهة طعمه + ولما كان الرافع راسه غير ممنوع من النظر امامه قال تعالى وَجَعَلْنَا اى بعظمتنا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ اى الوجه الذى يمكنهم علمه سَدًّا فلا يسلكون طريق الاهتداء + ولما كان الانسان اذا انسد عليه جهة مال الى اخرى قال تعالى وَّمِنْ خَلْفِهِمْ اى الوجه الذى هو خفى عنهم سَدًّا فلا يرجعون الى الهداية فصارت كل جهة يلتفتون اليها منسدة فصاروا لذلك لا يمكنهم النظر الى الحق ولا الخلوص اليه فلذلك قال تعالى فَأَغْشَيْنَاهُمْ اى جعلنا على ابصارهم بما لنا من العظمة غشاوة فَهُمْ اى بسبب ذلك لَا يُبْصِرُونَ اى لا يتجدد لهم هذا الوصف من ابصار الحق وما ينفعهم بصر ظاهر ولا بصيرة باطنة وايضا الانسان مبدؤه من الله تعالى ومصيره اليه فعمى الكافرين بان لا يبصروا ما بين ايديهم من المصير الى الله تعالى وما خلفهم من الدخول فى الوجود بخلق الله تعالى كمن احاط بهم سد فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم فى انهم يجوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات والدلائل وايضا فان السالك اذا لم يكن له بد من سلوك طريق فان انسد الطريق الذى قدامه يفوته المقصد ولكنه يرجع فاذا انسد الطريق من خلفه ومن قدامه والموضع الذى هو فيه لا يكون موضع اقامة هلك فان قيل ذكر السد من بين الايدى ومن الخلف ولم يذكره من اليمين والشمال فما الحكمة فى ذلك اجيب بانهم اذا قصدوا السلوك الى جانب اليمين او جانب الشمال صاروا متوجهين الى شئ ومولين عن شئ فصار ما اليه توجههم ما بين ايديهم فيجعل الله تعالى السد هناك فيمنعه من السلوك فكيفما توجه الكافر يجعل الله تعالى بين يديه سدا وقرأ حمزة والكسائى وحفص سدا بفتح السين فى الموضعين وهو لغة فيه والباقون بالضم + ولما منعوا بذلك حس البصر اخبر عن حس السمع بقوله تعالى وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ اى مستو ومعتدل غاية الاعتدال ءَأَنذَرْتَهُمْ اى بما اخبرناك به من الزواجر المانعة للكفر أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لانهم ممن علم الله تعالى انهم لا يؤمنون وقد سبق ايضا فى البقرة تفسيره والكلام على الهمزتين ثم بين الله تعالى الاقل الناجى لانه المقصود بالذات بقوله تعالى إِنَّمَا تُنذِرُ اى انذارا ينفع المنذر فتنتأثر عنه النجاة مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ اى القرآن بالتامل فيه والعمل به وَخَشِىَ الرَّحْمَٰنَ اى خاف عقابه بِالْغَيْبِ اى قبل موته ومعاينة اهواله او فى سريرته ولا يغتر برحمته فانه تعالى كما هو رحمن رحيم منتقم جبار فَبَشِّرْهُ اى بسبب خشيته بالغيب بِمَغْفِرَةٍ اى لذنوبه وان عظمت وتكررت + ولما حصل العلم بمحو الذنوب عينها واثرها قال تعالى وَأَجْرٍ كَرِيمٍ اى هو الجنة فانها دار لا كدر فيها بوجه والمقصود منها هو النظر لوجهه الكريم اللهم متعنا وحبينا بالنظر الى وجهك الكريم

ولما ذكر تعالى خشية الرحمن بالغيب ذكر ما يؤكده وهو احياء الموتى بقوله تعالى إِنَّا نَحْنُ اى بما لنا
من العظمة التى لا تناهى نُحْيِ الْمَوْتَى اى كلهم حسا بالبعث ومعنى بالانقاذ اذا اردنا من ظلمة الجهل
وَنَكْتُبُ اى جملة عند نفخ الروح وشيئا فشيئا بعده فلا يتعدى التفصيل شيئا فى ذلك الاجمال مَا قَدَّمُوا
اى واخروا من جميع افعالهم واقوالهم واحوالهم من صالح وغيره فاكتفى باحدهما لدلالة الاخر عليه
كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اى والبرد وقيل المعنى ما اسلفوا من الاعمال صالحة كانت او فاسدة
كقوله تعالى بما قدمت ايديهم اى بما قدموا فى الوجود واوجدوه وقيل نكتب نياتهم فانها قبل
الاعمال وقوله تعالى وَآثَارَهُمْ فيه وجوه احدها وهو مبنى على التفسير الاخير وهو كتب النيات
المراد بالآثار الاعمال ثانيها ما سنوا من سنة حسنة وسيئة فالحسنة كالكتب المصنفة والقناطر
المبنية والسيئة كالظلامات المستمرة التى وضعها الظلمة والكتب المضلة قال صلى الله
عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له اجرها ومثل اجر من عمل
بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن سن فى الاسلام سنة سيئة فعمل بها من بعده كان
عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من اوزارهم شيئا ثالثها خطاهم الى المساجد لما روى
ابو سعيد الخدرى قال شكت بنو سلمة بعد منازلهم عن المسجد فانزل الله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم
فقال صلى الله عليه وسلم ان الله يكتب خطواتكم ويثيبكم عليها وقال صلى الله عليه وسلم
اعظم الناس اجرا فى الصلوة ابعدهم ممشى والذى ينتظر الصلوة حتى يصليها مع الامام اعظم اجرا
من الذى يصلى ثم ينام فان قيل الكتابة قبل الاحياء فكيف اخر فى الذكر حيث قال تعالى نحيي الموتى
ونكتب ولم يقل نكتب ما قدموا ونحييهم اجيب بان الكتابة معظمة لامر الاحياء لان الاحياء ان
لم يكن للحساب لا يعظم والكتابة فى نفسها ان لم يكن هناك احياء ولا اعادة لا يبقى لها اثر اصلا
والاحياء هو المعتبر والكتابة مؤكدة معظمة لامره فلهذا قدم الاحياء لانه تعالى قال انا نحن وذلك
يفيد العظمة والجبروت والاحياء العظيم يختص بالله تعالى والكتابة دونه فقرن التعريف بالامر العظيم
وذلك مما يعظم ذلك الامر العظيم ولما كان ذلك الامر ربما اوهم الاقتصار على ما ذكر من احوال الادميين
دفع ذلك بقوله تعالى وَكُلَّ شَيْءٍ من امور الدنيا والآخرة أَحْصَيْنَاهُ اى قبل ايجاده بعلمنا القديم
احصاء وحفظا وكتبناه فِي إِمَامٍ وهو اللوح المحفوظ مُبِينٍ اى لا يخفى فيه شئ من جميع الاحوال
والاقوال فهو تعميم بعد تخصيص لانه تعالى يكتب ما قدموا وآثارهم وليست الكتابة مقتصرة
عليه بل كل شئ محصى فى امام مبين وهذا يفيد ان شيئا من الاقوال والافعال لا يعزب عن علم
الله تعالى ولا يفوته كقوله تعالى وكل شئ فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مستطر يعنى ليس ما
فى الزبر مخصوصا بما فعلوه بل كل شئ مكتوب لا يبدل فان القلم جف بما هو كائن فلما قال تعالى
نكتب ما قدموا بين ان قبل ذلك كتابة اخرى فان الله تعالى كتب عليهم انهم سيفعلون كذا وكذا ثم اذا فعلوا
كتب عليهم انهم فعلوه وقيل ان ذلك مؤكد لمعنى قوله تعالى ونكتب لان من يكتب شيئا فى اوراق

ويرميها فقد لا يجدها فكأنه لم يكتب فقال تعالى نكتب ونحفظ ذلك في إمام مبين وهو كقوله تعالى
علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وقوله سبحانه وتعالى وَاضْرِبْ بمعنى واجعل لَهُمْ وقوله
تعالى مَثَلًا مفعول أول وقوله تعالى أَصْحٰبَ مفعول ثان والأصل واضرب لهم مثلاً أصحاب الْقَرْيَةِ
فترك المثل وأقيم الأصحاب مقامه في الإعراب كقوله تعالى واسأل القرية قال الزمخشري قيل
لا حاجة إلى الإضمار بل المعنى اجعل أصحاب القرية لهم مثلاً أو مثّل أصحاب القرية بهم قال
المفسرون المراد بالقرية أنطاكية وقوله تعالى إِذْ جَآءَهَا الخ بدل اشتمال من أصحاب القرية أي
إذ جاء أهلها الْمُرْسَلُوْنَ أي رسل عيسى عليه السلام وأضافه إلى نفسه في قوله تعالى إِذْ أَرْسَلْنَا
إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ لأنه فعل رسوله عليه السلام وإذ أرسلنا الخ بدل من إذ الأولى وفي هذا لطيفة وهي
أن في القصة أن الرسل كانوا مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام أرسلهم إلى أنطاكية فقال تعالى
إرسال عيسى عليه السلام هو إرسالنا ورسول رسول الله بإذن الله رسول الله فلا تتهمهم يا محمد
أن أولئك كانوا رسل الرسول وإنما هم رسل الله تعالى فتكذيبهم كتكذيبك فتتم التسلية بقوله تعالى
إذ أرسلنا ويؤيد هذا مسئلة فقهية وهي أن كل وكيل للوكيل بإذن الموكل عند الإطلاق وكيل للموكل
لا وكيل الوكيل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل إياه وينعزل إذا عزله الموكل الأول + تنبيه + في
بعث الاثنين حكمة بالغة وهي أنهما كانا مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام بإذن الله تعالى فكان
عليهما إنهاء الأمر إليه والإتيان بما أمر الله تعالى والله سبحانه عالم بكل شيء لا يحتاج إلى شاهد يشهد
عنده وأما عيسى عليه السلام فبشر فأمر الله تعالى بإرسال اثنين ليكون قولهما على قومهما عند
عيسى عليه السلام حجة تامة وقرأ أبو عمرو بكسر الهاء والميم في الوصل وحمزة والكسائي بضمهما
والباقون بكسر الهاء وضم الميم وأما الوقف فحمزة بضم الهاء والباقون بكسرها والجميع في الوقف
بسكون الميم فَكَذَّبُوْهُمَا أي مع ما لهما من الآيات لأن من المعلوم أنا ما أرسلنا رسولاً إلا كان معه
من الآيات ما مثله آمن عليه البشر سواء أكان عنا من غير واسطة أو كان بواسطة رسولنا
كما كان للطفيل بن عمرو الدوسي ذي النورين لما ذهب إلى قومه وسأل النبي صلى الله عليه وسلم
أن تكون له آية فكانت نوراً في جبهته ثم سأل أن تكون في غير وجهه فكانت في سوطه + ولما كان
المتظافر على الشيء أقوى لشأنه وأعون على ما يراد منه تسبب عن ذلك قوله تعالى فَعَزَّزْنَا أي قوينا
بِثَالِثٍ يقال عزز المطر الأرض أي قواها ولبدها ويقال لتلك الأرض العزاز وكذا كل أرض صلبة
وتعزز لحم الناقة أي صلب وقوي والمفعول محذوف أي فقويناهما بثالث أو فغلبناهما بثالث
لأن المقصود من البعثة نصرة الحق لا نصرتهما والكل كانوا مقوين للدين بالبرهان قال وهب
اسم المرسلين يحيى ويونس واسم الثالث شمعون وقال كعب الرسولان صادق ومصدوق والثالث سلوم
وقرأ شعبة بتخفيف الزاي الأولى والباقون بتشديدها والزاي الثانية ساكنة بلا خلاف فَقَالُوْا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُوْنَ
وذلك أنهم كانوا عبدة أصنام فأرسل إليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة

رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسلما عليه فقال من انتما فقالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة
الاوثان الى عبادة الرحمن فقال امعكما اية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن
الله تعالى فقال ان لى ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نتطلع حاله فاتى بهما الى منزله فمسحاه فقام
فى الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وامن حبيب النجار وشفى الله تعالى على
ايديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك اسمه انطيحس وكان من ملوك الروم فانتهى الخبر اليه فدعاهما
فقال لهما من انتما فقالا رسولا عيسى عليه السلام قال وفيم جئتما قال ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر
الى عبادة من يسمع ويبصر قال اولنا اله دون الهتنا قال نعم من اوجدك والهتك فقال قوما حتى انظر
فى امركما وامر بحبسهما وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه السلام
رأس الحواريين شمعون الصفا على اثرهما لينصرهما فدخل البلد متنكرا وجعل يعاشر حاشية الملك
حتى انسوا به واوصلوا خبره الى الملك فدعاه فرضي عشرته وانس به واكرمه ثم قال له ذات يوم
ايها الملك بلغنى انك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعوا الى غير دينك فهل كلمتهما
وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بينى وبين ذلك قال فان راى الملك دعاهما حتى نطلع
على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من ارسلكما الى ههنا قالا الله تعالى الذى خلق كل شئ وليس له
شريك فقال لهما شمعون فصفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال لهما شمعون وما ايتكما
قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع
البصر فاخذا بندقتين من الطين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون
للملك ارأيت ان سألت الهك يصنع مثل هذا حتى يكون لك الشرف ولالهك فقال الملك ليس
لى عنك سر ان الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل
الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلى كثيرا ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم ثم قال الملك لهما ان قدر
الهكما الذى تعبدانه على احياء ميت امنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا
مات منذ سبعة ايام ابن لدهقان وانا اخرته فلم ادفنه حتى يرجع ابوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير
واروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال انى دخلت سبعة
اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا بالله تعالى ثم قال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسنا يشفع
لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان واشار الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم
شمعون ان قوله اثر فى الملك اخبره بالحال ودعاه فامن الملك وامن قوم وكفر اخرون فمن لم يؤمن صاح
عليهم جبريل فهلكوا وقيل ان ابنة الملك كانت قد توفيت ودفنت فقال شمعون للملك اطلب من هذين
الرجلين ان يحييا ابنتك فطلب الملك منهما ذلك فقاما وصليا ودعوا الله تعالى وشمعون معهما فى السر فاحيا
الله تعالى المرأة ثم انشق القبر عنها فخرجت فقالت اسلموا فانهما صادقان قالت ولا اظنكم تسلمون ثم طلبت
من الرسولين ان يرداها الى مكانها فذرا ترابا على رأسها فعادت الى قبرها كما كانت قال ابن اسحق

عن كعب ووهب بل كفر واجتمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة
الاقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين قالوا اى اهل القرية للرسل ما انتم
اى وان زاد عددكم الا بشر مثلنا لا مزية لكم علينا فما وجه الخصوصية لكم فى كونكم رسلا
دوننا فجعلوا كونهم بشرا مثلهم دليلا على عدم الارسال وهذا عام فى المشركين قالوا فى حق محمد
صلى الله عليه وسلم أانزل عليه الذكر من بيننا وقد استوينا فى البشرية فلا يمكن الرجحان فرد الله عليهم
بقوله سبحانه الله اعلم حيث يجعل رسالاته وبقوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء الى غير ذلك
+ تنبيه + رفع بشر لانتقاض النفى المقتضى اعمال ما بالا ثم قالوا وما انزل الرحمن اى العام الرحمة
فعموم رحمته مع استوائنا فى عبوديته يقتضى ان يسوى بيننا فى الرحمة فلا يخصكم بشىء دوننا واغرقوا
فى النفى بقولهم من شىء اى وحى ورسالة ان اى ما انتم الا تكذبون اى فى دعوى رسالة حالا ومالا
قالوا اى الرسل ربنا اى الذى احسن الينا يعلم اى ولهذا يظهر على ايدينا الآيات
انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجرى مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة
لانه جواب عن انكارهم وما علينا اى وجوبا من قبل من ارسلنا الا البلاغ المبين ٥
اى المؤيد بالادلة القطعية من الحجج القولية والفعلية بالمعجزات وهى ابراء الاكمه والابرص
واحياء الميت وغيرها فما كان جوابهم بعد هذا الا ان قالوا انا تطيرنا اى تشاءمنا بكم
وذلك ان المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا هذا بشؤمكم ولاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم
له ونفرتهم عنه قالوا لئن لم تنتهوا اى عن مقالتكم هذه لنرجمنكم اى لنقتلنكم قال قتادة بالحجارة وقيل
لنشتمنكم وقيل لنقتلنكم شر قتلة وليمسنكم منا اى لا من غيرنا عذاب اليم كانهم قالوا لا نكتفى برجمكم
بحجر وحجرين بل نديم ذلك عليكم الى الموت وهو العذاب الاليم او يكون المراد وليمسنكم بسبب الرجم
منا عذاب اليم اى مؤلم وان قلنا الرجم الشتم فكانهم قالوا ولا يكفينا الشتم بل شتم يؤدى الى الضرب
والايلام الحسى واذا فسرنا اليم بمعنى مؤلم ففعيل بمعنى مفعل قليل ويحتمل ان يقال هو من باب
قوله تعالى عيشة راضية اى ذات رضا اى عذاب ذو الم فيكون فعيلا بمعنى فاعل وهو كثير ثم
اجابهم المرسلون بان قالوا طائركم اى شؤمكم الذى احل بكم البلاء معكم وهو اعمالكم القبيحة
التى منها تكذيبكم وكفركم فاصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس والضحاك حظكم من الخير والشر
والهمزة فى قوله تعالى ائن ذكرتم اى وعظتم وخوفتم همزة استفهام وجواب الشرط محذوف
اى تطيرتم وكفرتم فهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل
الثانية وادخل قالون وابو عمرو بينهما الفا وورش وابن كثير بغير ادخال والباقون بتحقيقهما
مع عدم الادخال + ولما كان ذلك لا يصح ان يكون سببا للتطير بوجه اضربوا عنه بقولهم
بل اى ليس الامر كما زعمتم فى ان التذكير سبب التطير بل انتم قوم اى غركم ما آتاكم الله
من القوة على القيام فيما تريدون مسرفون اى عادتكم الخروج عن الحدود والطغيان

نحو قنتم لذلك + ولما كان السياق لان الامر بيد الله تعالى فلا هادى لمن يضل ولا مضل لمن هدى فهو يهدى البعيد فى البقعة والنسب اذا اراد ويضل القريب فيهما اذا اراد وكان بعد الدار ملزوما فى الغالب لبعد النسب قدم مكان المجئ على فاعله بيانا لان الدعاء نفع الاقصى ولم ينفع الادنى فقال تعالى وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى اى ابعد بخلاف ما مر فى القصص ولاجل هذا الغرض عدل عن التعبير بالقرية وقال الْمَدِينَةِ لانها ادل على الكبر المستلزم لبعد الاطراف وجمع الاخلاط ولما بين الفاعل بقوله تعالى رَجُلٌ بين اهتمامه بالنهى عن المنكر ومسابقته الى ازالته كما هو الواجب بقوله تعالى يَسْعَى اى يسرع فى مشيه فوق المشى ودون العدو حرصا على نصيحة قومه + تنبيه + فى تنكير الرجل مع انه كان معلوما معروفا عند الله تعالى فيه فائدتان الاولى ان يكون تعظيما لشانه اى رجل كامل فى الرجولية الثانية ان يكون مفيدا ليظهر من جانب المرسلين امر رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال انهم تواطؤا والرجل هو حبيب النجار كان ينحت الاصنام وقال السدى كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصى باب فى المدينة وكان مؤمنا وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل وجوده حين صار من العلماء بكتاب الله تعالى ورأى فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته وقوله يسعى تبصير للمسلمين وهداية لهم ليبذلوا جهدهم فى النصح ولما تشوفت النفس الى الداعى الى اتيانه بينه بقوله تعالى قَالَ واستعطفهم بقوله تعالى يَا قَوْمِ وامرهم بمجاهدة النفوس بقوله اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اى فى عبادة الله تعالى وحده فجمع بين اظهار دينه واظهار النصيحة فقوله اتبعوا نصيحة وقوله المرسلين اظهار ايمانه وقدم اظهار النصيحة على اظهار الايمان لانه كان ساعيا فى النصيحة واما الايمان فكان قد آمن من قبل وقوله يسعى يدل على ارادته النصح فان قيل ما الفرق بين مؤمن آل فرعون حيث قال اتبعونى اهدكم وهذا قال اتبعوا المرسلين اجيب بان هذا الرجل جاءهم وفى اول مجيئه نصحهم ولم يعلموا سيرته فقال اتبعوا هؤلاء الذين اظهروا لكم الدليل واوضحوا لكم السبيل واما مؤمن آل فرعون فكان فيهم ونصحهم مرارا فقال اتبعونى فى الايمان بموسى وهرون عليهما السلام واعلموا انه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسى وانتم تعلمون انى اخترته ولم يكن الرجل الذى جاء من اقصى المدينة يعلمون اتباعه لهم + ولما قال لهم اتبعوا المرسلين كانهم منعوا كونهم مرسلين فنزل درجة وقال اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا اى اجرة لان الخلق فى الدنيا سالكون طريق الاستقامة والطريق اذا كان فيه دليل وجب اتباعه وعدم الاستماع من الدليل لا يحسن الا عند احد امرين اما لطلب الدليل الاجرة واما لعدم الاعتماد على اهتدائه ومعرفة الطريق لكن هؤلاء لا يطلبون اجرة وَهُمْ مُهْتَدُونَ عالمون بالطريق المستقيم الموصلة الى الحق فهب انهم ليسوا مرسلين أليسوا مهتدين فاتبعوهم وقوله تعالى وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي اصله وما لكم لا تعبدون ولكنه صرف الكلام عنه ليكون الكلام اسرع قبولا حيث اراد لهم ما اراد لنفسه والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال وَإِلَيْهِ

ترجعون دون اليه ارجع مبالغة في التهديد وفي العدول عن مخاصمة القوم الى حال نفسه مبالغة
في الحكمة وهي انه لو قال ما لكم لا تعبدون الذي فطركم لم يكن في البيان مثل قوله مالي لانه لما قال مالي
فاحد لا يخفى عليه حال نفسه علم كل واحد انه لا يطلب العلة وبيانها من احد لانه اعلم بحال نفسه
وقوله الَّذِي فطرني اشار به الى وجود المقتضي فان قوله مالي اشارة الى عدم المانع وعند عدم المانع
لا يوجد الفعل ما لم يوجد المقتضي فقوله الذي فطرني دليل المقتضي فان الخالق ابتداء مالك
والمالك يجب على المملوك اكرامه وتعظيمه ومنعم بالايمان والمنعم يجب على المنعم عليه شكر
نعمته وقدم بيان عدم المانع على بيان وجود المقتضي مع ان المستحسن تقديم المقتضي لان المقتضي
لظهوره كان مستغنيا عن البيان فلا اقل من تقديم ما هو اولى بالبيان للحاجة اليه واختار من الآيات
فطرة نفسه لان خالق عمرو يجب على زيد عبادته لان من خلق عمرا لا يكون الا كامل القدرة
واجب الوجود فهو مستحق للعبادة بالنسبة الى كل مكلف لكن العبادة على زيد بخالق زيد اظهر
ايجابا + تنبيه + اضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة اثر النعمة فكانت عليه
اظهر وفي الرجوع معنى الزجر فكان بهم اليق روي انه لما قال اتبعوا المرسلين اخذوه ورفعوه
الى الملك فقال له افانت تتبعهم فقال ومالي لا اعبد الذي فطرني اي شئ يمنعني ان
اعبد خالقي واليه ترجعون تردون عند البعث فيجزيكم باعمالكم ومعنى فطرني خلقني اخترعني
ابتداء وقيل خلقني على الفطرة كما قال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها ثم عاد الى السياق
الاول فقال ءَأَتَّخِذُ وهو استفهام بمعنى الانكار اي لا اتخذ وبين علو رتبته تعالى بقوله مِنْ دُونِهِ
اي سواه مع دنو المنزلة وبين عجز ما عبدوه بتعدده فقال آلِهَةً وفي ذلك لطيفة وهي انه لما بين
انه يعبد الذي فطره بين ان من دونه لا تجوز عبادته لان الكل محتاج مفتقر حادث وقوله اتخذ
اشارة الى ان غيره ليس باله لان المتخذ لا يكون الها وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام بتسهيل
الثانية بخلاف عن هشام وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو وهشام وورش وابن كثير بغير ادخال الف
والباقون بتحقيقهما مع عدم الادخال واذا وقف حمزة فله تسهيل الثانية والتحقيق لانه متوسط بزائد
وله ايضا ابدالها الفا ثم بين عجز تلك الآلهة بقوله إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ اي العام النعمة على كل المخلوقين
العابد والمعبود بِضُرٍّ اي سوء ومكروه لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا اي لو فرض انهم شفعوا ولكن
شفاعتهم لا توجد وَلَا يُنْقِذُونِ اي بالنصرة والمظاهرة من ذلك المكروه او من العذاب لو عذبني
الله تعالى ان فعلت ذلك فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى هنا ان يردن الرحمن بصيغة المضارع
وقال في الزمر ان ارادني الله بصيغة الماضي وذكر المريد هنا باسم الرحمن وذكر المريد هناك
باسم الله اجيب بان الماضي والمستقبل مع الشرط يصير الماضي مستقبلا لان المذكور هنا من قبل
بصيغة الاستقبال في قوله ءاتخذ وقوله ومالي لا اعبد والمذكور هناك من قبل بصيغة الماضي في قوله
افرأيتم + تنبيه + ان يردن شرط جوابه لا تغن عني الخ والجملة الشرطية في محل النصب صفة

لا لهة + فائدة + اثبت ورش الياء بعد النون فی الوصل دون الوقف والباقون بغير ياء وقفا ووصلا
إِنِّیٓ إِذًا ای ان عبدت غير الله تعالى لَفِی ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ای خطأ ظاهر وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء
وسكنها الباقون وهم على مذاهبهم فی المد + ولما اقام الادلة ولم يبق لاحد تخلف عنه علة صرح بما
لوح اليه من ايمانه بقوله إِنِّیٓ اٰمَنْتُ ای اوقعت التصديق الذی لا تصديق فی الحقيقة غيره وفتح الياء
نافع وابن كثير وابو عمرو وسكنها الباقون واختلف فی المخاطب بقوله بِرَبِّكُمْ على اوجه احدها انه
خاطب المرسلين قال المفسرون اقبل القوم عليه يريدون قتله فاقبل هو على المرسلين وقال
انی اٰمنت بربكم فَاسْمَعُونِ ای اسمعوا قولی واشهدوا لی وثانيها هم الكفار لما نصحهم وما
قال اٰمنت بربكم فاسمعون وثالثها بربكم ايها السامعون فاسمعون على العموم كقول الواعظ يا مسكين
ما اكثر املك يريد كل سامع يسمعه فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه و
قال ابن مسعود وطئوه بارجلهم وقال السدی كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد
قومی حتى قطعوه وقتلوه وقال الحسن خرقوا خرقا فی حلقه فعلقوه فی سور المدينة وقبره بانطاكية
مشهور رضی الله تعالى عنه + تنبيه + فی قوله فاسمعون فوائد منها انه كلام متفكر حيث قال اسمعوا
فان المتكلم اذا كان يعلم ان لكلامه جماعة سامعين يتفكر ومنها ان ينبه القوم ويقول انی اخبرتكم
بما فعلت حتى لا تقولوا لم اخفيت عنا امرك ولو اظهرته لامنا معك فان قيل انه قال من قبل ومالی
لا اعبد الذی فطرنی وقال ههنا اٰمنت بربكم ولم يقل اٰمنت بربی اجيب بانا ان قلنا الخطاب مع الرسل
فالامر ظاهر لانه لما قال اٰمنت بربكم ظهر عند الرسل انه قبل قولهم واٰمن بالرب الذی دعوه اليه
وقال بربكم وان قلنا الخطاب مع الكفار ففيه بيان التوحيد لانه لما قال اعبد الذی فطرنی ثم قال اٰمنت
بربكم فهم انه يقول ربی وربكم واحد وهو الذی فطرنی وهو بعينه ربكم بخلاف ما لو قال اٰمنت بربی
فيقول الكافر وانا ايضا اٰمنت بربی + فائدة + اخبر النبی صلى الله عليه وسلم ان مثل صاحب يس هذا
فی هذه الامة عروة بن مسعود الثقفی حيث نادى قومه بالاسلام ونادى على علية بالاذان فرموه بالسهام
فقتلوه + ثم انه سبحانه وتعالى بين حال هذا الذی قال اٰمنت بربكم بعد ذلك بقوله تعالى ايجازا فی البيان
لاهل الايمان قِيلَ ای قيل له بعد قتلهم اياه فبناه للمفعول لان المقصود المقول لا قائله والمقول له
معلوم ادْخُلِ الْجَنَّةَ لانه شهيد والشهداء يسرحون فی الجنة حيث شاؤا من حين الموت وقيل لما هموا
بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة وقرأ هشام والكسائی بضم القاف وهو المسمى بالاشمام والباقون بالكسر
+ ولما افضى به الى الجنة قَالَ يٰلَيْتَ قَوْمِی يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِی رَبِّی ای بغفران ربی لی المحسن الی
فی الاخرة بعد احسانه فی الدنيا بالايمان فی مدة يسيرة بعد طول عمری فی الكفر وَجَعَلَنِی مِنَ
الْمُكْرَمِينَ الذين اعطاهم الدرجات العلى فنصح لقومه حيا وميتا بتمنى علمهم بالكرامة ليعملوا مثل عمله
فينالوا ما ناله + تنبيه + فی القصة حث على المبادرة الى مفارقة الاشرار واتباع الاخيار والحلم عن
اهل الجهل وكظم الغيظ والتلطف فی خلاص الظالم من ظلمه وانه لا يدخل احد الجنة الا برحمة

الله وان كان محسنا وهذا كما وقع للانصار رضي الله تعالى عنهم في المبادرة الى الايمان مع بعد الدار والنسب وفي قول من استشهد منهم في بئر معونة كما رواه البخاري في المغازي عن انس بلغوا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا وفي غزوة احد كما في السيرة وغيرها لما وجدوا طيب مشربهم وماكلهم وحسن مقيلهم يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله تعالى بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحروب فقال الله تبارك وتعالى فانا ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الآية في سورة آل عمران وفي التمثيل بهذه القصة اشارة الى ان في قريش من حتم بموته على الكفر ولم ينقص ما قضى له من الاجل فالله سبحانه يؤيد هذا الدين بغيرهم لتظهر قدرته وحكمته وَمَا أَنْزَلْنَا بما لنا من العظمة عَلَى قَوْمِهِ اي حبيب مِنْ بَعْدِهِ اي من بعد اهلاكه او دفعه مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار باهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم والا لكان تحريك ريشة من جناح ملك كافيا في استئصالهم فان قيل ما فائدة قوله تعالى من بعده وهو تعالى لم ينزل عليهم من قبله اجيب بان استحقاق العذاب كان بعده حيث اصروا واستكبروا فبين حال الاهلاك بقوله تعالى وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ اي ما كان ذلك من سنتنا وما صح في حكمتنا ان يكون عذاب الاستئصال بجند كثير إِنْ اي ما كَانَتْ اي الواقعة التي عذبوا بها إِلَّا صَيْحَةً صاحها بهم جبريل عليه السلام فما تواعن آخرهم واكد امرها وحقق وحدتها بقوله تعالى وَاحِدَةً اي لحقارة امرهم عندنا ثم زاد في تحقيرهم ببيان الاسراع في الاهلاك بقوله تعالى فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ اي ثابت لهم الخمود ما كانهم كانت بهم حركة يوما من الدهر شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد ؎ وما المرء الا كالشهاب وضوئه + يحور رمادا بعد اذ هو ساطع + وقال المعري ؎ وكالنار الحياة فمن رماد + اواخرها واولها دخان + قال المفسرون اخذ جبريل عليه السلام بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فماتوا يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ اي هؤلاء ونحوهم ممن كذب الرسل فاهلكوا وهي شدة التالم وندائها مجاز اي هذا اوانك فاحضري ثم بين تعالى سبب الحسرة والندامة بقوله تعالى مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ اي رسول كان في اي وقت كان إِلَّا كَانُوا بِهِ اي بذلك الرسول يَسْتَهْزِئُونَ والمستهزئ بالناصحين المخلصين احق ان يتحسر ويتحسر عليه وقيل يقول الله تعالى يوم القيمة يا حسرة على العباد حين لم يؤمنوا بالرسل + ولما بين تعالى حال الاولين قال للحاضرين أَلَمْ يَرَوْا اي اهل مكة القائلين للنبي صلى الله عليه وسلم لست مرسلا والاستفهام للتقرير اي اعلموا وقوله تعالى كَمْ خبرية بمعنى كثيرا وهو مفعول لاهلكنا تقديره كثيرا من القرون اهلكنا وهي معمولة لما بعدها معلقة ليروا عن العمل ذهابا بالخبرية مذهب الاستفهامية والمعنى اما

أهلكنا قبلهم كثيراً من القرون أي الأمم قال البغوي والقرن أهل كل عصر سموا
بذلك لاقترانهم في الوجود أنهم أي المهلكين إليهم أي إلى أهل مكة لا يرجعون
أي لا يعودون إلى الدنيا أفلا يعتبرون + وقيل لا يرجعون أي الباقون لا يرجعون إلى المهلكين
بسبب ولا ولادة أي أهلكناهم وقطعنا نسلهم ولا شك أن الإهلاك الذي يكون مع قطع النسل
أتم وأعم قال ابن عادل والأول أشهر نقلاً والثاني أظهر عقلاً وقوله تعالى وإن نافية أو مخففة
وقوله تعالى كل أي كل الخلائق مبتدأ وقرأ لما ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد الميم
بمعنى إلا والباقون بالتخفيف واللام فارقة وما مزيدة وقوله تعالى جميع أي مجموعون
خبر أول لدينا أي عندنا في الموقف بعد بعثهم وقوله تعالى محضرون أي للحساب خبر ثان
وما أحسن قول القائل ـ ولو أنا إذا متنا تركنا + لكان الموت راحة كل حي + ولكنا إذا متنا بعثنا
ونسئل بعدها عن كل شيء + ولما قال تعالى وإن كل لما جميع كان ذلك إشارة إلى الحشر
فذكر ما يدل على إمكانه قطعاً لإنكارهم واستبعادهم فقال تعالى وآية أي علامة
عظيمة لهم أي على قدرتنا على البعث وإيجادنا له الأرض أي هذا الجنس الذي هم منه ثم وصفها
بما حقق وجه الشبه بقوله تعالى الميتة التي لا روح لها لأنه لا نبات بها أعم من أن يكون بها نبات
وفني أو لم يكن بها شيء أصلاً + ثم استأنف بيان كونها آية بقوله تعالى أحييناها أي باختراع النبات
فيها أو بإعادته بسبب المطر كما كان بعد اضمحلاله فإن قيل الأرض آية مطلقاً فلم خصها بهم حيث
قال تعالى وآية لهم أجيب بأن الآية تعدد وتسرد لمن لم يعرف الشيء بأبلغ الوجوه وأما من عرف
الشيء بطريق الرؤية فلا يذكر له دليل فالنبي صلى الله عليه وسلم وعباد الله المخلصين عرفوا الله تعالى
قبل الأرض والسماء فليست الأرض معرفة لهم + تنبيه + آية خبر مقدم ولهم صفتها أو متعلقة
بآية لأنها علامة والأرض مبتدأ وأعرب أبو البقاء آية مبتدأ ولهم الخبر والأرض الميتة مبتدأ أو صفة وأحييناها
خبره والجملة مفسرة لآية وبهذا بدأ ثم قال وقيل فذكر الوجه الأول + ولما كان إخراج الأقوات نعمة أخرى
قال وأخرجنا منها حباً أي جنس الحب كالحنطة والشعير والأرز + ثم بين عموم نفعه بقوله فمنه أي بسبب
هذا الإخراج يأكلون أي من ذلك الحب فهو حب حقيقة تعلمون ذلك علم اليقين وعين اليقين
وحق اليقين لا تقدرون تدعون أن ذلك خيال سحري بوجه من الوجوه وفي هذه الآية
وأمثالها حث عظيم على تدبر القرآن واستخراج ما فيه من المعاني الدالة على جلال الله تعالى
وكماله وقد أنشد هنا الأستاذ القشيري في تفسيره وعيب على من أهمل ذلك ـ يا من
تصدر في دست الإمامة في + مسائل الفقه إملاء وتدريسا + غفلت عن حجج التوحيد تحكمها
شيدت فرعاً وما مهدت تأسيسا + ولما ذكر الزرع وهو ما لا ساق له أتبعه بذكر ماله
ساق بقوله وجعلنا أي بما لنا من العظمة فيها أي الأرض جنات أي بساتين من نخيل
وأعناب وذكر هذين النوعين لكثرة نفعهما وقدم النخل لأنه نفع كله خشبه

وسعفه وليفه وخوصه وعراجينه وثمره طلعا وبسرا ورطبا وتمرا وفيه زينة وانما لكونه لا يسقط
ورقه + ولما كانت الجنان لا تصلح الا بالماء قال تعالى وَفَجَّرْنَا اى فتحنا شيئا عظيما فِيهَا اى الارض
مِنَ الْعُيُونِ شيئا فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة
عند الاخفش قال البقاعي والتعريف هنا يدل على ان الارض مركبة على الماء
فكل موضع منها صالح لان يتفجر منه الماء ولكن الله تعالى يمنعه من بعض المواضع بخلاف
الاشجار ليس فيها شئ غالب على الارض ففي ذلك تذكير بالنعمة في حبس الماء عن بعض
الارض ليكون موضعا للسكن ولو شاء لفجر الارض كلها عيونا كما فعل بقوم نوح فاغرق
اهل الارض كلهم وقرأ نافع وابو عمرو وهشام وحفص برفع العين والباقون بالكسر
+ ولما كانت حياة كل شئ انما هي بالماء اشار الى ذلك بقوله تعالى لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهٖ اى ثمر
ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير يعود على الاعناب لانها اقرب مذكور وكان من
حق الضمير ان يثنى لتقديم شيئين وهما الاعناب والنخيل الا انه اكتفى بذكر احدهما وقيل الضمير
لله على طريق الالتفات من التكلم الى الغيبة وقرأ حمزة والكسائي برفع الثاء والميم وهي
لغة فيه او جمع ثمار والباقون بفتحهما وقوله تعالى وَمَا عَمِلَتْهُ اَيْدِيْهِمْ عطف على الثمر والمراد
ما يتخذ منه كالعصير والدبس ما موصولة اى ومن الذي عملته ايديهم ويؤيد هذا قراءة حمزة
والكسائي وشعبة بحذف الهاء من عملته وما نافية على قراءة الباقين باثباتها اى وجدوها
معمولة ولم تعملها ايد ولا صنع لهم فيها وقيل اراد العيون والانهار التي لم تعملها يد مخلوق مثل دجلة
والفرات والنيل ثم لما عدد النعم اشار الى الشكر بقوله تعالى اَفَلَا يَشْكُرُوْنَ اى الشكر وافهو امر بصيغة
الاستفهام اى اداموا اثما في ايقاع الشكر والدوام على تجديده في كل حين بسبب هذه النعم
+ ولما امرهم الله تعالى بالعبادة وهم تركوها وعبدوا غيره واشركوا قال تعالى سُبْحٰنَ الَّذِيْ
خَلَقَ الْاَزْوَاجَ اى الاصناف والانواع كُلَّهَا اى وغيره لم يخلق شيئا ثم بين ذلك بقوله تعالى
مِمَّا تُنْبِتُ الْاَرْضُ دخل فيه كل نجم وشجر ومعدن وغيره من كل ما يتولد منها
وَمِنْ اَنْفُسِهِمْ من الذكور والاناث وقوله تعالى وَمِمَّا لَا يَعْلَمُوْنَ يدخل فيه ما في اقطار السموات
وتخوم الارضين من المخلوقات العجيبة الغريبة + ولما استدل تعالى باحوال الارض وهو المكان
الكلي استدل بالليل والنهار وهو الزمان الكلي بقوله تعالى وَاٰيَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ اى على اعادة الشئ
بعد فنائه نَسْلَخُ اى نفصل مِنْهُ النَّهَارَ فان دلالة الزمان والمكان متناسبة لان المكان لا يستغنى
عنه الجواهر والزمان لا يستغني عنه الاعراض لان كل عرض فهو في زمان + تنبيه + نسلخ
استعارة تبعية مصرحة شبه انكشاف ظلمة الليل بكشط الجلد من الشاة والجامع ما يعقل من ترتب
احدهما على الاخر فَاِذَا هُمْ اى بعد ازالة ما للنهار الذي سلخناه من الليل مُّظْلِمُوْنَ اى
داخلون في الظلام بظهور الليل الذي كان الضياء ساترا له كما يستر الجلد الشاة قال الماوردي

وذلك ان ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء فاذا خرج منه اظلم نقله ابن الجوزي عنه وقد
ارشد السياق حتما الى ان التقدير والنهار نسلخ من الليل الذي كان ساتره وغالبا عليه فاذا هم مبصرون
ولما ذكر الوقتين ذكر آيتيهما مبتدئا بآية النهار بقوله تعالى وَالشَّمْسُ اي التي سلخ النهار من الليل بغيبوبتها
تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا اي لحد معين ينتهي اليه دورها لا تجاوزه فشبه بمستقر المسافر اذا قطع سيره
وقيل مستقرها بانتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل انها تسير حتى تنتهي الى ابعد
مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها لانها لا تجاوزه وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف
ونهاية هبوطها في الشتاء وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مستقرها تحت العرش
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر حين غربت الشمس تدري اين تذهب قلت الله ورسوله
اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها
وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى
والشمس تجري لمستقر لها ولما كان هذا الجري على نظام لا يختل على ممر السنين وتعاقب الاحقاب
عظمه بقوله تعالى ذَلِكَ اي الامر الباهر للعقول وزاد في عظمه بصيغة التفعيل بقوله تعالى تَقْدِيرُ
الْعَزِيزِ اي الذي لا يقدر احد في شيء من امره على نوع مغالبة وهو غالب على كل شيء الْعَلِيمِ
اي المحيط علما بكل شيء الذي يدبر الامر فيطرد على نظام عجيب ونهج بديع لا يعتريه وهن ولا يلحقه
يوما نوع خلل ويحتمل ان تكون الاشارة الى المستقر اي ذلك المستقر تقدير العزيز العليم ولما ذكر
آية النهار اتبعها آية الليل بقوله تعالى وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ اي من حيث سيره مَنَازِلَ ثمانية وعشرين
منزلا في ثمانية وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما وليلة ان
كان الشهر تسعة وعشرين يوما وقد ذكرنا اسامي المنازل في سورة يونس عليه السلام فاذا صار
القمر في آخر منازله دق فذلك قوله تعالى حَتَّى عَادَ اي بعد ان كان بدرا عظيما كَالْعُرْجُونِ من النخل
وهو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته وهو منبته من النخلة رقيقا منحنيا ثم وصفه بقوله تعالى
الْقَدِيمِ فانه اذا عتق يبس وتقوس واصفر فيتشبه القمر في دقته وصفرته في رأي العين في آخر
المنازل قال القشيري ان القمر يبعد عن الشمس ولا يزال يتباعد حتى يعود بدرا ثم يدنو فكلما ازداد
من الشمس دنوا ازداد في نفسه نقصانا الى ان يتلاشى وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو والقمر برفع الراء
والباقون بالنصب والرفع على الابتداء والنصب باضمار فعل على الاشتغال والوجهان مستويان
لتقدم جملة ذات وجهين وهي قوله تعالى والشمس تجري فان راعيت صدرها رفعت لتعطف
جملة اسمية على مثلها وان راعيت عجزها نصبت لتعطف فعلية على مثلها ولما قرر ان لكل منهما منازل
لا يعدوها فلا يغلب ما هو آيته آية الآخر بل اذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان ذاك واذا جاء ذاك
ذهب هذا قال تعالى لَا الشَّمْسُ التي هي آية النهار يَنْبَغِي اي يسهل لَهَا اي ما دام هذا الكون موجودا
على هذا الترتيب أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ اي تجتمع معه في الليل فما النهار سابق الليل وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ

اى فلا يأتى احدهما قبل انقضاء الآخر ففى الآية من الاحتباك لانه نفى اولا ادراك الشمس لقوتها القمر
ففيه دليل على ما حذف من الثانى من نفى ادراك الشمس للقمر اى فيغلبها وان كان يوجد فى النهار
لكن من غير سلطنة فيه بخلاف الشمس فانها لا تكون فى الليل اصلا ونفى ثانيا سبق الليل النهار
وفيه دليل على حذف سبق النهار الليل اولا كما قدرته ﴿وَكُلٌّ﴾ اى من الشمس والقمر ﴿فِى فَلَكٍ﴾ يحيط
به وهو الجسم المستدير او السطح المستدير او الدائرة لان اهل اللغة على ان فلكة المغزل سميت
فلكة لاستدارتها وفلكة الخيمة هى الخشبة المسطحة المستديرة التى توضع على راس العمود
لئلا يمزق العمود الخيمة وهى صفحة مستديرة فان قيل فعلى هذا تكون السماء مستديرة وقد
اتفق اكثر المفسرين على ان السماء مبسوطة لها اطراف على جبال وهى كالسقف المستوى ويدل
عليه قوله تعالى والسقف المرفوع اجاب الرازى بانه ليس فى النصوص ما يدل دلالة قاطعة على
كون السماء مبسوطة غير مستديرة بل دل الدليل الحسى على كونها مستديرة فوجب المصير اليه
والسقف المقبب لا يخرج عن كونه سقفا وكذلك على جبال ومن الادلة الحسية ان السماء لو كانت
مستوية لكان ارتفاع اول النهار ووسطه وآخره مستويا وليس كذلك وذكر غير ذلك من الادلة
وفى هذا كفاية + ولما ذكر لها فعل العقلاء من كونها على نظام محرر لا يختل وسير مقدر لا يعوج ولا يخل
جمعها جمعهم بقوله تعالى ﴿يَسْبَحُونَ﴾ وقال الجمهور قوله تعالى يسبحون يدل على انها احياء لان ذلك لا يطلق
الا على العاقل قال الرازى ان ارادوا القدر الذى يكون منه التسبيح فنقول به لان كل شىء يسبح
بحمده وان ارادوا شيئا آخر فلم يثبت ذلك والاستعمال لا يدل كما فى قوله تعالى فى حق الاصنام
الا تأكلون ما لكم لا تنطقون ولما ذكر سبحانه وتعالى ما هد له سعدوا فى السباحة فى وجه الفلك
ذكر ما هو به من الفلك للسباحة على وجه الماء بقوله تعالى ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ﴾ اى على قدرتنا التامة انا اى
على ما لنا من العظمة ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ اى آباءهم الاصول قال البغوى واسم الذرية يقع على الآباء كما
يقع على الاولاد والالف واللام فى قوله تعالى ﴿فِى الْفُلْكِ﴾ للتعريف اى فلك نوح عليه الصلاة والسلام
وهو مذكور فى قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا وهو معلوم عند العرب ثم وصف الفلك بقوله
تعالى ﴿الْمَشْحُونِ﴾ اى الموقر المملوء حيوانا وناسا وهو يتقلب فى تلك المياه التى لم ير احد قط مثلها
ولا يرى ايضا مع ذلك فسلمها الله تعالى وايضا الآدمى يرسب فى الماء ويغرق فحمله فى الفلك يقدرته
تعالى لكن من الطبيعيين من يقول الخفيف لا يرسب لانه يطلب جهة فوق فقال الفلك المشحون
اثقل من الثقال التى ترسب ومع هذا حمل الله الانسان فيه مع ثقله وقال اكثر المفسرين ان
الذرية لا تطلق الا على الولد وعلى هذا فالمراد اما ان يكون الفلك المعين الذى كان لنوح
عليه الصلاة والسلام واما ان يكون المراد الجنس كقوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام
ما تركبون وقوله تعالى وترى الفلك فيه مواخر وقوله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك الى غير
ذلك من استعمال لام التعريف فى الفلك لبيان الجنس فان كان المراد سفينة نوح عليه السلام

ففيه وجوه الاول ان المراد حملنا اولادهم الى يوم القيمة فى ذلك الفلك ولولا ذلك ما بقى للآب نسل ولا عقب وعلى هذا فقوله تعالى حملنا ذريتهم اشارة الى كمال النعمة اى لم تكن النعمة مقتصرة عليكم بل متعدية الى اعقابكم الى يوم القيمة وهذا قول الزمخشرى قال ابن عادل ويحتمل ان يقال انه تعالى انما خص الذرية بالذكر لان الموجودين كانوا كفارا لا فائدة فى وجودهم فقال تعالى حملنا ذريتهم اى لم يكن الحمل حملا لهم وانما كان حملا لما فى اصلابهم من المؤمنين كمن حمل صندوقا لا قيمة وفيه جواهر قيل انه لم يحمل الصندوق وانما حمل ما فيه ثانيها ان المراد بالذرية الجنس اى حملنا اجناسهم لان ذلك الحيوان من جنسه ونوعه والذرية تطلق على الجنس ولذلك تطلق على النساء لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل الذرارى اى النساء لان المرأة وان كانت صنفا غير صنف الرجل لكنها من جنسه ونوعه يقال ذراريا اى امثالنا ثالثها ان الضمير فى قوله تعالى وآية لهم الليل للعباد وكذا وآية لهم انا حملنا ذريتهم واذا علم هذا فكانه تعالى قال وآية للعباد انا حملنا ذرية العباد ولا يلزم ان يكون المراد بالضمير فى الموضعين اشخاصا معينين كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم ويذيق بعضكم بأس بعض ولذلك اذا تقاتل قوم وماتت الكل فى القتال فقال هؤلاء القوم هم قتلوا انفسهم فهم فى الموضعين يكون عائدا الى القوم ولا يكون المراد اشخاصا معينين بل المراد ان بعضهم قتل بعضهم فكذلك قوله تعالى وآية لهم اى آية لكل بعض منهم انا حملنا ذرية كل بعض منهم او ذرية بعض منهم وان قلنا المراد جنس الفلك قال ابن عادل وهو الاظهر لان سفينة نوح عليه السلام لم تكن بحضرتهم ولم يعلموا من حمل فيها فاما جنس الفلك فانه ظاهر لكل احد وقوله تعالى فى سفينة نوح عليه السلام وجعلناها آية للعالمين بوجود جنسها ومثلها ويؤيده قوله تعالى الم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور فان قيل ما الحكمة فى قوله تعالى وآية لهم الارض الميتة وآية لهم الليل ولم يقل وآية لهم الفلك اجيب بان حملهم فى الفلك هو العجب اما نفس الفلك فليس بعجيب لانه كبيت مبنى من خشب واما نفس الارض فعجيب ونفس الليل فعجيب لا قدرة لاحد عليهما الا الله فان قيل قال تعالى وحملناكم فى البر والبحر ولم يقل ذريتكم مع ان المقصود فى الموضعين بيان النعمة لا دفع النقمة اجيب بانه تعالى لما قال فى البر والبحر عم الخلق جميعا لان ما من احد الا وحمل فى البر والبحر واما الحمل فى البحر فلم يعم فقال ان كنا ما حملناكم بانفسكم فقد حملنا من يهمكم امره من الاولاد والاقارب والاخوان والاصدقاء وقرأ نافع وابن عامر بالف بعد الياء التحتية وكسر الفوقانية على الجمع والباقون بغير الف وفتح الفوقانية على الافراد واختلف فى تفسير قوله تعالى وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ اى من مثل الفلك مَا يَرْكَبُونَ فقال ابن عباس يعنى الابل فالابل فى البر كالسفن فى البحر وقيل اراد به السفن التى عملت بعد سفينة نوح عليه السلام على هيأتها وقال قتادة والضحاك وغيرهما اراد به السفن الصغار التى تجرى فى الانهار كالفلك الكبار فى البحار وَإِنْ نَشَأْ اى لاجل ما لنا من القوة الشاملة والقدرة التامة نُغْرِقْهُمْ اى مع ان هذا الماء الذى يركبونه ليس

كالماء الذي حملنا فيه اباءهم فلا صريخ لهم اي مغيث لهم ينجيهم مما نزل بهم من الغرق او فلا اغاثة
كقولهم اتاهم الصريخ ولا هم اي بانفسهم من غير صريخ ينقذون اي يكون لهم انقاذ اي خلاص لانفسهم
او غيرها الا رحمة اي فنحن ننقذهم ان شئنا رحمة منا اي لهم لا وجوبا علينا ولا لمنفعة تعود منهم
الينا ومتاعا اي وتمتيعا اياهم بلذاتهم الى حين اي الى انقضاء اجالهم واذا قيل لهم اي من اي
قائل كان اتقوا ما بين ايديكم اي من عذاب الدنيا كغيركم وما خلفكم من عذاب الاخرة
لعلكم ترحمون تعاملون معاملة المرحوم بالاكرام وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما بين ايديكم
يعني الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقال قتادة ومقاتل
ما بين ايديكم وقائع الله فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم عذاب الاخرة * تنبيهان *
احدهما الا رحمة منصوب على المفعول له وهذا مستثنى مفرغ وقيل مستثنى منقطع وقيل على المصدر
بفعل مقدر وقيل على اسقاط الخافض اي الا برحمة والفاء في قوله تعالى فلا صريخ لهم رابطة لهذه
الجملة بما قبلها فالضمير في لهم عائد على المغرقين ثانيهما جواب اذا محذوف تقديره اعرضوا
يدل عليه قوله تعالى بعده الا كانوا عنها معرضين وعلى هذا فلفظ كانوا زائد وما تاتيهم من اية
من ايات ربهم اي المحسن اليهم الا كانوا اي مع كونها من عند من غمرهم احسانه وعمهم فضله
وامتنانه عنها معرضين اي دائما اعراضهم واذا قيل لهم اي من اي قائل كان انفقوا اي على
من لا شيء له شكرا لله على ما اعطاكم قال صلى الله عليه وسلم هل ترزقون وتنصرون الا بضعفائكم
انما يرحم الله تعالى من عباده الرحماء وبين تعالى انهم يبخلون بما لا صنع لهم فيه بقوله تعالى مما رزقكم الله
اي مما اعطاكم الله الذي له جميع صفات الكمال قال الذين كفروا اي ستروا وغطوا ما دلتهم
عليه انوار عقولهم من الخيرات للذين امنوا اي استهزاء بهم انطعم من لو يشاء الله اي الذي
له جميع العظمة كما زعمتم في كل وقت يريده اطعمه وذلك ان المؤمنين قالوا لكفار مكة انفقوا
على المساكين مما زعمتم من اموالكم انه لله سبحانه وتعالى وهو ما جعلوه لله من حروثهم واموالهم
قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه لكنا ننظره لا يشاء ذلك فانه لم يطعمهم مما نرى من فقرهم
فنحن ايضا لا نشاء ذلك موافقة لمراد الله تعالى فيه فتركوا التادب مع الامر واظهروا التادب مع
بعض ارادة الله المنهي عن الجري معها والاستسلام لها وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لا نعطي
من حرمه الله تعالى وهذا الذي يزعمونه باطل لان الله تعالى اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلاء
فمنع الدنيا عن الفقير لا بخلا وامر الغني بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما فرض
في مال الغني فلا اعتراض لاحد في مشيئة الله وحكمه في خلقه وما كفاهم حتى قالوا لمن ارشدهم
الى الخير ان اي ما انتم الا في ضلال اي محيط بكم مبين اي في غاية الظهور ومما ورد ان
الضلال انما هو لهم فان قيل قولهم من لو يشاء الله اطعمه كلام حق فلماذا ذكر في معرض
الذم اجيب بان مرادهم كان الانكار لقدرة الله تعالى او لعدم جواز الامر بالانفاق

مع قدرة الله تعالى وكلاهما فاسد فبين ذلك تعالى بقوله سبحانه مما رزقكم الله فانه يدل على قدرته
ويصحح امره بالاعطاء لان من كان له مع الغير مال وله في خزانته مال مخير ان اراد اعطى مما في خزانته
وان اراد امر من عنده المال بالاعطاء لا يجوز ان يقول من في يده مال له في خزانتك اكثر مما في يدي
اعطه منه فان قيل ما الحكمة في تغيير اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا انفق على من لو يشاء الله رزقه
لانهم امروا بالانفاق فكان جوابهم ان يقولوا انفق فلم قالوا انطعم اجيب بان هذا بيان غاية بخلهم
لانهم انما امروا بالانفاق والانفاق يدخل فيه الاطعام وغيره فلم ياتوا بالانفاق ولا باقل منه
وهو الاطعام وهذا كقول القائل لغيره اعط زيدا دينارا فيقول لا اعطيه درهما مع ان المطابق هو
ان يقول لا اعطيه دينارا ولكن المبالغة في هذا الوجه اتم فكذلك ههنا تنبيه انما وصفوا المؤمنين
بانهم في ضلال مبين لظنهم ان كلام المؤمنين متناقض ومن تناقض كلامه يكون في غاية الضلال
قال الرازي ووجه ذلك انهم قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وهذا اشارة الى ان الله تعالى ان شاء
ان يطعمهم فهو يطعمهم فكان الامر باطعامهم امرا بتحصيل الحاصل وان لم يشأ اطعامهم لا يقدر
احد على اطعامهم لامتناع وقوع ما لم يشأ الله فلا قدرة لنا على الاطعام فكيف تامروننا به ووجه
آخر وهو انهم قالوا ان اراد الله تجويعهم فلو اطعمناهم يكون ذلك سعيا في ابطال فعل الله تعالى
وانه لا يجوز وانتم تقولون اطعموهم فهو ضلال واعلم انه لم يكن في الضلال الا هم حيث نظروا الى
المراد ولم ينظروا الى الطلب والامر وذلك لان العبد اذا امره السيد بامر لا ينبغي الاطلاع على
المقصود الذي لاجله امر به مثاله اذا اراد الملك الركوب للهجوم على عدوه بحيث لا يطلع عليه احد
وقال للعبد احضر المركوب فلو تطلع واستكشف المقصود الذي لاجله الركوب لنسب الى انه يريد
ان يطلع عدوه على الحذر منه وكشف سره فالادب في الطاعة هو امتثال الامر لا تتبع المراد فالله
سبحانه اذا قال انفقوا مما رزقكم لا يجوز ان يقال لم لم يطعمهم الله مما في خزائنه وقد تقدم ما له بهذا
تعلق ﴿وَيَقُولُونَ﴾ اي عادة مستمرة مضمومة الى ما تقدم ﴿مَتَى هَذَا﴾ وزادوا في الاستهزاء بتسميته
وعدا فقالوا ﴿الْوَعْدُ﴾ اي البعث الذي تهددوننا به تارة تلويحا وتارة تصريحا عجلوه لنا ﴿إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ﴾ فيه قال الله تعالى ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ اي ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً﴾ وبين حقارة شانهم وتمام قدرته
بقوله عز وجل ﴿وَاحِدَةً﴾ وهي نفخة اسرافيل عليه السلام الاولى المميتة ﴿تَأْخُذُهُمْ﴾ وقوله تعالى
﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ قرأ حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصم يخصم والمعنى يخصم بعضهم بعضا
فالمفعول محذوف وابو عمرو وقالون باخفاء فتحة الخاء وتشديد الصاد ونافع وابن كثير
وهشام كذلك الا انهم باختلاس فتحة الخاء والباقون بكسر الخاء وتشديد الصاد والاصل في
القراءات الثلاث يختصمون فادغمت التاء في الصاد فنافع وابن كثير وهشام نقلوا فتحتها الى الساكن
قبلها نقلا كاملا وابو عمرو وقالون اختلسا حركتها تنبيها على ان الخاء اصلها السكون والباقون
حذفوا حركتها فالتقى ساكنان لذلك فكسروا اولهما فهذه اربع قراءات + ولما كانت هذه

هي النفخة المميتة تسبب عنها قوله تعالى فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً اي يوجدون الوصية في شئ من الاشياء
وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ اي فضلا عن غيرهم يَرْجِعُونَ اي فيروا حالهم بل يموت كل واحد في مكانه حيث
تفجؤه الصيحة وربما افهم التعبير بالى انهم يريدون الرجوع فيخطون خطوة اونحوها وفي الحديث لتقومن
الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يبيعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد رفع الرجل
اكلته الى فيه فلا يطعمها + ولما دل ذلك على الموت قطعا عقبه بالبعث بقوله تعالى
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ اي القرن النفخة الثانية للبعث وبين النفختين اربعون سنة + ولما كان هذا النفخ
سببا لقيامهم عنده من غير تخلف عبر تعالى بما يدل على التعقب والتسبب والفجأة بقوله
تعالى فَإِذَا هُم اي حين النفخ مِنَ الْأَجْدَاثِ اي القبور واحدها جدث المهيأة هي ومن
فيها لسماع ذلك النفخ فان قيل كيف يكون ذلك الوقت اجداث وقد زلزلت الصيحة الجبال
اجيب بان الله تعالى يجمع اجزاء كل ميت في الذي قبر فيه فيخرج من ذلك الموضع وهو جدثه
إِلَىٰ رَبِّهِمْ اي الى الموقف الذي اعده لهم من احسن اليهم بالتربية يَنسِلُونَ اي يسرعون
المشي مع تقارب الخطا بقوة ونشاط فيا لها من قدرة شاملة وحكمة كاملة حيث كان صوت
واحد يحيي تارة ويميت اخرى فان قيل المشي اذا توجه الى من احسن اليه يقدم رجلا ويؤخر
اخرى والنسلان سرعة المشي فكيف يوجد منهم اجيب بانهم ينسلون من غير اختيارهم فان قيل
قال في اية اخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم قال ههنا فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون والقيام غير النسلان
وقوله تعالى في الموضعين اذا هم يقتضي ان يكونا معا اجيب بان القيام لا ينافي المشي السريع لان
الماشي قائم ولا ينافي النظر بان ذلك لسرعة الامور كان الكل في زمان واحد كقول القائل
مكر مفر مقبل مدبر معا + واعلم ان النفختين يورثان تزلزلا وانفلاتا للاجرام فعند اجتماع الاجزاء
يفرقها وهو المراد بالنفخة الاولى وعند تفرق الاجرام يجمعها وهو المراد بالنفخة الثانية + ولما تشوقت النفوس
الى ما يقولون اذا عاينوا ما كانوا ينكرون استانف قوله تعالى قَالُوا اي الذين هم من اهل الويل يا
للتنبيه وَيْلَنَا اي هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا قال ابي بن كعب
وابن عباس وقتادة انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا
بعثوا بعد النفخة الاخيرة وعاينوا القيمة دعوا بالويل وقال اهل المعاني ان الكفار اذا عاينوا جهنم
وانواع عذابها دعوا بالويل وصار عذاب القبر في جنبها كالنوم فعدوا اماكنهم الذي كانوا فيه مع
ما كانوا فيه من عذاب البرزخ مرقدا هينا بالنسبة الى ما انكشف لهم من العذاب الاكبر فقالوا من بعثنا
من مرقدنا فان قيل ما وجه تعلق من بعثنا من مرقدنا بقولهم يا ويلنا اجيب بانهم لما بعثوا تذكروا
ما كانوا يسمعون من الرسل عليهم الصلوة والسلام فقالوا يا ويلنا ابعثنا الله البعث الموعود به ام كنا نياما
فنبهنا كما اذا كان الانسان موعودا بان يأتيه عدو ولا يطيقه ثم يرى رجلا هائلا يقبل عليه
فيرتجف في نفسه ويقول اهذا ذاك ام لا ويدل على هذا قولهم من مرقدنا حيث جعلوا القبور

موضع الرقاد اشارة الى انهم شكوا فى انهم كانوا نياما فتنبهوا اوكانوا موتى فبعثوا وكان الغالب على ظنهم
هو البعث فجمعوا بين الامرين وقالوا من مرقدنا اشارة الى متوهمهم احتمال الانتباه وقولهم هذا
اشارة الى البعث مَا اى الذى وَعَدَ اى به الرَّحْمٰنُ اى العام الرحمة الذى رحمته مقتضية ولابدّ للبعث
لينصف المظلوم من ظالمه ويجازى كلا بعمله من غير حيف وقد رحمنا بارسال الرسل عليهم الصلوة والسلام
الينا بذلك وطالما انذرونا حلوله وحذرونا صعوبته وطوله وَصَدَقَ اى فى امره الْمُرْسَلُوْنَ اى
الذين اتونا بوعد الله تعالى ووعيده + تنبيه + فى اعراب هذا وجهان اظهرهما انه مبتدأ وما بعده
خبره ويكون الوقف تاما على قوله تعالى من مرقدنا وهذه الجملة حينئذ فيها وجهان احدهما
انها مستأنفة اما من قول الله تعالى او من قول الملائكة او من قول المؤمنين الثانى انها من كلام
الكفار فتكون فى محل نصب بالقول الثانى من الوجهين الاولين هذا صفة لمرقدنا وما بعده
منقطع عما قبله ثم فى ما وجهان احدهما انها فى محل رفع بالابتداء والخبر مقدر اى الذى وعده الرحمن
وصدق المرسلون فيه حق عليكم واليه ذهب الزجاج والزمخشرى والثانى انه خبر مبتدأ مضمر
اى هذا الذى وعد الرحمن اِنْ اى ما كَانَتْ اى النفخة التى وقع الاحياء بها اِلَّا صَيْحَةً وَّاحِدَةً اى كما
كانت صيحة الاماتة واحدة فَاِذَا هُمْ اى فجأة من غير توقف اصلا جَمِيْعٌ اى على حالة الاجتماع لم يتأخر
منهم احد لَّدَيْنَا اى عندنا مُحْضَرُوْنَ ثم بين تعالى ما يكون فى ذلك اليوم بقوله تعالى فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ اى اى نفس كانت مكروهة او محبوبة شَيْئًا اى لا يقع لها ظلم ما من احد ما فى شئ ما
وَلَا تُجْزَوْنَ اى على عمل من الاعمال شيئا من الجزاء من احد اِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ ديدنا لكم بما ركز فى
جبلاتكم ثم بين تعالى حال المحسن بقوله تعالى اِنَّ اَصْحٰبَ الْجَنَّةِ اى الذين لا حظ للنار فيهم الْيَوْمَ
اى يوم البعث وهذا يدل على انه يعجل دخولهم ودخول بعضهم اليها وقوف الباقين للشفاعات
ونحوها من الكرامات عند دخول اهل النار النار وعبر بما يدل على انهم بكلياتهم مقبلون عليه
ومطرقون له مع توجههم اليه بقوله فِىْ شُغُلٍ اى عظيم جدا لا تبلغ وصفه العقول كما كانوا فى الدنيا فى
اشغل الشغل بالمجاهدات فى الطاعات وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين والباقون بالاسكان ثم
بين ذلك الشغل بقوله فٰكِهُوْنَ اى متلذذون فى النعمة واختلف فى هذا الشغل فقال ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما فى افتضاض الابكار وقال وكيع بن الجراح رضى الله عنهما فى السماع وقال الكلبى فى شغل عن
اهل النار وما هم فيه لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم وقال ابن كيسان فى زيارة بعضهم بعضا
وقيل فى ضيافة الله تعالى فاكهون وقيل فى شغل عن هول اليوم يأخذون ما اتاهم الله تعالى من الثواب
فما عندهم خبر من عذاب ولا حساب وقوله تعالى فاكهون متمم لبيان سلامتهم فانه لو قال فى شغل
جاز ان يقال هم فى شغل اعظم من التفكر فى اليوم واهواله فان من تصيبه فتنة عظيمة ثم يعرض عليه
امر من اموره او يخبر بخسران وقع فى ماله يقول انا مشغول عن هذا بما هو اهم منه فقال فاكهون
اى شغلوا عنه باللذة والسرور لا بالويل والثبور وقال ابن عباس رضى الله عنهما فاكهون

فرحون + ولما كانت النفس لا يتم سرورها الا بالقرين الملائم قال تعالى هُمْ اى بظواهرهم وبواطنهم
وَأَزْوَاجُهُمْ اى اشكالهم الذين لهم فى غاية الملائمة كما كانوا يتركونهم فى المضاجع على الذ ما يكون
ويصفون اقدامهم فى خدمتنا وهم يبكون من خشيتنا وفى هذا اشارة الى عدم الوحشة فِي ظِلَالٍ
اى يجدون فيها برد الاكباد وغاية المراد فلا تصيبهم الشمس كما كانوا يشوون اكبادهم فى
دار العمل بحرّ الصيام والصبر فى مرضاتنا على الآلام ويعرون ابدانهم وقلوبهم من الاموال ببذل
الصدقات فى سبيلنا على ممرّ الليالى وكر الايام + تنبيه + ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده
قرأة حمزة والكسائى بضم الظاء ولا الف بين اللامين وهم مبتدأ وخبره فى ظلال كما قال ابو البقاء
+ ولما كان التمتع لا يكمل الا مع العلو الممكن من زيادة العلم الموجب لارتياح النفس وبهجة العين
بانفساح البصر عند مدّ النظر قال تعالى عَلَى الْأَرَائِكِ اى السرر المزينة العالية التى هى داخل
الحجال قال ثعلب لا تكون اريكة حتى تكون عليها حجلة وقال ابن جرير الارائك الحجال فيها السرور
وروى ابو عبيدة فى الفضائل عن الحسن قال كنا لا ندرى ما الارائك حتى لقينا رجل من اهل
اليمن فاخبرنا ان الاريكة عندهم الحجلة فيها السرير وهذا جزاء لما كانوا يلزمون المساجد ويغضون
ابصارهم ويضعون نفوسهم لاجلنا مُتَّكِئُونَ كما كانوا يدابون فى الاعمال قائمين بين
ايدينا فى اغلب الاحوال والاتكاء الميل على شق مع الاعتماد على ما يريح الاعتماد عليه او
الجلوس مع التمكن على هيئة المتربع وفى هذا اشارة الى الفراغ وقوله تعالى لَهُمْ اى خاصة
بهم فِيهَا فَاكِهَةٌ اى لا تنقطع ابدا ولا مانع لهم من تناولها ولا يتوقف ذلك على غير الارادة اشارة
الى ان لا جوع هناك لان التفكه لا يكون لدفع الجوع وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ اى يتمنون + تنبيه + فى ما
هذه ثلاثة اوجه موصولة اسمية نكرة موصوفة والعائد على هذين محذوف مصدرية ويدعون
مضارع ادّعى افتعل من دعا يدعو واشرب معنى التمنى وقال الزجاج هو من الدعاء اى ما يدعو
اهل الجنة يأتيهم من دعوت غلامى فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال
بمعنى الرحل وقيل افتعل بمعنى تفاعل اى ما يتداعونه كقولهم ارتموا وتراموا بمعنى واحد ثم فسر الذى
يدّعونه اى يطلبونه بغاية الاشتياق اليه واستأنف الاخبار عنه بقوله تعالى سَلَامٌ اى عظيم
جدّا عليكم يا اهل الجنة والسلام يجمع جميع النعم ثم بين هذا السلام بما اظهر من عظمه بقوله قَوْلًا
مِنْ رَبٍّ اى دائم الاحسان رَحِيمٍ اى عظيم الاكرام بما ترضاه الالهية كما كانوا فى الدنيا يفعلون
كل ما فيه الرضا فيرحمهم فى حال السلام وسماع الكلام بلذة الرؤية مع التقوية على الدهش
والضعف لعظيم الامر بالتأهيل لهذا المقام الاكرم مع قصورهم عنه روى جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم
فاذا الرب عزّ وجلّ قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فينظر اليهم
وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته

عليهم في ديارهم وقيل تسلم عليهم الملائكة من ربهم لقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب سلام عليكم اى يقولون سلام عليكم يا اهل الجنة من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة الابدية + ولما
ذكر ما للمؤمنين من النعيم ذكر ما للكافرين من الجحيم بقوله تعالى وَامْتَازُوا اى ويقال للمجرمين امتازوا اى
انفردوا الْيَوْمَ اَيُّهَا الْمُجْرِمُوْنَ عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم قال الضحاك لكل كافر في النار بيت
يدخل ذلك البيت فيردم بابه بالنار فيكون فيه ابد الابدين لا يرى ولا يرى وقيل ان قوله تعالى
وامتازوا امر تكوين فحين يقول امتازوا اليوم فيميزون بسيماهم ويظهر على جباههم وفي وجوههم سواد كما قال تعالى
يعرف المجرمون بسيماهم + ولما امروا بالامتياز وشخصت منهم الابصار وكلحت الوجوه وتنكست الرؤس قال
تعالى موبخا لهم اَلَمْ اَعْهَدْ اِلَيْكُمْ اى اوصيكم ايصاء عظيما بما نصبت من الادلة ومنحت من العقول
وبعثت من الرسل عليهم الصلوة والسلام وانزلت من الكتب في بيان الطريق الموصل
الى النجاة + ولما كان المقصود بهذا الخطاب تقريعهم وتبكيتهم وكانت هذه السورة قلبا
وكان القلب اشرف الاعضاء وكان الانسان اشرف الموجودات خصه بالخطاب بقوله تعالى
يٰبَنِىْٓ اٰدَمَ اى على لسان رسلى عليهم الصلوة والسلام واختلف في معنى هذا العهد على وجوه اقواها
الم اوص اليكم كما مر وقيل امركم وقيل بغير ذلك واختلفوا في هذا العهد ايضا على اوجه اظهرها انه
مع كل قوم على لسان رسلهم كما مر وقيل هو العهد الذى كان مع آدم في قوله تعالى ولقد
عهدنا الى آدم وقيل هو الذى كان مع ذريته عليه السلام حين اخرجهم وقال الست بربكم قالوا
بلى اَنْ لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطٰنَ اى البعيد المحترق بطاعتكم فيما يوسوس به اليكم والطاعة قد تطلق
على العبادة ثم علل النهى عن عبادته بقوله تعالى اِنَّهٗ لَكُمْ والتاكيد لان افعالهم
افعال من يعتقد صداقته عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ اى ظاهر العداوة جدا من جهة عداوته لابيكم التى اخرجتكم
من الجنة التى لا منزل اشرف منها ومن جهة امركم بما ينغص الدنيا من التخالف والخصام ومن
جهة تزيينه للفانى الذى لا يرغب فيه عاقل لو لم يكن فيه عيب غير فنائه فكيف اذا كان اكثره اكدارا
وادناسا فكيف اذا كان شاغلا عن الباقى فكيف اذا كان عائقا عن المولى فكيف اذا كان مغضبا له
حاجبا عنه فان قيل اذا كان الشيطان عدوا للانسان فما بال الانسان يقبل على ما يرضيه
من الزنا والشرب ونحو ذلك ويكره ما يسخطه من المجاهدة والعبادة ونحو ذلك اجيب بانه يستعين
عليه باعوان من عند الانسان وترك استعانة الانسان بالله تعالى فيستعين بشهوته التى خلقها
الله تعالى فيه لمصالح بقائه وبقاء نوعه ويجعلها سببا لفساد حاله ويدعوه بها الى مسالك المهالك
وكذا يستعين بغضبه الذى خلقه الله تعالى فيه لدفع المفاسد عنه ويجعله سببا لوباله وفساد احواله
وميل الانسان الى المعاصى كميل المريض الى المضار وذلك حيث ينحرف المزاج عن الاعتدال فترى
المحموم يريد الماء البارد وهو يزيد في مرضه ومن معدته فاسدة لا تهضم القليل من الغذاء يميل الى الاكل الكثير
ولا يشبع بشئ وهو يزيد فساد معدته وصحيح المزاج لا يشتهى الا ما ينفعه + ولما منع من عبادة الشيطان

امر بعبادة الرحمن بقوله عاطفا على ان لا وان اعبدوني اي وحدوني واطيعوني هذا اي الامر بعبادتي
صراط اي طريق مستقيم اي بليغ الاستقامة وعبادة الشيطان طريق ضيق معوج غاية الضيق
والعوج وقرأ قنبل بالسين وخلف بالاشمام اي بين الصاد والزاي والباقون بالصاد ثم ذكر ما ينبه
لعداوة الشيطان بقوله تعالى ولقد اضل منكم اي عن الطريق الواضح السوي بما سلطه به من الوسوسة
جبلا اي اما كبارا عظاما كانوا كالجبال في قوة العزائم وصعوبة الانقياد ومع ذلك كان يلعب بهم
كما تلعب الصبيان بالكرة فسبحان من اقدره على ذلك والا فهو اضعف كيدا واحقر امرا
وقرأ نافع وعاصم بكسر الجيم والباء الموحدة وتشديد اللام مع التنوين وقرأ ابو عمرو وابن عامر بضم
الجيم وسكون الموحدة والباقون بضم الجيم والموحدة وكلها لغات ومعناها الخلق والجماعة وخلقا
كثيرا ثم زاد في التوبيخ والانكار بقوله تعالى افلم تكونوا تعقلون اي عداوته واضلاله وما حل
بهم من العذاب فتؤمنوا ويقال لهم في الآخرة هذه جهنم اي التي تستقبلكم
بالعبوسة والتجهم كما كنتم تفعلون بعباد الله الصالحين التي كنتم توعدون اي ان لم ترجعوا
عن غيكم اصلوها اي قاسوا حرها وتوقدها وهول امرها اليوم فان ذكره على حد ما مضى
بقوله تعالى اليوم تكونوا في شغل شاغل كما كان اصحاب الجنة وشتان ما بين الشغلين
بما اي بسبب ما كنتم تكفرون اي تستعرون ما هو ظاهر جدا بعقولكم من اياتي في دار الدنيا
+تنبيه+ في هذا الكلام ما يوجب شدة ندامتهم وحزنهم من ثلاثة اوجه احدها قوله تعالى اصلوها
امر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم ثانيها قوله تعالى اليوم يعني العذاب حاضر
ولذاتهم قد مضت وبقي اليوم العذاب ثالثها قوله تعالى بما كنتم تكفرون فان الكفر
والكفران ينبئ عن نعمة كانت تكفر بها وحياء الكفور من المنعم من اشد الآلام كما قيل
اليس بكاف لذي همة + حياء المسيء من المحسن + ولما كان كانه قيل هل يحكم في ذلك اليوم بعلمه
او يجري الامر على قاعدة الدنيا في العمل بالبينة نبه على ظهر من قواعد الدنيا بقوله تعالى مهولا
اليوم على النسق الماضي في مظهر العظمة لانه اليق بالتهويل نختم اي بما لنا من عظيم القدرة على
افواههم اي الكفار لاجترائهم على الكذب كقوله سبحانه والله ربنا ما كنا مشركين
وتكلمنا ايديهم اي بما عملوا اقرارا هو اعظم شهادة وتشهد ارجلهم اي عليهم بكلام بين هو
مع كونه شهادة اقرار بما كانوا اي في الدنيا بجبلاتهم يكسبون فكل عضو ينطق بما صدر عنه
فالآية من الاحتباك اثبت الكلام للايدي اولا لانها كانت مباشرة دليلا على حذفه من جهة
الارجل ثانيا واثبت الشهادة للارجل ثانيا لانها كانت حاضرة دليلا على حذفها من جهة الايدي
اولا وتقريبه ان قول المباشر اقرار وقول الحاضر شهادة وفي كيفية هذا الختم وجهان اقواهما ان الله
تعالى يسكت السنتهم وينطق جوارحهم فتشهد عليهم وان ذلك في قدرة الله تعالى يسير
اما الاسكات فلا خفاء فيه واما الانطاق فان اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة فجاز تحريك غيره

بمثلها والله سبحانه قادر على كل الممكنات والوجه الآخر انهم لا يتكلمون بشئ لانقطاع اعذارهم
وانهتاك استارهم فيقفون ناكسى الرؤس لا يجدون عذرا فيعتذرون ولا مجال توبة فيستغفرون
وتكلم الايدى هو ظهور الامر بحيث لا يسع منه الانكار كقول القائل الحيطان تبكى على صاحب الدار
اشارة الى ظهور الحزن والصحيح الاول لما روى ابو هريرة ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة فقال هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر
ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون فى رؤية الشمس عند الظهيرة ليست فى
سحاب قالوا لا يا رسول الله قال والذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤية ربكم كما لا تضارون فى رؤيتهما
قال فيلقى العبد فيقول الم اكرمك الم اسودك الم ازوجك الم اسخر لك الخيل والابل واتركك تترأس وتتربع
قال بلى يا رب قال فظننت انك ملاقى فيقول لا يا رب فيقول اليوم انساك كما نسيتنى الى ان قال ثم يلقى
الثالث فيقول ما انت فيقول انا عبدك آمنت بك وبنبيك وبكتابك وصمت وصليت وتصدقت ويثنى
ما استطاع ثم قال فيقال له الا نبعث عليك شاهدنا قال فيفكر فى نفسه من الذى يشهد عليه فيختم
على فيه فيقال لفخذه انطقى قال فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل قال وذلك المنافق وذلك
ليعذر من نفسه وذلك الذى سخط الله عليه ولما روى مسلم فى صحيحه عن انس بن مالك قال كنا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قال قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة
العبد ربه قال يقول العبد يا رب الم تجرنى من الظلم فيقول بلى فيقول فانى لا اجيز على نفسى الا شاهدا
منى فيقول تعالى كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا فيختم على فيه ويقول
لاركانه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل
وقال صلى الله عليه وسلم اول ما يسئل من احدكم فخذه وكفه + تنبيه + ههنا سؤالات الاول ما
الحكمة فى اسناده الختم الى نفسه وقال نختم واسند الكلام والشهادة الى الايدى والارجل الثانى
ما الحكمة فى جعل الكلام للايدى والشهادة للارجل الثالث ان يوم القيمة من تقبل شهادته
من المقربين والصديقين كلهم اعداء للمجرمين وشهادة العدو على العدو غير مقبولة وان
كان عدلا وغير الصديقين من الكفار والفساق لا تقبل شهادتهم والايدى والارجل صدرت
الذنوب عنها فهى فسقة فينبغى ان لا تقبل شهادتهم أجيب عن الاول بانه لو قال نختم على افواههم
وتنطق ايديهم لاحتمل ان يكون ذلك جبرا وقهرا والاقرار بالاجبار غير مقبول فقال وتكلمنا ايديهم
وتشهد ارجلهم اى بالاختيار بعد ما يقدرها الله تعالى على الكلام ليكون ادل على صدور الذنب منهم وأجيب
عن الثانى بان الافعال تسند الى الايدى قال تعالى وما عملته ايديهم اى ما عملوه وقال تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة اى ولا تلقوا انفسكم فاذن الايدى كالعاملة والشاهد على العامل ينبغى ان يكون غيره
فجعل الارجل والجلود من الشهود لبعد اضافة الافعال اليهن وأجيب عن الثالث بان الايدى
والارجل ليسوا من اهل التكليف ولا ينسب اليها عدالة ولا فسق انما المنسوب من ذلك الى

العبد المكلف لا الى اعضائه ولا يقال وردان العين تزنى وان الفرج يزنى وان اليد كذلك لان معناه ان المكلف يزنى بها لا انها هى تزنى وايضا فانا نقول فى رد شهادتها بقول شهادتها لانها ان كذبت فى مثل ذلك اليوم مع ظهور الامور لابد ان يكون مذنبا فى الدنيا وان صدقت فى ذلك اليوم فقد صدر منها الذنب فى الدنيا وهذا كمن قال لفاسق ان كذبت فى نهار هذا اليوم فعبدى حر فقال الفاسق كذبت فى نهار هذا اليوم عتق العبد لانه ان صدق فى قوله كذبت فى نهار هذا اليوم فقد وجد الشرط ووقع الجزاء وان كذب فى قوله كذبت فقد كذب فى نهار ذلك اليوم فقد وجد الشرط ايضا بخلاف ما لو قال فى اليوم الثانى كذبت فى نهار ذلك اليوم الذى علقت عتق عبدك على كذبى فيه ثم بين سبحانه وتعالى انه قادر على اذهاب الابصار كما هو قادر على اذهاب البصائر بقوله تعالى وَلَوْ نَشَآءُ وعبر بالمضارع ليتوقع فى كل حين فيكون ابلغ فى التهديد لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ اى الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق وهو معنى الطمس كقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم يقول انا اعمينا قلوبهم ولو شئنا اعمينا ابصارهم الظاهرة وقوله تعالى فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ اى ابتدروا الطريق ذاهبين كعادتهم عطف على لطمسنا فَأَنَّىٰ اى فكيف يُبْصِرُونَ الطريق حينئذ وقد اعمينا اعينهم اى لو نشاء لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فلا يبصرون الطريق وهذا قول الحسن والسدى وقال ابن عباس ومقاتل معناه لو نشاء لطمسنا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا وارشدهم فانى يبصرون ولم افعل ذلك بهم + ولما كان هذا كله مع القدرة على الحركة قال تعالى وَلَوْ نَشَآءُ اى مسخهم لَمَسَخْنَاهُمْ اى حولناهم عن تلك الحالة فجعلناهم حجارة او جعلناهم قردة وخنازير + ولما كان المقصود من المفاجاة بهذا المصائب بيان انه سبحانه لا كلفة عليه فى شئ من ذلك قال تعالى عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ اى المكان الذى كان قبل المسخ كل شخص منهم شاغلا له بجلوس او قيام او غيره فى ذلك الموضع خاصة قبل ان يتحرك منه وقرأ شعبة بالف بعد النون على الجمع والباقون بغير الف على الافراد فَمَا اسْتَطَاعُوا اى بانفسهم بنوع معالجة مُضِيًّا اى الى جهة من الجهات ثم عطف على جملة الشرط قوله تعالى وَلَا يَرْجِعُونَ اى يجددون لهم بوجه من الوجوه رجوعا الى حالتهم التى كانت قبل المسخ دلالة على ان هذه الامور حق لا كما يقولون من انها خيال وسحر وقيل لا يقدرون على ذهاب ولا رجوع وَمَنْ نُعَمِّرْهُ اى نطل عمره اطالة كثيرة نُنَكِّسْهُ قرأ عاصم وحمزة بضم النون الاولى وفتح النون الثانية وتشديد الكاف مكسورة من نكسه مبالغة والباقون بفتح النون الاولى وسكون الثانية وتخفيف الكاف مضمومة من نكسه وهى محتملة للمبالغة وعدمها ومعنى ننكسه فى الخلق او خلقه نرده الى ارذل العمر يشبه الصبى فى الخلق وقيل ننكسه فى الخلق اى ضعف جوارحه بعد قوتها ونقصانها بعد زيادتها لان الله تعالى اجرى العادة فى النوع الادمى ان من استوى فى سن الصبا والشباب اثنتين واربعين سنة تممت غرائزه فلا تزيد فيه غريزة ووقفت قواه كلها فلم يزد فيها شئ هذا

فی البدن واما فی المعارف فتارة وتارة وهذا ایضا فی غیر الانبیاء علیهم السلام اماهم فلا ینتقص
شیء من قواهم بل تزداد کما روی ان النبی صلی الله علیه وسلم کان یمشی غیر مکترث وان الصحابة رضی الله
عنهم یجهدون انفسهم فیکون جهدهم ان لا یدرکوا مشیه الهوینا وانه صلی الله علیه وسلم صارع
رکانة الذی کان یضرب بقوته المثل وکان واثقا من نفسه انه یصرع من صارعه فلم یملکه النبی صلی الله
علیه وسلم نفسه وعاد الی ذلک ثلاث مرات کل ذلک لا یتمسک فی یده حتی خرج یقول ان هذا
العجب یا محمد تصرعنی وحتی انه دار علی نسائه وهن تسع کل واحدة منهن تسع مرات فی طلق واحد
الی غیر ذلک مما یحکی من قواه التی فاق بها الناس ولم یحک عن نبی من الانبیاء علیهم السلام ممن عاش
منهم الفا وممن عاش دون ذلک انه نقص شیء من قواه بل قد ورد فی الصحیح من حدیث ابی هریرة
ان ملک الموت علیه السلام ارسل الی موسی علیه السلام لیقبض روحه فلما جاءه صکه ففقأ عینه
فقال لربه ارسلتنی لعبد لا یرید الموت قال ارجع الیه فقل له یضع یده علی متن ثور فله بما غطت
یده بکل شعرة سنة قال ای رب ثم ماذا قال الموت قال فالان وکان موسی وقت قبضه ابن مائة
وعشرین سنة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ای ان القادر علی ذلک عندهم قادر علی البعث فیؤمنون وقرأ نافع
وابن ذکوان بالتاء علی الخطاب والباقون بالیاء علی الغیبة. ولما منح الله تعالی نبینا محمدا صلی الله علیه وسلم
غرائب من الفضائل مما عجز عنها الاولون والاخرون واتی بقرآن اعجز الانس والجن وعلوم وبرکات
فاقت القوی لیس بشعر خلافا لما رموه به بغیا وکذبا وعدوانا قال تعالی ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ ای نحن ﴿الشِّعْرَ﴾ فیما علمناه
وهو ان یتکلف لتقیید بوزن معلوم وروی مقصود وقافیة یلتزمها ویدیر المعانی علیها ویجتلب
الالفاظ تکلفا الیها کما کان زهیر وغیره فی قصائدهم وما انا من المتکلفین لان ذلک ان کنتم انتم تعدونه
نحن لا یلیق بجنابنا لانه لا یفرح به الا من یرید ترویج کلامه وتحلیته بصوغه علی وزن معروف مقصود
وقافیة ملتزمة علی ان فیه نقیصة اخری وهی اعظم ما یوجب النفرة عنه وهی انه لا بد ان یوهی التزامه
بعض المعانی ولما لم نعلمه هذه الدناءة طبعناه علی جمیع فنون البلاغة ومکناه من سائر وجوه الفصاحة
ثم اسکنا قلبه ینابیع الحکمة ودربناه علی القاء المعانی الجلیلة بما الهمناه ایاه ثم القاه الیه جبریل علیه السلام
مما امرناه به من جوامع الکلم والحکم فلا تکلف عنده اصلا ما خیر صلی الله علیه وسلم بین امرین الا
اختار ایسرهما ما لم یکن اثما او قطیعة رحم ولما کان الشعر مع ما ینبنی علیه من التکلف الذی هو
بعید جدا عن سجایا الانبیاء علیهم الصلوة والسلام نکبت شرفهم بما یکسب مدحا وهجوا
فیکون اکثره کذبا الی غیر ذلک قال تعالی ﴿وَمَا یَنْبَغِی لَهُ﴾ ای وما یصح له الشعر ولا یسهل له علی
ما اختبرتم من طبعه نحوا من اربعین سنة لان منصبه اجل وهمته اعلی من ان یکون مداحا
او هجابا او ان یتقید بما قد یجر نقیصة فی المعنی وجبلته منافیة لذلک غایة المنافاة بحیث لو اراد
نظم شعر لم یتأت له کما جعلناه امیا لا یکتب ولا یحسب لتکون الحجة اثبت والشبهة ادحض وما
کان یتزن له بیت شعر حتی اذا تمثل ببیت شعر جری علی لسانه منکسرا روی الحسن ان النبی

صلی اللہ علیہ وسلم کان یتمثل بھذا البیت ؎ کفی بالشیب والاسلام للمرء ناھیا۔ فقال ابو بکر رضی اللہ عنہ انما قال الشاعر ؎ کفی الشیب والاسلام للمرء ناھیا۔ فقال عمر رضی اللہ عنہ اشھد انک رسول اللہ یقول اللہ عز وجل وما علمناہ الشعر وما ینبغی لہ وعن ابن شریح قال قلت لعائشۃ رضی اللہ عنہا اکان رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم یتمثل بشیء من الشعر قالت کان یتمثل من شعر عبد اللہ بن رواحۃ قالت وربما قال ؎ ویاتیک بالاخبار من لم تزود۔ وفی روایۃ قالت کان الشعر ابغض الحدیث الیہ قالت ولم یتمثل بشیء من الشعر الا ببیت اخی بنی قیس طرفۃ العبدی ؎ ستبدی لک الایام ماکنت جاھلا۔ ویاتیک بالاخبار من لم تزود فجعل یقول ویاتیک من لم تزود بالاخبار فقال ابو بکر لیس ھکذا یا رسول اللہ فقال انی لست بشاعر ولا ینبغی لی وقیل معناہ ما کان متاتیا لہ واما قولہ صلی اللہ علیہ وسلم کما رواہ مسلم والبخاری انا النبی لا کذب انا ابن عبد المطلب وقولہ کما رواہ الشیخان ایضا ؎ ھل انت الا اصبع دمیت۔ وفی سبیل اللہ ما لقیت۔ فاتفاق من غیر تکلف وقصد منہ الی ذلک وقد یقع مثلہ کثیرا فی تضاعیف المنثورات علی ان الخلیل ما عدّ المشطور من الرجز شعرا ھذا وقد روی انہ حرک البائین فی قولہ ان النبی لا کذب وبکسر التاء الاولی بلا اشباع وسکن الثانیۃ من قولہ ھل انت الا اصبع الخ وقیل الضمیر للقران ای وما یصح ان یکون القران شعرا فان قیل لم خص الشعر بنفی التعلیم مع ان الکفار کانوا ینسبون الی النبی صلی اللہ علیہ وسلم اشیاء من جملتھا السحر والکہانۃ ولم یقل وما علمناہ السحر وما علمناہ الکہانۃ اجیب بان الکہانۃ انما کانوا ینسبون النبی صلی اللہ علیہ وسلم الیھا عند ما کان یخبر عن الغیوب وتکون کما یقول واما السحر فکانوا ینسبونہ الیہ عند ما کان یفعل ما لا یقدر علیہ الغیر کشق القمر وتکلیم الجذع والحجر وغیر ذلک واما الشعر فکانوا ینسبونہ الیہ عند ما کان یتلو القران علیھم لکنہ صلی اللہ علیہ وسلم ما کان یتحدی الا بالقران کما قال تعالی ان کنتم فی ریب مما نزلنا علی عبدنا فاتوا بسورۃ من مثلہ الی غیر ذلک ولم یقل ان کنتم فی شک من رسالتی فاخبروا بالغیوب او اشبعوا الخلق الکثیر بالشیء الیسیر فلما کان تحدیہ صلی اللہ علیہ وسلم بالکلام وکانوا ینسبونہ الی الشعر عند الکلام خص الشعر بنفی التعلیم۔ ولما نفی ان یکون ما اتی بہ جنس الشعر قال تعالی اِنْ ای ما ھُوَ ای ھذا الذی اتاکم بہ اِلَّا ذِکْرٌ ای شرف وموعظۃ وَّقُرْاٰنٌ ای جامع للحکم کلھا دینا واخری یتلی فی المحاریب ویکرر فی المتعبدات وینال بتلاوتہ والعمل بہ فوز الدارین والنظر الی وجہ اللہ العظیم مُّبِیْنٌ ای ظاھر انہ لیس من کلام البشر لما فیہ من الاعجاز قل ما اسألکم علیہ من اجر وما انا من المتکلفین ان ھو الا ذکر للعالمین کلھم ذکیھم وغبیھم بخلاف الشعر فانہ مع نزولہ عن بلاغتہ جدا انما ذکر للاذکیاء جدا وقولہ تعالی لِّیُنْذِرَ ضمیرہ للنبی صلی اللہ علیہ وسلم ویدل لہ قراءۃ نافع وابن عامر بالتاء الفوقیۃ علی الخطاب وقیل للقران ویدل لہ قراءۃ الباقین بالیاء التحتیۃ علی الغیبۃ واختلف فی قولہ تعالی مَنْ کَانَ حَیًّا علی قولین احدھما

ان المراد به المؤمن لان حي القلب والكافر كالميت في انه لا يتدبر ولا يتفكر قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه والثاني المراد به العاقل فهما فيعقل ما يخاطب به فان الغافل كالميت وَيَحِقَّ اي يجب ويثبت الْقَوْلُ اي العذاب عَلَى الْكٰفِرِيْنَ اي العريقين في الكفر فانهم اموات في الحقيقة وان رأيتهم احياء ويمكن ان تكون هذه الآية من الاحتباك حذف الايمان اولا لما دل عليه من ضده ثانيا وحذف الموت ثانيا لما دل عليه من ضده اولا وافرد الضمير في الاول على اللفظ اشارة الى قلة السعداء وجمع في الثاني على المعنى اعلاما بكثرة الاشقياء اَوَلَمْ يَرَوْا اي يعلموا علما هو كالرؤية والاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف اَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ اي في جملة الناس مِمَّا عَمِلَتْ اَيْدِيْنَا اي مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد المبالغة في الاختصاص والتفرد في الاحداث كما يقول القائل عملت هذا بيدي اذا تفرد به ولم يشاركه فيه احد اَنْعَامًا على علم منا بقواها ومقاديرها ومنافعها وطبائعها وغير ذلك من امورها وانما خص الانعام بالذكر وان كانت الاشياء كلها من خلقه وايجاده لان الانعام اكثر اموال العرب والنفع بها اعم فَهُمْ لَهَا مٰلِكُوْنَ اي خلقناها لاجلهم فملكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك او فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم ؎

اصبحت لا املك السلاح ولا ۔ املك راس البعير ان نفرا ۔ والذئب اخشاه ان مررت به ۔ وحدي واخشى الرياح والمطرا ۔

والشاهد في قوله ولا املك رأس البعير اي لا اضبطه والمعنى لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بني ادم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة كما قال تعالى وَذَلَّلْنٰهَا لَهُمْ اي يسرنا قيادها ولو شئنا جعلناها وحشية كما جعلنا اصغر منها واضعف فمن قدر على تذليل الاشياء الصعبة لغيره قادر على تطويع الاشياء لنفسه ثم سبب عن ذلك قوله تعالى فَمِنْهَا رَكُوْبُهُمْ اي ما يركبون وهي الابل لانها اعظم مركوباتهم لعموم منافعها في ذلك وكثرتها وَمِنْهَا يَاْكُلُوْنَ اي ما يأكلون لحمه ولما اشار الى عظمة نفع الركوب والاكل بتقديم الجار وكانت منافعها لغير ذلك كثيرة قال تعالى وَلَهُمْ فِيْهَا مَنَافِعُ اي من اصوافها واوبارها واشعارها وجلودها ونسلها وغير ذلك وَمَشَارِبُ اي من البانها جمع مشرب بالفتح وخص الشرب من عموم المنافع بعموم نفعه وجمعه لاختلاف طعوم البان الانواع الثلاثة ولما كانت هذه الاشياء من العظمة بمكان لو فقدها الانسان لتكدرت معيشته تسبب عنها استئناف الانكار عليهم في تخلفهم عن طاعته بقوله تعالى اَفَلَا يَشْكُرُوْنَ اي المنعم عليهم بها فيؤمنون ولما ذكرهم تعالى نعمه وحذرهم نقمه عجب منهم في سفول نظرهم وقبح اثرهم بقوله تعالى موبخا لهم وَاتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِ اي غير اللّٰهِ الذي له جميع صفات الكمال والعظمة اٰلِهَةً اي اصناما يعبدونها بعد ما رأوا منه تعالى تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المنفرد بها لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُوْنَ اي رجاء ان ينصروا وهم فيما اصابهم من الامور والامر بالعكس

كما قال تعالى لَا يَسْتَطِيعُونَ اي الالهة المتخذة نَصْرَهُمْ اي العابدين وَهُمْ اي العابدون لَهُمْ اي
للالهة جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ اي الكفار جند للاصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي
لا تسوق لهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الاخرة يؤتى بكل معبود من دون الله تعالى
ومعه اتباعه الذين عبدوه كانهم جنده يحضرون في النار وهذا كقوله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا
يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم + ولما بين تعالى ما تبين من قدرته الظاهرة
الباهرة ووهن امرهم في الدنيا والاخرة ذكر ما يسلي نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ اي في تكذيبك كقوله لست مرسلا إِنَّا نَعْلَمُ مَا اي كل ما يُسِرُّونَ اي في
ضمائرهم من التكذيب وغيره وَمَا يُعْلِنُونَ اي يظهرونه بالسنتهم من الاذى وغيره من
عبادة الاصنام فنجازيهم عليه + ولما ذكر تعالى دليلا على عظم قدرته ووجوب عبادته بقوله
تعالى اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما ذكر دليلا من الانفس ابين من الاول بقوله
تعالى أَوَلَمْ يَرَ اي يعلم الْإِنسَانُ علما هو في ظهوره كالمحسوس بالبصر أَنَّا خَلَقْنَاهُ اي بما لنا من العظمة
مِن نُّطْفَةٍ اي شيء حقير يسير من ماء لا انتفاع به بعد ابتداعنا اياه من تراب وانه من لحم و
عظام فَإِذَا هُوَ اي فتسبب عن خلقنا له من ذلك المفاجاة لحالة هي ابعد شيء من حالة النطفة
وهي انه خَصِيمٌ اي بليغ الخصومة مُّبِينٌ اي في غاية البيان عما يريده حتى انه ليجادل من اعطاه
العقل والقدرة في قدرته وانشد الاستاذ القشيري في ذلك ـ اعلمه الرماية كل يوم + فلما
استد ساعده رماني + وكم علمته نظم القوافي + فلما قال قافية هجاني + وفي هذه تسلية ثانية بتهوين
ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث تعجب منه وجعله افراطا في الخصومة
بينا ومنافاة بجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله في بدء خلقه ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها
وهي خلقه من اخس شيء وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب وَضَرَبَ اي هذا الانسان
لَنَا اي على ما يعلم من عظمتنا مَثَلًا اي امرا عجيبا وهو نفي القدرة على احياء الموتى روي ان
ابي بن خلف الجمحي وهو الذي قتله النبي صلى الله عليه وسلم باحد مبارزة اتى النبي صلى الله
عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده فقال اترى الله يحيي هذا بعدما رم فقال صلى الله عليه وسلم نعم
ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل هو العاصي بن وائل قاله الجلال المحلي واكثر المفسرين على
الاول وَنَسِيَ اي هذا الذي تصدى على مهانة اصله المخاصمة للجبار خَلْقَهُ اي بدء امره من المني
وهو اغرب من مثله والنسيان هنا يحتمل ان يكون بمعنى الذهول وان يكون بمعنى الترك ثم استانف
الاخبار عن هذا المثل بان قَالَ اي على طريق الانكار مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ اي صارت
ترابا تمر مع الرياح ورميم قال البيضاوي بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث
او اسم مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء اه

قال البغوي ولم يقل رميمة لانه معدول عن فاعلة فكل ما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن اعرابه كقوله تعالى وما كانت امك بغيا اسقط الهاء لانها مصروفة عن باغية + تنبيه + هذه الآية وما بعدها اشارة الى بيان الحشر لان المنكرين للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلا ولا شبهة بل اكتفى بمجرد الاستبعاد وهم الاكثرون آئذا ضللنا في الارض آئنا لفي خلق جديد آئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون من يحيي العظام وهي رميم قالوا ذلك على طريق الاستبعاد فابطل الله تعالى استبعادهم بقوله تعالى ونسي خلقه اي نسي انا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الاجزاء ثم جعلنا لهم من النواصي الى الاقدام اعضاء مختلفة الصورة وما اكتفينا بذلك حتى اودعناهم ما ليس من قبيل هذه الاجرام وهو النطق والعقل اللذان بهما استحقوا الاكرام فان كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهلا يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة مذرة لم تكن محلا للحياة اصلا ويستبعدون اعادة النطق والعقل الى محل كانا فيه واختاروا العظم بالذكر لانه ابعد عن الحياة لعدم الاحساس فيه ووصفوه بما يقوي جانب الاستبعاد من البلاء والتفتت والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في العبد من القدرة والعلم فقال وضرب لنا مثلا اي جعل قدرتنا كقدرتهم ونسي خلقه العجيب وبدأه الغريب ومنهم من ذكر شبهة وان كان في آخرها يعود الى مجرد الاستبعاد وهي على وجهين الاول انه بعد العدم لم يبق شيئا فكيف الحكم على العدم بالوجود فاجاب تعالى عن هذه الشبهة بان قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قُلْ اي لهؤلاء البعداء البغضاء يُحْيِيهَا اي بعد ان انشأها اول مرة الَّذِي أَنْشَأَهَا اي من العدم ثم احياها أَوَّلَ مَرَّةٍ فكما خلق الانسان ولم يكن شيئا مذكورا كذلك يعيده وان لم يبق شيئا مذكورا الوجه الثاني ان من تفرقت اجزاؤه في مشارق العالم ومغاربه وصار بعضها في ابدان السباع وبعضها في حواصل الطيور وبعضها في جدران الربوع كيف يجتمع وابعد من هذا لو اكل انسان انسانا وصار اجزاء المأكول في اجزاء الآكل فان اعيدت اجزاء الآكل فلا يبقى للمأكول اجزاء تخلق منها اعضاؤه واما ان تعاد الى بدن المأكول فلا يبقى للآكل اجزاء اصلية واجزاء فضلية وفي المأكول كذلك فاذا اكل انسان انسانا صار الاصلي من اجزاء المأكول فضليا من اجزاء الآكل والاجزاء الاصلية للآكل هي ما كان قبل الاكل فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ اي مخلوق عَلِيمٌ اي يجمع الاصل من الفضل فيجمع الاجزاء الاصلية للآكل ويجمع الاجزاء الاصلية للمأكول وينفخ فيه روحه وكذلك يجمع اجزاءه المتفرقة في البقاع المتبددة بحكمته وقدرته ثم انه تعالى عاد الى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وابطال انكارهم بقوله تعالى الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اي في جملة الناس مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ اي الذي تشاهدونه في الماء نَارًا قال ابن عباس هما شجرتان يقال لاحداهما المرخ والاخرى العفار الاول بفتح الميم وسكون الراء والخاء المعجمة شجر سريع الوري اي القدح والثاني بفتح المهملة وفاء وراء بعد الف الزند فمن اراد منهما النار قطع منهما غصنين مثل

السواكين وهما اخضران يقطران الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى فيخرج منهما النار باذن الله تعالى وتقول العرب فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وقال الحكماء فى كل شجر نار الا العناب فَإِذَآ اَنْتُمْ اى فتسبب عن ذلك مفاجاتكم لانه مِنْهُ اى من الشجر الموصوف بالخضرة تُوقِدُوْنَ اى توجدون الايقاد وتجددونه ذلك مرة بعد اخرى وهذا ادل على القدرة على البعث فانه جمع فيه بين الماء والنار والخشب فلا الماء يطفئ النار ولا النار تحرق الخشب ثم ذكر ما هو اعظم من خلق الانسان فقال تعالى اَوَلَيْسَ الَّذِىْ خَلَقَ اى اوجد من العدم السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ اى على كبرها وعظم ما فيهما من المنافع والمصانع والعجائب والبدائع واثبت الجار تحقيقا للامر وتاكيدا للتقرير فقال تعالى بِقٰدِرٍ عَلٰٓى اَنْ يَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ اى مثل هؤلاء الاناسى فى الصغر اى يعيدهم باعيانهم وقيل الضمير يعود على السموات والارض لتضمنهم من يعقل والاول اظهر لانهم المخاطبون وقوله تعالى بَلٰى جواب ليس وان دخل عليها الاستفهام لمصيرها ايجابا اى هو قادر على ذلك اجاب نفسه تعالى وَهُوَ مع ذلك اى مع كونه عالما بالخلق الْخَلّٰقُ اى الكثير الخلق الْعَلِيْمُ اى البالغ فى العلم الذى هو منشأ القدرة فلا يخفى عليه كلى ولا جزئى فى ماض ولا حال ولا مستقبل شاهد او غائب + ولما تقرر ذلك انتج قوله تعالى مؤكدا لاجل انكارهم القدرة على البعث اِنَّمَآ اَمْرُهٗ اى شانه ووصفه اِذَآ اَرَادَ شَيْـًٔا اى خلق شئ من جوهر او عرض اى شئ كان اَنْ يَّقُوْلَ لَهٗ كُنْ اى ان يريده فَيَكُوْنُ اى يحدث وهو تمثيل لتاثير قدرته فى مراده بامر المطاع للمطيع فى حصول المامور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق وقرأ ابن عامر والكسائى بنصب النون عطفا على يقول والباقون بالرفع اى فهو يكون + ولما كان ذلك تسبب عنه المبادرة الى تنزيهه تعالى عما ضربوه له من الامثال فلذلك قال فَسُبْحٰنَ اى تنزه عن كل شائبة نقص تنزها لا يبلغ افهامكم كنهه وعدل عن الضمير الى وصف يدل على غاية العظمة فقال الَّذِىْ بِيَدِهٖ اى قدرته وتصرفه خاصة لا بيد غيره مَلَكُوْتُ كُلِّ شَىْءٍ اى ملكه التام وملكه ظاهرا وباطنا + ولما كان التقدير فمنه تبدؤن عطف عليه قوله تعالى وَاِلَيْهِ اى لا الى غيره تُرْجَعُوْنَ اى معنى فى جميع اموركم وحسا بالبعث لينصف بينكم فيدخل بعضا النار وبعضا الجنة وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روى فى فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الآية وما رواه البيضاوى عنه صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس وايما مسلم قرأ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون قبض روحه وغسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو

ريان حديث موضوع وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يس
في ليلة اصبح مغفورا له وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل المقابر فقرأ
سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات وعن يحيى بن ابي كثير قال بلغنا ان
من قرأ يس حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي لم يزل في فرح حتى يصبح

سورة والصّفّت مكيّة

وهي مائة واثنان وثمانون اية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وست وعشرون حرفا
بسم الله الذي له الكمال المطلق الرحمن الذي من رحمته العدل في الدارين الرحيم الذي لا يدنو
من جنابه نقص واختلف في تفسير قوله تعالى والصّفّت صفّا اي وهو ترتيب الجمع على خط فقال
ابن عباس والحسن وقتادة هم الملائكة في السماء يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلوة وعن جابر بن سمرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تصفون كصفوف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف
الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف وقيل هي الملائكة تصف اجنحتها
في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل هي الطير تصف اجنحتها في الهواء لقوله تعالى والطير
صافات واختلف ايضا في قوله تعالى فالزّجرت زجرا فاكثر المفسرين على انها الملائكة تزجر السحاب
وتسوقه وقال قتادة هي زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح واختلف ايضا في قوله تعالى فالتّليت ذكرا
فالاكثر ايضا انهم الملائكة عليهم السلام يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم جماعة قراء القرآن فان قيل قال ابو مسلم
الاصفهاني لا يجوز حمل هذه الالفاظ على الملائكة لانها مشعرة بالتانيث والملائكة عليهم السلام
مبرؤن من هذه الصفة اجيب بوجهين الاول ان الصافات جمع الجمع فانه يقال جماعة صافة ثم
تجمع على صافات والثاني انهم مبرؤن من التانيث المعنوي واما التانيث اللفظي فلا وكيف وهم يسمون
بالملائكة مع ان علامة التانيث حاصلة + تنبيه + اختلف الناس ههنا في المقسم به على قولين احدهما
ان المقسم به خالق هذه الاشياء لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله تعالى ولان الحلف في
في مثل هذا الموضع تعظيم للمحلوف به ومثل هذا التعظيم لا يليق الا بالله تعالى ففي ذلك اضمار تقديره
ورب الصافات ورب الزاجرات ورب التاليات ومما يؤيد هذا انه تعالى صرح به في قوله تعالى
والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سوّاها والثاني وعليه الاكثر ان المقسم به هذه الاشياء
لظاهر اللفظ فالعدول عنه خلاف الدليل واما النهي عن الحلف بغير الله تعالى فهو نهي للمخلوق
عن ذلك واما قوله تعالى وما بناها فانه علق لفظ القسم بالسماء ثم عطف عليه القسم بانيا في السماء
ولو كان المراد بالقسم باسماء القسم بمبني السماء لزم التكرار في موضع واحد وهو لا يجوز
وايضا لا يبعد ان تكون الحكمة في قسم الله تعالى بهذه الاشياء التنبيه على شرف ذواتها قال
البيضاوي اقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم انوار

الهيبة منتظرين لامر الله الزاجرين للاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المامور فيها او الناس عن المعاصى بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين لآيات الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المترتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة فى بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء الصادقين فى العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصادقين فى الجهاد الزاجرين للخيل والعدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو وقال الزمخشرى الفاء فى فالزاجرات والتاليات اما ان تدل على ترتب معانيها فى الوجود كقوله يا لهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآيب اى الذى صبح فغنم فآب واما على ترتبها فى التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين قال البيضاوى ذكر هذا حديثا قال شيخنا القاضى زكريا لم اره بهذا اللفظ اهـ لكنه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا للعكس وقرأ ابو عمرو وحمزة بالادغام فيما ذكر والباقون بالاظهار وجواب القسم اِنَّ اِلٰهَكُمْ اى الذى تعبدتم من دونه الهة لَوَاحِدٌ اذ لو لم يكن واحد الاختل هذا الاصطفاف والزجر والتلاوة وما يترتب عليها فكان غير حكيم فان قيل ذكر الحلف فى هذا الموضع غير لائق وبيانه من وجهين الاول ان المقصود من هذا القسم اما اثبات هذا المطلوب عند المؤمن او الكافر فالاول باطل لان المؤمن مقربه من غير حلف والثانى باطل ايضا لان الكافر لا يقربه سواء حصل الحلف ام يحصل فهذا الحلف عديم الفائدة على كل تقدير الثانى انه يقال اقسم فى اول هذه السورة على ان الاله واحد واقسم فى اول سورة الذاريات على ان القيمة حق فقال والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع واثبات هذه المطالب العالية الشريفة على المخالفين من الدهرية وامثالهم بالحلف لا يليق بالعقلاء أجيب عن ذلك باوجه اولها انه تعالى قرر التوحيد وصحة البعث والقيمة فى غالب السور بالدلائل اليقينية فلما تقدم ذكر تلك الدلائل لا يبعد تقريرها بذكر القسم تاكيدا لما تقدم لا سيما والقرآن انزل بلغة العرب واثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مالوفة عند العرب ثانيها ان المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الاصنام فى قولهم بانها الهة فكانه قيل ان هذا المذهب قد بلغ فى السقوط والركاكة الى حيث يكفى فى ابطاله مثل هذه الحجة ثالثها انه تعالى لما اقسم بهذه الاشياء على صحة قوله تعالى ان الهكم لواحد عقبه بما هو الدليل اليقينى فى كون الاله واحدا وهو قوله تعالى رَبُّ اى موجد ومالك ومدبر السَّمٰوٰتِ اى الاجرام العالية وَالْاَرْضِ اى الاجرام السافلة وَمَا بَيْنَهُمَا اى من الفضاء المشحون بما يعجز عن عده القوى وذلك لانه تعالى بين فى قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ان انتظام احوال السموات والارض يدل على ان الاله واحد فههنا لما قال ان الهكم لواحد اردفه

بقوله ربّ السّموات والارض وما بينهما كانه قيل بيّنا انّ النظر في انتظام هذا العالم يدلّ على انّ
الاله واحد فتأمّلوا ليحصل لكم العلم بالتوحيد + تنبيه + علم من قوله تعالى وما بينهما انه تعالى خالق
لاعمال العباد لان اعمالهم موجودة فيما بين السّماء والارض وهذه الاية دلت على كل ما حصل
بين السّماء والارض فالله ربه ومالكه وهذا يدلّ على ان فعل العبد حصل بخلق الله تعالى فان قيل
الاعراض لا يصح وصفها بانها حصلت بين السّماء والارض لانّ هذا الوصف انما يكون حاصلا
في حيز وجهة والاعراض ليست كذلك اجيب بانها لما كانت حاصلة في الاجسام الحاصلة
بين السماء والارض فهي ايضا حاصلة بين السّموات والارض وَرَبُّ الْمَشَارِقِ اي والمغارب
وجمعها باعتبار جميع السنة فان الله تعالى خلق للشمس ثلثمائة وستين كوة في المشرق وثلثمائة
وستين كوة في المغرب على عدد ايام السنة تطلع الشمس كل يوم من كوة منها وتغرب في كوة
منها لا ترجع الى الكوة التي تطلع منها الى ذلك اليوم من العام المقبل وقيل كل موضع اشرقت
عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب كانه اراد جميع ما اشرقت عليه
الشمس وقيل المراد بالمشارق مشارق الكواكب ومغاربها لانّ لكل كوكب مشرقا ومغربا
فان قيل انّ الله تعالى قال في موضع رب المشرق والمغرب وقال في موضع اخر رب المشرقين
ورب المغربين فالجمع بين هذه المواضع اجيب بان المراد بقوله رب المشرق والمغرب الجهة فالمشرق
جهة والمغرب جهة وبقوله تعالى ربّ المشرقين ورب المغربين مشرقا الشتاء والصيف ومغربا
الشتاء والصيف واما موضع الجمع فقد مرّ فان قيل لم اكتفي بذكر المشارق اجيب بوجهين الاول
انه اكتفى به كقوله تعالى تقيكم الحرّ والثاني انّ الشروق اقوى حالا من الغروب واكثر
نفعا منه فذكر المشارق تنبيها على كثرة احسان الله تعالى على عباده ولهذه الدقيقة استدل
ابراهيم خليل الرحمن عليه السّلام بقوله انّ الله يأتي بالشمس من المشرق اِنَّا زَيَّنَّا اي بعظمتنا
التي لا تدانى السَّمَآءَ ولما كانوا لا يرون الا ما يليهم من السّموات وكانت زينة النجوم ظاهرة
فيها قال تعالى الدُّنْيَا اي التي هي ادنى السّموات اليكم بِزِيْنَةِ الْكَوَاكِبِ اي بضوئها كما قاله
ابن عباس او بها وقرأ عاصم وحمزة بزينة بالتنوين والباقون بغير تنوين والاضافة للبيان كقراءة
تنوين بزينة المبينة بالكواكب ونصب الباء الموحدة من الكواكب شعبة وكسرها الباقون فان قيل
قد ثبت في علم الهيئة ان هذه الكواكب الثوابت مركوزة في الكرة الثامنة وانّ السيارات
مركوزة في الكرات الستة المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا
بزينة الكواكب اجيب بان الناس الساكنين على سطح كرة الارض اذا نظروا الى السماء الدنيا
فانهم يشاهدونها مزينة بهذه الكواكب فصح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب
وقوله تعالى وَحِفْظًا منصوب بفعل مقدر اي حفظناها بالشهب او معطوف على زينة باعتبار
المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء الدنيا وحفظا مِنْ كُلِّ شَيْطٰنٍ اي بعيد

عن الخير محترق مَّارِدٍ اى عاتٍ خارج عن الطاعة + ولما تشوّف السامع الى معرفة هذا الحفظ وثمرته وبيان كيفيته استأنف قوله تعالى لَا يَسَّمَّعُونَ اى الشياطين المفهومون من كل شيطان إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ اى الملائكة او اشرافهم فى السّماء وعدى السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص بفتح السين وتشديدها وتشديد الميم من التسمع وهو طلب السماع وقرأ الباقون بسكون السين وتخفيف الميم وَيُقْذَفُونَ اى الشياطين يرمون بالشهب مِن كُلِّ جَانِبٍ اى من آفاق السماء وقوله تعالى دُحُورًا مصدر دحره اى طرده وابعده وهو مفعول له وقيل هو جمع داحر نحو قاعد وقعود فيكون حالا بنفسه من غير تاويل وقيل غير ذلك وَلَهُمْ اى فى الاخرة عَذَابٌ غير هذا وَاصِبٌ اى دائم وقال مقاتل اى دائم فى الدنيا الى النفخة الاولى وقوله تعالى إِلَّا مَنْ خَطِفَ فيه وجهان احدهما انه مرفوع المحل بدلا من ضمير لا يسمعون وهو احسن لانه غير موجب والثانى انه منصوب على اصل الاستثناء والمعنى ان الشياطين لا يسمعون الملائكة الا من خطف وقوله تعالى الْخَطْفَةَ مصدر معرف بال الجنسية او العهدية ومعنى اختطف اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة فَأَتْبَعَهُ اى لحقه شِهَابٌ اى كوكب ثَاقِبٌ اى مضئ قوى لا يخطئه يقتله او يحرقه او يثقبه او يخبله + تنبيه + ههنا سؤالات اولها ان هذه الشهب التى يرمى بها هل هى من الكواكب التى زين الله السماء بها ام لا والاول باطل لانها تبطل وتضمحل فلو كانت تلك الشهب تلك الكواكب الحقيقية لوجب ان يظهر نقصان كثير فى اعداد كواكب السماء ولم يوجد ذلك فان اعداد كواكب السماء باقية لم تتغير البتة وايضا فجعلها رجوما للشياطين مما يوجب وقوع النقصان فى زينة السماء الدنيا فكان الجمع بين هذين المقصودين كالمتناقض وان كانت هذه الشهب جنسا آخر غير الكواكب المركوزة فى الفلك فهو ايضا مشكل لانه تعالى قال فى سورة الملك ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فالضمير فى قوله وجعلناها عائد على المصابيح فوجب ان تكون تلك المصابيح هى الرجوم بها بأعيانها ثانيها كيف يجوز ان تذهب الشياطين حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم البتة وهل يمكن ان يصدر هذا الفعل من عاقل فكيف من الشياطين الذين لهم مزية فى معرفة الحيل الدقيقة ثالثها دلت التواريخ المتواترة على ان حدوث الشهب كان حاصلا قبل مجئ النبىّ صلى الله عليه وسلم ولذلك ترى الحكماء الذين كانوا موجودين قبل مجئ النبىّ صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا فى سبب حدوثه واذا ثبت انّ ذلك كان موجودا قبل مجئ النبىّ صلى الله عليه وسلم امتنع حمله على مجئ النبىّ صلى الله عليه وسلم رابعها الشيطان مخلوق من النار كما حكى عن قول ابليس لعنه الله تعالى خلقتنى من نار وقال تعالى والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم ولهذا السبب يقدر على الصعود الى السموات واذا كان كذلك فكيف يعقل احراق النار بالنار اجيب عن الاول بان هذه الشهب غير تلك

بقوله رب السموات والارض وما بينهما كانه قيل بينا ان النظر فى انتظام هذا العالم يدل على ان
الاله واحد فتأملوا ليحصل لكم العلم بالتوحيد + تنبيه + علم من قوله تعالى وما بينهما انه تعالى خالق
لاعمال العباد لان اعمالهم موجودة فيما بين السماء والارض وهذه الآية دلت على كل ما حصل
بين السماء والارض فالله ربه ومالكه وهذا يدل على ان فعل العبد حصل بخلق الله تعالى فان قيل
الاعراض لا يصح وصفها بانها حصلت بين السماء والارض لان هذا الوصف انما يكون حاصلا
فى حيز وجهة والاعراض ليست كذلك اجيب بانها لما كانت حاصلة فى الاجسام الحاصلة
بين السماء والارض فهى ايضا حاصلة بين السموات والارض ورب المشارق اى والمغارب
وجمعها باعتبار جميع السنة فان الله تعالى خلق للشمس ثلثمائة وستين كوة فى المشرق وثلثمائة
وستين كوة فى المغرب على عدد ايام السنة تطلع الشمس كل يوم من كوة منها وتغرب فى كوة
منها لا ترجع الى الكوة التى تطلع منها الى ذلك اليوم من العام المقبل وقيل كل موضع اشرقت
عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب كانه اراد جميع ما اشرقت عليه
الشمس وقيل المراد بالمشارق مشارق الكواكب ومغاربها لان لكل كوكب مشرقا ومغربا
فان قيل ان الله تعالى قال فى موضع رب المشرق والمغرب وقال فى موضع آخر رب المشرقين
ورب المغربين فالجمع بين هذا الموضع اجيب بان المراد بقوله رب المشرق والمغرب الجهة فالمشرق
جهة والمغرب جهة وبقوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين مشرقا الشتاء والصيف ومغربا
الشتاء والصيف واما موضع الجمع فقد مر فان قيل لم اكتفى بذكر المشارق اجيب بوجهين الاول
انه اكتفى به كقوله تعالى تقيكم الحر والثانى ان الشروق اقوى حالا من الغروب واكثر
نفعا منه فذكر المشارق تنبيها على كثرة احسان الله تعالى على عباده ولهذه الدقيقة استدل
ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام بقوله ان الله يأتى بالشمس من المشرق انا زينا اى بعظمتنا
التى لا تدانى السماء ولما كانوا لا يرون الا ما يليهم من السموات وكانت زينة النجوم ظاهرة
فيها قال تعالى الدنيا اى التى هى ادنى السموات اليكم بزينة الكواكب اى بضوئها كما قاله
ابن عباس او بها وقرأ عاصم وحمزة بزينة بالتنوين والباقون بغير تنوين والاضافة للبيان كقراءة
تنوين بزينة المبينة بالكواكب ونصب الباء الموحدة من الكواكب شعبة وكسرها الباقون فان قيل
قد ثبت فى علم الهيئة ان هذه الكواكب الثوابت مركوزة فى الكرة الثامنة وان السيارات
مركوزة فى الكرات الستة المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا
بزينة الكواكب اجيب بان الناس الساكنين على سطح كرة الارض اذا نظروا الى السماء الدنيا
فانهم يشاهدونها مزينة بهذه الكواكب فصح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب
وقوله تعالى وحفظا منصوب بفعل مقدر اى حفظناها بالشهب او معطوف على زينة باعتبار
المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء الدنيا وحفظا من كل شيطان اى بعيد

عن الخير بحيث لا يكون فيه الخير يحترق مَّارِدٍ اى عاتٍ خارج عن الطاعة ✦ ولما تشوّفت السامع الى معرفة هذا الحفظ وثمرته وبيان كيفيته استأنف قوله تعالى لَا يَسَّمَّعُونَ اى الشياطين المفهومون من كل شيطان إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ اى الملائكة او اشرافهم فى السّماء وعدى السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة فى نفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص بفتح السين وتشديدها وتشديد الميم من التسمع وهو طلب السماع وقرأ الباقون بسكون السين وتخفيف الميم وَيُقْذَفُونَ اى الشياطين يرمون بالشهب مِن كُلِّ جَانِبٍ اى من آفاق السماء وقوله تعالى دُحُورًا مصدر اى طرد او ابعاد وهو مفعول له وقيل هو جمع داحر نحو قاعد وقعود فيكون حالا بنفسه من غير تاويل وقيل غير ذلك وَلَهُمْ اى فى الآخرة عَذَابٌ غير هذا وَاصِبٌ اى دائم وقال مقاتل اى دائم فى الدنيا الى النفخة الاولى وقوله تعالى إِلَّا مَنْ خَطِفَ فيه وجهان احدهما انه مرفوع المحل بدلا من ضمير لا يسمعون وهو احسن لانه غير موجب والثانى انه منصوب على اصل الاستثناء والمعنى ان الشياطين لا يسمعون الملائكة الا من خطف وقوله تعالى الْخَطْفَةَ مصدر معرف بال الجنسية او العهدية ومعنى اختطف اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة فَأَتْبَعَهُ اى لحقه شِهَابٌ اى كوكب ثَاقِبٌ اى مضئ قوى لا يخطئه يقتله او يحرقه او يثقبه او يخبله ✦ تنبيه ✦ ههنا سؤالات اولها ان هذه الشهب التى يرمى بها هل هى من الكواكب التى زين الله السماء بها ام لا والاول باطل لانها تبطل وتضمحل فلو كانت تلك الشهب تلك الكواكب الحقيقية لوجب ان يظهر نقصان كثير فى اعداد كواكب السماء ولم يوجد ذلك فان اعداد كواكب السماء باقية لم تتغير البتة وايضا فجعلها رجوما للشياطين مما يوجب وقوع النقصان فى زينة السماء الدنيا فكان الجمع بين هذين المقصودين كالمتناقض وان كانت هذه الشهب جنسا آخر غير الكواكب المركوزة فى الفلك فهو ايضا مشكل لانه تعالى قال فى سورة الملك ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فالضمير فى قوله وجعلناها عائد على المصابيح فوجب ان تكون تلك المصابيح هى الرجوم بها باعيانها ثانيها كيف يجوز ان تذهب الشياطين حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم البتة وهل يمكن ان يصدر هذا الفعل من عاقل فكيف من الشياطين الذين لهم مزية فى معرفة الحيل الدقيقة ثالثها دلت التواريخ المتواترة على ان حدوث الشهب كان حاصلا قبل مجئ النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك ترى الحكماء الذين كانوا موجودين قبل مجئ النبى صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا فى سبب حدوثه واذا ثبت ان ذلك كان موجودا قبل مجئ النبى صلى الله عليه وسلم امتنع حمله على مجئ النبى صلى الله عليه وسلم رابعها الشيطان مخلوق من النار كما حكى عن قول ابليس لعنه الله تعالى خلقتنى من نار وقال تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم ولهذا السبب يقدر على الصعود الى السموات واذا كان كذلك فكيف يعقل احراق النار بالنار اجيب عن الاول بان هذه الشهب غير تلك

الكواكب الثابتة واما قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فنقول كل نير يحصل فى الجو العالى فهو مصباح لاهل الارض الا ان تلك المصابيح منها باقية على وجه الدهر امنة من التغير والفساد ومنها ما لا يكون كذلك وهى هذه الشهب التى يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين التى تبعث بعلومه وبهايزول الاشكال وعن الثانى بان هذه الواقعة انما تتفق فى الندرة فلعلها لا تشتهر بسبب ندرتها بين الشياطين واجاب ابو على الجبائى بان حصول هذه الحالة ليس له موضع معين والا لم يذهبوا اليه وانما يمنعون من الصير الى موضع الملائكة ومواضعها مختلفة فربما صاروا الى موضع تصيبهم الشهب فلما هلكوا الى غيره ولا صادفوا الملائكة ولا تصيبهم الشهب فلما هلكوا فى بعض الاوقات وسلموا فى بعض الاوقات جاز ان يصيروا الى مواضع يغلب على ظنونهم انهم لا تصيبهم الشهب فيها كما يجوز فيمن سلك البحر ان يسلكه فى موضع يغلب على ظنه حصول النجاة وفى جواب ابى على نظر اذ ليس فى السماء موضع قدم الا وفيه ملك قائم او راكع او ساجد وعن الثالث بان الاقرب ان هذه الحالة كانت موجودة قبل النبى صلى الله عليه وسلم لكن بقلة ولما جاء النبى صلى الله عليه وسلم وقعت بكثرة فصارت بسببها لكثرة معجزة وعن الرابع بان الشياطين ليسوا من نار خالصة وعلى التنزل بانهم من النيران الخالصة الا انها نيران ضعيفة ونيران الشهب اقوى حالا منهم فلا جرم صار الاقوى مبطلا للاضعف الا ترى ان السراج الضعيف اذا وضع فى النار القوية فانه ينطفئ فكذلك ههنا ❊ ولما كان المقصود الاعظم من القران اثبات الاصول الاربعة وهى الالهيات والمعاد والنبوات واثبات القضاء والقدر افتتح الله سبحانه هذه السورة باثبات ما يدل على الصانع وعلى علمه وقدرته وحكمته ووحدانيته وهو خالق السموات والارض وما بينهما ورب المشارق والمغارب ثم فرع عليها اثبات الحشر والنشر والقيمة وهو ان من قدر على ما هو اشق واصعب وجب ان يقدر على ما هو دونه وهو قوله تعالى فَاسْتَفْتِهِمْ اى سل كفار مكة ان يفتوك بان يبينوا لك ما نسألهم عنه من انكارهم البعث واصله من الفتوة وهى الكرم أَهُمْ أَشَدُّ اى اقوى واشق واصعب خَلْقًا اى من جهة احكام الصنعة وقوتها وعظمها أَمْ مَنْ خَلَقْنَا اى من الملائكة والسموات والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ❊ تنبيه فى الاتيان بمن تغليب للعقلاء وهو استفهام بمعنى التقرير اى هذه الاشياء اشد خلقا كقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله تعالى ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها وقيل معنى ام من خلقنا اى من الامم الماضية لان لفظ من يذكر لمن يعقل والمعنى ان هؤلاء الامم ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم الخالية وقد اهلكناهم بذنوبهم فمن الذى يؤمن هؤلاء من العذاب إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ اى اصلهم ادم بعظمتنا مِنْ طِينٍ اى تراب رخو مهين لَازِبٍ اى شديد الاختلاط بعضه ببعض فالتصق وخمر بحيث يعلق باليد وقال مجاهد والضحاك منتن فهو مخلوق من غير اب ولا ام وقرأ حمزة والكسائى بَلْ عَجِبْتُ بضم التاء والباقون بفتحها اما بالضم فباسناد التعجب الى الله تعالى وليس هو كالتعجب

من الآدميين كما قال تعالى فيسخرون منهم سخر الله منهم وقال تعالى نسوا الله فنسيهم فالعجب من
الآدميين انكاره وتعظيمه والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى
الاستحسان والرضا كما فى الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفى حديث آخر عجب ربكم
من ألكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم قوله ألكم الأول اشدّ القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكا وسئل
الجنيد عن هذه الآية فقال انّ الله تعالى لا يعجب من شئ ولكن وافق رسوله صلى الله عليه وسلم فلما
عجب رسوله قال تعالى وان تعجب فعجب قولهم اى هو كما تقوله واما بالفتح فعلى انه خطاب للنبى
صلى الله عليه وسلم اى عجبت من تكذيبهم اياك وَيَسْخَرُونَ اى وهم يسخرون من تعجبك قال قتادة
عجب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين انزل ومن ضلال بنى آدم وذلك ان النبىّ صلى الله
عليه وسلم كان يظن انّ كل من سمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا
به عجب من ذلك النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال تعالى بل عجبت ويسخرون وَإِذَا ذُكِّرُوا اى وعظوا
بالقرآن لَا يَذْكُرُونَ اى لا يتعظون وَإِذَا رَأَوْا آيَةً قال ابن عباس وقتادة يعنى انشقاق القمر
يَسْتَسْخِرُونَ اى يستهزؤن بها وقيل يستدعى بعضهم من بعض السخرية وَقَالُوا إِنْ اى ما
هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ اى ظاهر فى نفسه ومظهر لسحريته ثم خصوا البعث بالانكار اعلاما بانه اعظم
مقصود بالنسبة الى السحر فقالوا مظهرين له فى مظهر الانكار ءَإِذَا مِتْنَا وعطفوا عليه ما هو
موجب عندهم لشدّة الانكار فقالوا وَكُنَّا اى كونا فى غاية التمكن تُرَابًا وقدّموه لانه
ادلّ على مرادهم لانه ابعد عن الحيوة وَعِظَامًا كانهم جعلوا كل واحد من الموت او الكون
الى الترابية المحضة والعظامية المحضة والمختلطة بهما مانعا من البعث وهذا البعد اعترافهم بانّ
ابتداء خلقهم كان من التراب ثم كرروا الاستفهام الانكارى على قراءة من قرأ به كما سيأتى
بيانه زيادة فى الانكار فقالوا ءَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ وقولهم أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ عطف على محل انّ واسمها
او على الضمير فى مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وهذا
بيان السبب الذى حملهم على الاستهزاء بجميع المعجزات هو اعتقادهم انّ من مات وتفرقت اجزاؤه فى
فما فيه من الارض اختلط بالارض وما فيه من المائية والهوائية اختلط ببخارات العالم فهذا الانسان
كيف يعقل عوده بعينه حيا ثم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الشبهة قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
قُلْ اى لهؤلاء البعداء البغضاء نَعَمْ اى تبعثون على كل تقدير قدّرتموه وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ
اى مكرهون عليه صاغرون ذليلون وانما اكتفى تعالى بهذا القدر من الجواب لانه ذكر فى الآية
المتقدّمة البرهان القطعى على انّ امر ممكن اذا ثبت الجواز القطعى فلا سبيل الى القطع بالوقوع
الا بالخبر الصادق فلما قامت المعجزة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم كان واجبا لصدق فى
فكان مجرّد قوله نعم دليلا قاطعا على الوقوع وقرأ متنا بضم الميم ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وشعبة وكسرها
الباقون وامّا ءاذا وءانا فقرأ نافع والكسائى بالاستفهام فى الاول والخبر فى الثانى وابن عامر

بالخبر فی الاول والاستفهام فی الثانی والباقون بالاستفهام فیهما وسهل الهمزة الثانیة فی الاستفهام
نافع وابن کثیر وابو عمرو وحقق الباقون وادخل فی الاستفهام الفا بین الهمزتین قالون
وابو عمرو وهشام والباقون بغیر ادخال وقرأ قالون وابن عامر او آباؤنا بسکون الواو علی انها او العاطفة
المقتضیة للشک والباقون بفتحها علی انها همزة الاستفهام دخلت علی واو العطف قرأ الکسائی نعم
بکسر العین وهو لغة فیه وقوله تعالی فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ جواب شرط مقدر ای اذا کان کذلک
فانما البعثة زجرة ای صیحة واحدة هی نفخة الثانیة من زجر الراعی غنمه اذا صاح علیها وامرها
فی الاعادة کامرها کن فی الابتداء ولذلک رتب علیها فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ای احیاء فی الحال من
غیر مهلة ینظر بعضهم بعضا وقیل ینظرون ما یحدث لهم او ینظرون الی البعث الذی کذبوا به لا فرق
بین من صار کله ترابا ومن لم یتغیر اصلا ومن هو بین ذلک قال البقاعی ولعله خص النظر بالذکر لانه
لا یکون الا مع کمال الحیوة ولذلک قال صلی الله علیه وسلم اذا قبض الروح تبعه البصر واما السمع فقد یکون
لغیر الحی لانه صلی الله علیه وسلم قال فی الکفار من قتلی بدر ما انتم باسمع لما اقول منهم قال وشاهدت
ان فی بلاد العرب المجاورة لنابلس شجرة لها شوک یقال لها الغبیرا متی قیل عندها هات الجمل
لا قطع هذه الشجرة اخذت ونفتها فی الحال فی الذبول فانه سبحانه اعلم ما سبب ذلک اه + تنبیه + لا اثر
للصیحة فی الموت ولا فی الحیوة بل خالق الموت والحیوة هو الله تعالی کما قال تعالی الذی خلق
الموت والحیوة روی ان الله تعالی یامر الملک اسرافیل فینادی ایها العظام النخرة والجلود البالیة
والاجزاء المتفرقة اجتمعوا باذن الله تعالی وَقَالُوا ای کل من جمعه البعث من الکفرة بعد
القیام من القبور معلنین بما انکشف لهم من انه لا ملازم لهم غیر الویل يَا وَيْلَنَا ای هلاکنا وهو
مصدر لا فعل له من لفظه وقال الزجاج الویل کلمة یقولها القائل وقت الهلکة وتقول لهم الملائکة
هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ای الحساب والجزاء هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ای بین الخلائق الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ وقیل هو ایضا
من کلام بعضهم لبعض وقوله تعالی احْشُرُوا ای اجمعوا کبارا وصغارا الَّذِينَ ظَلَمُوا انفسهم بالشرک امر من الله
تعالی للملائکة علیهم السلام وقیل امر من بعضهم لبعض ای احشروا الظلمة من مقامهم الی الموقف
وقیل منه الی جهنم وَأَزْوَاجَهُمْ ای واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الکوکب
مع عبدتها کقوله تعالی وکنتم ازواجا ثلاثة ای اشکالا واشباها وقال الحسن وازواجهم المشرکات
وقال الضحاک ومقاتل قرناؤهم من الشیاطین وعلی هذا اقتصر الجلال المحلی ای یقرن
کل کافر مع شیطانه فی سلسلة وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ای غیره فی الدنیا
من الاوثان والطواغیت زیادة فی تحسیرهم وتخجیلهم ومثل الاوثان الذین رضوا بعبادتهم لهم
ولم ینکروا علیهم ذلک ولم یامروهم بعبادة الله تعالی الذی تفرد بنعوت العظمة وصفات الکمال
وقال مقاتل یعنی ابلیس وجنوده واحتج بقوله تعالی ان لا تعبدوا الشیطان فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ
الْجَحِيمِ قال ابن عباس دلوهم الی طریق النار وقال ابن کیسان قدموهم قال البغوی والعرب

تسمى السائق هاديا قال الواحدي هذا وهم لانه يقال هدى اذا تقدم ومنه الهادية والهوادي وهاديات
الوحش ولا يقال هدى بمعنى تقدم وَقِفُوهُمْ اى احبسوهم قال البغوي قال المفسرون لما سيقوا
الى النار حبسوا عند الصراط فقيل لهم قفوهم إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ قال ابن عباس عن جميع اقوالهم
وافعالهم وروى عنه عن لا اله الا الله وقيل تسألهم خزنة جهنم عليهم السلام الم يأتكم نذير اى رسل
منكم جاءكم بالبينات قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وروى عن ابي برزة الاسلمي قال
لا تزول قدما عبد يوم القيمة حتى يسئل عن اربع عن عمره فيم افناه وعلمه ماذا عمل به وعن ماله
من اين اكتسبه وفيم انفقه وعن جسمه فيم ابلاه وفي رواية وعن شبابه فيم ابلاه وعن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما داع دعا الى شئ الا كان موقوفا يوم القيمة لازما به وان دعا
رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسئولون ويقال لهم توبيخا مَا لَكُمْ اى اى شئ حاصل لكم شغلكم
والهاكم حال كونكم لَا تَنَاصَرُونَ قال ابن عباس لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم فى الدنيا
وذلك ان ابا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر فقيل لهم يوم القيمة ما لكم لا تناصرون وقيل
يقال للكفار ما لشركائكم لا يمنعونكم من العذاب ويقال عنهم بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ قال
ابن عباس خاضعون وقال الحسن منقادون يقال استسلم للشئ اذا انقاد له وخضع والمعنى
هم اليوم اذلاء منقادون لا حيلة لهم فى دفع تلك المضار + ولما اخبر سبحانه وتعالى عنهم
بانهم سئلوا فلم يجيبوا بما كان يظن انهم اخرسوا فنبه على انهم يتكلمون بما يزيد تكذيبهم فقال
عاطفا على قوله تعالى وقالوا يا ويلنا وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ اى الذين ظلموا عَلَى بَعْضٍ اى بعد ايقافهم لتوبيخهم
وعجزهم عن خصامهم تهكما بهم بقوله تعالى يَتَسَاءَلُونَ اى يتلاومون ويتخاصمون قَالُوا
اى الاتباع منهم للمتبوعين إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ قال الضحاك اى من قبل الدين
فتضلوننا عنه وقال مجاهد عن الصراط الحق واليمين عبارة عن الدين الحق كما اخبر الله تعالى
عن ابليس لعنه الله تعالى ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم
فمن اتاه الشيطان من قبل اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق واليمين ههنا استعارة
عن الخيرات والسعادات لان الجانب الايمن افضل من الجانب الايسر قال ابن عادل ولا تباشر
الاعمال الشريفة الا باليمين ويتفاءلون بالجانب الايسر وكان صلى الله عليه وسلم يحب
التيامن فى شأنه كله وكاتب الحسنات من الملائكة على اليمين ووعد الله تعالى المؤمن
ان يعطيه الكتاب باليمين وقيل ان الرؤساء كانوا يحلفون للمستضعفين ان ما يدعونهم اليه هو الحق
فوثقوا بايمانهم وقيل عن اليمين عن القوة والقدرة كقوله تعالى لاخذنا منه باليمين قَالُوا اى
المتبوعون لهم بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ اى وانما يصدق الاضلال منا ان لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن
الايمان الينا وانما الكفر من قبلكم وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ اى قوة وقدرة حتى نقهركم ونجبركم
على متابعتنا بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ اى ضالين مثلنا فَحَقَّ اى وجب عَلَيْنَا جميعا قَوْلُ رَبِّنَا

اي كلمة العذاب وهو قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ﴿إِنَّا﴾ اي جميعا ﴿لَذَائِقُونَ﴾ اي
العذاب بذلك القول ونشأ عنه قولهم ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ اي فاضللناكم عن الهدى ودعوناكم
الى ما كنا عليه ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ اي ضالين فاجبتم ان تكونوا مثلنا وفيه ايماء بان غوايتهم
في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية باغواء غاو فمن اغوى الاول قال الله تعالى ﴿فَإِنَّهُمْ﴾
اي المتبوعين والاتباع ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ اي يوم القيمة ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ اي كما كانوا مشتركين
في الغواية ﴿إِنَّا﴾ اي بما لنا من العظمة والقدرة ﴿كَذَلِكَ﴾ اي كما نفعل بهؤلاء ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ غير هؤلاء
اي نعذبهم التابع منهم والمتبوع ثم وصفهم الله تعالى بقوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
يَسْتَكْبِرُونَ﴾ اي يتكبرون عن كلمة التوحيد او عمن يدعوهم اليها ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا﴾ في الهمزتين
ما مرّ ﴿لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ثم ان الله تعالى كذبهم
في ذلك الكلام بقوله تعالى ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ اي الدين الحق ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ اي صدقهم
في مجيئهم بالتوحيد فاتى بما اتى به المرسلون من قبله ثم التفت من الغيبة الى الحضور فقال تعالى
﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ ثم كانه قيل كيف يليق بالرحيم الكريم المتعالي الغني عن الضر والنفع ان
يعذب عباده فاجاب بقوله تعالى ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ اي جزاء عملكم وقوله
تعالى ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ اي المؤمنين استثناء منقطع وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام بعد
الخاء اي ان الله تعالى اخلصهم واصطفاهم بفضله والباقون بالكسر اي انهم اخلصوا الطاعة
لله تعالى وقوله ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ﴾ اي في الجنة ﴿رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ اي بكرة وعشيا بيان لحالهم وان لم يكن
ثم بكرة ولا عشية فيكون المراد منه معلوم الوقت وهو مقدار غدوة او عشية وقيل معلوم الصفة
اي مخصوص بصفات من طيب طعم ولذة وحسن منظر وقيل معناه انهم يتيقنون دوامه لا كرزق
الدنيا الذي لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع وقيل معلوم القدر الذي يستحقونه باعمالهم من ثواب الله
تعالى وقوله ﴿فَوَاكِهُ﴾ يجوز ان يكون بدلا من رزق وان يكون خبر مبتدأ مضمر اي ذلك الرزق فواكه
وفي الفواكه جمع فاكهة قولان احدهما انها عبارة عما يؤكل للتلذذ لا للحاجة وارزاق اهل الجنة
كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات فان اجسامهم محكمة
مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه فعلى سبيل التلذذ والثاني ان المقصود بذكر
الفاكهة التنبيه بالادنى على الاعلى لما كانت الفاكهة حاضرة ابدا كان
الماكول للغذاء اولى بالحضور ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ اي في نيله يصل اليهم من غير تعب سؤال
لا كما عليه رزق الدنيا ولما ذكر ماكلهم ذكر مسكنهم بقوله تعالى ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ اي
في جنات ليس فيها الا النعيم وهو متعلق بمكرمون او خبر ثان لاولئك او حال من المستكن
في مكرمون وقوله تعالى ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ اي لا يرى بعضهم قفا بعض حال ويجوز ان
يتعلق على سرر بمتقابلين ولما ذكر سبحانه وتعالى الماكل والمسكن ذكر بعد ذلك صفة

الشرب بقوله تعالى يُطَافُ عَلَيْهِمْ اى على كل منهم بِكَأْسٍ اى باناء فيه خمر فهو اسم للاناء بشرابه ولا يكون كاسا حتى يكون فيه شراب والا فهو اناء وقيل المراد بالكاس الخمر كقول الشاعر
وكاس شربت على لذة + واخرى تداويت منها بها + اى رب كاس شربت لطلب اللذة وكاس شربت للتداوى من خمارها والكاس مؤنثة كما قال الجوهرى
وقوله تعالى مِنْ مَعِينٍ اى من شراب معين او من نهر معين ماخوذ من عين الماء اى يخرج من العيون كما يخرج الماء وسمى عينا لظهوره يقال عان الماء اذا ظهر جاريا وقوله تعالى بَيْضَاءَ اى اشد بياضا من اللبن قاله الحسن صفة لكاس وقال ابو حيان صفة لكاس او للخمر واعترض بان الخمر لم يذكر واجيب بان الكاس انما سميت كاسا اذا كان فيها الخمر وقوله تعالى لَذَّةٍ صفة ايضا وصفة بالمصدر مبالغة كانها نفس اللذة وعينها كما يقال فلان جود وكرم اذا كان المراد المبالغة وقال الزجاج او على حذف المضاف اى ذات لذة قوله تعالى لِلشَّارِبِينَ اى بخلاف خمرة الدنيا فانها كريهة عند الشرب صفة اللذة وقال الليث اللذة واللذيذة يجريان مجرى واحد فى النعت يقال شراب لذ ولذيذ
وقوله تعالى لَا فِيهَا غَوْلٌ صفة ايضا واختلف فى الغول فقال الشعبى اى لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقال الكلبى معناه الاثم اى لا اثم فيها وقال قتادة وجع البطن وقال الحسن صداع وقال اهل المعانى الغول فساد يلحق فى خفاء يقال اغتاله اغتيالا اذا افسد عليه امره فى خفية وخمر الدنيا يحصل منها انواع الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقئ والبول ولا يوجد شئ من ذلك فى خمر الجنة وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ اى يسكرون وقرأ حمزة والكسائى بكسر الزاى من انزف الشارب اذا نزف عقله من السكر والباقون بفتحها من نزف الشارب نزيفا اذا ذهب عقله افرده بالذكر وعطفه على ما يعمه لانه من عظم فساده كانه جنس براسه + ولما ذكر تعالى صفة مشروبهم ذكر عقبه صفة منكوحهم بقوله تعالى وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ اى حابسات الاعين غاضات الجفون قصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لحسنهم عندهن وقوله تعالى عِينٌ جمع عيناء وهى الواسعة العين والذكر اعين قال الزجاج كبار الاعين حسانها يقال رجل اعين وامرأة عيناء ورجال ونساء عين كَأَنَّهُنَّ اى فى اللون بَيْضٌ للنعام مَكْنُونٌ اى مستور بريشه لا يصل اليه غبار ولونه وهو البياض فى صفرة يقال هذا احسن الوان النساء تكون المرأة بيضاء مشربة بصفرة قال ذو الرمة فى ذلك
بيضاء فى ترج صفراء فى نعج + كانها فضة قد مسها ذهب + قال المبرد والعرب تشبه المرأة الناعمة فى بياضها وحسن لونها ببيضة النعامة وقال بعضهم انما شبهت المرأة بها فى اجزائها فان البيضة من اى جهة اتيتها كانت فى راى العين مشبهة للاخرى وهو فى غاية المدح وقد لحظ هذا بعض الشعراء فقال
تناسبت الاعضاء فيها فلا ترى + بهن اختلافا بل اتين على قدر

ويجمع البيض على بيوض قال الشاعر شعر بتيها قفر والمطي كانها + قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها فَاَقْبَلَ بَعْضُهُمْ اى بعض اهل الجنة عَلٰى بَعْضٍ يَّتَسَآءَلُوْنَ معطوف على يطاف عليهم اى يشربون فيتحادثون على الشراب قال القائل شعر وما بقيت من اللذات الا + محادثة الكرام على المدام + واتى بقوله تعالى فاقبل ماضيا لتحقق وقوعه كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار وقوله تعالى يتساءلون حال من فاعل اقبل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم فى الدنيا + ولما ذكر تعالى ان اهل الجنة يتساءلون عند اجتماعهم على الشراب ويتحدثون كان من جملة كلماتهم انهم يتذكرون ما كان حصل لهم فى الدنيا مما يوجب الوقوع فى عذاب الله تعالى ثم انهم تخلصوا منه وهو ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ اى من اهل الجنة فى الجنة فى مكالمتهم اِنِّىْ كَانَ لِىْ قَرِيْنٌ اى فى الدنيا ينكر البعث يَّقُوْلُ اَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِيْنَ اى كان يوبخنى على التصديق بالبعث ويقول تعجبا ءَاِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَّعِظَامًا ءَاِنَّا لَمَدِيْنُوْنَ اى مجزيون ومحاسبون من الدين بمعنى الجزاء وهذا استفهام انكار + تنبيه + اختلف فى ذلك القرين فقال مجاهد كان شيطانا وقيل كان من الانس وقال مقاتل كانا اخوين وقيل كانا شريكين حصل لهما ثمانية الاف دينار فتقاسماها واشترى احدهما دارا بالف دينار فاراها صاحبه وقال كيف ترى حسنها فقال ما احسنها ثم خرج فتصدق بالف دينار وقال اللهم ان صاحبى قد ابتاع هذه الدار بالف دينار وانى اسألك دارا من دار الجنة ثم ان صاحبه تزوج امرأة حسناء بالف دينار فتصدق صاحبه بالف دينار لاجل ان يزوجه الله تعالى من الحور العين ثم ان صاحبه اشترى بساتين بالفى دينار فتصدق هذا بالفى دينار ثم ان الله تعالى اعطاه ما طلبه فى الجنة وقيل كان احدهما كافرا اسمه يهوذا والاخر مؤمن اسمه يطروس او هما اللذان قص الله تعالى خبرهما فى سورة الكهف فى قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين قَالَ اى ذلك القائل لاخوته هَلْ اَنْتُمْ مُّطَّلِعُوْنَ اى معى الى النار لننظر حاله فيقولون لا فَاطَّلَعَ ذلك القائل من بعض كوى الجنة قال ابن عباس رضى الله عنهما ان فى الجنة كوى ينظر اهلها منها الى النار فَرَاٰهُ اى راى قرينه فِىْ سَوَآءِ الْجَحِيْمِ اى وسط النار وانما يسمى وسط الشئ سواء لاستواء الجوانب منه قَالَ له توبيخا مقسما بقوله تَاللّٰهِ اِنْ كِدْتَّ اى قاربت وان مخففة من الثقيلة لَتُرْدِيْنِ اى لتهلكنى باغوائك اياى بانكار البعث والقيامة وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّىْ اى انعامه على بالايمان والهداية والعصمة لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِيْنَ معك فى النار + تنبيه + اثبت الياء بعد النون فى لتردين ورش والباقون بالتخفيف + ولما تم الكلام مع قرينه الذى هو فى النار عاد الى مخاطبة جلسائه من اهل الجنة وقال اَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِيْنَ وهذا عطف على محذوف اى انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اى ممن شأنه الموت وقال بعضهم ان اهل الجنة لا يعلمون فى اول دخولهم الجنة انهم لا يموتون

فاذا جئ بالموت على صورة كبش املح وذبح يقول اهل الجنة للملائكة افما نحن بميتين فتقول الملائكة لا فعند ذلك يعلمون انهم لا يموتون وعلى هذا فالكلام حصل قبل ذبح الموت وقيل ان الذى تكاملت سعادته اذا اعظم تعجبه بها يقول ذلك على جهة التحديث بالنعمة التى انعم الله تعالى بها عليه وقيل يقوله المؤمن لقرينه توبيخا له بما كان ينكره وقوله إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ منصوب على المصدر والعامل فيه الوصف قبله ويكون استثناء مفرغا وقيل هو استثناء منقطع اى لكن الموتة الاولى كانت لنا فى الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال وهذا قريب فى المعنى من قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ هو استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله تعالى من تابيد الحيوة وعدم التعذيب إِنَّ هَٰذَا اى الذى ذكر لاهل الجنة لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ هو قول اهل الجنة عند فراغهم من هذه المحادثات وقوله تعالى لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ قيل انه من بقية كلامهم وقيل انه ابتداء كلام من الله تعالى اى لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام + ولما ذكر تعالى ثواب اهل الجنة ووصفها وذكر ماكل اهل الجنة ومشاربهم وقال لمثل هذا فليعمل العاملون اتبعه بقوله تعالى أَذَٰلِكَ اى المذكور لاهل الجنة خَيْرٌ نُّزُلًا وهو ما يعد للنازل من ضيف وغيره أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ اى المعدة لاهل النار نزلا وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفى ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقدم للنازل ولهم ما وراء ذلك ما تقصر عنه الافهام وكذا الزقوم لاهل النار وهى اسم شجرة صغيرة الورق زفرة مرة تكون بتهامة ثم سميت به الشجرة الموصوفة واذا عرف هذا فالحاصل من الرزق المعلوم لاهل الجنة اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم ومعلوم انه لا نسبة لاحدهما الى الآخر فى الخيرية الا انه جاء هذا الكلام على سبيل السخرية بهم او لاجل ان المؤمنين لما اختاروا ما اوصلهم الى الرزق الكريم والكافرون اختاروا ما اوصلهم الى العذاب الاليم قيل لهم ذلك توبيخا لهم على اختيارهم إِنَّا اى بما لنا من العظمة والقدرة البالغة جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً اى محنة وعذابا لِّلظَّالِمِينَ اى الكافرين قال الكلبى فى الآخرة وابتلاء فى الدنيا لما سمعوا بانها فى النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق ما يعيش فى النار ويتلذذ بها فهو اقدر على خلقه الشجر فى النار وحفظه من الاحراق + ولما نزلت هذه الآية قال ابن الزبعرى اكثر الله فى بيوتكم الزقوم فان اهل اليمن يسمون التمر والزبد الزقوم ثم ادخلهم ابو جهل بيته وقال الجارية زقمينا فاتته بزبد وتمر وقال تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد وهذا عناد منه وكذب فانه من العرب العرباء وهم انما يطلقونه على شجرة مسمومة يخرج لها لبن متى مس جسم احد تورم فمات والتزقم البلع الشديد للاشياء الكريهة واما الزبد بالرطب فيسمى الوقت قال ابن الكلبى وانشد شعر

وانى لمن سالمتهم لالوقة + وانى لمن عاديتهم سم اسود

ثم ان الله تعالى وصف هذه الشجرة بصفتين الاولى قوله تعالى إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ

قال الحسن اصلها في قعر جهنم واغصانها ترفع الى دركاتها الصفة الثانية قوله تعالى طَلْعُهَا
اي ثمرها قال الزمخشري الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة
لفظية او معنوية قال ابن قتيبة سمي طلعا لطلوعه كل سنة فلذلك قيل طلع النخل لاول
ما يخرج من ثمره ثم وصف ذلك الطلع بقوله تعالى كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ
وفيه وجهان احدهما انه حقيقة وان رءوس الشياطين شجرة معينة بناحية اليمن
وتسمى الاستن قال النابغة ــ تحيد عن استن سود اسافله + مثل الاماء الغوادي تحمل
الحزما + وهو شجر منكر الصورة مر تسميه العرب بذلك تشبيها برءوس الشياطين
في القبح ثم صار اصلا يشبه به وقيل الشياطين صنف من الحيات لهن اعراف قال الراجز
ــ عنجرد تحلف حين احلف + كمثل شيطان الحماط اعرف + وقيل شجرة يقال لها الصوم ومنه
قول ساعدة بن جوية ــ موكل بسروف الصوم يرقبها + من المعارف محفوظ الحشا زرم
فعلى هذا خوطب العرب بما تعرفه وهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقة والثاني انه من باب
التخييل والتمثيل وذلك ان كل ما يستنكر ويستقبح في الطباع والصورة يشبه بما يتخيله الوهم
وان لم يكن يراه والشياطين وان كانوا موجودين غير مرئيين للعرب الا انه خاطبهم بما الفوه
من الاستعارات التخييلية وذلك كقول امرئ القيس ــ ايقتلني والمشرفي مضاجعي +
ومسنونة زرق كانياب اغوال + ولم يرانيابها بل ليست موجودة البتة قال الرازي وهذا
هو الصحيح وذلك ان الناس لما اعتقدوا في الملائكة عليهم السلام كمال الفضل في الصورة والسيرة
فكما حسن تشبيه يوسف عليه السلام بالملك عند ارادة الكمال والفضيلة في قول النسوة ان هذا
الا ملك كريم فلذلك حسن التشبيه برءوس الشياطين في القبح وتشويه الخلقة ويؤكد هذا ان
العقلاء اذا رأوا شيئا شديد الاضطراب منكر الصورة قبيح الخلقة قالوا انه شيطان واذا رأوا شيئا
حسنا قالوا انه ملك من الملائكة وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم الشياطين باعيانهم فَإِنَّهُمْ
اي الكفار لَآكِلُونَ مِنْهَا اي من الشجرة او من طلعها فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ والملء حشو الوعاء بما
لا يحتمل الزيادة عليه فان قيل كيف يأكلونها مع نهاية خشونتها ونتنها ومرارة طعمها اجيب
بان المضطر ربما استروح من الضرر بما يقاربه في الضرر فاذا جوعهم الله تعالى الجوع الشديد
فزعوا الى ازالة ذلك الجوع بتناول هذا الشيء او يقال ان الزبانية يكرهونهم على الاكل من تلك
الشجرة لعذابهم + ولما ذكر الله تعالى طعامهم بتلك الشناعة والكراهية وصف شرابهم بما هو اشنع
منه بقوله تعالى ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا اي بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ اي ماء
حار يشربونه فيختلط بالماكول منها فيصير شوبا وعطف بثم لاحد معنيين اما لانه يؤخر ما يظنونه
يرويهم من عطشهم زيادة في عذابهم فلذلك اتى بثم المقتضية للتراخي واما لان العادة تقتضي
تراخي الشرب عن الاكل فعمل على ذلك المنوال واما ملء البطن فيعقب الاكل فلذلك عطف

على ما قبله بالفاء قال الزجاج الشوب اسم عام فى كل ما خلط بغيره والشوب الخلط والمزج ومنه
شاب اللبن يشوبه اى خلطه ومزجه ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ اى مصيرهم ﴿لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ قال مقاتل اى بعد
اكل الزقوم وشرب الحميم وهذا يدل على انهم عند شرب الحميم لم يكونوا فى الجحيم وذلك بان يكون
الحميم فى موضع خارج عن الجحيم فهم يردون الحميم لاجل الشرب كما ترد الابل الماء ويدل
عليه قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن وقوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا﴾ اى وجدوا ﴿آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾
﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد قال الفراء الاهراع الاسراع يقال
هرع واهرع اذا استحث والمعنى انهم يتبعون آباءهم فى سرعة كانهم يزعجون الى اتباع آبائهم
وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ثم انه تعالى ذكر لرسوله صلى الله
عليه وسلم ما يسليه فى كفرهم وتكذيبهم بقوله سبحانه ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ اى قبل قومك ﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾
اى من الامم الماضية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ اى انبياء انذروهم من العواقب فبين تعالى
ان ارساله الرسل قد تقدم والتكذيب لهم قد سلف فوجب ان يكون له صلى الله عليه وسلم
اسوة بهم حتى يصبر كما صبروا ويستمر على الدعاء الى الله تعالى وان تمردوا فليس عليه الا البلاغ
وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار الدال والباقون بالادغام ثم قال تعالى ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ اى الكافرين كانت عاقبتهم العذاب وهذا الخطاب وان كان ظاهره مع النبى
صلى الله عليه وسلم الا ان المقصود منه خطاب الكفار لانهم سمعوا بالاخبار ما جرى على قوم نوح وعاد
وثمود وغيرهم من انواع العذاب فان لم يعلموا ذلك فلا اقل من ظن وخوف يحتمل ان يكون زاجرا
لهم عن كفرهم وقوله تعالى ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء من المنذرين استثناء منقطع لانه وعيد
وهم لا يدخلون فى هذا الوعيد وقيل استثناء من قوله تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين
والمراد بالمخلصين الموحدون نجوا من العذاب وتقدمت القراءة فى المخلصين ثم شرع تعالى
فى تفصيل القصص بعد اجمالها بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ اى نادى ربه ان ينجيه مع من نجى من الغرق
بقوله رب انى مغلوب فانتصر فاجاب الله تعالى دعاءه وقوله تعالى ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ جواب
قسم مقدر اى فوالله ومثله لعمرى لنعم السيدان وجدتما والمخصوص بالمدح محذوف اى نحن
اجبنا دعاءه واهلكنا قومه ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ اى من الغرق واذى قومه وهذه الاجابة
كانت من النعم العظيمة وذلك من وجوه اولها انه تعالى عبر عن ذاته بصيغة الجمع فقال ولقد
نادانا نوح فالقادر العظيم لا يليق به الا الاحسان العظيم وثانيها انه تعالى اعاد صيغة الجمع فقال
تعالى فلنعم المجيبون وفى ذلك ايضا ما يدل على تعظيم تلك النعمة لا سيما وقد وصف الله تعالى تلك
الاجابة بانها نعمت الاجابة وثالثها ان الفاء فى قوله تعالى فلنعم المجيبون تدل على ان حصول تلك
الاجابة مرتب على ذلك النداء وهذا يدل على ان النداء بالاخلاص سبب لحصول الاجابة وقوله
تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ يفيد الحصر وذلك يدل على ان كل من سواه وسوى ذريته قد فنوا

فالناس كلهم من نسله عليه السلام قال ابن عباس رضی الله عنه ذريته بنوه الثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزرج ويأجوج ومأجوج وما هنالك قال ابن عباس رضی الله عنهما لما خرج نوح من السفينة مات كل من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ اى ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيمة وقيل ان نصلى عليه الى يوم القيمة وقوله تعالى سَلٰمٌ عَلٰى نُوحٍ مبتدأ وخبر وفيه اوجه احدها انه مفسر لتركنا والثانى انه مفسر لمفعوله اى تركنا عليه ثناء وهو هذا الكلام وقيل ثم قول مقدر اى فقلنا سلام وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقيل سلط تركنا على ما بعده فِي الْعٰلَمِينَ متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية فى الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ تعليل لما فعل بنوح عليه السلام من التكرمة بانه مجازاة له اى انما خصصناه بهذه التشريفات الرفيعة من جعل الدنيا مملوءة من ذريته ومن تبقية ذكره الحسن فى السنة العالمين لاجل كونه محسنا وقوله تعالى إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ كفار قومه القصة الثانية قصة ابرهيم عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ اى ممن شايعه فى الايمان واصول الشريعة لَإِبْرٰهِيمَ ولا يبعد اتفاق شرعهما فى الفروع او غالبا وقال الكلبى الضمير يعود على محمد صلى الله عليه وسلم اى وان من شيعة محمد صلى الله عليه وسلم لابراهيم عليه الصلوة والسلام والشيعة قد تطلق على المتقدم كقول القائل ؎ وما لى الا آل احمد شيعة ومالى الا مذهب الحق مذهب فجعل آل احمد وهم متقدمون عليه وهو تابع لهم شيعة له قاله الفراء والمعروف ان الشيعة تكون فى المتأخر قالوا كان بين نوح وابراهيم نبيان هود وصالح وذكر الزمخشرى انه كان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة وفى العامل فى قوله تعالى إِذْ جَاءَ رَبَّهُ وجهان احدهما اذكر مقدرا وهو المعروف والثانى قال الزمخشرى ما فى معنى الشيعة من معنى المشايعة يعنى وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه ورد هذا ابو حيان قال لان فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبى وهو لابراهيم لانه اجنبى من شيعته ومن اذ واختلف فى قوله عز وجل بِقَلْبٍ سَلِيمٍ فقال مقاتل والكلبى المعنى انه سليم من الشرك لانه انكر على قومه الشرك وقال الاصوليون معناه انه عاش ومات على طهارة القلب من كل معصية وقوله تعالى إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ بدل من اذ الاولى او ظرف لسليم او لجاء وقوله تعالى لهم مَاذَا اى ما الذى تَعْبُدُونَ استفهام توبيخ وتهجين لتلك الطريقة وتقبيحها وفى قوله أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللّٰهِ تُرِيدُونَ اوجه من الاعراب احدها ان مفعول من اجله اى اتريدون آلهة دون الله افكا فآلهة مفعول به ودون ظرف لتريدون وقدمت معمولات الفعل اهتماما بها وحسنه كون العامل رأس فاصلة قدم المفعول من اجله على المفعول به

اهتماما به لانه مكافح لهم بانهم على افك وباطل وبهذا الوجه بدأ الزمخشري الثاني ان يكون مفعولا به بتريدون ويكون آلهة بدلا منه جعلها نفس الافك مبالغة فابدلها منه وفسره بها واقتصر على هذا ابن عطية الثالث انه حال من فاعل تريدون اى اتريدون آلهة آفكين او ذوى افك واليه نحا الزمخشري واعترضه ابو حيان بان جعل المصدر حالا لا يطرد الا مع نحو اما علما فعالم والافك اسوأ الكذب فما ظنكم اى اتظنون برب العالمين انه جوز جعل هذه الجمادات مشاركة له فى العبودية او تظنون برب العالمين انه من جنس هذه الاجسام حتى جعلتموها مساوية له فى العبودية فنبههم بذلك على انه ليس كمثله شئ او فما ظنكم برب العالمين اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره انه يترككم بلا عذاب لا وكانوا نجامين فخرجوا الى عيد لهم وتركوا طعامهم عند اصنامهم زعموا التبرك عليه فاذا رجعوا اكلوه وقالوا للسيد ابراهيم عليه الصلوة والسلام اخرج فنظر نظرة فى النجوم ايهاما لهم انه يعتمد عليها فيتبعوه فقال انى سقيم اى عليل وذلك انه اراد ان يكايدهم فى اصنامهم ليلزمهم الحجة فى انها غير معبودة واراد ان يتخلف عنهم ليبقى خاليا فى بيت الاصنام فيقدر على كسرها فان قيل النظر فى علم النجوم غير جائز فكيف اقدم ابراهيم عليه السلام عليه وايضا لم يكن سقيما فكيف اخبرهم بخلاف حاله اجيب عن ذلك بانا لا نسلم ان النظر فى علم النجوم والاستدلال بها حرام لان من اعتقد ان الله تعالى خص كل واحد من هذه الكواكب بطبع وخاصة لاجلها يظهر منه اثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل واما الكذب فغير لازم لان قوله انى سقيم على سبيل التعريض بمعنى ان الانسان لا ينفك فى اكثر احواله عن حصول حالة مكروهة اما فى بدنه واما فى قلبه وكل ذلك سقم وعلى تقدير تسليم ذلك اجيب باوجه احدها ان نظره فى النجوم اى فى اوقات الليل والنهار وكانت تاتيه الحمى فى بعض ساعات الليل والنهار فنظر ليعرف هل هى تلك الساعة فقال انى سقيم فجعله عذرا فى تخلفه عن العيد الذى لهم فكان صادقا فيما قال لان السقم كان ياتيه فى ذلك الوقت ثانيها انهم كانوا اصحاب النجوم اى يعظمونها ويقضون بها على امورهم فلذلك نظر ابراهيم فى النجوم اى فى علم النجوم كما تقول نظر فلان فى الفقه اى فى علم الفقه فاراد ابراهيم ان يوهمهم انه نظر فى علمهم وعرف منه ما يعرفونه حتى اذا قال لهم انى سقيم سكنوا الى قوله واما قوله انى سقيم فمعناه سأسقم كقوله تعالى انك ميت اى ستموت ثالثها ان نظره فى النجوم هو قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الى الآيات فكان نظره لتعرف هذه الكواكب هل هى قديمة او حادثة وقوله انى سقيم اى سقيم القلب غير عارف بربى وكان ذلك قبل بلوغه رابعها قال ابن زيد كان له نجم مخصوص وكلما طلع على صفة مخصوصة مرض ابراهيم فلهذا الاستقراء لما رآه فى تلك الحالة المخصوصة قال انى سقيم اى هذا السقم واقع لا محالة خامسها ان قوله انى سقيم اى مريض القلب بسبب اطباق ذلك الجمع العظيم على الكفر والشرك كقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلعلك باخع نفسك سادسها قال الرازى قال بعضهم ذلك القول

ابراهيم عليه السلام كذبة واوردوا فيه حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما كذب ابراهيم
الا ثلاث كذبات قلت لبعضهم هذا الحديث لا ينبغي ان ينقل اذ فيه نسبة الكذب الى ابراهيم عليه
السلام فقال ذلك الرجل فكيف نحكم بكذب الراوي العدل فقلت له لما وقع التعارض بين نسبة
الكذب الى الراوي وبين نسبة الكذب الى الخليل كان من المعلوم بالضرورة ان نسبة الكذب
الى الراوي اولى ثم نقول لم لا يجوز ان يكون المراد بقوله فنظر نظرة في النجوم اي نجوم كلامهم ومتفرقات
اقوالهم فان الاشياء التي تحدث قطعة قطعة يقال انها منجمة اي مفرقة ومنه نجوم المكاتب
والمعنى انه لما سمع كلماتهم المتفرقة نظر فيها حتى يستخرج منها حيلة يقدر بها على اقامة عذر لنفسه
في التخلف عنهم فلم يجد عذرا احسن من قوله اني سقيم والمراد انه لا بد من ان يصير سقيما كما تقول
لمن رايته يتجهز للسفر انك مسافر + ولما قال اني سقيم تولوا عنه كما قال تعالى ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ اي
الى عيدهم ﴿مُدْبِرِينَ﴾ اي هاربين مخافة العدوى فتركوه وعذروه في عدم الخروج الى عيدهم
﴿فَرَاغَ﴾ اي مال في خفية واصله من روغان الثعلب وهو تردده وعدم ثبوته بمكان ولا يقال
راغ حتى يكون صاحبه مخفيا لذهابه ومجيئه ﴿إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ﴾ وعندها الطعام ﴿فَقَالَ﴾ استهزاء بها ﴿أَلَا
تَأْكُلُونَ﴾ اي الطعام الذي كان بين ايديهم فلم ينطقوا فقال استهزاء بها ايضا ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾
فلم تجب ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾ اي مال عليهم مستخفيا وقوله تعالى ﴿ضَرْبًا﴾ مصدر واقع موقع الحال اي فراغ
عليهم ضاربا او مصدر لفعل وذلك الفعل حال تقديره فراغ يضربهم ضربا وقوله تعالى ﴿بِالْيَمِينِ﴾ متعلق
بضربا ان لم تجعله مؤكدا والا فبعامله واليمين يجوز ان يراد بها احدى اليدين وهو الظاهر وان يراد
بها القوة واقتصر عليه الجلال المحلي فالباء على هذا للحال اي متلبسا بالقوة وان يراد بها الحلف
وفاء بقوله وتالله لاكيدن اصنامكم والباء على هذا للسبب وعدى راغ الثاني بعلى لما كان مع الضرب
المستولي من فوقهم الى اسفلهم بخلاف الاول فانه مع توبيخ لهم واتى بضمير العقلاء في قوله تعالى
عليهم ضربا على ظن عبدتها انها كالعقلاء ثم انه عليه السلام كسرها فبلغ قومه من رآه ذلك ﴿فَأَقْبَلُوا
إِلَيْهِ﴾ اي الى ابراهيم بعد ما رجعوا فرأوا اصنامهم مكسرة ﴿يَزِفُّونَ﴾ اي يسرعون المشي وقرأ حمزة
بضم الياء على البناء للمفعول من ازفه اي يحملون على الزفيف والباقون بفتحها من زف يزف
فقالوا نحن نعبدها وانت تكسرها ﴿قَالَ﴾ لهم توبيخا ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ اي من الحجارة وغيرها
اصناما ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ اي نحتكم ومنحوتكم فاعبدوه وحده + تنبيه + دلت هذه الآية على
مذهب الاشعرية وهو ان فعل العبد مخلوق الله عز وجل وهو الحق وذلك لان النحويين اتفقوا
على ان لفظ ما مع ما بعده في تقدير المصدر فقوله تعالى وما تعملون معناه وعملكم وعلى هذا
فيصير معنى الآية والله خلقكم وخلق عملكم + ولما اورد عليهم الحجة القوية ولم يقدروا على الجواب
عدلوا الى طريقة الايذاء لئلا يظهر للعامة عجزهم بان ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ قال ابن عباس رضي
الله عنهما بنوا حائطا من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه نارا

فطرحوه فيها وذلك هو قوله تعالى فألقوه في الجحيم وهي النار العظيمة قال الزجاج كل نار بعضها فوق
بعض فهي جحيم فأرادوا به كيدا أي شرا بإلقائه في النار لتهلكه فجعلناهم الأسفلين أي المقهورين
الأذلين بإبطال كيدهم وجعلناه المستعلي برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعلنا النار عليه بردا وسلاما
وخرج منها سالما وقال إني ذاهب إلى ربي أي إلى حيث أمرني ربي ونظيره قوله تعالى وقال
إني مهاجر إلى ربي أي مهاجر إليه من دار الكفر سيهدين أي إلى ما فيه صلاح ديني أو إلى
مقصدي وهو الشام وإنما بت القول لسبق وعده أو لفرط توكله أو للبناء على عادته تعالى
معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل فلذلك
ذكر بصيغة التوقع ولما وصل إلى الأرض المقدسة قال رب هب لي من الصالحين أي هب لي
ولدا صالحا يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة لأن لفظ هب غلب في الولد وإن
كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا قال الله تعالى فبشرناه
بغلام حليم أي ذي حلم كثير في كبره غلام في صغره ففيه بشارة بأنه ابن وأنه يعيش وينتهي إلى سن
يوصف بالحلم وأي حلم أعظم من أنه عرض عليه أبوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني إن شاء الله من
الصابرين وقيل ما وصف الله تعالى نبيا بالحلم لعزة وجوده غير إبراهيم وابنه إسمعيل عليهما الصلاة والسلام
وحالتهما المذكورة تشهد عليه فلما بلغ معه السعي أي أن يسعى معه قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة
بلغ معه السعي أي المشي معه إلى الجبل وقال مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما لما شب حتى بلغ سعيه
سعي إبراهيم والمعنى بلغ أن يتصرف معه ويعينه في عمله وقال الكلبي يعني العمل لله تعالى وكان
له يومئذ ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين تنبيه معه متعلق بمحذوف على سبيل البيان كأن
قائلا قال مع من بلغ السعي فقيل مع أبيه ولا يجوز تعلقه ببلغ لأنه يقتضي بلوغهما معا حد السعي ولا يجوز
تعلقه بالسعي لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه وقوله تعالى قال يا بني إني أرى أي رأيت في المنام
أني أذبحك يحتمل أنه رأى ذلك وأنه رأى ما هو تعبيره وقيل إنه رأى في ليلة التروية في منامه
كأن قائلا يقول له إن الله تعالى يأمرك بذبح ابنك فلما أصبح تروى في ذلك من الصباح إلى الرواح
أمن الله أم من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما أمسى رأى أيضا مثل ذلك فعرف أنه من الله
تعالى فسمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر وهذا قول أكثر المفسرين وهو
يدل على أنه رأى في المنام ما يوجب أن يذبح ابنه في اليقظة وعلى هذا فتقدير اللفظ أرى في المنام
ما يوجب أني أذبحك تنبيه اختلف في الذبيح فقيل هو إسحق عليه السلام وبه قال عمر وعلي
وابن مسعود رضي الله عنهم وغيرهم وقيل إسمعيل وبه قال ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب رضي الله
عنهم وغيرهم وهو الأظهر كما قاله البيضاوي لأنه الذي وهب له إثر الهجرة ولأن البشارة بإسحق
بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين فقال الأعرابي
يا ابن الذبيحين فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم فسئل عن ذلك فقال إن عبد المطلب لما حفر بئر

زمزم ثم بدا له ان سهل الله امرها لينحرن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له
افد ابنك بمائة من الابل ولذلك سنت الابل مائة والذبيح الثانى اسمعيل ونقل الاصمعى انه قال
سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعى اين عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل
بمكة وهو الذى بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة وقد وصف الله تعالى اسمعيل عليه السلام بالصبر دون
اسحق عليه السلام فى قوله تعالى واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح
ووصفه ايضا بصدق الوعد فقال انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح
فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف
تقع البشارة باسحق وانه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح اسحق وهو صغير قبل ان يولد له هذا ينافى
البشارة المتقدمة وقال الامام احمد بن حنبل الصحيح ان الذبيح اسمعيل عليه السلام وعليه جمهور العلماء
من الخلف والسلف قال ابن عباس وزعمت اليهود انه اسحق عليه السلام وكذبت اليهود وروى انه
صلى الله عليه وسلم سئل اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق
ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من
الراوى وما روى ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقال محمد بن اسحق كان ابراهيم
عليه السلام اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة
فيبيت عند اهله بالشام حتى بلغ اسمعيل معه السعى امر فى المنام ان يذبحه قال مقاتل راى ذلك ابراهيم
عليه السلام ثلاث ليال متتابعات فلما تيقن ذلك قال لابنه فانظر ماذا ترى من الرأى فشاوره ليأنس
بالذبح وينقاد للامر به قال ابن اسحق وغيره لما امر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بنى خذ الحبل والمدية
وانطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه فى الشعب شعب ثبير اخبره بما امر قال يا أبت افعل
ما تؤمر اى ما امرت به ستجدنى ان شاء الله من الصابرين اى على ذلك وقرأ يا بنى حفص بفتح الياء والباقون
بالكسر وقرأ انى اذبحك نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون وقرأ ماذا ترى حمزة والكسائى بضم التاء
وكسر الراء والباقون بفتحهما والحكمة فى مشاورته فى هذا الامر ليظهر له صبره فى طاعة الله تعالى فيكون
فيه قرة عين لابراهيم حيث يراه قد بلغ فى الحكمة الى هذا الحد العظيم والصبر على اشد المكاره الى هذه
الدرجة العالية ويحصل للابن الثواب العظيم فى الآخرة والثناء الحسن فى الدنيا وقرأ يا ابت ابن عامر
فى الوصل بفتح التاء وكسرها الباقون والتاء عوض عن ياء الاضافة ووقف عليها بالهاء ابن كثير
وابن عامر ووقف الباقون بالتاء والرسم بالتاء وفتح ياء ستجدنى فى الوصل نافع وسكنها الباقون
فلما اسلما اى انقادا وخضعا لامر الله وقال قتادة اسلم ابراهيم ابنه واسلم الابن نفسه وتله
للجبين اى صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبى الجبهة والجبهة بين الجبينين
وشذ جمعه على اجبن وقياسه فى القلة اجبنة كارغفة وفى الكثرة جبن وجبينات كرغيف
ورغف ورغفان وقيل انه لما اراد ذبحه قال يا ابت اشدد رباطى حتى لا اضطرب فينقص

اجري واكفف عن ثيابي حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء وتراه امي فتحزن حزنا طويلا واشحذ شفرتك
واسرع مرّ السكين على حلقي ليكون اهون عليّ فان الموت شديد واذا اتيت امي فاقرأ عليها السلام
مني وان رأيت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها عني فقال له ابراهيم نعم
العون انت يا بنيّ على امر الله تعالى ففعل ابراهيم ما امره ابنه ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو
يبكي والابن يبكي ثم انه وضع السكين على حلقه فلم تحك شيئا ثم انه شحذها مرتين او ثلاثا بالحجر كل
ذلك لا يستطيع ان يقطع شيئا قال السدي ضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه قال فقال
الابن عند ذلك يا ابت كبّني على وجهي لجبيني فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رحمة
تحول بينك وبين امر الله وانا لا انظر الشفرة فاجزع ففعل ذلك ابراهيم ووضع السكين على قفاه فانقلبت
السكين وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا اي بالعزم والاتيان بالمقدمات ما امكنك تنبيه
في جواب لما ثلاثة اوجه اظهرها انه محذوف اي نادته الملائكة عليهم السّلام او ظهر صبرهما
او اجزلنا لهما اجرهما وقدره بعضهم بعد الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال والوصف مما
لا يدرك كنهه ونقل ابن عطية ان التقدير فلما اسلما اسلما وتله للجبين وهذا مذهب سيبويه وشيخه
الخليل الثاني انه وتله للجبين والواو زائدة وهو قول الكوفيين والاخفش الثالث انه وناديناه والواو
زائدة ايضا واقتصر على هذا الجلال المحلي وروى ابو هريرة عن كعب الاحبار ان ابراهيم عليه السّلام
لما رأى ذبح ولده قال الشيطان لئن لم افتن آل ابراهيم عند هذا لم افتن احدا منهم ابدا فتمثل الشيطان
في صورة رجل واتى ام الغلام وقال هل تدرين اين يذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به يحتطبان
من هذا الشعب قال والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو ارحم به واشد حبا له من ذلك قال
انه يزعم ان الله امره بذلك قالت فان كان ربه امره بذلك فقد احسن ان يطيع ربه فخرج من
عندها الشيطان ثم ادرك الابن وهو يمشي على اثر ابيه فقال له يا غلام هل تدري اين يذهب
بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال والله ما يريد الا ان يذبحك قال ولم قال زعم
ان ربه امره قال فليفعل ما امره به ربه فسمع وطاعة فلما امتنع منه الغلام اقبل على ابراهيم فقال له اين تريد
ايها الشيخ قال اريد هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني لارى الشيطان قد جاءك في منامك
فامرك بذبح ولدك هذا فعرفه ابراهيم فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فرجع
ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم وآله شيئا كما اراد الله عز وجل وروى ابو الطفيل عن ابن عباس رضي
الله عنه ان ابراهيم عليه الصّلوة والسّلام لما امر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه
ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له
عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم ادركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى
ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله تعالى فنودي من الجبل ان يا ابراهيم قد صدّقت الرؤيا فان قيل لم قال تعالى
قد صدّقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح اجيب بانه جعله مصدقا لانه قد اتى بما امكنه

والمطلوب استسلامهما لامر الله تعالى وقد فعلا وقيل كان قد رأى في النوم معالجة الذبح ولم ير
اراقة الدم وقد فعل في اليقظة ما رآه في النوم ولذلك قال تعالى قد صدقت الرؤيا قال المحققون
السبب في هذا التكليف كمال طاعة ابراهيم لتكاليف الله تعالى فلما كلفه الله تعالى بهذه التكاليف
الشاقة الشديدة وظهر منه كمال الطاعة والانقياد لاجرم قال الله تعالى قد صدقت الرؤيا وقوله
تعالى إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ابتداء اخبار من الله تعالى والمعنى انا كما عفونا عن ذبح ولدك كذلك
نجزي من احسن في طاعتنا قال مقاتل جزاه الله تعالى باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه إِنَّ هَٰذَا
اي الذبح المامور به لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ اي الاختبار الظاهر الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم
والمحنة البينة الصعبة التي لا محنة اصعب منها وقال مقاتل البلاء ههنا النعمة وهو ان فدى ابنه
بالكبش كما قال تعالى وَفَدَيْنَاهُ اي المامور بذبحه وهو اسمعيل وهو الاظهر وقيل اسحق بِذِبْحٍ عَظِيمٍ
اي عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لان الله تعالى فدى به نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد
المرسلين عليه الصلوة والسلام وهو كبش اتى به جبريل عليه السلام من الجنة وهو الذي قربه
هابيل فقال لابراهيم هذا فداء ولدك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ولده وكبر جبريل وكبر
الكبش واخذ ابراهيم الكبش واتى به المنحر من منى فذبحه قال البغوي قال اكثر المفسرين كان ذلك
الذبح كبشا رعى في الجنة اربعين خريفا وقيل كان وعلا اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه عند الجمرة
فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة تنبيه الذبح مصدر ويطلق على ما يذبح وهو المراد في هذه
الاية وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ثناء حسنا وقوله تعالى سَلَامٌ اي منا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ سبق بيانه
في قصة نوح عليهما السلام كَذَٰلِكَ اي كما جزيناه نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ لانفسهم وقوله تعالى إِنَّهُ مِنْ
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره وقوله تعالى وَبَشَّرْنَاهُ
بِإِسْحَاقَ فيه دليل على ان الذبيح غيره وقد مرت الاشارة الى ذلك وقوله تعالى نَبِيًّا حال مقدرة اي
يوجد مقدرا نبوته وقوله تعالى مِنَ الصَّالِحِينَ يجوز ان يكون صفة لنبيا وان يكون حالا من الضمير
في نبيا فتكون حالا متداخلة ويجوز ان تكون حالا ثانية ومن فسر الذبيح باسحق عليه السلام جعل
المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها
معنى الكمال والتكميل وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ اي على ابراهيم عليه السلام بتكثير ذريته وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ
بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهم السلام فجميع الانبياء بعده
من صلبه الا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه من ذرية اسمعيل عليه السلام وفيه اشارة الى انه
مفرد علم فهو صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء عليهم الصلوة والسلام وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ اي
مؤمن طائع وَظَالِمٌ اي كافر وفاسق لِنَفْسِهِ مُبِينٌ اي ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له
في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب لا غير ذلك والله اعلم القصة
الثالثة قصة موسى وهرون عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ

اى امنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما اى بنى اسرائيل من
الكرب اى الغم العظيم اى الذى كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل من الغرق والضمير
فى قوله تعالى ونصرناهم يعود على موسى وهرون وقومهما وقيل على الاثنين بلفظ الجمع تفخيما
كقوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء وقول الشاعر * فان شئت حرمت النساء سواكم * فكانوا هم
الغالبين اى على فرعون وقومه فى كل الاحوال اما فى اول الامر فبظهور الحجة واما فى آخر الامر
فبالدولة والرفعة * تنبيه * يجوز فى هم ان يكون تاكيدا وان يكون بدلا وان يكون فصلا وهو
الاظهر وآتيناهما الكتاب المستبين اى المستنير البليغ البيان المشتمل على جميع العلوم المحتاج اليها
فى مصالح الدين والدنيا وهو التوراة كما قال تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور وهديناهما
الصراط المستقيم اى دللناهما على الطريق الموصل الى الحق والصواب عقلا وسمعا وتركنا اى ابقينا
عليهما ثناء حسنا فى الآخرين سلام اى منا على موسى وهرون انا كذلك اى كما
جزيناهما نجزى المحسنين وقوله تعالى انهما من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانهما
بالايمان واظهار لجلالة قدره واصالة امره * القصة الرابعة قصة الياس عليه السلام المذكورة
فى قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال الياس هو ادريس وهو
قول عكرمة وقال اكثر المفسرين هو نبى من انبياء بنى اسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع
عليهما السلام وقال محمد بن اسحق هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران
عليهما السلام * تنبيه * اذكر فيه شيئا من قصته عليه السلام قال علماء السير والاخبار لما قبض الله تعالى
حزقيل النبى عليه السلام عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام
وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى عز وجل اليهم الياس نبيا وكانت الانبياء من
بنى اسرائيل يبعثون بعد موسى عليه السلام بتجديد ما نسوا من احكام التوراة وبنو اسرائيل كانوا
متفرقين فى ارض الشام وكان سبب ذلك ان يوشع بن نون عليه السلام لما فتح الشام قسمها على بنى اسرائيل
واحل سبطا منها ببعلبك ونواحيها وهم السبط الذين كان منهم الياس فبعثه الله تعالى اليهم نبيا
وعليهم يومئذ ملك اسمه لاجب وكان اضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان لهم صنم طوله عشرون
ذراعا وله اربعة وجوه وكان يسمى بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له اربعمائة سادن فخادم
وكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويبلغونها الناس
وهم اهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من
امر الملك فانه آمن به وصدقه فكان الياس يقوم بامره ويسدده ويرشده وكان للملك امرأة
تسمى ازبيل جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب عنهم فى غزاة او غيرها وكانت تبرز للناس
تقضى بينهم وكانت قتالة للانبياء ويقال انها هى التى قتلت يحيى بن زكريا عليهما السلام وكان لها كاتب
رجل مؤمن حكيم يكتم ايمانه وكان قد خلص من يدها ثلثمائة نبى كانت تريد قتلهم اذا بعث كل

منهم سوى الذين قتلتهم وكانت فى نفسها غير محصنة وكانت قد تزوجت سبعة من ملوك بنى اسرائيل
وقتلتهم كلهم بالاغتيال وكانت معمرة يقال انها ولدت سبعين ولدا وكان لاجب هذا جار رجل
صالح يقال له مزدكى وكان له جنينة يعيش منها وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامرأته وكانا
يشرفان عليها يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها وكان الملك يحسن جوار صاحبها
مزدكى ويحسن اليه وامرأته ازميل تحسده لاجل تلك الجنينة وتحتال ان تغصبها منه لما تسمع الناس
يكثرون ذكرها ويتعجبون من حسنها وتحتال ان تقتله والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد عليه سبيلا
ثم انه اتفق خروج الملك الى مكان بعيد وطالت غيبته فاغتنمت امرأته ازميل ذلك فجمعت جماعة من
الناس وامرتهم انهم يشهدون على مزدكى انه سب زوجها لاجب فاجابوها اليه وكان فى حكمهم
فى ذلك الزمان القتل على من سب الملك اذا قامت عليه البينة فاحضرت مزدكى وقالت له بلغنى
انك شتمت الملك فانكر فاحضرت الشهود فشهدوا عليه بالزور فامرت بقتله واخذت جنينته
فلما قدم الملك من سفره اخبرته الخبر فقال لها ما اصبت ولا ارى نفلح بعده فقد جاورنا منذ زمان
فاحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فختمت امره باسوأ الجوار قالت انما غضبت لك
وحكمت بحكمك فقال لها اوما كان يسعه حلمك فتحفظين جواره قالت قد كان ما كان فبعث الله
الياس الى لاجب الملك وامره الله ان يخبرهم ان الله تعالى قد غضب عليهم لوليه حين قتلوه ظلما
وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة مزدكى ان يهلكهما يعنى
لاجب وامرأته فى جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقيين فيها حتى تتفرق عظامهما من
لحومهما ولا يتمتعان بها الا قليلا فجاء الياس فاخبر الملك بما اوحى الله فى امره وامرأته والجنينة
فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما ارى ما تدعونا اليه الا باطلا وهم
بتعذيبه وقتله فلما احس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل وارتقى
الياس الى اصعب جبل واشمخه فدخل مغارة فيه ويقال انه بقى سبع سنين شريدا خائفا يأوى الشعوب
والكهوف يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم فى طلبه قد وضعوا العيون عليه والله تعالى يستره
منهم فلما طال الامر على الياس وطال عصيان قومه وضاق بذلك ذرعا اوحى الله تعالى اليه بعد سبع
سنين يا الياس ما هذا الخوف الذى انت فيه الست امينى على وحيى وحجتى فى ارضى وصفوتى
من خلقى فسلنى اعطك فانى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال تميتنى فتلحقنى بآبائى
فانى قد مللت بنى اسرائيل وملونى فاوحى الله تعالى اليه يا الياس ما هذا اليوم الذى اعرى منك
الارض واهلها وانما قوامها وصلاحها بك واشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلنى فاعطك قال
الياس ان لم تمتنى فاعطنى ثارى من بنى اسرائيل قال الله تعالى واى شئ تريد ان اعطيك قال
تمكننى من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشئ سحابة عليهم الا بدعوتى ولا تمطر عليهم سبع سنين
قطرة الا بشفاعتى فانهم لا يذكرهم الا ذلك قال الله تعالى يا الياس انا ارحم بخلقى من ذلك وان كانوا

ظالمين قال فست سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك قال فخمس سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك ولكن
اعطيك ثلاث سنين اجعل خزائن المطر بيدك قال فبأي شيء اعيش قال اسخر لك جيشا من
ينقل اليك طعامك وشرابك من الريف ومن الارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك
الله تعالى عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا عظيما والياس على حالته
مستخف من قومه يوضع له الرزق حيثما كان وقد عرف ذلك قومه قال ابن عباس اصاب
بني اسرائيل ثلاث سنين القحط فمر الياس بعجوز فقال لها هل عندكم طعام قالت نعم شيء من دقيق
وزيت قليل فدعا بهما ودعا فيه بالبركة حتى ملأ جرابها دقيقا وخوابيها زيتا فلما رأوا ذلك عندها
قالوا لها من اين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا ثم وصفته بصفته فعرفوه وقالوا
ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه اوى الى بيت امرأة من بني اسرائيل لها ابن يقال له
اليسع بن اخطوب به مرض فآوته واخفت امره فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع الياس
وآمن به وصدقه ولزمه وكان يذهب حيثما ذهب وكان الياس قد كبر سنه واليسع غلام شابا
ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس انك قد اهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم والطير
والهوام بحبس المطر فقال الياس يا رب دعني انا الذي اكون ادعو لهم واتيهم بالفرج مما هم فيه
من البلاء لعلهم ان يرجعوا عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل
فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وقد هلكت البهائم والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على
باطل فان كنتم تحبون ان تعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان
هي لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوتم الله سبحانه وتعالى ففرج عنكم ما انتم فيه من البلاء
قالوا انصفت فخرجوا باوثانهم فدعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ثم قالوا لالياس انا
قد هلكنا فادع الله لنا فدعا لهم الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على
ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم ارسل الله تعالى عليهم المطر فاغاثهم
وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم المطر لم ينزعوا عن كفرهم واقاموا على اخبث ما كانوا عليه
فلما رأى ذلك الياس دعا ربه ان يريحه منهم فقيل له انظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه الى موضع كذا فما جاءك
من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذي امر به اقبل فرس من
نار وقيل لونه كلون النار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس وانطلق به الفرس وناداه اليسع يا الياس
ما تأمرني فقذف اليه بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل
وكان ذلك آخر عهده لابه ورفع الله تعالى الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب
وكساه الريش فكان انسيا ملكيا ارضيا سماويا وسلط الله تعالى على لاجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم
من حيث لم يشعروا به حتى ارهقهم فقتل لاجب وامرأته ازبيل في بستان مزدكي فلم تزل جيفتاهما
ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله تعالى اليسع وبعثه رسولا الى

بني اسرائيل فاوحى الله تعالى اليه وايده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم
قائم الى ان فارقهم اليسع روى السري بن يحيى عن عبد العزيز بن ابي رواد قال الياس والخضر
يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان موسم الحج في كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافي
والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين اذ اي اذكر يا افضل الخلق اذ قال
لقومه الا تتقون اي الا تخافون الله ولما خوفهم على سبيل الاجمال ذكر ما هو السبب لذلك التخويف
بقوله تعالى أتدعون بعلا اسم لصنم لهم من ذهب وبه سميت البلد ايضا مضافا الى بك اي
أتعبدونه او تطلبوا الخير منه وقيل البعل الرب بلغة اليمن سمع ابن عباس رجلا منهم ينشد ضالة
فقال آخر انا بعلها فقال الله اكبر وتلا الآية ويقال من بعل هذه الدار اي من ربها وسمي الزوج
بعلا لهذا المعنى قال الله تعالى وبعولتهن احق بردهن وقالت امرأة ابراهيم وهذا بعلي شيخا والمعنى
أتدعون بعض البعول وتذرون اي وتتركون احسن الخالقين فلا تعبدونه وقرأ ابن ذكوان
بهمزة الوصل من الياس في الوصل فان ابتدأ بها ابتدأ بفتحها والباقون بهمزة مكسورة وصلا
وابتداء وقوله تعالى الله ربكم ورب آبائكم الاولين قرأه حفص وحمزة والكسائي بنصب الهاء
من الاسم الكريم ونصب الباء الموحدة من ربكم ورب وذلك اما على المدح او البدل او البيان
ان قلنا ان اضافة افعل اضافة محضة والباقون بالرفع في الثلاثة وذلك اما على خبر مبتدأ مضمر
اي هو الله او على ان الجلالة مبتدأ وما بعده الخبر فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب انما
اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا وقوله تعالى الا عباد الله المخلصين
اي المؤمنين مستثنى من فاعل فكذبوه وفيه دلالة على ان في قومه من لم يكذبه فلذلك استثنوا
ولا يجوز ان يكونوا مستثنين من ضمير لمحضرون لفساد المعنى لانه يلزم ان يكونوا مندرجين فيمن
كذب لكنهم لم يحضروا لكونهم عباد الله المخلصين وهو بين الفساد لا يقال هو مستثنى منه
استثناء منقطعا لانه يصير المعنى لكن عباد الله المخلصين من غير هؤلاء لم يحضروا ولا حاجة الى هذا
اذ به يفسد نظم الكلام وتقدم الكلام على قراءة المخلصين في اول السورة وتركنا عليه في الآخرين
ثناء حسنا سلام اي منا وقوله تعالى على آل ياسين قرأه نافع وابن عامر بفتح الهمزة والمد وبعده كسر
اللام وقطعها عن الياء كما رسمت اي اهله والمراد به الياس والباقون بكسر الهمزة وسكون اللام
وهي مقطوعة عن الياء قيل هو الياس المتقدم وقيل هو ومن آمن معه فجمعوا معه تغليبا كقولهم
للمهلب وقومه المهلبون وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم او القرآن او غيره من كتب الله
تعالى قال البيضاوي والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين
اي كما جزيناه انه من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس القصة الخامسة قصة لوط عليه
السلام المذكورة في قوله تعالى وان لوطا لمن المرسلين اذ اي واذكر اذ نجيناه واهله اجمعين الا
عجوزا في الغابرين اي الباقين في العذاب ثم دمرنا اي اهلكنا الآخرين اي كفار قومه

وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم مصبحين اى على منازلهم فى متاجركم الى الشام فان سدوم فى طريقه
وقوله تعالى وباليل عطف على الحال قبلها اى ملتبسين بالليل والمعنى ان اولئك القوم كانوا
يمرون الى الشام والمسافر فى اكثر الامر انما يمشى فى اول الليل وفى اول النهار فلهذا السبب
عبر الله تعالى عن هذين الوقتين ثم قال تعالى افلا تعقلون ع اى اليس فيكم عقل يا اهل مكة فتنظروا
ما حل بهم فتعتبروا + القصة السادسة وهى آخر القصص قصة يونس عليه السلام المذكورة فى
قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين وقوله تعالى اذ ابق ظرف للمرسلين اى هو من المرسلين
حتى فى هذه الحالة وابق اى هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن
ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون اى السفينة المملوءة قال ابن عباس رضى الله عنهما ووهب
كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمتشوّر منهم فقصد البحر فركب السفينة فقال
الملاحون ههنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال يونس انا الآبق فزج
نفسه فى البحر وروى فى القصة انه لما وصل الى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاء مركب واراد
ان يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب ومر المركب ثم جاءت
موجة اخرى فاخذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فاخذ ابنه الاصغر فبقى فريدا فجاءت مركب اخر
فركبها فقعد ناحية من القوم فلما جرت السفينة فى البحر ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا
لم يحصل وقوف السفينة لما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فخرجت القرعة على سهمه
فقالوا نغرقه فان تغريق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فذلك قوله تعالى
فساهم اى قارع اهل السفينة فكان من المدحضين اى المغلوبين بالقرعة فالقوه فى البحر فالتقمه
ابتلعه الحوت وهو مليم اى آت بما يلام عليه من ذهابه الى البحر وركوبه السفينة بلا اذن من ربه
وقيل مليم نفسه فلولا انه كان من المسبحين اى الذاكرين قبل ذلك وكان عليه السلام كثير الذكر
وقال ابن عباس رضى الله عنهما من المصلين وقال وهب من العابدين وقال الحسن ما كانت له
صلوة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا قال الضحاك شكر الله تعالى له طاعته القديمة اذكر الله
فى الرخاء يذكرك فى الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا لله تعالى فلما وقع فى الشدة فى بطن الحوت
شكر الله تعالى له ذلك وقال سعيد بن جبير يعنى قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين
للبث فى بطنه الى يوم يبعثون اى صار بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة وهو حى او ميت وفى ذلك نصف
حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه فى السراء اخذ بيده فى الضراء فنبذناه اى
القيناه من بطن الحوت فاضاف النبذ الى نفسه سبحانه مع ان النبذ انما حصل بفعل الحوت فهو
يدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى بالعراء اى بوجه الارض وقال السدى بالساحل والعراء
الارض الخالية من الشجر والنبات وروى ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس
فيه يونس ويسبح الله تعالى حتى انتهى الى الارض فلفظه + تنبيه + اختلفت فى مسألة

لبثه فى بطن الحوت فقال الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطن الحوت وقال بعضهم التقمه بكرة ولفظه عشية وقال مقاتل بن حيان ثلاثة ايام وقال عطاء سبعة ايام وقال الضحاك عشرين وقيل شهرا وقيل اربعين يوما قال الرازى ولا ادرى باى دليل عينوا هذه المقادير وروى ابو بردة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سبح يونس فى بطن الحوت فسمع الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة فقال تعالى ذاك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر قالوا العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له فامر الحوت فقذفه بالساحل وروى ان يونس عليه السلام لما ابتلعه الحوت ابتلع الحوت حوت آخر اكبر منه فلما استقر فى جوف الحوت حسب انه قد مات فحرك جوارحه فتحركت فاذا هو حى فخر لله تعالى ساجدا وقال يا رب اتخذت لك مسجدا لم يعبدك احد فى مثله ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ اى عليل كالفرخ الممعوط ﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ﴾ اى له وقيل عنده ﴿شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ قال المبرد والزجاج اليقطين كل ما لم يكن له ساق من عود كالقثاء والقرع والبطيخ والحنظل وهو قول الحسن ومقاتل قال البغوى المراد هنا القرع على قول جميع المفسرين وروى الفراء انه قيل عند ابن عباس هو ورق القرع فقال ومن جعل القرع من بين الشجر يقطينا كل ورقة انشقت واشربت فهو يقطين فان قيل الشجر ما له ساق واليقطين مما لا ساق له كما قال تعالى والنجم والشجر يسجدان اجيب بان الله تعالى جعل لها ساقا على خلاف العادة فى القرع معجزة له عليه السلام ولو كان منبسطا على الارض لم يمكن ان يستظل به قال مقاتل بن حيان كان يونس عليه السلام يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشيا حتى اشتد لحمه ونبت شعره وروى ان يونس عليه السلام كان يسكن مع قومه فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقى سبطان ونصف وكان قد اوحى الله تعالى الى بنى اسرائيل اذا اسركم عدوكم او اصابتكم مصيبة فادعونى استجب لكم فلما نسوا ذلك واسروا اوحى الله تعالى بعد حين الى نبى من انبيائهم ان اذهب الى ملك هؤلاء الاقوام وقل له يبعث الى بنى اسرائيل نبيا فاختار من بنى اسرائيل يونس عليه السلام لقوته وامانته فقال يونس الله امرك بهذا قال لا ولكن امرت ان ابعث قويا امينا وانت كذلك فقال يونس فى بنى اسرائيل من هو اقوى منى فلم تبعثه فالح الملك عليه فغضب يونس منه وخرج حتى اتى بحر الروم فوجد سفينة مشحونة فحملوه فيها فلما اشرف على لجة البحر اشرفوا على الغرق فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل فى السفينة ما نراه فقال التجار قد جربنا مثل هذا فاذا رأيناه نقترع فمن خرجت عليه نغرقه فى البحر فلان يغرق واحد خير من غرق الكل فخرج من بينهم يونس فقال يا هؤلاء انا العاصى وتلفف فى كسائه ورمى بنفسه فالتقمه الحوت واوحى الله تعالى الى الحوت لا تكسر منه عظما ولا تقطع منه وصلا ثم ان الحوت خرج الى نيل مصر ثم الى بحر فارس ثم الى البطائح ثم الى دجلة وصعد به ورماه فى ارض نصيبين بالعراء وهو كالفرخ المنتوف لا شعر ولا لحم فانبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين فكان يستظل بها ويأكل من ثمرها حتى اشتد ثم ان الارضة اكلتها

فحزن يونس لذلك حزنا شديدا فقال يا رب كنت استظل تحت هذه الشجرة من الشمس والريح وامص
من ثمرها وقد سقطت فقال يا يونس تحزن على شجرة انبتت في ساعة ولا تحزن على مائة الف
او يزيدون تركتهم فانطلق اليهم فانطلق اليهم وذلك قوله تعالى وَأَرْسَلْنَاهُ اي بعد ذلك كقبله الى قوم
بنينوى من ارض الموصل إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ قال ابن عباس او بمعنى الواو وقال مقاتل
والكلبي بمعنى بل وقال الزجاج على الاصل بالنسبة للمخاطبين واختلفوا في مبلغ الزيادة فقال ابن عباس
ومقاتل كانوا عشرين الفا ورواه ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن بضعا
وثلاثين الفا وقال سعيد بن جبير سبعين الفا فَآمَنُوا اي الذين ارسل اليهم عند معاينة العذاب
الموعودين به فَمَتَّعْنَاهُمْ اي ابقيناهم ممتعين إِلَىٰ حِينٍ اي الى انقضاء آجالهم. تنبيه: قال البيضاوي
ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب
الشرائع الكبار واولي العزم من الرسل واكتفاء بالسلام الشامل لكل الرسل المذكورين
في آخر السورة. وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فَاسْتَفْتِهِمْ اي استخبر كفار مكة توبيخا لهم
أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ قال الزمخشري معطوف على مثله في اول السورة قال ابو حيان
واذا كانوا قد عدوا الفصل بجملة نحو كل لحما واضرب زيدا وخبزا من اقبح التراكيب فكيف بجمل
كثيرة وقصص متباينة فاجيب عنه بان الفصل وان كثر بين الجمل المتعاطفة مغتفر واما المثال
الذي ذكره فمن قبيل المفردات الا ترى كيف عطف خبزا على لحما وايضا الفاصل ليس باجنبي كما اشار
اليه البيضاوي بقوله امر رسوله اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره
جاء بما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امره صلى الله عليه وسلم باستفتائهم عن وجه
القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك
ضلالات اخر من التجسيم وتجويز البنات على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام المتكونة
الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه سبحانه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم
بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه العزيز وجعله مما تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه
الطائفة بهما ونقل الواحدي عن المفسرين انهم قالوا ان قريشا واجناس العرب جهينة وبني سلمة
وخزاعة وبني مليح قالوا الملائكة بنات الله وهذا الكلام يشتمل على امرين احدهما اثبات البنات لله
تعالى وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشيء الذي يستنكف منه المخلوق كيف
يمكن اثباته للخالق والثاني اثبات ان الملائكة اناث وهذا ايضا باطل لان طريق العلم اما الحس واما الخبر
واما النظر اما الحس فمفقود لانهم لم يشاهدوا كيف خلق الله تعالى الملائكة وهو المراد من قوله تعالى
أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا تعلم الا به فان الانوثة
ليست من لوازم ذاتهم لتمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم

للشرط بجهلهم بالنبوة لانهم قد شاهدوا خلقهم واما الخبر فمفقود ايضا لان الخبر انما يفيد العلم
اذا علم كونه صدقا قطعا وهؤلاء الذين يخبرون عن هذا الحكم كذابون افاكون لم يدل على صدقهم
دليل وهذا هو المراد من قوله تعالى أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ اى فيما
زعموا وقوله تعالى أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء
+ [illegible] + همزة اصطفى همزة قطع مفتوحة مقطوعة وصلا وابتداء مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ هذا الحكم الفاسد
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ اى انه تعالى منزه عن ذلك وقرأ حمزة والكسائى وحفص بتخفيف الذال والباقون
بالتشديد واما النقل فمفقود من وجهين الاول ان دليل العقل يقتضى فساد هذا المذهب لانه
تعالى اكمل الموجودات والاكمل لا يصطفى الابناء على البنات يعنى ان اسناد الافضل الى الافضل
اقرب الى العقل من اسناد الانقص الى الافضل فان كان حكم العقل معتبرا فى هذا الباب كان قولهم
باطلا الثانى ان نترك الاستدلال على فساد مذهبهم بل نطالبهم باثبات الدليل الدال على صحة مذهبهم
واذا لم يجدوا دليلا ظهر بطلان مذهبهم وهذا هو المراد بقوله تعالى أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ اى حجة
واضحة ان لله ولدا فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ اى التورية فاروني ذلك فيه إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ اى فى قولكم هذا
وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا قال مجاهد وقتادة اراد بالجنة الملائكة عليهم السلام سموا جنا لاجتنانهم
عن الابصار وقال ابن عباس حى من الملائكة يقال لهم الجن منهم ابليس لعنه الله وقيل هم خزان
الجنة قال الرازى وهذا القول عندى مشكل لانه تعالى ابطل قولهم الملائكة بنات الله ثم عطف
عليه قوله تعالى وجعلوا الآية والعطف يقتضى المغايرة فوجب ان يكون المراد من الآية غير ما تقدم وقال
مجاهد قال كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه منكرا عليهم
فمن امهاتهم قالوا سروات الجن وهذا ايضا بعيد لان المصاهرة لا تسمى نسبا قال الرازى وقد روينا
فى تفسير قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن ان قوما من الزنادقة يقولون ان الله تعالى وابليس اخوان
فالله تعالى هو الحر الكريم وابليس هو الاخ الشرير فالمراد من ذلك هو هذا المذهب وهو مذهب المجوس
قال وهذا القول عندى هو اقرب الاقاويل فى الرد عليه بهذه الآية وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ اى
اهل هذا القول لَمُحْضَرُونَ اى الى النار معذبون وقيل المراد ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون العذاب
فعلى الاول الضمير عائد الى القائل وعلى الثانى عائد الى نفس الجنة + ثم انه تعالى نزه نفسه عما
قالوه من الكذب فقال تعالى سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ بان لله تعالى ولدا ونسبا وقوله تعالى
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ اى المؤمنين استثناء منقطع اى لكن عباد الله المخلصين ينزهون الله
تعالى عما يصف هؤلاء الثالث انه من محضرون اى لكن عباد الله تعالى ناجون وعلى هذا فتكون جملة
التسبيح معترضة وظاهر كلام ابى البقاء انه يجوز ان يكون استثناء متصلا لانه قال مستثنى من جعلوا
او من محضرون ويجوز ان يكون منفصلا فظاهر هذه العبارة ان الوجهين الاولين هو فيهما متصل
لا منفصل وليس ببعيد كانه قيل وجعل الناس ثم استثنى منهم هؤلاء وكل من لم يجعل بين الله وبين الجنة.

نسبا فهو عند الله مخلص من الشرك وقوله تعالى فَإِنَّكُمْ اي يا اهل مكة وَمَا تَعْبُدُونَ اي من الاصنام
عود الى خطابهم لانه لما ذكر الدلائل الدالة على فساد مذاهب الكفار اتبعه بما ينبه به على ان هؤلاء
الكفار لا يقدرون على اضلال احد الا اذا كان قد سبق حكم الله تعالى في حقه بالعذاب والوقوع
في النار كما قال تعالى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ اي على معبودكم وعليه متعلق بقوله بِفَاتِنِينَ اي بمضلين احدا من
الناس إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ اي الا من سبق له في علم الله تعالى الشقاوة. تنبيه: احتج اهل السنة
بهذه الآية على انه لا تاثير لايحاء الشيطان ووسوسته وانما المؤثر هو الله حيث قضاه وقدره ثم
ان جبريل عليه السلام اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بان الملائكة ليسوا معبودين كما زعمت الكفار
بقوله وَمَا مِنَّا اي معشر الملائكة ملك إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ في السموات يعبد الله تعالى فيه لا يتجاوزه
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي ويسبح وعن
ابي ذر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اطت السماء وحق لها ان تئط والذي
نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا قيل الاطيط اصوات
الاقتاب وقيل اصوات الابل وحنينها ومعنى الحديث ما في السماء من الملائكة قد اثقلها حتى اطت
وهذا مثل وايذان بكثرة الملائكة عليهم السلام وان لم يكن ثم اطيط وقال السدي الا له مقام معلوم
في القربة والمشاهدة وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ اي اقدامنا في الصلوة وقال الكلبي صفوف الملائكة في السماء
كصفوف الناس في الارض وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ اي المنزهون الله تعالى عما لا يليق به وقيل هذا
حكاية كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة او بين
يدي الله تعالى في القيمة وانا لنحن الصافون في الصلوة والمنزهون له تعالى عن السوء ثم انه تعالى
اعاد الكلام الى الاخبار عن المشركين فقال وَإِنْ كَانُوا اي كفار مكة وان مخففة من الثقيلة
لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا اي كتابا مِنَ الْأَوَّلِينَ اي من كتب الامم الماضين لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ
اي لاخلصنا العبادة له ولما كذبوا فيما قالوا جاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والمهيمن عليها وهو القرآن
العظيم فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عاقبة هذا الكفر وهذا تهديد عظيم ولما هددهم بذلك اردفه
بما يقوي قلب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا اي بالنصر لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ
وهي قوله تعالى لاغلبن انا ورسلي او هي قوله تعالى إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا اي المؤمنين
لَهُمُ الْغَالِبُونَ اي الكفار والنصرة والغلبة قد تكون بالحجة وقد تكون بالدولة والاستيلاء وقد
تكون بالدوام والثبات فالمؤمن وان صار مغلوبا في بعض الاوقات بسبب ضعف احوال الدنيا
فهو الغالب في الآخرة فالحكم في ذلك للاغلب في الدنيا فلا ينافي ذلك قتل بعض الانبياء عليهم
السلام وهزم كثير من المؤمنين وانما سمى ذلك كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فَتَوَلَّ عَنْهُمْ
اي اعرض عن كفار مكة واختلف في قوله تعالى حَتَّى حِينٍ فقال ابن عباس يعني الموت وقال مجاهد يوم بدر
وقال السدي حتى يامرك الله بالقتال وقيل الى ان ياتيهم عذاب الله وقيل الى فتح مكة وقال

مقاتل بن حیان نسختها آیۃ القتال وَاَبْصِرْهُمْ ای اذا نزل بہم العذاب من القتل والاسر فی الدنیا والعذاب فی الاخرۃ فَسَوْفَ یُبْصِرُوْنَ ای ماقضیناہ لک من التایید والنصر والثواب فی الاخرۃ وسوف للوعید لا للتبعید ولما قیل لہم ذلک قالوا استہزاء متی نزول العذاب فقال تعالٰی تہدیدا لہم اَفَبِعَذَابِنَا یَسْتَعْجِلُوْنَ ای ان ذلک الاستعجال جہل لان لکل شئ من افعال اللّٰہ تعالٰی وقتا معینا لا ینقدم ولا یتاخر فَاِذَا نَزَلَ ای العذاب بِسَاحَتِهِمْ قال مقاتل بحضرتہم وقیل بفنائہم قال الفراء العرب تکتفی بذکر الساحۃ عن القوم فشبہ العذاب بجیش ہجم فاناخ بفنائہم بغتۃ فَسَاءَ ای فبئس صباحا صَبَاحُ الْمُنْذَرِیْنَ ای الکافرین الذین انذروا بالعذاب وعن انس بن مالک رضی اللّٰہ تعالٰی عنہ ان رسول اللّٰہ صلی اللّٰہ علیہ وسلم حین خرج الی خیبر اتاہا لیلا وکان اذا جاء قوما بلیل لم یغر حتی یصبح فلما اصبح خرجت یہود بمساحیہا ومکاتلہا فلما راوہ قالوا محمد واللّٰہ محمد والخمیس فقال رسول اللّٰہ صلی اللّٰہ علیہ وسلم اللّٰہ اکبر خربت خیبر انا اذا نزلنا بساحۃ قوم فساء صباح المنذرین قالہا ثلاث مرات وقولہ تعالٰی وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتّٰی حِیْنٍ وَّاَبْصِرْ فَسَوْفَ یُبْصِرُوْنَ فیہ وجہان احدہما ان فی ہذہ الکلمۃ فیما تقدم احوال الدنیا وفی ہذہ الکلمۃ احوال یوم القیمۃ وعلی ہذا فالتکرار زائل الثانی انہا مکررۃ للمبالغۃ فی التہدید والتہویل فان قیل ما الحکمۃ فی قولہ اولا وابصرہم وہہنا قال وابصر بغیر ضمیر اجیب بانہ حذف مفعول البصر الثانی اما اختصارا للدلالۃ الاول علیہ واما اقتصارا تفننا فی البلاغۃ ثم انہ تعالٰی ختم السورۃ بتنزیہ نفسہ عن کل ما لا یلیق بصفات الالہیۃ فقال تعالٰی سُبْحٰنَ رَبِّکَ رَبِّ الْعِزَّةِ ای الغلبۃ والقوۃ وفی قولہ تعالٰی رب اشارۃ الی کمال الحکمۃ والرحمۃ وقولہ تعالٰی العزۃ اشارۃ الی کمال القدرۃ وانہ القادر علی جمیع الحوادث لان الالف واللام فی قولہ تعالٰی العزۃ تفید الاستغراق واذا کان الکل ملکا لہ سبحانہ لم یبق لغیرہ شئ فثبت ان قولہ سبحانہ وتعالٰی سبحان ربک رب العزۃ عَمَّا یَصِفُوْنَ ای ان لہ ولدا کلمۃ محتویۃ علی اقصی الدرجات واکمل النہایات وقولہ تعالٰی وَسَلٰمٌ عَلَی الْمُرْسَلِیْنَ ای المبلغین من اللّٰہ تعالٰی التوحید والشرائع تعمیم للرسل بعد تخصیص بعضہم وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِیْنَ ای علی ہلاک الاعداء ونصرۃ الانبیاء علیہم افضل الصلوۃ والسلام وعلی ما افاض علیہم ومن اتبعہم من النعم وحسن العاقبۃ ولذلک اخرہ عن التسلیم والغرض من ذلک تعلیم المؤمنین ان یقولوا ذلک ولا یغفلوا عنہ لما روی البغوی عن علی رضی اللّٰہ عنہ انہ قال من احب ان یکتال بالمکیال الاوفی من الاجر یوم القیمۃ فلیکن اخر کلامہ من مجلسہ سبحان ربک رب العزۃ عما یصفون وسلام علی المرسلین والحمد للّٰہ رب العالمین الخ وامامارواہ البیضاوی عن النبی صلی اللّٰہ علیہ وسلم ان من قرأ والصافات اعطی من الاجر عشر حسنات بعدد کل جنی وشیطان وتباعدت عنہ مردۃ الشیاطین وبرئ من الشرک وشہد لہ حافظاہ یوم القیمۃ انہ کان مؤمنا بالمرسلین فموضوع

سورة ص مكية

وهي ست او ثمان وثمانون اية وسبعمائة واثنتان وثمانون كلمة وثلاثة الاف وتسعة وتسعون حرفا
بسم الله المنزه عن كل شائبة نقص الرحمن الذي عم جوده سائر مخلوقاته الرحيم بمن خلقه واختلف في
قوله تعالى ص فقيل قسم وقيل هو اسم للسورة كما ذكرنا في سائر حروف التهجي في اوائل السور
وقال محمد بن كعب القرظي مفتاح اسماء الصمد وصادق الوعد وقال الضحاك معناه صدق الله
وروي عن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه ان القران مركب من
هذه الحروف وانتم قادرون عليها ولستم قادرين على معارضته والقران اي الجامع للبيان لكل
خير ذي الذكر اي الموعظة والتذكير وقال ابن عباس ذي البيان وقال الضحاك ذي الشرف دليله
قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك فان قيل هذا قسم فاين المقسم عليه اجيب بانه محذوف تقديره
ما الامر كما قال كفار مكة من تعدد الالهة وقوله تعالى بل الذين كفروا اي من اهل مكة اضراب
انتقال من قصة الى اخرى في عزة اي حمية وتكبر عن الايمان وشقاق اي خلاف وعداوة للنبي
صلى الله عليه وسلم والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقيل جواب القسم قد تقدم
وهو قوله تعالى ص اقسم الله تعالى بالقران ان محمدا الصادق وقال الفراء ص معناها وجب وحق فهو جواب
قوله والقران كما تقول نزل والله وقال الاخفش قوله تعالى ان كل الا كذب الرسل وقال السدي
ان ذلك لحق تخاصم اهل النار قال البغوي وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم وبين هذا الجواب اقاصيص اخبار
كثيرة وقال مجاهد في عزة متعازين كم اي كثيرا اهلكنا من قبلهم ولذا كثرتهم بقوله تعالى من قرن
اي من امة من الامم الماضية كانوا في شقاق مثل شقاقهم تنبيها + كم مفعول اهلكنا من قرن تمييز
ومن قبلهم لابتداء الغاية فنادوا اي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة وقيل نادوا بالايمان
والتوبة ولات اي وليس الحين حين مناص اي منجى وفرار قال ابن عباس كان كفار مكة اذا
قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب
قالوا مناص فانزل الله تعالى ذلك والمناص مصدر ناص ينوص اذا تقدم ولات بمعنى ليس بلغة
اهل اليمن قال النحويون هي لا زيدت فيها التاء كقولهم رب وربت وثم وثمت واصلها هاء وصلت
فقالوا لات كما قالوا ثمت لا تدخل الا في الازمان خاصة نحو لات حين ولات اوان كقول الشاعر طلبوا صلحنا
ولات اوان + فاجبنا ان ليس حين بقاء + والاكثر حينئذ حذف مرفوعها تقديره ولات الحين حين
مناص قد يحذف المنصوب ويبقى المرفوع كقول القائل من صد عن نيرانها + فانا ابن قيس لا براح + اي
لا براح لي ولما حكى تعالى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق اتبعه بشرح كلماتهم الفاسدة بقوله تعالى وعجبوا اي الكفار
الذين ذكرهم الله تعالى في قوله سبحانه بل الذين كفروا في عزة وشقاق ان اي لاجل ان جاءهم منذر منهم وهو النبي صلى الله
عليه وسلم وفي قوله تعالى منهم وجهان احدهما انهم قالوا ان محمدا مساو لنا في الخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة والنسب

والشكل والصورة فكيف يعقل ان يختص من بيننا بهذا المنصب العالي والثاني ان الغرض من هذه
الكلمة التنبيه على كمال جهلهم لانهم جاءهم رجل يدعوهم الى التوحيد والترغيب في الآخرة
ثم ان هذا الرجل من اقاربهم يعلمون انه كان بعيدا عن الكذب والتهمة وكل ذلك مما يوجب
الاعتراف بتصديقه ثم انهم لحماقتهم يتعجبون من قوله وَقَالَ الْكَافِرُونَ وضع الظاهر فيه موضع
المضمر اشارة الى انهم يسترون الحق مع معرفتهم اياه فهم جاحدون لا جاهلون ومعاندون لا غافلون
وايذانا بانه اشتد غضبه عليهم وذما لهم على قولهم هَذَا اي الذي يدعي سَاحِرٌ اي فيما يظهره معجزة كَذَّابٌ
اي فيما يقول على الله تبارك وتعالى أَجَعَلَ اي صير بسبب ما يزعم انه يوحى اليه الْآلِهَةَ اي التي نعبدها
إِلَهًا وَاحِدًا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد إِنَّ هَذَا اي القول بالوحدانية لَشَيْءٌ عُجَابٌ اي بليغ
في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباؤنا وما نشاهده من ان الواحد لا يفي علمه وقدرته
بالاشياء الكثيرة وقال البغوي العجب والعجاب واحد كقولهم رجل كريم وكرام وكبير وكبار
وطويل وطوال وعريض وعراض وسبب قولهم ذلك انه روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق
ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن مغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد
والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا اكبرهم سنا الوليد بن المغيرة اذهبوا الى ابي طالب فاتوا
اليه وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا و
بين ابن اخيك فارسل ابو طالب اليه فحضر فقال له يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل
الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونني فقالوا ارفضنا وارفض ذكر
آلهتنا قال ارايتم ان اعطيتكم ما سألتم اتعطوني انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم
فقال ابو جهل لله ابوك لنعطينكها وعشر امثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا
الله فنفروا من ذلك وقاموا وقالوا ذلك وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ اي اشراف قريش من مجلس اجتماعهم عند
ابي طالب وسماعهم فيه من النبي صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله أَنِ امْشُوا اي يقول بعضهم لبعض
امشوا اي اذهبوا وَاصْبِرُوا اي اثبتوا عَلَى آلِهَتِكُمْ اي على عبادتها قال الزمخشري ويجوز انهم
قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل اه
+ قال الائمة + الجميع يكسرون النون في الوصل من ان امشوا والهمزة في الابتداء من امشوا ولما
اسلم عمر وحصل للمسلمين قوة بمكانه قال المشركون إِنَّ هَذَا اي الذي نراه من زيادة اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم لَشَيْءٌ يُرَادُ اي بنا فلا مرد له او ان الصبر على عبادة الآلهة لشيء يراد وهو
اهل الارادة فهو اهل ان لا ينفك عنه وقيل هذا الذكر من التوحيد لشيء يراد منا وقيل ان
دينكم لشيء يطلب ليؤخذ منكم مَا سَمِعْنَا بِهَذَا اي الذي يقوله محمد من التوحيد فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ
قال ابن عباس يعنون في النصرانية لانها آخر الملل وهم لا يوحدون بل يقولون ثالث ثلاثة و
قال مجاهد يعنون ملة قريش دينهم الذي هم عليه إِنْ اي ما هَذَا اي الذي يقوله إِلَّا اخْتِلَاقٌ

انتقال دكذب أَأُنزِلَ عَلَيْهِ اى محمد صلى الله عليه وسلم الذِّكْرُ اى القرآن مِن بَيْنِنَا وليس باكبرنا ولا
اشرفنا وهذا استفهام على سبيل الانكار لاختصاصه عليه الصلوة والسلام بالوحي وهو مثلهم او ادون وفي
ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي وقرأ نافع وابن كثير
وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كالواو وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو بخلاف عن ورش وابن كثير
بغير ادخال وعن هشام فيها ثلاثة اوجه تحقيق الهمزتين وادخال الف بينهما قال الله تبارك
وتعالى بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ اى تردد محيط بهم مبتدأ لهم مِّن ذِكْرِي اى وحيي وما انزلت
لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل الذي لو نظروا فيه لزال هذا الشك عنهم بَل اى ليسوا
في شك منه في نفس الامر وان كان قولهم قول من هو في شك لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ اى الذي
اعددته للمكذبين ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول ولصدقوا النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ولا ينفعهم
التصديق حينئذ أَمْ اى بل عِندَهُمْ خَزَائِنُ اى مفاتيح رَحْمَةِ اى نعمة رَبِّكَ وهي النبوة يعطونها
من شاؤا ونظيره قوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك اى نبوة ربك الْعَزِيزِ اى الغالب الذي
لا يغلبه احد الْوَهَّابِ الذي له ان يهب كل ما يشاء من النبوة وغيرها لمن يشاء من خلقه
ولما كانت خزائن الله تعالى غير متناهية كما قال تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه ومن
جملة السموات والارض وما بينهما وهم عاجزون عن هذا القسم قال الله تعالى أَمْ لَهُم مُّلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا اى ليس لهم ذلك فلان يكونوا عاجزين عن كل خزائن الله تعالى
اولى وقوله تعالى فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ جواب شرط محذوف اى ان كان لهم ذلك فليصعدوا
في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحي الى من
يريدونه وهذا غاية التهكم بهم والتعجيز والتوبيخ قال مجاهد اراد بالاسباب ابواب السماء وطرقها
من سماء الى سماء وكل ما يوصلك الى شيء من باب او طريق فهو سببه استدل حكماء الاسلام بقوله
تعالى فليرتقوا في الاسباب على ان الاجرام الفلكية وما اودع الله تعالى فيها من القوى والخواص اسباب
لحوادث العالم السفلي لان الله تعالى سمى الفلكيات اسبابا وهذا يدل على ذلك قوله تعالى جُندٌ مَّا هُنَالِكَ
مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ خبر مبتدأ مضمر اى هم قريش جند من الكفار المتحزبين على الرسل عليهم السلام
مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف في الامور الربانية فلا تكترث بما تقوله
قريش قال قتادة اخبر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فقال
تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر فجاء تاويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى بدر ومصارعهم وقيل يوم الخندق
قال الرازي والاصح عندي حمله يوم فتح مكة لان المعنى انهم جند سيصيرون مهزومين في الموضع الذي
ذكروا فيه هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكة فوجب ان يكون المراد انهم سيصيرون مهزومين في
مكة وما ذاك الا في يوم الفتح تنبيه في ما وجهان احدهما انها مزيدة والثاني انها لجند على سبيل
التعظيم للمهزومين او للتحقير فان ما الصفة تستعمل بهذين المعنيين وقد تقدم الكلام

عليها فى اوائل البقرة وهنالك صفة لجند وكذلك مهزوم ومن الاحزاب ثم قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم مسليا عليه السلام كَذَّبَتْ اى مثل تكذيبهم قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ انث قوم باعتبار المعنى
واستمروا على عزتهم وشقاقهم الى ان رأوا الماء قد اخذهم ولم يسمحوا بالاذعان ولا بالتضرع الى
نوح عليه السلام وَعَادٌ سماهم بالاسم المنبه على ما كان لهم من المكنة بالملك واستمروا فى شقاقهم
الى ان خرجت عليهم الريح العقيم ورأوها تحمل الابل فيما بين السماء والارض وهم لا يذعنون
لما دعاهم اليه هود عليه السلام وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ كانت له اوتاد يعذب الناس عليها وكان
اذا غضب على احد مده مستلقيا بين اربعة اوتاد يشد كل يد وكل رجل منه الى سارية وتركه
كذلك فى الهواء بين السماء والارض حتى يموت وقال مجاهد كان يمد الرجل مستلقيا
بين اربعة اوتاد على الارض يشد رجليه ويديه ورأسه على الارض بالاوتاد وقال السدى
كان يشد الرجل بالاوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات وقال ابن عباس ذو البناء المحكم
وقيل ذو الملك الشديد الثابت وقال القتيبى تقول العرب هم فى عز ثابت الاوتاد يريدون
انه دائم شديد قال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة + فى ظل ملك ثابت الاوتاد
وقال الضحاك ذو القوة والبطش وقال عطية ذو الجموع والجنود الكثيرة لانهم كانوا يقوون امره
ويشدون ملكه كما يقوى الوتد الشئ والاوتاد جمع وتد وفيه لغات وتد بفتح الواو وكسر التاء وهى الفصحى
ووتد بفتحتين وود بادغام التاء فى الدال وَثَمُودُ واستمروا فيما هم فيه الى رأوا علامات العذاب
من صفرة الوجوه ثم حمرتها ثم سوادها ولم يكن فى ذلك تاجر يردهم عن عزتهم وشقاقهم وَقَوْمُ
لُوطٍ الذين لهم قوة القيام بما يحاولونه واستمروا فى عزتهم وفى شقاقهم حتى ضربوا بالطمس على
الاعين ولم يقدروا على الوصول الى ما ارادوا من الدخول الى بيت لوط عليه السلام ولم يردهم
ذلك عن عزتهم وشقاقهم وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ اى الغيضة وهم قوم شعيب عليه الصلوة والسلام
أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ اى المتحزبون على الرسل عليهم السلام الذين خص الجند المهزوم منهم وقيل المعنى
اولئك الاحزاب مبالغة فى وصفهم بالقوة كما يقال فلان هو الرجل اى اولئك الاحزاب مع كمال
قوتهم لما كانت عاقبتهم هى الهلاك والبوار فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين اذا نزل بهم العذاب
وفى الاية زجر وتخويف للسامعين إِنْ اى ما كُلٌّ اى من الاحزاب إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ اى لانهم اذا
كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم لان دعوتهم واحدة وهى دعوة التوحيد فَحَقَّ عِقَابِ
اى فوجب عليهم ونزل بهم عذابى + ثم بين تعالى ان هؤلاء المكذبين وان تأخر هلاكهم فكأنه
واقع بهم فقال تعالى وَمَا يَنظُرُ وحقرهم بقوله تعالى هَٰؤُلَاءِ اى وما ينتظر كفار مكة إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً
وهى نفخة الصور الاولى كقوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية الاية والمعنى انهم وان لم يذوقوا عذابى فى الدنيا فهو معد لهم يوم القيمة فجعلهم منتظرين
لها على معنى قربها منهم كالرجل الذى ينتظر الشئ فهو ماد الطرف اليه يطمع كل ساعة فى حضوره

قيل المراد بالصيحة عذاب يفجؤهم ويجيئهم دفعة واحدة كما يقال صاح الزمان بهم اذا هلكوا قال الشاعر
صاح الزمان بآل برمك صيحة ☆ خروا لشدتها على الاذقان ☆ ونظيره قوله تعالى فهل ينتظرون
الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم الاية وقرأ حمزة والكسائي ما لها اى الصيحة من فواق بضم
الفاء والباقون بفتحها وهما لغتان بمعنى واحد وهو الزمان الذي بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع
والمعنى ما لها من توقف قدر فواق ناقة وفي الحديث العيادة قدر فواق ناقة وهذا في المعنى كقوله تعالى
فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقال ابن عباس ما لها من رجوع من افاق
المريض اذا رجع الى صحته وافاقة الناقة ساعة يرجع اللبن الى ضرعها يقال افاقت الناقة تفيق
افاقة رجعت واجتمعت الفيقة في ضرعها والفيقة اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين وهو
ان يحلب الناقة ثم يترك ساعة حتى يجتمع اللبن فما بين الحلبتين فواق اى العذاب لا يمهلهم
بذلك القدر وقالوا اى كفار مكة استهزاء لما نزل قوله تعالى في الحاقة فاما من اوتي كتابه بيمينه و
اما من اوتي كتابه بشماله ربنا اى يا ايها المحسن الينا عجل لنا قطنا اى كتاب اعمالنا في الدنيا قبل يوم
الحساب وقال سعيد بن جبير يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول وقال مجاهد والسدي
يعنون عقوبتنا ونصيبنا من العذاب قال عطاء قاله النضر بن الحرث وهو قوله ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقال مجاهد قطنا حسابنا يقال لكتاب الحساب قط
وقال ابو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوائز ويجمع على قطوط وقططة كقرد وقرود وقردة وفي القلة
على اقطة واقطاط كقدح واقدحة واقداح الا ان افعلة في فعل شاذ ☆ ولما ان القوم تعجبوا من
امور ثلاثة اولها من امر النبوات واثباتها كما قال تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال
الكافرون هذا ساحر كذاب وثانيها تعجبهم من الالهيات فقالوا اجعل الالهة الها واحدا وثالثها
تعجبهم من المعاد والحشر والنشر فقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قالوا ذلك استهزاء امر الله
تعالى نبيه عليه السلام بالصبر فقال سبحانه اصبر واشار بحرف الاستعلاء الى عظيم الصبر فقال
على ما يقولون اى على ما يقول الكافرون من ذلك ثم انه تعالى لما امر نبيه بالصبر ذكر قصص
الانبياء عليهم السلام تسلية له فكانه تعالى قال فاصبر على ما يقولون واعتبر بحال سائر الانبياء ليعلم
ان كل واحد منهم كان مشغولا بهم خاص وحزن خاص فيعلم حينئذ ان الدنيا لا تنفك عن
الهموم والاحزان وان استحقاق الدرجات العالية عند الله تعالى لا يحصل الا بتحمل المشاق
والمتاعب في الدنيا وبدأ من ذلك بقصة داود عليه السلام فقال تعالى واذكر عبدنا اى الذي
اخلصناه واخلص نفسه للنظر الى عظمتنا والقيام في خدمتنا وابدل منه او بينه بقوله تعالى داود
ذا الايد قال ابن عباس اى القوة في العبادة روي عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم احب الصيام الى الله تعالى صيام داود واحب الصلوة الى الله تعالى صلوة داود كان
يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل ذا القوة في الملك وصفه

تعالى بكونه عبدا له وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية التعظيم وذلك يدل على غاية التشريف
الاترى انه تعالى لما اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج قال تعالى سبحان الذى
اسرى بعبده ليلا وايضا وصف الانبياء عليهم السلام بالعبودية مشعر بانهم قد حصلوا معنى
العبودية بسبب الاجتهاد فى الطاعة انه اواب اى رجاع الى مرضاة الله تعالى والاواب فعال من
اب يؤب اذا رجع قال الله تعالى ان الينا ايابهم وهذا بناء مبالغة كما يقال قتال وضراب وهو ابلغ
من قاتل وضارب وقال ابن عباس مطيع وقال سعيد بن جبير مسبح بلغة الحبشة ويؤيد هذا
قوله تعالى انا اى على ما لنا من العظمة التى لا يعجزها شئ سخرنا الجبال اى التى هى اقسى من قلوب
قومك وانها اعظم الارض صلابة وقوة وعلوا ورفعة بان جعلناها منقادة ذلولا كالجمل الانف
ثم بين ذلك بقوله تعالى معه اى مصاحبة له يسبحن اى بتسبيحه وفى كيفية تسبيحها وجوه احدها
ان الله تعالى يخلق فى جسم الجبل حياة وعقلا وقدرة ونطقا وحينئذ يسبح الجبل سبحان الله تعالى
ثانيها قال القفال ان داود عليه السلام اوتى من شدة الصوت وحسنه ما كان له فى الجبال دوى
حسن وما يصغى الطير اليه لحسنه فيكون دوى الجبال وتصويت الطير معه واصغاؤها اليه
تسبيحا وروى محمد بن اسحق ان الله تعالى لم يعط احدا من خلقه مثل صوت داود عليه السلام حتى
انه كان اذا قرأ الزبور دنت منه الوحوش حتى يؤخذ باعناقها ثالثها ان الله تعالى سخر الجبال حتى انها كانت
تسير الى حيث يريده داود عليه السلام فجعل ذلك السير تسبيحا لانه يدل على كمال قدرته تعالى
واتقان حكمته بالعشى والاشراق قال الكلبى غدوة وعشيا والاشراق هو ان تشرق الشمس
ويتناهى ضوءها قال الزجاج يقال شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت وقيل هما بمعنى واحد
والاول اكثر استعمالا تقول العرب شرقت الشمس ولما تشرق وفسره ابن عباس بصلوة الضحى قال
ابن عباس كنت امر بهذه الاية ولا ادرى ما هى حتى حدثتنى ام هانئ بنت ابى طالب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى وقال يا ام هانئ هذه صلوة
الاشراق وروى طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلوة الضحى فى القرآن قالوا لا فقرأ انا
سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق وقوله تعالى والطير محشورة اى مجموعة اليه تسبح معه
عطف مفعول على مفعول وهما الجبال والطير او حال على حال وهما يسبحن ومحشورة
كقولك ضربت زيدا مكتوفا وعمرا مطلقا واتى بالحال اسما لانه لم يقصد ان الفعل وقع شيئا فشيئا لان حشرها
دفعة واحدة ادل على القدرة والحاشر هو الله تعالى فان قيل كيف يصدر تسبيح الله تعالى من الطير مع انه لا عقل
لها اجيب بانه لا يبعد ان يخلق الله تعالى لها عقولا حتى تعرف الله تعالى فتسبحه حينئذ ويكون ذلك معجزة
لداود عليه السلام كل اى من الجبال والطير له اى لداود اى لاجل تسبيحه اواب اى رجاع الى طاعته
بالتسبيح وقيل كل مسبح فوضع اواب موضع مسبح وقيل الضمير فى له للبارى تبارك وتعالى والمراد
كل من داود والجبال والطير مسبح ورجاع لله تعالى وشددنا اى قوينا بما لنا من العظمة ملكه

بالحرس والجنود قال ابن عباس كان اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة
وثلاثون الف رجل وعن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند
داود فقال ان هذا قد غصبني بقرا فسأله داود فجحد فقال للآخر البينة فلم تكن له بينة فقال لهما داود
قوما حتى انظر في امركما فاوحى الله تعالى الى داود في منامه ان يقتل الذي استعدى عليه فقال هذا
رؤيا ولست اعجل حتى اتثبت فاوحى الله تعالى اليه مرة ثانية فلم يفعل فاوحى الله تعالى اليه مرة ثالثة ان
يقتله او تأتيه العقوبة فارسل داود اليه فقال له ان الله تعالى اوحى الي ان اقتلك فقال تقتلني بغير بينة
فقال نعم والله لانفذن امر الله تعالى فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل حتى اخبرك اني والله
ما اخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت ابن هذا فقتلته فبذلك اخذت فامر به داود فقتل فاشتدت
هيبة داود عند ذلك في قلوب بني اسرائيل واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه وآتيناه
اي بعظمتنا الحكمة اي النبوة والاصابة في الامور واختلف في تفسير قوله تعالى وفصل الخطاب
فقال ابن عباس بيان الكلام اي معرفة الفرق بين ما يلتبس في كلام المخاطبين له من غير كبير
روية ذلك قال ابن مسعود والحسن علم الحكم والبصر بالقضاء وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه هو
ان البينة على المدعي واليمين على من انكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال ابي بن كعب
فصل الخطاب الشهود والايمان وقال مجاهد وعطاء ويروى عن الشعبي ان فصل الخطاب
هو قول الانسان بعد حمد الله والثناء عليه اما بعد اذا اراد الشروع في كلام آخر واول من قاله
داود عليه السلام وقيل غيره كما ذكرته في شرح المنهاج عند قول المنهاج اما بعد وقيل هو الخطاب
الفصل الذي ليس باختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء وصف كلام النبي صلى الله عليه وسلم فصل
لا نزر ولا هذر وقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهل استفهام معناه التعجب والتشويق
الى استماع ما بعده اتاك يا افضل الخلق نبؤا اي خبر الخصم وهو في الاصل مصدر ولذلك
يصلح للمفرد والمذكر والمراد به هنا الجمع بدليل قوله تعالى اذ اي حين تسوروا اي تصعدوا وعلوا
المحراب اي البيت الذي كان يدخل فيه داود ويشتغل فيه بالعبادة والطاعة قال الزمخشري
فان قلت بما انتصب اذ قلت لا يخلو اما ان ينتصب باتاك او بنبأ او بمحذوف فلا يسوغ انتصابه
باتاك لان اتيان النبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقع الا في عهد داود ولا بالنبأ لان النبأ
واقع في عهد داود فلا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اردت بالنبأ القصة في نفسها
لم يكن ناصبا فبقي ان يكون منصوبا بمحذوف تقديره وهل اتاك نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا انتهى
فاختار ان يكون معمولا لمحذوف ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل وقوله تعالى اذ
اي حين دخلوا على داود بدل من اذ الاولى او ظرف لتسوروا وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار
الذال عند التاء في الاول وعند الدال في الثاني ووافقهم ابن ذكوان في الاول والباقون بالادغام فيهما
ففزع منهم اي لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من

مقصد لازم

يدخل عليه فانه عليه السلام كان جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بحاجته فتسوّر عليه ملكان على صورة الانسان فى يوم الخلوة قالوا لَا تَخَفْ وقولهم خَصْمَانِ خبر مبتدأ مضمر اى نحن خصمان اى فريقان ليطابق ماقبله من ضمير الجمع وقيل اثنان والضمير بمعناهما وقد مرّ ان الخصم يطلق على الواحد والاكثر وقولهم بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ جملة يجوز ان تكون مفسرة لحالهم وان تكون خبرا ثانيا فان قيل كيف قالوا بغى بعضنا على بعض وهم ملائكة على المشهور اجيب بان ذلك على سبيل الفرض اى ارأيت خصمين بغى احدهما على الآخر وهذا من معاريض الكلام لا من تحقيق البغى من احدهما فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ اى الامر الثابت الذى يطابق الواقع وَلَا تُشْطِطْ اى ولا تجر فى الحكومة وَاهْدِنَا اى ارشدنا اِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ اى وسط الطريق الصواب فقال لهما تكلما فقال احدهما اِنَّ هٰذَا اَخِى اى على دينى وطريقتى او فى النصح لا من جهة النسب لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً اى امرأة وَلِىَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ اى امرأة واحدة والنعجة هى الانثى من الضان ولكن كثر فى كلامهم الكناية بها عن المرأة قال ابن عون

انا ابوهن ثلاث هنه + رابعة فى البيت صغراهنه ونعجتى خمسا توفيهنه قال الحسين بن الفضل هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن ثم نعاج ولا بغى فهو كقولهم ضرب زيد عمرا واشترى بكر دارا ولا ضرب هناك ولا شراء وقرأ حفص بفتح الياء والباقون بالسكون فَقَالَ اَكْفِلْنِيهَا قال ابن عباس اعطنيها وقال مجاهد انزل لى عنها وحقيقته ضمها الىّ واجعلنى كافلها وهو الذى يعولها وينفق عليها والمعنى طلقها لاتزوجها وَعَزَّنِى اى غلبنى فِى الْخِطَابِ اى الجدال لانه افصح منى فى الكلام وقيل قهرنى لقوة ملكه قال الضحاك يقول ان تكلم كان افصح منى وان حارب كان ابطش منى وحقيقة المعنى الغلبة كانت له لضعفى فى يده وان كان الحق معى وهذا كله تمثيل لامر داود مع اوريا زوج المرأة التى تزوجها داود وسيأتى الكلام على قصته ان شاء الله تعالى عن قريب قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ اِلَى نِعَاجِهِ وهذا جواب قسم محذوف اريد به المبالغة فى انكار فعل خليطه وتهجين طمعه والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والانضمام اى بضمها مضافة الى نعاجه فان قيل كيف قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه اجيب بان معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك او انه قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول ولم يذكر الله تعالى ذلك لدلالة الكلام عليه وقيل التقدير ان المتقدم الذى هذا شانه قد ظلمك وقرأ قالون وابن كثير وهشام وعاصم باظهار الدال عند الظاء والباقون بالادغام وقوله وَاِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ اى مطلقا منكم ومن غيركم والخلطاء جمع خليط وهم الشركاء الذين خلطوا اموالهم وقال الليث خليط الرجل مخالطه لَيَبْغِى اى ليتعدى بَعْضُهُمْ غالبا عَلَى بَعْضٍ فيريدون غير الحق فان قيل لم خص الخلطاء ببغى بعضهم على بعض مع ان غير الخلطاء يفعلون ذلك اجيب بان المخالطة توجب كثرة المنازعة

والمخاصمة لانهما اذا اختلطا اطلع كل منهما على احوال صاحبه فكل ما يملكه من الاشياء النفيسة اذا اطلع
عليه عظمت رغبته فيه فيفضي ذلك الى زيادة المنازعة والمخاصمة فلذلك خص داود عليه السلام
الخلطاء بالبغي والعدوان ثم استثنى فقال اِلَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا اى تحقيقا لايمانهم الصّٰلِحٰتِ اى
الطاعات فانهم لا يقع منهم شيء لان مخالطة هؤلاء تكون لاجل الدين وهذا استثناء متصل من قوله
بعضهم وَقَلِيْلٌ مَّا هُمْ اى هم قليل فقليل خبر مقدم وما مزيدة للتعظيم وهم مبتدأ وقال الزمخشري
ما للابهام وفيه تعجب من قلتهم قال فان اردت ان تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من
قول امرئ القيس * وحديث ما على قصره * وانظر هل بقي له معنى وَظَنَّ دَاوٗدُ اى لما حكم
قبل فصل الامر وقد هاله من ذلك الامر من عظمه لا عهد له بمثله اَنَّمَا فَتَنّٰهُ اى امتحناه قال
المفسرون ان الظن هنا بمعنى العلم لان داود لما قضى الامر بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك
ثم صعدا الى السماء حيال وجهه فعلم ان الله تعالى ابتلاه بذلك فثبت ان داود علم ذلك قال ابن عباس
ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه تحولا في صورتهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل
على نفسه فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهٗ اى طلب المغفرة من مولاه الذي احسن اليه وَخَرَّ اى سقط من قيامه
تائبا عن ذلك رَاكِعًا اى ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا او مصليا
كانه احرم بركعتي الاستغفار وَّاَنَابَ اى رجع الى الله تعالى قال الرازي والناس في هذه القصة ثلاثة
اقوال احدها ان هذه القصة دلت على صدور الكبيرة منه وثانيها على الصغيرة وثالثها لا تدل على كبيرة
ولا صغيرة فاما القول الاول فقالوا ان داود عليه السلام احب امرأة اوريا فاحتال في قتل زوجها
ثم تزوج بها ثم ارسل الله تعالى ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة تشبه واقعته وعرضا تلك الواقعة
عليه فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنبا ثم تنبه لذلك واشتغل بالتوبة قالوا وسبب ذلك
ان داود عليه السلام تمنى يوما من الايام منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب وسأل ربه ان يمتحنه
كما امتحنهم ويعطيه من الفضل ما اعطاهم فاوحى الله تعالى اليه انك تبتلى في يوم كذا فاحترس فلما كان
ذلك اليوم جاءه الشيطان فتمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فاعجبه
حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بني اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فطارت غير بعيدة
فتبعها فطارت من كوة فنظر داود اين تقع فابصر داود امرأة في بستان تغتسل فعجب داود من حسنها
وحانت منها التفاتة فابصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده اعجابا فسأل عنها فقيل امرأة
اوريا وزوجها في غزاة فاحب داود ان يقتله ويتزوج بها فارسل داود الى ابن اخته ان قدم اوريا
قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له ان يرجع وراءه حتى يفتح الله تعالى على يديه او يقتل فقدم
ففتح على يديه فكتب الى داود فامره ان يقدمه بعد ذلك ففعل ثلاث مرات فقتل في الثالثة فلما انقضت
عدتها تزوج بها فهي ام سليمان عليهما السلام قال الرازي والذي ادين الله تعالى به واذهب اليه ان
ذلك باطل لوجوه الاول ان هذه الحكاية لا تناسب داود لانها لو نسبت الى افسق الناس واشدهم

١٠ سجدة واجب

الفجور الا نتقی منها والذی نقل هذه القصة لو نسب الی مثل هذا العمل لبالغ فی تنزیه نفسه وربما لعن من نسبه الیها فکیف یلیق بالعاقل نسبة المعصیة الی داود علیه السلام ثانیها ان حاصل القصة یرجع الی امرین الی السعی فی قتل رجل مسلم بغیر حق والی الطمع فی زوجته اما الاول فامر منکر قال صلی الله علیه وسلم من سعی فی دم مسلم ولو بشطر کلمة جاء مکتوبا بین عینیه ایس من رحمة الله واما الثانی فمنکر ایضا قال صلی الله علیه وسلم المسلم من سلم المسلمون من یده ولسانه فان اوریا لم یسلم من داود علیه السلام لا فی روحه ولا فی منکوحته ثالثها ان الله تعالی وصف داود علیه السلام بصفات تنافی کونه علیه السلام موصوفا بهذا الفعل المنکر الصفة الاولی انه تعالی امر محمدا صلی الله علیه وسلم ان یقتدی بداود علیه السلام فی المصابرة علی المکاره فلو قلنا ان داود لم یصبر علی مخالفة النفس بل سعی فی اراقة دم عبد مسلم لغرض شهوته فکیف یلیق باحکم الحاکمین ان یأمر محمدا افضل الرسل صلی الله علیه وسلم بان یقتدی بداود فی الصبر علی طاعة الله تعالی الصفة الثانیة انه وصفه بکونه عبدا له وقد بینا ان المقصود من هذا الوصف بیان کون ذلک الموصوف کاملا فی وصف العبودیة فی القیام باداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات فلو قلنا ان داود اشتغل بتلک الاعمال الباطلة فحینئذ ما کان داود کاملا الا فی طاعة الهوی والشهوة الصفة الثالثة وهی قوله تعالی ذا الاید ای ذا القوة ولا شک ان المراد منه قوة فی الدین لان القوة الکاملة فی اداء الواجبات والاجتناب عن المحظورات ای قوة لمن لم یملک نفسه عن القتل والرغبة فی زوجة المسلم الصفة الرابعة کونه اوابا کثیر الرجوع الی الله فکیف یلیق هذا الوصف بمن قلبه مشغول بالفسق والفجور الصفة الخامسة قوله تعالی انا سخرنا الجبال معه ایحسن افتری انه سخرت له الجبال لیتخذ سبیل القتل والفجور الصفة السادسة قوله تعالی والطیر محشورة قیل انه کان محرما علیه صید شیء من الطیر فکیف یعقل ان یکون الطیر امنا منه ولا یجوز امن الرجل المسلم علی روحه ومنکوحته الصفة السابعة قوله تعالی وشددنا ملکه ومحال ان یکون المراد انه تعالی شدد ملکه باسباب الدنیا بل المراد انا ملکناه بقوی الدین واسباب سعادة الاخرة والمراد تشدید ملکه فی الدین والدنیا ومن لم یملک نفسه من القتل والفجور کیف یلیق به ذلک الصفة الثامنة قوله تعالی آتیناه الحکمة وفصل الخطاب والحکمة اسم جامع لکل ما ینبغی علما وعملا فکیف یجوز ان یقال انا آتیناه الحکمة وفصل الخطاب مع اصراره علی ما یستنکف من مزاحمة اخص اصحابه فی الروح والمنکوح فهذه الصفات التی وصف بها قبل شرح القصة واما الصفات المذکورة بعد ذکر القصة فاولها قوله تعالی وان له عندنا لزلفی وحسن مآب وقوله تعالی یا داود انا جعلناک خلیفة فی الارض فکیف ان الله تعالی جعله خلیفة ویقع منه ذلک وقد روی عن سعید بن المسیب ان علی بن ابی طالب کرم الله وجهه قال من حدثکم بحدیث داود علی ما یرویه القصاص فاجلده مائة جلدة وستین وهو حد الفریة علی الانبیاء ومما یقوی هذا انهم قالوا ان المغیرة بن شعبة زنا وشهد ثلاثة من الصحابة بذلک واما الرابع فلم یقل انی رأیت ذلک بعینی فان عمر رضی الله عنه کذب اولئک الثلاثة وجلد کلا منهم

منهم ثمانين جلدة لاجل انهم قذفوا فاذا كان هذا الحال في واحد من احاد الصحابة فكذلك
فكيف الحال مع داود عليه السلام مع انه من اكابر الانبياء عليهم السلام فثبت بما ذكرنا ان القصة
التي ذكرها هؤلاء باطلة لا يجوز ذكرها قال الرازي حضرت في مجلس وفيه بعض الاكابر فكان يريد
ان يتعصب لتقرير ذلك القول الفاسد والقصة الخبيثة بسبب اقتضى ذلك فقلت له لا شك ان
داود عليه السلام كان من اكابر الانبياء والرسل وقال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته ومن
مدحه الله بمثل هذا المدح العظيم لم يجز لنا ان نبالغ في الطعن فيه وايضا بتقدير انه ما كان نبيا فلا شك
انه كان مسلما وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير وذكرت له اشياء اخر قال فسكت
ولم يذكر شيئا فان قيل قد ذكر هذه القصة كثير من المحدثين والمفسرين اجيب بانه لما وقع
التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من اخبار الاحاد كان الرجوع الى الدلائل
القطعية واجبا والمحققون يردون هذا القول ويحكمون عليه بالكذب واما القول الثاني فقالوا
نحمل هذه القصة على حصول الصغيرة لا على حصول الكبيرة وذلك من وجوه الاول ان هذه
المرأة خطبها اوريا فاجابوه ثم خطبها داود عليه السلام فاثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة
اخيه المؤمن مع كثرة نسائه الثاني قالوا انه وقع بصره عليها فمال قلبه اليها وليس له في هذا ذنب البتة
اما وقوع بصره عليها بغير قصد فليس بذنب واما حصول الميل عقيب النظر فليس ايضا ذنبا لان الميل
ليس في وسعه فليس مكلفا به بل لما اتفق انه قتل زوجها تزوج بها الثالث انه كان اهل زمان داود
عليه السلام يسأل بعضهم بعضا ان يطلق زوجته حتى يتزوجها وكانت عادة مالوفة معهودة في هذا
المعنى فاتفق ان عين داود عليه السلام وقعت على تلك المرأة فاعجبها فسأله النزول عنها فاستحيا
ان يرده ففعل وهي ام سليمان فقيل له ذلك وان كان جائزا في ظاهر الشريعة الا انه لا يليق بك فان
حسنات الابرار سيئات المقربين فهذه وجوه ثلاثة لو حملت هذه القصة على واحد منها لم يلزم في حق داود
عليه السلام الا ترك الافضل والاولى واما القول الثالث فقال نحمل هذه القصة على وجه لا يلزم منه
ايجاب كبيرة ولا صغيرة لداود عليه السلام بل يوجب اعظم انواع المدح والثناء له وهو انه قد روي
ان جماعة من الاعداء طمعوا في ان يقتلوا نبي الله داود عليه السلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه
ويشتغل فيه بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم فتسوروا المحراب فلما دخلوا عليه
وجدوا عنده اقواما يمنعهم منه فخافوا ووضعوا كذبا وقالوا خصمان بغى بعضنا على بعض الى
اخر القصة فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم وظن ان ذلك ابتلاء من الله تعالى له فاستغفر
ربه مما هم به واناب فان قيل ههنا اربعة الفاظ يمكن ان يحتج بها في الحاق الذنب بداود عليه
السلام احدها قوله تعالى وظن داود انما فتناه وثانيها قوله تعالى فاستغفر ربه وثالثها قوله تعالى
واناب ورابعها قوله تعالى فغفرنا له ذلك اجيب بان هذه الالفاظ لا يدل شيء منها على ما ذكر
لاحتمال ان تكون الزلة انما حصلت من باب ترك الافضل والاولى كما مر وحمل هذه الالفاظ

على هذا الوجه لا يلزم منه اسناد شيء من الذنوب اليه بل ذلك يوجب اسناد اعظم الطاعات اليه
وقيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسئلته وهناك اشياء كثيرة ذكرها
البغوي وغيره وفيما ذكرناه كفاية فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ اي ما استغفر منه وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ اي زيادة
خير في الدارين بعد المغفرة وَحُسْنَ مَآبٍ اي مرجع في الجنة، ولما تم الكلام في شرح القصة اردفها
ببيان ان الله تعالى فوض الى داود خلافة الارض بقوله تعالى يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ
اي تدبر امر العباد بامرنا وهذا من اقوى الدلائل على فساد القول الاول كما مر لان من
البعيد جدا ان يوصف الرسول بكونه ساعيا في سفك دماء المسلمين رغبة في انتزاع ازواجهم
من ايديهم ثم يذكر عقبه ان الله تعالى فوض خلافة الارض اليه ثم في تفسير كونه خليفة وجهان
احدهما جعلناك تخلف من تقدمك من الانبياء في الدعاء الى الله تعالى وفي سياسة الناس
لان خليفة الرجل من يخلفه وذلك انما يعقل في حق من تصح عليه الغيبة وذلك على الله
تعالى محال ثانيهما ان جعلناك مملكا في الناس نافذ الحكم فيهم فبهذا التاويل يسمى خليفة ومنه يقال
خليفة الله تعالى في ارضه وحاصله ان خليفة الرجل يكون نافذ الحكم في رعيته وحقيقة الخلافة
ممتنعة في حق الله تعالى فلما امتنعت الحقيقة جعلت اللفظة للزوم نفاذ الحكم في تلك الحقيقة فَاحْكُم
بَيْنَ النَّاسِ اي الذين يتحاكمون اليك من اي قوم كانوا بِالْحَقِّ اي بالعدل لان الاحكام اذا كانت
مطابقة للشريعة الحقة الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت ابواب الخيرات واذا كانت الاحكام
على وفق الاهوية وتحصيل مقاصد الانفس افضى ذلك الى تخريب العالم ووقوع الهرج فيه
والمرج في الخلق وذلك يفضي الى هلاك ذلك الحاكم ولهذا قال تعالى وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ اي
لا تمل مع ما تشتهي اذا خالف امر الله تعالى ثم سبب عنه قوله تعالى فَيُضِلَّكَ اي ذلك الاتباع والهوى
عَن سَبِيلِ اللَّهِ لان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله والضلال عن سبيل الله يوجب سوء
العذاب إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ اي عن الايمان بالله تعالى لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا
اي بسبب نسيانهم يَوْمَ الْحِسَابِ اي المرتب عليه تركهم الايمان ولو ايقنوا بيوم الحساب لآمنوا
في الدنيا وقال الزجاج بتركهم العمل لذلك اليوم وقال عكرمة والسدي في الآية تقديم وتاخير
تقديره لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا اي تركوا القضاء بالعدل وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ التي
ترونها وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا اي مما تحسون به من الرياح وغيرها خلقا بَاطِلًا اي عبثا قال الله تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون + تنبيه + احتج اهل السنة بان هذه الآية تدل على انه
تعالى خلق كل ما بين السماء والارض واعمال العباد مما بين السماء والارض فوجب ان يكون تعالى
خالقها ودلت على صحة القول بالحشر والنشر لانه تعالى لما خلق الخلق في هذا العالم فاما ان يكون
خلقهم للاضرار او للانتفاع او لا لشيء والاول باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم الكريم والثالث ايضا
باطل لان هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين فلم يبق الا ان يقال خلقهم للانتفاع وذلك الانتفاع

اما ان يكون في حياة الدنيا او في حياة الآخرة والاول باطل لان منافع الدنيا قليلة ومضارها كثيرة وتحمل الضرر الكثير لوجدان المنفعة القليلة لا يليق بالحكمة ولما بطل هذا القول ثبت القول بوجود حياة بعد هذه الحياة الدنيا وذلك هو القول بالحشر والنشر والقيمة *تنبيه* يجوز في باطلا ان يكون نعتا لمصدر محذوف او حالا من ضميره اى خلقا باطلا وان يكون حالا من فاعل خلقنا اى مبطلين او ذوى باطل وان يكون مفعولا من اجله اى للباطل وهو العبث ذٰلِكَ اى خلق ما ذكر لا لشئ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا اى اهل مكة هم الذين ظنوا انهما خلقا لغير شئ وانه لا بعث ولا حساب فَوَيْلٌ اى هلاك عظيم بسبب هذا الظن او واد في جهنم لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اى مطلقا بهذا الظن وبغيره من اى شرك كان مِنَ النَّارِ لان من انكر الحشر والنشر كان شاكا في حكمة الله تعالى في خلق السموات والارض *ونزل* لما قال كفار مكة للمؤمنين انا نعطى في الآخرة مثل ما تعطون أَمْ نَجْعَلُ اى على عظمتنا الَّذِينَ آمَنُوا اى امتثالا لاوامرنا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ تحقيقا لايمانهم كَالْمُفْسِدِينَ اى المطبوعين على الفساد والراسخين فيه فِي الْأَرْضِ اى بالسفر وغيره ام نجعلهم مثلهم وام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التى هى من لوازم خلقهما باطلا ليدل على نفيه وكذا التى في قوله تعالى أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ كرر الانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم وقوله تعالى كِتَابٌ خبر مبتدأ مضمر اى هذا كتاب ثم وصفه بقوله تعالى أَنزَلْنَاهُ اى بما لنا من العظمة إِلَيْكَ يا اشرف الخلق مُبَارَكٌ اى كثير خيره ونفعه وقوله تعالى لِيَدَّبَّرُوا اصله ليتدبروا ادغمت التاء في الدال آيَاتِهِ اى ليتفكروا في اسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة فيأتمروا باوامره ومناهيه فيؤمنوا وَلِيَتَذَكَّرَ اى وليتعظ به أُولُو الْأَلْبَابِ اى اصحاب العقول

القصة الثانية قصة سليمان عليه السلام المذكورة في قوله تعالى وَوَهَبْنَا اى بما لنا من العظمة لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ابنه فجاء عديم النظير في ذلك الزمان دينا ودنيا وعلما وحكمة وعظمة ورحمة والمخصوص بالمدح في قوله تعالى نِعْمَ الْعَبْدُ محذوف اى سليمان وقيل داود إِنَّهُ أَوَّابٌ اى رجاع الى التسبيح والذكر في جميع الاوقات إِذْ اى اذكر اذ عُرِضَ عَلَيْهِ اى سليمان وقوله تعالى بِالْعَشِيِّ وهو ما بعد الزوال الى الغروب *وقوله تعالى* الصَّافِنَاتُ اى الخيل العربية الخالصة جمع صافنة وفيه خلاف بين اهل اللغة وقال الزجاج هو الذى يقف على احدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل ذلك باحدى رجليه قال وهى علامة الفراهة فيه وانشد

الف الصفون فلا يزال كانه ٭ مما يقوم على الثلاث كسيرا

وقيل هو الذى يجمع يديه ويسويهما وقيل هو القائم مطلقا سواء كان من الخيل ام من غيرها قاله القتيبى واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم [illegible]
فليتبوأ مقعده من النار اى يديمون له القيام [illegible]

وقيل هو قيام الخيل مطلقا اى سواء وقف على طرف سنبكه ام لا قال الفراء على هذا رأيت
اشعار العرب واختلف ايضا فى قوله تعالى الجياد فهى اما من الجودة يقال جاد الفرس يجود جودة
وجودة بالفتح والضم فهو جواد للذكر والانثى وهو الذى يجود فى جريه باعظم ما يقدر عليه والجمع
جياد واجواد واجاويد وقيل جمع جود بالفتح كثياب وثوب واما من الجيد وهو العنق والمعنى
طويلة الاجياد وهو دال على فراهتها قال الكلبى غزا سليمان اهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم
الف فرس وقال مقاتل ورث سليمان من ابيه داود الف فرس وقال عوف عن الحسن
بلغنى انها كانت خيلا خرجت من البحر لها اجنحة وعن عكرمة انها كانت عشرين الف فرس لها
اجنحة فصلى سليمان الصلوة الاولى التى هى الظهر وقعد على كرسيه وهى تعرض عليه منها تسعمائة
فرس فتنبه لصلوة العصر فاذا الشمس قد غربت فاتته الصلوة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك
فقال انى احببت اى اردت حب الخير اى الخيل عن ذكر ربى اى صلوة العصر حتى توارت اى
الشمس بالحجاب اى استترت بما يحجبها عن الابصار ردوها على اى الخيل المعروضة وقيل الضمير
يرجع للشمس قال الرازى وهذا بعيد لوجوه الاول ان الصافنات مذكورة بالصريح والشمس
غير مذكورة وعود الضمير الى المذكور اولى من عوده الى المقدر وثانيها انه اشتغل بالخيل
حتى غربت الشمس وفاتته صلوة العصر كان ذلك ذنبا عظيما ومن كان هذا حاله فطريقه التضرع
والبكاء والمبالغة فى اظهار التوبة فاما ان يقول على سبيل العظمة لرب العالمين مثل هذه
الكلمة العارية عن كل جهات الادب عقب ذلك الجرم العظيم الذى لا يصدر عن ابعد الناس
عن الخير فكيف يجوز اسناده للرسول عليه السلام المطهر المكرم وثالثها ان الشمس لو رجعت بعد
الغروب لصار ذلك مشاهدا لكل اهل الدنيا ولو كان كذلك لتوفرت الدواعى على نقله
وحيث لم ينقل علمنا فساده انتهى قال اكثر المفسرين فلما ردوا الخيل اليه اقبل يضرب سوقها
واعناقها بالسيف اخذا من قوله تعالى فطفق مسحا اى فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق
والاعناق اى سوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه قالوا فعل ذلك
تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما
علينا كما ابيح لنا ذبح بهيمة الانعام وبقى منها مائة فرس فما بقى فى ايدى الناس اليوم من الخيل
من نسل تلك المائة قال الحسن فلما عقر الخيل ابدله الله تعالى خيرا منها واسرع وهى الريح تجرى بامره
كيف شاء قال الرازى وهذا عندى بعيد لوجوه الاول انه لو كان مسح السوق والاعناق قطعها
لكان معنى وامسحوا برؤسكم اى اقطعوها وهذا لا يقوله عاقل بل لو قيل مسح راسه بالسيف فربما
فهم منه ضرب العنق اما اذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم منه البتة من المسح العقر والذبح الثانى
ان القائلين بهذا القول جمعوا على ان سليمان عليه السلام انواعا من الافعال المذمومة فاولها
ترك الصلوة وثانيها انه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا حتى نسى الصلوة وقال صلى الله عليه

وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة وثالثها انه بعد الاتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل بالتوبة
والانابة البتة ورابعها انه خاطب رب العالمين بقوله ردوها على وهذه كلمة لا يقولها الرجل الحصيف
الا مع الخادم الخسيس وخامسها انه اتبع هذه المعاصي بعقر الخيل في سوقها واعناقها وقد نهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذبح الحيوان الا لاكله وهذه انواع من الكبائر ينسبونها الى سليمان
عليه السلام مع ان لفظ القرآن لم يدل على شيء منها وخامستها ان هذه القصص انما ذكر الله تعالى
عقيب قوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وان الكفار لما بالغوا في السفاهة الى هذا الحد
قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ثم ذكر عقبه قصة
سليمان عليه السلام فقال تعالى ووهبنا لداود سليمان الآية والتقدير انه تعالى قال لمحمد صلى الله
عليه وسلم يا محمد اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا سليمان وهذا الكلام انما يليق اذا قلنا ان
سليمان عليه السلام اتى في هذه القصة بالاعمال الفاضلة والاخلاق الحميدة وصبر على طاعة
الله تعالى واعرض عن الشهوات واللذات فلو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام في
هذا الموضع انه اقدم على الكبائر العظيمة والذنوب لم يكن ذكر هذه القصة لائقا قال والصواب
ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما هو في دين محمد صلى الله عليه وسلم
ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى الغزو فجلس ثم امر باحضار الخيل وامر باجرائها وذكر اني لا احبها
لاجل الدنيا ونصيب النفس انما احبها لامر الله تعالى وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن
ذكر ربي ثم انه عليه السلام امر باجرائها وسيرها حتى توارت بالحجاب اي غابت عن بصره ثم
انه امر الرائضين ان يردوها فردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها
والغرض من ذلك امور الاول تشريفا لها وابانة لعزتها لكونها من اعظم الاعوان في دفع العدو
الثاني انه اراد ان يظهر انه في ضبط السياسة والملك يتضع الى حيث يباشر اكثر الامور بنفسه الثالث
انه كان اعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها فكان يمسحها ويمسح سوقها واعناقها حتى يعلم
هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير هو الذي ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزم منه نسبة
شيء من المنكرات الى سليمان عليه السلام والعجب منهم كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة مع
ان العقل والنقل يردها وليس لهم في اثباتها شبهة فضلا عن حجة قال فان قيل فالجمهور
فسروا الآية بتلك الوجوه فالجواب ان نقول لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي
يذكرونها لما ذكرنا وايضا فان الدلائل الكثيرة قامت على عصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام
ولم يدل على صحة هذه الحكايات دليل قطعي ورواية الآحاد لا تصلح معارضة الدلائل القوية فكيف
الحكايات من اقوام لا يلتفت الى قولهم والذي ذهبنا اليه قول الزهري وابن كيسان وقد يجاب من
جهة الجمهور ان ما نسبه اليهم ممنوع وبيان ذلك ان قوله اذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم منه البتة من المسح
العقر والذبح يقال القرينة كافية في ذلك وقوله انهم جمعوا انواعا من المذمومة اولها ترك

الصلاة انما يكون ذلك منه هو ما اذا تركها متعمدا ولم يكن ذلك بل نسيها وقد نام صلى الله عليه
وسلم في الوادي حتى طلعت الشمس وفضى الصبح والنسيان والنوم لا مؤاخذة فيهما وقوله ثانيها انه
استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا انما اشتغل بذلك لامر الجهاد وهو مطلوب في حقه وقوله ثالثها
انه لم يشتغل بالتوبة يقال انه لم يأت بذنب حتى يتوب وقوله رابعها انه خاطب رب العالمين بقوله ردوها على
ممنوع والخطاب انما هو لجماعته وقوله خامسها الى ان قال وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
عقر الحيوان قد مر عنهم ان ذلك كان مباحا له فليس فيما قاله نسبة سليمان عليه الصلاة والسلام
الى معصية فلو قال الاولى ان يقال كذا كان اولى وقرأ قنبل بهمزة ساكنة بعد السين وقيل عنه
ايضا بضم الهمزة وواو بعدها واختلف في سبب الفتنة التي وقعت لسليمان عليه السلام في قوله تعالى
﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمٰنَ وَأَلْقَيْنَا﴾ اي بما لنا من العظمة ﴿عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ فقال محمد بن اسحق عن
وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر وكان الله تعالى قد اعطى سليمان
في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح
على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فاخذها وقتل ملكها وسبى ما فيها واصاب
فيما اصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى
الاسلام فاسلمت على جفاء منها وقلة فقه واحبها حبا لم يحبه شيئا من نسائه وكانت على منزلتها
عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان عليه السلام فقال لها ويحك ما هذا الحزن فقالت له اني
اذكر ابي واذكر ملكه وما كان فيه وما اصابه فيحزنني ذلك فقال لها سليمان عليه السلام قد ابدلك
الله ملكا هو اعظم من ملكه وسلطانا هو اعظم من سلطانه وهداك الى الاسلام وهو خير من ذلك
كله قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته اصابني ما ترى من الحزن فلو انك امرت الشياطين فصوروا
صورته في داري اراها بكرة وعشيا لرجوت ان يذهب ذلك حزني فامر سليمان عليه السلام
الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فعمدت اليه حين صنعوه والبسته ثيابا مثل ثيابه التي كان يلبسها ثم
كانت اذا خرج سليمان عليه السلام تغدو اليه مع ولائدها فتسجد له ويسجدن معها له كما كانت
تصنع في ملكه وسليمان عليه السلام لا يعلم بشيء من ذلك اربعين صباحا فبلغ ذلك آصف بن برخيا
وكان صديقا لسليمان عليه السلام وكان لا يرد عن ابواب سليمان عليه السلام اي ساعة اراد دخول شيء
من بيوت سليمان عليه السلام حاضرا كان سليمان عليه السلام او غائبا فقال يا نبي الله كبر سني ورق
عظمي ونفد عمري وقد حان مني الذهاب فقد احببت ان اقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من
الانبياء عليهم الصلاة والسلام واثني عليهم بعلمي فيهم واعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير امرهم
فقال افعل فجمع سليمان عليه السلام الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من انبياء الله تبارك
وتعالى فاثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله الله به حتى انتهى الى سليمان عليه السلام فقال ما كان احكمك
[illegible] في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان عليه السلام في نفسه حتى ملأه غضبا فلما دخل داره

دعاه فقال يا آصف اذكرت من مضى من انبياء الله تعالى فاثنيت عليهم خيرا فى كل زمانهم وكل حال
امرهم فلما ذكرتنى جعلت تثنى على خيرا فى صغرى وسكت عما سوى ذلك من امرى فما الذى
احدثت فى آخر عمرى فقال آصف ان غير الله تعالى يعبد فى دارك فقال سليمان عليه السلام انا
لله وانا اليه راجعون لقد عرفت انك ما قلت الذى قلت الا عن شئ بلغك ثم رجع سليمان عليه السلام
الى داره فكسر الصورة وعاقب تلك المرأة وولائدها وخرج وحده الى فلاة ففرش الرماد وجلس عليه
تائبا الى الله تعالى وكانت لام ولد يقال لها الامينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها
وكان ملكه فيه فوضعه عندها يوما فاتاها الشيطان صاحب البحر واسمه صخر على صورة سليمان عليه
السلام وقال لها يا امينة خاتمى فناولته الخاتم فتختم به وجلس على كرسى سليمان عليه السلام فعكفت
عليه الطير والجن والانس وتغيرت صفة سليمان عليه السلام فاتى الامينة يطلب الخاتم فانكرته فعرف
ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم
اخذ ينقل السمك للصيادين فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسى باع احداهما بارغفة وشوى الاخرى
فاكلها فمكث كذلك اربعين صباحا مدة ما كان عبد الوثن فى داره فانكر آصف وعظماء بنى اسرائيل
حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان عليه السلام فقلن ما يدع امرأة فى دمها ولا يغتسل من
جنابة فقال آصف انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم خرج على بنى اسرائيل فقال
ما فى الخاصة اعظم مما فى العامة فلما مضى اربعون صباحا طار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر
فابتلعته سمكة فاخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان عليه السلام بسمكتين صدر يومه ذلك
حتى اذا كان العشى اعطاه سمكتيه فاعطى السمكة التى اخذت الخاتم وخرج سليمان عليه السلام بسمكتيه
فباع السمكة التى ليس فى بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فبقرها ليشويها فاستقبله
الخاتم فى جوفها فاخذه فجعله فى يده ووقع ساجدا وعكفت عليه الطير والجن والانس ورجع الى ملكه
اخذ ذلك الشيطان وحبسه فى صخرة والقاه فى البحر هذا ملخص حديث وهب وقال الحسن ما كان
الله ليسلط الشيطان على نسائه وقال السدى كان سبب فتنة سليمان عليه السلام انه كانت له مائة
امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهى آثر نسائه وآمنهن عنده وكان يأتمنها على خاتمه
اذا اتى حاجة فقالت له يوما ان اخى بينه وبين فلان خصومة فاحب ان تقضى له فقال نعم ولم يفعل فابتلى بقوله
نعم وذكر نحو ما تقدم وفى بعض الروايات ان سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه
ملكه فاعاده سليمان عليه السلام الى يده فسقط فايقن سليمان عليه السلام بالفتنة فاتاه آصف فقال لسليمان
عليه السلام انك مفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك فى يدك ففر الى الله تعالى تائبا فانى اقوم مقامك
واسير بسيرتك الى ان يتوب الله تعالى عليك ففر سليمان عليه السلام الى الله تعالى واعطى آصف الخاتم فوضعه
فى يده فثبت فاقام آصف فى ملك سليمان عليه السلام يسير بسيرته اربعة عشر يوما الى ان رد الله تعالى على
سليمان عليه السلام ملكه وتاب عليه ورجع الى ملكه وجلس على سريره واعاد الخاتم فى يده فهو الجسد

الذى القى على كرسيه وروى عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عليه السلام عن الناس ثلاثة
ايام فاوحى الله تعالى اليه احتجبت عن الناس ثلاثة ايام فلم تنظر فى امور عبادى فابتلاه الله عز وجل
وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم واخذ الشيطان اياه قال الرازى واستبعد اهل التحقيق هذا
الكلام من وجوه الاول ان الشيطان لو قدر على ان يتشبه فى الصورة والخلقة بالانبياء فحينئذ لا يبقى
اعتماد على شئ من ذلك فلعل هؤلاء الذين رآهم الناس على صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام
ما كانوا اولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم فى الصورة لاجل الاغواء والاضلال وذلك يبطل الدين
بالكلية الثانى ان الشيطان لو قدر ان يعامل نبى الله تعالى سليمان عليه السلام بمثل هذه المعاملة
لوجب ان يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد وحينئذ يجب ان يقتلهم ويمزق تصانيفهم ويخرب
ديارهم ولما بطل ذلك فى حق آحاد العلماء فلان يبطل فى حق اكابر الانبياء اولى الثالث كيف يليق
بحكمة الله تعالى واحسانه ان يسلط الشيطان على ازواج سليمان عليه السلام ولا شك انه قبيح وعلى
خير راى الحسن كما مر الرابع لو قلنا ان سليمان عليه السلام اذن لتلك المرأة فى عبادة
تلك الصورة فهذا الكفر منه وان لم ياذن فيه البتة فالذنب على تلك المرأة فكيف يؤاخذ الله تعالى
سليمان عليه السلام بفعل لم يصدر منه اى وقد يقال انما اوخذ بذلك لكونه كان سببا فى عملها قال
فاما اهل التحقيق فقد ذكروا وجوها الاول ان فتنة سليمان عليه السلام انه ولد له ابن فقالت الشياطين
ان عاش صار مسلطا علينا مثل ابيه فسبيلنا ان نقتله فعلم سليمان عليه السلام ذلك فكان يربيه
فى السحاب فبينما هو مشتغل بمهماته اذ القى ذلك الولد ميتا على كرسيه فتنبه على خطيئته فى انه لم
يتوكل على الله تعالى فاستغفر ربه وتاب الثانى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال قال
سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كل امرأة تاتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله
تعالى فطاف عليهن فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله
تعالى لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا اجمعين فذلك قوله تعالى ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه
جسدا الثالث انه اصابه مرض فصار يجلس على كرسيه وهو مريض فذلك قوله تعالى والقينا على كرسيه
جسدا وذلك لشدة المرض والعرب تقول فى الضعيف انه لحم على وضم وجسم بلا روح ثم اناب اى
رجع الى حال الصحة اه وهذا اظهر ما قيل كما قال البيضاوى الرابع لا يبعد ايضا ان يقال انه ابتلاه الله
تعالى بتسليط خوف او توقع بلاء من بعض الجهات حتى صار بقوة ذلك الخوف كالجسد
الضعيف الملقى على ذلك الكرسى ثم ان الله تعالى ازال عنه ذلك الخوف واعاده الى ما كان عليه
من القوة وطيب القلب فاللفظ محتمل لهذه الوجوه ولا حاجة الى حمله على تلك الوجوه الركيكة
فان قيل لولا تقدم الذنب لما قال رب اغفر لى اجيب بان الانسان لا ينفك عن ترك الافضل
وحينئذ يحتاج الى طلب المغفرة لان حسنات الابرار سيئات المقربين ولانه ابدا فى مقام هضم النفس
واظهار الذلة والخضوع كما قال صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله تعالى فى اليوم والليلة سبعين

مرة مع انه صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلا يبعد ان يكون المراد من هذه
الكلمة هذا المعنى واختلف فى قول سليمان عليه السلام وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ اى
سواى نحو فمن يهديه من بعد الله اى سوى الله فقال عطاء بن ابى رباح يريد هب لى ملكا لا تسلبنيه
فى باقى عمرى إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ وقال مقاتل ان الشيطان لما استولى على مملكه طلب ان يعطيه الله
ملكا لا يقدر الشيطان على ان يقوم فيه مقامه البتة وقال من انكر ان الشيطان لم يستول على ذلك ان
ذلك محتمل لوجوه الاول ان الملك هو القدرة فكان المراد اقدرنى على اشياء لا يقدر عليها غيرى
البتة ليصير اقتدارى عليها معجزة تدل على صحة نبوتى ورسالتى ويدل على صحة هذا القول قوله تعالى
فَسَخَّرْنَا اى بما لنا من العظمة لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً اى حالة كونها لينة غاية اللين منقادة
يدرك بها ما لا تدرك الخيل غدوها شهر ورواحها شهر حَيْثُ أَصَابَ اى اراد فكون الريح
جارية بامره قدرة عجيبة وملك عجيب دال على صحة نبوته لا يقدر احد على معارضته وقد
جعل الله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم اعظم من ذلك وهو ان العدو يرعب منه الى مسيرة
شهر من جوانبه الاربعة فهى اربعة اشهر الثانى انه عليه السلام لما مرض ثم عاد الى الصحة عرف ان
خيرات الدنيا صائرة الى التغيرات فسأل ربه ملكا لا يمكن ان ينتقل منى الى غيرى الثالث ان
الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها اشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة فكأنه قال
يا الهى اعطنى مملكة فائقة على ممالك البشر بالكلية حتى احترز عنها مع القدرة عليها ليصير ثوابى اكمل
وافضل الرابع سأل ذلك ليكون علامة على قبول توبته حيث اجاب الله تعالى دعاءه ورد عليه ملكه
وزاده فيه وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن اتانى الليلة ليقطع على صلوتى
فامكننى الله منه فاخذته فاردت ان اربطه على سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه فذكرت
دعوة اخى سليمان رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى فرددته خاسئا فعلم من هذه الاجوبة انه ليس فى كلام
سليمان عليه السلام ما يشبه الحسد وهو طلب ما لا ينبغى لاحد غيره واجاب الزمخشرى باجوبة غير ذلك
منها ان سليمان عليه السلام كان ناشئا فى بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة
فطلب على حسب الفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا
على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم ثم قال وعن الحجاج انه قيل له انك حسود فقال احسد منى من قال
رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى قال وهذا من جراءته على الله تعالى وشيطنته ومن شيطنته
ما حكى عنه طاعتنا اوجب من طاعة الله لانه شرط فى طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم واطلق فى
طاعتنا فقال واولى الامر منكم فان قيل قوله تعالى رخاء ينافيه قوله تعالى فى اية اخرى ولسليمان الريح
عاصفة اجيب عن ذلك بوجهين الاول ان المراد ان تلك الريح كانت فى قوة الرياح العاصفة الا انها
لما امرت بامره كانت لذيذة طيبة وكانت رخاء الثانى ان تلك الريح كانت لينة مرة وعاصفة اخرى
فلا منافاة بين الايتين + تنبيه + قوله تعالى حيث ظرف لتجرى او لسخرنا + فائدة +

روى ان رجلين خاصما يقصدان رقية يسألانه عن معنى اصاب فقال لهما ان تصيبا فسرقا وقالا هذا يثبتنا وقوله تعالى وَالشَّيٰطِيْنَ عطف على الريح وقوله تعالى كُلَّ بَنَّآءٍ بدل من الشياطين كانوا يبنون له ما شاء من الابنية روى ان سليمان عليه السلام امر الجان فبنت له اصطخر وكان فيها قرار مملكة الترك قديما وبنت له الجان ايضا تدمر وبيت المقدس وباب جيرون وباب البريد اللذين بدمشق على احد الاقوال وبنوا له ثلاثة قصور باليمن غمدان وسلحين وبينون ومدينة صنعاء وقوله تعالى وَّغَوَّاصٍ عطف على بناء اى يغوصون له فى البحر يستخرجون اللؤلؤ وهو اول من استخرج اللؤلؤ من البحر وقوله تعالى وَّاٰخَرِيْنَ مُقَرَّنِيْنَ اى مشدودين فِى الْاَصْفَادِ اى القيود تجمع ايديهم الى اعناقهم عطف على كل فهو داخل فى حكم البدل فكانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم فى الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض فى السلاسل ليكفوا عن الشر فان قيل اجسامهم اما ان تكون كثيفة او لطيفة فان كانت كثيفة وجب ان يراها صحيح الحاسة وان كانت لطيفة فلا تقوى على العمل ولا يمكن تقريبها اجيب بان اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى وتقوى على العمل ويمكن تقريبها اجيب بان اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى وتقوى على العمل ويمكن تقريبها او ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقتران فى الصفد وهو القيد ويسمى به العطاء لانه يرتبط المنعم عليه وفرقوا بين فعل الصفد بمعنى القيد وفعله بمعنى العطاء فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه عكس وعد واوعد فى الخير والشر وفى ذلك نكتة وهى ان القيد ضيق فناسبه تقليل حروف فعله والعطاء واسع فناسبه تكثير حروف فعله والوعد خير وهو خفيف فناسبه تقليل حروفه والايعاد شر وهو ثقيل فناسبه تكثير حروفه هٰذَا اى وقلنا هذا الامر الكبير عَطَآؤُنَا اى على ما لنا من العظمة فَامْنُنْ اَوْ اَمْسِكْ قال ابن عباس رضى الله عنهما اعط من شئت وامنع من شئت قال المفسرون اى لا حرج عليك فيما اعطيت وفيما امسكت قال الحسن ما انعم الله تعالى على احد نعمة الا عليه تبعة الا سليمان عليه السلام فانه ان اعطى اجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة وقال مقاتل هذا فى امر الشياطين يعنى خل من شئت منهم وامسك من شئت فى وثاقك لا تبعة عليك فيما تتعاطاه وقوله تعالى بِغَيْرِ حِسَابٍ فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق بعطاؤنا اى اعطيناك بغير حساب ولا تقدير وهو دال على كثرة الاعطاء ثانيها انه حال من عطاؤنا اى فى حال كونه غير محاسب عليه لانه جم كثير يعسر على الحاسب ضبطه ثالثها انه متعلق بامنن او امسك ويجوز ان يكون حالا من فاعلهما اى غير محاسب عليه ولما ذكر تعالى ما انعم عليه به فى الدنيا اتبعه بما انعم عليه فى الآخرة بقوله سبحانه وتعالى وَاِنَّ لَهٗ عِنْدَنَا اى فى الآخرة مع ما له من الملك العظيم فى الدنيا لَزُلْفٰى اى قربى عظيمة وَحُسْنَ مَاٰبٍ وهو الجنة القصة الثالثة قصة ايوب عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى وَاذْكُرْ عَبْدَنَآ اى الذى هو اهل للاضافة الى جنابنا ويبدل منه اَيُّوْبَ وهو ابن اموص بن رزاح بن عيص بن اسحق وامرأته ليا بنت يعقوب عليهما السلام وقوله

تعالى إذ نادى ربه بدل من عبدنا بدل اشتمال وأيوب عطف بيان له وقوله أني أي بأني
مسني الشيطان أي المحترق باللعنة البعيد من الرحمة بنصب أي بمشقة وضر وعذاب أي ألم وجيء به
على حكاية كلامه الذي نادى بسببه ولو لم يحكه لقيل انه مسه لأنه غائب وقال قتادة رضي الله عنه
النصب في الجسد والعذاب في المال واختلف العلماء في هذه الآلام والأسقام الحاصلة في جسده على
قولين أحدهما أنها حصلت بفعل الشيطان والثاني أنها حصلت بفعل الله تعالى والعذاب المضاف في
هذه الآية إلى الشيطان هو عذاب الوسوسة وإلقاء الخواطر الفاسدة أما تقرير القول الأول فهو ما روي
ان إبليس لعنه الله سأل ربه فقال هل في عبيدك من لو سلطتني عليه يمتنع مني فقال الله تعالى نعم
عبدي أيوب فجعل يأتيه بوساوسه وهو يرى إبليس عيانا ولا يلتفت إليه فقال رب إنه قد
امتنع علي فسلطني على ماله فكان الشيطان يجيئه ويقول له يا أيوب هلك من مالك كذا وكذا فيقول
أيوب الله أعطى والله أخذ ثم يحمد الله سبحانه وتعالى فقال يا رب ان أيوب لا يبالي بماله فسلطني على
جسده فأذن فيه فنفخ في جلد أيوب فحدث أسقام عليه وآلام شديدة فمكث في ذلك البلاء سنين
حتى استقذره أهل بلده فخرج إلى الصحراء وما كان يقرب منه أحد فجاء الشيطان إلى امرأته و
قال إن زوجك إن استغاث بي خلصته من هذا البلاء فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف بالله لئن عافاه الله
تعالى ليجلدنها مائة جلدة وعند هذه الواقعة قال أني مسني الشيطان بنصب وعذاب فأجاب الله تعالى
دعاءه وأوحى إليه اركض برجلك إلى آخر الآية وأما تقرير القول الثاني فإن الشيطان لا قدرة له
البتة على إيقاع الناس في الأمراض والأسقام ويدل عليه وجوه الأول أنا لو جوزنا حصول الموت
والحياة والصحة والمرض من الشيطان فلعل الواحد منا إنما وجد الحياة بفعل الشيطان ولعل أحدنا
من الخيرات والسعادات قد حصل بفعله وحينئذ لا سبيل إلى معرفة من يعطي الحياة والموت
والصحة والسقم هو الله تعالى ثانيها أن الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يسعى في قتل
الأنبياء والأولياء ولم لا يخرب دورهم ولم لا يقتل أولادهم ثالثها أن الله تعالى حكى عن الشيطان
أنه قال وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فصرح بأنه لا قدرة له على البشر
إلا بإلقاء الوساوس والخواطر الفاسدة فدل ذلك على فساد القول بأن الشيطان هو الذي ألقاه
في تلك الأمراض فإن قيل لم لا يجوز أن يقال إن الفاعل لهذه الأحوال هو الله تعالى لكن على
وفق التماس الشيطان أجيب بأنه إذا كان لا بد من الاعتراف بأن خالق تلك الآلام والأسقام
هو الله تعالى فأي فائدة في جعل الشيطان واسطة في ذلك بل الحق أن المراد بقوله أني مسني
الشيطان بنصب وعذاب أنه بسبب إلقاء الوساوس الفاسدة كان يلقيه في أنواع العذاب والقائلون
بهذا القول اختلفوا في أن تلك الوساوس كيف كانت وذكروا وجوها أولها أن علته كانت شديدة الألم
ثم طالت تلك العلة واستقذره الناس ونفروا عن مجاورته ولم يبق له مال البتة وامرأته كانت تخدم
الناس وتحصل له قدر القوت ثم بلغت نفرة الناس عنه إلى أن منعوا امرأته من الدخول

عليهم ومن خدمتهم والشيطان كان يذكره النعمة التى كانت عليه والآفات التى حصلت له و
كان يحتال فى دفع تلك الوساوس فلما قويت تلك الوساوس فى قلبه خاف وتضرع الى الله تعالى
وقال مسنى الشيطان بنصب وعذاب لانه كلما كثرت تلك الخواطر كان تألم قلبه منها اشد ثانيها انه
لما طالت مدة المرض جاءه الشيطان يقنطه مرة ويزلزله بالجزع مرة فخاف من خاطر القنوط فى
قلبه فتضرع الى الله تعالى وقال انى مسنى الشيطان ثالثها قيل ان امرأته كانت تخدم الناس وتأخذ
منهم قدر القوت وتجئ به الى ايوب عليه السلام فاتفق لها انهم لما استخدموها طلبت بعض النساء منها
قطع احدى ذؤابتيها على ان تعطيها قدر القوت ففعلت ثم فى اليوم الثانى فعلت مثل ذلك فلم يبق
لها ذؤابة وكان ايوب عليه السلام اذا اراد ان يتحرك على فراشه تعلق بتلك الذؤابة فلما لم يجد
الذؤابة وقعت الخواطر الرديئة فى قلبه فعند ذلك قال مسنى الشيطان بنصب وعذاب
رابعها روى انه عليه السلام قال فى بعض الايام يا رب لقد علمت انى ما اجتمع على امران
الا آثرت طاعتك ولما اعطيتنى المال كنت للارامل قيما ولابن السبيل معينا ولليتامى ابا فنودى
يا ايوب ممن كان ذلك التوفيق فاخذ ايوب عليه السلام التراب فوضعه على رأسه وقال منك
يا رب ثم خاف من الخاطر الاول فقال مسنى الشيطان بنصب وعذاب وذكروا اقوالا اخر فى
سبب بلائه منها ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه ترعى فى ناحية ملك كافر فداهنه
ولم يغظه وقيل اعجب بكثرة ماله واعلم ان داود وسليمان عليهما السلام كانا ممن افاض الله عليهما اصناف
الآلاء والنعماء وايوب عليه السلام كان ممن خصه الله بانواع البلاء والمقصود من جميع هذه القصص
الاعتبار كان الله تعالى قال يا محمد اصبر على سفاهة قومك فانه ما كان فى الدنيا اكثر من الانبياء
نعمة ومالا وجاها من داود وسليمان عليهما السلام وما كان فيهم اكثر بلاء ومحنة من ايوب عليه
السلام فتأمل احوال هؤلاء لتعرف ان احوال الدنيا لا تنتظم لاحد وان العاقل لا بد له من الصبر
على المكاره ولما اشتكى ايوب عليه السلام الشيطان وسأل ربه ان يزيل عنه تلك البلية اجابه الله
تعالى له بان قال له ارْكُضْ اى اضرب بِرِجْلِكَ اى الارض فضرب فنبعت عين ماء فقيل له
هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ اى ماء تغتسل منه فيبرأ ظاهرك وَشَرَابٌ اى وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهر
اللفظ يدل على انه نبعت له عين واحدة من الماء فاغتسل منه وشرب منه واكثر المفسرين قالوا
نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره ومن باطنه باذن الله
تعالى وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت عين باردة فشرب
منها وقيل ضرب الارض فنبعت له عين ماء فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فركض
برجله الارض مرة اخرى فنبعت عين ماء عذب فشرب منه فذهب كل داء كان فى باطنه وَوَهَبْنَا اى
بما لنا من العظمة لَهُ اَهْلَهُ اى بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له
مثل اهله والاول هو ظاهر الاية فلا يعدل عنه من غير ضرورة وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ حتى

كان له ضعف ما كان قوله تعالى رَحْمَةً اى نعمة مِنَّا مفعول لاجله اى وهبناهم له لاجل رحمتنا اياه
وَذِكْرَى اى وتذكيرا بحاله لِأُولِي الْأَلْبَابِ اى اصحاب العقول ليعلموا ان من صبر
ظفر وان رحمة الله تعالى واسعة وهو عند القلوب المنكسرة فما بينه وبين الاجابة الاحسن
الانابة فمن دام اقباله عليه اغناه عن غيره كما قيل شعر لكل شئ اذا فارقته عوض * وما
عن الله ان فارقت من عوض * وهذا تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم كما مر وقوله تعالى
وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش والقضبان فيها
مائة عود كشمراخ النخلة وقيل الحزمة الكبيرة من القضبان وقوله سبحانه وتعالى فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ
يدل على تقدم يمين منه عليه الصلوة والسلام واختلفوا فى سبب حلفه عليها ويبعد ما قيل
انها رغبته فى طاعة الشيطان ويبعد ايضا ما روى انها قطعت ذوائبها لان المضطر يباح له ذلك
بل الاقرب ما روى ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف عليه السلام
ذهبت لحاجة فابطأت عليه فحلف فى مرضه ليضربنها مائة اذا برئ * ولما كانت حسنة الخدمة
جعل الله تعالى يمينه باهون شئ عليه وعليها وهذه الرخصة باقية فى الحدود لما روى انه صلى
الله عليه وسلم اتى برجل ضعيف قد زنا بامة فقال صلى الله عليه وسلم خذوا مائة شمراخ واضربوه
بها ضربة واحدة إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا اى فيما اصابه فى النفس والاهل والمال فان قيل كيف وجده
صابرا وقد شكى اليه اجيب باوجه احدها ان شكواه الى الله تعالى كتمنى العافية فلا يسمى جزعا
ولهذا قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثى وحزنى الى الله وكذلك شكوى العليل وذلك
ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمنى العافية وطلبها فاذا صح ان يسمى صابرا مع تمنى العافية
فلا يعد صابرا مع اللجأ الى الله تعالى والدعاء بكشف ما به مع التعالج ومشاورة الاطباء ثانيها
ان الالام حين كانت على الجسد لم يذكر شيئا فلما تعاظمت الوساوس على القلب تضرع الى الله تعالى
ثالثها ان الشيطان عدو والشكاية من العدو الى الحبيب لا تقدح فى الصبر ويروى انه قال
مناجاته الهى قد علمت انه لم يخالف لسانى قلبى ولم يتبع قلبى بصرى ولم اكل الا ومعى يتيم ولم ابت
شبعانا ولا كاسيا ومعى جائع او عريان فكشف الله تعالى عنه ثم استانف قوله نِعْمَ الْعَبْدُ اى
ايوب عليه السلام ثم علل بقوله تعالى مؤكدا لئلا يظن ان بلاءه قادح فى ذلك إِنَّهُ أَوَّابٌ اى
رجاع الى الله تعالى روى انه لما نزل قوله تعالى نعم العبد فى حق سليمان عليه السلام تارة فى حق
ايوب عليه السلام اخرى عظم فى قلوب امة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا ان قوله تعالى نعم العبد
تشريف عظيم فان احتجنا الى تحمل بلاء مثل ايوب عليه السلام لم نقدر عليه فكيف السبيل الى
تحصيله فانزل الله تعالى قوله سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير والمراد انك ايها الانسان
ان لم تكن نعم العبد فانا نعم المولى وان كان منك غير الفضل فانا منى الفضل وان كان منك التقصير
فمنى الرحمة والتيسير القصة الرابعة قصة ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام المذكورة

في قوله تعالى وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ ابن ابراهيم وَيَعْقُوبَ ابن اسحق أُولِي الْأَيْدِي اى اصحاب القوى فى العبادة وقال ابن عباس رضى الله عنهما اولى القوة فى طاعة الله تعالى وَالْأَبْصَارِ اى المعرفة بالله اى البصائر فى الدين او اولى الاعمال الجليلة والعقائد الشرعية فعبر بالايدى عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لان اقوى مبادئها وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله تعالى ولا من المستبصرين فى دين الله وفيه توبيخ ايضا على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما فهم فى حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والناقصى العقول الذين لا استبصار لهم وقال قتادة ومجاهد اعطوا قوة فى العبادة وبصرا فى الدين وقرأ ابن كثير بفتح العين وسكون الباء الموحدة ولا الف بعدها على التوحيد على انه ابراهيم وحده لمزيد شرفه وابراهيم عطف بيان واسحق ويعقوب عطف على عبدنا والباقون بكسر العين وفتح الموحدة والف بعدها على الجمع إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ اى اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين بخصلة خالصة لا شوب فيها وهى ذِكْرَى الدَّارِ الآخرة اى ذكرها والعمل لها لان مطمح نظرهم الفوز بلقائه وذلك فى الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر وقرأ نافع وهشام خالصة بغير تنوين بالاضافة للبيان وان خالصة مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله والباقون بالتنوين فمن اضاف فمعناه اخلصناهم بذكرى الدار الآخرة وان يعملوا لها والذكرى بمعنى الذكر قال مالك بن دينار نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها واخلصناهم بحب الآخرة وذكرها وقال قتادة كانوا يدعون الى الآخرة والى الله عز وجل وقال السدى اخلصوا الخوف للآخرة وقال ابن زيد اخلصناهم بافضل ما فى الآخرة ومن قرأ بالتنوين فمعناه بخلة خالصة هى ذكرى الدار فيكون ذكرى الدار بدلا من الخالصة اى جعلناهم مخلصين بما اخبرنا من ذكر الآخرة والمراد بذكرى الدار الذكر الجميل الرفيع لهم فى الآخرة وقيل انه ابقى لهم الذكر الجميل فى الدنيا وقيل هو دعاؤه واجعل لى لسان صدق فى الآخرين وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ اى اصطفاء لا يقدح فيه قادح فصاروا فى غاية الرسوخ فى هذا الوصف الْأَخْيَارِ اى المختارين من ابناء جنسهم والاخيار جمع خيّر بالتشديد او خير بالتخفيف كاموات فى جمع ميّت او ميت واحتج العلماء بهذه الآية على اثبات عصمة الانبياء عليهم السلام لانه تعالى حكم عليهم بكونهم اخيارا على الاطلاق وهذا يعم حصول الخيرية فى جميع الافعال والصفات بدليل صحة الاستثناء منه القصة الخامسة قصة اسمعيل واليسع وذى الكفل عليهم السلام المذكورة فى قوله تعالى وَاذْكُرْ يا اشرف الخلق إِسْمَاعِيلَ اى اباك وما صبر عليه من البلاء بالغربة والانفراد والوحدة والاشراف على الموت فى الله غير مرة وما صار اليه بعد ذلك البلاء من الفرج والرياسة والذكر فى هذه البلدة وَالْيَسَعَ وهو ابن اخطوب استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ واللام كما فى قوله : رأيت الوليد بن اليزيد مباركا : وقرأ حمزة والكسائى [illegible] والباقون بسكون اللام وفتح الياء بعدها وَذَا الْكِفْلِ

وهو ابن عم اليسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته وكفالته فقيل فر اليه مائة نبي من بني اسرائيل
من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة وَكُلٌّ اي كلهم
مِنَ الْأَخْيَارِ فهم مختارون من الانبياء تحملوا الشدائد في دين الله تعالى وصبروا فاذكرهم
يا افضل الخلق بفضائلهم وصبرهم لتسلك طريقهم + ولما اتم تعالى ذكر الانبياء عليهم الصلوة والسلام
واتمه قال مؤكدا لشانهم وشرف ما ذكر من احوالهم هَذَا اي ما تلوناه عليك من ذكرهم وذكر
غيرهم ذِكْرٌ اي شرف في الدنيا وموعظة من ذكر القرآن ذي الذكر ثم عطف على قوله تعالى ان
الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد ما لاضدادهم فقال تعالى ردا على من ينكر ذلك
من كفار العرب وغيرهم وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ اي مرجع + ولما شوق سبحانه الى هذا الجزاء
ابدل منه او بينه بقوله تعالى جَنَّاتِ عَدْنٍ اي اقامة في سرور وطيب عيش ثم انه تعالى وصف اهل
الجنة باشياء اولها قوله تعالى مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ اي ان الملائكة يفتحون لهم ابواب الجنة ويحيونهم
بالسلام كما قال تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها الاية وقيل المعنى انهم كلما ارادوا انفتاح الابواب
انفتحت لهم وكلما ارادوا انغلاقها انغلقت لهم + وقيل المراد من هذا الفتح وصف تلك المساكن
بالسعة وقرة العيون فيها ثانيها قوله تعالى مُتَّكِئِينَ فِيهَا وقد ذكر في آيات اخر كيفية ذلك الاتكاء
فقال تعالى في آية على الارائك متكئون وقال في آية اخرى متكئين على رفرف خضر ثالثها قوله
تعالى يَدْعُونَ فِيهَا اي الجنات بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ اي كثير فيدعون فيها بالوان
الفاكهة والوان الشراب + ولما بين المسكن والمأكول والمشروب ذكر امر المنكوح تتميما للنعمة بقوله
سبحانه تعالى وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ اي حابسات الطرف اي العين على ازواجهن أَتْرَابٌ
اي اسنانهن واحدة وهي بنات ثلاث وثلاثين سنة واحدها ترب وعن مجاهد متواخيات
لا يتباغضن ولا يتغايرن وقيل اتراب للازواج قال القفال والسبب في اعتبار هذه الصفة لما
تشابهن في الصفة والسن والجبلة كان الميل اليهن على السوية وذلك يقتضي عدم الغيرة وقرأ قوله تعالى
هَذَا مَا تُوعَدُونَ ابن كثير وابو عمرو بالياء التحتية على الغيبة والباقون بالفوقية على الخطاب فوجه الغيبة
تقدم ذكر المتقين ووجه الخطاب الالتفات اليهم والاقبال عليهم اي قل للمتقين هذا ما توعدون
لِيَوْمِ الْحِسَابِ اي في يوم الحساب او لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء إِنَّ هَذَا اي المشار اليه
اشارة الحاضر الذي لا يغيب لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ اي انقطاع وهذا اخبار عن دوام هذا الثواب تنبيه
من نفاد فاعل ومن مزيدة والجملة في محل نصب على الحال من رزقنا اي غير نافد ويجوز ان يكون
خبرا ثانيا لان اي دائم + ولما وصف تعالى ثواب المؤمنين وصف بعده عقاب الظالمين ليكون الوعيد
مذكورا عقب الوعد والترغيب عقب الترهيب بقوله تعالى هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ اي
مرجع هذا في مقابلة قوله تعالى وان للمتقين لحسن مآب والمراد بالطاغين الكفار وقال الجبائي
على مذهبه الفاسد هم اصحاب الكبائر سواء كانوا كفارا ام لا واحتج الاول بان هذا ذم

ثلاثة

مطلق فلا يحمل الا على الكامل في الطغيان وهو الكافر واحتج هو بقوله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه
استغنى فدل على ان الوصف بالطغيان قد يحصل لصاحب الكبيرة لان من تجاوز حد تكاليف الله
تعالى وتعداها فقد طغى ورد هذا بان المراد بالانسان هنا هو الكافر ايضا + تنبيه + هذا يحتمل ان يكون
مبتدأ والخبر مقدر اي كما ذكر كما قدره الزمخشري وقدره ابو علي بقوله هذا للمؤمنين قال الجلال المحلي في
هذا المذكور للمؤمنين ويحتمل ان يكون خبر مبتدأ مضمر اي الامر هذا وقوله تعالى جَهَنَّمَ اي الشديدة
الاضطرام الملاقية لمن يدخلها بغاية العبوسة والتجهم فيه اعراب جنات المتقدم وقوله تعالى
يَصْلَوْنَهَا اي يدخلونها فيباشرون شدائدها حال من جهنم فَبِئْسَ الْمِهَادُ اي المهد والفراش
مستعار من فرش النائم هذا معنى قوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه الله تعالى
ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفرش للنائم والمخصوص بالذم محذوف اي هي وفي قوله تعالى
هَذَا اي العذاب المفهوم مما بعده اوجه من الاعراب احدها انه خبر مبتدأ مضمر اي الامر هذا
ثم استأنف امرا فقال فَلْيَذُوقُوهُ ثانيها انه مبتدأ وخبره حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ واسم الاشارة يكتفى بواحده
في المثنى كقوله تعالى عوان بين ذلك او يكون المعنى هذا جامع بين الوصفين ويكون قوله تعالى
فليذوقوه جملة اعتراضية ثالثها انه مبتدأ والخبر محذوف اي هذا كما ذكر وهذا للطاغين وقيل غير ذلك
وقيل هذا على التقديم والتأخير والتقدير هذا حميم وغساق فليذوقوه وقيل التقدير جهنم يصلونها
فبئس المهاد هذا فليذوقوه ثم يبتدئ فيقول حميم وغساق اي منه حميم ومنه غساق والحميم الحار الذي انتهى حره
والغساق ما يسيل من صديد اهل النار وقال كعب هو عين في جهنم يسيل اليها كل ذي حمة
وعقرب وقال ابو عمرو وهو القيح الذي يسيل من اهل النار فيجمع فيسقونه وقال قتادة هو ما يغسق
اي يسيل من القيح والصديد من جلود اهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل هو المنتن بلغة الترك
حكى الزجاج لو قطرت منه قطرة بالمغرب لانتنت اهل المشرق وقرأ حمزة والكسائي وحفص
بتشديد السين والباقون بالتخفيف وقرأ ابو عمرو وَأُخَرُ بضم الهمزة على جمع اخرى مثل الكبرى والكبر
اي اصناف اخر من العذاب مِنْ شَكْلِهِ اي مثل المذكور من الحميم والغساق والباقون بفتح الهمزة
ممدودة على التوحيد على انه المذكور واختار ابو عبيد الجمع لانه تعالى نعته بالجمع فقال سبحانه وتعالى
أَزْوَاجٌ اي اصناف اي عذابهم من انواع مختلفة ويقال لهم عند دخولهم النار باتباعهم هَذَا
فَوْجٌ اي جمع كثيف مُقْتَحِمٌ اي داخل ومفعوله محذوف اي مقتحم النار مَعَكُمْ بشدة فيقول المتبوعون
لَا مَرْحَبًا بِهِمْ اي لا سعة عليهم ولا سمعوا مرحبا وقولهم إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ اي داخلون النار
باعمالهم مثلنا تعليل لاستحقاقهم الدعاء عليهم ونظير هذه الاية قوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها
وقال الكلبي انهم يضربون بالمقامع حتى يوقعوا انفسهم في النار خوفا من تلك المقامع قَالُوا اي
الاتباع بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ اي ان الدعاء الذي دعوتم به علينا ايها الرؤساء انتم احق به منا
وعللوا ذلك بقولهم أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ اي الكفر لَنَا اي بدأتم به قبلنا وشرعتموه وسننتموه لنا

ربنا

وقيل انتم قدمتم هذا العذاب لنا بدعائكم ايانا الى الكفر فَبِئْسَ الْقَرَارُ اى النار لنا ولكم قَالُوا اى
الاتباع ايضا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هٰذَا اى شرعه وسنه لنا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا اى مثل عذابه على كفره
فِي النَّارِ قال ابن مسعود يعني حيات وافاعي وَقَالُوا اى الطاغون وهم في النار مَا لَنَا لَا نَرَىٰ
رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ يعنون فقراء المؤمنين كعمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان الذين
كانوا يسترذلونهم ويسخرون بهم وقولهم أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا صفة اخرى لرجالا اى كنا نسخر بهم
في الدنيا وقرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين والباقون بكسرها أَمْ زَاغَتْ اى مالت عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ
اى فلم نرهم حين دخلوها وقال ابن كيسان اى ام كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت
ابصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا إِنَّ ذٰلِكَ اى الذي حكيناه عنهم لَحَقٌّ اى واجب
وقوعه فلا بد ان يتكلموا به ثم بين ذلك الذي حكاه عنهم بقوله تعالى تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ اى في النار
وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا
بكم من باب الخصومة + تنبيه + يصح في تخاصم اوجه من الاعراب احدها انه بدل من لحق
الثاني انه عطف بيان الثالث انه خبر ثان لان الرابع انه خبر مبتدأ مضمر اى هو تخاصم
+ ولما شرح سبحانه نعيم اهل الثواب وعقاب اهل العذاب عاد الى تقرير التوحيد
والنبوة والبعث المذكورات اول السورة بقوله تعالى قُلْ يا افضل الخلق للمشركين
إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ اى مخوف بالنار لمن عصى وَ لا بد من الاقرار بانه مَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللّٰهُ اى
الجامع لجميع الاسماء الحسنى الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ فكونه واحدا يدل على عدم الشريك وكونه قهارا
مشعر بالتخويف والترهيب + ولما ذكر ذلك اردفه بما يدل على الرجاء والترغيب بقوله تعالى
شانه رَبُّ السَّمٰوٰتِ اى مبدعها وحافظها على علوها وسعتها واحكامها بما لها من الزينة
والمنافع وَالْأَرْضِ اى على سعتها وضخامتها وكثافتها وما فيها من العجائب وَمَا بَيْنَهُمَا اى
الخافقين من الفضاء والهواء وغيرهما من العناصر والنبات والحيوانات العقلاء وغيرها
دلّ كل شيء من ذلك ايجادا او ابقاء على ما يريد وان كره ذلك المربوب فدل ذلك على قهره
وتفرده الْعَزِيزُ اى الغالب على امره الْغَفَّارُ فكونه ربا يشعر بالتربية والكرم والاحسان
والجود وكونه غفارا يشعر بان العبد لو اقدم على المعاصي والذنوب ثم تاب اليه فانه يغفرها
برحمته وهذا الموصوف بهذه الصفات هو الذي تجب عبادته لانه هو الذي يخشى عقابه ويرجى
ثوابه وقوله تعالى قُلْ اى لهم هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ يعود على القرآن وما فيه من القصص والاخبار وقيل
تخاصم اهل النار وقيل على ما تقدم من اخباره صلى الله عليه وسلم بانه نذير مبين وبان الله
تعالى اله واحد متصف بتلك الصفات الحسنى وقوله تعالى أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ صفة لنبأ اى لتمادي
غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما تقدم
واما على النبوة فقوله تعالى مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ اى الملائكة فقوله بالملأ متعلق بقوله

من علم ضمن معنى الاحاطة فلذلك تعدى بالباء اذ يختصمون اى فى شان آدم عليه السلام حين قال الله عزّ وجلّ انى جاعل فى الارض خليفة الآية فان قيل الملائكة لا يجوز ان يقال انهم اختصموا بسبب قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فالمخاصمة مع الله تعالى كفر اجيب بانه لا شك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة والمشابهة علة المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه ولما امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يذكر هذا الكلام على سبيل الزجر امره ان يقول ان اى ما يوحى الىّ الا انما اى انى انا نذير مبين اى بين الانذار فابين لكم ما تاتونه وما تجتنبونه وروى انه صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربى فى احسن صورة قال ابن عباس رضى الله عنه احسبه قال فى المنام فقال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت انت اعلم اى رب مرتين قال فوضع يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديىّ او قال فى نحرى فعلمت ما فى السموات وما فى الارض وفى رواية ثم تلا هذه الآية وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم فى الدرجات والكفارات قال وما هن قلت المشى على الاقدام الى الجماعات والجلوس فى المساجد بعد الصلوة واسباغ الوضوء فى المكاره قال من يفعل ذلك يعيش بخير ويموت بخير ويخرج من خطيئته كيوم ولدته امه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللّهمّ انى اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لى وترحمنى واذا اردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون قال ومن الدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلوة بالليل والناس نيام وفى رواية فقلت لبيك وسعديك فى المرتين وفيهما فعلمت ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وللعلماء فى هذا الحديث وامثاله من احاديث الصفات مذهبان احدهما مذهب السلف هو اقراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تاويل له والسكوت عنه مع الاعتقاد بان ليس كمثله شئ وهو السميع البصير والمذهب الثانى مذهب الخلف وهو تاويل الحديث فقوله صلى الله عليه وسلم رأيت ربى فى احسن صورة يحتمل وجهين احدهما وانا فى احسن صورة كانه زاده جمالا وكمالا وحسنا عند رؤيته ربه وانما التغير وقع بعده لشدة الوحى وثقله الثانى ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه رآه فى احسن صفاته من الانعام عليه والاقبال اليه والله تعالى تلقاه بالاكرام والاعظام فاخبر صلى الله عليه وسلم عن عظمته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبهه بالخلق وتنزيهه عن صفات النقص انه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفى الخ فالمراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شائع فى لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه وانعامه عليه بان شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لم يعرفه حتى وجد برد النعمة والرحمة والمعرفة فى قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما فى السموات وما فى الارض باعلام الله تعالى اياه فانما امره اذا اراد شيئا ان يقول

لكن فيكون اذ لايجوز على الله تبارك وتعالى ولا على صفات ذاته سبحانه مماسة او مباشرة او نقص وهذا اليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان في المنام فقد زال الاشكال لان رؤية الباري سبحانه في المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة الرائي وسبب اختصام الملأ الاعلى وهم الملائكة في الكفارات وهي الخصال المذكورة في الحديث في ايها افضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهي من باب تسمية الشيء باسم لازمه وسمي ذلك مخاصمة لما مر في السؤال والجواب المتقدمين وقوله تعالى اذ يجوز ان يكون بدلا من اذ الاولى كما قال الزمخشري وان يكون منصوبا باذكر كما قال ابو البقاء اي واذكر اذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ اي جاعل بَشَرًا مِّن طِينٍ هو ادم عليه السلام فان قيل كيف صح ان يقول لهم اني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل اجيب بانه قد يكون قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ اي اتممت خلقه وَنَفَخْتُ اي اجريت فِيهِ مِن رُّوحِي فصار حيا حساسا متنفسا واضافة الروح اليه تعالى اضافة تشريف لادم عليه السلام والروح جسم لطيف يحيا به الانسان بنفوذه فيه يسري في بدن الانسان سريان الضوء في الفضاء وكسريان النار في الفحم والماء في العود الاخضر فَقَعُوا۟ اي خروا لَهُۥ سَٰجِدِينَ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وقوله تعالى كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ فيه تاكيدان وقال الزمخشري كل للاحاطة واجمعون للاجتماع فافادا معا انهم سجدوا عن اخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات انتهى فان قيل كيف ساغ السجود لغير الله اجيب بان الممنوع هو السجود لغير الله تعالى على وجه العبادة فاما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل الا ان يكون فيه مفسدة فينهى الله تعالى عنه والاولى في الجواب انه سجود تحية بالانحناء كما قاله الجلال المحلي إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ اي تكبر وتعظم عن السجود فان قيل كيف استثنى من الملائكة عليهم السلام ابليس وهو من الجن اجيب بانه قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله تعالى فسجد الملائكة ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا وقال الجلال المحلي هو ابو الجن وكان من الملائكة وعلى هذا فلا سؤال وَكَانَ اي وصار مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ باستكباره عن امر الله تعالى او كان من الكافرين في الازمنة الماضية في علم الله تعالى + تنبيه + المقصود من ذكر هذه القصة المنع من الحسد والكبر لان ابليس انما وقع فيه بسبب الحسد والكبر والكفار انما نازعوا محمدا صلى الله عليه وسلم بسبب الحسد والكبر فذكر الله تعالى هذه القصة ههنا ليصير سماعها زاجرا عن هاتين الخصلتين المذمومتين قَالَ الله تعالى يَٰٓإِبْلِيسُ سماه بهذا الاسم لكونه من الابلاس وهو انقطاع الرجاء اشارة الى تحتم العقوبة له مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ وبين ما يوجب طاعته ولوامره تعظيم ما لا يعقل بقوله تعالى معبرا باداة ما لا يعقل عمن كان عند السجود له عاقلا كامل العقل لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ اي توليت خلقه من غير توسط سبب كاب وام والتثنية في اليد لما في خلقه من مزيد القدرة

تعالى أَسْتَكْبَرْتَ استفهام توبيخ اى تعظمت بنفسك الآن عن السجود له أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ اى من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود له لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ اى لوكنت مساويا له فى الشرف لكان يقبح ان اسجد له فكيف وانا خير منه ثم بين كونه خيرا منه بقوله خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ والنار اشرف من الطين بدليل ان الاجرام الفلكية افضل من الاجرام العنصرية والنار اقرب العناصر من الفلك والارض ابعدها عنه فوجب كون النار افضل من الارض وايضا فالنار خليفة الشمس والقمر فى اضاءة العالم عند غيبتهما والشمس والقمر اشرف من الارض فخليفتهما فى الاضاءة افضل من الارض وايضا فالكيفية الفاعلة الاصلية اما الحرارة واما البرودة والحرارة افضل من البرودة لان الحرارة تناسب الحياة والبرودة تناسب الموت وايضا فالنار لطيفة والارض كثيفة واللطافة افضل من الكثافة وايضا فالنار مشرقة والارض مظلمة والنور خير من الظلمة وايضا فالنار خفيفة تشبه الروح والارض كثيفة تشبه الجسد والروح افضل من الجسد فالنار افضل من الارض والدليل على ان الارض افضل من النار انها امينة مصلحة فاذا اودعتها حبة ردتها اليك شجرة مثمرة والنار خائنة مفسدة لكل ما سلمته اليها وايضا فالنار بمنزلة الخادم لما فى الارض ان احتيج اليها استدعيت استدعاء الخادم وان استغنى عنها طردت وايضا فالارض مستولية على النار لانها تطفئ النار وايضا فان استدلال ابليس بكون اصله خيرا من اصله استدلال فاسد لان اصل الرماد النار واصل البساتين المزهرة والاشجار المثمرة هو الطين ومعلوم بالضرورة ان الاشجار المثمرة خير من الرماد وايضا هب عن اعتبار هذه الجهة توجب الفضيلة الا ان هذا يمكن ان يعارض بجهة اخرى توجب الرجحان مثل انسان نسيب عار عن كل الفضائل فان نسبه يوجب رجحانه الا ان الذى لا يكون نسيبا قد يكون كثير العلم والزهد فيكون افضل من النسيب بدرجات لا حد لها فلذلك تقدمه ابليس فان قيل هب ان ابليس اخطأ فى القياس لكن كيف لزمه الكفر فى تلك المخالفة وتقرير السؤال من وجوه الاول ان قوله تعالى اسجدوا امر وهو يحتمل الوجوب والندب فكيف يلزم العصيان فضلا عن الكفر الثانى هب انه للوجوب وقلتم ان ابليس ليس من الملائكة فامر الملائكة بالسجود لآدم لا يدخل فيه ابليس الثالث هب انه تناوله الا ان تخصيص العام بالقياس جائز فكان ان يخصص نفسه من عموم ذلك الامر بالقياس الرابع هب انه لم يسجد مع علمه بانه كان مامورا به الا ان هذا القدر يوجب العصيان ولا يوجب الكفر اجيب بان صيغة الامر وان لم يدل على الوجوب يجوز ان ينضم اليها من القرائن ما يدل عليه وههنا حصلت تلك القرائن وهى قوله تعالى استكبرت ام كنت من العالين فعلم بذلك ان الامر للوجوب وانه مخاطب بالسجود فلما اتى بقياسه الفاسد دل ذلك على انه انما ذكر القياس ليتوصل به الى القدح فى امر الله تعالى وتكليفه وذلك يوجب الكفر ولما ذكر ابليس لعنه الله تعالى هذا القياس الفاسد قَالَ الله تعالى فَاخْرُجْ اى بسبب تكبرك ونسبتك الحكيم الذى لا اعتراض عليه الى الجور مِنْهَا اى من الجنة وقيل

من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله تعالى خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد
ما كان حسنا واظلم بعد كان نورانيا وقيل من السموات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ اى مطرود لان من طرد رمى
بالحجارة فلما كان الرجيم من لوازم الطرد جعل الرجيم كناية عن الطرد فان قيل الطرد هو اللعن فيكون
قوله تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ مكررا اجيب بحمل الطرد على ما تقدم وحمل اللعنة على الطرد من رحمة الله
تعالى وايضا قوله تعالى وان عليك لعنتي ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ اى الجزاء افاد امرا وهو طرده الى يوم القيمة
لئلا يكون تكرارا وقيل المراد بالرجيم كون الشياطين مرجومين بالشهب فان قيل كلمة الى لانتهاء الغاية
فكان لعنة الله ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع اجيب بانها كيف تنقطع وقد قال تعالى فاذن مؤذن
بينهم ان لعنة الله على الظالمين فافاد ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم القيمة اقترن عليه
مع اللعنة من العذاب ما تنسى عنده اللعنة فكانها انقطعت ❊ تنبيه ❊ قال تعالى هنا لعنتي وفي
اية اخرى اللعنة وهما وان كانا في اللفظ عاما وخاصا الا انهما من حيث المعنى عامان بطريق اللازم
لان من كانت عليه لعنة الله تعالى كانت عليه لعنة كل احد لامحالة وقال تعالى اولئك عليهم لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين ❊ ولما صار ابليس ملعونا مطرودا ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ﴾ اى الناس طلب الانظار الى يوم البعث لاجل ان يتخلص من الموت لانه اذا انظر ليوم
البعث لم يمت قبل يوم البعث وعند مجئ البعث لا يموت فحينئذ يتخلص من الموت فلذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى
﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ اى وقت النفخة الاولى فيموت فيها ثم يحييه الى دعائه
كما قال تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله تعالى معين لا يتقدم
ولا يتاخر فلما انظره الله تعالى الى ذلك الوقت ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ اقسم بعزة الله تعالى وهي قهره
وسلطانه ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ثم استثنى من ذلك ما ذكره الله بقوله ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾
اى الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من اضلاله او اخلصوا قلوبهم على اختلاف
القرائتين فان نافعا والكوفيين قرؤا بفتح اللام بعد الخاء والباقون بالكسر ❊ تنبيه ❊ قيل ان غرض
ابليس من هذا الاستثناء انه لا يقع في كلامه الكذب لانه لو لم يذكر هذا الاستثناء وادعى انه
يغوى الكل لظهر كذبه حين يعجز عن اغواء عباد الله تعالى المخلصين وعند هذا يقال ان الكذب
شئ يستنكف منه ابليس فليس يليق بالمسلم وهذا يدل على ان ابليس لا يغوى عباد الله تعالى المخلصين
وقد قال تعالى في صفة يوسف عليه السلام انه من عبادنا المخلصين فتحصل من مجموع الايتين
ان ابليس ما اغوى يوسف عليه السلام وما نسب اليه من القبائح كذب وافتراء ❊ ولما قال
ابليس ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿فَالْحَقُّ﴾ اى فبسبب غوايتك وغوايتهم اقول الحق ﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ اى لا اقول
الا الحق فان كل شئ قلته ثبت فلم يقدر احد نقضه ولا انقضه وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول ونصب الثاني
والباقون بنصبهما فنصب الثاني بالفعل بعده ونصب الاول بالفعل المذكور او على الاغراء اى الزموا
الحق او على المصدر اى احق الحق او على نزع حرف القسم ورفعه على انه مبتدأ محذوف

الخبر اى فالحق منى او فالحق قسمى وجواب القسم لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ اى بنفسك وذريتك وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ اى من الناس وقوله تعالى أَجْمَعِينَ فيه وجهان اظهرهما انه توكيد للضمير فى منك ولمن عطف عليه فى قوله تعالى وممن تبعك والمعنى لاملأن جهنم من المتبوعين والتابعين لا اترك منهم احدا وجوز الزمخشرى ان يكون تاكيدا للضمير فى منهم خاصة فقدر لاملأن جهنم من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت فى ذلك بين ناس وناس ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قُلْ اى لقومك مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ اى على تبليغ الرسالة والقران مِنْ أَجْرٍ اى جعل وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ اى المتصفين بما لست من اهله على ما عرفتم من حالى فانتحل النبوة واتقول القران وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فهو متكلف له وعن مسروق قال دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال يا ايها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقيل المعنى ان هذا الذى ادعوكم اليه ليس يحتاج فى معرفة صحته الى التكلفات الكثيرة بل هو دين يشهد صريح العقل بصحته إِنْ اى ما هُوَ اى القران إِلَّا ذِكْرٌ اى عظة وشرف لِلْعَالَمِينَ اى للخلق اجمعين وَلَتَعْلَمُنَّ جواب قسم مقدر ومعناه لتعرفن يا كفار مكة نَبَأَهُ اى خبر صدقه وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيان ذلك بَعْدَ حِينٍ قال ابن عباس وقتادة بعد الموت وقال عكرمة يوم القيمة وقال الحسن ابن آدم عند الموت ياتيك الخبر اليقين وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير حديث موضوع

سورة الزمر مكية

الا قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم الاية فمدنية وهى خمس وسبعون اية والف ومائة واثنتان وتسعون كلمة واربعة آلاف وسبعمائة وثمانية احرف بِسْمِ اللَّهِ الذى له صفات الكمال الرَّحْمَنِ الذى انعم على عباده بانواع النعم الرَّحِيمِ بانواع المغفرة على المؤمنين من عباده تَنْزِيلُ الْكِتَابِ اى القران مبتدأ وقوله تعالى مِنَ اللَّهِ اى المتصف بجميع صفات الكمال خبره اى تنزيل الكتاب كائن من الله تعالى وقيل تنزيل الكتاب خبر مبتدأ مضمر تقديره هذا تنزيل الكتاب من الله الْعَزِيزِ اى الغالب فى ملكه الْحَكِيمِ اى فى صنعه ففى ذلك دلالة على انه تعالى عالم بجميع المعلومات غنى عن جميع الحاجات فان قيل ان الله تعالى وصف القران بكونه تنزيلا ومنزلا وهذا الوصف لا يليق الا بالمحدث المخلوق اجيب بان ذلك محمول على الصيغ والحروف إِنَّا اى بما لنا من العظمة أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يا اشرف الخلق خاصة بواسطة جبريل الملك الْكِتَابَ اى القران الجامع لكل خير وقوله تعالى

بالحق يجوز ان يتعلق بالانزال اى بسبب الحق وان يتعلق بمحذوف على انه حال من الفاعل والمفعول وهو الكتاب اى ملتبسين بالحق او ملتبسا بالحق والصدق والصواب والمعنى ان كل ما فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وانواع التكاليف فهو حق يجب العمل به وفى قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب تكرير تعظيم بسبب ابرازه فى جملة اخرى مضافا انزاله الى المعظم نفسه فان قيل لفظ تنزيل يشعر بانه تعالى انزله نجما نجما على وفق المصالح على سبيل التدريج ولفظ الانزال يشعر بانه تعالى انزله دفعة واحدة اجيب بان طريق الجمع ان يقال انا حكمنا حكما كليا بانا نوصل اليك هذا الكتاب هذا هو الانزال ثم اوصلناه اليك نجما نجما على وفق المصالح + ولما بين تعالى ان هذا الكتاب مشتمل على الحق والصدق اردفه ببيان بعض ما فيه من الحق والصدق وهو ان يشتغل الانسان بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص فقال سبحانه وتعالى فَاعْبُدِ اللّٰهَ اى الملك لجميع صفات الكمال حال كونك مُخْلِصًا لَّهُ الدِّيْنَ اى محضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر اَلَا لِلّٰهِ اى الملك الاعلى وحده الدِّيْنُ الْخَالِصُ اى لا يستحقه غيره فانه المنفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر قال قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وقال مجاهد الاية متناولة لكل ما كلف الله به من الاوامر والنواهى لان قوله تعالى فاعبد الله عام وروى ان امرأة الفرزدق لما قربت وفاتها اوصت ان يصلى الحسن البصرى عليها فلما دفنت قال الحسن البصرى يا ابا فراس ما الذى اعددت لهذا الامر قال شهادة ان لا اله الا الله فقال الحسن هذا العمود فاين الطنب قال ابن عادل فبين بهذا اللفظ الوجيز ان عمود الخيمة لا ينتفع به الا مع الطنب حتى يمكن الانتفاع بالخيمة اى الانتفاع الكامل والا فهى ينتفع بها ولكن رأس العبادات الاخلاص فى التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهى وَالَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِهٖۤ اى من دون الله اَوْلِيَآءَ وهم كفار مكة اتخذوا الاصنام وقالوا مَا نَعْبُدُهُمْ اى لشئ من الاشياء اِلَّا لِيُقَرِّبُوْنَاۤ اِلَى اللّٰهِ اى الذى له معاقد العز ومجامع العظمة زُلْفٰى وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله فيقال فما عبادتكم لهم قالوا ليقربونا الى الله زلفى اى قربى وهو اسم اقيم مقام المصدر كانهم قالوا الا ليقربونا الى الله تعالى تقريبا حسنا سهلا وتشفع لنا عند الله تعالى اِنَّ اللّٰهَ اى الذى له جميع صفات الكمال يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ اى وبين المسلمين فِىْ مَا هُمْ فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ اى من امر الدين فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار اِنَّ اللّٰهَ اى الملك القادر لَا يَهْدِىْ اى لا يرشد مَنْ هُوَ كٰذِبٌ اى فى قوله ان الالهة تشفع لهم مع علمهم بانها جمادات خسيسة وفى نسبة الولد الى الله تعالى كَفَّارٌ اى بعبادته غير الله تعالى لَوْ اَرَادَ اللّٰهُ اى الذى له الاحاطة بصفات الكمال اَنْ يَّتَّخِذَ وَلَدًا اى كما قالوا اتخذ الرحمن ولدا لَّاصْطَفٰى اى اختار مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ اى اتخذه ولدا غير من قالوا الملائكة بنات الله وعزير ابن الله والمسيح ابن الله كما قال تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا اى كما زعموا لاتخذناه من لدنا اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه ومن البين ان المخلوق

وقفه لازم

لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم نزه نفسه سبحانه فقال تعالى شأنه سُبْحَٰنَهُ اى تنزيها له عن ذلك
وعما لا يليق بطهارته ثم اقام الدليل على هذا التنزيه المقتضى لتفرده فقال تعالى هُوَ اى الفاعل لهذا
الفعال القائل لهذه الاقوال ٱللَّهُ اى الجامع لجميع صفات الكمال ثم ذكر من الاوصاف ما هو كالعلة
لذلك فقال ٱلْوَٰحِدُ اى فى ملكه الذى لا شريك له ولا ولد ولا والد له ٱلْقَهَّارُ اى الغالب الكامل
القدرة فكل شئ تحت قدرته ولما اثبت هذه الصفات التى تنفى ان يكون له شريك او
ولد واثبت له الكمال المطلق استدل على ذلك بقوله تعالى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
اى ابدعهما من العدم وقوله تعالى بِٱلْحَقِّ متعلق بخلق لان الدلائل التى ذكرها الله تعالى فى
اثبات الالهية اما ان تكون فلكية او ارضية اما الفلكية فاقسام احدها خلق السموات والارض
وثانيها اختلاف الليل والنهار كما قال تعالى يُكَوِّرُ اى يدخل ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ
قال الحسن ينقص من الليل فيزيد فى النهار وينقص من النهار فيزيد فى الليل فما نقص من
الليل دخل فى النهار وما نقص من النهار دخل فى الليل قال البغوى ومنتهى النقص تسع ساعات
ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقال قتادة يغشى هذا هذا كما قال تعالى يغشى الليل النهار وقال
الرازى ان النور والظلمة عسكران عظيمان وفى كل يوم يغلب هذا ذاك وذاك هذا وذلك يدل
على ان كل واحد مغلوب مقهور ولا بد من غالب قاهر لهما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله
تعالى انتهى وورد فى الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى من النقصان بعد الزيادة وقيل
من الادبار بعد الاقبال وَسَخَّرَ اى ذلل واكره وقهر وكلف لما يريد من غير تقم للمسخر
ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ فان الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل واكثر مصالح هذا العالم مربوطة
بهما كُلٌّ اى منهما يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى اى الى يوم القيمة لا يزالان يجريان الى هذا اليوم فاذا كان
يوم القيمة ذهبا والمراد من هذا التسخير ان هذه الافلاك تدور كدوران المنجنون اى الدولاب
الذى يستقى عليه على حد واحد أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ اى الغالب على امره المنتقم من اعدائه ٱلْغَفَّٰرُ اى الذى
له صفة الستر على الذنوب متكررة يمحو ذنوب من يشاء عينا واثرا بمغفرته ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل
الفلكية اتبعها بذكر الدلائل السفلية فقال تعالى خَلَقَكُم ايها الناس المدعون الالهية غيره مِّن نَّفْسٍ
وَٰحِدَةٍ هى آدم عليه السلام ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا اى من تلك النفس زَوْجَهَا حواء وانما بدأ اولا
بذكر الانسان لانه اقرب واكبر دلالة واعجب فيه ثلاث دلالات خلق آدم اولا من غير اب وام
ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما فيهما آيتان الا ان احداهما جعلها الله
تعالى عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة ولم يخلق انثى غير حواء من قصيرى رجل تنبيه فى
ثم هنا اوجه احدها انها على بابها من الترتيب والمهلة وذلك يروى ان الله تعالى اخرج ذرية آدم
من ظهره كالذر ثم خلق حواء بعد ذلك بزمان ثانيها انها على بابها ايضا لكن لمدرك آخر وهو ان
يعطف بها ما بعدها على ما فهم من الصفة فى قوله تعالى واحدة اذ التقدير من نفس وحدت اى انفردت

ثم جعل منها زوجها [illegible]

امن هاقبل ذلك ان جعل منها زوجها تكبيها انها للترتيب فى الاحوال والرتب وقال الرازى ان ثم كما تجئ لبيان كون احدى الواقعتين متاخرة عن الثانية فكذلك تجئ لبيان تاخر احدى الكلامين عن الآخر كقول القائل بلغنى ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب واعطيتك اليوم شيئاً ثم الذى اعطيتك امس اكثر وقوله تعالى وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ عطف على خلقكم والانزال يحتمل الحقيقة يروى ان الله تعالى خلقها فى الجنة ثم انزلها ويحتمل المجاز وله وجهان احدهما انها لما لم تعش الا بالنبات والنبات انما يعيش بالماء والماء ينزل من السحاب اطلق الانزال عليها وهو فى الحقيقة يطلق على سبب السبب كقول القائل ؎ اذا نزل السماء بارض قوم + رعيناه وان كانوا غضابا + والثانى ان قضاياه واحكامه منزلة من السماء من حيث كتبها فى اللوح المحفوظ وهو ايضا سبب فى ايجادها وقال البغوى معنى الانزال ههنا الاحداث والانشاء كقوله تعالى انزلنا عليكم لباسا وقيل انه انزل الماء الذى هو سبب نبات القطن والكتان وغيرهما الذى يجعلون منه اللباس وقيل معنى قوله انزل لكم من الانعام جعلها نزلا لكم ورزقا ومعنى قوله ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ اى ثمانية اصناف وهى الابل والبقر والضأن والمعز من كل زوجان ذكر وانثى كما بين فى سورة الانعام وقوله تعالى يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسى والانعام اظهارا لما فيها من عجائب القدرة غير انه تعالى غلب اولى العقل وخصهم بالخطاب لانهم المقصودون وقرأ حمزة والكسائى فى الوصل بكسر الهمزة والباقون بالضم وفى الابتداء الجميع بالضم وكسر حمزة الميم وفتحها الباقون ومعنى قوله تعالى خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ ما ذكره الله تعالى بقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين الآيات الى قوله تعالى فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ فقال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ذَٰلِكُمُ اى العالى المراتب بشهادتكم ايها الخلق كلكم بعضكم بلسان قاله وبعضكم بناطق حاله الذى جميع ما ذكر من اول السورة الى هنا من افعاله + ولما اشار بعظمته باداة البعد اخبر عن اسم الاشارة بقوله تعالى اللَّهُ اى الذى خلق هذه الاشياء رَبُّكُمْ اى الملك والمربى لكم بالخلق والرزق فهو المستحق لعبادتكم وقوله تعالى لَهُ الْمُلْكُ يفيد الحصر اى له الملك لا لغيره + ولما ثبت انه لا ملك الا له وجب القول بانه لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ اى لا يشاركه فى الخلق غيره + ولما بين بهذه الدلائل كمال قدرته ورحمته زيف طريقة المشركين بقوله تعالى فَأَنَّىٰ اى فكيف ومن اى وجه تُصْرَفُونَ عن طريق الحق بعد هذا البيان إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ اى الذى له الكمال كله غَنِىٌّ عَنكُمْ لانه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه منفعة او ليدفع عن نفسه مضرة لانه تعالى غنى على الاطلاق فيمتنع فى حقه جر المنفعة ودفع المضرة لانه تعالى واجب الوجود لذاته وواجب الوجود لذاته فى جميع افعاله يكون غنيا على الاطلاق وايضا فالقادر على خلق السموات

والارض والشمس والقمر والنجوم والعرش والكرسى والعناصر الاربعة يمتنع ان ينتفع بصلوة
زيد وصيام عمرو وان يتضرر بعدم صلوة هذا وعدم صيام ذاك وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ اى لاحد منهم
الْكُفْرَ اى بالاقبال على ما سواه وانتم لا ترضون ذلك لعبيدكم مع ان ملككم لهم فى غاية الضعف
ومعنى عدم الرضا به لا يفعل فعل الراضى بان يأذن فيه ويقر عليه ويثيب فاعله ويمدحه بل يفعل
فعل الساخط بان ينهى عنه ويذم عليه ويعاقب مرتكبه وان كان بارادته اذ لا يخرج شئ عنها و
هذا قول قتادة والسلف اجروه على عمومه وقال ابن عباس ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم
الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فيكون عاما فى اللفظ خاصا فى المعنى كقوله
تعالى عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض العباد وَإِنْ تَشْكُرُوا الله تعالى اى تؤمنوا بربكم وتطيعوه
يَرْضَهُ لَكُمْ اى فيثيبكم عليه لانه سبب فلاحكم وقرأ السوسى فى الوصل بسكون الهاء وللدورى هنا
وجهان السكون والضم وصلة الهاء بواو للدورى وابن كثير وابن ذكوان
والكسائى والباقون بالسكون وهو لغة فيه وَلَا تَزِرُ اى نفس وَازِرَةٌ وِزْرَ نَفْسٍ أُخْرَى
اى لا تحمله بل وزر كل نفس عليها لا يتعداها يحفظ عليها مدة كونها فى دار العمل واحتج
بهذا من انكر وجوب الدية على العاقلة ورد بان السنة خصصت ذلك واما الاثم الذى
يكتب على الانسان بترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فليس وزر غيره وانما هو وزر
نفسه فوزر الفاعل على الفعل ووزر الساكت على الترك لما لزمه من الامر والنهى وقوله تعالى ثُمَّ إِلَى
رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ يدل على اثبات البعث والقيمة فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فيه تهديد للعاصى وبشارة
للمطيع وقوله تعالى إِنَّهُ عَلِيمٌ اى بالغ العلم بِذَاتِ الصُّدُورِ اى بما فى القلوب كالعلة
لما سبق انه تعالى ينبئكم باعمالكم لانه عالم بجميع المعلومات فيعلم ما فى قلوبكم من الدواعى
والصوارف قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم ولا اموالكم ولكن ينظر
الى قلوبكم واعمالكم ولما بين تعالى فساد القول بالشرك وبين تعالى انه الذى يجب ان يعبد
بين ان طريقة الكفار متناقضة بقوله تعالى وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ اى هذا النوع الانسى بنفسه
ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ لانهم اذا مسهم الضر طلبوا دفعه من الله تعالى واذا زال ذلك الضر عنهم
رجعوا الى عبادة الاصنام فكان الواجب عليهم ان يعترفوا بالله تعالى فى جميع الاحوال لانه
القادر على ايصال الخير ودفع الشر فظهر تناقض طريقتهم والمراد بالانسان الكافر وقيل
المؤمن والكافر وقيل المراد اقوام معينون كعتبة بن ربيعة وغيره والمراد بالضر جميع المكاره
فى جسمه او ماله او اهله او ولده لعموم اللفظ وقوله تعالى مُنِيبًا حال من فاعل دعا وقوله
تعالى إِلَيْهِ متعلق بمنيبا اى راجعا اليه فى ازالة ذلك الضر لان الانابة الرجوع ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ
اى اعطاه نِعْمَةً مبتدأة مِنْهُ اى من غير مقابل ولا يستعمل فى الجزاء بل فى ابتداء العطية قال
زهير هنالك ان يستخولوا المال يخولوا ويروى ان يستخبلوا المال يخبلوا وقال ابو النجم

اعطى فلم يبخل وكرم الذى من خول المخول + وحقيقة خوّل من احد معنيين اما من
قولهم هو خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام عليه واما من خال يخول اذا اختال وافتخر ومنه
قول العرب + ان الغنى طويل الذيل مياس + نَسِيَ اى ترك مَا اى الامر الذى كَانَ يَدْعُوا اى
يتضرع إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ اى قبل النعمة + تنبيه + يجوز فى ما هذه اوجه احدها ان تكون موصولة بمعنى
الذى مرادا بها الضر الذى كان يدعو الى كشفه اى ترك دعاءه كانه لم يتضرع الى ربه ثانيها انها
بمعنى الذى مرادا بها البارى تعالى اى نسى الله الذى كان يتضرع اليه وهذا عند من يجوز وقوع
ما على اولى العلم وقال الرازى ما بمعنى من كقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله ولا انتم
عابدون ما اعبد وقوله فانكحوا ما طاب لكم ثالثها ان تكون مصدرية اى نسى كونه داعيا وَجَعَلَ
اى ذلك الانسان زيادة على الكفران بالنسيان للاحسان لِلَّهِ اى الذى لا مكافئ له بشهادة الفطرة
والسمع والعقل أَنْدَادًا اى شركاء لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ اى دين الاسلام وقرأ ابن كثير وابو عمرو
بفتح الياء بعد اللام اى ليفعل الضلال بنفسه والباقون بضمها اى لم يقنع بضلاله فى نفسه حتى
يحمل غيره عليه فمفعوله محذوف واللام يجوز ان تكون للعلة وان تكون لام العاقبة كقوله تعالى
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا + واختلف فى سبب نزول قوله تعالى لنبيه محمد صلى
الله عليه وسلم قُلْ اى لهذا الذى قد حكم بكفره تَمَتَّعْ اى فى هذه الدنيا بِكُفْرِكَ قَلِيلًا اى بقية
اجلك فقال مقاتل نزل فى ابى حذيفة بن مغيرة المخزومى وقيل فى عتبة بن ربيعة وقيل
عام فى كل كافر وهذا امر تهديد وفيه اقناط للكافر من التمتع فى الآخرة ولذلك علله بقوله تعالى
إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ اى الذين لم يخلقوا الا لها على سبيل الاستئناف للمبالغة قال تعالى
ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس الآية + ولما شرح الله تعالى صفات المشركين وتمسكهم
بغير الله تعالى اردفه بشرح المخلصين فقال تعالى أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ اى قائم بوظائف الطاعات
آنَاءَ اللَّيْلِ اى جميع ساعاته ومن اطلاق القنوت على القيام قوله صلى الله عليه وسلم افضل
الصلوة صلوة القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت لانه يدعو قائما وعن ابن عمر انه قال لا اعلم
القنوت الا قراءة القرآن وطول القيام وتلا امن هو قانت وعن ابن عباس القنوت الطاعة لقوله تعالى
كل له قانتون اى مطيعون وقرأ نافع وابن كثير وحمزة بتخفيف الميم والباقون بتشديدها وفى القراءة
الاولى وجهان احدهما ان الهمزة همزة الاستفهام دخلت على من بمعنى الذى والاستفهام
للتقرير ومقابله محذوف تقديره امّن هو قانت كغيره ممن جعل لله اندادا او امن هو قانت كغيره
واما القراءة الثانية فام داخلة على من الموصولة ايضا فادغمت الميم فى الميم وفى ام حينئذ قولان
احدهما انها متصلة ومعادلها محذوف تقديره الكافر خير ام الذى هو قانت والثانى انها منقطعة
فتقدر ببل والهمزة اى بل امن هو قانت كغيره او كالكافر المقول له تمتع بكفرك وقوله تعالى
سَاجِدًا اى وراكعا وَقَائِمًا اى وقاعدا فى صلوته حالا من ضمير قانت + تنبيه + فى هذه

قوله لانه يدعو قائما عبارة الكشاف ومنه القنوت فى الوتر لانه دعاء المصلى قائما اهـ

الآية دلالة على ان قيام الليل افضل من قيام النهار واختلف فى سبب نزولها فقال ابن عباس
نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه وقال الضحاك فى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما وقال ابن عمر
فى عثمان رضى الله تعالى عنه وقال الكلبى فى ابن مسعود وعمار وسلمان رضى الله تعالى عنهم
وقوله تعالى ﴿يحذر الآخرة﴾ اى عذاب الآخرة يجوز ان يكون حالا من الضمير فى ساجدا وقائما ومن
الضمير فى قانت وان يكون مستأنفا جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل ما شأنه يقنت آناء الليل ويتعب
نفسه ويكدها فقيل يحذر الآخرة ﴿ويرجوا رحمة ربه﴾ اى جنة ربه الذى لم يزل يتقلب فى انعامه
وفى الكلام حذف والتقدير كمن لا يفعل شيئا من ذلك وانما حسن هذا الحذف لدلالة ذكر الكافر
قبل هذه الآية وذكر بعدها ﴿قل هل يستوى﴾ اى فى الرتبة ﴿الذين يعلمون﴾ اى وهم الذين صفتهم انهم
يقنتون آناء الليل ساجدين وقائمين ﴿والذين لا يعلمون﴾ اى وهم الذين صفتهم عند البلاء والخوف
يوحدون وعند الراحة والفراغ يشركون وانما وصف الله تعالى الكفار بانهم لا يعلمون لان الله
تعالى وان اعطاهم آلة العلم الا انهم اعرضوا عن تحصيل العلم فلهذا جعلهم الله تعالى كانهم ليسوا من
اولى الالباب من حيث انهم لم ينتفعوا بعقولهم وقلوبهم وفى هذا تنبيه على فضيلة العلم قيل لبعض العلماء
انكم تقولون العلم افضل من المال ثم نرى العلماء عند ابواب الملوك ولا نرى الملوك عند ابواب العلماء
فاجاب بان هذا ايضا يدل على فضيلة العلم لان العلماء علموا ما فى المال من المنافع فطلبوه والجهال
لم يعرفوا ما فى العلم من المنافع فلا جرم تركوه وقال فى الكشاف واراد بالذين يعلمون العاملين من
علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم قال وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون
ويفتنون ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله تعالى جهلة حيث جعل الله تعالى القانتين هم العلماء قال ويجوز
ان يراد على سبيل التشبيه اى كما لا يستوى العالمون والجاهلون كذلك لا يستوى القانتون والعاصون
اهـ وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى فى المعاصى ويرجو فقال هذا تمن وانما الرجاء قوله تعالى
وتلا هذه الآية ﴿انما يتذكر﴾ اى يتعظ ﴿اولوا الالباب﴾ اى اصحاب العقول الصافية والقلوب النيرة
وهم الموصوفون فى آخر سورة آل عمران بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
الى آخرها ولما نفى تعالى المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم امر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
بان يخاطب المؤمنين فقال سبحانه ﴿قل﴾ اى لهم ﴿يا عبادى الذين آمنوا﴾ اى اوجدوا هذه الحقيقة
﴿اتقوا ربكم﴾ اى بطاعته واجتناب معاصيه ثم بين تعالى لهم ما فى هذا الاتقاء من الفوائد بقوله تعالى
﴿للذين احسنوا فى هذه الدنيا﴾ اى بالطاعة ﴿حسنة﴾ اى فى الآخرة وهى الجنة والتنكير فى حسنة
للتعظيم اى حسنة لا يصل العقل الى كنه كمالها فقوله تعالى فى هذه الدنيا متعلق باحسنوا
وقيل متعلق بحسنة وعلى هذا قال السدى معناه فى هذه الدنيا حسنة يعنى الصحة والعافية
قال الرازى الاولى ان يحمل على الثلاثة المذكورة فى قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث ليس لها
نهاية الامن والصحة والكفاية اهـ ورد بانه يتعين حمله على حسنة الآخرة لان ذلك حاصل للكفار

اكثر من حصوله للمؤمنين كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر واختلف فى معنى قوله تعالى وَأَرْضُ اللَّهِ اى الذى له الملك كله والعظمة الشاملة وَاسِعَةٌ فقال ابن عباس يعنى ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذى تظهر فيه المعاصى ونظيره قوله تعالى قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل نزلت فى مهاجرى الحبشة وقال سعيد بن جبير من امر بالمعاصى فليهرب وقال ابو مسلم لا يمتنع ان يكون المراد من الارض ارض الجنة كما قال تعالى جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين إِنَّمَا يُوَفَّى اى التوفية العظيمة الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ اى على الطاعات وما يبتلون به وقيل نزلت فى جعفر ابن ابى طالب واصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد بهم البلاء وصبروا وهاجروا ومعنى بِغَيْرِ حِسَابٍ اى بغير نهاية بكيل او وزن لان كل شئ داخل تحت الحساب فهو متناه فما لا نهاية له كان خارجا عن الحساب وعن ابن عباس لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وقال على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرين فانه يحثى لهم حثيا وروى الشعبى لكن بسند ضعيف عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الموازين تنصب يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون اجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية فى الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل ولما كان العبادة ركنان عمل القلب وعمل الجوارح وعمل القلب اشرف من عمل الجوارح فقدمه سبحانه بقوله تعالى قُلْ اى يا اشرف المرسلين إِنِّي أُمِرْتُ قرأ نافع بفتح الياء والباقون بسكونها أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ اى مخلصا له التوحيد لا اشرك به شيئا ثم ذكر عقبه الاول وهو عمل الجوارح وهو الاسلام المذكور فى قوله وَأُمِرْتُ لِأَنْ اى لاجل ان او بان أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ اى من هذه الامة وبهذا زال التكرار وقال الزمخشرى فان قلت كيف عطف امرت على امرت وهما واحد قلت ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شئ والامر به ليحوز القائم به قصب السبق فى الدين شئ آخر واذا اختلف وجها الشئ وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين * ولما دعا المشركون النبى صلى الله عليه وسلم الى دين آبائه امره الله تعالى بقوله سبحانه قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي اى المحسن الىّ المربى لى بكل جميل وعبدت غيره عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ والمقصود من هذا الامر المبالغة فى زجر الغير عن المعاصى وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو انى بفتح الياء والباقون بسكونها قُلِ اللَّهَ اى المحيط بصفات الكمال وحده أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ وحده دِينِي من الشرك قال الرازى فان قيل ما معنى التكرير فى قوله تعالى قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله تعالى قل الله اعبد مخلصا له دينى قلنا ليس هذا بتكرير لان الاول اخبار بانه مامور من جهة الله تعالى بالايمان بالعبادة والثانى اخبار بانه امر ان لا يعبد احدا غير الله تعالى وذلك ان قوله امرت ان اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله تعالى قل الله اعبد يفيد الحصر اى الله اعبد ولا اعبد احدا سواه

ويدل عليه انه لما قال قل الله اعبد قال بعده فاعبدوا اي انتم ايها الداعون في وقت الضراء
المعرضون في وقت الرخاء ما شئتم من دونه اي غيره وفي هذا تهديد وزجر لهم وايذان بانهم
لا يعبدون الله تعالى ثم بين تعالى كمال الزجر بقوله سبحانه قل ان الخاسرين اي الكاملين في الخسران
الذين خسروا انفسهم اي اوقعوها في الهلاك لا يعقل هلاك اعظم منه وخسروا اهليهم
يوم القيامة ايضا لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من
اهل الجنة فقد ذهبوا ذهابا لا رجوع بعده البتة وقوله تعالى الا ذلك اي الامر العظيم البعيد الغور
في الخسارة هو الخسران المبين اي البين يدل على غاية المبالغة من وجوه احدها انه وصفهم
بالخسران ثم اعاد ذلك بقوله تعالى الا ذلك هو الخسران المبين وهذا التكرير لاجل التاكيد
وثانيها ذكر حرف الا وهو للتنبيه وذكر التنبيه يدل على التعظيم كانه قال بلغ في العظم الى
حيث لا تصل عقولكم اليه فتنبهوا له وثالثها قوله تعالى هو الخسران ولفظة هو تفيد الحصر كانه
قيل كل خسران يصير في مقابلته كل خسران ورابعها وصفه تعالى بكونه خسرانا مبينا يدل
على التهويل ولما شرح الله تعالى خسرانهم وصف ذلك الخسران بقوله تعالى لهم من فوقهم
ظلل اي طباق من النار ومن تحتهم ظلل اي فرش ومهاد نظيره قوله تعالى لهم من جهنم مهاد
ومن فوقهم غواش فان قيل الظلة ما علا الانسان فكيف سمى ما تحته ظلة اجيب باوجه احدها
انه من باب اطلاق اسم احد الضدين على الآخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ثانيها ان الذي تحته
يكون ظلة لغيره لان النار دركات كما ان الجنة درجات ثالثها ان الظلة التحتانية لما كانت مشابهة
للظلة الفوقانية في الحرارة والاحراق والايذاء اطلق اسم احدهما على الاخرى لاجل المماثلة والمشابهة
وقيل المراد احاطة النار بهم من جميع الجهات ذلك اي العذاب المعد للكفار يخوف الله به عباده
اي المؤمنين ليجتنبوا ما يوقعهم فيه وقيل يخوف به الكفار والضلال ويدل للاول قوله تعالى
يا عباد فاتقون اي ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى ونصيحة بالغة ووجه
الدلالة ان اضافة العبيد الى الله تعالى في القرآن مختص باهل الايمان والذين اجتنبوا
الطاغوت اي البالغ غاية الطغيان والطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت
الا ان فيه قلبا بتقديم اللام على العين اذ اصله طغيوت قدمت الياء على الغين ثم قلبت الفا لتحركها
وانفتاح ما قبلها اطلقت على الشيطان او الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهي التسمية
بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة
والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص قال في الكشاف اذ لا تطلق على غير
الشيطان والمراد بها هنا الجمع انتهى لكن ابن الخازن فسر الطاغوت بالاوثان وتبعه الجلال المحلي فان قيل
يتعين هذا التفسير لانهم انما عبدوا الصنم لا الشيطان اجيب بان الداعي الى عبادة الصنم هو الشيطان
فلما كان هو الداعي كانت عبادة الصنم عبادة له فان قيل ما وجه تسمية الصنم بالطاغوت على التفسير

الثاني مع انه لا يطلق الا على الشيطان كما مر أجيب بانه اطلق عليه على سبيل المجاز لان الطغيان
لما حصل بسبب عبادته والتقرب اليه وصفه بذلك اطلاقا لاسم السبب على المسبب بحسب الظاهر
وقوله تعالى أَنْ يَعْبُدُوهَا بدل اشتمال من الطاغوت لان الطاغوت مؤنث كانه قيل اجتنبوا
عبادة الطاغوت فان قيل على التفسير الاول انما يعبد الصنم لا الشيطان أجيب بانه الداعي
الى عبادة الصنم + فائدة + نقل في التواريخ ان الاصل في عبادة الاصنام ان القوم مشبهة
واعتقدوا في الاله انه نور عظيم وان الملائكة انوار مختلفة في الصغر والكبر فوضعوا تماثيل صور
على وفق تلك الخيالات فكانوا يعبدون تلك التماثيل على اعتقادهم انهم يعبدون الله والملائكة
وَأَنَابُوا اي رجعوا إِلَى اللهِ اي الى عبادة الله بكليتهم وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره ثم انه تعالى
وعد هؤلاء باشياء احدها قوله تعالى لَهُمُ الْبُشْرَى اي في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فالثناء
عليهم بصالح اعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر واما في الآخرة فعند الخروج
من القبور وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة ففي كل موقف
من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان + تنبيه + يحتمل
ان يكون المبشر لهم هم الملائكة عليهم السلام لانهم يبشرونهم عند الموت لقوله تعالى الذين تتوفاهم
الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وعند دخول الجنة لقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم
من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويحتمل ان يكون هو الله تعالى لقوله تعالى تحيتهم
يوم يلقونه سلام ولا مانع ان يكون من الله تعالى ومن الملائكة عليهم السلام فان فضل الله سبحانه
واسع وقوله تعالى فَبَشِّرْ عِبَادِ قرأ السوسي بياء بعد الدال مفتوحة في الوصل ساكنة في الوقف
والباقون بغير ياء الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ اي بجميع قلوبهم الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ اي بكل عزائمهم بعد انتقاده
أَحْسَنَهُ اي بما دلتهم عليه عقولهم من غير عدول الى ادنى + تنبيه + في هذا وضع الظاهر موضع
مضمر الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ احسانهم وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحسن والاحسن
والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب وندب اختاروا الواجب او مباح وندب اختاروا
الندب حرصا على ما هو اقرب عند الله واكثر ثوابا ويدخل تحت ذلك ابواب التكاليف فهي
قسمان عبادات ومعاملات فاما العبادات فكقولنا الصلوة التي يذكر في تحريمها الله اكبر مع اقتران
النية ويقرأ فيها بالفاتحة ويؤتى فيها بالطمأنينة في مواضعها الخمسة ويتشهد فيها ويخرج منها
بالسلام لا شك انها احسن من الصلوة التي لا يراعى فيها شيء من هذه الاحوال قال الرازي فوجب
على العاقل ان يختار هذه الصلوة دون غيرها اهـ وكذا القول في جميع ابواب العبادات قال في الكشاف
ويدخل تحته المذاهب واختيار اثبتها على السبك واقواها على السبر وابينها دليلا او امارة ولا تكن في
مذهبك كما قال القائل + ولا تكن مثل عير قيد فانقادا + يريد المقلد اهـ واما المعاملات فكانظار
المعسر وابرائه فالابراء اولى وان كان الاول واجبا والثاني مندوبا وكذا القول في جميع المعاملات

وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون اوامر الله تعالى فيتبعون احسنها
نحو القصاص والعفو قال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم
فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما يسمعه ويكف عما سواه وروى عن ابن عباس
امن ابو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم فجاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن
ابي وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فاخبرهم بايمانه فآمنوا فنزل فيهم فبشر عبادي الآية أُولَٰئِكَ
اي العالو الهمة والرتبة الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ بما له من صفات الكمال لدينه وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ
اي اصحاب العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وقال ابن زيد نزل والذين اجتنبوا الطاغوت الآيتين
في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا اله الا الله زيد بن عمرو وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والاحسن
لا اله الا الله وفي هذه الآية لطيفة وهي ان حصول الهداية في العقل والروح حادث فلا بد من فاعل
وقابل فاما الفاعل فهو الله تعالى وهو المراد من قوله تعالى اولئك الذين هداهم الله واما القابل
فاليه الاشارة بقوله تعالى واولئك هم اولوا الالباب فان الانسان ما لم يكن عاقلا كامل الفهم
امتنع حصول هذه المعارف الحقيقية في قلبه واختلف في معنى قوله تعالى أَفَمَنْ حَقَّ واسقط التاء
التأنيث الدالة على اللين تأكيدا للنهي عن الاسف عليهم عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ فقال ابن عباس معنى
الآية من سبق في علم الله انه في النار وقيل كلمة العذاب قوله تعالى لاملأن جهنم الآية وقيل قوله
هؤلاء للنار ولا ابالي وقوله تعالى أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ اي تخرج مَنْ فِي النَّارِ جواب الشرط واقيم فيه
الظاهر مقام الضمير اذ كان الاصل افانت تنقذه وانما وقع موقعه شهادة عليه بذلك والهمزة
للانكار والمعنى لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار وقال ابن عباس يريد ابا لهب وولده ويجوز
ان تكون من موصولة في محل رفع بالابتداء وخبره محذوف واختلف في تقديره فقدره ابو البقاء
كمن نجا وقدره الزمخشري فانت تخلصه اي حذف لدلالة افانت تنقذ عليه وقدره غيرهما تتأسف
عليه وقدره آخر يتخلص منه اي من العذاب وقوله تعالى لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ استدراك بين شيئين
نقيضين او ضدين وهما المؤمنون والكافرون اي جعلوا بينهم وبين الحسن اليهم وقاية في كل
حركة وسكون فلم يفعلوا شيئا من ذلك الا بنظر يدلهم على رضاه وقوله تعالى لَهُمْ غُرَفٌ اي علالي
من الجنة يسكنونها مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ شديدة العلو مقابل لما ذكر في وصف الكفار لهم من فوقهم
ظلل من النار ومن تحتهم ظلل والمعنى لهم منازل في الجنة رفيعة ومن فوقها منازل ارفع منها
فان قيل ما فائدة قوله تعالى مَبْنِيَّةٌ اجيب بان المنزل اذا بني على منزل آخر كان الفوقاني اضعف
بناء من التحتاني فقوله تعالى مبنية فائدته انه وان كان فوق غيره لكنه في القوة والشدة مساو
للمنزل الاسفل ولما كانت المنازل لا تطيب الا بالماء وكان الجاري
احسن واشرف قال تعالى تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اي من تلك الغرف الفوقانية
والتحتانية الْأَنْهَارُ اي المختلفة كما قال تعالى فيها انهار من ماء

غيرآسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى قوله تعالى وَعْدَ اللهِ مصدر مؤكد لمضمون الجملة فهو منصوب بفعله المقدر لان قوله تعالى لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك لَا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ لان الخلف نقص وهو على الله سبحانه محال وعن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراؤن اهل الغرف من فوقهم كما تتراؤن الكوكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يارسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقوله الغابر اى الباقى فى الافق فى ناحية المشرق والمغرب + ولما وصف الله تعالى الآخرة بوصف يوجب الرغبة العظيمة فيها وصف الدنيا بصفات توجب اشتداد النفرة عنها بقوله تعالى أَلَمْ تَرَ اى تعلم أَنَّ اللهَ اى الذى له كمال القدرة أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ اى التى لا يستمسك الماء فيها الا بقدرة باهرة تقهر الماء على ذلك والمراد باسماء الجرم او السحاب مَاءً وهو المطر قال الشعبى كل ماء فى الارض فمن السماء نزل ثم انه تعالى ينزله الى بعض المواضع ثم يقسمه فَسَلَكَهُ اى ادخل ذلك الماء خلال التراب حال كونه يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ اى عيونا ومجارى ومسالك كالعروق فى الاجسام ثُمَّ يُخْرِجُ الله تعالى بِهِ اى بالماء زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك ومختلفا اصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها ثُمَّ يَهِيجُ اى ييبس نباته بعد الخضرة فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا من يبسه لانه اذا تم جفافه حان له ان ينفصل عن منابته ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا اى فتاتا إِنَّ فِي ذَلِكَ اى التدبير على هذا الوجه لَذِكْرَى اى تذكيرا وتنبيها لِأُولِي الْأَلْبَابِ اى اصحاب العقول الصافية جدا فيتذكرون هذه الاحوال فى النبات فيعلمون بذلك انه على وحدانية الله تعالى شانه وقدرته واحوال الحيوان والانسان وانه وان طال عمره فلا بد من الانتهاء الى ان يصير مصفر اللون منحطم الاعضاء والاجزاء ثم تكون عاقبته الموت فاذا كانت مشاهدة هذه الاحوال فى النبات مذكرة حصول مثل هذه الاحوال فى نفسه فى حياته فحينئذ تعظم نفرته عن الدنيا ولذاتها + ولما بين تعالى الدلائل على وجوب الاقبال على طاعة الله تعالى ووجوب الاعراض عن الدنيا ولذاتها ذكر ان الانتفاع بهذه البيانات لا يكمل الا بشرح الصدر ونور القلوب فقال سبحانه أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ اى الذى له القدرة الكاملة صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ اى وسعة لقبول الحق فاهتدى فَهُوَ اى بسبب ذلك عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ اى المحسن اليه كمن اقسى الله تعالى قلبه دل على هذا فَوَيْلٌ كلمة عذاب لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم الا نزع منهم الرحمة واما نور الله تعالى فهو لطفه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقيل يا رسول الله فما علامة انشراح الصدر للاسلام قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت فان قيل ان ذكر الله تعالى سبب لحصول النور والهداية وزيادة الاطمينان

قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب فكيف جعله فى هذه الآية سببا لحصول القسوة فى القلب
أجيب بان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة الروحانيات شديدة
الميل الى الطبائع البهيمية والاخلاق الذميمة فان سماعها لذكر الله تعالى يزيدها قسوة وكدورة ومثاله
ان الفاعل الواحد تختلف افعاله بحسب اختلاف القوابل كنور الشمس يسوّد وجه القصار ويبيض
ثوبه وحرارة الشمس تلين الشمع وتعقد الملح وقد نرى انسانا واحدا يذكر كلاما فى مجلس واحد
فيستطيبه واحد ويستكرهه غيره وما ذاك الا بحسب اختلاف جواهر النفوس ولما نزل قوله تعالى
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حاضر
وانسان آخر فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر قال كل
واحد منهما تبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب فكذا نزلت فازداد
عمر رضى الله عنه ايمانا على ايمانه وارتد ذلك الانسان واذا عرفت ذلك لم يبعد ان يكون ذكر الله
تعالى يوجب النور والهداية والاطمئنان فى النفوس الطاهرة الروحانية ويوجب القسوة والبعد
عن الحق فى النفوس الخبيثة وقيل من بمعنى عن اى قست قلوبهم عن قبول ذكر الله وجرى على
ذلك الجلال المحلى أُولَٰئِكَ اى هؤلاء البعداء فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اى بين قيل نزلت هذه الآية
فى ابى بكر رضى الله عنه وفى ابى بن خلف وقيل فى على وحمزة وابى لهب وولده وقيل فى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفى ابى جهل اَللّٰهُ الفعال لما يريد الذى له مجامع العظمة والاحاطة بصفات
الكمال نَزَّلَ اى بالتدريج للتدريب وللجواب عن كل شبهة أَحْسَنَ الْحَدِيثِ اى القرآن روى ان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا حدثنا فنزلت وكونه احسن الحديث
لوجهين احدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى اما الاول فلان القرآن افصح الكلام
وابلغه واجزله وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب ولا من جنس الرسائل بل هو نوع
يخالف الكل فى اسلوبه مع ان كل طبع سليم يستلذه ويستطيبه واما من جهة المعنى فهو منزه عن
التناقض والاختلاف قال جل ثناؤه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ويشتمل
على اخبار الماضين وقصص الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة فى الماضى والمستقبل وعلى الوعد
والوعيد والجنة والنار وفى ايقاع لفظ الجلالة مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لاحسن الحديث واستشهاد
على حسنه وتاكيد لاستناده الى الله تعالى وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه وتنبيه
على انه وحى معجز مباين لسائر الاحاديث وقوله تعالى كِتَابًا اى جامعا لكل خير بدل من احسن
الحديث وقيل حال منه بناء على ان احسن الحديث معرفة لاضافته الى معرفة وافعل التفضيل اذا
اضيف الى معرفة فيه خلاف فقيل اضافته محضة وقيل غير محضة والصحيح الاول وقوله تعالى
مُتَشَابِهًا نعت لكتابا وهو المسوغ لمجىء الجامد حالا او انه فى قوة مكتوب وتشابهه بتشابه ابعاضه
فى الاعجاز والبلاغة والموعظة الحسنة لا تفاوت فيه اصلا فى لفظ ولا معنى مع كونه نزل مفرقا

فى نيف وعشرين سنة واما كلام الناس فلا بد فيه من التفاوت وان طال الزمان فى التهذيب
سواء اتحد زمانه ام لا وقوله تعالى مَثَانِيَ جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وانبائه
واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه او جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة
وقيل لانه يثنى فى التلاوة فلا يمل كما جاء فى وصفه لا يخلق على كثرة الترداد فان قيل كيف وصف
كتابا وهو مفرد بالجمع اجيب بان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشئ هى جملته لا غير الا ترى
انك تقول القرآن اسباع واخماس وسور وآيات فكذلك تقول اقاصيص واحكام ومواعظ مكررات
ونظيره قولك الانسان عظام وعروق واعصاب الا انك تركت الموصوف الى الصفة واصله
كتابا متشابها فصولا مثانى ويجوز ان يكون مثانى منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رايت
رجلا حسنا شمائل فان قيل ما فائدة التثنية والتكرير اجيب بان النفوس انفر شئ عن حديث الوعظ
والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا على بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يكرر عليهم ما كان يعظهم به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه فى قلوبهم ويغرسه
فى صدورهم تَقْشَعِرُّ اى تضطرب وتشمئز مِنْهُ عند ذكر وعيده جُلُودُ اى ظواهر اجسام الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
اى يخافون رَبَّهُمْ والمعنى تاخذهم قشعريرة وهو تغير يحدث فى جلد الانسان عند ذكر آيات
العذاب ثُمَّ تَلِينُ اى تطمئن جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ اى عند ذكر وعده والمعنى
اذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه
ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفى رواية حرمه الله على النار قال قتادة هذا نعت
اولياء الله تعالى نعتهم الله تعالى بان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب
عقولهم والغشيان عليهم وانما ذلك فى اهل البدع وهو من الشيطان وعن عبد الله بن عروة بن الزبير
قال قلت لجدتى اسماء بنت ابى بكر رضى الله تعالى عنهما كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله تعالى تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قال
قلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر احدهم مغشيا عليه قالت اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم وروى ان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا
فقالوا انه اذا قرئ عليه القرآن او سمع ذكر الله تعالى سقط فقال انا لنخشى الله تعالى وما نسقط
وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل فى جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم
ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من اوله الى آخره فان رمى
بنفسه فهو صادق فان قيل لم ذكرت الجلود وحدها اولا فى جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب
ثانيا فى الرجاء اجيب بان الخشية التى محلها القلوب اذا ذكرت فقد ذكرت القلوب

فكانه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في اول وهلة واذا ذكر الله تعالى
ومبنى امره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم
فان قيل ما وجه تعدية تلين بالى اجيب بانه ضمن معنى فعل متعد بالى كانه قيل سكنت
او اطمأنت الى ذكر الله تعالى فان قيل كيف قال الله تعالى الى ذكر الله ولم يقل الى رحمة الله اجيب
بان من احب الله تعالى لاجل رحمته فهو ما احب الله تعالى وانما احب شيئا غيره واما من احب
الله تعالى لا لشئ سواه فهو المحب الحق وهي الدرجة العالية كما قال تعالى الا بذكر الله
تطمئن القلوب ذلك اى القرآن الذي هو احسن الحديث هدى الله الذي صفات الكمال
يهدى به من يشاء اى وهو الذي شرح الله تعالى صدره اولا لقبول الهداية ومن يضلل الله
اى يجعل قلبه قاسيا مظلما فما له من هاد اى يهديه وقرأ ابن كثير في الوقف باثبات الياء بعد
الدال والباقون بغير الياء واتفقوا في الوصل على عدم الياء + ولما حكم تعالى على القاسية قلوبهم
بحكم في الدنيا وهو الضلال التام حكم عليهم في الآخرة بحكم آخر وهو العذاب الشديد فقال
أفمن يتقي بوجهه سوء اى شدة العذاب اى يجعله وقاية يقي بها نفسه لان تكون يداه مغلولتين
الى عنقه يوم القيامة فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه وقال مجاهد يجر على وجهه في النار وقال عطاء
يرمى به في النار منكوسا فاول شئ يلقى في النار وجهه وقيل يلقى في النار مغلولة يداه الى عنقه
وفي عنقه صخرة عظيمة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل النار في تلك الصخرة وهي في عنقه
فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التي في يديه وعنقه وقيل المراد بالوجه الجملة
وقيل نزلت في ابي جهل ومعنى الآية افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن امن من العذاب بدخول
الجنة فحذف الخبر كما حذف في نظائره وقيل اى تقول الخزنة للظالمين اى الكافرين وكان الاصل
لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم ذوقوا ما اى وبال الذي كنتم تكسبون اى تعملون
في الدنيا من المعاصي + ولما بين تعالى كيفية عقاب القاسية قلوبهم في الآخرة وبين كيفية
وقوعهم في العذاب قال تعالى كذب الذين واشار الى قرب زمان المعذبين من زمانهم
بادخال الجار فقال تعالى من قبلهم اى من قبل كفار مكة مثل سبا وقوم تبع كذبوا رسلهم في
في اتيان العذاب فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون اى من جهة لا يخطر ببالهم ان الشر
ياتيهم منها فاذاقهم الله اى الذي له القدرة الكاملة الخزي اى الذل والهوان من المسخ والقتل
وغيرهما في الحيوة الدنيا اى العاجلة الدنيئة ولعذاب الآخرة اى المعد لهم اكبر اى من ذلك
الذي وقع بهم في الدنيا لو كانوا اى المكذبون يعلمون اى عذابها ما كذبوا ولكن لا علم لهم اصلا
ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا + ولما ذكر تعالى هذه الفوائد الكثيرة في هذه المطالب بين
ان هذه البينات بلغت حد الكمال والتمام فقال تعالى ولقد ضربنا اى جعلنا للناس اى
عامة لان رسالته صلى الله عليه وسلم عامة في هذا القرآن اى الجامع لكل علم وكل خبر

وتعسا لازم

من كل مثل اي يحتاج اليه الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون اي يتعظون به وقرأ نافع وقالون
وابن كثير وعاصم باظهار الدال عند الضاد والباقون بالادغام وقوله تعالى قرآنا عربيا فيه ثلاثة
اوجه احدها ان يكون منصوبا على المدح لانه لما كان نكرة امتنع اتباعه للقرآن ثانيها ان ينتصب
بيتذكرون اي يتذكرون قرآنا ثالثها ان ينتصب على الحال من القرآن على انها حال مؤكدة
وتسمى حالا موطئة لان الحال في الحقيقة عربيا وقرآنا توطئة له نحو جاء زيد رجلا صالحا غير ذي عوج
اي مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف نعت لقرآنا او حال اخرى فان قيل هلا قيل مستقيما او
غير معوج اجيب بان في ذلك فائدتين احداهما نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال تعالى ولم يجعل له
عوجا ثانيتهما ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس
قال القائل ــ وقد اتاك يقين غير ذي عوج * من الاله وقول غير مكذوب * لعلهم يتقون
اي الكفر * تنبيه * وصف تعالى القرآن بثلاث صفات اولها كونه قرآنا والمراد كونه متلوا
في المحاريب الى قرب قيام الساعة ثانيها كونه عربيا اي انه اعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته كما
قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ثالثها كونه
غير ذي عوج قال مجاهد غير ذي لبس وقال ابن عباس رضي الله عنهما غير مختلف وقال السدي
غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك بن انس وحكى شقيق وابن عيينة عن سبعين من التابعين
ان القرآن ليس بخالق ولا مخلوق * ولما شرح الله تعالى وعيد الكفار مثل لما يدل على فساد
مذهبهم وقبح طريقتهم بقوله تعالى ضرب الله اي الذي له الملك كله مثلا اي للمشركين والموحدين
وقوله تعالى رجلا بدل من مثلا وقوله تعالى فيه شركاء يجوز ان تكون الجملة من مبتدأ وخبر
في محل نصب صفة لرجلا ويجوز ان يكون الوصف الجار وحده وشركاء فاعل به قال ابن عادل
وهو اولى لقربه من المفرد وقوله تعالى متشاكسون صفة لشركاء والتشاكس التخالف واصله
سوء الخلق وعسره وهو سبب التخالف اي متنازعون مختلفون سيئة اخلاقهم يقال رجل
شكس وشرس اذا كان سيئ الخلق مخالفا للناس لا يرضى بالانصاف ورجلا سلما اي
خالصا من نزاع لرجل اي خالصا لا شريك له فيه ولا منازع وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالف
بعد السين وكسر اللام بعدها والباقون بغير الف وفتح اللام وهو الذي لا ينازع فيه من قولهم
هو لك سلم اي مسلم لا منازع لك فيه وقوله تعالى هل يستويان استفهام انكار اي لا يستويان
وقوله تعالى مثلا تمييز والمعنى اضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل مملوك لشركاء
بينهم اختلاف وتنازع وكل واحد يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه حوائجهم وهو متحير في امره
وكلما ارضى احدهم غضب الباقون واذا احتاج اليهم فكل واحد يرده الى الآخر فبقي متحيرا لا يعرف
ايهم اولى ان يطلب رضاه وايهم يعينه في حاجاته فهو بهذا السبب في عذاب اليم وآخر له
مخدوم واحد يخدمه على سبيل الاخلاص في ذلك المخدوم يعينه على مهماته فاي هذين العبدين

احسن حالا لاشك ان هذا اقرب الى الصلاح من حال الاول فان الاول مثل المشرك والثانى مثل الموحد وهذا المثال فى غاية الحسن فى تقبيح المشرك وتحسين الموحد فان قيل هذا المثال لا ينطبق على عبادة الاصنام لانها جمادات فليس بينها منازعة ولا تشاكس اجيب بان عبدة الاصنام مختلفون منهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الكواكب السبعة فهم فى الحقيقة انما يعبدون الكواكب السبعة وهم يثبتون بينها منازعة ومشاكسة الا ترى انهم يقولون زحل هو النحس الاعظم والمشترى هو السعد الاعظم ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الارواح الفلكية والقائلون بهذا القول زعموا ان كل نوع من انواع حوادث هذا العالم يتعلق بروح من الارواح السماوية وحينئذ يحصل بين تلك الارواح منازعة ومشاكسة فيكون المثال مطابقا ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل لاشخاص من العلماء والزهاد مضوا فهم يعبدون هذه التماثيل ليصير اولئك الاشخاص من العلماء والزهاد شفعاء لهم عند الله تعالى والقائلون بهذا القول تزعم كل طائفة منهم ان المحق هو ذلك الرجل الذى هم على دينه وان من سواه مبطل وعلى هذا التقدير ايضا ينطبق المثال + ولما بطل القول باثبات الشركاء والانداد وثبت انه لا اله الا هو الواحد الاحد الحق قال الله تعالى ﴿الحمد﴾ اى الاحاطة باوصاف الكمال ﴿لله﴾ اى كل الحمد لله الذى لا مكافئ له فلا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق ﴿بل اكثرهم﴾ اى اهل مكة ﴿لا يعلمون﴾ اى ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون به غيره من فرط جهلهم وقول البغوى والمراد بالاكثر الكل ليس بظاهر + ولما كان كفار مكة يتربصون موت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره الله تعالى بان الموت يعمهم جميعا بقوله تعالى ﴿انك ميت﴾ اى ستموت وخصه الله تعالى بالخطاب لان الخطاب اذا كان للرأس كان له اصلا وللاتباعه فكل موضع كان للاتباع وخص فيه صلى الله عليه وسلم بالخطاب فهم فهم المخاطبون فى الحقيقة على وجه ابلغ ﴿وانهم ميتون﴾ اى سيموتون فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى + فائدة قال الفراء الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت والميت بالتخفيف من فارقته الروح ولذلك لم يخفف هنا وقوله تعالى ﴿ثم انكم﴾ فيه تغليب المخاطب على الغائب ﴿يوم القيامة عند ربكم﴾ اى المربى لكم بالخلق والرزق ﴿تختصمون﴾ فتحتج انت عليهم بانك بلغت وكذبوا واجتهدت فى الارشاد والتبليغ فلجوا فى التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل تقول الاتباع اطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول السادات اغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون ويجوز ان يكون المراد به الاختصام العام وجرى عليه الجلال المحلى وهو اولى وان رجح الاول الكشاف لما روى عن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما قال لما نزلت هذه الآية قال يا رسول الله انكون علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا فى الدنيا قال نعم فقال ان الامر اذا لشديد وقال ابن عمر عشنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفى اهل الكتابين قلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأينا بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفنا انها فينا نزلت وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى هذه الآية قال كنا نقول ربنا

ع ٣

ع ٢

واحد و دينا واحد وكتابنا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض قلنا هو هذا وعن ابراهيم النخعي قال لما نزلت قالت الصحابة كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن ابي العالية نزلت في اهل القبلة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت لاخيه عنده مظلمة من عرض او مال فليستحله اليوم قبل ان يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم فان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له اخذ من سيئاته فحملت عليه وعن ابي هريرة ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من امتي من يأتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة وقد كان شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيقضي هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ثم انه تعالى بين نوعا اخر من قبائح افعالهم بقوله تعالى ﴿فَمَنْ﴾ اي لا احد ﴿أَظْلَمُ﴾ اي منهم هكذا كان الاصل ولكن قال تعالى ﴿مِمَّنْ كَذَبَ﴾ تعميما ﴿عَلَى اللّٰهِ﴾ اي الذي الكبرياء رداؤه والعظمة ازاره بنسبة الولد والشريك اليه ﴿وَكَذَّبَ﴾ اي اوقع التكذيب لكل من اخبره ﴿بِالصِّدْقِ﴾ اي بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ﴿إِذْ جَاءَهُ﴾ اي فاجأه بالتكذيب لما سمع من غير وقفة ولا اعمال روية بتمييز بين حق وباطل كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الذال عند الجيم والباقون بالادغام ثم اردف ذلك بالوعيد فقال ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ﴾ اي النار التي تلقى داخلها بالتجهم والعبوسة كما كان يلقى الحق واهله ﴿مَثْوًى﴾ اي ماوى ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ اي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في للكافرين اشارة اليهم والاستفهام بمعنى التقرير + ولما ذكر من افترى وكذب ذكر مقابله وهو الذي جاء بالصدق وصدق به بقوله تعالى ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ قال قتادة ومقاتل هو النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ هم المؤمنون فالذي بمعنى الذين ولذلك روعي معناه فجمع في قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ﴾ اي العالو الرتبة ﴿هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ اي الشرك كما روعي معنى من في قوله تعالى للكافرين فان الكافرين ظاهر واقع موقع الضمير اذ الاصل مثوى لهم وكما في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ثم قال تعالى ذهب الله بنورهم قال الزمخشري ويجوز ان يريد الفوج او الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته رضي الله تعالى عنهم الذين صدقوا به اه قال ابو حيان وفيه توزيع للصلة والاصح هو الموصول فهو كقولك جاء الفريق الذي شرف وشرف والاظهر عدم التوزيع بل المعطوف على الصلة صلة لمن له الصلة الاولى وقيل بل الاصل والذين جاء بالصدق فحذفت النون تخفيفا كقوله تعالى كالذي خاضوا قال ابن عادل وهذا وهم اذ لو قصد ذلك لجاء بعده ضمير الجمع فكان يقال والذي جاؤا كقوله تعالى كالذي خاضوا ويدل عليه ان نون التثنية اذا حذفت عاد الضمير مثنى كقوله

الجزء الرابع والعشرون ٢٤

سه ابني كليب ان عمي اللذا + قتلا الملوك وفككا الاغلالا + وقال ابن عباس رضي الله عنهما والذي جاء بالصدق يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به الرسول ايضا بلغه الى الخلق وقال السدي والذي جاء بالصدق جبريل عليه السلام جاء بالقران وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم تلقاه بالقبول وقال ابو العالية والكلبي والذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق ابو بكر رضي الله عنه وقال عطاء والذي جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع وقال الحسن هم المؤمنون صدقوا به في الدنيا وجاؤا به في الاخرة وقوله تعالى لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ اي من انواع الكرامات عِنْدَ رَبِّهِمْ اي في الجنة يدل على حصول الثواب على اكمل الوجوه ذٰلِكَ اي هذا الجزاء جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ لانفسهم بايمانهم وقوله تعالى لِيُكَفِّرَ اللّٰهُ عَنْهُمْ يدل على سقوط العقاب عنهم على اكمل الوجوه ومعنى تكفيرها ان يسترها عليهم بالمغفرة + تنبيه + في تعلق هذه اللام وجهان احدهما انها متعلقة بمحذوف اي يسرهم ذلك ليكفر ثانيهما انها متعلقة بنفس المحسنين كانه قيل الذين احسنوا ليكفر اي لاجل التكفير وقوله تعالى اَسْوَأَ الَّذِي اي العمل الذي عَمِلُوا فيه مبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للايذان بان الشيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الاسوأ لاستعظامهم المعصية او انه بمعنى السيء كما جرى عليه الجلال المحلي كقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان اي عادلاهم اذ ليس المراد به التفضيل والناقص هو محمد الخليفة سمي به لانه نقص اعطية القوم والاشج هو عمر بن عبد العزيز سمي به لشجة اصابت رأسه وَيَجْزِيَهُمْ اَجْرَهُمْ اي ويعطيهم ثوابهم بِاَحْسَنِ الَّذِي اي العمل الذي كَانُوا يَعْمَلُونَ اي فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة الاجر وحسنه لاخلاصهم فيها وهذا اولى من قول الجلال المحلي انه بمعنى الحسن وقوله تعالى اَلَيْسَ اللّٰهُ اي الجامع لصفات الكمال كلها المنعوت بنعوت العظمة والجلال بِكَافٍ عَبْدَهُ اي النبي له استفهام انكار للنفي مبالغة في الاثبات وقرأ حمزة والكسائي بكسر العين وفتح الباء الموحدة والف بعدها على الجمع وقرأ الباقون بفتح العين وسكون الباء على الافراد فقراءة الافراد محمولة على النبي صلى الله عليه وسلم وقراءة الجمع على جميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام فان قومهم قصدوهم بالسوء كما قال تعالى وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وكفاهم الله تعالى شر من عاداهم ويحتمل ان يراد بقراءة الافراد الجنس فتساوي قراءة الجمع وقيل المراد ان الله تعالى كفى نوحا عليه السلام الغرق وابراهيم عليه السلام الحرق ويونس عليه السلام بطن الحوت فهو سبحانه وتعالى كافيك يا محمد كما كفى هؤلاء الرسل قبلك وَيُخَوِّفُوْنَكَ اي عباد الاصنام بِالَّذِيْنَ مِنْ دُوْنِهٖ وذلك ان قريشا خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم معاداة الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم الهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون فانزل الله تعالى هذه الاية وروي انه صلى الله عليه وسلم بعث خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها اي خادمها لا تدركها احذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد

فهشم انفها فنزلت هذه الآية + ولما شرح الله الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ختم الكلام
بخاتمة هي الفصل فقال تعالى شانه وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ اي الذي له الامر كله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ اي
يهديه الى الرشاد وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ اي فهذه الدلائل والبينات لا تنفع الا اذا
خص الله العبد بالهداية والتوفيق اذ لا راد لفعله كما قال تعالى أَلَيْسَ اللَّهُ اي الذي بيده كل شيء
بِعَزِيزٍ اي غالب على امره ذِي انتِقَامٍ اي من اعدائه بلى هو كذلك وفي هذا تهديد للكفار
+ ولما بين تعالى وعيد المشركين ووعد الموحدين عاد الى اقامة الدليل على تزييف طريق
عبدة الاوثان وهذا الترتيب مبني على اصلين الاول ان هؤلاء المشركين مقرون بوجود
الاله القادر العالم الحكيم الرحيم وهو المراد من قوله تعالى وَلَئِن سَأَلْتَهُم اي من شئت منهم
فرادى او مجموعين واللام لام القسم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ اي على ما لها من الاتساع والعظمة والارتفاع
وَالْأَرْضَ اي على ما لها من العجائب وفيها من الانتفاع لَيَقُولُنَّ اللَّهُ اي وحده لوضوح البرهان
على تفرده بالخالقية قال بعض العلماء العلم بوجود الاله القادر الحكيم الرحيم علم متفق عليه
بين جمهور الخلائق لا نزاع بينهم فيه وفطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم فان من تامل في
عجائب بدن الانسان وما فيه من انواع الحكم الغريبة والمصالح العجيبة علم انه لا بد من الاعتراف
بالاله القادر الحكيم الرحيم والاصل الثاني ان هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر وهو المراد
من قوله تعالى قُلْ أَفَرَأَيْتُم اي بعد ما تحققتم ان خالق العالم هو الله تعالى مَّا تَدْعُونَ اي
تعبدون مِن دُونِ اللَّهِ اي الذي هو ذو الجلال والاكرام إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ اي الذي لا راد لامره
بِضُرٍّ اي بشدة وبلاء هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ اي لا تقدر على ذلك أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ اي
بعافية وبركة هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ اي لا تقدر على ذلك فثبت انه لا بد من الاقرار بوجود
الاله القادر الحكيم الرحيم قال مقاتل فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا وقرأ ابو عمرو
بتنوين التاء من كاشفات وممسكات ونصب الراء من ضره ورفع الهاء ونصب التاء من رحمته
والباقون بغير تنوين فيهما وكسر الراء والهاء من ضره والتاء والهاء من رحمته واذا كانت هذه
الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر كانت عبادة الله تعالى كافية والاعتماد عليه كافيا وهو المراد من
قوله تعالى قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ اي ثقتي به واعتمادي عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ اي يثق الواثقون فان قيل
لم قال تعالى كاشفات وممسكات على التانيث بعد قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه
اجيب بانه انثهن تحقيرا لما يدعون من دونه ولانهم كانوا يسمونها باسماء الاناث وهي اللات
والعزى ومناة قال الله تعالى افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقوله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم قُلْ يَا قَوْمِ اي الذين ارجوهم عند الملمات فيهم كفاية في القيام معي اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ اي
على حالتكم فيه تهديد اي انكم تعتقدون في انفسكم انكم في نهاية القوة والشدة فاجتهدوا
في انواع مكركم وكيدكم وقرأ شعبة بالف بعد النون جمعا والباقون بغير الف افرادا إِنِّي عَامِلٌ

اى فى تقريرى فسوف تعلمون اى بوعد لاخلف فيه من يأتيه منا ومنكم بسبب اعماله عذاب
يخزيه فان خزى اعدائه دليل عليه وقد اخزاهم الله تعالى يوم بدر ويحل اى ينزل عليه عذاب
مقيم اى دائم وهو عذاب النار * تنبيه * المكانة بمعنى المكان فاستعيرت من العين للمعنى
كما استعير لفظ هنا وحيث للزمان وهما للمكان فان قيل حق الكلام انى عامل على مكانتى فلم حذف
اجيب بانه حذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حاله لا تقف وتزداد
كل يوم قوة وشدة لان الله تعالى ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله الا ترى الى
قوله تعالى فسوف تعلمون توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم فى الدنيا والآخرة * ولما بين
تعالى فى هذه الآيات فساد مذاهبهم اى المشركين تارة بالدلائل وتارة بضرب الامثال وتارة
بذكر الوعد والوعيد وكان صلى الله عليه وسلم يعظم عليه اصرارهم على الكفر كما قال تعالى فلعلك
باخع نفسك على آثارهم وقال تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات اردفه بكلام يزيل ذلك الحزن
العظيم عن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى انا انزلنا اى بما لنا من العظمة والقدرة التامة
عليك يا اشرف الخلق الكتاب اى الكامل الشرف للناس اى لاجلهم فانه مناط مصالحهم فى
معاشهم ومعادهم فهو للناس عامة لان رسالتك عامة وجعلنا انزاله مقرونا بالحق اى بالصدق
وهو المعجز الذى يدل على انه من عند الله فمن اهتدى اى طاوع الهادى فلنفسه اى فنفعه
يعود الى نفسه ومن ضل اى وقع فى الضلال بمخالفته فانما يضل عليها اى فضرر ضلاله يعود
اليه * ولما دل السياق على ان التقدير فما انت عليهم بجبار لتقهرهم على الهدى عطف عليه قوله
تعالى وما انت عليهم بوكيل اى بمأمور بان تحملهم على الايمان على سبيل القهر بل القبول
وعدمه مفوض اليهم وذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولان الهداية والضلال من العبد
لا يحصلان الا من الله تعالى لان الهداية تشبه الحياة واليقظة والضلال يشبه الموت والنوم فكما ان
الحياة واليقظة لا يحصلان الا بخلق الله تعالى كذلك الضلال لا يحصل الا من الله تعالى ومن عرف
هذه الدقيقة فقد عرف سر الله تعالى فى القدر ومن عرف سر الله تعالى فى القدر هانت عليه
المصائب * ولما بين سبحانه ان الهداية والضلال بتقديره قال تعالى الله اى الذى له مجامع
الكمال وليس لشائبة النقص اليه سبيل يتوفى الانفس اى الارواح حين موتها اى موت
ابدانها وتوفيها اماتتها وهى ان تسلب ما هى به حية حساسة دراكة من صحة اجزائها وسلامتها
لانها عند سلب الصحة كان ذاتها قد سلبت وقوله تعالى والتى لم تمت فى منامها عطف على
الانفس اى يتوفى الانفس حين موتها ويتوفى ايضا الانفس التى لم تمت فى منامها ظرف ليتوفى اى يتوفاها
حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل حتى لا يميزوا ولا يتصرفوا
كما ان الموتى كذلك فالتى تتوفى عند النوم هى الانفس التى يكون بها العقل والتمييز ولكل
انسان نفسان احداهما نفس الحياة وهى التى تفارقه عند الموت ويزول بزوالها النفس

والاخرى هي النفس التي تفارقه اذا نام وهو بعد النوم يتنفس فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ فلا يردها
الى جسدها وقرأ حمزة والكسائي بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء بعد الضاد ورفع التاء من الموت
والباقون بفتح القاف والضاد وسكون الياء بعد الضاد ونصب الموت وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى اي يردها
الى جسدها وهي التي لم يقض عليها الموت إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى اي الى الوقت الذي ضرب لموتها وقيل
يتوفى الانفس اي يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحيوة والحركة ويتوفى الانفس
التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا والتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحيوة
لان نفس الحيوة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي
بها النفس والتحريك فاذا نام العبد قبض الله تعالى نفسه ولم يقبض روحه قال الزمخشري
والصحيح ما ذكر اولا لان الله تعالى علق التوفي والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحيوة
والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصفة بالموت والنوم وانما الجملة هي التي تموت انتهى ويروى
عن علي رضي الله تعالى عنه قال تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك يرى الرؤيا
فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده باسرع من لحظة ويقال ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي
في المنام فتتعارف ما شاء الله فاذا ارادت الرجوع الى اجسادها امسك الله تعالى ارواح الاموات
عنده وارسل ارواح الاحياء حتى ترجع الى اجسادها الى اجل مدة حيوتها وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى احدكم الى فراشه فلينفض فراشه
بداخل ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول اللهم باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه
فان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين إِنَّ فِي ذَلِكَ اي التوفي
والامساك والارسال لَآيَاتٍ اي دلالات على كمال قدرته وحكمته ورحمته وقال مقاتل لعلامات
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ اي فيعلمون ان القادر على ذلك قادر على البعث فان قيل قوله تعالى الله يتوفى
الانفس يدل على ان المتوفي هو الله تعالى ويؤيده قوله تعالى الذي خلق الموت والحيوة وقوله تعالى
عن ابراهيم عليه السلام ربي الذي يحيي ويميت وقال تعالى في آية اخرى اذا جاء احدهم الموت
توفته رسلنا فكيف الجمع اجيب بان المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى الا انه تعالى فوض كل نوع الى
ملك من الملائكة ففوض قبض الارواح الى ملك الموت وهو الرئيس وتحته اتباع وخدم فاضيف
التوفي في آية الى الله تعالى وهي الاضافة الحقيقية وفي آية الى ملك الموت لانه الرئيس في هذا العمل
وفي آية الى اتباعه ثم ان الكفار اوردوا على هذا الكلام سؤالا فقالوا نحن لا نعبد هذه الاصنام
لاعتقاد انها تضر وتنفع وانما نعبدها لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عند الله تعالى من المقربين
فنحن نعبدها لتشفع لنا اولئك المقربون عند الله تعالى فاجاب الله سبحانه عنه بقوله تعالى
أَمِ اتَّخَذُوا اي كلفوا انفسهم بعد وضوح الدلائل عندهم مِنْ دُونِ اللَّهِ اي

الذى لا مكافئ له ولا مدانى شفعاء اى تشفع لهم عند الله تعالى * تنبيه ام منقطعة تقدر ببل
والهمزة قل يا اشرف الخلق لهؤلاء البعداء اولو اى ايشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا
اى من الشفاعة وغيرها ولا يعقلون اى انكم تعبدونهم ولا غير ذلك وجواب لو محذوف
تقديره ولو كانوا بهذه الصفة تتخذونهم قل اى لهم لله اى الذى له كمال القدرة والعظمة
الشفاعة جميعا اى هو مختص بها فلا يشفع احد الا باذنه ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض
اى فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون اى يوم القيمة
فيكون الملك له ايضا حينئذ ثم ذكر تعالى نوعا آخر من اعمال المشركين القبيحة بقوله تعالى واذا ذكر الله
اى الذى لا اله غيره وحده اى دون الهتهم اشمأزت قال ابن عباس رضى الله عنهما
ومجاهد يعنى انقبضت وقال قتادة استكبرت واصل الاشمئزاز النفور والاستكبار اى نفرت و
استكبرت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة اى لا يؤمنون بالبعث واذا ذكر الذين من دونه
اى الاصنام اذا هم يستبشرون اى يفرحون لفرط افتتانهم ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بالغ
فى الامرين حتى الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه
والاشمئزاز ان يمتلئ غيظا وهما حتى ينقبض اديم وجهه قال مجاهد ومقاتل وذلك حين قرأ
النبى صلى الله عليه وسلم سورة والنجم والقى الشيطان فى امنيته تلك الغرانيق العلا ففرح به المشركون وقد
تقدم الكلام على ذلك فى سورة الحج * تنبيه * قال الزمخشرى فان قلت ما العامل فى اذا ذكر قلت العامل
فى اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت الاستبشار قال ابو حيان اما قول
الزمخشرى فلا اعلمه من قول من ينتمى الى النحو وهو ان الظرفين معمولان لفاجؤا ثم قال اذا الاولى
تنتصب على الظرفية والثانية على المفعول به * ولما حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفار هذا الامر العجيب
الذى تشهد فطرة العقل بفساده اردفه بذكر الدعاء العظيم فقال تعالى قل اللهم اى يا الله
فاطر السموات والارض اى مبدعهما من العدم اى التجئ الى الله تعالى بالدعاء لما تحيرت فى
امرهم وعجزت فى عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء العالم بالاحوال كلها عالم الغيب
والشهادة وصف تعالى نفسه بكمال القدرة وكمال العلم انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
اى من امر الدين وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام لما اخبر بقتل الحسين وسخط على قاتله وقالوا
الآن يتكلم فما زاد على ان قال آه او قد فعلوا وقرأ الآية وروى انه قال على اثرها قتل من كان يجلسه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجره ويضع فاه على فيه وعن ابى سلمة قال سألت عائشة رضى الله عنها
بم كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته بالليل قالت كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل
عليهم السلام فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم ولما
حكى الله تعالى عنهم هذا المذهب الباطل ذكر فى وعيدهم اشياء اولها قوله تعالى ولو ان للذين

ظلموا اي انفسهم بالكفر ما في الارض جميعا اي من الاموال ومثله معه لافتدوا اي اجتهدوا في
طلب ان يفدوا انفسهم به من سوء العذاب يوم القيمة وهذا وعيد شديد واقناط كلي لهم
من الخلاص روى الشيخان عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى لاهون اهل
النار عذابا لو ان لك ما في الارض من شيء لكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول الله قد اردت منك وفي رواية
سألتك اهون من هذا وانت في ظهر ادم ان لا تشرك بي شيئا فابيت الا ان تشرك بي شيئا وقوله اردت
اي فعلت معك فعل الامر المريد وهو معنى قوله في رواية قد سألتك ثانيها قوله تعالى وبدا لهم من الله
اي الملك الاعظم ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم انواع من العذاب لم تكن في حسابهم وفي هذا زيادة
مبالغة هو نظير قوله تعالى في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقوله صلى الله عليه
وسلم في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال مقاتل ظهر لهم حين بعثوا
ما لم يحتسبوا في الدنيا انه نازل بهم في الاخرة وقال السدي ظنوا ان اعمالهم حسنات فبدت
لهم سيئات لانهم كانوا يتقربون الى الله تعالى بعبادة الاصنام ويظنونها حسنات فبدت لهم سيئا[ت]
ثالثها قوله تعالى وبدا لهم اي ظهر ظهورا تاما سيئات ما كسبوا اي مساوي اعمالهم من الشرك
وظلم اولياء الله تعالى وحاق اي نزل بهم ما كانوا به يستهزؤن اي يطلبون ويوجدون الهزء
في العذاب ثم حكى الله تعالى عنهم طريقة اخرى من طرائقهم الفاسدة بقوله تعالى فاذا مس الانسان
اي الجنس ضر اي فقر او مرض او غير ذلك دعانا اي في دفع ذلك فان قيل ما السبب في
عطف هذه الاية بالفاء وعطف مثلها في اول السورة بالواو اجيب بان السبب في ذلك ان هذه
وقعت مسببة عن قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله
ويستبشرون بذكر الهتهم فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره
فقوله تعالى فاذا مس الانسان معطوف على قوله تعالى واذا ذكر الله وحده وما بينهما اعتراض مؤكد
لانكار ذلك عليهم هذا محصل كلام الزمخشري واعترضه ابو حيان بان ابا علي منع الاعتراض بجملتين
فكيف بهذه الجمل الكثيرة ثم قال والذي يظهر في الربط انه لما قال ولو ان للذين ظلموا الاية وكان
ذلك اشعارا بما ينال الظالمين من شدة العذاب انه يظهر لهم يوم القيمة العذاب اتبع ذلك بما يدل على ظلمه
وبغيه اذ كان اذا مسه ضر دعا الله تعالى فاذا احسن اليه لم ينسب ذلك اليه كما قال تعالى ثم اذا
خولناه اي اعطيناه نعمة منا اي تفضلا فان التخويل يختص به قال انما اوتيته اي المنعم به على علم
اي على علم من الله تعالى اني له اهل وقيل ان كان ذلك سعادة في المال او عافية في النفس يقول
انما حصل ذلك بجده واجتهاده وان كان صحة قال انما حصل ذلك بسبب العلاج الفلاني
وان حصل مال يقول حصل بكسبي وهذا تناقض ايضا لانه لما كان عاجزا محتاجا اضاف الكل الى الله
تعالى وفي حال السلامة والصحة قطعه عن الله تعالى واسنده الى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح
بل هي فتنة اي بلية يبتلي بها العبد فان قيل كيف ذكر النعمة اولا في قوله انما اوتيته

ثم انثه ثانيا اجيب بانه ذكر اولا لان النعمة بمعنى المنعم به كامر وقيل تقديره شيئا من النعمة وانث ثانيا اعتبارا بلفظها او لان الخبر لما كان مؤنثا اعنى فتنة ساغ تانيث المبتدأ لاجله لانه فى معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقيل هى اى الحالة او القولة كما جرى عليه الجلال المحلى او العطية او النعمة كما قاله البقاعى وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ اى اكثر هؤلاء القائلين هذا الكلام لَا يَعْلَمُوْنَ ان التخويل استدراج وامتحان قَدْ قَالَهَا اى القولة المذكورة وهى قوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة من القول اَلَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ اى من الامم الماضية قال الزمخشرى هم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندى وقومه راضون به فكأنهم قالوها قال ويجوز ان يكون فى الامم الماضية آخرون قائلون مثلها فَمَا اَغْنٰى عَنْهُمْ اى اولئك الماضين مَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ اى من متاع الدنيا ويجمعون منه فَاَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوْا اى جزاؤها من العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال تعالى وَالَّذِيْنَ ظَلَمُوْا اى بالعتو مِنْ هٰٓؤُلَاۤءِ اى من مشركى قومك ومن للبيان او للتبعيض سَيُصِيْبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوْا اى كما اصاب اولئك وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِيْنَ اى فائتين عذابنا فقتل صناديدهم يوم بدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين فقيل لهم اَوَلَمْ يَعْلَمُوْا اَنَّ اللّٰهَ اى الذى له الجلال والكمال يَبْسُطُ الرِّزْقَ اى يوسعه لِمَنْ يَّشَاۤءُ وان كان لا حيلة له ولا قوة امتحانا وَيَقْدِرُ اى يضيق الرزق لمن يشاء وان كان قويا شديد الحيلة ابتلاء فلا قابض ولا باسط الا الله تعالى ويدل على ذلك انا نرى الناس مختلفين فى سعة الرزق وضيقه فلا بد لذلك من حكمة وسبب ذلك السبب ليس هو عقل الانسان وجهله فانا نرى العاقل القادر فى اشد الضيق ونرى الجاهل الضعيف فى اعظم السعة وليس ذلك ايضا لاجل الطبائع والافلاك لان الساعة التى ولد فيها ذلك الملك السلطان القاهر قد ولد فيها عالم ايضا من الناس وعالم من الحيوان غير الانسان وتولد ايضا فى تلك الساعة عالم من النبات فلما شاهدنا حدوث هذه الاشياء الكثيرة فى تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة فى السعادة والشقاوة علمنا ان الفاعل لذلك هو الله تعالى فصح بهذا البرهان العقلى القاطع صحة قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر قال الشاعر

سبحان من قسم الحظوظ فلا يقضى به المشترى + ولا النحس يقضى علينا زحل + ولكنه حكم رب السماء + وقاضى القضاة تعالى وجل + اِنَّ فِىْ ذٰلِكَ اى البيان الظاهر لَاٰيٰتٍ اى دلالات لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَ اى بان الحوادث كلها من الله تعالى بوسط او غيره + ولما ذكر تعالى الوعيد اردفه بشرح كمال رحمته فقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قُلْ يا محمد لربكم المحسن اليكم يقول يٰعِبَادِىَ الَّذِيْنَ اَسْرَفُوْا عَلٰٓى اَنْفُسِهِمْ اى افرطوا فى الجناية عليها بالاسراف فى المعاصى واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن لَا تَقْنَطُوْا اى لا تيأسوا مِنْ رَّحْمَةِ اللّٰهِ اى اكرام المحيط بكل صفات الكمال فيمنعكم ذلك القنوط من توبة التى هى باب الرحمة وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى يا عبادى بسكون الياء وتسقط فى الوصل وفتحها الباقون وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى

تقنطوا بكسر النون بعد القاف والباقون بفتحها إن الله اى المتفضل على عباده المؤمنين يغفر
الذنوب لمن تاب من الشرك جميعاً لمن يشاء كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء واما الكافر اذا اسلم فان الله تعالى لا يؤاخذه بما وقع من كفره قال تعالى
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف. تنبيه في هذه الآية انواع من المعانى والبيان حسنة منها
اقباله عليهم ونداؤهم ومنها اضافتهم اليه اضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم الى الغيبة فى قوله
تعالى من رحمة الله ومنها اضافة الرحمة لاجل اسمائه الحسنى ومنها اعادة الظاهر بلفظه فى قوله تعالى
ان الله ومنها ابراز الجملة فى قوله تعالى إنه هو اى وحده الغفور اى البليغ الغفر يمحو الذنوب
عمن يشاء عيناً واثراً فلا يعاقب ولا يعاتب الرحيم اى المكرم بعد المغفرة مؤكدة بان وبالفصل و
باعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الآية السابقة وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله
عنهما ان ناساً من اهل الشرك كانوا قتلوا واكثروا وزنوا واكثروا فاتوا النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا
ان الذى تدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت هذه الآية وروى عطاء بن ابى رباح
عن ابن عباس انها نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله تعالى عنهما حين بعث اليه النبى صلى الله
عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعونى الى دينك وانت تزعم ان من قتل او اشرك
او زنى يلق اثاماً يضاعف له العذاب يوم القيمة وانا قد فعلت ذلك كله فانزل الله سبحانه وتعالى الا من
تاب وامن وعمل صالحا فقال وحشى هذا شرط شديد لعلى لا اقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله
تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشى ارانى بعد فى شبهة فلا ادرى
ايغفر لى ام لا فانزل الله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قال
نعم هذا فجاء فاسلم فقال المسلمون هذا له خاصة قال بل للمسلمين عامة وروى عن ابن عمر قال نزلت
هذه الآية فى عياش بن ابى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد اسلموا ثم فتنوا وعذبوا
فافتتنوا وكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً ابداً قد اسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا به
فانزل الله تعالى هذه الآيات فكتبها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بيده ثم بعث بها الى عياش
ابن ابى ربيعة والوليد بن الوليد والى اولئك النفر فاسلموا وهاجروا وروى عن ابن مسعود
انه دخل المسجد واذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على راسه فقال يا مذكر لم تقنط
الناس ثم قرأ قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وعن اسماء بنت يزيد قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى وروى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال ما احب ان لى الدنيا
وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث
مرات وعن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان فى بنى اسرائيل رجل قتل تسعة
وتسعين انساناً ثم خرج يسأل فاتى راهباً فسأله فقال هل لى توبة فقال لا فقتله وجعل يسأل

فقال له رجل ائت قرية كذا فادركه الموت فنأى بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة
وملائكة العذاب فاوحى الله تعالى الى هذه ان تقربي والى هذه ان تباعدى وقال قيسوا ما بينهما
فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له وفي رواية فقال له انى قتلت تسعة وتسعين نفسا فهل لى من
توبة فقال لا فقتله فكمل مائة ثم سأل عن اعلم اهل الارض فدل على عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل
له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا الى ان قال فوجدوه ادنى
الى الارض التى اراد فقبضته ملائكة الرحمة وعن ابن عمر قال كنا معشر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
نرى او نقول ليس شئ من حسناتنا الا وهى مقبولة حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا
اعمالكم فلما نزلت هذه الاية قلنا ما هذا الذى يبطل اعمالنا فقيل لنا الكبائر والفواحش فكنا اذا
رأينا من اصاب منها شيئا خفنا عليه ومن لم يصب منها شيئا رجونا له فانزل الله تعالى قل يا عبادى
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله واراد بالاسراف ارتكاب الكبائر + ولما كانت المقابر
واقلعوا عن ذنوبكم فانها قاطعة عن الخير مبعدة عن الكمال عطف عليه استعطافا قوله تعالى
وَأَنِيبُوا اى ارجعوا بكلياتكم وكلوا همكم واسندوا اموركم واجعلوا طريقكم إِلَى رَبِّكُمْ
اى الذى لم تروا احسانا الا وهو منه وَأَسْلِمُوا اى واخلصوا لله اعمالكم مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
اى وانتم صاغرون الْعَذَابُ اى القاطع لكل عذوبة المجرع لكل مرارة وصعوبة
ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ اى لا يتجدد لكم نوع نصر ابدا ان لم تتوبوا وَاتَّبِعُوا اى عالجوا انفسكم وكلفوها
ان تتبع أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ اى على سبيل العدل كالاحسان الذى هو اعلى من العفو الذى هو
فوق الانتقام باتباع هذا القرآن الذى هو احسن ما نزل من كتب الله تعالى واتباع احاسن
ما فيه فتصل من قطعك وتعطى من حرمك وتحسن الى من ظلمك هذا فى حق الخلائق ومثله
فى عبادة الخالق بان تكون كانك تراه الذى هو اعلى من استحضار انه يراك الذى هو اعلى من
ادائها مع الغفلة عن ذلك + ولما كان هذا شديدا على النفس رغب فيه بقوله تعالى بمظهر
صفة الاحسان موضع الاضمار مِنْ رَبِّكُمْ اى الذى لم يزل يحسن اليكم وانتم تبارزونه بالعظائم وقال
الحسن رضى الله عنه معنى الاية الزموا طاعته واجتنبوا معصيته فان فى القرآن ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الادون
لئلا ترغب فيه وذكر الاحسن لتؤثره وقيل الاحسن الناسخ دون المنسوخ لقوله تعالى ما ننسخ
من اية او ننسها نأت بخير منها او مثلها وقيل العزائم دون الرخص وقوله تعالى مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ اى ليس عندكم شعور باتيانه بوجه من الوجوه فيه تهديد
وتخويف + ولما خوفهم الله تعالى بهذا العذاب بين انهم بتقدير نزوله عليهم ماذا يقولون فحكى
الله تعالى عنهم ثلاثة انواع من الكلام الاول ما ذكره بقوله تعالى أَنْ اى كراهة ان تَقُولَ نَفْسٌ
اى عند وقوع العذاب وافرادها وتنكيرها كاف فى الوعيد لان كل احد يجوز ان يكون هو المراد
يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ قال الحسن قصرت فى طاعة الله وقال مجاهد فى امر الله

وقال سعيد بن جبير في حق الله وقيل ضيعت في ذات الله وقيل معناه قصرت في الجانب الذي
يؤدي الى رضا الله تعالى والعرب تسمى الجانب جنبا قال في الكشاف هذا من باب
الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته فيه الا ترى الى قول
الشاعر * ان السماحة والمروءة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج * اي فانه لم يصرح
بثبوت هذه الصفات المذكورة لابن الحشرج بل كنى عن ذلك في قبة مضروبة
عليه فافاد اثباتها له والقبة تكون فوق الخيمة تتخذها الرؤساء وقرأ حمزة والكسائي بالامالة
محضة والدوري عن ابي عمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وان
اي والحال اني كنت اي كان ذلك في طبعي لمن الساخرين اي المستهزئين المتكبرين لما اتى
القسم في غير مبالاة فذلك انه ما كفاني المعصية حتى كنت اسخر من اهل الطاعة او تقول
هذا لعله يقبل منها ويعفى عنها على عادة المعترفين في وقت الشدائد لعلهم يعادون الى
اجمل العوائد الثاني من الكلمات التي حكاها الله تعالى عنهم بعد نزول العذاب عليهم ما ذكره
الله تعالى بقوله سبحانه او تقول اي تلك النفس المفرطة لو ان الله اي الذي له القدرة الكاملة
والعلم الشامل هداني اي بارشاد الطريق لكنت من المتقين اي الذين لا يقدمون على فعل
الا ما يدلهم عليه دليل الثالث من الكلمات ما ذكره الله تعالى بقوله سبحانه او تقول اي
تلك النفس المفرطة حين ترى العذاب اي الذي اوجبه عيانا لو ان اي يا ليت لي كرة اي
رجعة الى دار العمل فاكون اي بسبب عن رجوعي ايمان اكون من المحسنين اي العاملين
بالاحسان الذي دعا اليه القرآن * تنبيه * في نصب فاكون وجهان احدهما عطفه على كرة فانها
مصدر فعطفت مصدرا مؤولا على مصدر مصرح به كقولها * للبس عباءة وتقر عيني * احب
الي من لبس الشفوف * والثاني انه منصوب على جواب التمني المفهوم من قوله تعالى لو ان لي كرة
والفرق بين الوجهين ان الاول يكون فيه الكون متمنى ويجوز ان تضمر ان وان تظهر والثاني
يكون فيه الكون مترتبا على حصول المتمنى لا متمنى ويجب ان تضمر ان * ثم اجاب الله تعالى
هذا القائل بقوله سبحانه بلى قد جاءتك آياتي اي القرآن وهي سبب الهداية فكذبت بها اي
قلت ليست من عند الله واستكبرت اي تكبرت عن الايمان وكنت من الكافرين
فان قيل هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما اجيب
بانه لا يخلو اما ان يقدم على اخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن واما ان تؤخر القرينة الوسطى
فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن واما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو
التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه
وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها عما اقتضى الجواب فان قيل كيف صح
ان تقع بلى جوابا لغير منفي اجيب بان قوله لو ان الله هداني بمعنى ما هديت ويوم القيامة

اى الذى لا يصح فى الحكمة تركه ترى اى ايها المحسن الذين كذبوا على الله اى الحائز لجميع صفات
الكمال بنسبة الشريك والولد اليه وقال الحسن هم الذين يقولون ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل
قال البقاعى وكانه عنى من المعتزلة الذين اعتزلوا مجلسه وابتدعوا قولهم انهم يخلقون افعالهم
قال ويدخل فيه من تكلم فى الدين بجهل وكل من كذب وهو يعلم انه كاذب فى اى شئ كان
فانه من حيث ان فعله فعل من يظن ان الله تعالى لا يعلم كذبه اى ولا يقدر على جزائه كانه كذب على الله
وقوله تعالى وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ الجملة من مبتدأ وخبر فى محل نصب على الحال من الموصول لان
الرؤية بصرية وقيل فى محل نصب مفعولا ثانيا لان الرؤية قلبية ورد بان تعلق الرؤية البصرية
بالاجسام والوانها اظهر من تعلق القلبية بهما وذكر ان هذا السواد مخالف لسائر انواع السواد أَلَيْسَ فِى
جَهَنَّمَ مَثْوًى اى ماوى لِلْمُتَكَبِّرِينَ اى الذين تكبروا على اتباع امر الله تعالى وهو تقرير لانهم يرونه
كذلك + ولما ذكر الله تعالى الذين اشقاهم اتبعهم حال الذين اسعدهم بقوله تعالى وَيُنَجِّى اللّٰهُ
اى يفعل بماله من صفات الكمال فى نجاتهم فعل المبالغ فى ذلك الَّذِينَ اتَّقَوْا اى بالتوقى وقاية
انفسهم من غضبه فكما وقاهم فى الدنيا من المخالفات حماهم هنا من العقوبات بِمَفَازَتِهِمْ اى بسبب
فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح فى نفسه
مفازة لانه سببها وقرأ حمزة والكسائى وشعبة بالف بعد الزاى جمعا على ان لكل متق مفازة
والباقون بغير الف بعد الزاى افرادا وقوله تعالى لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ جملة مفسرة لمفازتهم كانه
قيل وما مفازتهم فقال لا يمسهم السوء فلا محل لها ويجوز ان تكون فى محل نصب على الحال من
الذين اتقوا ومعنى الكلام لا يمسهم مكروه وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اى ولا يطرق بواطنهم حزن على فائت
لانه لا يفوت لهم شئ اصلا + ولما كان الخوف منه والحزن عليه جامعين لكل ما فى الكون فكان
لا يقدر على جمعهما الا القادر المبدع القيوم قال تعالى مستأنفا ومعللا مظهرا الاسم الاعظم
تعظيما للمقام اَللّٰهُ اى المحيط بكل شئ قدرة وعلما الذى نجاهم خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ اى من خير وشر
وايمان وكفر فلا يكون شئ اصلا الا بخلقه + ولما دل هذا على القدرة الشاملة وكان لابد معها
من العلم الكامل قال تعالى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ اى مع القهر والغلبة وَكِيلٌ اى حفيظ لجميع ما يريد
قيوم لا عجز يلم بساحته ولا غفلة وقوله تعالى لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ جملة مستأنفة
والمقاليد جمع مقلاد مثل مفتاح ومفاتيح او مقليد مثل منديل ومناديل اى هو مالك امرها
وحافظها وهى من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذى يملك مقاليدها ومنه
قولهم فلان القيت اليه مقاليد الملك هى المفاتيح والكلمة اصلها فارسية فان قيل ما للكتاب
المبين والفارسية اجيب بان التعريب احالها عربية كما اخرج استعمال المهمل عن كونه مهملا
قال الزمخشرى سأل عثمان النبى صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات
والارض فقال يا عثمان ما سألنى عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله

بحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير
يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير اه وروى هذا الطبراني بسند ضعيف بل رواه ابن الجوزي
في الموضوعات ثم قال الزمخشري وتاويله على هذا ان الله تعالى في هذه الكلمات يوحد بها ويمجد
وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه وقال قتادة ومقاتل مفاتيح السموات
والارض بالرزق والرحمة وقال الكلبي خزائن المطر والنبات ولما وصف الله تعالى بالصفة الالهية
والجلالة وهو كونه خالقا للاشياء وكونه مالكا لمقاليد السموات والارض باسرها قال بعده وَالَّذِينَ كَفَرُوا
اي لبسوا ما اتضح من الدلالات وجحدوا بِآيَاتِ اللَّهِ اي دلائل قدرته الظاهرة الباهرة أُولَٰئِكَ اي البعداء
البغضاء هُمُ الْخَاسِرُونَ لانهم خسروا انفسهم وكل شيء متصل بها على وجه النفع وقال الزمخشري الذين
كفروا متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم واعترض بينهما بانه خالق الاشياء كلها وان له
مقاليد السموات والارض واعترضه الرازي بان وينجي جملة فعلية والذين كفروا جملة اسمية وعطف
الجملة الاسمية على الفعلية لا يجوز واعترض الآخر بانه لا مانع من ذلك + ولما دعا كفار قريش النبي
صلى الله عليه وسلم الى دين آبائهم قال الله تعالى قُلْ اي لهم أَفَغَيْرَ اللَّهِ اي الملك الاعظم
تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ اي العريقون في الجهل لان الدليل القاطع قد قام بان الله تعالى
هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل وقرأ نافع بتخفيف النون وفتح الياء وابن كثير
بتشديد النون وسكون الياء وابن عامر بنونين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة وسكون
الياء والباقون بتشديد النون وسكون الياء وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ
أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ اي الذي عملته قبل الشرك فان قيل الموحى اليهم جماعة فكيف قال
لئن اشركت على التوحيد أجيب بان تقدير الآية اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك و
الى الذين من قبلك مثله اي اوحي اليك والى كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة
اي كل واحد منا فان قيل كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لا يشركون ولا تحبط اعمالهم
أجيب بان قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك قضية شرطية والقضية الشرطية لا يلزم من
صدقها صدق جزئيها الا ترى ان قولك لو كانت الخمسة زوجا لكانت منقسمة بمتساويين قضية
صادقة مع ان كل واحد من جزئيها غير صادق قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولم يلزم
من هذا صدق ان فيهما آلهة وانهما قد فسدتا وان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به
غيره كما قاله اكثر المفسرين او ان ذلك على سبيل الفرض المحال وذكر ليكون ردعا للاتباع + ولما كان
السياق للتهديد وكانت العبادة شاملة لما تقدم على الشرك من الاعمال وما تأخر عنه لم يقيده
بالاتصال بالموت اكتفاء بتقييده في آية البقرة وهي ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر قال تعالى
وَلَتَكُونَنَّ اي لاجل حبوطه مِنَ الْخَاسِرِينَ فان من ذهب جميع عمله لا شك في خسارته اما من
اسلم بعد ردته فانما يحبط ثواب عمله لا عمله كما نص عليه الشافعي + تنبيه + اللام الاولى موطئة للقسم

ع

والاخرى بالجواب ولما كان التقدير لا تشرك بنا عطف عليه قوله تعالى بل الله اى المتصف
بصفات الكمال وحده فاعبد اى تخلصا له العبادة وكن من الشاكرين اى العريقين فى هذا
الوصف لانه جعلك خير الخلائق اجمعين ولما حكى الله تعالى عن المشركين انهم امروا الرسول
بعبادة الاصنام ثم انه تعالى اقام الدلائل على فساد قولهم وامر الرسول ان يعبد الله ولا يعبد
سواه بين انهم لو عرفوا الله تعالى حق معرفته لما جعلوا هذه الاشياء الخسيسة مشاركة له فى العبودية
فقال وما قدروا الله اى الملك الاعظم حق قدره اى ما عظموه حق عظمته حين اشركوا به غيره
مع انهم لو استغرقوا الزمان كله فى عبادته وبالغوا فى طاعته بحيث لم يخل شئ منه عنها لما كان ذلك حق
قدره فكيف اذا اخلوا بعضه عنها فكيف اذا تعدلوا به غيره ولما بين انهم ما عظموه تعظيما لائقا به ذكر ما يدل
على كمال عظمته بقوله تعالى والارض جميعا قبضته وهو مبتدأ وخبر فى محل نصب على الحال اى
ما عظموه حق عظمته والحال انه موصوف بهذه القدرة الباهرة كقوله تعالى كيف تكفرون
بالله وكنتم امواتا فاحياكم اى كيف تكفرون بمن هذا وصفه وحال ملكه كذا وجميعا حال وهى دالة
على ان المراد بالارض الارضون لان هذا التاكيد لا يحسن ادخاله الا على الجمع وقدم الارض على
السموات لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها ولما كان فى هذه الدنيا من يدعى الملك والقهر
والعظمة والقدرة وكان الامر فى الاخرة بخلاف هذا لانقطاع الاسباب قال تعالى يوم القيمة
ولا قبضة هناك لا حقيقة ولا مجازا وكذا الطى واليمين وانما هو تمثيل وتخييل لتمام القدرة ولما كان العلو
ان السموات سبع طباق مطابقة لما يشاهدونه من سير النجوم جمع ليكون مع جمعها كالتصريح فى جمع الارضين
ايضا فى قوله تعالى والسموات مطويات اى مجموعات بيمينه قال الامام الرازى وههنا سؤالات
الاول ان العرش اعظم من السموات السبع والارضين السبع ثم انه تعالى قال فى صفة العرش
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فاذا وصف الملائكة بكونهم حاملين العرش العظيم فكيف
يجوز تقرير عظمة الله عز وجل بكونه حاملا للسموات والارض واجاب بان مراتب التعظيم كثيرة فاولها
تقرير عظمة الله بكونه قادرا على هذه الاجسام العظيمة كان حفظها وامساكها يوم القيمة عظيم ثم
بعده تقرير عظمته بكونه قادرا على امساك اولئك الملائكة الذين يحملون العرش السؤال
الثانى قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه شرح حال لا يحصل
الا فى القيمة والقوم ما شاهدوا ذلك فان كان هذا الخطاب مع المصدقين للانبياء فهم
معترفون بانه لا يجوز القول بجعل الاصنام شركاء لله تعالى فلا فائدة فى ايراد هذه الحجة عليهم وان
كان الخطاب مع المكذبين بالنبوة فهم ينكرون قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة فكيف يمكن
الاستدلال به على ابطال القول بالشرك واجاب عنه بان المقصود منه ان المتولى لابقاء السموات
والارضين من وجوه العمارة فى هذا الوقت هو المتولى لتخريبها وافنائها يوم القيمة وذلك يدل
على حصول قدرة تامة على الايجاد والاعدام ويدل ايضا على كونه قادرا غنيا على الاطلاق فانه

يدل على انه اذا حاول تخريب الارض فكانه يقبض قبضة وذلك يدل على كمال الاستغناء
الثالث حاصل القول بالقبضة واليمين هو القدرة الكاملة الوافية بحفظ هذه الاجسام العظيمة فكما
ان حفظها وامساكها يوم القيمة ليس الا بقدرته تعالى فكذلك الآن فما الفائدة في تخصيص هذه
الاحوال بيوم القيمة واجيب بانه انما خصص تلك الحالة بيوم القيمة ليدل على انه كما ظهر كمال
قدرته في الايجاد عند عمارة الدنيا يظهر كمال قدرته في الاعدام عند خراب الدنيا ولما كان هذا
انما هو تمثيل بما يعهد والمراد به الغاية في القدرة نزه نفسه المقدس عما ربما نسبه له المجسم والمشبه
فقال تعالى سُبْحَانَهُ اي تنزه من هذه القدرة قدرته عن كل شائبة نقص وَتَعَالَى علوا لا يحاط به
عَمَّا يُشْرِكُونَ معه لانه لو كان له شريك ينازعه في هذه القدرة او بعضها لمنعه شيئا منها وهذه
معبوداتهم لا قدرة لها على شئ البتة روى البخاري في صحيحه في التوحيد وغيره عن عبد الله بن
مسعود قال جاء حبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان يوم القيمة
جعل الله تعالى السموات على اصبع والارضين على اصبع والماء والثرى على اصبع والخلائق على
اصبع ثم يهزهن ثم يقول انا الملك فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه
تعجبا وتصديقا لقول الحبر ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم وما قدروا الله حق قدره الآية وانما
ضحك صلى الله عليه وسلم وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما فهم علماء البيان من غير تصور امساك
ولا اصبع ولا هز ولا شئ من ذلك انما يدل ذلك على القدرة الباهرة وان الافعال العظام التي تتحير فيها
الاذهان هينة عليه هوانا لا يصل السامع الى الوقوف عليه الا باجراء العبارة في مثل هذه الطريقة
على التخييل وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيمة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبابرة
اين المتكبرون ثم يطوي الارضين ثم يأخذهن بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون
وللبخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقبض الله الارض يوم القيمة ويطوي
السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض قال ابو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف الى الله عز
وجل من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص في الضعف وقد ورد كلتا يديه يمين وليس
عندنا معنى اليد الجارحة وانما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها
وننتهي حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب اهل السنة والجماعة
رضي الله تعالى عنهم وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته
والسكوت عليه انتهى وقد قدمنا ان السلف يجرون المتشابه على ما هو عليه وان الخلف يؤولونه
والاول اسلم والثاني احكم ولما ذكر تعالى كمال قدرته وعظمته بما سبق ذكره اردفه بذكر طريق آخر
يدل ايضا على كمال العظمة وهو شرح مقدمات يوم القيمة فقال وَنُفِخَ فِي الصُّورِ اي القرن
النفخة الاولى لان نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم فَصَعِقَ اي مات مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ

فِي الْأَرْضِ واختلف فيمن استثنى الله تعالى بقوله سبحانه إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ فقال الحسن هو الله
وحده وقال ابن عباس جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام ثم يميت الله
تعالى ميكائيل واسرافيل وجبريل وملك الموت وقيل حملة العرش وقيل الحور والولدان وقيل
الشهداء لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هم
الشهداء متقلدون اسيافهم حول العرش وقال جابر هو موسى عليه السلام لانه صعق فلا يصعق ثانيا
وقال قتادة الله اعلم بهم وليس في القرآن والاخبار ما يدل على انهم من هم وهذا اسلم ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ اي
في الصور نفخة أُخْرَى اي نفخة ثانية فَإِذَا هُمْ اي جميع الخلائق الموتى قِيَامٌ اي قائمون يَنظُرُونَ اي يقلبون
ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب جسيم وقيل ينتظرون امر الله تعالى فيهم وهذا
يدل على ان هذه النفخة متاخرة عن النفخة الاولى لان لفظة ثم للتراخي وروى ابو هريرة رضي الله
تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال
ابو هريرة ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت قال ثم ينزل الله تعالى
من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب
ومنه يركب الخلق يوم القيمة وقوله تعالى فاذا هم يدل على ان قيامهم يحصل عقب هذه النفخة
الاخيرة في الحال من غير تراخ لان الفاء تدل على التعقيب + ولما ذكر تعالى اقامتهم بالحياة التي هي
نور البدن اتبعه بنور ارض القيمة فقال وَأَشْرَقَتِ اي اضاءت اضاءة عظيمة مالت بها الى الحمرة الْأَرْضُ
اي التي اوجدت لحشرهم وليست بارضنا الآن لقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض بِنُورِ رَبِّهَا
اي خالقها وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه قال صلى الله عليه وسلم سترون
ربكم وقال كما لا تضارون في الشمس في يوم الصحو وقال الحسن والسدي بعدل ربها وَوُضِعَ الْكِتَابُ
اي كتاب الاعمال للحساب لقوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه
منشورا وقوله تعالى مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقيل الكتاب اللوح المحفوظ
تقابل به الصحف وقيل الكتاب الذي انزل الى كل امة تعمل به واقتصر على هذا البقاعي وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ
اي للشهادة على اممهم واختلف في قوله تعالى وَالشُّهَدَاءِ فقال ابن عباس يعني الذين يشهدون
للرسل بتبليغ الرسالة وهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه لقوله تعالى جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس وقال عطاء ومقاتل يعني الحفظة لقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد وقيل هم المستشهدون في سبيل الله + ولما بين تعالى انه يوصل الى كل واحد حقه عبر
عن هذا المعنى باربع عبارات اولها قوله تعالى وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ اي العباد بِالْحَقِّ اي العدل ثانيها قوله
تعالى وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ اي لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم ثالثها قوله تعالى وَوُفِّيَتْ
كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ اي جزاء ما عملته رابعها قوله تعالى وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ اي فلا يفوته شيء من
افعالهم ثم فصل التوفية بقوله تعالى مقدما اهل الغضب وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا اي بالعنف

والدفع اِلیٰ جَهَنَّمَ كما قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا اى يدفعون اليها دفعا وقوله تعالى زُمَرًا
حال اى جماعات فى تفرقة بعضهم على اثر بعض كل امة على حدة حَتّٰٓى اِذَا جَآءُوْهَا اى على صفة
الذل والصغار واجاب اذا بقوله تعالى فُتِحَتْ اَبْوَابُهَا اى السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك وانما
تفتح عند وصول الكفار اليها وقرأ الكوفيون فتحت وفتحت الآتية بالتخفيف والباقون بالتشديد
على التكثير وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ انكارا عليهم وتقريعا وتوبيخا اَلَمْ يَاْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ اى من جنسكم
لان قيام الحجة بالجنس اقوى يَتْلُوْنَ اى يتلون مرة بعد مرة وشيئا فى اثر شئ عَلَيْكُمْ اٰيٰتِ رَبِّكُمْ
اى المحسن اليكم من القرآن وغيره وَيُنْذِرُوْنَكُمْ اى يخوفونكم لِقَآءَ يَوْمِكُمْ وقولهم هٰذَا اشارة الى
يوم البعث فان قيل لم اضيف اليهم اليوم اجيب بانهم ارادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم
النار لا يوم القيمة قال الزمخشرى وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا فى اوقات الشدة
ويجوز ان يراد باليوم يوم البعث كله وجرى عليه البقاعى وهو اولى ولما قال لهم الخزنة ذلك
قَالُوْا بَلٰى اتونا وتلوا علينا وحذرونا وَلٰكِنْ حَقَّتْ اى وجبت كَلِمَةُ الْعَذَابِ اى التى سبقت
فى الازل علينا هكذا كان الاصل ولكنهم قالوا عَلَى الْكٰفِرِيْنَ تخصيصا باهل هذا الوصف
وبيانا لانه موجب خزلهم وهو تغطيتهم الانوار التى اتتهم بها الرسل عليهم الصلوة والسلام
تنبيه فى الآية دليل على انه لا وجوب قبل مجئ الشرع لان الملائكة بينوا لهم انهم ما بقى لهم
عذر ولا علة بعد مجئ الرسل عليهم الصلوة والسلام فلو لم يكن مجئ الرسل شرطا فى استحقاق العذاب
لما بقى فى هذا الكلام فائدة وقيل كلمة العذاب هى قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين ثم كانه قيل فماذا وقع بعد هذا التقريع قيل وقرأن الملائكة قالت لهم اُدْخُلُوْٓا اَبْوَابَ جَهَنَّمَ
اى طبقاتها المتجهمة لداخلها خٰلِدِيْنَ اى مقدرين الخلود فِيْهَا ولما كان سبب كفرهم بالآيات
هو التكبر قالوا لهم فَبِئْسَ مَثْوَى اى منزل ومقام الْمُتَكَبِّرِيْنَ اى الذين اوجب تكبرهم حقوق
كلمة العذاب عليهم فلذلك تعاطوا اسبابها ولما ذكر تعالى احوال الكافرين اتبعه احوال
اضدادهم فقال عز من قائل وَسِيْقَ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ اى الذين كلما زادهم احسانا زادوا له
هيبة اِلَى الْجَنَّةِ وقوله تعالى زُمَرًا حال اى جماعات اهل الصلوة المستكثرين منها على حدة
واهل الصوم كذلك الى غير ذلك من الاعمال التى تظهر آثارها على الوجه فان قيل السوق فى
اهل النار معقول لانهم لما امروا بالذهاب الى موضع العذاب لابد وان يساقوا اليه واما اهل الثواب فاذا
امروا بالذهاب الى موضع السعادة والراحة فاى حاجة فيه الى السوق اجيب بان المراد بسوق اهل النار
طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او
قتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين سراعا الى دار الكرامة
والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين
هذا سوق تشريف واكرام وذاك سوق اهانة وانتقام وهذا من بدائع انواع البديع وهو

ربع

ان يأتي سبحانه بكلمة في حق الكفار فتدل على هو انهم بعقابهم وبأن يأتي بتلك الكلمة بعينها وهيئتها في
حق المؤمنين فتدل على اكرامهم بحسن ثوابهم فسبحان من انزله معجز المباني متمكن المعاني
عذب الموارد والمثاني وقيل ان المحبة والصداقة باقية بين المتقين الى يوم القيمة كما قال تعالى الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فاذا قيل لواحد منهم اذهب الى الجنة فيقول لا ادخلها الا مع احبائي
واصدقائي فيتأخرون لهذا السبب فحينئذ يحتاجون الى السوق الى الجنة ولما ذكر تعالى السوق
ذكر غايته بقوله تعالى حَتّٰى إِذَا جَاؤُهَا واختلف في جواب اذا على اوجه احدها قوله تعالى وَفُتِحَتْ اَبْوَابُهَا
والواو زائدة وهو رأي الكوفيين والاخفش وانما جيء هنا بالواو دون التي قبلها لان ابواب السجون
مغلقة عادة الى ان يجيئها صاحب الجريمة فتفتح له ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها
بخلاف ابواب السرور والفرح فانها تفتح انتظارا لمن يدخلها فعلى هذا ابواب جهنم تكون مغلقة
لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها فاما ابواب الجنة ففتحها يكون متقدما على وصولهم اليها كما قال
تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو وكأنه قال حتى اذا جاؤها وقد فتحت
ابوابها ثانيها قوله تعالى وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا على زيادة الواو ايضا اي حتى اذا جاؤها قال لهم خزنتها
ثالثها قال الزجاج القول عندي ان الجواب محذوف تقديره دخلوها بعد قوله تعالى حتى اذا جاؤها
وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها اي حين الوصول سَلَامٌ عَلَيْكُمْ تعجيلا للمسرة بالبشارة بالسلامة
التي لا عطب فيها طِبْتُمْ اي صلحتم لسكناها لانها دار طهرها الله تعالى من كل دنس وطيبها من كل
قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها فابعد الله عنا من تلك المناسبة وما ضعفت
سعينا في اكتساب تلك الصفة الا ان يهب لنا الوهاب الكريم توبة تمحو ما اقترفنا من الذنوب
وتبسط فيض هذه القلوب ثم سببوا عن ذلك فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ اي مقدرين الخلود وسمى بعضهم
الواو في قوله تعالى وفتحت واو الثمانية قال لان ابواب الجنة ثمانية وكذا قالوا في قوله تعالى وثامنهم
كلبهم وقيل تقدير الجواب حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها يعني ان الجواب بلفظ الشرط ولكنه
بزيادة تقييده بالحال فلذلك صح وقدره الجلال المحلي بقوله دخلوها وقال ان قوله تعالى وَقَالُوا عطف
على دخلوها المقدر الْحَمْدُ اي الاحاطة باوصاف الكمال لِلّٰهِ اي الملك الاعظم الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ
في قوله تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا فطابق قوله الواقع الذي وجدناه في
هذه الساعة وَاَوْرَثَنَا كما وعدنا الْاَرْضَ اي الارض التي لا ارض في الحقيقة غيرها وهي
ارض الجنة التي لا كدر فيها بوجه وفيها كل ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقولهم نَتَبَوَّأُ اي
ننزل مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ جملة حالية وحيث ظرف على بابها وقيل مفعول به وانما عبر
عن ارض الجنة بالارض لوجهين احدهما ان الجنة كانت في اول الامر لآدم عليه السلام لانه تعالى
قال وكلا منها رغدا حيث شئتما فلما عادت الجنة الى اولاد آدم عليه السلام كان ذلك سببا للارث
ثانيهما ان الوارث يتصرف فيما ورثه كيف شاء من غير منازع فكذلك المؤمنون يتصرفون

في الجنة حيث شاء او اراده وارادت قيل كيف يتبوأ احدهم مكان غيره أجيب بان لكل واحد منهم
جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث شاء ولا يحتاج الى جنة غيره
ولا يشتهي احد الا مكانه مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها ولما كانت هذه الاوصاف
الجليل تسبب عنها مدحها بقوله فنعم اي اجرنا هكذا كان الاصل ولكنه قال اجر العاملين تنبيها
في الاعمال وحثا على عدم الاتكال ولما ذكر سبحانه الذين اكرمهم من المتقين وما وصلوا اليه
من المقامات اتبعهم اهل الكرامات الذين لا شغل لهم من العبادات فقال تعالى مشيرا بالخطاب
لعلو الخبر الى اعلى الخلق لانه لا يقوم بحق هذه الرؤية غيره وترى الملائكة اي القائمين بجميع ما عليهم
من الحقوق وقوله تعالى حافين حال اي محدقين من حول العرش اي من جوانبه التي يمكن
الحفوف بها بالقرب منها لمعرفتهم صوت التسبيح والتحميد والتقديس والاهتزاز طربا
من ذلك ... من يقيمهم من كثرتهم الى حد لا يحصيه الا الله تعالى انهم لا يعلمون حوله وهذا اي
من قول البيضاوي ان من زائدة وقوله تعالى يسبحون حال من ضمير حافين بحمد ربهم اي
متلبسين بحمده بقولهم سبحان الله وبحمده اي ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار
بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق وقضي بينهم اي بين
جميع الخلق بالحق اي العدل فيدخل المؤمن الجنة والكافر النار او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم
على حسب تفاضلهم وقيل اي وقال المؤمنون من المقضي بينهم والملائكة وطي ذكرهم لتعيينهم
وتعظيمهم الحمد اي الاحاطة بجميع اوصاف الكمال وعدل بالقول الى ما هو احق بهذا المقام
فقال لله ذي الجلال والاكرام علمنا ذلك في هذا اليوم عين اليقين كما كنا في الدنيا نعلمه علم
اليقين ولما كان هذا اليوم اخر الايام بمعرفة شمول الربوبية لاجتماع الخلائق وانفتاح البصائر وسعة
الضمائر قال واصفا له سبحانه باقرب الصفات الى الاسم الاعظم رب العالمين اي الذين ابتدأهم
اول مرة من العدم واقامهم ثانيا بما ربا هم به من التدبير واعادهم ثالثا بعد افنائهم باكل قضاء
وتقديره ابقاهم بالعدل الى اخير وقيل ان الله تعالى ابتدأ ذكر الخلق بالحمد لله في قوله سبحانه الحمد لله الذي خلق السموات
والارض وختم بالحمد في اخر الامر وهو استقرار الفريقين في منازلهم فنبه بذلك على تحميده في بداية كل امر
وخاتمته والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة واعطاه الله ثواب الخائفين حديث موضوع وقول عن عائشة
رضي الله عنها وغيرها انه عليه الصلوة والسلام كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر رواه الترمذي

	سورة المؤمن مكية	

قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل في الحواميم انها
كلها مكية عن ابن عباس وابن الحنفية وتسمى سورة الطول وسورة غافر وهي خمس وثمانون

وثمانون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفاً بسم الله
الملك الأعظم الذي يعطي كلاً من عباده ما يستحقه فلا يقدر أحد أن يناقض في شيء من ذلك
ولا يعارض الرحمن الذي عمهم برحمته في الدنيا بالخلق والرزق والبيان الذي لا اختفاء معه
الرحيم الذي يخص برحمته من يشاء من عباده فيجعله حكيماً في ملك الأرض وملكوت السموات
عليماً وقوله تعالى حم قرأه ابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بإمالة الحاء محضة وورش وأبو عمرو
بين بين والباقون بالفتح وقد سبق الكلام في حروف التهجي وقال ابن عباس حم اسم الله الأعظم
وعنه قال الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وقيل حم اسم السورة وقيل الحاء افتتاح أسمائه
حليم وحميد وحي وحكيم وحنان والميم افتتاح أسمائه ملك مجيد منان وقال الضحاك والكسائي
معناه قضي ما هو كائن كأنهما أشارا إلى أن معنى حم حم بضم الحاء وتشديد الميم وهل يجوز
أن يجمع حم على حواميم نقل ابن الجوزي عن شيخه الجواليقي أنه خطأ وليس بصواب بل الصواب
أن يقول قرأت آل حم وفي الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا وقعت
في آل حم وقعت في روضات وقال الكميت: وجدنا لكم في آل حم آية، تأولها منا تقي ومعرب
ومنهم من جوزه وروي في ذلك أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم الحواميم ديباج القرآن
وقوله صلى الله عليه وسلم الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية
والجحيم فتجيء كل حم منهن يوم القيامة على باب من هذه الأبواب فتقول لا يدخل النار من كان
يؤمن بي ويقرؤني وقوله صلى الله عليه وسلم لكل شيء ثمرة وثمرة القرآن ذوات حم هن روضات
حسان مخصبات متجاورات فمن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم وقوله صلى الله عليه
وسلم مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب وقال ابن عباس لكل شيء لباب ولباب القرآن
الحواميم قال ابن عادل فإن صحت هذه الأحاديث فهي الفصل في ذلك أي فتدل على جواز الجمع
وقال البيضاوي في حم السجدة ولعل افتتاح هذه السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان
الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى أي أخذاً مما قيل إن حم اسم من أسماء القرآن وقوله تعالى
تنزيل الكتاب أي الجامع من الحدود والأحكام والهدايات والإكرام إما خبر لحم إن كانت مبتدأ
وإما خبر لمبتدأ مضمر وإما مبتدأ خبره من الله أي الجامع لجميع صفات الكمال ولما كان النظر هنا من
بين جميع الصفات إلى العزة والعلم الكفيل لأجل أن المقام لإثبات الصدق وعداً ووعيداً قال تعالى العزيز
أي في ملكه العليم بخلقه فبين تعالى أنه بقدرته وعلمه أنزل القرآن الذي يتضمن المصالح والإعجاز
ولولا كونه عزيزاً عالماً لما صح ذلك غافر الذنب أي بتوبة وغير توبة للمؤمن إن شاء وأما الكافر فلا بد
من توبة بالإسلام وقابل التوب أي من عباده وهو يحتمل أن يكون اسماً مفرداً مراداً به الجنس
كالذنب وأن يكون جمعاً للتوبة كتمر وتمرة شديد العقاب أي على الكافر فإن قيل إن شديد

غافر الذنب وقابل التوب فان اضافته محضة تفيد التعريف قال سيبويه كل ما اضافته غير محضة
يجوز ان تجعل محضة وتوصف به المعارف الا الصفة المشبهة ولم يستثن الكوفيون شيئا واجيب بان
شديد معناه مشدده كاذين بمعنى ماذون فتتمحض اضافته او اشديد عقابه فحذفت الام للازدواج
مع امن الالتباس او بالتزام مذهب الكوفيين وهو ان الصفة المشبهة يجوز ان تتمحض اضافتها اذا كانت
معرفة فيقولون في غير حسن الوجه يجوز ان تصير اضافته محضة وقال الرازي لا نزاع في جعل غافر
وقابل صفتين وانما كان كذلك لانهما يفيدان معنى الدوام والاستمرار فكذلك شديد العقاب
لان صفاته منزهة عن الحدوث والتجدد فمعناه كونه بحيث يقال شديد عقابه وهذا المعنى حاصل
ابدا فلا يوصف بانه حصل بعد ان لم يكن قال ابو حيان وهذا كلام من لم يقف على علم النحو ولا نظر فيه
ويلزمه ان يكون حكيم عليم ومليك مقتدر معارف لتنزيه صفاته عن الحدوث والتجدد ولانها
صفات لم تحصل بعد ان لم تكن ويكون تعريف صفاته بال وتنكيرها سواء وهذا لا يقوله مبتدئ في علم النحو
فكيف من يصنف فيه ويقدم على تفسير كتاب الله تعالى اه قال الزمخشري فان قلت ما بال الواو في
قوله وقابل التوب قلت فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل
توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة
والقبول اه قال ابن عادل وبعد هذا الكلام الانيق وادراكه هذه المعاني الحسنة قال ابو حيان وما اكثر
تبجح هذا الرجل وشقشقته والذي افادته الواو الجمع وهذا معلوم من ظاهر علم النحو وانشد بعضهم
وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم * وقال آخر * قد تنكر العين ضوء الشمس
من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم * ولما اتم الترغيب بالعفو والترهيب بالعقوبة اتبعه
التشويق الى الفضل فقال تعالى ذي الطول اي سعة الفضل والانعام والقدرة والغنى والسعة
والمنة فلا يماثله في شيء في ذلك احد ولا يدانيه قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله
وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله ذي الطول عمن لا يقول
لا اله الا الله وقال الحسن ذو الفضل وقال قتادة ذو النعم ثم علل تمكنه من كل شيء من ذلك بوحدانيته
فقال تعالى لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ وحده الْمَصِيرُ اي المرجع فلو حصل معه اله آخر يشاركه في صفة
الرحمة والفضل لما كانت الحاجة الى عبوديته شديدة فكان الترغيب والترهيب الكاملات حاصلين
بسبب هذا التوحيد وقوله تعالى اليه المصير مما يقوي الرغبة في الاقرار بالعبودية لما روي ان عمر
رضي الله تعالى عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب
فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن
الرحيم حم الى قوله تعالى اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من
عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني
عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع واحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا

فاصنعوا اذا رأيتم اخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا له الله تعالى ان يتوب عليه ولا تكونوا
اعوانا للشيطان عليه. ولما قرر تعالى ان القرآن كتاب انزله ليهتدى به في الدين ذكر احوال من
يجادل لغرض ابطاله فقال ﴿ما يجادل﴾ اى يخاصم ويمارى اى يفتل الامور الى مراده ﴿في آيات الله﴾
اى في ابطال انوار الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال الدال كالشمس على انه تعالى اليه المصير
بان يغطى نفسه بالشك في ذلك ﴿الا الذين كفروا﴾ قال ابو العالية آيتان ما اشدهما على الذين
يجادلون في القرآن قوله تعالى ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا وقوله تعالى وان الذين اختلفوا
في الكتاب لفي شقاق بعيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر وعن عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون في القرآن فقال انما هلك
من كان قبلكم انهم ضربوا كتاب الله بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم منه فكلوه الى عالمه
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمع اصوات
رجلين اختلفا في آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال انما هلك
من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب. تنبيه: الجدال نوعان جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل
اما الاول فهو حرفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وجادلهم
بالتي هي احسن وحكى عن قوم نوح قولهم يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا واما الثاني فهو مذموم
وهو المراد بهذه الآية فجدالهم في آيات الله هو قولهم مرة هذا سحر ومرة هذا شعر ومرة هو قول الكهنة
ومرة اساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر واشباه هذا. ولما ثبت ان المشرك لا بد منه وان الله تعالى
قادر كل القدرة لانه لا شريك له وهو محيط بجميع اوصاف الكمال تسبب عن ذلك قوله تعالى
﴿فلا يغررك تقلبهم﴾ اى تنقلهم بالتجارات والفوائد والجيوش والعساكر واقبال الدنيا عليهم ﴿في البلاد﴾
بلاد الشام واليمن فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال تعالى ﴿كذبت قبلهم
قوم نوح﴾ وقد كانوا في غاية القوة والقدرة على القيام بما يحاولونه وكانوا حزبا واحدا لم يفرقهم شيء
ولما كان الناس من بعدهم قد كثروا وفرقهم اختلاف الالسنة والاديان وكان للاجمال من
الروع في بعض المواطن ما ليس للتفصيل قال تعالى ﴿والاحزاب﴾ اى الامم المتفرقة الذين لا يحصون
عددا ودل على قرب زمان الكفر من الاخذ من الغرق بقوله ﴿من بعدهم﴾ كعاد وثمود ﴿وهمت
كل امة﴾ اى من هؤلاء ﴿برسولهم﴾ اى الذى ارسلناه اليهم ﴿ليأخذوه﴾ اى ليتمكنوا من اصابته بما
ارادوه من تعذيب او قتل ويقال للاسير اخيذ وقال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه ﴿وجادلوا
بالباطل﴾ اى بالامر الذى لا حقيقة له وليس له من ذاته الا الزوال كما تفعل قريش ومن ضاهاهم
من العرب ثم بين علة جدالهم بقوله تعالى ﴿ليدحضوا﴾ اى ليزيلوا به ﴿الحق﴾ اى الذى جاءت به الرسل
عليهم السلام ﴿فاخذتهم﴾ اى اهلكتهم وهم صاغرون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون
بالادغام ﴿فكيف كان عقاب﴾ لهم اى هو واقع موقعه وهم يمرون على ديارهم

ويرون

افيرون اثرهم وهذا التقريع فيه معنى التعجب + تنبيه + حذفت ياء المتكلم اشارة الى ان ادنى شىء
من عذابه بادنى نسبة كاف فى المراد ولما كان التقدير فحقت عليهم كلمة الله تعالى عطف عليه
وكذلك اى ومثل ما حقت عليهم كلمتنا بالاخذ حقت كلمت ربك اى المحسن اليك وهى
لاملأن جهنم الآية على الذين كفروا لكفرهم وقرأ نافع وابن عامر بالف بعد الميم على الجمع والباقون
بغير الف على الافراد وقوله انهم اصحاب النار فى محل رفع بدل من كلمة ربك اى مثل ذلك
الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناها كما وجب اهلاكهم فى الدنيا بالعذاب المستأصل
كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار فى الآخرة او فى محل نصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل لما
بين تعالى ان الكفار يبالغون فى اظهار العداوة للمؤمنين بقوله ما يجادل فى آيات الله وما بعده بين تعالى
ان الملائكة الذين هم حملة العرش والحافون حوله يبالغون فى اظهار المحبة والنصرة للمؤمنين فقال
تعالى الذين يحملون العرش وهو مبتدأ وقوله ومن حوله عطف عليه وقوله تعالى يسبحون خبره
بحمد ربهم اى المحسن اليهم قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية اربعة منهم يقولون سبحانك
اللهم وبحمدك فلك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك فلك
الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكأنهم يرون ذنوب بنى آدم وقيل انهم اليوم اربعة فاذا كان
يوم القيامة امر الله تعالى باربعة أخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم من
اشراف الملائكة وافضلهم لقربهم من محل رحمة ربهم قال ابن الخازن وجاء فى الحديث ان لكل ملك
منهم وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم اربعة اجنحة جناحان منها على
وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفو بهما فى الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح
والتحميد والتكبير والتمجيد ما بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش
ما بين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ويروى ان اقدامهم فى تخوم الارض
والارضون والسموات الى حجزتهم وهم يقولون سبحان ذى العزة والجبروت سبحان ذى الملك
والملكوت سبحان الحى الذى لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقال ميسرة بن عرفة
ارجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء
السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من اهل السماء التى تليها والتى تليها اشد خوفا من التى تليها
وقال مجاهد بين الملائكة والعرش سبعون الف حجاب من نور وسبعون الف حجاب من ظلمة
وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لى ان احدث عن ملك من ملائكة الله تعالى
من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام واما صفة العرش فقيل انه من جوهرة
خضراء وهو من اعظم المخلوقات خلقا روى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه قال بين القائمة من
قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين الف عام ويكسى العرش كل يوم سبعين
الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها

وتقدير اللام

في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة والعرش سبعون الف حجاب حجاب
نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة اهل السماء كما ان الكعبة قبلة اهل
الارض واما من حول العرش فهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان حول العرش
سبعين الف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويقبل هؤلاء فاذا
استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون الف صف قيام ايديهم على عواتقهم
قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير هؤلاء وتهليلهم رفعوا اصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما
اعظمك واجلك انت الله لا اله غيرك انت الاكبر الخلق كلهم لك راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء
مائة الف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم احد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر
ما بين جناحي احدهم مسيرة ثلثمائة عام وما بين شحمتي اذنيه الى عاتقه اربعمائة عام وقد احتجب الله
عز وجل من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين
حجابا من نور وسبعين حجابا من در ابيض وسبعين حجابا من ياقوت احمر وسبعين حجابا
من زبرجد اخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه
الا الله تعالى فسبحان من له هذا الملك العظيم ولما كان تعالى لا يحيط به علما احد من خلقه اشار الى انهم
في ذلك كغيرهم لا فرق في ذلك بينهم وبين من في الارض اسفل بقوله تعالى ويؤمنون به لان الايمان
يكون بالغيب فهم يصدقون بانه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له فان قيل ما فائدة قوله
تعالى ويؤمنون به ولا يخفى على احد ان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده
مؤمنون اجيب بان فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء عليهم
الصلوة والسلام في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله تعالى ثم كان
من الذين آمنوا فابان بذلك فضل الايمان ولما كانوا لقربهم اشد الخلق خوفا لانه على قدر القرب
من تلك الحضرات يكون الخوف كان اقرب ما يتقرب به الى الملك لتقريبه الى اهل وده نبه سبحانه و
تعالى ويستغفرون اي يطلبون محو الذنوب عينا واثرا للذين آمنوا اي اوقعوا هذه الحقيقة فهم
يستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفي ذلك تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون
ادعى شيء الى النصيحة وابعث على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس
بين ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ولكن لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلي
والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال تعالى ويستغفرون لمن في الارض
واستغفارهم بان يقولوا ربنا اي ايها المحسن الينا بالايمان وغيره فهو معمول لقول مضمر فهو
نصب على الحال من فاعل يستغفرون او خبر بعد خبر وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت
رحمتك كل شيء وعلمك كل شيء فازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة
والعلم واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم واسع

كل شئ واكثر ما يكون الدعاء بذكر الرب لان الملائكة قالوا في هذه الآية وقال آدم عليه السلام ربنا ظلمنا
انفسنا وقال نوح عليه السلام رب ان قومي كذبون وقال رب اغفر لي ولوالدي وقال ابرهيم عليه
السلام رب ارني كيف تحيي الموتى وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك وقال يوسف عليه السلام رب قد
آتيتني من الملك وقال موسى عليه السلام رب ارني انظر اليك وقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي
وقال سليمان عليه السلام رب اغفر لي وهب لي ملكا وقال عيسى عليه السلام ربنا انزل علينا مائدة
من السماء وقال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين فان قيل
لفظ الله اعظم من لفظ الرب فلم خص لفظ رب بالدعاء اجيب بان العبد يقول كنت في العدم المحض
والنفي الصرف فاخرجتني الى الوجود وربيتني فاجعل تربيتك واحسانك سببا لاجابة دعائي ﴿فاغفر
للذين تابوا﴾ اي رجعوا اليك عن ذنوبهم برحمتك لهم بان تمحو ما عينا واثرا فلا عقاب ولا عتاب ولا ذكر لها
﴿واتبعوا﴾ اي كلفوا انفسهم على ما لها من العوج ان لزموا ﴿سبيلك﴾ المستقيم الذي لا لبس فيه ولما كان
الغفران قد يكون لبعض الذنوب وكان سبحانه وتعالى له ان يعذب من لا ذنب له وان يعذب من غفر له قالوا ﴿وقهم
عذاب الجحيم﴾ اي اجعل بينهم وبينه وقاية بان تلزمهم الاستقامة وتتم نعمتك عليهم فانك وعدت
من كان كذلك بذلك ولا يبدل القول لديك وان كان يجوز ان تفعل ما تشاء وان الخلق
عبيدك ولما طلبوا من الله سبحانه وتعالى ازالة العذاب عنهم وكان ذلك لا يستلزم الثواب قالوا
مكررين صفة الاحسان زيادة في الرقة في طلب الامتنان ﴿ربنا﴾ اي المحسن الينا ﴿وادخلهم جنات عدن﴾
اي اقامة ﴿التي وعدتهم﴾ اي اياها وقولهم ﴿ومن صلح﴾ معطوف على هم في وادخلهم وقوله
﴿من آبائهم﴾ على قولهم ﴿وازواجهم وذرياتهم﴾ لان الآباء احق الناس بالاجلال وقدموا الازواج
في اللفظ على الذرية لانهم اشد التصاقا بالشخص فطلبوا لهم ذلك لان الانسان لا يتم نعيمه الا باهله
قال سعيد بن جبير يدخل الجنة المؤمن فيقول اين ابي اين ولدي وزوجتي فيقال له انهم
لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة ﴿انك انت﴾ اي وحدك
﴿العزيز﴾ اي فانت تغفر لمن شئت ﴿الحكيم﴾ فكل فعلك في اتم مواضعه فلا يتهيأ لاحد نقضه ولا نقصه
﴿وقهم السيئات﴾ اي بان تجعل بينهم وبينها وقاية بان تطهرهم من الاخلاق الحاملة عليها فان
قيل هذا مكرر مع قوله وقهم عذاب الجحيم اجيب بان التفاوت حاصل من وجهين احدهما
ان يكون قولهم وقهم عذاب الجحيم دعاء مذكورا للاصول وقولهم وقهم السيئات دعاء مذكورا
للفروع وهم الآباء والازواج والذريات ثانيهما ان يكون قوله وقهم عذاب الجحيم مقصورا على ازالة عذاب
الجحيم وقوله وقهم السيئات يتناول عذاب الجحيم وعذاب موقف يوم القيامة والسؤال والحساب
فيكون تعميما بعد تخصيص وهذا اولى وقال بعض المفسرين ان الملائكة طلبوا ازالة العذاب بالنار عنهم بقولهم وقهم
عذاب الجحيم وطلبوا ايصال الثواب اليهم بقولهم وادخلهم جنات عدن ثم طلبوا بعد ذلك ان يصونهم
الله تعالى في الدنيا من العقائد الفاسدة بقولهم وقهم السيئات وقرأ ابو عمرو في الوصل بكسر

الميم والهاء وحمزة والكسائى بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم ثم قالت الملائكة
ومن تق السيئات اى جزاءها كلها او جميلها اى يوم تدخل فريقا الجنة وفريقا النار المسببة
عن السيئات وهو يوم القيمة فقد رحمته اى الرحمة الكاملة التى لا يستحق غيرها معها ان يسمى
رحمة فان تمام النعيم لا يكون الا بها لزوال التحاسد والتباغض والنجاة من النار باجتناب
السيئات ولذلك قالوا وذلك اى الامر العظيم جدا هو الفوز العظيم اى النعيم الذى لا ينقطع
فى جوار ملك لا تصل العقول الى كنه عظمته واجلاله وهذا اخر دعاء الملائكة للمؤمنين قال مطرف
انصح عباد الله تعالى للمؤمنين الملائكة واغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين ثم انه تعالى بعد ان
ذكر احوال المؤمنين عاد الى ذكر احوال الكافرين المجادلين فى ايات الله تعالى وهم المذكورون
فى قوله تعالى ما يجادل فى ايات الله الا الذين كفروا فقال تعالى مستانفا مؤكدا لانكارهم
ايات الله تعالى ان الذين كفروا اى اوقعوا الكفر ولو لحظة ينادون يوم القيمة وهم فى النار وقد
مقتوا انفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم لمقت الله اى الملك الاعظم
اياكم اكبر والتقدير ولمقت الله لانفسكم اكبر من مقتكم انفسكم فاستغنى بذكرها مرة وقوله تعالى
اذ تدعون الى الايمان فتكفرون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيمة
كان الله تعالى يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان يدعوكم الى الايمان فتأبون
قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم فى النار اذ اوقعتكم فيها باتباعكم
هواهن وذكروا فى تفسير مقتهم انفسهم وجوها اولها انهم اذا شاهدوا القيمة والجنة
والنار مقتوا انفسهم على اصرارهم على التكذيب بهذه الاشياء فى الدنيا ثانيها ان الاتباع
يشتد مقتهم للرؤساء الذين يدعونهم الى الكفر فى الدنيا والرؤساء ايضا يشتد مقتهم للاتباع
فعبر عن مقت بعضهم بعضا بانهم مقتوا انفسهم كقوله تعالى اقتلوا انفسكم والمراد ان يقتل بعضهم
بعضا ثالثها قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابليس وهو فى النار بقوله ما كان لى عليكم من سلطان الى
قوله ولوموا انفسكم ففى هذه الحالة مقتوا انفسهم واما الذين ينادون الكفار بهذا الكلام فهم خزنة
جهنم وعن الحسن لما رأوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله اكبر وقيل معناه
لمقت الله اياكم الان اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا
واذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض وذلك فى حق الله تعالى محال فالمراد منه الابلغ فى الانكار
والشدة وعن مجاهد مقتوا انفسهم حين رأوا اعمالهم ومقت الله تعالى اياهم فى الدنيا اذ يدعون
الى الايمان فيكفرون اكبر وقال الفراء معناه ينادون ان مقت الله يقال ناديت ان زيدا قائم
وناديت لزيد قائم وقرأ ابو عمرو وهشام وحمزة والكسائى بادغام الذال فى التاء والباقون بالاظهار
ثم انه تعالى بين ان الكفار اذا خوطبوا بهذا الخطاب قالوا ربنا اى ايها المحسن الينا بالتذكير
فى دار الدنيا امتنا اثنتين اى اماتتين واحييتنا اثنتين اى احياءتين قال ابن عباس

وقتادة والضحاك كانوا امواتا فى اصلاب آبائهم فاحياهم الله تعالى فى الدنيا ثم اماتهم الموتة الاولى التى لابد منها ثم احياهم للبعث يوم القيمة فهما موتتان وحياتان وهو كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقال السدى اميتوا فى الدنيا ثم احيوا فى قبورهم للسؤال ثم اميتوا فى قبورهم ثم احيوا فى الآخرة وقيل واحدة عند انقضاء الآجال فى الحيوة الدنيا والاخرى بالصعق بعد البعث او الاقعاد بعد سؤال القبر ورد بان الصعق ليس بموت وما فى القبر ليس بحيوة حتى يكون عنه موت وانما هو اقدار على الكلام كما اقدر سبحانه الحصا على التسبيح والحجر على التسليم والضب على الشهادتين فاعترفنا بذنوبنا اى بكفرنا بالبعث فهل الى خروج من النار الى الدنيا فنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك من سبيل اى طريق ونظيره هل الى مرد من سبيل والمعنى انهم لما عرفوا ان الذى كانوا عليه فى الدنيا كان فاسدا باطلا تمنوا الرجوع الى الدنيا ليشتغلوا بالاعمال الصالحة فان قيل الفاء فى قوله تعالى فاعترفنا بذنوبنا تقتضى ان تكون الاماتة مرتين والاحياء مرتين سببا لهذا الاعتراف فما وجه هذه السببية اجيب بانهم كانوا منكرين البعث فلما شاهدوا هذا الاحياء بعد الاماتة مرتين لم يبق لهم عذر فى الاقرار بالبعث فلاجرم وقع هذا الاقرار كالمسبب عن تلك الاماتة والاحياء ولما كان الجواب قطعا لا سبيل الى ذلك علله بقوله تعالى ذلكم اى القضاء الذى انتم فيه العظيم العالى بتخليدكم فى النار مقتا منه لكم بانه اى كان بسبب انه اذا دعى الله اى الملك الاعظم من اى داع وفى اعراب قوله تعالى وحده وجهان احدهما انه مصدر فى موضع الحال وجاز مع كونه معرفة لفظا لكونه فى قوة النكرة كانه قيل منفردا ثانيهما وهو قول يونس انه منصوب على الظرف والتقدير دعى على حدته وهو مصدر محذوف الزوائد والتقدير اوحدته ايحادا كفرتم بتوحيده وان يشرك به اى يجعل له تعالى شريك تؤمنوا اى تصدقوا بالاشراك فالحكم اى فتسبب عن القطع بانه لا رجعة وان الكفار ما ضروا الا انفسهم مع انهم العقول الراجحة فى زعمهم ان الحكم كله لله اى المحيط بصفات الكمال العلى اى عن ان يكون له شريك الكبير اى الذى لا يليق الكبر الا له ولما قصر الحكم عليه دل على ذلك بقوله تعالى هو اى وحده الذى يريكم اى بالبصر والبصيرة آياته اى علاماته الدالة على تفرده بصفات الكمال وانه لا يجوز جعل هذه الاحجار المنحوتة والخشب المصورة شركاء لله عز وجل فى المعبودية ومن آياته الدالة على كمال القدرة والعظمة قوله تعالى وينزل لكم من السماء اى جهة العلو الدالة على قهر ما تحت لمنعها بامساكه الى حين الحكم بنزوله رزقا اى اسباب رزق كالمطر لاقامة ابدانكم لان اهم المهمات رعاية مصالح الاديان ومصالح الابدان والله تعالى راعى مصالح اديان العباد باظهار البينات والآيات وراعى مصالح ابدانهم بانزال الرزق من السماء فموقع الآيات من الاديان كموقع الارزاق من الابدان عند حصولهما يحصل الانعام الكامل وقرأ ابن كثير وابو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاى والباقون بفتح النون وتشديد الزاى وما يتذكر اى تذكرا

تا فيتعظ بهذه الآيات الا من ينيب اي يرجع الى الله تعالى ويقبل بكليته الى الله تعالى فان من
امره ثم يعرض عن غير الله تعالى ولهذا قال عز من قائل فادعوا وصرح بالاسم الاعظم فقال
تعالى الله الذي له صفات الكمال اي فاعبدوا مخلصين له الدين اي الاعمال التي يقع الجزاء
عليها فمن كان يصدق بالجزاء ويدين به فهو لا يفعل الا الاعمال ما اجتهد في تصفية اعماله فيأتي
بها في غاية الخلوص عن كل ما يمكن ان يكدر من غير شائبة شرك جلي او خفي كما ان معبوده
واحد من غير شائبة نقص ولو كره اي الدعاء منكم الكافرون اي الساترون لانوار عقولهم
ولما ذكر تعالى من صفات كبريائه كونه مظهر الآيات ذكر ثلاثة اخرى من صفات الجلال
والعظمة وهي قوله تعالى رفيع الدرجات وهذا يحتمل ان يكون المراد منه الرفعة وان يكون المراد منه
المرتفع فان حملناه على الاول ففيه وجهان اولهما انه تعالى يرفع درجات الانبياء والاولياء
ثانيهما يرفع درجات الخلق في العلوم والاخلاق الفاضلة فجعل لكل احد من الملائكة درجة معينة
كما قال تعالى عنهم وما منا الا له مقام معلوم وجعل لكل واحد من العلماء درجة معينة فقال تعالى
يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وعين لكل جسم درجة معينة فجعل بعضها سفلية
كدرة وبعضها فلكية وبعضها من جواهر العرش والكرسي وايضاً جعل لكل واحد مرتبة معينة في الخلق
والخلق والرزق والاجل فقال تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض
درجات وجعل لكل واحد من السعداء والاشقياء في الدنيا درجة معينة من موجبات السعادة
وموجبات الشقاوة وفي الآخرة تظهر تلك الآثار وان حملنا الرفيع على المرتفع فهو سبحانه وتعالى ارفع
الموجودات في جميع صفات الكمال والجلال تنبيه في رفيع وجهان احدهما انه مبتدأ والخبر
ذو العرش اي الكامل الذي لا عرش في الحقيقة الا هو فهو محيط بجميع الاكوان ومادة لكل جماد
وحيوان ومال جلاله وعظمته عن كل ما يخطر في الاذهان وقوله تعالى يلقي الروح اي الوحي
سماه روحاً لانه تحيا به القلوب كما تحيا الابدان بالارواح من امره قال ابن عباس اي من قضائه
وقوله يلقي يجوز ان يكون خبراً ثانياً وان يكون حالاً ويجوز ان تكون الثلاثة اخباراً لقوله تعالى
هو الذي يريكم آياته ولما كان امره تعالى غالباً على كل امر اشار الى ذلك باداة الاستعلاء
فقال تعالى على من يشاء اي يختار من عباده للنبوة وفي هذا دليل على انها عطائية لينذر
اي يخوف غاية الانذار والفاعل هو الله تعالى او الروح او من يشاء او الرسول والمنذر به محذوف
تقديره لينذر العذاب يوم التلاق اي يوم القيامة فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد واهل
السماء والارض وقال مقاتل يلتقي الخلق والخالق تعالى وقال ميمون بن مهران يلتقي الظالم والمظلوم
وقيل يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي فيه المرء مع عمله والاولى ان تفسر الآية بما يشمل الجميع
يوم هم بارزون اي خارجون من قبورهم وقيل ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او تل او بناء
او غير ذلك وقيل بارزون كناية عن ظهور اعمالهم وانكشاف اسرارهم كما قال تعالى يوم تبلى

السرائر والاولى ايضا ان تفسر الآية بما يشمل الجميع كما قال تعالى لا يخفى على الله اى المحيط علما وقدرة
منهم اى من اعمالهم واحوالهم شئ وان دق وخفى ويقول الله تعالى فى ذلك اليوم بعد فناء الخلق
لمن الملك اليوم اى يا من كانوا يعملون اعمال من يظن انه لا يقدر عليه احد فلا يجيبه
احد فيجيب نفسه فيقول تعالى لله اى الذى له جميع صفات الكمال ثم دل على ذلك بقوله
تعالى الواحد اى الذى لا يمكن ان يكون له ثان بشركة ولا قسمة ولا غيرها القهار اى الذى
قهر الخلق بالموت وقيل يجيبونه بلسان الحال او المقال فيقولون ذلك وقال الرازى لا يبعد
ان يكون السائل والمجيب هو الله تعالى ولا يبعد ايضا ان يكون السائل جمعا من الملائكة
والمجيب جمعا آخرين وليس على التعيين فان قيل الله تعالى لا يخفى عليه شئ منهم فى جميع الايام
فما معنى تقييد هذا العلم بذلك اليوم اجيب بانهم كانوا يتوهمون فى الدنيا انهم اذا استتروا بالحيطان
والحجب ان الله تعالى لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم فى ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف
الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما يتوهمون فى الدنيا كما قال تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما
تعملون وقال تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم وهو معنى قوله تعالى
وبرزوا لله الواحد القهار ولما اخبر تعالى عن اذعان كل نفس بانقطاع الاسباب اخبر عما
يباين بين بعضهم ويبعث بعضهم وهو نتيجة تفرده بالملك فقال تعالى اليوم تجزى اى تقضى تكافأ
كل نفس بما اى بسبب ما كسبت اى عملت لا تترك نفس واحدة لان العلم قد شملهم والقدرة
قد احاطت بهم وعمتهم والحكمة قد منعت من اهمال احد منهم فيجزى المحسن باحسانه والمسئ باساءته
لا ظلم اليوم اى بوجه من الوجوه ان الله اى التام القدرة الشامل للعلم سريع الحساب اى بليغ
السرعة فيه لا يشغله حساب احد عن حساب غيره فى وقت حساب ذلك الغير ولا يشغله
شان عن شان لانه تعالى لا يحتاج الى تكلف عد ولا يفتقر الى مراجعة كتاب ولا شئ فكان فى
ذلك ترجية وتخويف للفريقين لان المؤمن يرجو اسراع البسط بالثواب والظالم يخشى اسراع الاخذ
بالعذاب وعن ابن عباس اذا اخذ فى حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها
ثم نبه تعالى بقوله سبحانه وانذرهم يوم الآزفة اى القيمة على ان يوم القيمة قريب ونظيره
قوله تعالى اقتربت الساعة قال الزجاج انما قيل لها آزفة لانها قريبة وان استبعد الناس
مداها لان ما هو كائن قريب والآزفة فاعلة من ازف الامر اذا دنا وحضر كقوله تعالى فى صفة
القيمة ازفت الآزفة اى قربت قال النابغة * ازف الترحل غير ان ركابنا * لما تزل برحالنا
وكان قد * وقال كعب بن زهير * بان الشباب وهذا الشيب قد ازفا * ولا ارى لشباب بائن
خلفا * ويجوز ان الآزفة صفة لمحذوف تقديره يوم القيمة الآزفة او يوم المجازاة الآزفة قال
القفال واسماء القيمة تجرى على التأنيث كالطامة والحاقة لانها ترجع معناها الى الداهية
ويوم القيمة له اسماء كثيرة تدل على اهواله باعتبار مواقفه واحواله منها يوم البعث وهو ظاهر

ومنها يوم التلاق لما مر ومنها يوم التغابن لغبن الكافر فيه وخسرانه وقيل المراد بيوم الآزفة
مشارفتهم دخول النار فان عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها من شدة الخوف وقال ابو مسلم هو يوم
حضور الاجل فان يوم الموت بالقرب اولى من وصف يوم القيامة بالقرب + ولما ذكر تعالى اليوم
هول اسوء ما يحصل فيه من المشاق بقوله تعالى إِذِ الْقُلُوبُ اى من كل من حضر ترتفع لَدَى اى عند
الْحَنَاجِرِ اى حناجر المجموعين فيه وهى جمع حنجرة وهو الحلقوم يعنى انها زالت عن اماكنها صاعدة من
كثرة الرعب حتى كادت تخرج + ثم اسند اليها ما يسند للعقلاء فقال تعالى كَاظِمِينَ اى ممتلئين
خوفا ورعبا وحزنا مكروبين فقد اشتدت مجارى انفاسهم واخذ بجميع احساسهم + ولما كان
من المعهود ان الصداقات تنفع فى مثل ذلك الشفاعات قال تعالى مَا لِلظَّالِمِينَ اى العريقين
فى الظلم مِنْ حَمِيمٍ اى قريب صادق فى مودته مهتم بامورهم مشفق لكربهم وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ
يشفع لهم + تنبيه + احتج المعتزلة بهذه الاية على نفى الشفاعة عن المذنبين فقالوا نفى حصول شفيع
لهم يطاع يوجب ان لا يحصل لهم هذا الشفيع واجيبوا بوجوه اولها انه تعالى نفى ان يحصل لهم
شفيع يطاع وهذا لا يدل على نفى الشفيع كقولك ما عندى كتاب يباع فهذا يقتضى نفى الكتاب فهذا
ينفى ان لهم شفيعا يطيعه الله تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه ثانيها ان المراد بالظالمين فى هذه
الاية ههنا الكفار لان الاية وردت فى زجر الكفار قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم ثالثها ان لفظ الظالمين
اما ان يفيد الاستغراق او لا فان كان المراد جميعهم فيدخل فيه الكفار وعندنا انه ليس لهذا
الجمع شفيع لان بعضهم كفار وليس لهم شفيع فحينئذ لا يكون لهذا الجمع شفيع وان لم يفد الاستغراق
كان المراد من الظالمين بعض الموصوفين بهذه الصفة ليس لهم شفيع + ولما امر الله تعالى بانذار
يوم الآزفة وما يعرض فيه من شدة الغم والكرب وان الظالم لا يجد من يحميه ولا شفيع له ذكر
اطلاعه على جميع ما يصدر من الخلق سرا وجهرا فقال تعالى يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ اى خيانتها التى
هى اخفى ما يقع من افعال الظاهر جعل الخيانة مبالغة فى الوصف وهو الاشارة بالعين قال ابو حيان
من كسر جفن وغمز ونظر يفهم المراد + ولما ذكر اخفى افعال الظاهر اتبعه اخفى افعال الباطن فقال تعالى
وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ اى القلوب فعلم من ذلك ان الله تعالى عالم بجميع افعالهم لان الافعال على
قسمين افعال الجوارح وافعال القلوب فاما افعال الجوارح فاخفاها خيانة الاعين والله تعالى عالم
بها فكيف الحال فى سائر الاعمال واما افعال القلوب فهى معلومة لله تعالى لقوله عز وجل وما
تخفى الصدور + وقوله تعالى وَاللَّهُ اى المتصف بجميع صفات الكمال يَقْضِي بِالْحَقِّ اى الثابت الذى لا ينتفى
يوجب عظيم الخوف لان الحاكم اذا كان عالما بجميع الاحوال وثبت انه لا يقضى الا بالحق فى كل ما دق
وجل كان خوف المذنب منه فى الغاية القصوى ولما تعلل الكفار فى دفع العقاب عن انفسهم
على شفاعة هذه الاصنام بين الله تعالى انه لا فائدة فيها البتة فقال تعالى وَالَّذِينَ يَدْعُونَ اى
يعبدون مِنْ دُونِهِ وهم الاصنام لَا يَقْضُونَ لهم بِشَيْءٍ من الاشياء اصلا فكيف يكونون

شركاء لله تعالى وقرأ نافع وهشام تدعون بتاء الخطاب للمشركين والباقون بياء الغيبة اخباراً
عنهم بذلك. ولما اخبر تعالى انه لا فعل لشركائهم دل على الأصل لذلك بقوله تعالى مؤكداً لأجل
افعالهم تقتضي انكار ذلك إن الله أي المنفرد بصفات الكمال هو أي وحده السميع أي لجميع
اقوالهم البصير أي بجميع افعالهم ففي ذلك تقرير لعلمه تعالى بخائنة الأعين وقضائه بالحق ووعيد
لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه فثبت أن الأصل له وحده
فلا تنفعهم شفاعة الشافعين ولا تقبل يومئذ من احد شفاعة بعد الشفاعة العامة التي هي خاصة
بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهي المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون فإن كل احد
يحجم عنها حتى يصل الأمر إليه صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها أنا لها ثم يذهب إلى المكان الذي اذن
له فيه فيشفع فيشفعه الله تعالى فيفصل سبحانه وتعالى بين الخلائق ليذهب كل احد إلى داره جنته
أو ناره. ولما اوعدهم سبحانه بصادق الأخبار عن قوم نوح ومن تبعهم من الكفار وحققه بالإتيان
بما لهم في دار القرار للظالمين الأشرار اتبعه الوعظ والتخويف بالمشاهدة ممن تقدم الذين بادوا بالأشقياء
بما كان لهم فيها من عجائب الآثار فقال عز من قائل أولم يسيروا في الأرض أي في أي أرض
ساروا فيها فينظروا أي نظر اعتبار كما هو شأن أهل البصائر كيف كان عاقبة أي آخر أمر الذين
كانوا أي سكانا للأرض عريقين في عمارتها من قبلهم أي في زمان ما من الكفار كعاد وثمود
كانوا هم أي المتقدمون لما لهم من القوة الظاهرة والباطنة أشد منهم أي من هؤلاء قوة أي
ذوات ومعاني وإنما جيء بالفصل وحقه أنه يقع بين معرفتين لمضارعة أفعل من المعرفة في امتناع
دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر منكم بكاف والباقون بهاء الغيبة وآثاراً في الأرض لأن آثارهم
لم يندرس بعضها إلى هذا الزمان وقد مضى عليه ألوف من السنين وأما المتأخرون فتندرس
آثارهم في أقل من قرن ومع قوتهم فأخذهم الله أي الذي له صفات الكمال أخذ غلبة
وقهر وسطوة بذنوبهم أي بسببها وما كان لهم من شركائهم الذين ضلوا بهم حتى لا يدعون غيره
من الله أي المتصف بجميع صفات الكمال من واق أي يقيهم عذابه والمعنى أن العاقل من اعتبر
بغيره وأن الذين مضوا من الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء. ولما كذبوا رسلهم أهلكهم الله
تعالى عاجلاً وقرأ ابن كثير في الوقف بالياء بعد القاف والباقون بغير ياء واتفقوا على التنوين
في الوصل. ثم ذكر تعالى سبب أخذهم بقوله تعالى ذلك أي الأخذ العظيم بأنهم أي الذين كانوا من قبل
كانت تأتيهم رسلهم بالبينات أي الآيات الدالة على صدقهم دلالة هي من وضوح الأمر
بحيث لا يسع منصفاً إنكارها وقرأ أبو عمرو بسكون السين والباقون بضمها. ولما كان مطلق الكفر
كافياً في العذاب عبر بالماضي فقال تعالى فكفروا أي سببوا عن إتيان الرسل عليهم السلام إليهم الكفر
بهم فأخذهم الله أي الملك الأعظم أخذ غضب إنه قوي أي متمكن مما يريد غاية التمكن شديد
العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه. ولما سلى تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بذكر الكفار الذين

الذين من الانبياء عليهم السلام قبله وبمشاهدة آثارهم سلاه ايضا بذكر قصة موسى عليه السلام المذكورة
في قوله تعالى ولقد ارسلنا اى على ما لنا من العظمة موسى بآياتنا اى الدالة على جلالنا وسلطان
اى امر قاهر عظيم جدا لا حيلة لهم في مدافعة شيء منه مبين اى بين في نفسه يتبين لكل من
يمكن اطلاعه عليه انه ظاهر وذلك الامر هو الذي كان يمنع فرعون من الوصول الى اذاه
مع ما له من القوة والسلطان الى فرعون اى ملك مصر وهامان اى وزيره وقارون اى
قريب موسى فقالوا اى هؤلاء ومن معهم هو ساحر لعجزهم عن مقاهرته اما من عدا قارون
فقالوا ظاهرا بالقوة والفعل واما قارون فقوله اخرا بين انه مطبوع على الكفر وان آمن
اولا وان هذا كان قوله وان لم يقله بالفعل في ذلك الزمان فقد قاله في البغية فدل ذلك على انه
لم يزل قائلا به لانه لم يتب منه ثم وصفوه بقولهم كذاب تنفيرا لهم من تصديق الناس له فلما جاءهم
بالحق اى بالامر الثابت الذي لا طاقة لاحد بتغيير شيء منه كائنا من عندنا على ما لنا من القهر فآمن
معه طائفة من قومه قالوا اى فرعون واتباعه اقتلوا اى قتلا حقيقيا بازالة الروح ابناء الذين
آمنوا معه اى فكانوا معه اى خصوهم بذلك واتركوا من عداهم فلعلهم يكذبونه واستحيوا
نساءهم اى اطلبوا حياتهن بان لا تقتلوهن قال قتادة هذا غير القتل الاول لان فرعون كان
قد امسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام اعاد القتل عليهم فمعناه اعيدوا
عليهم القتل لئلا ينشؤا على دين موسى فيقوى بهم وهذه العلة مختصة بالبنين فلهذا امر بقتل
الابناء واستحياء نسائهم وما اى والحال انه ما كيد الكافرين تعميما وتعليقا بالوصف الا في ضلال
اى غيابة للسداد الموصل الى الظفر والفوز لانه ما افادهم ولا فل الذين آمنوا بموسى عليه السلام
ولا اخاف ممن آمن به مرادهم بل كان فيه تبارهم وهلاكهم وكذا افعال الفجرة مع اوليائه تعالى
ما حفر احد منهم لاحد منهم حفرة مكرا الا اركسه الله تعالى فيها وقال فرعون اى اعظم الكفرة
في ذلك الوقت لقومه اتباعه عند ما علم انه عاجز عن قتله وملأ اشار له منه خوفا دافعا
عن نفسه ما يقال من انه ما ترك موسى عليه السلام مع استتباته بالاعجاز منه موهما ان قومه هم الذين
يردونه عنه وانه لولا ذلك لقتله ذروني اى اتركوني على اى حالة كانت اقتل موسى وللدلالة على الايذاء
للانبياء والمناداة على نفسه عند البصراء بقوله وليدع ربه اى الذي يدعوه ويدعي احسانه
اليه فيما يظهر على يديه من هذه الخوارق وقيل كانت في خاصة قوم فرعون من يمنعه من قتل موسى
وقد منعه من قتله وجوه اولها العلة كان فيهم من يعتقد بقلبه كون موسى صادقا فيحتال في منع فرعون
من قتله وثانيها قال الحسن ان عصابة قالوا لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف لا يمكن ان يغلب سحرنا فان
قتلته ادخلت الشبهة على الناس ويقولون انه كان محقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه وثالثها انهم كانوا يحتالون
في منعه من قتله لاجل ان يبقى فرعون مشتغلا بالطلب لموسى فلا يتفرغ لتأديب تلك الاقوام لان
من شأن الاغيار ان يشتغلوا قلب ملكهم بخصم شاغل حتى يصيروا آمنين من قبل ذلك الملك

وقرأ ابن كثير بفتح الياء والباقون بالسكون ثم ذكر فرعون السبب الموجب لقتل موسى عليه السلام
وهو اما افساد الدين او فساد الدنيا فقال إِنِّي أَخَافُ اى ان تركته أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ
فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ اى لا بد من وقوع احد الامرين اما فساد الدين واما فساد الدنيا اما فساد
الدين فلان القوم اعتقدوا ان الدين الصحيح هو دينهم الذى كانوا عليه فلما كان موسى عليه السلام
ساعيا فى افساده اعتقدوا انه ساع فى افساد الدين الحق واما فساد الدنيا فهو انه يجتمع عليه اقوام
ويصير ذلك سببا فى وقوع الخصومات واثارة الفتن وبدأ فرعون بذكر الدين اولا لان
حب الناس لاديانهم فوق حبهم لاموالهم ولما توعد فرعون موسى عليه السلام بالقتل لم يأت
فى دفع شره الا بان استعاذ بالله واعتمد على فضله كما قال تعالى وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ اى اعتصمت
عند ابتداء الرسالة بِرَبِّي ورغبهم فى الاعتصام به وشمم بقوله وَرَبِّكُمْ اى المحسن الينا جميعا واسانى لاستعاذة
من اعداء الدين والدنيا مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ اى عات طاغ متعظم على الحق مثله او غيره لَا يُؤْمِنُ اى لا يجدد
له تصديقا بِيَوْمِ الْحِسَابِ من ربه الذى يعلم انه لا بد من حسابه هو لمن تحت يده لامر ما يأتيه
فيحكم على ربه بما لا يحكم به على نفسه وبهذين الامرين يقدم الانسان على ايذاء الناس لان المتكبر
القاسى القلب قد يحمله طبعه على ايذاء الناس الا انه اذا كان مقرا بالبعث والحساب صار
خوفه من الحساب مانعا له من الجرى على موجب الكبر فاذا لم يحصل له الايمان بالبعث
والقيامة كان طبعه داعيا له الى الايذاء لان المانع وهو الخوف من السؤال والحساب زائل فلا جرم
تعظم القسوة والايذاء واختلفوا فى الرجل المؤمن فى قوله تعالى وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ اى راسخ
الايمان مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ اى من وجوههم ورؤسائهم يَكْتُمُ إِيمَانَهُ اى يخفيه خوفا شديدا
خوفا على نفسه فقال مقاتل والسدى كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذى حكى الله تعالى عنه وجاء رجل
من اقصى المدينة يسعى وقيل كان اسرائيليا وعن ابن عباس لم يكن فى آل فرعون مؤمن غيره وغير
امرأة فرعون وغير المؤمن الذى انذر موسى عليه السلام الذى قال ان الملأ يأتمرون بك
ليقتلوك وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الصديقون حبيب النجار مؤمن آل يس ومؤمن
آل فرعون الذى قال أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله والثالث ابو بكر الصديق وهو افضلهم
وعن جعفر بن محمد ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه جهارا أتقتلون
رجلا ان يقول ربى الله وروى عن عروة بن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرنى
باشد ما صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابى معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى
عنقه فخنقه خنقا شديدا فقال له انت الذى تنهانا عما كان يعبد آباؤنا قال انا ذلك فاقبل ابو بكر رضى
الله تعالى عنه فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله
وقد جاءكم بالبينات من ربكم فكان ابو بكر اشد من ذلك وعن انس بن مالك قال ضربوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم حتى غشي عليه فقام ابو بكر فجعل ينادي ويلكم أتقتلون
رجلاً ان يقول ربي الله قالوا من هذا قالوا ابن ابي قحافة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
واكثر العلماء كان اسم الرجل حزقيل وقال ابن اسحق جبريل وقيل حبيب ولما حكى
الله تعالى عن موسى عليه السلام انه ما زاد في دفع مكر فرعون وشره على الاستعاذة بالله تعالى
بين انه تعالى قيض له انساناً اجنبياً حتى ذب عنه باحسن الوجوه وبالغ في تسكين تلك الفتنة
فقال أتقتلون رجلاً اي هو عظيم في الرجال حساً ومعنى ثم علل قتلهم له بما ينافيه فقال أن
اي لاجل ان يقول ولا دليل على هذا الا كلمة ربي اي الخالق والمحسن الي الله اي الملك الاعظم
الكامل وقد اي والحال انه قد جاءكم بالبينات اي الآيات الظاهرات من غير لبس
من ربكم اي المحسن اليكم بالانسان حسب الاحسان ثم ذكر لهم المؤمن حجة ثانية على ان الاقدام على
قتله غير جائز وهي حجة مذكورة على طريق التقسيم فقال وان يك اي هذا الرجل كاذباً اي
على سبيل الفرض فعليه كذبه اي لا يتخطاه ضرر كذبه وليس عليكم منه ضرر فاتركوه وان يك صادقاً
يصبكم بعض الذي يعدكم اي من العذاب عاجلاً ان تعرضتم له بتقصيه ولا ينفعكم شيئاً فان قيل لم قال
بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم به ان يصيبهم كله اجيب بانه انما قال ذلك
ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافياً فضلاً
عن ان يتعصب له وهذا اولى من قول ابي عبيدة وغيره ان بعض بمعنى كل وانشد قول لبيد
تراك امكنة اذا لم ارضها ... او يرتبط بعض النفوس حمامها وانشدوا ايضاً قول عمرو بن شييم
قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل وقال الآخر ان الامور
اذا الاحداث دبرها ... دون الشيوخ ترى في بعضها خللا ان الله اي الذي له جميع العظمة
لا يهدي اي الى ارتكاب ما ينفعه واجتناب ما يضره من هو مسرف اي باظهار الفساد وتجاوز
الحدود كذاب فيه احتمالان احدهما ان هذا اشارة الى الرمز والتعريض بعلو شأن
موسى عليه السلام والمعنى ان الله تعالى هدى موسى عليه السلام الى الاتيان بالمعجزات
الباهرة ومن هداه الله تعالى الى الاتيان بالمعجزات لا يكون مسرفاً كذاباً فدل على ان موسى
عليه السلام ليس من المسرفين الكذابين ثانيهما ان يكون المراد ان فرعون مسرف
في عزمه على قتل موسى عليه السلام كذاب في ادعائه الالهية والله تعالى لا يهدي
من هذا شأنه وصفته بل يبطله ويهدم امره ولما استدل مؤمن آل فرعون على انه
لا يجوز قتل موسى عليه السلام خوف فرعون وقومه ذلك العذاب الذي اوعدهم به
في قوله يصبكم بعض الذي يعدكم فقال يا قوم عبر باسلوب الخطاب دون التكلم تصريحاً
بالمقصود فقال لكم الملك ونبه على ما يعرفونه من تقلبات الدهر بتقييده اليوم واشار الى
ما يعهدونه من الخذلان في بعض الازمان بقوله ظاهرين اي عالين على بني اسرائيل

وغيرهم وما قال اهل البلاد يتوقعون الرخاء واهل الرخاء يتوقعون البلاء وفيه بقوله في الارض اي
ارض مصر على الاحتياج ترهيبا لهم وعرفها لانها كالارض كلها لحسنها وجمعها للمنافع ثم حذرهم
من سخط الله تعالى فقال فمن ينصرنا اي انا وانتم ادرج نفسه فيهم عند ذكر الشر بعد افراده اياهم
بالملك ابعادا للتهمة وحثا على قبول النصيحة من بأس الله اي الذي له الملك كله ان جاءنا
اي غضبا لهذا الذي يدعي انه ارسله فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله تعالى بقتله فانه ان
جاءنا لم يمنعنا منه احد + ولما قال المؤمن هذا الكلام قال فرعون اي لقومه مجيبا لما قال هذا المؤمن
ما اريكم من الاراء الا ما ارى اي انه صواب على قدر مبلغ علمي ولا اريكم الا ما ارى لنفسي وقال
الضحاك ما اعلمكم الا ما اعلم وما اهديكم اي بما اشرت به عليكم من قتل موسى وغيره الا سبيل الرشاد
اي الذي ارى انه صواب لا اظهر شيئا وابطن غيره ولما ظهر لهذا المؤمن ان فرعون ذل لكلامه
ارتقى الى اصرح من الاسلوب الاول كما اخبر الله تعالى بقوله وقال الذي آمن اي بعد قول فرعون
هذا الكلام الذي دل على عجزه وجهله وذله يا قوم واكد لما اي عندهم من انكار امره وخافوا من
اتهامه فقال اني اخاف عليكم اي من المكابرة في امر موسى عليه السلام مثل يوم الاحزاب
اي ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مع ان
افراده اروع واقوى في التخويف وافظع للاشارة الى قوة الله تعالى وانه قادر على اهلاكهم في اقل
زمان ولما اجمل فصل وبين او ابدل بعد ان هول بقوله مثل دأب اي عادة قوم نوح اي فيما
دهمهم من الهلاك الذي محقهم فلم يطيقوه مع ما كان فيهم من قوة المبادرة والمقاومة لما يريده
وعاد وثمود مع ما بلغكم من جبروتهم + تنبيه + لا بد من حذف مضاف اي مثل جزاء دأبهم
+ ولما كان هؤلاء اقوى الامم اكتفى بهم واجمل من بعدهم فقال والذين من بعدهم اي بالقرب
من زمانهم كقوم لوط وما الله اي الذي له الاحاطة باوصاف الكمال يريد ظلما للعباد اي
فلا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم ولا يهلكهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ
من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه حدوث تعلق ارادته بالظلم + ولما
اشرق من افق هذا الوعظ شمس البعث نور الحشر قال ويا قوم اني اخاف عليكم وقوله يوم التناد اجمع المفسرون
انه يوم البعث وفي تسميته بهذا الاسم وجوه اولها ان اصحاب النار ينادون اصحاب الجنة واصحاب
الجنة ينادون اصحاب النار كما حكى الله تعالى عنهم ثانيها قال الزجاج هو قوله تعالى يوم ندعو كل اناس
بامامهم ثالثها ينادي بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور فيقولون يا ويلنا رابعها ينادون الى المحشر
خامسها ينادي المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه والكافر يا ليتني لم اوت كتابيه سادسها ينادى باللعنة على
الظالمين سابعها يجاء بالموت على صورة كبش املح ثم يذبح بين الجنة والنار ثم ينادي يا اهل الجنة خلود
فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت ثامنها ينادى بالسعادة والشقاوة الا ان فلان بن فلان
سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وفلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وهذه الامور كلها

تجتمع في هذا اليوم فلا بد من تسميته بها كلها ولما كان من عادة المتنادين الاقبال وصف ذلك اليوم
بضد ذلك لشدة الاهوال فقال تعالى مبدلا او مبينا يَوْمَ تُوَلُّونَ اى عن الموقف مُدْبِرِينَ قال
الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا
فيرجعون الى اماكنهم فذلك قوله تعالى والملك على ارجائها وقوله تعالى يا معشر الجن والانس
ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقال مجاهد
فارين من النار غير معجزين وقيل منصرفين عن الموقف الى النار ثم اكد التهديد بقوله تعالى
مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ اى الملك الجبار الذى لا يذل مِنْ عَاصِمٍ اى من فئة تحميكم وتنصركم وتمنعكم من عذابه ثم
نبه على قوة ضلالهم وشدة جهالتهم فقال تعالى وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ اى الملك المحيط بكل شيء فَمَا لَهُ مِنْ
هَادٍ اى شيء ينفعه بوجه من الوجوه تنبيه في قراءة هاد ما تقدم في قوله من واق ولما قال لهم
مؤمن آل فرعون ومن يضلل الله فما له من هاد ذكر لهم مثالا بقوله تعالى وَلَقَدْ جَاءَكُمْ اى جاء
اباءكم يا معشر القبط ولكنه عبر بذلك دلالة على انهم على مذهب الاباء كما جرت به العادة من التقليد
ومن انهم على طبعهم لاسيما ان كان زمانه قريبا يُوسُفُ اى نبى الله ابن نبى الله يعقوب
ابن نبى الله اسحق بن خليل الله ابراهيم عليهم وعلى نبينا افضل الصلوة والسلام مِنْ قَبْلُ اى
قبل زمن موسى عليه السلام بِالْبَيِّنَاتِ اى الآيات الظاهرات لاسيما في امر يوم التناد فَمَا زِلْتُمْ اى
ما برحتم انتم تبعا لآبائكم فِي شَكٍّ اى محيط بكم لم تصلوا الى رتبة الظن مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ من التوحيد وقال
ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له فلم تنفعوا انفسكم بتلك البينات ودل على تمادى
شكهم بقوله تعالى حَتَّى إِذَا هَلَكَ فهو غاية اى فما زلتم في شك حتى هلك قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ اى
الذى له صفات الكمال مِنْ بَعْدِهِ اى يوسف عليه السلام رَسُولًا اى اقمتم على كفركم وظننتم ان الله
لا يجدد عليكم الحجة وهذا ليس اقرارا منهم برسالته بل هو ضم منهم الى الشك في رسالته والتكذيب
برسالة من بعده وقوله تعالى كَذَلِكَ خبر مبتدأ مضمر اى الامر كذلك او مثل هذا الضلال يُضِلُّ
اللَّهُ اى بما له من صفات القهر مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ اى مشرك متغال في الامور الخارج عن الحد
مُرْتَابٌ اى شاك فيما تشهد به البينات بغلبة الوهم والانهماك في التقليد ثم بين تعالى ما لاجله
نفوا في الشك والاسراف فقال سبحانه الَّذِينَ يُجَادِلُونَ وهو مبتدأ اى يخاصمون خصاما شديدا
فِي آيَاتِ اللَّهِ اى المحيط باوصاف الكمال لاسيما الآيات الدالة على يوم التناد فانها اظهر الآيات
وكذا الآيات الدالة على وجوده سبحانه وتعالى على ما هو عليه من الصفات في الافعال وما يجوز عليه
او يستحيل بِغَيْرِ سُلْطَانٍ اى برهان أَتَاهُمْ وقوله كَبُرَ اى جدالهم مَقْتًا خبر المبتدأ ويجوز في الذين
اوجه ايضا منها انه بدل من قوله تعالى من هو مسرف وانما جمع اعتبارا بمعنى من ومنها ان يكون
بيانا له ومنها ان يكون صفة له وجمع على معنى من ايضا ومنها ان ينصب باضمار اعنى قال الزجاج قوله
الذين يجادلون تفسير للمسرف المرتاب يعنى هم الذين يجادلون في آيات الله اى في ابطالها بالتكذيب

بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله اى الملك الاعظم وكبر مقتا ايضا عند الذين آمنوا اى
الذين هم خاصته ودلت الاية على انه يجوز وصفه تعالى بانه مقت بعض عباده الا انها صفة واجبة
التاويل فى حق الله تعالى كالغضب والحياء والعجب وقوله تعالى كذلك اى ومثل هذا
الطبع العظيم يطبع الله اى الذى له جميع العظمة يدل على ان الكل من عند الله كما هو مذهب
اهل السنة على كل قلب متكبر اى متكلف ما ليس له وليس لاحد غير الله جبار اى
ظاهر الكبر قويه قهار قال مقاتل الفرق بين المتكبر والجبار ان المتكبر عن قبول التوحيد والجبار
فى غير الحق قال الرازى كان السعادة فى امرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فعلى قول
مقاتل المتكبر كالمضاد للتعظيم لامر الله والجبار كالمضاد للشفقة على خلق الله وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان
بتنوين الباء الموحدة ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عينى وسمعت
اذنى او على حذف مضاف اى على كل ذى قلب متكبر جبار فهى حينئذ مساوية لقراءة
الباقين بغير تنوين ثم ان فرعون عليه اللعنة اعرض عن جواب المؤمن لانه لم يجد فيه مطعنا وقال
فرعون يا هامان وهو وزيره ابن وعرفه بشدة اهتمامه بالاضافة اليه فى قوله لى صرحا
اى بناء مكشوفا عاليا لا يخفى على الناظر وان بعد من صرح الشئ اذا ظهر لعلى ابلغ الاسباب
اى التى لا اسباب غيرها لعظمها وتعليله بالترجى الذى لا يكون الا فى الممكن دليل على انه كان
يلبس على قومه وهو يعرف الحق فان عاقلا لا يعد ما رامه فى عداد الممكن العادى ولما كان
بلوغها امرا عظيما اورده على نمط مشوق اليه ليعطيه السامع حقه من الاهتمام تفخيما لشانه
ليتشوف السامع الى بيانه بقوله اسباب السموات اى الامور الموصلة اليها وكل ما اداك الى
شئ فهو سبب اليه وقرأ الكوفيون بسكون الياء والباقون بالفتح وقرأ فاطلع حفص بنصب العين
وفيه ثلاثة اوجه احدها انه جواب الامر فى قوله ابن لى فنصب بان مضمرة بعد الفاء فى
جوابه على قاعدة البصريين كقوله يا ناق سيرى عنقا فسيحا الى سليمان فنستريحا وهذا
اوفق لمذهب البصريين ثانيها قال ابو حيان انه منصوب على التوهم لان خبر لعل جاء
مقرونا بان كثيرا فى النظم وقليلا فى النثر فمن نصب توهم ان الفعل المرفوع الواقع خبرا
منصوب بان والعطف على التوهم كثير وان كان لا ينقاس اهـ ثالثها على جواب الترجى
فى لعل وهو مذهب كوفى واليه نحا الزمخشرى وتبعه البيضاوى قال وهو الاولى
تشبيها للترجى بالتمنى والباقون بالرفع عطفا على ابلغ اى فلعله يتسبب عن ذلك بتعقبه انى
اكلف الطلوع الى اله موسى ولعله اراد ان يبنى له صرحا فى موضع عال يرصد فيه احوال
الكواكب التى هى اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله
تعالى اياه او ان يرى فساد قول موسى فان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله
اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله

تعالى وكيفية اسبابه وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ اي موسى عليه السلام كَاذِبًا في دعوى الرسالة وفي ان له الها
غيري قال فرعون ذلك تمويها وَكَذَلِكَ اي مثل ذلك التزيين العظيم الشأن زُيِّنَ اي زين
المزين الذي له الامر وهو الله تعالى حقيقة بخلقه والزامه لان كل ما دخل في الوجود من الحادثات
فهو بخلقه والشيطان مجازا بالتسبب بالوسوسة التي هي بخلق الله تعالى لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ في
جميع امره فاقبل عليه راغبا فيه مع بعده عن عقل اقل ذوي العقول فضلا عن ذوي الهمم
فضلا عن الملوك واطاعه فيه قومه وقرأ غير الكوفيين وَصَدَّ بفتح الصاد اي نفسه ومنع غيره وقرأ
الكوفيون بضمها اي منعه الله تعالى عَنِ السَّبِيلِ اي طريق الهدى وهي الموصلة الى الله تعالى
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ اي في ابطال ما جاء به موسى عليه السلام إِلَّا فِي تَبَابٍ اي خسار وهلاك
عظيم محيط به لا يقدر على الخروج منه ولما كان فساد ما قال فرعون اظهر من ان يحتاج الى بيان
اعرض المؤمن عنه وَقَالَ الَّذِي آمَنَ اي مشيرا الى وهن قول فرعون بالاعراض عنه بقوله
يَا قَوْمِ اي من لا قيام لي الا بهم وانا غير متهم في نصيحتهم اتَّبِعُونِ اي كلفوا انفسكم اتباعي لان
السعادة غالبا تكون فيما يكره الانسان أَهْدِكُمْ سَبِيلَ اي طريق الرَّشَادِ اي الهدى لانه مع
سهولته واتساعه موصل ولا بد الى المقصود واما ما قال فرعون من ادعائه سبيل الرشاد فلا يوصل
الا الى النار فهو تعريض به شبيه بالتصريح به وفي هذا اشارة الى انه ينبغي لاحد من اهل الايمان ان
لا يخلي نفسه عن الوعظ لغيره وقرأ ابن كثير باثبات الياء بعد النون وقفا ووصلا واثبتها قالون وابو عمرو
وصلا لا وقفا وحذفها الباقون وصلا ووقفا ثم ان ذلك المؤمن زهدهم في الدنيا وكرر يَا قَوْمِ كما كرر
ابراهيم عليه السلام يا ابت زيادة في استعطافهم بقوله إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ وحقرها بقوله الدُّنْيَا اشارة
الى دناءتها بقوله مَتَاعٌ اشارة الى انها جيفة لانها في اللغة من جملة مدلولات المتاع فلا يتناول
منها الا كما يتناول المضطر من الجيفة لانها دار النقلة والزوال والتزود للارتحال والاخلاد
اليها هو اصل الشرك كله ومنه تتشعب جميع ما يؤدي الى سخط الله تعالى ويجلب الشقاوة في العاقبة
ثم رغبهم في الآخرة بقوله وَإِنَّ الْآخِرَةَ اي لكونها مقصودة بالذات هِيَ دَارُ الْقَرَارِ اي التي
لا تحول منها اصلا لانها الوطن المستقر قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة
خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق بل اشرف
واحسن وكان النعيم فيها دائما فكذلك العذاب فكان الترغيب في نعيم الجنان والترهيب من
عذاب النيران من اعظم وجوه الترغيب والترهيب والآية من الاحتباك ذكر المتاع اولا دليلا
على حذف التزود ثانيا والقرار ثانيا دليلا على حذف الارتحال اولا ثم قال ذلك المؤمن لقومه
مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً اي ما يسوء من اي صنف كان الذكور والاناث المؤمنين والكافرين فَلَا يُجْزَى
اي من الملك الذي لا ملك سواه إِلَّا مِثْلَهَا عدلا منه لا يزاد عليها مقدار ذرة ولا اصغر منها
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا اي ولو قل مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ اي والحال انه مُؤْمِنٌ اذ لا يصح عمل بدون ايمان

فاولئك اي العالو الرتبة والهمة يدخلون الجنة اي بامر من له الامر كله بعد ان تضاعف
لهم اعمالهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وشعبة بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء
يرزقون فيها اي الجنة من غير احتياج الى تحيل ولا الى اسباب بغير حساب لخروج ما فيها
للكثرة عن الحصر فان ادنى اهلها منزلة لو اضاف كل اهل الارض لكفاهم من غير ان ينقص من ملكه
شيء وهذا من باب الفضل وفضل الله لا حد له ورحمته غلبت غضبه واما جزاء السيئة فمن باب
العدل فلذلك قدم الحساب فيها لئلا يقع الظلم قال الاصبهاني فاذا عارضنا عمومات الوعيد بعمومات
الوعد ترجح الوعد بسبق الرحمة الغضب فانهدمت قواعد المعتزلة ثم كرر الوعظ عليهم بقوله ويا قوم ما لي
اي اي شيء من الحظوظ والمصالح لي في اني ادعوكم الى النجاة والجنة شفقة عليكم ورحمة لكم واعترافا
بحقكم وتدعونني الى النار والهلاك بالكفر ففي الآية من الاحتباك ذكر النجاة الملازمة للايمان
اولا دليلا على حذف الهلاك الملازم للكفران ثانيا والنار ثانيا دليلا على حذف الجنة اولا وقرأ
نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام بفتح ياء مالي والباقون بسكونها واتفقوا على سكون الياء من تدعونني
ولما اخبر ذلك المؤمن بقلة انصافهم اجمالا بينه بقوله تدعونني اي توقعون دعائي الى
معبود انتم لاكفر اي لاجل ان اكفر بالله الذي له مجامع القهر والعز والعظمة والكبرياء
واشرك به اي اجعل له شريكا ما ليس لي به اي بربوبيته علم اي نوع من العلم بصلاحيته
لشيء من الشركة فهو دعاء الى الكذب في شيء لا يحل الاقدام عليه الا بالدليل القطعي الذي
لا يحتمل نوعا من الشك فالمراد بنفي العلم نفي الاله كأنه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله
كيف يعقل جعله شريكا للاله ولما بين انهم يدعون الى الكفر بين انه يدعوهم الى الايمان بقوله
وانا ادعوكم اي ادوم دعاكم الان وقبله وبعده الى العزيز اي البالغ العزة الذي يغلب كل شيء
ولا يغلبه شيء واما فرعون فهو في غاية العجز فكيف يكون الها واما الاصنام فانها احجار منحوتة فكيف
يعقل كونها آلهة وقرأ نافع وانا بالمد بعد النون وقالون بمد وبقصر وورش بالمد لا غير والباقون
بغير مد وقوله الغفار اي الذي يتكرر منه دائما محو الذنوب عينا واثرا اشارة الى انه يجب عليهم
ان لا ييأسوا من رحمة الله تعالى بسبب اصرارهم على الكفر مدة مديدة فان الاله العالم وان كان
عزيزا لا يغلب قادرا لا يعارض لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة بايمان ساعة واحدة وقوله لا جرم
رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله انما اي الذي تدعونني اليه من هذه الانداد
ليس له دعوة بوجه من الوجوه فانه لا ادراك له هذا ان اريد ما لا يعقل وان اريد شيء مما يعقل
فلا دعوة له مقبولة بوجه فانه لا يقوم عليها دليل بل ولا شبهة موهمة في الدنيا اي التي هي محل
الاسباب الظاهرة ولا في الآخرة اي ليس له استجابة دعوة فيهما فسمي استجابة الدعوة دعوة اطلاقا
لاسم احد المتضايفين على الآخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وكقولهم كما تدين تدان وقيل
ليس له دعوة اي عبادة في الدنيا لان الاوثان لا تدعي الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفي الآ

نصف

تتبرأ من عابديها ثم قال وان مردنا اى مرجعنا الى الله اى الذى له الاحاطة بصفات الكمال
فيجازى كل احد بما يستحقه وان المسرفين اى المجاوزين للحدود الغريقين فى هذا الوصف قال
قتادة وهم المشركون لقوله تعالى هم اى خاصة اصحاب النار اى ملازموها وعن مجاهد هم السفاكون
للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم المسرفون + ولما بالغ هذا المؤمن فى هذا الشان ختم كلامه
بخاتمة لطيفة هى قوله فستذكرون اى قطعا بوعد لا خلف فيه مع القرب ما اقول لكم حين لا ينفعكم
الذكر فى يوم الجمع الاعظم والزحام الذى يكون فيه القدم على القدم اذا رأيتم الاهوال والنكال
والزلزال ان قبلتم نصحى او لم تقبلوه + ولما خوفهم بذلك توعدوه وخوفوه بالقتل فعول فى
دفع تخويفهم وكيدهم ومكرهم على الله تعالى بقوله وافوض اى انا الان بسبب انه لا دعوة لغير الله امرى
اى فيما تمكرون به الى الله اى الذى احاط بكل شئ قدرة وعلما فيحمى منكم من شاء وهو انما تعلم
هذه الطريقة من موسى عليه السلام حين خوفه فرعون بالقتل فرجع موسى عليه السلام فى
دفع ذلك الشر الى الله تعالى فقال انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب
وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون + ولما علق تفويضه بالاسم العلم الجامع المقتضى
للاحاطة علل ذلك بقوله ان الله اى الذى لا يخفى عليه شئ بصير اى بالغ العلم بالعباد ظاهرا
وباطنا فيعلم من يستحق النصرة فينصره لاتصافه باوصاف الكمال ويعلم من يمكر فيرد
مكره عليه بما له من الاحاطة قال مقاتل فلما قال هذه الكلمات قصدوا قتله فوقاه الله اى
حصل له وقاية تنجيه منهم جزاء على تفويضه سيئات اى شدائد ما مكروا دنيا ودينا فنجاه مع موسى
عليه السلام قال قتادة وكان قبطيا فنجا وحده سبحانه بقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون
+ ولما كان المكر السيئ لا يحيق الا باهله قال تعالى وحاق اى نزل محيطا بعد احاطة الاغراق بآل فرعون
اى فرعون واتباعه لاجل اصرارهم على الكفر ومكرهم هذا ان قلنا ان الآل مشترك بين
الشخص واتباعه وان لم نقل ذلك فالاحاقة بفرعون من باب اولى لان العادة جرت انه لا يصل
الى جميع اتباع الانسان الا بعد اذلاله واخذه سوء العذاب اى الغرق فى الدنيا والنار فى الآخرة
فان قيل قوله تعالى وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه انه رجع اليهم ما هموا به من المكر
بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بالغرق فى الدنيا
ونار جهنم فى الآخرة لم يكن مكرهم راجعا اليهم لانهم لا يعذبون بذلك اجيب بانهم هموا بشر فاصابهم
ما وقع عليه اسم السوء ولا يشترط فى الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه وقوله تعالى النار
فى اعرابه ثلاثة اوجه احدها انه بدل من سوء العذاب قاله الزجاج ثانيها انه خبر مبتدأ محذوف
اى هو اى سوء العذاب النار لانه جواب لسؤال مقدر وقوله تعالى يعرضون على هذين
الوجهين يجوز ان يكون حالا من النار وان يكون حالا من آل فرعون ثالثها انه مبتدأ وخبره يعرضون
عليها غدوا وعشيا اى صباحا ومساء قال ابن مسعود ارواح آل فرعون فى اجواف

طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون هذه
منازلكم حتى تقوم الساعة وقال قتادة تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا
وروى ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده
بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار فيقال
هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيمة ثم اخبر الله تعالى عن مستقر آل فرعون يوم
القيمة بقوله سبحانه وتعالى وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يقال لهم اَدْخِلُوا آلَ اي يا آلَ فِرْعَوْنَ اي هو نفسه
واتباعه لاجل اتباعهم له فيما اضلهم به اَشَدَّ الْعَذَابِ وهو عذاب جهنم اجارنا الله تعالى نحن
واحبابنا منها فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وهذه الآية نص على اثبات عذاب القبر
كما نقل عن عكرمة ومحمد بن كعب وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي بقطع الهمزة مفتوحة
وكسر الخاء وصلا وابتداء على امر الملائكة بادخالهم النار والباقون بوصل الهمزة وضم الخاء
وصلا وفي الابتداء بضم الهمزة واختلف في العامل في قوله تعالى وَاِذْ على ثلاثة اوجه احدها
انه معطوف على غدوا فيكون معمولا ليعرضون على النار في هذه الاوقات كلها قاله ابو البقاء
ثانيها انه معطوف على قوله اذ القلوب لدى الحناجر قال الطبري ونظر فيه لبعد ما بينهما
وثالثها انه منصوب باضمار اذكر اي واذكر يا اشرف الخلق لقومك اِذْ يَتَحَاجُّونَ اي الكفار فِي النَّارِ اي
يتخاصمون فيها اتباعهم ورؤساؤهم مما لا يغنيهم فَيَقُولُ الضُّعَفٰؤُا اي الاتباع لِلَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا
اي طلبوا ان يكونوا كبراء وهم الرؤساء اِنَّا كُنَّا لَكُمْ اي دون غيركم تَبَعًا اي اتباعا فتكبرتم على الناس بنا
فَهَلْ اَنْتُمْ ايها الكبراء مُغْنُوْنَ اي كافون ومجزؤن وحاملون عَنَّا نَصِيْبًا مِّنَ النَّارِ تنبيه تبعا
اسم جمع لتابع ونحوه خادم وخدم قال البغوي والتبع يكون واحدا وجمعا في قول اهل البصرة
واحده تابع وقال الكوفيون هو جمع لا واحد له وجمعه اتباع وقيل انه مصدر واقع موقع اسم الفاعل
اي تابعين وقيل مصدر ولكنه على حذف مضاف اي ذوي تبع ونصيبا منصوب بفعل
مقدر يدل عليه قوله مغنون تقديره هل انتم دافعون عنا نصيبا وقيل منصوب على المصدر
قال البقاعي كما كان شيئا كذلك الاترى الى قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا في موضع غنى فكذلك نصيبا ومن النار صفة لنصيبا قَالَ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا اي من
شدة ما هم فيه اِنَّا كُلٌّ اي نحن وانتم فِيْهَا فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا اِنَّ اللّٰهَ
اي المحيط باوصاف الكمال قَدْ حَكَمَ بالعدل بَيْنَ الْعِبَادِ اي فادخل اهل الجنة
دارهم واهل النار دارهم فلا يغني احد عن احد شيئا فعند ذلك يحصل اليأس للاتباع
من المتبوعين فيرجعون كلهم الى خزنة جهنم يسألونهم كما حكى الله عنهم بقوله سبحانه وتعالى
وَقَالَ الَّذِيْنَ فِي النَّارِ اي جميعا الاتباع والمتبوعون لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ اي لخزنتها فوضع جهنم موضع
المضمر للتهويل او لبيان محلهم فيها قال البيضاوي ويحتمل ان تكون جهنم ابعد دركاتها

من قولهم بئر جهنام اى بكسر الجيم والهاء وتشديد النون بعيدة القعر وقال بعض اهل اللغة هى
مشتقة من الجهومة وهى الغلظ سميت بذلك لغلظ عذابها وهى عجمية منعت من الصرف للتعريف
والعجمة وقيل عربية ومنعت من الصرف للتعريف والتأنيث ادعوا ربكم اى المحسن اليكم بانكم
لا تجدون الآن من النار يخفف عنا يوما اى قدر يوم من العذاب اى شيئا فيوما ظرف ليخفف
ومفعول يخفف محذوف اى يخفف عنا شيئا من العذاب فى يوم ويجوز ان يكون من العذاب
هو المفعول ليخفف ومن تبعيضية ويوما ظرف فسألوا ان يخفف عنهم بعض العذاب لا كله فى يوم
ما لا فى كل يوم ولا فى يوم معين قالوا اى الخزنة لهم اولم تك تأتيكم على سبيل التجدد شيئا فى اثر
شئ رسلكم اى الذين هم منكم وانتم جديرون بالاصغاء اليهم والاقبال عليهم لان الجنس الى الجنس
اميل والانسان من مثله اقبل بالبينات اى التى لا شئ اوضح منها ارادوا بذلك الزامهم الحجة
وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة وقرأ ابو عمرو باسكان السين
والباقون بضمها وكذلك رسلنا ورسلهم قالوا اى الكفار بلى اى اتونا بذلك قالوا اى الخزنة لهم
فادعوا اى انتم فانا لا نشفع لكافر وما دعاء الكافرين اى الذين ستروا مرائى عقولهم عن انوار
الحق الا فى ضلال اى ذهاب فى غير طريق موصل كما كانوا هم فى الدنيا كذلك فان الدنيا مزرعة
الآخرة من زرع شيئا فى الدنيا حصده فى الآخرة والآخرة ثمرة الدنيا لا تثمر الا من جنس ما هو
فى الدنيا فى هذا افناطهم عن الاجابة + ولما ذكر تعالى وقاية موسى عليه السلام وذلك المؤمن من مكر
فرعون وقومه صرح بقوله تعالى انا اى بما لنا من العظمة لننصر رسلنا اى على من عاداهم والذين
آمنوا اى اتسموا بهذا الوصف فى الحياة الدنيا اى بالزامهم طريق الهدى والفضيلة بكل فنون
وبالحجة والغلبة وان غلبوا فى بعض الاحيان فان العاقبة تكون لهم ولو بان يقيض الله تعالى
لاعدائهم من يقتص منهم ولو بعد حين وقل ان يتمكن عدوهم من كل ما يريدون منهم
ويوم يقوم الاشهاد وهو جمع شاهد كصاحب واصحاب المراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة على
الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين اما الملائكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون للرسل بالتبليغ
وعلى الكفار بالتكذيب واما الانبياء عليهم الصلوة والسلام فقال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا واما المؤمنون فقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس وقوله تعالى يوم بدل من يوم قبله او بيان له او نصب باضمار اعنى
يوم لا ينفع الظالمين اى الذين كانوا عريقين فى وضع الاشياء فى غير مواضعها معذرتهم
اى اعتذارهم فان قيل هذا يدل على انهم يذكرون الاعذار ولكن تلك الاعذار لا تنفعهم فكيف
هذا مع قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون اجيب بان هذا لا يدل على انهم ذكروا الاعتذار بل ليس فيه
الا ان ليس عندهم عذر مقبول وهذا لا يدل على انهم ذكروه ام لا وايضا يوم القيمة يوم طويل فيعتذرون فى
وقت ولا يعتذرون فى وقت آخر وقرأ نافع والكوفيون بالياء التحتية والباقون بتاء الخطاب

ع

ع ١٥

وَلَهُمُ اي خاصة اللَّعْنَةُ اي البعد عن كل خير مع الاهانة بكل ضير وَلَهُمْ اي خاصة سُوٓءُ الدَّارِ اي الآخرة اي اشد عذابها ولما بين تعالى انه ينصر الانبياء والمؤمنين في الدنيا والآخرة ذكر نوعا من انواع تلك النصرة في الدنيا فقال تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا اي بما لنا من العزة مُوسَى الْهُدَى اي ما يهتدى به في الدنيا من المعجزات والصحف والشرائع وَأَوْرَثْنَا اي بما لنا من العظمة بَنِي إِسْرَائِيلَ اي بعد ما كانوا فيه من الذل الْكِتَابَ اي الذي انزلناه عليه وآتيناه الهدى به وهو التورية اتباعا هو الارث لا ينازعهم فيه احد توارثوه خلفا عن سلف ولا اهل له في ذلك الزمان غيرهم واورثناه لهم من بعد موسى عليه السلام حال كونه هُدًى اي بيانا عاما لكل من تبعه وَذِكْرَى اي عظة عظيمة لِأُولِي الْأَلْبَابِ اي القلوب الصافية والعقول الوافية الشافية ولما بين تعالى انه ينصر رسله وينصر المؤمنين في الدنيا والآخرة وضرب المثال في ذلك بحال موسى عليه السلام خاطب بعد ذلك محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فَاصْبِرْ اي يا اشرف الخلق على اذى قومك كما صبر موسى عليه السلام على اذى فرعون إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ اي الذي له الكمال كله حَقٌّ اي في اظهار دينك واهلاك اعدائك قال الكلبي نسخت آية القتال آية الصبر وقوله تعالى وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ اما ان يكون المصدر مضافا للمفعول اي لذنب امتك في حقك واما ان يكون ذلك تعبدا من الله تعالى ليزيده به درجة وليصير سنة يستن به من بعده وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ هو من بعد الزوال وَالْإِبْكَارِ قال الحسن رضي الله عنه يعني صلوة العصر وصلوة الفجر وقال ابن عباس رضي الله عنهما الصلوات الخمس وذلك ان العشي من زوال الشمس الى غروبها والابكار من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ولما ابتدأ بالرد على الذين يجادلون في آيات الله واتصل الكلام بعضه ببعض على الترتيب المتقدم الى هنا نبه تعالى على الماهية التي تحمل الكفار على تلك المجادلة فقال تعالى إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ اي يناصبون العداوة فِي آيَاتِ اللَّهِ اي الملك الاعظم الدالة على تمام قدرته اللازم منه قدرته على البعث الذي في تذكره صلاح الدين والدنيا بِغَيْرِ سُلْطَانٍ اي برهان أَتَاهُمْ إِنْ اي ما فِي صُدُورِهِمْ اي يصدهم عن سواء السبيل قال ابن عادل ما حملهم على تكذيبك إِلَّا كِبْرٌ اي تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم واذن ذكر الصدور دون القلوب لانه يعد فانه قد ملأ القلوب فاض منها حتى شغل الصدور التي هي مساكنها مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر لان الله تعالى مذلهم وقال ابن قتيبة ان في صدورهم الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يغلبوه وما هم ببالغي ذلك قال المفسرون نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك علينا قال الله تعالى فَاسْتَعِذْ اي اعتصم بِاللَّهِ اي المحيط بكل شيء من فتنة الدجال ومن كيد من يحسدك ويبغي عليك وغيره ذلك كما عاذ به موسى عليه السلام لينجز لك ما وعدك به كما انجز له ثم علل ذلك بقوله تعالى إِنَّهُ هُوَ اي

وحده السميع اي لاقوالهم البصير اي لافعالهم ولما وصف تعالى جدالهم في الآيات بانه بغير
سلطان ولا حجة ذكر لهذا مثالا فقال لخلق السموات اي على عظمها وارتفاعها وكثرة منافعها
واتساعها والارض اي على ماترون من عجائبها وكثرة منافعها اكبر عند كل من يعقل
من خلق الناس اي خلق الله تعالى لهم لانهم شعبة يسيرة من خلقهما فعلم قطعا ان الذي
قدر على ابتدائه مع عظمه قادر على اعادة الناس على حقارتهم ولكن اكثر الناس وهم الذين
ينكرون البعث وغيره لا يعلمون اي لا علم لهم اصلا بل هم كالبهائم لغلبة الغفلة عليهم
+تنبيه+ تقرير هذا الكلام ان الاستدلال بالشيء على غيره ينقسم ثلاثة اقسام احدها
ان يقال لما قدر على الاضعف وجب ان يقدر على الاقوى وهذا فاسد ثانيها ان يقال لما
قدر على الشيء قدر على مثله فهذا الاستدلال صحيح لما ثبت في الاصول ان حكم الشيء حكم مثله ثالثها
ان يقال لما قدر على الاقوى الاكمل قدر على الاقل الارذل بالاولى وهذا الاستدلال في غاية الصحة
والقوة ولا يرتاب فيه عاقل البتة ثم ان هؤلاء القوم يسلمون ان خالق السموات والارض هو الله
تعالى ويعلمون بالضرورة ان خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وكان من حقهم
ان يقروا بان القادر على خلق السموات والارض يكون قادرا على اعادة الانسان الذي خلقه
اولا فهذا برهان جلي في افادة هذا المطلوب ثم ان هذا البرهان على قوته صار لا يعرفه اكثر الناس
والمراد منه الذين ينكرون الحشر والنشر فظهر بهذا المثال ان هؤلاء الكفار يجادلون في آيات الله
بغير سلطان اتاهم ولا حجة بل بمجرد الحسد والكبر والغضب+ ثم لما بين تعالى ان الجدال المقرون
بالكبر والحسد والجهل كيف يكون وان الجدال بالحجة والبرهان كيف يكون نبه تعالى على الفرق
بين البابين بذكر مثال فقال تعالى وما يستوي اي بوجه من الوجوه من حيث البصر الاعمى والبصير
اي وما يستوي المستدل والجاهل المقلد والذين آمنوا اي اوجدوا حقيقة الايمان وعملوا الصالحات
اي تحقيقا لايمانهم ولا المسيء اي وما يستوي المحسن والمسيء فلا زائدة للتوكيد لانه لما طال الكلام
بالصلة بعد قسم المؤمنين اعاد معه لا توكيدا والمراد بالاول التفاوت بين العالم والجاهل وبالثاني
التفاوت بين الآتي بالاعمال الصالحة وبين الآتي بالاعمال السيئة الباطلة+ ولما تقرر هذا على
هذا النحو من الوضوح الذي لا مانع للانسان من فهمه ورسوخه قال تعالى قليلا ما تتذكرون اي
يتعظ المجادلون وان كانوا يعلمون ان العلم خير من الجهل وان العمل الصالح خير من العمل الفاسد
الا انه قليلا ما يتذكرون فبين في النوع الاول المعنى من الاعتقاد انه علم او جهل وفي النوع الثاني
المعنى من العمل انه عمل صالح او فاسد +تنبيه+ التقابل يأتي على ثلاث طرق احداها ان يجاور
المناسب ما يناسبه كهذه الآية والثانية ان يتأخر المتقابلان كقوله تعالى مثل الفريقين
كالاعمى والاصم والبصير والسميع الثالثة ان يتقدم مقابل الاول ويؤخر مقابل الآخر كقوله تعالى
وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور كل ذلك تفنن في البلاغة وقدم الاعمى في نفي

التساوي بجيئه بعد صفة الذم في قوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب
المخاطب او الالتفات للمذكورين بعد الاخبار عنهم او امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمخاطبة
والباقون بياء الغيبة نظرا لقوله تعالى ان الذين يجادلون وهم الذين التفت اليهم في قراءة الخطاب
+ ولما قرر الدليل على امكان وجود يوم القيمة ردفه بالاخبار عن وقوعها فقال تعالى انّ الساعة
اي القيمة التي يجادل فيها المجادلون لآتية اي للحكم بالعدل بين المسيء والمحسن لانه لا يسوغ في الحكمة
عند احد من الخلق ان يساوي بين محسن عبيده ومسيئهم لا ريب اي لا شك فيها اي في
اتيانها + ولما حصل الجدال في امرها الى حد الاخفاء به اصلا نفى الايمان دون العلم فقال تعالى
ولكنّ اكثر الناس لا يؤمنون اي لا يصدقون بها وما ذاك الا لعناد بعضهم ولقصور نظر الباقين
على الحس + تنبيه + يأتي قبل قيام الساعة فتن اعظمها فتنة المسيح الدجال فعن هشام بن عامر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم عليه السلام الى قيام الساعة
اكبر من خلق الدجال معناه اكبر فتنة واعظم شوكة من الدجال وعن ابن عمر رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه اعور عين اليمنى كانها عنبة طافية ولابي داود
والترمذي عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله تعالى بما هو اهله ثم ذكر الدجال
فقال اني انذركموه وما من نبي الا انذر قومه ولكن ساقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه اعور والله
سبحانه ليس باعور وعن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي
الا وانذر قومه وانّه الاعور الدجال الا وانه اعور وان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه
كافر وفي رواية مسلم بين عينيه ك ف ر يقرؤه كل مسلم وعن اسماء بنت يزيد الانصارية قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة
تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها والثالثة
تمسك السماء قطرها كله والارض نباتها كله فلا تبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم الا هلكت وان من اشد
فتنته ان يأتي الاعرابي فيقول ارأيت ان احييت لك ابلك الست تعلم اني ربك فيقول بلى فيمثل له
ابله كاحسن ما تكون ضروعا واسنمة ويأتي الرجل قد مات اخوه ومات ابوه فيقول ارأيت ان احييت لك
اباك واحييت لك اخاك الست تعلم اني ربك فيقول بلى فيمثل له الشيطان نحو ابيه ونحو اخيه قالت
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم فاخذ بلحمتي
الباب فقال مهيم اسماء قلت يا رسول الله قد خلعت افئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وانا حي
فانا حجيجه والا فان ربي خليفتي على كل مؤمن قالت فقلت يا رسول الله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى
نجوع فكيف بالمؤمنين حينئذ قال يجزيهم ما يجزي اهل السماء من التسبيح والتقديس وروى
البغوي بسنده عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الارض اربعين سنة
السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار انتهى والذي جاء في صحيح

وسلم قالت قلت يا رسول الله ما مكثه فى الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة
وسائر ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة يكفينا فيه صلوة يوم قال لا اقدروا
له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح وفى رواية ابى داود
فمن ادركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته ومنه ثم ينزل عيسى
عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقى دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله وعن حذيفة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ماء ونارا فاما الذى
يرى الناس انه نار فماء بارد واما الذى يرى الناس انه ماء فنار تحرق فمن ادرك ذلك منكم
فليقع فى الذى يرى الناس انه نار فانه ماء عذب بارد وعن ابى هريرة الا احدثكم حديثا عن الدجال
ما حدث به نبى قومه انه اعور وانه يجئ بمثال الجنة والنار فالتى يقول انها الجنة هى النار وانى
انذركم كما انذر نوح قومه وعن المغيرة بن شعبة قال ما سأل احد رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الدجال اكثر ما سألته وانه قال لى ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبال خبز ونهر ماء
قال هو اهون على الله من ذلك اى اهون على الله من ان يجعل ما خلق الله بيده مضلا
للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله تعالى ليزدادوا ايمانا وتثبت الحجة على الكافرين
والمنافقين ليس معناه ليس معه شئ من ذلك لما مر فى الحديث ان معه ماء ونارا وذكر فيه احاديث
كثيرة وفى هذا القدر تذكرة لاولى الالباب اجارنا الله تعالى واحبابنا من فتنته امين + ولما بين تعالى ان
القول بالقيمة حق وكان من المعلوم بالضرورة ان الانسان لا ينتفع فى يوم القيمة الا بطاعة الله
والتضرع اليه لاجرم كان الاشتغال بالطاعة من اهم المهمات + ولما كان اشرف انواع الطاعات
الدعاء والتضرع لاجرم امر الله تعالى به فقال سبحانه وَقَالَ رَبُّكُمُ اى المحسن اليكم بهداية وعدكم
النصرة ادْعُونِىٓ اى اعبدونى دون غيرى اَسْتَجِبْ لَكُمْ اى اثبكم واغفر لكم بقرينة قوله تعالى اِنَّ
الَّذِيْنَ يَسْتَكْبِرُوْنَ اى يوجدون الكبر عَنْ عِبَادَتِىْ اى عن الاستجابة لى فيما دعوتهم اليه من العبادة
بالمجادلة فى اياتى والاعراض عن دعائى سَيَدْخُلُوْنَ اى بوعد لا خلف فيه جَهَنَّمَ فتلقاهم جزاء
على كفرهم بالتجهم والعبوسة والكراهة دٰخِرِيْنَ اى صاغرين حقيرين ذليلين وان فسر الدعاء
بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة والمراد بالعبادة الدعاء فانه من
ابوابها روى عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة وعن ابى هريرة
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسأل الله تعالى يغضب عليه فان قيل
انه صلى الله عليه وسلم قال حكاية عن ربه عز وجل من شغله ذكرى عن مسئلتى اعطيته افضل
ما اعطى السائلين فهذا يقتضى ان ترك الدعاء افضل فكيف من لم يسأل الله يغضب اجيب بانه ان كان
مستغرقا فى الثناء على الله تعالى فهو افضل من الدعاء لان الدعاء طلب الجنة والاستغراق فى معرفة الله
تعالى وجلاله افضل من طلب الجنة والا فالدعاء افضل وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ الآية فان قيل كيف قال تعالى ادعوني
استجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له اجاب الكعبي بان الدعاء انما يصح بشرط ومن
دعا كذلك استجيب له وذلك الشرط هو ان يكون المطلوب بالدعاء مصلحة وحكمة ثم سأل نفسه
فقال ان الله تعالى يفعل ما هو الاصلح بغير دعاء فما فائدة الدعاء واجاب عنه بان فيه الفزع والانقطاع
الى الله تعالى واجاب الرازي عن الاول بان كل من دعا الله تعالى وفي قلبه ذرة من الاعتماد على
ماله وجاهه واصدقائه واجتهاده فهو في الحقيقة ما دعا الله تعالى الا باللسان واما القلب فهو يعول في
تحصيل ذلك المطلوب على غير الله تعالى فهذا انسان ما دعا ربه واما اذا دعا في وقت لا يكون القلب فيه
ملتفتا الى غير الله تعالى فالظاهر انه يستجاب له اهـ وقال القشيري الدعاء مفتاح الاجابة واسنانه لقمة
الحلال وقرأ ابن كثير وشعبة بضم الياء سيدخلون وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء ولما امر الله تعالى
بالدعاء فكانه قيل الاشتغال بالدعاء لا بد وان يكون مسبوقا بحصول المعرفة فما الدليل على وجود الاله
القادر فقال تعالى مفتتحا بالاسم الاعظم اَللّٰهُ اى المحيط بصفات الكمال اَلَّذِىْ جَعَلَ لَكُمُ لا غيره اَلَّيلَ
اى مظلما لِتَسْكُنُوْا فِيْهِ راحة ظاهرة بالنوم الذى هو الموت الاصغر وراحة حقيقية بالعبادة التى هى
الحيوة الدائمة وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا لتنتشروا فيه باليقظة التى هى احياء بالمعنى فالآية من الاحتباك حذف
الظلام اولا لكونه ليس من النعم المقصودة فى نفسها لما دل عليه من الابصار الذى هو المقصود من
نعمة الضياء المقصود فى نفسه وحذف الانتشار لانه بعض ما ينشأ عن نعمة الابصار لما دل عليه
من السكون الذى هو المقصود الاعظم من الليل للراحة لمن ارادها والعبادة لمن اعتمدها واستندها
فان قيل هلا قيل بحسب رعاية النظم هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبصروا فيه
او يقال جعل لكم الليل ساكنا والنهار مبصرا ولكنه لم يقل ذلك فما الحكمة فيه وفى تقديم ذكر الليل
اجيب عن الاول بان الليل والنوم فى الحقيقة طبيعة عدمية فهو غير مقصود بالذات واما النوم
واليقظة فامور وجودية مقصودة بالذات وقد بين الشيخ عبد القادر فى دلائل الاعجاز ان
دلالة صيغة الاسم على التمام والكمال اقوى من دلالة صيغة الفعل عليها فهذا هو السبب
فى الفرق واجيب عن الثانى بان الظلمة طبيعة عدمية والنور طبيعة وجودية والعدم فى المحدث
مقدم على الوجود فلهذا السبب قال تعالى فى سورة الانعام وجعل الظلمات والنور اِنَّ اللّٰهَ اى
ذا الجلال والاكرام لَذُوْ فَضْلٍ اى عظيم جدا باختياره عَلَى النَّاسِ اى كافة باختلاف الليل والنهار
وما يحتويان عليه من المنافع وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُوْنَ الله فلا يؤمنون فينسبون افعاله الى
غيره جهلا ويعملون بما يسلب عنهم اسم الشكر من الشرك وغيره فان قيل ما الحكمة فى قوله تعالى
ولكن اكثر الناس لم يقل ولكن اكثرهم ولا يكرر ذكر الناس اجيب بان فى هذا التكرار تخصيصا لكفران
النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله تعالى ولا يشكرونه كقوله تعالى ان الانسان لظلوم
كفار ولما بين تعالى بتلك الدلائل المذكورة وجود الاله القادر قال تعالى ذٰلِكُمُ اى

ایها المخاطبون الله ای الملک الاعظم المعلوم لکل احد المتمیز عن کل شئ بالافعال التی لایشارکه
فیها احد ربکم ای المولی لکم المحسن الیکم خالق کل شئ ای بما ثبت من تمام قدرته لانه لا اله الا هو
ای هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهیة والربوبیة فهی اخبار مترادفة واذا کان خالق کل شئ
فانی ای فکیف ومن ای وجه تؤفکون ای تصرفون عن عبادته الی عبادة غیره کذلک ای
مثل هذا الصرف البعید عن مناهج العقلاء یؤفک ای یصرف الذین کانوا ای مطبوعین علی
انهم بایات الله ای ذی الجلال والکمال یجحدون ای ینکرون عنادا ومکابرة + ولما کان
دلائل وجوده تعالی اما ان تکون من دلائل الافاق وهی غیر الانسان وهی اقسام وذکر
منها احوال اللیل والنهار کما تقدم ذکرا یضا منها ههنا الارض والسماء فقال تعالی الله ای الذی
له احاطة الکاملة بکل شئ الذی جعل ای وحده لکم الارض ای مع کونها فراشا ممهدا قرارا
مع کونها فی غایة الثقل ولا ممسک لها سوی قدرته والسماء ای علی علوها وسعتها مع کونها قلدا کا
دائرة بنجوم طول الزمان سائرة ینشأ عنها اللیل والنهار والاظلام بناء مظلة کالقبة من غیر عماد
وحامل + ثم ذکر دلائل النفس وهی دلالة احوال بدن الانسان علی وجود الصانع القادر الحکیم
بقوله تعالی وصورکم والتصویر علی غیر نظام واحد لایکون الا بقدرة قادر تام القدرة مختار
فاحسن صورکم علی اشکال واحوال مع انها احسن الصور لیس فی الوجود ما یشبهها لم یخلق الله
تعالی حیوانا احسن صورة من الانسان کما قال تعالی فی احسن تقویم قال ابن عباس رضی الله عنهما
خلق الانسان قائما معتدلا یاکل ویتناول بیده وغیر ابن ادم یتناول بفیه + ولما ذکر تعالی
المسکن والساکن ذکر ما یحتاج الیه فی مدة السکنی فقال سبحانه ورزقکم من الطیبت ای
الشهیة الملائمة للطباع وقیل هو ما خلق الله تعالی لعباده من الماکل والمشرب من غیر رزق
الدواب وعن الحسن انه قال لما خلق الله تعالی ادم علیه السلام وذریته قالت الملائکة علیهم السلام
ان الارض لا تسعهم قال الله تعالی فانه جاعل موتا قالوا اذا لا یهنأ لهم العیش قال تعالی فانی
جاعل املا + ولما دل هذا علی التفرد قال تعالی علی وجه الانتاج ذلکم ای الرفیع الدرجات الله
ای المالک لجمیع الملک ربکم ای المحسن الیکم لا غیره فتبارک ای ثبت ثباتا عظیما مع الیمن والخیر
وحسن المدد والفیض الله المختص بالکمال رب العلمین کلهم فهو المحسن الیهم بالتربیة وغیرها
ثم نبه تعالی بقوله سبحانه هو الحی بما یفید الحصر بانه لا حی علی الدوام الا هو ثم نبه تعالی علی
وحدانیته بقوله سبحانه لا اله الا هو ثم امر العباد بالاخلاص فی الدعاء فقال تعالی فادعوه
ای اعبدوه مخلصین له الدین ای من کل شرک جلی او خفی + ولما کان تعالی موصوفا
بصفات الجلال والعزة استحق لذاته ان یقال له الحمد ای الاحاطة باوصاف الکمال لله ای
المسمی بهذا الاسم الجامع لجامع معانی الاسماء الحسنی رب العلمین ای الذی رباهم هذه
التربیة وقال الفراء هو خبر وفیه اضمار الامر ومجازه فادعوه واحمدوه وعن ابن عباس

رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين + ولما اورد على
المشركين تلك الادلة الدالة على اثبات العالم امره بقوله تعالى قُلْ اى لهؤلاء الذين يجادلونك
فى البعث مقابلا له لانكارهم بالتوكيد اِنِّىْ نُهِيْتُ اى ممن لا نهى لغيره نهيا عاما ببراهين العقول
ونهيا خاصا بادلة النقل اَنْ اَعْبُدَ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ اى تعبدون مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اى الذى له الكمال
كله قال البقاعى ودل على انه ما كان متعبدا قبل البعثة بشرع احد بقوله لَمَّا جَآءَنِىَ الْبَيِّنٰتُ اى الحجج
وهى ما تقدم من الدلائل الدالة على ان اله العالم قد ثبت كونه موصوفا بصفات الجلال والعظمة
وصريح العقل يشهد بان العبادة لا تليق الا له واما الاحجار المنحوتة والاخشاب المصورة فلا تصلح ان
تكون شركاء له + ثم نبه على انه تعالى كما يستحق الافراد بالعبادة لذاته يستحقها لشكر الاحسانه بقوله
مِنْ رَّبِّىْ اى المربى لى تربية خاصة هى اعلى من كل مخلوق سواى فانا اعبده عبادة تفوق عبادة
كل عابد + ولما امره بما ينهى عنه امره بما يتحلى به فقال وَاُمِرْتُ اَنْ اُسْلِمَ اى حين جمى الكفر
لِرَبِّ الْعٰلَمِيْنَ لان كل ما سواه مربوب له فالاقبال عليه خسار واذا نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك
وامر به كان الكون الامر والناهى هو رب العالمين كان غيره مشاركا له فى ذلك لا محالة + ولما استدل
تعالى على اثبات الالهية بدليل الآفاق وذكر منها الليل والنهار والارض والسماء ثم ذكر الدليل
على اثبات الاله القادر بخلق الانفس وهو نوعان احدهما حسن الصورة ورزق الطيبات ذكر النوع الثانى
وهو كيفية تكوين البدن من ابتداء كونه نطفة وجنينا الى آخر الشيخوخة والموت فقال تعالى هُوَ اى
لا غيره الَّذِىْ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ اى بخلق ابيكم آدم عليه السلام منه قال الرازى وعندى لا حاجة
الى ذلك لان كل انسان فهو مخلوق من المنى ومن دم الطمث والمنى مخلوق من الدم والدم
انما يتولد من الاغذية والاغذية اما حيوانية واما نباتية والحال فى ذلك الحيوان كالحال
فى تكوين الانسان فكانت الاغذية كلها منتهية الى النبات والنبات انما يكون من التراب والماء فثبت
ان كل انسان متكون من التراب ثم ان ذلك التراب يصير نطفة كما قال تعالى ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ اى من
منى ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ اى دم غليظ متباعد حاله عن حال النطفة كما كان حال النطفة متباعدا عن حال
التراب ثُمَّ بعد ان جرت شؤن اخرى يُخْرِجُكُمْ اى يجدد اخراجكم شيئا بعد شئ طِفْلًا اى اطفالا
والتوحيد لارادة الجنس او على تاويل كل واحد منكم لا تملكون شيئا ولا تعلمون شيئا ثُمَّ يدرجكم فى
مدارج التربية صاعدين بالقوة فى اوج الكمال طورا بعد طور وحالا بعد حال لِتَبْلُغُوْٓا اَشُدَّكُمْ
اى تكامل قوتكم من الثلاثين سنة الى الاربعين وعن الشعبى صغر الغلام لسبع سنين ويحتلم لاربع
عشرة وينتهى طوله لاحدى وعشرين وينتهى عقله لثمان وعشرين ويبلغ اشده لثلاث
وثلاثين ثُمَّ يهبطكم بالضعف والوهن فى مهاوى السفول لِتَكُوْنُوْا شُيُوْخًا ضعفا عن بلا قد تما ثبت
قوتكم ووهنت اركانكم وقرأ نافع وابو عمرو وهشام وحفص بضم الشين والباقون
بكسرها وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّتَوَفّٰى بقبض روحه مِنْ قَبْلُ اى قبل حال الشيخوخة وقبل حال

الاشدية او قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطاً + قوله تعالى لتبلغوا اشدكم متعلق قال الزمخشري
بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا اشدكم وكذلك لتكونوا واما قوله ولتبلغوا اي كل واحد
منكم اجلاً مسمى فمعناه ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيمة ولعلكم
تعقلون اي ما في ذلك من العبر والحجج وتستدلون بهذه الاحوال العجيبة على وحدانية الله تعالى
+ ولما ذكر تعالى انتقال الاجسام من كونها ترابا الى ان بلغت الشيخوخة واستدل بهذه التغيرات
على وجود الاله القادر اتبع قوله تعالى هو اي لا غيره الذي يحيي ويميت لما تشاهدونه في انفسكم
فكما ان الانتقال من صفة الى صفة اخرى من الصفات المتقدمة يدل على الاله القادر فكذلك
الانتقال من الحيوة الى الموت وبالعكس يدل على الاله القادر + ولما كانت ارادته لا تكون الا تامة
تسبب عن ذلك قوله تعالى فاذا قضى امرا اي اراد اي امر كان من القيمة او غيرها فانما يقول
له كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة وقرأ ابن عامر بنصب النون والباقون
بالرفع وتقدم توجيه ذلك في سورة البقرة ثم انه تعالى عاد الى ذم الذين يجادلون في آيات الله
بالباطل المكذبين به صلى الله عليه وسلم فقال الم تر اي يا انور الناس قلبا واصفاهم لبا الى الذين
يجادلون اي بالباطل في آيات الله اي الملك الاعظم انى اي كيف ومن اي وجه يصرفون
اي عن التصديق وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل والمجادل فيه او للتوكيد وقوله تعالى
الذين كذبوا يجوز ان يكون بدلا من الموصول قبله او بيانا او نعتا او خبر مبتدأ محذوف او منصوبا
على الذم بالكتاب اي بسببه في جميع ما له من الشؤن التي تفوق الحصر وهو القرآن او بجنس
الكتب السماوية وبما ارسلنا اي على ما لنا من العظمة به رسلنا اي من جميع الملل والشرائع
بكتاب كان او بغيره ولما تسبب عنه تهديدهم في قوله تعالى فسوف يعلمون اي بوعد صادق
لا خلف فيه ما يحل بهم من سطواتنا وقوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون
فان قيل سوف للاستقبال واذ للماضي فهو مثل قولك سوف اصوم امس اجيب بان
المعنى على اذا لان الامور المستقبلة لما كانت في اخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها
بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال قالوا وكما تقع اذ موقع اذا في قوله تعالى واذا راوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها كذلك تقع اذا موقعها وقوله تعالى والسلاسل عطف على الاغلال فتكون
في الاعناق والسلسلة مقرونة او مبتدأ خبره محذوف تقديره في ارجلهم وخبره يسحبون
والعائد محذوف اي بها والسحب الجر بعنف والسحاب من ذلك لان الريح تجره او لانه يجر الماء
في الحميم اي الماء الحار الذي يكسب الوجوه سوادا والاعراض عارا والارواح عذابا والاجسام نارا ثم
في النار يسجرون اي يلقون فيها وتوقد بهم مكردسين كما يسجر التنور بالحطب كما قال تعالى وقودها
الناس والحجارة والسجير الخليل الذي يسجر في مودة خليله كقولهم فلان محترق في مودة فلان
هذه كيفية عقابهم ثم قيل لهم تبكيتا اي بعد ان طال عذابهم وبلغ منهم كل مبلغ ولم يجدوا

ناصر يخلصهم ولا شافع يخلصهم أين وأكد التعبير عنهم بأداة ما لا يعقل في قوله تعالى ما كنتم أي
دائماً تشركون من دون الله أي معه وهي الأصنام قالوا ضلوا أي غابوا عنا فلا نراهم كما ضللنا نحن
في الدنيا عما ينفعنا وذلك قبل أن تقرن آلهتهم أو ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن
ندعوا أي لم يكن ذلك في طباعنا من قبل أي قبل هذه الإعادة شيئاً لنكون قد أشركنا به أنكروا
عبادتهم إياها كقولهم في سورة الأنعام والله ربنا ما كنا مشركين وقال الحسين بن الفضل أي لم نكن
نصنع من قبل شيئاً أي ضاعت عبادتنا لها كما يقول من ضاع عمله ما كنت أعمل شيئاً
ثم يقرنون بآلهتهم كما قال تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أي وقودها
كذلك أي مثل إضلال هؤلاء المكذبين يضل الله أي المحيط علماً وقدرة عن القصد النافع
من حجة وغيرها الكافرين أي الذين ستروا مرائي بصائرهم لئلا يتجلى فيها الحق ثم صار لهم ذلك
ديدناً ذلكم أي الجزاء العظيم بما كنتم أي دائماً تفرحون أي تبالغون في السرور وتستغرقون
فيه في الأرض بغير الحق من الإشراك وإنكار البعث فأشعر ذلك أن السرور لا ينبغي
إلا إذا كان مع كمال هذه الحقيقة وهي الثبات دائماً للمفروح به وذلك لا يكون إلا
في الجنة وبما أي وبسبب ما كنتم تمرحون أي تبالغون في الفرح مع الأشر والبطر والنشاط
الموجب للاختيال والتبختر والخفة بعدم احتمال الفرح + تنبيه + قوله تعالى تفرحون وتمرحون
من باب التجنيس المحرف وهو أن يقع الفرق بين اللفظين بحرف + ولما كان السياق لذم الجدال
وكان الجدال إنما يكون عن الكبر قال تعالى ادخلوا أي أيها المكذبون أبواب جهنم أي الأبواب
السبعة المقسومة لكم قال تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وسميت جهنم لأنها
تلقى صاحبها بتكبر وعبوس وتجهم خالدين فيها أي مقدرين الخلود فبئس مثوى أي مأوى
المتكبرين أي عن الحق والمخصوص بالذم محذوف أي مثواكم فإن قيل كان قياس النظم أن يقول
فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زرت بيت الله فنعم المزار وصليت في المسجد فنعم المصلى أجيب
بأن الدخول لا يدوم وإنما يدوم الثوى فلذلك خصه بالذم وإن كان الدخول أيضاً مذموماً
+ ولما زيف تعالى طريقة المجادلين في آيات الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر بقوله فاصبر
أي على أذاهم بسبب المجادلة وغيرها إن وعد الله أي الجامع لصفات الكمال حق أي بنصرتك
في الدارين فلا بد من وقوعه فإما نرينك قال الزمخشري أصله فإن نرك وما مزيدة لتأكيد
معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول إن تكرمني أكرمك ولكن إما تكرمني أكرمك
قال أبو حيان وما ذكره من تلازم النون وما الزائدة ليس مذهب سيبويه إنما هو مذهب
المبرد والزجاج ونص سيبويه على التخيير بعض الذي نعدهم به من العذاب في حياتك
وجواب الشرط محذوف أي فذاك أو نتوفينك أي قبل تعذيبهم فإلينا يرجعون أي فنعذبهم
أشد العذاب فالجواب المذكور للمعطوف فقط ولقد أرسلنا أي بما لنا من العظمة رسلاً

اى بعثة من قبلك اى اممهم ليبلغوا عنا ما امرناهم به منهم من قصصنا بما لنا من العظمة عليك
اى اخبارهم واخبار اممهم ومنهم من لم نقصص عليك لا اخبارهم ولا اخبار اممهم ولا ذكرناهم لك
باسمائهم وان كان لنا العلم التام والقدرة الكاملة روى ان الله تعالى بعث ثمانية آلاف
نبى اربعة آلاف من بنى اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس وما اى ارسلناهم والحال انه ما
كان لرسول اصلا ان يأتى بآية اى ملجئة او غير ملجئة مما يطلب الرسول استعجالا لاتباع قومه له
او اقترحها من قومه عليه الا باذن الله اى بامره وتمكينه فان له الاحاطة بكل شئ فلا يخرج شئ
عن امره وهم عبيد مربوبون * تنبيه * معنى الآية ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم انت
كالرسل من قبلك وقد ذكرنا حال بعضهم لك ولم نذكر حال الباقين وليس منهم احد اعطاه الله
آيات ومعجزات الا وقد جادله قومه وكذبوه فيها فصبروا وكانوا ابدا يقترحون على انبيائهم
عليهم السلام اظهار المعجزات الزائدة على الحاجة عنادا وعبثا وما كان لرسول ان يأتى بآية الا
باذن الله تعالى والله سبحانه علم الصلاح فى اظهار ما اظهروه دون غيره ولم يقدح ذلك فى نبوتهم
فكذلك الحال فى اقتراح قومك عليك المعجزات الزائدة لما لم يكن اظهارها صلاحا لا جرم ما اظهرناها
فاذا جاء امر الله اى المحيط بكل شئ قدرة وعلما بنزول العذاب على الكفار قضى اى بامره على
السوى وجه واسهله بين الرسل ومكذبيهم بالحق اى الامر الثابت وخسر هنالك اى فى ذلك الوقت
العظيم المبطلون اى المنسوبون الى ايثار الباطل على الحق المعاندون الذين يجادلون فى آيات الله
فيقترحون المعجزات الزائدة على قدر الحاجة تعنتا وعبثا وقرأ قالون والبزى وابو عمرو باسقاط
الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل ورش وقنبل الهمزة الثانية وابدلاها ايضا الفا وقرأ
الباقون بتحقيق الهمزتين * ولما ذكر تعالى الوعيد عاد الى ذكر ما يدل على وجود الاله القادر
الحكيم والى ذكر ما يصلح ان يعد انعاما على العباد فقال تعالى الله اى الملك الاعظم الذى جعل
لكم اى لا غيره الانعام اى الازواج الثمانية بالتذليل والتسخير وقال الزجاج الانعام الابل خاصة
لتركبوا منها وهى الابل مع قوتها وتقوتها وقد تركب البقر ايضا ومنها اى من الانعام كلها تأكلون
ولما كان التصرف فيها غير منضبط اجمله بقوله تعالى ولكم فيها اى كلها منافع اى كثيرة بغير
ذلك من الدر والوبر والصوف وغيرها ولتبلغوا عليها وهى فى غاية الذل والطواعية ونبهم
على نقصهم وعظم نعمته عليهم بقوله تعالى حاجة وقوله تعالى فى صدوركم اشارة الى ان
حاجة واحدة ضاقت عنها قلوب الجميع حتى فاضت منها فملأت مساكنها وعليها اى
الابل فى البر وعلى الفلك اى فى البحر تحملون اى تحملون امتعتكم الثقيلة من مكان
الى مكان آخر واما حمل الانسان نفسه فقد مر بالركوب فان قيل لم يقل وفى الفلك كما
قال تعالى فى سورة هود قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين اجيب بان كلمة على للاستعلاء
فالشئ الذى يوضع على الفلك كما صح ان يقال وضع فيه صح ان يقال وضع عليه ولما صح

الوجهان كانت لفظة على اولى حتى تتم المزاوجة في قوله تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون وقال بعضهم
ان لفظة في هاهنا اليق لان سفينة نوح عليه السلام كما قيل مطبقة عليهم وهي محيطة بهم كالوعاء
واما غيرها فالاستعلاء فيه واضح لان الناس على ظهرها ، ولما كانت هذه آية عظيمة جعلها الله سبحانه
وتعالى مشتملة على آيات كثيرة قال تعالى ﴿وَيُرِيكُمْ﴾ اي في كل لحظة ﴿آيَاتِهِ﴾ اي دلائل قدرته ﴿فَأَيَّ
آيَاتِ اللَّهِ﴾ اي المحيط بصفات الكمال الدالة على وحدانيته ﴿تُنكِرُونَ﴾ حتى تتوجه لكم المجادلة في آياته وهذا
استفهام توبيخ ، تنبيه ، اي منصوب بتنكرون وقدم وجوبا لان له صدر الكلام وتذكيره اشهر
من تأنيثه قال الزمخشري وقولك فاية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء
غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهو في اي اغرب لابهامه قال ابو حيان ومن قلة تأنيث اي
قول الشاعر ، باي كتاب ام باية سنة ، ترى حبهم عارا علي وتحسب ، قال ابن عادل وقوله وهو
في اي اغرب ان عنى ايا على الاطلاق فليس بصحيح لان المستفيض في النداء ان تؤنث في نداء المؤنث
كقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ولا نعلم احدا ذكر تذكيرها فيه فيقول يا ايها المرأة الا صاحب
البديع في النحو وان عنى غير المناداة فكلامه صحيح يقل تأنيثها في الاستفهام وموصولة وشرطية
، ولما وصل الامر الى حد من الوضوح لا يخفى على احد تسبب عن افتتان الخطاب عنهم دلالة على
الغضب الموجب للعقاب المقتضي للرهب فقال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ اي هؤلاء الذين هم اضل
من الانعام لما حصل في صدورهم من الكبر العظيم طلبا للرياسة والتقدم على الغير في المال والجاه
﴿فِي الْأَرْضِ﴾ اي ارض كانت سير اعتبار ﴿فَيَنظُرُوا﴾ اي نظر تفكر فيما سلكوه من سبلها ونواحيها ﴿كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ﴾ اي آخر ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ اي مع قرب الزمان والمكان او بعد ذلك
﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ عددا وعددا ومالا وجاها ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ في الابدان كقوم هود
عليه السلام وبناء ﴿وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ بنحت البيوت في الجبال وحفر الآبار وبناء المصانع
الجليلة وغير ذلك ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ بقوة ابدانهم وعظم عقولهم ولقيا[لهم]
وما رتبوا من المصانع لبقائهم حين جاءهم الموت بل كانوا كامس الذاهب ، تنبيه ،
ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به ﴿فَلَمَّا
جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ اي الذين قد ارسلناهم اليهم وهم يعرفون صدقهم وامانتهم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾
اي المعجزات الظاهرات الدالة على صدقهم لا محالة واختلف في عود ضمير في قوله تعالى ﴿فَرِحُوا
بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ على وجهين احدهما انه عائد الى الكفار واختلف في ذلك العلم الذي فرحوا
به فقيل هو الاشياء التي كانوا يسمونها علما وهي الشبهات المحكية عنهم في القرآن كقولهم وما يهلكنا الا الدهر
وقولهم لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقولهم من يحيي العظام وهي رميم ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها
منقلبا فكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به علوم الانبياء كما قال تعالى كل حزب بما لديهم فرحون
وقيل المراد علم الفلاسفة فانهم كانوا اذا سمعوا وحي الله تعالى دفعوه وصغروا علم الانبياء

عن علومهم كما روى عن بقراط انه سمع بمجئ بعض الانبياء عليهم السلام فقيل له لو هاجرت اليه
فقال نحن قوم مهتدون فلا حاجة بنا الى من يهدينا وقيل المراد علمهم بامر الدنيا ومعرفتهم
بتدبيرها كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم
فلما جاءت الرسل عليهم السلام بعلوم الديانات ومعرفة الله عز وجل ومعرفة المعاد وتطهير النفس
من الرذائل لم يلتفتوا اليها واستهزؤا بها واعتقدوا ان لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا
به ويجوز ان يكون المراد علم الانبياء وفرح الكفار به ضحكهم واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى وحاق
اي احاط على وجه الشدة بهم ما كانوا به يستهزؤن اي من الوعيد الذي كانوا قاطعين ببطلانه
والوجه الثاني انه عائد على الرسل وفيه وجهان احدهما ان تفرح الرسل اذا رأوا من قوم جهلا
كاملا واعراضا عن الحق وعلموا سوء غفلتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واعراضهم
فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله تعالى وحاق بالجاهلين جزاء جهلهم واستهزائهم الثاني
ان المراد ان الرسل فرحوا بما عند الكفار من العلم فرح ضحك واستهزاء فلما رأوا اي عاينوا بأسنا
اي عذابنا الشديد ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا آمنا بالله اي الذي له مجامع العظمة
ومعاقد العز ونفوذ الكلمة وحده لا نشرك به شيئا وكفرنا بما كنا اي جبلة وطبعا به مشركين
يعنون الاصنام اي لانا علمنا انه لا يغني من دون الله شئ + ولما كان الكفر بالغيب سببا لعدم قبول
الايمان عند الشهادة قال تعالى فلم يك ينفعهم اي لم يصح ولم يقبل بوجه من الوجوه ايمانهم
اي لا يجدد لهم نفعه بعد ذلك لانه ايمان الجاء واضطرار لا ايمان طواعية واختيار لما رأوا واظهر
موضع الاضمار زيادة في الترهيب فقال تعالى شانه بأسنا اي عذابنا لامتناع قبول الايمان حينئذ
لانه لا يتحقق ولا يتصور الا مع الغيب واما عند الشهادة فقد كشفت سريرته على انه قد فاتت
حقيقته وصورته ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فان قيل اي فرق بين قوله تعالى فلم يك ينفعهم
ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم اجيب بانه من كان في نحو قوله تعالى ما كان لله
ان يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم فان قيل كيف ترادفت هذه
الفاآت اجيب بان قوله تعالى فما اغنى عنهم نتيجة قوله تعالى كانوا اكثر منهم واما قوله تعالى فلما جاءتهم
رسلهم فجار مجرى البيان والتفسير لقوله تعالى فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف
فلم يحسن الى الفقراء وقوله تعالى فلما رأوا بأسنا تابع لقوله تعالى فلما جاءتهم كانه قال
فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا فكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله
تعالى وقوله تعالى سنت الله اي الملك الاعظم يجوز انتصابها على المصدر المؤكد لمضمون الجملة
اي الذي فعله الله تعالى بهم سنة سابقة من الله تعالى ويجوز انتصابها على التحذير اي احذروا
سنة الله تعالى في المكذبين التي قد خلت في عباده وتلك السنة انهم اذا عاينوا العذاب آمنوا
ولم ينفعهم ايمانهم فائدة + رسمت سنة بتاء مجرورة ووقف عليها ابن كثير وابو عمرو

والكسائي بالهاء والباقون بالتاء وامال الكسائي الهاء في الوقف وَخَسِرَ اي هلك اي تحقق وتبين انه خسر هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ اي المعريقون في هذا الوصف فلا انفكاك بينهم وبين الكفر تنبيه هنالك في الاصل اسم مكان قيل استعير هنا للزمان ولا حاجة له فالمكانية فيه ظاهرة وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له حديث موضوع وعن ابن سيرين راى رجل في المنام سبع جوار حسان في مكان واحد لم ير احسن منهن فقال لهن لمن انتن فقلن لمن يقرأ آل حم

صح

سورة حم السجدة مكية

وتسمى فصلت وهي اربع وخمسون اية وسبعمائة وتسعة وتسعون كلمة وثلاثة الاف وثلثمائة وخمسون حرفا بِسْمِ اللهِ الذي له اوصاف الكمال الرَّحْمٰنِ الذي وسع كل شيء رحمة وعلما الرَّحِيْمِ الذي فصل الكتاب تفصيلا وبينه غاية البيان وتقدم الكلام على قوله تعالى حٰمٓ ثم ان جعلتها اسما للسورة كانت في موضع الابتداء وخبره تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدأ محذوف اي هذا تنزيل وقال الاخفش تنزيل رفع بالابتداء وخبره كِتٰبٌ فصلت وجرى على ذلك الجلال المحلي فُصِّلَتْ اي بينت اٰيٰتُهٗ بالاحكام والقصص والمواعظ بيانا شافيا في اللفظ والمعنى حال كونه قُرْاٰنًا اي جامعا مع التفصيل وهو مع جمع اللفظ وضبط منثور اللؤلؤ منتشر المعاني لا الى حد ولا نهاية عند بل كلما دقق النظر جل المفهوم ولذلك قال تعالى عَرَبِيًّا لان لسان العرب اوسع الالسن ساحة واعمقها عمقا واغمرها باحة وارفعها بناء وافصحها لفظا وابينها معنى واجلها في النفوس وقعا وفي ذلك امتنان لسهولة قرأته وفهمه وقوله تعالى لِّقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَ اي العربية او لاهل العلم وهو النظر وهو متعلق بفصلت اي فصلت لهؤلاء وبينت لهم لانهم هم المنتفعون بها وان كانت مفصلة في نفسها لجميع الناس ويجوز ان يكون صفة لقرانا اي كائنا لهؤلاء خاصة لما تقدم من المعنى تنبيه حكم الله على هذه السورة باشياء اولها كونها تنزيلا والمراد المنزل والتعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور كقولك هذا بناء الامير اي مبنيه وهذا الدرهم ضرب السلطان اي مضروبه ومعنى كونها منزلة ان الله تعالى كتبها في اللوح المحفوظ وامر جبريل عليه السلام ان يحفظ الكلمات ثم ينزل بها على محمد صلى الله عليه وسلم ويؤديها اليه فلما حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة جبريل عليه السلام سمي لذلك تنزيلا وثانيها كون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم وذلك يدل على ان ذلك التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى لان الفعل المقرون بالصفة لا بد وان يكون مناسبا لتلك الصفة فكونه تعالى رحمانا رحيما صفتان دالتان على كمال الرحمة والتنزيل المضاف الى هاتين الصفتين لا بد وان يكون دالا على اعظم وجوه الرحمة والنعمة والامر كذلك لان الخلق في هذا العالم كالمرضى

والمتاجين والقرآن مشتمل على كل ما يحتاج اليه المرضى من الادوية وعلى ما يحتاج اليه الاصحاء
من الاغذية فكان اعظم النعم من الله تعالى على اهل هذا العالم انزال القرآن عليه وثالثها كونه
كتابا وهذا الاسم مشتق من الكتب وهو الجمع فسمى كتابا لانه جمع فيه علوم الاولين والآخرين
ورابعها قوله تعالى فصلت آياته اى ميزت وجعلت تفاصيل فى معان مختلفة فبعضها وصف
ذات الله تعالى وصفات التنزيه والتقديس وشرح كمال قدرته وعلمه وحكمته ورحمته وعجائب
احوال خلقه من السموات والكواكب وتعاقب الليل والنهار وعجائب احوال النبات والحيوان
والانسان وبعضها فى المواعظ والنصائح وبعضها فى تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها
فى قصص الانبياء عليهم السلام وتواريخ الماضين وبالجملة فمن انصف علم انه ليس فى بدء الخلق
كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة مثل ما فى القرآن وخامسها قوله تعالى قرآنا وقد مر توجيه هذا الاسم
وسادسها قوله تعالى عربيا اى انما نزل بلغة العرب ويؤيده قوله تعالى وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه وسابعها قوله تعالى لقوم يعلمون اى جعلناه قرآنا لاجل انا انزلناه على قوم عرب
بلغتهم ليفهموا منه المراد وثامنها وتاسعها قوله تعالى بَشِيرًا اى لمن اتبع وَنَذِيرًا اى لمن امتنع
وانقطع وعاشرها قوله تعالى فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ اى عن تدبره وقبوله فَهُمْ لذلك لَا يَسْمَعُونَ
اى يفعلون فعل من لم يسمع لانهم لا يسمعون سماع تامل وطاعة فهذه اوصاف عشر وصف الله
تعالى القرآن بها واحتج القائلون بخلق القرآن بهذه الآية من وجوه اولها انه تعالى وصف القرآن
بكونه منزلا وتنزيلا والمنزل والتنزيل مشعر بالتغير من حال الى حال فوجب ان يكون مخلوقا
ثانيها ان التنزيل مصدر وهو المفعول المطلق باتفاق النحويين ثالثها ان المراد بالكتاب اما الكتاب وهو
المصدر الذى هو المفعول المطلق واما المكتوب الذى هو المفعول رابعها ان قوله تعالى فصلت آياته
يدل على ان متصرفا تصرف فيه بالتفصيل وذلك لا يليق بالقديم خامسها انما سمى قرآنا لانه قرن
بعض اجزائه ببعض وذلك يدل على كونه مفعول فاعل ومجعول جاعل سادسها وصفه بكونه
عربيا وانما صحت هذه النسبة لان هذه الالفاظ انما دلت على هذه المعانى بحسب وضع العرب
واصطلاحاتهم وما حصل بجعل جاعل وفعل فاعل فلابد وان يكون محدثا ومخلوقا واجاب اهل
السنة بان كل هذه الوجوه المذكورة عائدة الى اللغات والى الحروف والكلمات وهى حادثة وذهب قوم الى
ان فى القرآن من سائر اللغات كالاستبرق والسجيل فانهما فارسيان والمشكاة فانها حبشية والقسطاس
فانه لغة الروم وهذا فاسد لقوله تعالى قرآنا عربيا وقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
+ ولما وصف الله تعالى القرآن بانهم اعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه بين انهم صرحوا بهذه النفرة وذكروا
ثلاثة اشياء مذكورة عنهم فى قوله تعالى وَقَالُوا اى عند اعراضهم ممثلين فى عدم قبولهم
قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ اى اغشية محيطة بها والاكنة جمع كنان كالاغطية جمع غطاء والكنان هو الذى
يجعل فيه السهام والمعنى لا نفقه ما تقول مِمَّا تَدْعُونَا ايها المخبر بانه نبى إِلَيْهِ فلا سبيل

الى الوصول اليها لتفقهه اصلا فان قيل هلا قالوا على قلوبنا اكنة كما قالوا وفي اذاننا اى التي نسمع
بها وهي احد الطرق الموصلة الى القلوب وقر اى ثقل قد اصمها عن سماعه ليكون على نمط
واحد اجيب بانه على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا
اكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ولو قيل انا جعلنا قلوبهم في اكنة
لم يختلف المعنى والمعنى انا في ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع ومن بيننا وبينك
حجاب اى حاجز من جبل او نحوه فلا تلاقي ولا ترائي فاعمل اى على دينك اننا عاملون على ديننا
او فاعمل في ابطال امرنا انا عاملون في ابطال امرك فان قيل هل لزيادة من في قولهم
من بيننا وبينك حجاب فائدة اجيب بنعم لانهم لو قالوا وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان
حجابا حاصل وسط بين الجهتين واما بزيادة من فالمعنى ان الحجاب ابتداء منا وابتداء منك فالمسافة
المتوسطة لجهتنا وجهتك كلها مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولما اخبروا باعراضهم وعللوا بعدم
فهمهم لما يدعوا اليه امر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بجواب يبين انهم على محض
العناد فقال تعالى قل اى لهؤلاء الذين عجزوا عن رد شئ من امرك بشئ يقبله ذو عقل فادعوا
ما ينادي عليهم بالعجز انما انا بشر مثلكم اى لست غير بشر مما لا يرى كالملك والجني بل واحد منكم
والبشر يرى بعضهم بعضا ويسمعه ويبصره فلا وجه لما تقولونه اصلا يوحى الي اى بطريق تخفى عليكم
ولولا الوحي ما دعوتكم انما الهكم اى الذي يستحق العبادة اله واحد لا غير واحد وهذا ما دلت عليه
الفطرة الاولى السوية وقامت عليه الادلة العقلية وايدتها في كل عصر الطرق النقلية وانعقد عليه
الاجماع في اوقات الضرورة النفسانية قال الحسن علمه الله تعالى التواضع ولما قطع حجتهم وازال
علتهم تسبب عن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فاستقيموا اليه اى غير معوجين اصلا على نوع
شرك بشفيع ولا غيره وعدى بالى لتضمنه معنى توجهوا والمعنى وجهوا استقامتكم اليه بطاعته
ولا تميلوا عن سبيله واستغفروه اى اطلبوا منه غفران ذنوبكم وهو محوها عينا واثرا حتى
لا تعاقبوا عليها ولا تعاتبوا بالندم عليها والاقلاع عنها حالا ومآلا ثم هدد على ذلك فقال
وويل كلمة عذاب او واد في جهنم للمشركين اى من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله تعالى الذين
لا يؤتون الزكوة اى لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وهم بالآخرة
اى الحيوة التي بعد هذه ولا بعد لها هم كافرون واحتج من قال ان الكفار مخاطبون بفروع
الشريعة بهذه الآية فقالوا ان الله تعالى توعدهم بامرين احدهما كونهم مشركين والثاني لا يؤتون
الزكوة فوجب ان يكون لكل واحد من هذين تاثير في حصول الوعيد وذلك يدل على ان
لعدم ايتاء الزكوة مع الشرك تاثيرا عظيما في زيادة الوعيد وهو المطلوب فان قيل لم خص تعالى
من اوصاف المشركين منع الزكوة مقرونا بالكفر بالآخرة اجيب بان احب شئ الى الانسان
ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته واستقامته

وصدق نيته وخلوص طويته الا ترى الى قوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة
الله وتثبيتا من انفسهم اى يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة
قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكوة فنصبت لهم الحروب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين
على اداء الزكوة وتخويف شديد فى منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر
بالاخرة وقال ابن عباس هم الذين لا يقولون لا اله الا الله وهى زكوة الانفس والمعنى لا يطهرون
انفسهم من الشرك بالتوحيد وقال الحسن وقتادة لا يقرون بالزكوة ولا يرون ايتاءها واجبا
وكان يقال الزكوة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقال الضحاك ومقاتل
لا ينفقون فى الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم + ولما ذكر تعالى ما للجاهلين
وعيدا وتهديدا ذكر ما لاضدادهم وعدا وتبشيرا فقال تعالى مجيبا لمن تشوق لذلك مؤكدا لانكار
من ينكره ﴿انَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا﴾ اى بما اتاهم الله تعالى من العلم النافع ﴿وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ﴾ من الزكوة وغيرها
من انواع الطاعات ﴿لَهُمْ اَجْرٌ﴾ اى عظيم ﴿غَيْرُ مَمْنُوْنٍ﴾ اى غير مقطوع جزاء على سماحهم بالفانى
اليسير من اموالهم فى الزكوة وغيرها وما امر الله تعالى من اقوالهم وافعالهم فى الاخرة والدنيا
والممنون المقطوع من مننت الحبل اذا قطعته ومنه قولهم قد منه السفر اى قطعه وقال مقاتل
غير منقوص ومنه المنون لانه ينقص منه الانسان وقوته وانشد والذى الاصبع العدوانى
انى لعمرك ما بابى بذى غلق + على الصديق ولا خيرى بممنون + وقيل غير ممنون به عليهم
لان عطاء الله تعالى لا يمن به انما يمن المخلوق وقال السدى نزلت فى المرضى والزمنى اذا عجزوا
عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون فيه روى عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان العبد اذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به
اكتب له مثل عمله اذا كان طليقا حتى اطلقه او اكفته الى ولما ذكر سبحانه وتعالى سفههم فى كفرهم
بالاخرة شرع فى ذكر الادلة على قدرته عليها وعلى كل ما يريد بخلق الاكوان وما فيها الشامل
لهم ولمعبوداتهم من الجمادات وغيرها الدال على انه واحد لا شريك له فقال منكرا عليهم
ومقبحا بالوصف لانهم كانوا عالمين باصل الخلق ﴿قُلْ﴾ يا اشرف الرسل لمن انكر الخلق منكرا عليه
بقوله ﴿ائِنَّكُمْ﴾ واكد لانكارهم التصريح بما يلزمهم من الكفر بقوله تعالى ﴿لَتَكْفُرُوْنَ﴾ اى توجدون
حقيقة الستر لانوار العقول الظاهرة ﴿بِالَّذِىْ خَلَقَ الْاَرْضَ﴾ اى على سعتها وعظمها من العدم
﴿فِىْ يَوْمَيْنِ﴾ فتنكرون قدرته على اعادة ما خلقه منها ابتداء مع اعترافكم بانه ابتدأ خلقها وخلق
ذلك منها وهذان اليومان الاحد والاثنين كما قاله ابن عباس وعبد الله بن سلام قال ابن الجوزى
والاكثرون قال ابن عباس ان الله خلق يوما فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا
فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس فخلق الله الارض فى يوم

الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء ولذلك يقول الناس انه يوم ثقيل وخلق مواضع الانهار والشجر والقرى يوم الاربعاء وخلق الطير والوحش والسباع والهوام والآفة يوم الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم السبت ولكن في حديث مسلم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل فان قيل الايام انما كانت بدوران الافلاك وانما كان ذلك بعد تمام الخلق بالفعل اجيب بان المراد في مقدار يومين ونوبتين خلق في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون قال البيضاوي ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعها وكفرهم به الحادهم في ذاته تعالى وصفاته وقرأ قالون وابو عمرو وهشام بتسهيل الثانية بخلاف عن هشام وادخلوا بين الهمزة المحققة والمسهلة الفا وورش وابن كثير بتسهيل الثانية من غير ادخال والباقون بتحقيقهما من غير ادخال + ولما ذكر كفرهم بالبعث وغيره عطف على تكفرون قوله تعالى وَتَجْعَلُونَ اي مع هذا الكفر لَهُ أَنْدَادًا من الخشب المنجور ومن الحجر المنحوت شركاء في المعبودية ولما بكتهم على قبح معتقدهم عظم ذلك بتعظيم شانه سبحانه فقال تعالى ذَٰلِكَ اي الاله العظيم رَبُّ الْعَالَمِينَ اي موجدهم ومربيهم وذلك يدل قطعا على جميع ما له من صفات الكمال + ولما ذكر تعالى ما هم به مقرون من ابداعها اتبعه بثلاثة انواع من الصنع العجيب الفعل البديع بعد ذلك فالاول قوله تعالى وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ اي جبالا ثوابت وهو مستأنف لا يجوز عطفه على صلة الموصول للفصل بينهما باجنبي وهو قوله تعالى وتجعلون فانه معطوف على لتكفرون كما مر فان قيل ما الفائدة في قوله تعالى مِنْ فَوْقِهَا ولم يقتصر قوله وجعل فيها رواسي كما اقتصر على قوله تعالى فيها رواسي شامخات وقوله تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بكم وقوله تعالى وجعل فيها رواسي اجيب بانه تعالى لو قال وجعل لها رواسي من تحتها لاوهم ذلك ان تلك الاساطين التحتانية هي التي امسكت هذه الارض الثقيلة عن النزول ولكنه تعالى قال جعلت هذه الجبال الثقال فوق الارض ليرى الانسان بعينه ان الارض والجبال الثقال على اثقال وكلها مفتقرة الى ممسك وحافظ وما ذاك الحافظ المدبر الا الله تعالى + ولما هيأ الارض لما يراد منها ذكر ما اودعها وهو النوع الثاني بقوله تعالى وَبَارَكَ فِيهَا اي بما خلق من البحار والانهار والاشجار والثمار وغير ذلك وقال ابن عباس يريد شق الانهار وخلق الجبال وخلق الاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه من الحيوانات + النوع الثالث قوله تعالى وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا اي اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به وقال محمد بن كعب قدر الاقوات قبل ان يخلق الخلق والابدان

اى اقواتا نشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها فاضاف القوت الى الارض
لكونه متولدا من تلك الارض حادثا فيها لان النحاة قالوا يكفى فى حسن الاضافة ادنى سبب فالشئ
يضاف الى فاعله تارة والى محله اخرى اى قدر الاقوات التى يختص حدوثها بها وذلك لانه تعالى
جعل كل بلدة معدة لنوع من الاشياء المطلوبة حتى ان اهل هذه البلدة يحتاجون الى الاشياء
المتولدة فى تلك البلدة وبالعكس فصار هذا المعنى سببا لرغبة الناس فى التجارات واكتساب
الاموال لتنتظم عمارة الارض كلها باحتياج بعضهم الى بعض فكان جميع ما تقدم من ابداعها
وابداع ما ذكر من متاعها دفعة واحدة على مقدار لا يتعداه ومنهاج بديع دبره فى الازل ارتفاعا
وقدره فامضاه لا ينقص عن حاجة المحتاجين اصلا وانما ينقص توصلهم وتوصل بعضهم اليه
فلا يجد له حينئذ ما يكفيه وفى الارض اضعاف اضعاف كفايته ثم ذكر مدة خلق الارض وما فيها
فقال تعالى ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ اى مع اليومين الماضيين كقولك بنيت بيتى فى يوم واكملته فى يومين اى
بالاول وقال ابو البقاء فى تمام اربعة ايام ولولا هذا التقدير لكانت ثمانية يومان فى الاول وهو
قوله تعالى خلق الارض فى يومين ويومان فى الآخر وهو قوله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين
واربعة فى الوسط وهو قوله تعالى فى اربعة ايام فان قيل انه تعالى ذكر خلق الارض فى يومين فلو ذكر
انه خلق هذه الانواع الثلاثة الباقية فى يومين آخرين كان ابعد عن الشبهة وعن الغلط فلم ترك
التصريح بذكر الكلام المجمل اجيب بان قوله تعالى فى اربعة ايام ﴿سَوَاءً﴾ اى استوت الاربعة استواء
لا يزيد ولا ينقص فيه فائدة زائدة على ما اذا قال خلقت هذه الثلاثة فى يومين لانه لو قال تعالى
خلقت هذه الاشياء فى يومين لا يفيد هذا الكلام كون اليومين مستغرقين بتلك الاعمال لانه قد
يقال عملت هذا العمل فى يومين مع ان اليومين ما كانا مستغرقين بذلك العمل بخلافه لما ذكر
خلق الارض وخلق هذه الاشياء ثم قال فى اربعة ايام سواء دل على ان هذه الايام الاربعة صارت
مستغرقة فى تلك الاعمال من غير زيادة ولا نقصان ولم يفعل تعالى ذلك فى اقل من لمح البصر
مع تمام القدرة عليه لان هذا ادل على الاختيار وادخل فى الابتلاء مع الاختيار ليضل به كثيرا ويهدى
به كثيرا فيكون اعظم لاجورهم لانه ادل على تسليمهم وجعل مدة خلقها ضعف مدة خلق السموات
مع كونها اصغر من السموات دلالة على انها هى المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين الانس والجن
ولما فيها من كثرة المنافع وتباين اصناف الاعراض والجواهر لان ذلك ادخل فى المنة على
سكانها والاعتناء بشانهم وشانها وزادت ايضا لما فيها من الابتلاء بالمعاصى والمجاهدات والمجادلات
والمعالجات كل ذلك دلالة على ان المدة ما هى لاجل القدرة بل لاجل التنبيه على ما فى القدرة من المقدورات
وعجائب الامور قال البقاعى ولعل تخصيص السماء بقصر المدة دون العكس لاجراء امورها على ما
نتعارفه من ان بناء السقف اخف من بناء البيت تنبيها على انه بنى امور دارنا هذه على الاسباب
تسنينا للتأنى وتدريبا للسكينة والبعد عن العجلة وقوله تعالى ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق

بسواء بمعنى مستويات للسائلين ثانيها انه متعلق بقدر ای قدر فيها اقواتها لاجل الطالبين لها
المحتاجين المقتاتين ثالثها انه متعلق بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سأل فی كم خلقت الارض
وما فيها ولما كانت السموات اعظم من الارض فی ذاتها باتساعها وزينتها ودوران فلكها وارتفاعها
نبه على ذلك بالتعبير باداة التراخی ولفظ الاستواء وحرف الغاية الدال على عظم الغاية فقال تعالى
ثُمَّ اسْتَوٰى ای قصد قصداً هو القصد منتهيا قصده اِلَى السَّمَآءِ وَهِيَ ای والحال انها دُخَانٌ قال
المفسرون هذا الدخان بخار الماء وذلك ان عرش الرحمن كان على الماء قبل خلق السموات والارض
كما قال تعالى وكان عرشه على الماء ثم ان الله تعالى احدث فی ذلك الماء اضطرابا فازبد وارتفع فخرج
منه دخان فاما الزبد فبقی على وجه الماء فخلق منه اليبوسة واحدث منه الارض واما الدخان
فارتفع وعلا فخلق منه السموات فان قيل هذه الآية مشعرة بان خلق الارض كان قبل خلق
السموات وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الارض بعد خلق السموات وذلك
يوجب التناقض أجيب بان المشهور انه تعالى خلق الارض اولا ثم خلق بعدها السموات ثم بعد خلق
السماء دحا الارض ومدها وحينئذ فلا تناقض قال الرازی وهذا الجواب مشكل لان الله تعالى
خلق الارض فی يومين ثم انه فی اليوم الثالث جعل فيها رواسی من فوقها وبارك فيها وقدر
فيها اقواتها وهذه الاحوال لا يمكن ادخالها فی الوجود الا بعد ان صارت الارض منبسطة
ثم انه تعالى قال بعد ذلك ثم استوى الى السماء فهذا يقتضی ان الله تعالى خلق السماء بعد خلق
الارض وبعد ان جعلها مدحوة وحينئذ يعود السؤال ثم قال والمختار عندی ان يقال خلق
السماء مقدم على خلق الارض وتاويل الآية ان يقال الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد
والدليل عليه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون
فلو كان الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين لصار تقدير الآية اوجده من تراب ثم قال له كن
فيكون وهذا محال فثبت ان الخلق ليس عبارة عن الايجاد والتكوين بل عبارة عن التقدير
والتقدير فی حق الله تعالى هو كلمته بان سيوجده واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى خلق الارض
فی يومين معناه انه قضى بحدوثها فی يومين وقضاء الله تعالى انه سيحدث كذا فی مدة كذا لا يقتضی
حدوث ذلك الشیء فی الحال فقضاء الله تعالى بحدوث الارض فی يومين قد تقدم على احداث
السماء وحينئذ يزول السؤال فَقَالَ لَهَا ای للسماء عقب الاستواء وَلِلْاَرْضِ ائْتِيَا ای تعاليا واقبلا
منقادتين وقوله تعالى طَوْعًا اَوْ كَرْهًا مصدران فی موضع الحال ای طائعتين او كارهتين قَالَتَآ اَتَيْنَا
ای نحن وما فينا وما بيننا طَآئِعِيْنَ ای اتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته فی المقدورات
لا غير من غير ان يحقق شيئاً من الخطاب والجواب فی نحو ذلك قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقنی
قال الوتد سل من يدقنی فان قيل هلا قال طائعتين على اللفظ او طائعات على المعنى
لانهما سموات وارضون أجيب بانه لما جعلهن مخاطبات ومجيبات ووصفهن بالطوع

والكره قال طائعين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين + تنبيه + جمع الامر لهما في الاخبار لا يدل
على جمعهما في الزمان بل قد يكون القول لهما متعاقبا فان قيل ان الله تعالى امر السماء والارض
فاطاعتا كما ان الله تعالى انطق الجبال مع داود عليه السلام فقال تعالى يا جبال اوّبي معه والطير
وانطق الايدي والارجل فقال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
وقوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شئ واذا كان كذلك
فكيف يستبعد ان يخلق الله تعالى في ذات السموات والارض حياة وعقلا ثم يوجه الامر والتكليف
عليهما ووجه هذا بوجوه الاول ان الاصل حمل اللفظ على ظاهره الا ان يمنع منه مانع وههنا
لا مانع الثاني انه تعالى جمعهما جمع العقلاء فقال تعالى قالتا اتينا طائعين الثالث قوله تعالى انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وهذا يدل على كونها عارفة
بالله تعالى عالمة بتوجه تكليف الله تعالى واجاب الرازي عن هذا بان المراد من قوله تعالى ائتيا
طوعا او كرها الاتيان الى الوجود والحدوث والحصول وعلى هذا التقدير فحال توجه هذا الامر
كانت السموات والارض معدومة اذ لو كانت موجودة لم يجز فثبت ان حال توجه هذا الامر
كانت السموات والارض معدومة واذا كانت معدومة لم تكن عارفة ولا فاهمة للخطاب فلم يجز
توجه الامر اليهما فان قيل روى مجاهد وطاوس عن ابن عباس انه قال قال الله للسموات والارض
اخرجا ما فيكما من المنافع لمصالح العباد اما انت يا سماء فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك وانت
يا ارض فشقي انهارك واخرجي ثمارك ونباتك وقال لهما افعلا ما امرتكما طوعا والا الجأتكما
الى ذلك حتى تفعلاه وعلى هذا لا يكون المراد من قوله اتينا طائعين حدوثهما في ذاتهما بل
يصير المراد من هذا الامر ان يظهرا ما كان مودعا فيهما اجيب بان هذا لم يثبت لانه تعالى قال
فَقَضٰهُنَّ اي خلقهن خلقا ابداعيا سَبْعَ سَمٰوٰتٍ وهذا يدل على ان حصول السماء انما حصل
بعد قوله ائتيا طوعا او كرها + تنبيه + الضمير للسماء على المعنى كما قال تعالى طائعين ونحوه اعجاز
نخل خاوية ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات وسبع سموات حال على الاول
وتمييز على الثاني وقوله تعالى فِيْ يَوْمَيْنِ قال اهل الاثر ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد
والاثنين وخلق سائر ما في الارض يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها في يوم الخميس
والجمعة وفرغ في اخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها ادم عليه السلام وهي الساعة التي تقوم فيها
القيمة ولذلك لم يقل هنا سواء ووافق هذا ايات خلق السموات والارض في ستة ايام وعن
ابن عباس رضي الله عنه ان اليهود اتت النبيّ صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات
والارض فقال خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيهن من المنافع يوم
الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه اربعة وخلق
يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقين

منه فخلق اوّل ساعة من هذه الثلاثة الآجال حتى يموت من مات وفى الثانية القى الآفة على كل شئ مما ينتفع به وفى الثالثة خلق آدم فاسكنه الجنة وامر ابليس بالسجود له واخرجه منها فى آخر ساعة قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد اصبت لو اتممت قالوا ثم استراح فغضب النبى صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزل وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ اَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ فَاصْبِرْ عَلٰى مَا يَقُولُونَ فان قيل اليوم عبارة عن النهار والليل وذلك انما يحصل بطلوع الشمس وغروبها وقبل حدوث السموات والشمس والقمر كيف يعقل حصول اليوم اجيب بان معناه انه مضى من المدة ما لو حصل هناك فلك وشمس لكان المقدار مقدار اليوم كامرّ وقضاء الشئ اتمامه والفراغ منه قال ابن جرير وانما سمى الجمعة لان الله تعالى جمع فيه خلق آدم وخلق السموات والارض اى فرغ من ذلك واتمه وَاَوْحٰى اى القى بطريق خفى وحكم بثبوت تروى فِىْ كُلِّ سَمَآءٍ اَمْرَهَا اى الامر الذى دبرها ودبر منافعها به على نظام محكم لا يختل وزمام مبرم لا يحل وقال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى وقال السدى يعنى خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها ولله فى كل سماء بيت تحج اليه وتطوف به الملائكة كل واحد منها مقابل الكعبة بحيث لو وقعت منه حصاة لوقعت على الكعبة + ولما عمّ خص التى تلينا اشارة الى تشريفنا فقال تعالى صارفا القول الى مظهر العظمة تنبيها على ما فى هذه الآية من العظم وَزَيَّنَّا اى بما لنا من العظمة السَّمَآءَ الدُّنْيَا اى القربى اليكم لاجلكم بِمَصَابِيْحَ وهى النيرات التى خلقها الله فى السموات وخص كل واحد منها بضوء معين وطبيعة معينة لا يعلمها الا الله تعالى فلا ينافى كون الدنيا مزينة بذلك ان تكون النجوم فى غيرها مما هو اعلى منها لان السياق دل على انها زينة وقوله تعالى وَحِفْظًا فى نصبه وجهان احدهما انه منصوب على المصدر بفعل مقدر اى وحفظناها بالثواقب من الكواكب حفظا والثانى انه مفعول من اجله على المعنى فان التقدير وخلقنا الكواكب زينة وحفظا قال ابو حيان وهو تكلف وعدول عن السهل البين فى المعنى وحفظناها من الشياطين الذين يسترقون السمع بالشهب او من الآفات ذٰلِكَ اى الامر الرفيع والشان البديع تَقْدِيْرُ الْعَزِيْزِ اى الذى لا يغلبه شئ وهو يغلب كل شئ الْعَلِيْمِ اى المحيط علما بكل شئ فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والعليم اشارة الى كمال العلم + ولما كان المتمادى على اعراضه كانه جدد اعراضا غير اعراضه الاول قال تعالى مفصلا بعد قوله تعالى فاعرض اكثرهم فَاِنْ اَعْرَضُوْا اى استمروا على اعراضهم بعد هذا الشان واعرض غيرهم عن قبول ما جئتهم به من الذكر بعد هذا البيان الواضح فى هذه الآيات التى دلت على الوحدانية والعلم والقدرة وغيرها من صفات الكمال اتم دلالة فَقُلْ اى لهم اَنْذَرْتُكُمْ صٰعِقَةً اى احذركم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة مِّثْلَ صٰعِقَةِ عَادٍ وَّثَمُوْدَ وقال المبرد الصاعقة المرة المهلكة لاى شئ كان والانذار التخويف وانما خص هاتين القبيلتين لان

قريشا كانوا يمرون على بلادهم ثم علل ايقاع ذلك بقوله تعالى اذ يجوز ان يكون ظرفا لصاعقة
وظرفيته لا تنافي علميته اى حين جاءتهم اى عادا وثمود الرسل لان الزمان الطويل يجوز نسبة
ما وقع في جزء منه اليه من بين ايديهم اى من قبلهم لان نذيرا لاول نذير لكل من اتى بعده
بانه ان وافق ما واقعه اتاه ما عذب به ومن خلفهم وهم من اتى اليهم لانهم لم يكونوا يعلمون اتيانهم
فالخلف كناية عن العناد والاقدام عن البلاد وانهم اتوهم من كل جانب واجتهدوا واليهم فاعملوا
فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان لآتينهم من بين
ايديهم ومن خلفهم اى لآتينهم من كل جهة وعن الحسن انذروهم من وقائع الله تعالى فيمن قبلهم
من الامم وعذاب الآخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي ما جرى
فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم واتوهم مقبلين عليهم ومدبرين عنهم وقرأ نافع
وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الذال عند الجيم وادغمها الباقون ان اى بان لا تعبدوا الا الله
اى الذى له صفات الكمال جميعا قالوا اى الكفار لرسلهم لو شاء ربنا اى الذى ربانا احسن تربية
ان يرسل الينا رسولا لانزل الينا ملئكة فارسلهم الينا بما يريده منا لكنه لم يرسل ملائكة
فلم يشأ ان يرسل رسولا فانا كافرون اى بسبب ما ارسلتم به اى على زعمكم بانكم رسل كافرون اذ انتم
بشر مثلنا لا فضل لكم علينا روى ان ابا جهل قال في ملأ قريش التبس علينا امر محمد فلو التمستم
لنا رجلا عالما بالسحر والشعر والكهانة وكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة ابن ربيعة والله لقد
علمت الشعر والسحر والكهانة وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فاتاه فقال له يا محمد انت خير
ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فلم تشتم آلهتنا وتضلل اباءنا فان كنت
تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان كنت اردت الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن
من اى بنات قريش شئت وان كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغنى به على ذلك ورسول الله
صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افرغت قال نعم قال فاسمع
ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم تعوذ ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب
فصلت آياته الى ان بلغ قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك
عتبة على فيه وناشده بالرحم الا ما سكت ثم رجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا
ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت الى محمد واعجبك
طعامه فان كان بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة واقسم لا يكلم محمدا
ابدا وقال والله لقد علمتم انى من اكثر قريش مالا ولكنى اتيته وقصصت عليه القصة وجاءني بشئ والله
ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم حتى سكت فقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت
ان ينزل عليكم العذاب وفي رواية لمحمد بن كعب انه قال انى سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط

ماهو بشعر ولا بسحر ولا كهانة يا معشر قريش اطيعوني خلوا بينكم وبين هذا الرجل وبين ماهو فيه
فاعتزلوه والله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر
على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وانتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا
رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم. ولما جمعهم الله فيما اجتمعوا فيه حتى كأنهم تواصوا به فصلهم وفصل اختلافهم
فيه فقال مسببا عما مضى من مقالاتهم فَأَمَّا عَادٌ اي قوم هود عليه السلام فَاسْتَكْبَرُوا اي طلبوا
الكبر واوجدوه فِي الْأَرْضِ اي كلها التي كانوا فيها بالفعل وغيرها بالقوة او في الكل بالفعل لكونهم
ملكوها كلها ثم بين كبرهم انه بِغَيْرِ الْحَقِّ اي الذي لم يطابق الواقع ثم ذكر تعالى سبب الاستكبار بقوله
تعالى وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً وذلك ان هودا عليه السلام هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر
على دفع العذاب بفضل قوتنا وكانوا ذوي اجسام طوال طول الطويل منهم اربعمائة ذراع كما
سيأتي في سورة الفجر قال الله تعالى ردا عليهم أَوَلَمْ يَرَوْا اي يعلموا علما هو كالمشاهدة أَنَّ اللَّهَ اي المحيط
بكل شيء قدرة وعلما الَّذِي خَلَقَهُمْ ولم يكونوا شيئا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ومن علم ان غيره اقوى
منه وكان عاقلا انقاد له فيما يأمره ولا ينهاه وقوله تعالى وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ اي يعرفون
انها حق وينكرونها عطف على فاستكبروا فَأَرْسَلْنَا اي بسبب ذلك على ما لنا من العظمة عَلَيْهِمْ
رِيحًا اي عظيمة صَرْصَرًا اي شديدة البرد والصوت والصرصرة حتى كانت تحد البدن ببردها
فتكون كأنها تصره اي تجمعه في موضع واحد فتضيقه التصرر من بقوتها وتقطع القلب بصوتها فتفتر
شجاعته وتمحق بشدة بردها كل ما مرت عليه وقوله تعالى فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ اي مشؤمات عليهم نحسة
وقرأ ابن عامر والكوفيون بكسر الحاء من نحس نحسا نقيض سعد سعدا فهو نحس والباقون
بسكونها فهو اما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر قال الضحاك امسك الله تعالى عنهم
المطر ثلاث سنين وكانت الايام عليهم من غير مطر روي ان الايام كانت آخر شوال من الاربعاء الى
الاربعاء قال البيضاوي وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء وعن عبد الله بن عباس انه قال الرياح
ثمان اربع منها عذاب وهي العاصفة والصرصر والعقيم والقاصف واربع منها رحمة وهي المبشرات
والناشرات والمرسلات والذاريات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى ما ارسل على
عاد من الريح الا قدر خاتمي وفعلنا ذلك بهم لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ اي الذل والهوان فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا كما استكبروا في الارض بغير الحق فيذلوا عند من تعظموا عليه في الدار التي اغتروا وابتهجوا
فيها فان ذلك ادل على القدرة عند من تقيد بالوهم وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ اي الذي اعد للمتكبرين
في الآخرة بغير الحق أَخْزَى اي اشد اهانة وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب
على الاسناد المجازي للمبالغة وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ اي لا يوجد ولا يتجدد لهم نصر ابدا بوجه من الوجوه
ولما انهى تعالى امر صاعقة عاد شرع في بيان صاعقة ثمود فقال تعالى وَأَمَّا ثَمُودُ
وهم قوم صالح عليه السلام فَهَدَيْنَاهُمْ اي بينا لهم طريق الهدى من انا وادرهم على العمى

وعلى كل شيء فلا شريك لنا وكان بيان ذلك بالناقة غاية البيان فابصروا ذلك بابصارهم التي هي
سبب ابصار بصائرهم غاية الابصار فكرهوا ذلك لما يلزمه من تركهم طريق آبائهم واقبلوا على لزوم
طريق آبائهم فَاسْتَحَبُّوا اي اختاروا الْعَمَى اي الكفر عَلَى الْهُدَى اي الايمان قال القشيري قيل
انهم آمنوا وصدقوا ثم ارتدوا وكذبوا فاجراهم مجرى اخوانهم في الاستبدال فان قيل اليس معنى
هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها
كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة اجيب بانه لما مكنهم وازاح عللهم
ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ
الْعَذَابِ اي بسبب ذلك اخذ قهر وهوان الْهُونِ اي ذي الهوان وهو الذي يهينهم بِمَا كَانُوا
اي دائما يَكْسِبُونَ اي من شركهم وتكذيبهم صالحا عليه السلام + ولما انهى الله تعالى الخبر عن
الكافرين من الفريقين اتبعه الخبر عن مؤمنيهم بشارة لمن اتبع النبي صلى الله عليه وسلم ونذارة
لمن صد عنه فقال تعالى وَنَجَّيْنَا اي تنجية عظيمة بما لنا من القدرة الَّذِينَ آمَنُوا اي اوجدوا هذا الوصف
من الفريقين وَكَانُوا اي كونا عظيما يَتَّقُونَ اي يجددون لهم هذا الوصف في كل حركة وسكون فلا يقدمون
على شيء بغير دليل فان قيل كيف يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم ان ينذر قومه بمثل صاعقة عاد
وثمود مع العلم بان ذلك لا يقع في امته وقد صرح تعالى بذلك فقال عز من قائل وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وجاء في الحديث الصحيح ان الله تعالى رفع عن هذه الامة هذه الانواع اجيب
بانهم لما عرفوا كونهم مشاركين لعاد وثمود في الكفر عرفوا كونهم مشاركين لعاد وثمود في استحقاق
مثل تلك الصاعقة وان السبب الموجب للعذاب واحد وربما يكون العذاب النازل من جنس
ذلك العذاب وان كان اقل درجة وهذا القدر يكفي في التخويف + ولما بين تعالى كيفية عقوبة
اولئك الكفار في الدنيا اردفه ببيان كيفية عقوبتهم في الآخرة ليحصل تمام الاعتبار في الزجر
والتحذير فقال تعالى وَيَوْمَ اي واذكر يوم يُحْشَرُ اي يجمع بكره بامر قاهر لا كلفة فيه أَعْدَاءُ اللَّهِ
اي الملك الاعظم إِلَى النَّارِ وقرأ نافع بنون مفتوحة وضم الشين ونصب اعداء على البناء للفاعل و
هو الله تعالى والباقون بياء الغيبة مضمومة وفتح الشين على البناء للمفعول ورفع اعداء لقيامه مقام
الفاعل وجه الاول انه معطوف على نجينا فحسن ان يكون على وفقه في اللفظ ووجه الثاني
موافقة قوله تعالى فَهُمْ اي بسبب حشرهم يُوزَعُونَ اي يساقون ويدفعون الى النار وقال قتادة
يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا اي يوقف سوابقهم حتى تصل اليهم تواليهم + ولما بين تعالى
اهانتهم بالوزع بين غايتها بقوله تعالى حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا اي النار التي كانوا بها يكذبون فما زائدة
لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور كما قال تعالى شَهِدَ عَلَيْهِمْ وبين الشاهد وعلته بقوله تعالى سَمْعُهُمْ
وافرد السمع لعدم تفاوت الناس فيه وَأَبْصَارُهُمْ وجمعها لعظم تفاوت الناس فيها وَجُلُودُهُمْ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اي يجددون عمله مستمرين عليه + تنبيه + في كيفية تلك الشهادة ثلاثة

اقوال اولها ان الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه ثانيها انه تعالى يخلق فى تلك الاعضاء الاصوات والحروف الدالة على تلك المعانى ثالثها ان يظهر فى تلك الاعضاء احوالا تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات تسمى شهادات كما يقال يشهد هذا العالم بتغيرات احواله على حدوثه فان قيل ما السبب فى تخصيص هذه الاعضاء الثلاثة بالذكر مع ان الحواس خمسة وهى السمع والبصر والشم والذوق واللمس اجيب بان الذوق داخل فى اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق انما يتأتى بان تصير جلدة اللسان مماسة لجرم الطعام وكذلك الشم لا يتأتى حتى تصير جلدة الانف مماسة لجرم المشموم فكانا داخلين فى جنس اللمس وقال ابن عباس رضى الله عنهما المراد من شهادة الجلود شهادة الفروج وهو من باب الكنايات كما قال تعالى لا تواعدوهن سرا اواراد النكاح وقال تعالى او جاء احد منكم من الغائط والمراد قضاء الحاجة وقال صلى الله عليه وسلم اول ما يتكلم من الآدمى فخذه وكفه وعلى هذا التقدير تكون الآية وعيدا شديدا فى اتيان الزنا لان مقدمة الزنا انما تحصل بالفخذ وقال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمت الالسن من عملهم وعن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب الم تجرنى من الظلم فيقول بلى قال فيقول فانى لا اجيز اليوم على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل ﴿وَقَالُوا﴾ اى الكفار الذين يحشرون الى النار ﴿لِجُلُودِهِمْ﴾ مخاطبين لها مخاطبة العقلاء لما فعلت فعل العقلاء ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ مع انا كنا نحاجج عنكم ﴿قَالُوا﴾ مجيبين لهم معتذرين ﴿أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ اراد نطقه على وجه لم يقدر على التخلف عنه فليس بعجب من قدرة الله الذى له مجامع العز ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ والعلم القطعى حاصل عندكم بانكم كنتم عدما ثم نطفا لا تقبل النطق فى مجارى العادات بوجه ثم طوركم فى ادوار الاطوار كذلك الى ان اوصلكم الى حيز الادراك فقسركم على النطق بحيث لو اردتم سلبه عن انفسكم ما قدرتم ﴿وَإِلَيْهِ﴾ لا الى غيره ﴿تُرْجَعُونَ﴾ فينبئكم بما كنتم تعملون + تنبيه + اختلف فى قوله تعالى وهو خلقكم الآية فقيل هو من كلام الجلود وقيل هو من كلام الله تعالى كالذى بعده وموقعه تقريب ما قبله بان القادر على انشائكم ابتداء وعلى اعادتكم بعد الموت احياء قادر على انطاق جلودكم واعضائكم ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ اى عند ارتكابكم الفواحش خفية ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ واكد تكرير النافى فقال ﴿وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾ جمع وافرد للماضى ﴿وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ والمعنى انكم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان تشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث جهلا منكم ﴿وَلَكِنْ﴾ انما استتاركم لانكم ﴿ظَنَنْتُمْ﴾ بسبب انكار البعث جهلا منكم ان الله الذى له جميع صفات الكمال

لا يعلم اي في وقت من الاوقات كثيراً مما تعملون وهو الخفيات من اعمالكم روي عن ابن مسعود
قال كنت مستتراً باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم
قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول فقال الآخر يسمع ان جهرنا وقال الآخر
ان كان يسمع اذا جهرنا يسمع اذا اخفينا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
تعالى وما كنتم تستترون الآية قيل الثقفي عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن امية
وقوله تعالى وذلكم اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله تعالى ظنكم بدل منه وقوله تعالى
الذي ظننتم بربكم نعت البدل والخبر ارداكم اي اهلككم وفي هذا تنبيه على ان من حق المؤمن
ان لا يذهب عنه ولا يزول عن ذهنه ان عليه من الله تعالى عيناً كالئة ورقيباً مهيمناً حتى
يكون في اوقاته وخلواته من ربه اهيب واحسن احتشاماً واوفر تحفظاً وتصوناً منه مع الملأ ولا ينبسط
في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين + ولما كان الصباح محل رجاء للافراح فكان شرّ
الاتراح ما كان فيه قال تعالى فاصبحتم اي بسبب ما اعطيتموه من النعم لتستنقذوا انفسكم به
من الهلاك كان سبب هلاككم من الخاسرين اي العريقين في الخسارة المحكوم بخسارتهم في جميع
ذلك اليوم قال المحققون الظن قسمان احدهما حسن والآخر فاسد فالحسن ان يظن بالله تعالى
الرحمة والفضل والاحسان قال صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وقال
صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله والظن الفاسد ان يظن ان الله تعالى
يعزب عن علمه بعض هذه الاحوال وقال قتادة الظن نوعان منجي ومردي فالمنجي قوله اني
ظننت اني ملاق حسابيه وقوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون
والمردي هو قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فان يصبروا فالنار مثوى اي منزل
لهم اي ان امسكوا عن الاستغاثة لفرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك وتكون النار مقاماً لهم وان
يستعتبوا اي يسألوا العتبى وهو الرجوع لهم الى ما يحبون جزعاً مما هم فيه فما هم من المعتبين
اي المجابين اليها ونحوه قوله عز وجل اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص + ولما ذكر وعيدهم
في الدنيا والآخرة اتبعه بسبب كفرهم الذي هو سبب الوعيد فقال تعالى وقيضنا قال مقاتل هيأنا
وقال الزجاج سببنا لهم اي للكفرة واصل التقييض التيسير والتهيئة يقال قيضته للشيء هيأته
له ويسرته وهذان ثوبان قيضان اي كل منهما مكافئ للآخر في الثمن وقوله تعالى قرناء اي
نظراء من الشياطين حتى اضلوهم جمع قرين قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً
فهو له قرين فزينوا لهم اي من القبائح ما بين ايديهم اي من امر الدنيا حتى آثروها على الآخرة
وما خلفهم اي من امر الآخرة انه لا بعث الى التكذيب بانكار البعث وقال الزجاج زينوا لهم ما بين ايديهم
من امر الآخرة انه لا بعث ولا جنة ولا نار وما خلفهم من امر الدنيا بان الدنيا قديمة ولا صانع
الا الطبائع والافلاك قال القشيري اذا اراد الله بعبد سوءاً قيض له اخوان سوء وقرناء سوء

يحملونه على المخالفات ويدعونه اليها ومن ذلك الشيطان وشر منه النفس وبئس القرين تدعو اليوم
الى ما فيه الهلاك وتشهد غدا عليه واذا اراد الله بعبد خيرا قيض له قرناء خير يعينونه على الطاعة
ويحملونه عليها ويدعونه اليها وروى عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبد
شرا قيض له قبل موته شيطانا فلا يرى حسنا الا قبحه عنده ولا قبيحا الا حسنه عنده وعن عائشة
اذا اراد الله بالوالي خيرا قيض له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان اراد غير ذلك
جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تامره بالمعروف
وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله تعالى * تنبيه * في الاية دلالة على
انه تعالى يريد الكفر من الكافرين لانه تعالى قيض لهم قرناء سوء فزينوا لهم الباطل وهذا يدل
على انه تعالى اراد منهم الكفر ولكن لا يرضاه كما قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وحق اي وجب
وثبت عليهم القول اي كلمة العذاب وقرأ ابو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي بضم
الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم وقوله تعالى في امم محله نصب على الحال من الضمير في
عليهم اي حق عليهم القول كائنين في جملة امم كثيرة وفي بمعنى مع قد خلت اي لم تتعظ امة منهم بالاخرى
من قبلهم اي في الزمان من الجن والانس قد عملوا مثل اعمالهم وقوله تعالى انهم اي جميع
المذكورين منهم وممن قبلهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب وقوله تعالى وقال الذين
كفروا اصله وقالوا اي المعرضون ولكنه قال ذلك تنبيها على الوصف الذي اوجب اعراضهم
لا تسمعوا اي شيئا من مطلق السماع لهذا القرآن وعينوه بالاشارة احترازا عن غيره من الكتب
القديمة كالتوراة قال القشيري لانه مقلب القلوب وكل من استمع له صبا اليه والغوا اي اهزؤا
فيه اي اجعلوه ظرفا للغو بان تكثروا من الخرافات والهذيانات واللغط واللغو والتصدية
اي التصفير والتصفيق وغيرهما قال ابن عباس كان بعضهم يوصي بعضا اذا رأيتم
محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر واللغو وهو من باب لغي بالكسر يلغى بالفتح اذا تكلم بما لا فائدة
فيه لعلكم تغلبون اي ليكون حالكم حال من يرجى له ان يغلب ويظفر بمراده في ان لا يميل اليه
احد ويسكت وينسى ما كان يقول وهذا يدل على انهم عارفون بان من يسمعه مال اليه واقبل
بكليته عليه وقد فضحوا انفسهم بهذه فضيحة لا مثل لها فلنذيقن الذين كفروا اظهر في موضع
الاضمار اذ اصله فلنذيقنهم لكنه اظهر تعميما وتعليقا بالوصف عذابا شديدا في الدنيا بالحرمان ونحوه مما
من فنون الهوان وفي الاخرة بالنيران ولنجزينهم اي باعمالهم اسوأ اي سوء العمل الذي
كانوا يعملون اي مواظبين عليه ذلك اي الجزاء الاسوأ العظيم جدا جزاء اعداء الله اي الملك
الاعظم ثم بينه بقوله تعالى النار وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو في الوصل بابدال الهمزة الثانية
المفتوحة واوا خالصة والباقون بتحقيقهما واما الابتداء بالثانية فالجميع بالتحقيق ثم فصل بعض

ع

ما فى النار بقوله تعالى لهم فيها اى النار دار الخلد اى فانها دار اقامة قال الزمخشرى فان قلت
ما معنى قوله لهم فيها دار الخلد قال قلت ان النار فى نفسها دار الخلد كقوله تعالى لقد كان لكم فى
رسول الله اسوة حسنة اى الرسول هو نفس الاسوة وقال البيضاوى هو كقولك فى هذه الدار
دار سرور وتعنى بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة قال ابن عادل فى هذا نظر اذ الظاهر وهو
معنى صحيح منقول ان فى النار دارا تسمى دار الخلد والنار محيطة بها اه وهذا اولى وقوله تعالى جزاء
منصوب بالمصدر الذى قبله وهو جزاء اعداء الله والمصدر ينصب بمثله كقوله تعالى فان جهنم
جزاؤكم جزاء موفورا بما كانوا بآياتنا اى على ما لنا من العظمة يجحدون اى يلغون فى القراءة و
سماه جحودا لانهم لما علموا ان القرآن بالغ الى حد الاعجاز خافوا من انه لو سمعه الناس لآمنوا فاستخرجوا
تلك الطريقة الفاسدة وذلك يدل على انهم علموا كونه معجزا وانهم جحدوا حسدا ولما بين
تعالى ان الذى حملهم على الكفر الموجب للعذاب الشديد مجالسة قرناء السوء بين ما يقولون
فى النار بقوله تعالى وقال الذين كفروا اى غطوا انوار عقولهم داعين بما لا يسمع لهم فهو زيادة
فى عقوبتهم وحكايته لها وعظ وتحذير ربنا اى يا ايها الذى لم يقطع قط احسانه عنا ارنا
الصنفين اللذين اضلانا اى عن المنهج الموصل الى محل الرضوان من الجن والانس لان الشيطان
على ضربين جنى وانسى قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن
وقال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل بن
آدم الذى قتل اخاه لان الكفر سنه ابليس والقتل بغير حق سنه قابيل فهما سنا المعصية وقرأ
ابن كثير والسوسى وابن عامر وشعبة بسكون الراء من ارنا واختلس الدورى كسر الراء وكسرها
الباقون وشدد ابن كثير النون من اللذين نجعلهما تحت اقدامنا فى النار اذلالا لهما كما جعلانا
تحت امرهما ليكونا من الاسفلين قال مقاتل اسفل منا فى النار وقال الزجاج ليكونا فى الدرك
الاسفل من النار اى من اهل الدرك الاسفل وممن هو دوننا كما جعلانا كذلك فى الدنيا فى
حقيقة الحال باتباعنا لهما وقال بعض الحكماء المراد باللذين اضلانا الشهوة والغضب والمراد بجعلهما تحت
اقدامهم كونهما مسخرين للنفس مطيعين لها وان لا يكونا مستوليين عليها ظاهرين عليها ولما ذكر تعالى الوعيد
اردفه بذكر الوعد كما هو الغالب فقال تعالى ان الذين قالوا اى قولا حقيقيا مذعنين به بالجنان ناطقين باللسان
تصديقا للداعى الى الله تعالى فى الدنيا ربنا اى المحسن الينا الله اى المختص بالجلال والاكرام وحده لا شريك له
وثم فى قوله تعالى ثم استقاموا للتراخى الرتبة فى الفضيلة فان الثبات على التوحيد ومقتضياته الى الممات
امر فى علو رتبته لا يرام الا بتوفيق ذى الجلال والاكرام سئل ابو بكر الصديق رضى الله عنه
عن الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيئا وقال عمر رضى الله عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر
والنهى ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان رضى الله عنه اخلصوا العمل لله وقال على رضى الله عنه
ادوا الفرائض وقال ابن عباس رضى الله عنهما استقاموا على امر الله تعالى بطاعته

واجتنبوا معصيته وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وقال
قتادة كان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم ربنا ارزقنا الاستقامة وقال سفيان بن عبد الله
الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم فقلت ما اخوف ما تخاف
علي فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا قال ابو حيان قال ابن عباس رضي الله
عنهما نزلت هذه الآية في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قال ابن عباس
عند الموت وقال قتادة اذا قاموا من قبورهم وقال وكيع بن الجراح البشرى تكون في ثلاثة مواطن
عند الموت وفي القبر وعند البعث وهي ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ قال مجاهد لا تخافوا مما تقدمون عليه من امر الآخرة
﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقال عطاء بن ابي رباح لا تخافوا
من ذنوبكم ولا تحزنوا فاني اغفرها لكم والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن يلحق لوقوعه من
فوات نافع او حصول ضار والمعنى ان الله تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا + تنبيه +
يجوز في ان ان تكون المخففة او المفسرة او الناصبة ولا ناهية على الوجهين الاولين ونافية على الثالث
﴿وَأَبْشِرُوا﴾ اي املؤا صدوركم سرورا يظهر اثره على بشرتكم بتهلل الوجه ويعم سائر الجسد ﴿بِالْجَنَّةِ
الَّتِي كُنتُمْ﴾ اي كونا عظيما على السنة الرسل عليهم السلام ﴿تُوعَدُونَ﴾ اي يجدد لكم ذلك كل حين
بالكتب والرسل + تنبيه + فيما ذكر دلالة على ان المؤمن عند الموت وفي القبر وعند البعث
يكون فارغا من الاهوال والفزع الشديد فان قيل البشارة عبارة عن الخبر الاول بحصول المنافع
فاما اذا اخبر الشخص بحصول المنفعة ثم اخبر ثانيا بحصولها كان الاخبار الثاني اخبارا ولا يكون بشارة
والمؤمن قد يسمع بشارات الخير فاذا سمع المؤمن هذا الخبر من الملائكة وجب ان يكون هذا
اخبارا ولا يكون بشارة فما السبب في تسمية هذا الخبر بشارة اجيب بان المؤمن قد يسمع بشارات
الخير ولم يعلم بان له الجنة فيكون ذلك بشارة اما اذا علم انه من اهل الجنة باخبار نبي فانه اذا سمع
هذا الكلام من الملائكة فانه يكون اخبارا + ولما اثبتوا لهم الخير ونفوا عنهم الضير علّلوه بقولهم
﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾ اي اقرب الاقرباء اليكم فنحن نفعل معكم كل ما يمكن ان يفعله القريب ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾
نجلب لكم المسرات وندفع عنكم المضرات ونحملكم على جميع الخيرات فنوقظكم من المنام ونحملكم
على الصلوة والصيام ونبعدكم عن الآثام ضد ما تفعله الشياطين مع اوليائهم ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ كذلك
حيث تتعادى الاخلاء الا الاتقياء قال السدي تقول الملائكة عليهم السلام نحن الحفظة الذين كنا
معكم في الدنيا ونحن اولياؤكم في الآخرة اي لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ اي
في الآخرة اي في الجنة وقبل دخولها في جميع اوقات الحشر ﴿مَا تَشْتَهِي﴾ ولو وصل ادنى وجوه
الشهوات كما ارشد اليه حذف المفعول ﴿أَنفُسُكُمْ﴾ من اللذائذ لاجل ما منعتموها من الشهوات
في الدنيا ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ اي في الآخرة ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾ اي تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم
من القول وقوله تعالى ﴿نُزُلًا﴾ حال مما تدعون اي هذا كله يكون لكم نزلا كما يقدم الى الضيف

عند قدومه الى ان يهيأ له ما يضاف به واما ما يعطون فهو ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولما كان من حوسب عذب فلا يدخل احد الجنة الا برحمة الله تعالى اشار الى ذلك بقوله تعالى مِنْ اى كائن ذلك النزل من غَفُورٍ له صفة المحو للذنوب عينا واثرا على غاية لا يمكن وصفها رَحِيمٍ اى بالغ الرحمة وهو الله تعالى واختلف فى تفسير قوله تعالى وَمَنْ اَحْسَنُ قَوْلًا اى من جهة القول مِمَّنْ دَعَا اِلَى اللّٰهِ اى الذى عم بصفات كماله جميع الخلق فقال ابن سيرين والسدى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى شهادة ان لا اله الا الله وقال الحسن هو المؤمن الذى اجاب الله تعالى دعوته ودعا الناس الى ما اجاب اليه وَعَمِلَ اى والحال انه قد عمل صَالِحًا فى نفسه ليكون ذلك امكن لدعائه وَقَالَ اِنَّنِىْ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ تفاخرا به وقطعا لطمع المفسدين قال عكرمة هم المؤذنون وقالت عائشة رضى الله عنها ان هذه الآية نزلت فى المؤذنين وقال ابو امامة الباهلى رضى الله تعالى عنه وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان والاقامة وعن عبد الله بن مغفل رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلوة ثلاث مرات ثم قال فى الثالثة لمن شاء وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ اى الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة فى الجزاء وحسن العاقبة تنبيه فى لا الثانية وجهان احدهما انها زائدة للتاكيد كقوله تعالى ولا الظل ولا الحرور لان الاستواء لا يكتفى بواحد الثانى انها مؤسسة غير مؤكدة اذ المراد بالحسنة والسيئة الجنس اذ لا تستوى الحسنات فى انفسها فانها متفاوتة ولا تستوى السيئات ايضا فرب واحدة اعظم من اخرى وهو ماخوذ من كلام الزمخشرى اِدْفَعْ كل ما يمكن ان يضرك من نفسك ومن الناس بِالَّتِىْ اى بالخصال والاحوال التى هِىَ اَحْسَنُ على قدر الامكان من الاعمال الصالحات والعفو عن المسئ حسن والاحسان اليه احسن منه فَاِذَا الَّذِىْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ عظيمة فاجأته حال كونه كَاَنَّهُ وَلِىٌّ اى قريب فاعل ما يفعله القريب حَمِيْمٌ اى فى غاية القرب لا يدع مهما الا قضاه ويسهله ويسره وشفى علله وقرب بعيده وازال درنه كما يزيل الماء الحار الوسخ وقيل نزلت فى ابى سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم فصار وليا مصافيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نبه على عظيم فضل هذه الخصلة بقوله تعالى وَمَا يُلَقّٰهَا اى على ما هى عليه من العظمة اِلَّا الَّذِيْنَ صَبَرُوْا وَمَا يُلَقّٰهَا اِلَّا ذُوْ حَظٍّ عَظِيْمٍ من الفضائل النفسانية وقال قتادة الحظ العظيم الجنة اى وما يلقاها الا من وجبت له الجنة وقوله تعالى وَاِمَّا فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما الزائدة يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطٰنِ نَزْغٌ قال الزمخشرى النزغ والنسغ بمعنى واحد وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى احسن فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ اى استجر بالملك الاعلى من شر الشيطان فى الطلب من الله الدخول فى عصمته مبادرا الى ذلك وامض على شأنك ولا تطعه وتوكل

على الله تعالى إنه هو اى وحده السميع اى لكل مسموع من استعاذتك وغيرها العليم اى بكل معلوم
من نزغه وغيره فهو القادر على رد كيده وتوهين امره ثم استدل على ذلك بقوله تعالى
ومن آياته الدالة على وحدانيته وانه سميع عليم الليل والنهار باختلاف هيئتهما على قدرته على
البعث وكل مقدور وقدم الليل على ذكر النهار تنبيها على ان الظلمة عدم والنور وجود والعدم سابق
على الوجود والشمس والقمر اللذان هما آيتا الليل والنهار وقدم الشمس على ذكر القمر لكثرة نفعها ولما ثبت
انه تعالى المنفرد بالخلق قال سبحانه لا تسجدوا للشمس التى هى من اعظم اوثانكم واعاد النافى تاكيدا
فقال ولا للقمر فانهما دالان على وجود الاله مخلوقان مسخران فلا ينبغى السجود لهما لان السجود
عبادة عن نهاية التعظيم وهو لا يليق الا بالذى اوجدهما من العدم كما قال تعالى واسجدوا لله
اى الذى له كل كمال من غير شائبة نقص واختلف فى عود الضمير فى قوله تعالى الذى خلقهن
على اوجه اولها عوده للآيات الاربع كما جرى عليه الجلال المحلى وقيل يرجع لليل والنهار والشمس
والقمر قال الزمخشرى لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى والاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن
وناقشه ابو حيان من حيث انه لم يفرق بين جمع القلة والكثرة فى ذلك لان الافصح فى جمع القلة ان
يعامل معاملة الاناث وفى جمع الكثرة ان يعامل معاملة الانثى والافصح ان يقال الاجذاع كسرتهن
والجذوع كسرتها واجاب بعضهم بان الزمخشرى ليس فى مقام بيان الفصيح من الافصح بل فى مقام
كيف يجيء الضمير ضمير اناث بعد ما تقدم ثلاثة اشياء مذكرات وواحد مؤنث والقاعدة تغليب المذكر
على المؤنث وقال البغوى انما قال خلقهن بالتانيث لانه اجراها على طريق جمع التكسير ولم يجر على
طريق التغليب للمذكر على المؤنث + ولما ظهر ان الكل عبيده وكان السيد لا يرضى باشراك
عبده عبدا آخر فى عبادة سيده قال تعالى ان كنتم اياه اى خاصة بغاية الرسوخ تعبدون كما هو
صريح قولكم فى الدعاء فى وقت الشدائد لا سيما فى البحر وفى الآية اشارة الى الحث على صيانة
الآدميين عن ان يقع منهم سجود لغيره دفعا لمقامهم عن ان يكونوا ساجدين لمخلوق بعد ان كانوا
مسجودا لهم فانه تعالى امر الملائكة عليهم السلام الذين هم اشرف خلقه بالسجود لآدم عليه السلام
وهم فى ظهره فتكبر ابليس فابد لعنته الى يوم القيامة فان استكبروا اى اوجدوا التكبر عن اتباعك
فيما امرتهم به من التوحيد فلم ينزهوا الله تعالى عن الشريك فالذين عند ربك اى من
الملائكة قال الرازى ليس المراد بهذه العندية قرب المكان بل كما يقال عند الملك من الجند كذا
وكذا ويدل عليه قوله تعالى انا عند ظن عبدى بى وانا عند المنكسرة قلوبهم من اجلى يسبحون له
بالليل والنهار اى دائما لقوله تعالى وهم لا يسأمون اى لا يملون ولقوله سبحانه وتعالى يسبحون الليل
والنهار لا يفترون فان قيل اشتغالهم بهذا العمل على الدوام يمنعهم من الاشتغال بسائر الاعمال مع انهم
ينزلون الى الارض كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقال تعالى عن الذين قاتلوا يوم بدر
يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين اجيب بان الذين ذكرهم الله تعالى ههنا

سجدة

بل انهم مواظبين على التسبيح اقوام معينون من الملائكة + تنبيه + اختلف فى مكان السجدة
فقيل هو عند قوله تعالى اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن رضى الله عنهما وحكاه الرازى
عن ابى حنيفة واحمد رضى الله تعالى عنهما لانه ذكر السجدة قبله والصحيح عند الشافعى رضى الله تعالى
عنه عند قوله تعالى لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشرى
عن ابى حنيفة رضى الله عنه لان عنده تم الكلام + ولما ذكر تعالى الدلائل الاربعة الفلكية اتبعها بذكر
الدلائل الارضية فقال تعالى وَمِنْ آيٰتِهٖ الدالة على قدرته ووحدانيته اَنَّكَ اى ايها الانسان
تَرَى الْاَرْضَ اى بعضها بحاسة البصر وبعضها بعين البصيرة قياسا على ما ابصرت خَاشِعَةً اى يابسة
لا نبات فيها والخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما
وصفها بالهمود فى قوله تعالى وترى الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو
كما قال تعالى فَاِذَا اَنْزَلْنَا اى بما لنا من العظمة عَلَيْهَا الْمَآءَ من الغمام او غيره اهْتَزَّتْ اى تحركت
حركة عظيمة كثيرة سريعة فكان من يعالج ذلك بنفسه وَرَبَتْ اى تشققت فارتفع ترابها وخرج منها
النبات وسما فى الجو مغطيا لوجهها وتشعبت عروقه وغلظت سوقه فصار يمنع سلوكها على ما كانت
فيه من السهولة وتزخرفت بذلك النبات كانها بمنزلة المختال فى زيه بعدما كانت قبل ذلك
كالذليل الكاسف البال فى الاطمار الرثة وقرأ السوسى ترى الارض فى الوصل بالامالة بخلاف عنه
والباقون بالفتح وفى الوقف امال محضة ابو عمرو وحمزة والكسائى وورش بين بين والباقون بالفتح
ثم استدل بذلك على القدرة على البعث فقال تعالى اِنَّ الَّذِىْ اَحْيَاهَا اى بالخروج من نباتها بعد ان كانت
ميتة لَمُحْيِ الْمَوْتٰى كما فعل بالنبات من غير فرق اِنَّهٗ عَلٰى كُلِّ شَیْءٍ قَدِيْرٌ فهو قادر على احياء الارض بعد
موتها وعلى احياء هذه الاجساد بعد موتها لان الممكنات بالنسبة الى القدرة متساوية فالقادر قدرة
تامة على شئ منها قادر على غيره ثم انه تعالى هدد من يجادل فى آياته بالقاء الشبهات فيها بقوله تعالى
اِنَّ الَّذِيْنَ يُلْحِدُوْنَ فِىْ اٰيٰتِنَا اى القرآن على ما لها من العظمة بالطعن والتحريف والتاويل الباطل والالغاء
فيها وقرأ حمزة بفتح الياء والحاء من لحد والباقون بضم الياء وكسر الحاء من الحد يقال لحد الحافر
والحد اذا مال عن الاستقامة فحفر فى شق فالملحد هو المنحرف ثم اختص فى العرف بالمنحرف عن الحق
الى الباطل قال مجاهد يلحدون فى آياتنا بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقال السدى يعاندون
ويشاقون لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا اى فى وقت من الاوقات فنحن قادرون على اخذهم متى شئنا اخذناهم
ولا يعجل الا من يخشى الفوات قال مقاتل نزلت فى ابى جهل وقوله تعالى اَفَمَنْ يُّلْقٰى فِى النَّارِ اى
على وجهه بايسر امر خَيْرٌ اَمْ مَّنْ يَّاْتِىْ اٰمِنًا يَّوْمَ الْقِيٰمَةِ استفهام بمعنى التقرير والغرض منه التنبيه
على ان الملحدين فى الآيات يلقون فى النار وان المؤمنين بالآيات يأتون آمنين يوم القيامة حين
يجمع الله تعالى عباده للعرض عليه للحكم بينهم بالعدل قال البغوى قيل هو حمزة وقيل عثمان
وقيل عمار بن ياسر فائدة + ام من فى الرسم مقطوعة وقوله تعالى اِعْمَلُوْا مَا شِئْتُمْ اى فقد علمتم

انه

مصير المسيء والمحسن تهديد لمن اراد شيئاً من الجزاءين فليعمل اعماله فانه ملاقيه وقوله تعالى
إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ اى فى كل وقت بَصِيرٌ اى عالم باعمالكم فيه وعيد بالمجازاة وقوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِالذِّكْرِ اى القرآن لَمَّا جَاءَهُمْ بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون او مستأنف وخبر انّ محذوف
مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون ولما بالغ تعالى فى تهديد الملحدين فى آيات القرآن
اتبعه ببيان تعظيم القرآن فقال تعالى وَإِنَّهُ اى والحال انه لَكِتَابٌ اى جامع لكل خير عَزِيزٌ
اى فهو كثير النفع عديم النظير يغلب كل ذكر ولا يغلبه ذكر ولا يقرب منه ذلك يعجز كل معارض
ولا يعجز عن افعاد مناهض وقال الكلبى عن ابن عباس رضى الله عنهما كريم على الله تعالى وقال
قتادة اعزه الله تعالى لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ لانه يمتنع منه بمتانة وصفه وجزالة نظمه وحلاوة معانيه
فلا يلحقه تغيير مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ اى يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات
لان قدام اوضح ما يكون وخلف اخفى ما يكون فاينج لك من باب فى العبارة كناية عن ذلك لان صفة الله تعالى
لا وراء لها ولا امام لها على الحقيقة ومثل ذلك ليس وراء الله تعالى مرمى ولا دونه منتهى
وقال قتادة والسدى الباطل هو الشيطان لا يستطيع ان يغيره او يزيد فيه او ينقص منه
وقال الزجاج معناه انه محفوظ من ان ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيه
فيأتيه الباطل من خلفه وعلى هذا فمعنى الباطل الزيادة او النقصان وقال مقاتل لا يأتيه
التكذيب من الكتب التى قبله ولا يأتى بعده كتاب فيبطله ثم علل ذلك بقوله تعالى تَنْزِيلٌ اى
بحسب التدريج لاجل المصالح مِنْ حَكِيمٍ اى بالغ الحكمة فهو يضع كل شئ منه فى اتم محله من وقت
النزول وسياق النظم حَمِيدٍ اى بالغ الاحاطة باوصاف الكمال من الحكمة وغيرها والتطهر
والتقديس عن كل شائبة نقص يحمده كل خلقه بلسان حاله ان لم يحمده بلسان قاله فان قيل
اما طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون اجيب بان الله تعالى حماه عن تعلق الباطل به بان قيض
قوما عارضوهم بابطال تاويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول مبطل
الا مضمحلا ونحو هذا قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ثم سلى نبيه محمدا صلى الله
عليه وسلم بقوله تعالى مَا يُقَالُ اى من الكفار ومن غيرهم لَكَ يا اكرم الخلق مما يحصل به ضيق
صدر وتشويش فكر إِلَّا مَا اى شئ قَدْ قِيلَ اى حصل قولا على ذلك الوجه لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ فصبروا
على ما اوذوا فاصبر كما صبروا إِنَّ رَبَّكَ اى المحسن اليك بارسالك وانزال كتابه اليك ومن
يكرم بمثل هذا لا ينبغى له ان يحزن لشئ يعرض له لَذُو مَغْفِرَةٍ اى لمن تاب وآمن بك وَذُو عِقَابٍ
أَلِيمٍ اى مؤلم لمن اصر على التكذيب وعلى هذا فقوله تعالى ان ربك الآية مستأنف وقيل مفسر للمقول
كانه قيل للرسل ان ربك لذو مغفرة وجرى على ذلك الزمخشرى ونزل جوابا لقولهم هلا انزل القرآن
بلغة العجم وَلَوْ جَعَلْنَاهُ اى هذا الذكر بما لنا من العظمة قُرْآنًا اى على ما هو عليه من الجمع أَعْجَمِيًّا اى لا يفصح
لَقَالُوا اى هؤلاء المتعنتون لَوْلَا اى هلا ولم لا فُصِّلَتْ اى بينت آيَاتُهُ حتى نفهمها

وقولهم ءَاعْجَمِيٌّ اى اقرآن اعجمى وَعَرَبِيٌّ استفهام انكار منهم وقال مقاتل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمى وكان يهوديا اعجميا يكنى ابا فكيهة
فقال المشركون انما يعلمه يسار غلام عامر فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال هو يعلمنى فانزل
الله تعالى هذه الاية وقرأ قالون وابو عمرو بتحقيق الهمزة الاولى وتسهيل الثانية وادخال الف
بينهما وورش وابن كثير وابن ذكوان وحفص بتسهيل الثانية ولا ادخال واسقط هشام الاولى
والباقون بتحقيقهما وقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قُلْ هُوَ اى هذا القرآن لِلَّذِينَ
اٰمَنُوا اى اردنا وقوع الايمان منهم هُدًى اى بيان لكل مطلوب وَشِفَاءٌ اى لما فى صدورهم
من داء الكفر والهوى وقيل من الاوجاع والاسقام متعلق كما قال الرازى بقولهم وقالوا قلوبنا فى
اكنة مما تدعونا اليه الاية كانه تعالى يقول هذا الكلام ارسلته اليكم بلغتكم لا بلغة اجنبية عنكم
فلا يمكنكم ان تقولوا قلوبنا فى اكنة منه بسبب جهلنا هذه اللغة فكل من اعطاه الله تعالى طبعا
مائلا الى الحق وقلبا داعيا الى الصدق فان هذا القرآن يكون فى حقه هدى وشفاء واما من
غرق فى بحر الخذلان وشغف بمتابعة الشيطان فهو فى ظلمة وعمى كما قال تعالى وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
فِىٓ اٰذَانِهِمْ وَقْرٌ اى ثقل فلا يسمعون سماعا ينفعهم وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ط فلا يبصرون الداعى حق الابصار
ثم قال الرازى وكل من انصف علم ان التفسير على هذا الوجه الذى ذكرناه اولى مما ذكروه
اى انه متعلق بما قبله لان السورة تصير بذلك من اولها الى اخرها كلاما واحدا منتظما مسوقا
لغرض واحد انتهى ولما بين بهذا بعدهم عن علياته وطردهم عن فنائه قال تعالى اُولٰٓئِكَ اى البعداء
البغضاء مثالهم مثال من يُنَادَوْنَ اى يناديهم من يريد نداءهم غير الله تعالى مِنْ مَّكَانٍۭ بَعِيْدٍ
اى هم كالمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به وَلَقَدْ اٰتَيْنَا اى على مالنا من العظمة
مُوْسَى الْكِتٰبَ اى التوراة فَاخْتُلِفَ اى وقع الاختلاف فِيْهِ ووجه تعلقه بما قبله كانه قيل
انا لما اتينا موسى الكتاب فقبله بعضهم وهم اصحاب الهدى ورده بعضهم فكذلك اتيناك الكتاب
فقبله بعضهم وهم اصحابك ورده اخرون وهم الذين يقولون قلوبنا فى اكنة مما تدعون اليه
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ اى ارادة سَبَقَتْ فى الازل مِنْ رَّبِّكَ اى المحسن اليك بتاخير الحساب والجزاء
للخلائق الى يوم القيمة لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ اى فى الدنيا فيما اختلفوا فيه من انصاف المظلوم من ظالمه
قال تعالى بل الساعة موعدهم ولكن نؤخرهم الى اجل مسمى وَاِنَّهُمْ لَفِيْ شَكٍّ اى المكذبين
محيط بهم مِّنْهُ اى القضاء يوم الفصل مُرِيْبٍ اى موقع فى الريب وهو التهمة والاضطراب
بحيث لا يقدرون على التخلص من دائرته اصلا ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا اى كائنا من كان فَلِنَفْسِهٖ اى فنفع عمله لها لا لاحد يتعداها والنفس فقيرة
الى التزكية بالاعمال الصالحة لانها محل النقائص فلذا عبر بها وَمَنْ اَسَآءَ فى عمله
فَعَلَيْهَا اى على نفسه خاصة ليس عليك منه شئ فخفف عن نفسك اعراضهم فانهم ان امنوا

تنفع ايمانهم يعود اليهم وان كفروا فضرر كفرهم يعود اليهم والله سبحانه وتعالى يوصل الى كل احد ما يليق به من الجزاء وَمَا رَبُّكَ اى المحسن اليك بارسالك لتتميم مكارم الاخلاق بِظَلَّامٍ اى بذى ظلم لِّلْعَبِيدِ اى هذا الجنس فلا يتصور ان يقع ظلم لاحد منهم اصلا لان له الغنى المطلق والحكمة البالغة إِلَيْهِ اى المحسن اليك لا الى غيره يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ اى اى لا سبيل الى معرفة وقت ذلك اليوم ولا يعلمه الا الله تعالى وكذا العلم بحدوث الحوادث المستقبلة فى اوقاتها المعينة ليس الا عند الله ثم ذكر من امثلة هذا الباب مثالين احدهما قوله تعالى وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ اى فى وقت من الاوقات وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالف بعد الراء جمعا والباقون بغير الف افرادا وقوله تعالى مِّنْ أَكْمَامِهَا جمع كم وكمامة قال البقاعى تبعا للزمخشرى بالكسر فيهما وهو وعاء الطلع وكل ما غطى على وجه الاحاطة شيئا من شانه ان يخرج فهو كم وقال الراغب الكم ما يغطى اليدين من القميص وما يغطى الثمرة وجمعه اكمام وهذا يدل على انه مضموم الكاف اوجعله مشتركا بين كم القميص وكم الثمرة ولا خلاف فى كم القميص انه بالضم فيجوز ان يكون فى وعاء الثمرة لغتان دون كم القميص جمعا بين القولين والمثال الثانى قوله تعالى وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ حملا ناقصا او تاما واكد النفى باعادة النافى ليشهد كل على حياله وَلَا تَضَعُ حملا حيا او ميتا إِلَّا حال كونه متلبسا بِعِلْمِهِ ولا علم لاحد غيره بذلك ومن ادعى علما به فليخبر بان ثمرة الحديقة الفلانية والبستان الفلانى والبلد الفلانى تخرج فى الوقت الفلانى اولا تخرج العام شيئا والمرأة الفلانية تحمل فى وقت الفلانى وتضع فى وقت كذا اولا تحمل العام شيئا ومن المعلوم انه لا يحيط بهذا علما الا الله تعالى فان قيل قد يقول الرجل الصالح من اصحاب الكشوف قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون اجيب بان اصحاب الكشوف اذا قالوا قولا فهو من الهام الله تعالى واطلاعه اياهم عليه فكان من علمه الذى يرد اليه واما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم فى شئ مما يقولونه البتة وانما غايتهم ادعاء ظن ضعيف قلما يصيب وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذى لا يشاركه فيه احد جل ربنا وعلا وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ اى المنادى المشركين بعد بعثهم من القبور للفصل بينهم فى سائر الامور أَيْنَ شُرَكَائِي اى الذين زعمتم انهم يشفعون لكم فى هذا اليوم ويحمونكم من العقاب واللوم قَالُوا اى المشركون آذَنَّاكَ اى اعلمناك مَا مِنَّا واكدوا النفى بادخال الجار فى المبتدأ مِن شَهِيدٍ اى يشهد ان لك شريكا وذلك لما رأوا العذاب تبرؤا من الاصنام وقيل معناه ما منا احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم فلا يبصرونها فى ساعة التوبيخ وقيل هذا كلام الاصنام كان الله تعالى يحييها وانها تقول ما منا من شهيد اى احد يشهد بصحة ما اضافوا الينا من الشركة وعلى هذا التقدير فمعنى ضلالتهم عنهم انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم وهو معنى قوله تعالى وَضَلَّ اى ذهب وغاب وخفى عَنْهُم مَّا كَانُوا اى دائما يَدْعُونَ فى كل حين على وجه العبادة مِن قَبْلُ فهم لا يرونه فضلا عن انهم يجدون نفعه وَظَنُّوا اى فى ذلك الحال مَا لَهُم وابلغ فى النفى

الجزء الخامس والعشرون ٢٥

بادخال الجار على المبتدأ المؤخر فقال من محيص اى مهرب وملجأ ومعدل ولما بين تعالى من حال
هؤلاء الكفار انهم بعد ان كانوا مصرين على القول باثبات الشركاء والاضداد لله تعالى فى الدنيا تبرؤا
من تلك الشركاء فى الآخرة بين تعالى ان الانسان فى جميع الاوقات متغير الاحوال فان احس بخير
وقدرة تعاظم وان احس ببلاء ومحنة ذل بقوله تعالى لا يسأم اى لا يمل ولا يعجز الانسان اى
الانس بنفسه الناظر فى اعطافه الذى لم يتأهل للمعارف الالهية والطرق الشرعية من دعاء الخير
اى لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما وان مسه الشر اى من فقر وشدة وغيرهما فيؤس
من فضل الله تعالى قنوط من رحمة الله تعالى والمعنى ان الانسان فى حال الاقبال لا ينتهى الى درجة
الا ويطلب الزيادة عليها وفى حال الادبار والحرمان يصير آيسا قانطا وهذه صفة الكافر لقوله
تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * تنبيه * فى قوله تعالى يؤس قنوط مبالغة من
وجهين احدهما من طريق فعول والثانى من طريق التكرار واليأس من صفة القلب والقنوط ان يظهر
آثار اليأس فى الوجه والاحوال الظاهرة ثم بين تعالى حال هذا الذى صار آيسا قانطا بقوله تعالى ولئن
اللام لام القسم اذقناه اى آتيناه ذلك الانسان رحمة اى غنى وصحة منا اى بما لنا من العظمة
والقدرة من بعد ضراء اى شدة وبلاء مسته فانه يأتى بثلاثة انواع من الاقاويل الفاسدة
الموجبة للكفر والبعد من الله تعالى الاول منها ما حكاه الله بقوله سبحانه ليقولن بمجرد ذوق
تلك الرحمة على انها ربما كانت بلاء عظيما لكونها استدراجا الى الهلاك هذا الامر العظيم لى اى
حقى مختص بى وصل الى لانى استوجبته بعلمى وعملى ولا يعلم المسكين ان احدا لا يستحق على الله تعالى
شيأ لانه ان كان عاريا من الفضائل فكلامه ظاهر الفساد وان كان موصوفا بشئ من الفضائل
والصفات الحميدة فهى انما حصلت بفضل الله واحسانه النوع الثانى من كلامه الفاسد قوله
وما اظن الساعة اى القيمة قائمة اى ثابتا قيامها فقطع الرجاء منها سواء عبر عن ذلك بلسان
قاله او بلسان حاله لكونه يفعل افعال الشاك فيها النوع الثالث من كلامه الفاسد قوله ولئن
اللام لام القسم رجعت اى على سبيل الفرض اى ان هذا الكافر يقول لست على يقين من البعث
وان كان الامر على ذلك ورددت الى ربى اى الذى احسن الى بهذا الخير الذى انا فيه
ان لى عنده للحسنى اى الحالة الحسنى من الكرامة وهى الجنة فكما اعطانى فى الدنيا سيعطينى فى الآخرة
ولما حكى الله تعالى عنهم هذه الاقوال الثلاثة الفاسدة قال تعالى شانه فلننبئن اى فلنخبرن الذين
كفروا اى ستروا ما دلت عليه العقول وصرائح النقول بما عملوا لا ندع منه كثيرا ولا قليلا صغيرا
ولا كبيرا فيرون عيانا ضد ما ظنوه فى الدنيا من ان لهم الحسنى وقدمنا الى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا وقال ابن عباس رضى الله عنهما لنقفنهم على مساوى اعمالهم ولنذيقنهم
اى بعد اقامة الحجة عليهم بموازين القسط الوافية كما قيل الذ من عذاب غليظ اى شديدا
لا يبلغ عجيبه من احساسهم الا احاطتها * ولما حكى الله تعالى اقوال الذى انعم عليه بعد وقوعه

في الاناث حكى افعاله ايضا فقال وَإِذَا أَنْعَمْنَا اي بما لنا من العظمة عَلَى الْإِنسَانِ اي الواقف مع نفسه
نعمة تليق بعظمتنا أَعْرَضَ اي عن التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى وَنَأَى اي البعد
بعدا اجعل بيننا وبينه حجابا عظيما بِجَانِبِهِ اي ثنى عطفه متبخترا وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ اي هذا النوع قليله
كثيره فَذُو دُعَاءٍ اي في كشفه وربما كان نعمة باطنة وهو لا يشعر ولا يدعو الا عند اليأس
وقد كان ينبغي له ان يشرع في الدعاء عند التوقع بل قبله تعرفا الى الله تعالى في الرخاء ليعرفه
في الشدة وهو خلق شريف لا يفعله الا افراد خصهم الله بلطفه عَرِيضٍ اي مديد العرض جدا
واما طوله فلا يسئل عنه وهذا كناية عن النهاية في الكثرة تقول العرب اطال فلان الدعاء
واعرض اي اكثر ثم امر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى قُلْ اي لهؤلاء
المعرضين أَرَأَيْتُمْ اي اخبروني إِن كَانَ اي هذا القرآن مِنْ عِندِ اللَّهِ اي الذي له الاحاطة
بجميع صفات الجلال والجمال ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ اي من غير نظر واتباع دليل مَنْ أَضَلُّ منكم
هكذا كان الاصل ولكنه قال مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ اي خلاف لاولياء الله تعالى بَعِيدٍ اي
عن الحق تنبيها على انهم صاروا كذلك ومن صار كذلك فقد عرض نفسه لسطوات الله
عز وجل سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ قال ابن عباس يعني منازل الامم الخالية وَفِي أَنفُسِهِمْ
اي بالبلايا والامراض وقال قتادة يعني وقائع الله تعالى في الامم الخالية وفي انفسهم يوم بدر
وقال مجاهد في الآفاق ما يفتح الله تعالى من القرى على محمد صلى الله عليه وسلم وفي انفسهم
فتح مكة وقال عطاء في الآفاق يعني اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم في آفاق
الليل والنهار والاضواء والظلال والظلمات والنبات والاشجار والانهار وفي انفسهم من لطائف
الصنعة وبدائع الحكمة في كيفية تكوين الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبة
والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون + تنبيه + قال النووي في تهذيبه
قال اهل اللغة الآفاق النواحي الواحد افق بضم الهمزة والفاء وافق باسكان الفاء + ولما كان التقدير
ولا تزال نكرر عليهم هذه الدلائل عطف عليه حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ غاية البيان بنفسه من غير اعمال
فكر أَنَّهُ اي القرآن الْحَقُّ اي الكامل في الحقية الذي يطابق الواقع المنزل من الله تعالى
بالبعث والحساب والعقاب فيعاقبون على كفرهم به وبالجائي به وقيل الضمير في انه للدين
الاسلام وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ اي المحسن اليك بهذا البيان المعجز للانس
والجان شهادة بان القرآن من عند الرحمن + تنبيه + الباء زائدة للتاكيد كانه قيل اولم تحصل
الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى وقوله تعالى أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ بدل من ربك
والمعنى اولم يكفهم في صدقك ان ربك لا يغيب عنه شيء ما وقد شهد لك فيه بالاعجاز لجميع الخلق
بكل ما تضمنته آياته ونطقت به كلماته ففيه اعظم بشارة بتمام الدين وظهوره على المعتدين ولم يبق
بعد هذا التعنت مقال ولا شبهة اصلا لضال قال تعالى مناديا على من جحد واستمر على عناده

أَلَا إِنَّهُمْ اى هؤلاء الكفرة فِي مِرْيَةٍ اى جحد وجدال وشك وضلال عن البعث مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ اى المحسن اليهم بان خلقهم ورزقهم لانكارهم البعث ثم كرر كونه قادرا على البعث وغيره بقوله تعالى أَلَا إِنَّهُ اى هذا المحسن اليهم بِكُلِّ شَيْءٍ اى من الاشياء جملتها وتفصيلها كلياتها وجزئياتها اصولها وفروعها غيبها وشهادتها ملكها وملكوتها مُحِيطٌ قدرة وعلما بكثير الاشياء وقليلها كلياتها وجزئياتها فيجازيهم بكفرهم وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات حديث موضوع

سورة الشورى مكية

وهي ثلاث وخمسون آية وثمانمائة وست وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا بِسْمِ اللَّهِ الذى احاط بصفات الكمال الرَّحْمَٰنِ الذى عمت رحمته سائر عباده الرَّحِيمِ الذى خص اولياءه بما ترضاه الهيته من رحمته وقوله تعالى حم عسق تقدم الكلام في امثال هذه الفواتح وسئل الحسين بن الفضل لم قطع حم عسق ولم يقطع كهيعص فقال لانها سورة اولها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره ولانهما عدا آيتين واخواتها مثل كهيعص والمص والمر عدت آية واحدة وقيل لان اهل التأويل لم يختلفوا في كهيعص واخواتها انها حروف تهجٍ لا غير واختلفوا في حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا وقيل معناه حم اى قضى ما هو كائن وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال ح حلمه م مجده ع علمه س سناؤه ق قدرته اقسم الله تعالى بها وقال شهر بن حوشب وعطاء بن ابي رباح ح حرب قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز في قريش م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنين كسني يوسف تكون فيهم ق قدرة الله تعالى النافذة في خلقه وروى عن ابن عباس انه قال ليس من نبي صاحب كتاب الا واوحيت اليه حم عسق فلذلك قال تعالى كَذَٰلِكَ اى مثل هذا الايحاء العظيم الشان يُوحِي إِلَيْكَ اى ما دمت حيا لا ينقطع ذلك عنك وَإِلَى اى واوحى الى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اى من الرسل الكرام والانبياء الاعلام ومن جملة ما اوحى اليهم ان امتك اكثر الامم وانك اشرف الانبياء واخذ على كل منهم العهد باتباعك وان يكونوا من انصارك واتباعك وقوله تعالى اللَّهُ اى الذى له الاحاطة باوصاف الكمال فاعل الايحاء ولما كان نفوذ الامر دائرا على العزة والحكمة قال تعالى الْعَزِيزُ اى الذى يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء الْحَكِيمُ الذى يصنع ما يصنعه في اتقن محاله فلذلك لا يقدر احد على نقض ما ابرمه ولا نقض ما احكمه تنبيه ما تقرر من ان الله تعالى فاعل الايحاء هو على قراءة كسر الحاء من يوحي وهي قراءة غير ابن كثير واما على قراءة ابن كثير بفتح الحاء فيجوز ان يرتفع بفعل مضمر كانه قيل من يوحيه فقيل [illegible] الغداة والآصال رجال ويجوز ان يرتفع بالابتداء وما بعده خبر

والجملة قائمة مقام الفاعل وان يكون العزيز الحكيم خبرين او نعتين والجملة من قوله تعالى لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ
اي من الذوات والمعاني وَمَا فِي الْاَرْضِ كذلك خبر اول او ثان على حسب ما تقدم في العزيز
الحكيم قال الزمخشري لم يقل تعالى اوحى اليك ولكن قال يوحي اليك على لفظ المضارع ليدل على
ان ايحاء مثله عادته وكونه عزيزا يدل على كونه قادرا على ما لا نهاية له وكونه حكيما يدل على كونه
عالما بجميع المعلومات غنيا عن جميع الحاجات وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض يدل على
كونه متصفا بالقدرة الكاملة النافذة في جميع اجزاء السموات وفي الارض على عظمتها وسعتها
بالايجاد والاعدام وان ما في السموات وما في الارض خلقه وملكه + ولما كان العلو مستلزما للقدرة
قال تعالى وَهُوَ الْعَلِيُّ على كل شيء علو رتبة وعظمة ومكانة لا علو مكان وملابسة الْعَظِيمُ بالقدرة
والقهر والاستعلاء وقوله تعالى تَكَادُ السَّمٰوٰتُ قرأ نافع والكسائي بالياء التحتية والباقون بالفوقية
وقوله تعالى يَتَفَطَّرْنَ اي يتشققن قرأه شعبة وابو عمرو بعد الياء بنون ساكنة وكسر الطاء
مخففة والباقون بعد الياء بتاء فوقية مفتوحة وفتح الطاء مشددة وقوله تعالى مِنْ فَوْقِهِنَّ
في ضميره ثلاثة اوجه احدها انه عائد على السموات اي كل واحدة منهن تتفطر فوق التي
تليها من عظمة الله تعالى او من قول المشركين اتخذ الله ولدا كما في سورة مريم اي يبتدئ
انفطارهن من هذه الجهة فمن لابتداء الغاية متعلقة بما قبلها الثاني انه يعود على الارضين
لتقدم ذكر الارض الثالث انه يعود على فرق الكفار والجماعات الملحدين قاله الاخفش الصغير وقال
الزمخشري كلمة الكفر اي على التفسير الثاني انما جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس
ان يقال ينفطرن من تحتهن اي من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت
مؤثرة في جهة الفوق كانه قيل يكدن ان ينفطرن اي من الجهة التي فوقهن دون الجهة التي تحتهن
ونظيره في المبالغة قوله عز وجل يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا
في اجزائهم الباطنة اه ولما بين تعالى ان سبب كودة انفطارهن جلال العظمة التي منها كثرة الملائكة
وشناعة الكفر بين لها سببا آخر وهو عظم قول الملائكة فقال تعالى وَالْمَلٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُوْنَ اي يوقعون
التنزيه لله تعالى متلبسين بِحَمْدِ رَبِّهِمْ اي باثبات الكمال المحسن لهم تسبيحا يليق بحالهم فلهم بذلك
زجل واصوات لا تحملها العقول ولا تثبت لها الجبال + تنبيه + عدل عن التانيث ولم يقل يسبحن
مراعاة للفظ التذكير وضمير الجمع اشارة الى قوة التسبيح وكثرة المسبحين فان قيل قوله تعالى
وَيَسْتَغْفِرُوْنَ لِمَنْ فِي الْاَرْضِ عام فيدخل فيه الكفار وقد لعنهم الله تعالى فقال سبحانه اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين فكيف يكونون لاعنين لهم ومستغفرين لهم اجيب
بوجوه الاول انه عام مخصوص باية غافر ويستغفرون للذين امنوا الثاني ان قوله تعالى لمن
في الارض لا يفيد العموم لانه يصح ان يقال استغفر للبعض من في الارض دون البعض
ولو كان صريحا في العموم لما صح ذلك الثالث يجوز ان يكون المراد بالاستغفار ان لا يعاجلهم

قوله استغفر لبعض الخ الظاهر اسقاط لفظ لبعض وهو اسقاط فعليه نظر اه

بالعقاب كما في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال تعالى انه كان
حليما غفورا الرابع يجوز ان يقال انهم يستغفرون لكل من في الارض اما في حق الكفار فبطلب
الايمان لهم واما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيأتهم فانا نقول اللهم اهد الكفار وزين قلوبهم
بنور الايمان وازل عن خواطرهم وحشة الكفر وهذا استغفار في الحقيقة وقوله تعالى الا ان الله
اى الذى له الاحاطة بصفات الكمال هو اى وحده الغفور الرحيم تنبيه على ان الملائكة وان كانوا
يستغفرون للبشر الا ان المغفرة المطلقة لله تعالى وهذا يدل على انه تعالى يعطى المغفرة التى
طلبوها ويضم اليها الرحمة والذين اتخذوا من دونه اى غير الله تعالى اولياء اى انداداً
وشركاء يعبدونهم كالاصنام الله اى المحيط بصفات الكمال حفيظ اى رقيب ومراع وشهيد
عليهم اى على اعمالهم ولا يغيب عنه شئ من اعمالهم فهو ان شاء ابقاهم على كفرهم وجازاهم
عليه بما اعد للكافرين وان شاء تاب عليهم ومحا ذلك عينا واثرا ولم يعاقبهم وان شاء محاه
عينا وابقى الاثر حتى يعاقبهم وما انت يا اشرف الرسل عليهم بوكيل اى حتى يلزمك ان تراعى
جميع احوالهم من اقوالهم وافعالهم فتحفظها وتقسرهم على تركها ونحو ذلك مما يتولاه الوكيل
بما يقوم فيه مقام الموكل سواء قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن ام قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
وغير ذلك اذ ما عليك الا البلاغ وكذلك اى ومثل ذلك الايحاء اوحينا اى بما لنا من العظمة
اليك قرآنا اى جامعا لكل حكمة مع الفرق لكل ملتبس عربيا فهو بين الخطاب واضح الصواب
معجز الجناب لتنذر اى به ام القرى اى اهل مكة التى هى ام الارض واصلها منها دحيت ولشرفها
اوقع الفعل عليها عن اهلها عداداً العقلاء وغير ذلك اذ ما عليك الا البلاغ وقوله تعالى
ومن حولها معطوف على اهل المقدر قبل ام القرى والمفعول الثانى محذوف اى العذاب
والمراد بمن حولها قرى الارض كلها من اهل البدو والحضر واهل المدر والوبر والانذار
التخويف وتنذر اى الناس يوم الجمع اى يوم القيامة يجمع الله تعالى فيه الاولين والآخرين واهل
السموات والارضين ويجمع الارواح بالاجساد ويجمع بين العامل وعمله ويجمع بين الظالم
والمظلوم لا ريب اى لا شك فيه لانه ركز فى فطرة كل احد وقوله تعالى فريق يجوز فيه
وجهان احدهما انه مبتدأ وسوغ هذا فى النكرة لانه مقام تفصيل وخبره فى الجنة اى تفضلا
منه ورحمة وهم الذين قبلوا الانذار وبالغوا فى الحذر ويجوز ان يكون الخبر مقدرا تقديره منهم
فريق وساغ الابتداء بالنكرة حينئذ لشيئين تقديم خبرها جارا ومجرورا ووصفها بالجار بعدها
والثانى انه خبر مبتدأ مضمر اى هم اى المجموعون فريق دل على ذلك قوله تعالى يوم الجمع وقوله تعالى
وفريق فى السعير اى عدلا منه فيه ما مر وهم الذين خذلهم الله تعالى وكلهم الى انفسهم فان قيل يوم الجمع
يقتضى كون القوم مجتمعين والجمع بين الصنفين محال اجيب بانهم يجتمعون اولا ثم يصيرون
فريقين قال القشيرى كما انهم فى الدنيا فريقان فريق فى راحات الطاعات وحلاوات العبادات

وفريق في ظلمات الشرك وعقوبات الجحد والشك فكذلك غدا هم فريقان فريق هم اهل اللقاء وفريق هم اهل البلاء والشقاء روى الامام احمد عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفيه ومعه كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس يزاد فيهم ولا ينقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيمة ثم قال للذي في يده اليسرى هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل النار واسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس يزاد فيهم ولا ينقص منهم اجمال من الله تعالى اليهم الى يوم القيمة فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل اذن فقال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله تعالى اخرجه احمد بن حنبل في مسنده ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ اي المحيط بجميع اوصاف الكمال ﴿لَجَعَلَهُمْ﴾ اي المجموعين ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ للثواب او للعذاب ولكنه لم يشاء ذلك بل شاء ان يكونوا فريقين مقسطين وظالمين ليظهر فضله وعدله وانه اله جبار واحد قهار لا يبالي باحد وهو معنى قوله تعالى ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ﴾ ادخاله ﴿فِي رَحْمَتِهِ﴾ بخلق الهداية في قلبه فتكون افعالهم في مواضعها وهم المقسطون ويدخل من يشاء في نقمته بخلق الضلالة في قلوبهم فيكونوا ظالمين فلا تكون افعالهم في مواضعها فالمقسطون ما لهم من عدو ولا نكير ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ اي العريقون في الظلم الذين ساء ظلمهم وهم الكافرون فيدخلهم في لعنته ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ﴾ اي يلي امورهم فيجتهد في اصلاحها فيدفع عنهم العذاب ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصرهم من الهوان فيمنعهم من النار وعلى هذا التقدير فالاية من الاحتباك وهو ظاهر ذكر الرحمة اولا دليلا على اللعنة ثانيا والظلم وما معه ثانيا دليلا على اضداده اولا وهذا تقدير لقوله تعالى الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل اي انت لا تقدر ان تحملهم على الايمان ولو شاء الله تعالى لفعله لانه اقدر منك لكنه تعالى جعل البعض مؤمنا والبعض كافرا ولما حكى الله تعالى عنهم اولا انهم اتخذوا من دونه اولياء ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لست عليهم بوكيل اي لا يجب عليك ان تحملهم على الايمان فان الله تعالى لو شاء لفعله اعاد ذلك الكلام على سبيل الانكار بقوله تعالى ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ كالاصنام وهذه ام المنقطعة فتقدر ببل التي للانتقال وبهمزة الانكار او بالهمزة فقط او ببل فقط اي ليس المتخذون اولياء ﴿فَاللَّهُ﴾ اي المختص بصفات الكمال ﴿هُوَ﴾ وحده ﴿الْوَلِيُّ﴾ قال ابن عباس وليك يا محمد وولي من اتبعك والفاء جواب الشرط المقدر كانه قال ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي لا ولي سواه وقيل هي لمجرد العطف وجرى على هذا الجلال المحلي وعلى الاول الزمخشري ﴿وَهُوَ﴾ اي من شأن هذا الولي انه ﴿يُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾

أي بعد إحيائها في كل وقت يشاؤه وَهُوَ وحده عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فهو الحقيق بأن يتخذ وليا
دون من لا يقدر على شيء. ولما منع تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يحمل الكفار على الإيمان
منع المؤمنين أن يشرعوا معهم في المخاصمات والمنازعات بقوله تعالى وَمَا اخْتَلَفْتُمْ أي أنتم
والكفار فِيهِ مِن شَيْءٍ أي من أمور الدنيا والدين فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ أي مفوض إلى الذي هو ولي
لا غيره يميز المحق من المبطل بالنصر والإثابة والمعاقبة وقيل ما اختلفتم فيه من تأويل المتشابه
فارجعوا فيه إلى المحكم من كتاب الله ذَٰلِكُمُ اللَّهُ أي المحيط بجميع صفات الكمال رَبِّي أي الذي لا مربي
لي غيره في ماض ولا حال ولا استقبال عَلَيْهِ أي وحده تَوَكَّلْتُ أي أسلمت جميع أمري وَإِلَيْهِ لا إلى
غيره أُنِيبُ أي أرجع بالتوبة إذا قصرت في شيء من فروع شرعه وأرجع إلى كتابه إذا نابني أمر
من الأمور فأعرف منه حكمه فافعلوا أنتم كذلك واجعلوا الله لكم ظهيرا ولا تعدلوا عنه في شيء
من الأشياء تهلكوا وقوله تعالى فَاطِرُ أي مبدع السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خبر آخر لذلكم أو مبتدأ
خبره جَعَلَ لَكُم أي بعد أن خلقكم من الأرض مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا حيث خلق حواء من ضلع آدم
فيكون بالسكون إليها بقاء نوعكم وَمِنَ أي وجعل لكم أي لأجلكم من الْأَنْعَامِ التي هي أموالكم
وجمالكم وبها أعظم قوامكم أَزْوَاجًا أي ذكورا وإناثا يكون بها أيضا بقاء نوعها يَذْرَؤُكُمْ
بالمعجمة أي يخلقكم ويكثركم من الذرء وهو البث فِيهِ أي في هذا التدبير وهو جعل الناس
والأنعام أزواجا ليكون بينهم توالد فإنه كالمنبع للبث والتكثير فالضمير للأناسي والأنعام
بالتغليب واختلف في الكاف في قوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فجرى الجلال المحلي على أنها زائدة
لأنه تعالى لا مثل له وجرى غيره على أنها ليست زائدة لأنه إذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان
نفيه عنه أولى وحاصله كما قال التفتازاني أن قولنا ليس كذاته شيء وقولنا ليس كمثله شيء عبارتان كلاهما
من معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته إلا أن الأولى صريحا والثانية كناية مشتملة على مبالغة وهي أن المماثلة
منفية عمن يكون مثله وعلى صفته فكيف عن نفسه وهذا لا يستلزم وجود المثل ألا ترى أن قولهم
مثل الأمير يفعل كذا ليس اعترافا بوجود المثل له فالمعنى هنا أن مثل مثله تعالى منفي فكيف بمثله
وأيضا فمثل المثل مثل فيلزم من نفيه نفيهما. وقال البغوي المثل صلة أي ليس هو كشيء فأدخل المثل
للتوكيد كقوله تعالى فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به اهـ وهذا كالتأويل الأول وقيل إن المراد بالمثل الصفة
وذلك أن المثل بمعنى المثل والمثل الصفة كقوله تعالى مثل الجنة فيكون المعنى ليس كصفته
تعالى شيء من الصفات التي لغيره وأما قوله تعالى وله المثل الأعلى فمعناه أن له الوصف الأعلى
الذي ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه أحد وَهُوَ أي والحال أنه هو لا غيره السَّمِيعُ الْبَصِيرُ أي الكامل
في السمع والبصر بكل ما يسمع ويبصر فإن قيل هذا يفيد الحصر مع أن العباد أيضا موصوفون بكونهم
سميعين بصيرين أجيب بأن السمع والبصر لفظان مشعران بحصول هاتين الصفتين على سبيل
الكمال كما مر والكمال في كل الصفات ليس إلا لله تعالى فهذا هو المراد من هذا الحصر كذا أي

وحده له مقاليد السموات والارض اى خزائنهما ومفاتيح خزائنهما من الامطار والانبات وغيرهما
وقد ثبت انه ابتدعهما وان له جميع ما فيهما فما اتخذ من دونه وليا وغيره قال القشيرى والمقاليد
الخزائن وخزائنه هى مقدوراته اهـ ولما حصر الامر فيه دل عليه بقوله تعالى يبسط الرزق اى
يوسعه لمن يشاء امتحانا ويقدر اى يضيقه لمن يشاء ابتلاء كما وسع على فارس والروم وضيق
على العرب وفاوت فى الافراد بين افراد من وسع عليهم ومن ضيق عليهم فدل ذلك قطعا على انه
لا شريك له وانه هو المتفرد وحده فقطع بذلك افكار الموفقين من عباده عن غيره ليقبلوا عليه
ويفرغوا العرفان عبادته هى المقاليد بالحقيقة استغفروا ربكم انه كان غفارا الايات ومن
يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم
ولادخلناهم جنات النعيم الاية ثم علل ذلك بقوله تعالى انه بكل شئ عليم اى فلا فعل له الا وهو
جار على اتقن ما يكون من قوانين الحكمة فيفعله على ما ينبغى + ولما عظم وحيه الى محمد صلى الله
عليه وسلم بقوله تعالى كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ذكر تفصيل ذلك
بقوله تعالى شرع لكم اى طرق وسن طريقا ظاهرا بينا واضحا لكم ايتها الامة الخاتمة من الطرق الظاهرة
المستقيمة من الدين وهو ما يعمل فيجازى عليه ما الذى وصى به توصية عظيمة بعد اعلامه بانه
شرعه نوحا فى الزمان الاقدم وهو اول انبياء الشريعة قال مجاهد اوصيناه واياك يا محمد دينا
واحدا والذى اوحينا اليك اى من القران وشرائع الاسلام وما وصينا اى بما لنا من العظمة
الباهرة التى ظهرت بها تلك المعجزات به ابراهيم الذى نجيناه من كيد نمروذ بالنار وغيرها
ووهبنا له على الكبر اسمعيل واسحق وقرأ هشام بفتح الهاء والف بعدها والباقون بكسر الهاء
وياء بعدها وموسى الذى اتيناه التورية موعظة وتفصيلا لكل شئ وعيسى الذى
اتيناه الانجيل هدى ونورا وموعظة وادخرناه فى سمائنا لتأييد شريعة الفاتح الخاتم
صلى الله عليه وسلم ثم بين المشروع الموصى به والموحى الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
ان اقيموا اى ايها المشروع لهم من هذه الامة الخاتمة ومن الامم الماضية الدين وهو الايمان بما يجب
تصديقه والطاعة فى احكام الله تعالى ومحلها النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستئناف كانه
جواب وما ذلك المشروع او الجر على البدل من هاء به + ولما عظمه بالامر بالاجتماع اتبعه بالتعظيم بالنهى عن
الافتراق بقوله تعالى ولا تتفرقوا فيه اى ولا تختلفوا فى هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلفة فقال تعالى
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال قتادة الموصى به تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم تحريم
الامهات والبنات والاخوات وقال مجاهد لم يبعث الله تعالى نبيا الا وصاه باقامة الصلوة وايتاء
الزكوة والاقرار لله تعالى بالطاعة فذلك دينه الذى شرعه وقيل هو التوحيد والبراءة من الشرك
ويطوى على هذا الحلال الجل والكل يرجع اليه كبر اى عظم وشق على المشركين حتى

ضاقت به صدورهم ما تدعوهم إليه أيها النبي الفاتح الخاتم من الاجتماع ابدا على ما اجتمعوا عليه
وقت الاضطرار من وحدانية الواحد القهار فلاجل كبره عليهم هم يسعون في تفرقكم فان تفرقتم
كنتم تابعتم العدو والحسود وخالفتم الولي الودود. ثم نبه تعالى على ان الامور كلها بيده بقوله تعالى
الله الذي له مجامع العظمة ونفوذ الامر يجتبي اي يختار إليه اي الى هذا الدين الذي تدعوهم إليه
من يشاء اجتباءه ويهدي إليه بالتوفيق للطاعة من ينيب اي من يقبل الى طاعته. ولما بين
تعالى امر كل الانبياء عليهم السلام والامم بالاخذ بالدين المتفق عليه كان لقائل ان يقول فلماذا
نجدهم متفرقين اجاب بقوله تعالى وما تفرقوا اي المشركون من قبلكم من اهل الكتاب وغيرهم
إلا من بعد ما جاءهم العلم اي بالتوحيد او بمبعث الرسول صلى الله عليه وسلم او بان التفرق
ضلال متوعد عليه بغيا بينهم اي فعلوا ذلك للبغي وطلب الرياسة فحملتهم الحمية النفسانية على
ان ذهبت كل طائفة الى مذهب ودعوا الناس اليه وقبحوا ما سواه طلبا للذكر والرياسة
فصار ذلك سببا لوقوع الاختلاف ثم اخبر تعالى انهم استحقوا العذاب بسبب هذا الفعل الا
انه تعالى اخر عنهم العذاب لان لكل عذاب عنده اجلا مسمى اي وقتا معلوما وهذا معنى قوله
تعالى ولولا كلمة اي لا تبديل لها سبقت اي في الازل من ربك اي المحسن اليك بجعلك
خير الخلائق وامامهم بتاخيرهم إلى أجل مسمى ضربه لآجالهم ثم يجمعهم في الآخرة لقضي
على ايسر وجه واسهله بينهم حين الافتراق باهلاك الظالم وانجاء المحق قال ابن عباس
والذين اريد بهذه الصفة هم اليهود والنصارى لقوله تعالى في آل عمران وما اختلف الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقوله تعالى في سورة لم يكن وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وكذلك في قوله تعالى وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم
اي المتفرقين هم اليهود والنصارى الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم
هذه الامة الذين اورثوا القرآن ولما نسخ كتابهم ما تقدمه كان غيرهم كانه مات فورثوه كما قال
تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فكان حالهم في تمكنهم من التصرف في الكتاب بالحفظ
والفهم وعدم المنازعة في ادعائه حال الوارث الموروث منه لفي شك منه اي من كتاب لا يعلمونه كما هو
ولا يؤمنون به حق الايمان او من القرآن فيقولون انه سحر وشعر وكهانة ونحو ذلك وقيل في
شك من محمد صلى الله عليه وسلم وجرى على ذلك الجلال المحلي مريب اي موقع في التهمة فلذلك
اي التوحيد فادع يا اشرف الخلق الناس واستقم اي على الدعوة كما أمرت اي امرك الله تعالى ولا تتبع
اي بعمل أهواءهم في شيء فان الهوى لا يدعو الى خير والمقصود من كل احد ان يفعل ما امر
به وقل لجميع اهل الفرق وكل من يمكن له القول فانك ارسلت الى جميع الخلق آمنت بما
أنزل الله اي الذي له العظمة الكاملة من كتاب اي جميع الكتب المنزلة لا كالكفار
الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض روي ان رجلا اتى عليا فقال يا امير المؤمنين ما الايمان

او كيف الايمان قال الايمان على اربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد والصبر على اربع
شعب على الشوق والشفق والزهادة والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق
من النار رجع من المحرمات ومن زهد فى الدنيا تهاون بالمصائب ومن ارتقب الموت سارع الى الخيرات
واليقين على اربع شعب تبصرة الفطنة وتاويل الحكمة وموعظة العبرة وسنة الاولين فمن تبصر الفطنة
تاول الحكمة ومن تاول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة عرف السنة ومن عرف السنة فكانما
كان فى الاولين والعدل على اربع شعب على غائص الفهم وزهرة الحلم وروضة العلم وعلم الحكم
فمن فهم جمع العلم ومن علم لم يضل فى الحكم ومن علم عرف شرائع الحلم ومن حلم لم يفرط امره وعاش
فى الناس والجهاد على اربع شعب على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والصدق فى المواطن وشنآن
الفاسقين فمن امر بالمعروف شد ظهره ومن نهى عن المنكر ارغم انف المنافقين ومن صدق
فى المواطن قضى الذى عليه ومن شنئ الفاسقين غضب لله تعالى وغضب الله تعالى له فقام الى رجل
وقبل رأسه وَأُمِرْتُ اى ممن له الامر كله لِأَعْدِلَ اى لاجل ان اعدل بَيْنَكُمُ ايها المفترقون
فى الاديان من العرب والعجم من الانس والجن ثم علل ذلك بقوله اللَّهُ اى الذى له الملك
كله رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ اى موجدنا ومتولى جميع امورنا فلهذا امرنا بالعدل على سبيل العموم لان الكل
عباده لَنَا أَعْمَالُنَا خاصة بنا لا تعدونا الى غيرنا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ خاصة بكم لا تعدوكم الى غيركم فكل
مجازى بعمله لَا حُجَّةَ اى لا خصومة بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ وهذا قبل ان يؤمر بالجهاد كما قاله الجلال المحلى
وقال ابن الخازن هذه الاية منسوخه باية القتال وكذا قال البغوى ولكن قال البيضاوى
وليس فى الاية ما يدل على متاركته رأسا حتى تكون منسوخة باية القتال اللَّهُ اى الذى هو
احكم الحاكمين يَجْمَعُ بَيْنَنَا اى فى الميعاد لفصل القضاء وَإِلَيْهِ اى لا الى غيره الْمَصِيرُ اى المرجع
حسا ومعنى لتمام عزته وشمول عظمته وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ اى يوردون تشكيكا
فى دين الملك الاعظم ليصدوا الناس بعد ما دخلوا فى نور الهدى الى ظلام الضلال
مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ اى استجاب الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فاظهر دينه على
الدين كله قال قتادة هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذا خصومتهم
وتشكيكهم او من بعد ما استجاب للرسول صلى الله عليه وسلم الناس فاسلموا ودخلوا فى دينه
لظهور معجزته حُجَّتُهُمْ اى التى زعموها حجة دَاحِضَةٌ اى زائلة باطلة عِنْدَ رَبِّهِمْ اى المحسن اليهم باضافة
العقل الذى جعلهم به فى احسن تقويم وقال الرازى تلك المخاصمة هى ان اليهود قالوا الستم تقولون ان الاخذ
بالمتفق عليه اولى من الاخذ بالمختلف فيه فنبوة موسى عليه السلام وحقية التورية معلومة بالاتفاق
ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليست متفقا عليها فوجب الاخذ باليهودية فبين تعالى فساد هذه الحجة
وذلك ان اليهود اجمعوا على انه انما وجب الايمان بموسى عليه السلام لاجل ظهور المعجزات على قوله وههنا
ظهرت المعجزات على وفق قول محمد صلى الله عليه وسلم واليهود قد شاهدوا تلك المعجزات فان

كان ظهور المعجزة يدل على الصدق فههنا يجب الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان كان
لا يدل على الصدق وجب في حق موسى ان لا يقروا بنبوته بظهور المعجزات لانه يكون تناقضا
+تنبيه+ والذين يحاجون مبتدأ وحجتهم مبتدأ ثان وداحضة خبر المبتدأ الثاني والثاني وخبره
خبر الاول واعرب مكي حجتهم بدلا من الموصول بدل اشتمال+ ولما قرر تعالى هذه الدلائل خوف
المنكرين بعذاب القيمة فقال وَعَلَيْهِمْ اى زيادة على قطع الاحسان غَضَبٌ اى عقوبة تليق بحالهم
المذموم ووصفهم المذموم ومنه الطرد فهم مطرودون عن بابه مبعدون عن جنابه مهانون
بحجابه وَلَهُمْ مع ذلك عَذَابٌ شَدِيدٌ في الآخرة لا تصلون الى حقيقة وصفه اَللّٰهُ اى الذى لجميع الملك
الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ اى جنس الكتاب بِالْحَقِّ اى متلبسا على اكمل الوجوه بالامر الثابت الذي لا يبدل
وَالْمِيزَانَ اى الشرع الذي توزن به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل قال مجاهد سمي العدل
ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية وقال ابن عباس امر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس فيجب
على العاقل ان يجتهد في النظر والاستدلال ويترك طريقة اهل الجهل والتقليد+ ولما كان صلى الله
عليه وسلم يهددهم بيوم القيمة ولم يروا لذلك اثرا قالوا على سبيل السخرية متى تقوم الساعة وليتها قامت
حتى يظهر لنا الحق اهو الذي نحن عليه ام الذي عليه محمد واصحابه قال تعالى وَمَا يُدْرِيكَ اى يا اكمل الخلق
لَعَلَّ السَّاعَةَ اى التي يستعجلون بها قَرِيبٌ وذكر قريب وان كان صفة المؤنث لان الساعة في
معنى الوقت او البعث او على معنى النسب اى ذات قرب او على حذف مضاف اى مجئ الساعة
قال مكي ولان تانيثها مجازي وهذا ممنوع اذ لا يجوز الشمس طالع ولا القدر فائر+ تنبيه+ لعل
معلق الفعل عن العمل اى ما بعده سد مسد المفعولين ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الساعة
وعنده قوم من المشركين وقالوا مستهزئين متى الساعة تقوم نزل قوله تعالى يَسْتَعْجِلُ بِهَا اى يطلب
ان تكون قبل الوقت المضروب لها الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا اى لا يتجدد لهم ذلك اصلا وهم غير مشفقين
منها ويظنون كذب القائل بها وَالَّذِينَ آمَنُوا وان كانوا في اول درجات الايمان مُشْفِقُونَ
اى خائفون خوفا عظيما مِنْهَا لان الله تعالى هداهم بايمانهم فصارت صدورهم معادن المعارف
وقلوبهم منابع الانوار فايقنوا بما فيها من الاهوال الكبار فخافوا لطاقتهم ان يكونوا مع صلاحهم من اهل النار
وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ اعلاما بانهم على بصيرة من امرها فهم لا يستعجلون بها فالآية من الاحتباك
ذكر الاستعجال اولا دليلا على حذف ضده ثانيا والاشفاق ثانيا دليلا على حذف ضده اولا+ فائدة+
روى ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم بصوت جهوري في بعض اسفاره فناداه يا محمد
فقال له صلى الله عليه وسلم نحوا من صوته هاؤم فقال متى الساعة فقال له صلى الله عليه وسلم
ويحك انها كائنة فما اعددت لها فقال حب الله تعالى وحب رسوله فقال انت مع من احببت والغرض
انه لم يجبه عن وقت الساعة بل امره بالاستعداد لها ومن حب الله تعالى ورسوله فعل ما امرا به واجتنب
ما نهيا عنه فهي المحبة الكاملة نسأل الله الكريم من فضله ان يوفقنا واحبابنا لطاعته

واجتناب معاصيه الا ان الذين يمارون اى يخاصمون ويجادلون فى الساعة اى القيمة وما تحتوى
عليه لفى ضلال اى ذهاب عن الحق بعيد جدا عن الصواب فان لها من الادلة الظاهرة
ما الحقها بالمحسوسات كما قال القائل لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ولما انزل الله عليهم الكتاب
المشتمل على هذه الدلائل اللطيفة كان ذلك من لطف الله تعالى بعباده كما قال عز من قائل
الله اى الذى له الامر كله لطيف اى بالغ فى اللطف والعلم وايقاع الاحسان بعباده وقال ابن عباس
حفى بهم وقال عكرمة بار بهم وقال السدى رفيق بهم وقال القشيرى اللطيف العالم
بدقائق الامور وغوامضها وقال الرازى هو اسم مركب من علم ورحمة ورفق خفى اما لطفه
بالمؤمنين فواضح واما الكافر فاقل لطفه به انه لا يعاجله فى الدنيا ولا يعذبه فوق ما يستحق فى الآخرة
وقال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم بدليل قوله تعالى يرزق
من يشاء اى مهما شاء على سبيل من السعة والضيق او التوسعة لا مانع له من شئ من ذلك فكل
من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذى روح فهو ممن يشاء الله تعالى ان يرزقه قال جعفر الصادق
اللطف فى الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثانى انه لم يدفعه اليك
مرة واحدة وهو القوى اى القادر على ما يشاء العزيز فلا يقدر احد ان يمنعه عن شئ يريده
ولما بين بهذا ان الرزق ليس الا فى يده اتبعه ما يزهد فى طلب رزق البدن ويرغب فى رزق
الروح فقال تعالى على سبيل الاستئناف من كان اى من شريف او دنى يريد اى بعمله حرث
الآخرة اى اعمالها والحرث فى اللغة الكسب نزد له اى بعظمتنا التى لا يقدر احد على تحويلها
فى حرثه قال مقاتل بان يعينه على الاعمال الصالحة ويضاعف بالواحدة عشرة الى ما شاء الله
من الزيادة وقال الزمخشرى انه تعالى سمى ما يعمله العامل مما يطلب به الفائدة حرثا على سبيل المجاز
ومن كان اى من قوى او ضعيف يريد اى بعمله حرث الدنيا اى ارزاقها التى تطلب بالكد والسعى
وتستمى به مكتفيا به مؤثرا له على الآخرة نؤته منها اى ما قسمناه له ولو تهاون به ولم يطلبه لاتاه
وقرأ ابو عمرو وشعبة وحمزة بسكون الهاء واختلس قالون كسرة الهاء وعن هشام اختلاس الكسرة
فى الهاء والاشباع والباقون باشباع الكسرة وما اى والحال ان طالب الدنيا بعمله ماله فى الآخرة من نصيب
لان الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى روى ابى بن كعب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بشر
هذه الامة بالسناء والرفعة والنصرة والتمكن فى الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة
من نصيب لان هذا تهاون بالآخرة فلم ينوها وهى اشرف من ان تقبل على من عرض عنها
فانها ضرة الدنيا وضدها فالدنيا بخساستها تقبل على من اعرض عنها وتبعد عمن اقبل عليها حتى
تهلكه فى مهاويها والآخرة تقبل على من اقبل عليها اضعاف اقباله وتنادى من ادبر عنها لينتهى
عن غيه وضلاله فلما سمى الله تعالى كلا القسمين حرثا علمنا ان كل واحد منهما لا يحصل الا بتحمل
المشاق والمتاعب وصرف هذه المتاعب الى ما يكون فى الزائل الباقى اولى من صرفها لما يكون

في التناقض والانتقاص قال الرازي في اللوامع اهل الارادة على اصناف مريد الدنيا ومريد الآخرة
ومريد الحق جل وعلا وعلامة ارادة الدنيا ان يرضى في زيادة دنياه بنقص دينه والاعراض
عن فقراء المسلمين وان تكون حاجاته في الدنيا مقصورة على الدنيا وعلامة ارادة الآخرة
بعكس ذلك واما علامة ارادة الله تعالى كما قال تعالى يريدون وجهه فطرح الكونين والعزلة عن الخلق
والخلاص من يد النفس انتهى وحاصله ان يستغرق اوقاته في التوفية بحقوق الحق وحقوق الخلق
وتزكية النفس لا طمعا في جنة ولا خوفا من نار بل امتثالا لاجل الملك الاعلى لانه اهل لذلك مع
اعترافه بانه لن يقدر الله تعالى حق قدره ولما بين تعالى اعمال الآخرة والدنيا اتبعه بيان ما هو الاصل
في باب الضلالة والشقاوة فقال تعالى أَمْ اي بل لَهُمْ اي كفار مكة شُرَكٰؤُا اي على زعمهم وهم
شياطينهم شَرَعُوا اي سنوا بالتزيين لَهُمْ اي الكفار مِنَ الدِّيْنِ اي الفاسد في العبادات والعادات مَا لَمْ يَأْذَنْ
بِهِ اللهُ اي الملك الذي لا امر لاحد معه كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم
اوثانهم وانما اضيفت اليهم لانهم هم الذين اتخذوها شركاء لله ولما كانت سببا لضلالهم
جعلت شارعة لدين ضلالتهم كما قال ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس وقال
ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ اي القضاء السابق بتأخير الجزاء او
ولولا الوعد بان الفصل يكون بينهم يوم القيمة لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ اي بين الذين امتثلوا امره والتزموا
شرعه وبين الذين اتبعوا ما شرعوه لمن سموهم شركاء في اقرب وقت ولكنه قد سبق القضاء
في الازل بمقادير الاشياء وتحديدها على وجه الحكمة فهي تجري على ما حد لها لا يتقدم شيء منها
ولا يتأخر ولا يتبدل ولا يتغير وستنكشف لهم الامور وتظهر عجائب المقدور فلا يقع الفصل الا
في الآخرة كما سبق به القضاء وَاِنَّ الظّٰلِمِيْنَ بشرع ما لم يأذن به الله من الشرك وغيره لَهُمْ عَذَابٌ
اَلِيْمٌ اي مؤلم بليغ ايلامه ثم انه تعالى ذكر احوال اهل العقاب في احوال اهل الثواب مبتدئا بالاول
منها بقوله تعالى تَرَى اي في ذلك اليوم الظّٰلِمِيْنَ اي الواضعين الاشياء في غير مواضعها مُشْفِقِيْنَ
اي خائفين اشد الخوف كما هو حال من يحاسبه من هو اعلى منه وهو مقصر مِمَّا كَسَبُوْا اي عملوا
معتقدين انه غاية ما ينفعهم وَهُوَ اي جزاؤه ووباله الذي هو من جنسه حتى كانه هو وَاقِعٌ بِهِمْ
لا محالة سواء اشفقوا ام لم يشفقوا ثم ذكر الثاني بقوله تعالى وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وهي التي
اذن الله تعالى فيها غير خائفين مما كسبوا لانهم ماذون لهم في فعله وهو مغفور لهم ما فرطوا
فيه فِيْ رَوْضٰتِ الْجَنّٰتِ اي في الدنيا بما يلذذهم به الله تعالى من لذائذ الاقوال والافعال والمعارف
والاحوال وفي الآخرة حقيقة بلا زوال وروضة الجنة اطيب بقعة فيها وفيه تنبيه على ان عصاة
المؤمنين من اهل الجنة لانه خص الذين امنوا وعملوا الصالحات بانهم في روضات الجنات وهي البقاع
الشريفة من الجنة فالبقاع التي دون تلك الروضات لابد وان تكون مخصوصة بمن كان دون الذين
امنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى لَهُمْ مَا يَشَاۤءُوْنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يدل على ان تلك الاشياء حاضرة عنده

مهيأة والعندية مجاز * تنبيه * عند ربهم يجوز ان يكون ظرفا ليشاؤون قاله الحوفي
او للاستقرار العامل في لهم قاله الزمخشري وقوله تعالى ذلك اي الخير العظيم الرتبة الجليل
القدر هو الفضل الكبير اي الذي يصغر ما لغيرهم في الدنيا يدل على ان الجزاء المرتب على
العمل انما حصل بطريق الفضل من الله تعالى لا بطريق الوجوب والاستحقاق وقوله تعالى ذلك اي الجزاء
العظيم من الجنة ونعيمها مبتدأ خبره الذي يبشر الله اي الملك الاعظم والعائد وهو به محذوف
تفخيما للمبشر به لان السياق لتعظيمه بالاشارة وجعلها باداة البعد وبالوصف بالذي وذكر الاسم
الاعظم والتعبير بلفظ العباد في قوله تعالى عباده مع الاضافة الى ضميره سبحانه * ولما اشعر
بصلاحهم بالاضافة نص عليه بقوله تعالى الذين آمنوا اي صدقوا بالغيب وعملوا تحقيقا لايمانهم
الصالحات قرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الياء وفتح الباء الموحدة وكسر الشين مشددة والباقون
بفتح الياء وسكون الباء الموحدة وضم الشين مخففة من بشره * ولما كان كانه قيل فما تطلب في هذه
البشارة لان الغالب ان المبشر وان لم يسأل يعطى بشارة كما وقع لكعب لما اذن الله تعالى بتوبته
ركض راكض على فرس وسعى ساع على رجليه فاوفى على جبل سلع ونادى يا كعب بن مالك ابشر فقد
تاب الله عليك فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءه الذي سمع صوته خلع عليه ثوبيه وهو لا يملك
يومئذ غيرهما واستعار له ثوبين قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اي لمن توهم فيك ما جرت به
عادة المبشرين لا اسألكم اي الآن ولا في مستقبل الزمان عليه اي البلاغ بشارة او نذارة اجرا
اي وان قل الا اي لكن اسألكم المودة اي المحبة العظيمة الواسعة في القربى اي مظروفة فيها
بحيث تكون القربى موضعا للمودة وظرفا لها لا يخرج شيء من محبتكم عنها * تنبيه * في الآية ثلاثة
اقوال اولها قال الشعبي اكثر الناس علينا في هذه الآية فكتبنا الى ابن عباس نسأله عن ذلك فكتب
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم
الا وقد ولده وكان له فيهم قرابة فقال الله عز وجل قل لا اسألكم عليه اجرا على ما ادعوكم اليه الا ان
تودوا القربى اي تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة والمعنى انكم قومي واحق من اجابني واطاعني فاذ قد
ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى وصلوا رحمي ولا تؤذوني والى هذا ذهب مجاهد وقتادة وغيرهما
ثانيها روى الكلبي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كانت تنوبه نوائب
وحقوق وليس في يده سعة فقالت الانصار ان هذا الرجل هداكم وهو ابن اختكم وجاركم في بلدكم
فاجمعوا له طائفة من اموالكم ففعلوا ثم اتوه بها فردها عليهم ونزل قوله تعالى قل لا اسألكم عليه
اي على الايمان اجرا الا المودة في القربى اي لا تؤذوا قرابتي وعترتي واحفظوني فيهم قاله سعيد بن
جبير وعمرو بن شعيب ثالثها قال الحسن معناه الا ان تودوا الى الله تعالى وتتقربوا اليه بالطاعة
والعمل الصالح فالقربى على القول الاول القرابة التي بمعنى الرحم وعلى الثاني بمعنى الاقارب وعلى
الثالث فعلى بمعنى القرب والتقرب والزلفى * فان قيل * طلب الاجر على تبليغ الوحي لا يجوز

لوجوه احدها انه تعالى حكى عن اكثر الانبياء التصريح بنفي طلب الاجر فقال تعالى في قصة نوح وما
اسألكم عليه من اجر الآية وكذا في قصة هود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلوة والسلام
ورسولنا افضل الانبياء فان لا يطلب الاجر على النبوة والرسالة اولى ثانيها انه صلى الله عليه وسلم
صرح بنفي طلب الاجر فقال قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقل ما سألتكم
من اجر فهو لكم ثالثها ان التبليغ كان واجبا عليه قال تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك الآية
وطلب الاجر على اداء الواجب لا يليق باقل الناس فضلا عن اعلم العلماء رابعها ان النبوة افضل
من الحكمة وقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ووصف الدنيا بانها متاع
قليل قال تعالى قل متاع الدنيا قليل فكيف يحسن بالعقل مقابلة اشرف الاشياء باخس الاشياء
خامسها ان طلب الاجر يوجب التهمة وذلك ينافي القطع بصحة النبوة فثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز
من النبي صلى الله عليه وسلم ان يطلب اجرا البتة على التبليغ والرسالة وههنا قد ذكر ما يجري
مجرى طلب الاجر وهو المودة في القربى اجيب بانه لا نزاع في انه لا يجوز طلب الاجر على التبليغ واما قوله
تعالى الا المودة في القربى فالجواب عنه من وجهين الاول ان هذا من باب قوله ولا عيب
فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب يعني اني لا اطلب منكم الا هذا وهذا
في الحقيقة ليس اجرا لان حصول المودة بين المسلمين امر واجب قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض وقال صلى الله عليه وسلم المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا والآيات
والاخبار في هذا كثيرة واذا كان حصول المودة بين المسلمين واجبا فحصولها في حق اشرف
المرسلين اولى فقوله الا المودة في القربى تقديره والمودة في القربى ليست اجرا فرجع الحاصل الى انه
لا اجر البتة الثاني ان هذا استثناء منقطع كما مر تقديره في الآية وتم الكلام عند قوله قل لا
اسألكم عليه اجرا ثم قال الا المودة في القربى اي اذكركم قرابتي فيكم فكانه في اللفظ اجر وليس
باجر واختلفوا في قرابته صلى الله عليه وسلم فقيل هم فاطمة وعلي وابناؤهما وفيهم نزل انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وروى زيد بن ارقم عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اني تارك فيكم كتاب الله واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي قيل لزيد بن ارقم من اهل بيته
فقال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس وروى ابن عمر عن ابي بكر رضي الله عنه قال ارقبوا محمدا
في اهل بيته وقيل هم الذين تحرم عليهم الصدقة من اقاربه ويقسم فيهم الخمس وهم بنو هاشم
وبنو المطلب الذين لم يفترقوا جاهلية ولا اسلاما وقيل هذه الآية منسوخة واليه ذهب
الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل قال البغوي وهذا قول غير مرضي لان مودة النبي صلى الله
عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة اقاربه والتقرب الى الله تعالى بالطاعة والعمل الصالح
من فرائض الدين ولما كان التقدير فمن يقترف سيئة فعليه وزرها ولكنه طوى لان المقام
للبشارة كما يدل عليه ختم الآية عطف عليه قوله تعالى ومن يقترف اي يكتسب

ونشاط ويعمل بجد واجتهاد وتعهد وعلاج حسنة اى ولو صغرت نزد بما لنا من العظمة له فيها اى
فى الحسنة حسنا اى بمضاعفة الثواب ومن الزيادة ان يكون له مثل اجر من اقتدى به فيها
الى يوم القيامة لا ينقص من اجورهم شئ قيل نزلت هذه الآية فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه
وقيل المراد بها العموم فى اى حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقب ذكر المودة فى القربى دل ذلك
على ان المقصود التاكيد فى تلك المودة ان الله اى الذى لا يتعاظمه شئ غفور لكل ذنب
منه صاحبه وكان غير الشرك وان لم يتب منه ان شاء فلا ييأسن احد سيئة عملها عن الاقبال
على الحبيب شكور اى فهو يجزى بالحسنة اضعافا فان قلت والشكور فى حق الله تعالى مجاز والمعنى
انه تعالى يحسن الى المطيعين فى ايصال الثواب اليهم وفى ان يزيد عليه انواعا كثيرة من التفضل ثم
ذكر الله تعالى الجواب عن طعن الكفرة فى النبى صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ام اى بل يقولون افترى
اى محمد صلى الله عليه وسلم على الله الذى احاط بصفات الكمال فله العلم الشامل لمن يتقول
عليه والقدرة التامة على عقابه كذبا بان زعم ان هذا القرآن من عنده وانه ارسله بهذا
الدين فان يشأ الله اى الذى له الاحاطة بالكمال يختم اى يربط على قلبك بالصبر على اذاهم بهذا القول
وغيره وقد فعل وقال قتادة يعنى يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما آتاك فاخبرهم انه لو افترى
على الله كذبا لفعل به ما اخبر عنه فى هذه الآية اى انه لا يجترئ على افتراء الكذب الا من كان فى هذه
الحالة والمقصود من هذا الكلام المبالغة فى تقرير الاستبعاد ومثاله ان ينسب رجل بعض الامناء الى
الخيانة فيقول الامين ذلك لعل الله خذلنى اعمى قلبى وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب لنفسه
وانما يريد استبعاد صدور الخيانة عنه وقوله تعالى ويمح الله اى الذى له الامر كله الباطل وهو قولهم افترى
مستانف غير داخل فى جزاء الشرط لانه تعالى يمحو الباطل مطلقا وسقطت الواو منه لفظا لالتقاء
الساكنين فى الدرج وخطا حملا للخط على اللفظ كما كتبوا سندع الزبانية عليه واما الحق فانه ثابت شديد
مضاعف فلذا قال ويحق اى يثبت على وجه لا يمكن زواله الحق اى كل ما من شانه الثبات لانه اذن
فيه وامر به بكلماته اى التى لو كان البحر مدادا لها لنفد وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم واعلى كلمة
الاسلام عليهم انه عليم اى بالغ العلم بذات الصدور اى بما هو فيها مما يعلمه صاحبها ومما لا يعلمه
فيبطل باطله ويثبت حقه وان كره الخلائق ذلك واتضح نبأه بعد حين ولقد صدق الله تعالى فاثبت
ببركة هذا القرآن كل ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم وابطل بسيف هذا البرهان كل ما كانوا يقولونه
فيه ومن اصدق من الله قيلا قال ابن عباس لما نزل قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى وقع فى قلوب
قوم منها شئ وقالوا يريد ان يحثنا على اقاربه من بعده فنزل جبريل عليه السلام فاخبره انهم اتهموه
فانزل الله تعالى هذه الآية فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد انك صادق فنزل وهو اى لا غيره الذى
يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه سئل ابو الحسن البوشنجى عن التوبة فقال اذا ذكرت الذنب
فلا تجد له حلاوة فى قلبك فهو التوبة وروى جابر ان اعرابيا دخل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم

اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي الله تعالى عنه يا هذا ان سرعة
الاستغفار باللسان توبة الكذابين فقال يا امير المؤمنين ما التوبة قال اسم يقع على ستة اشياء على
الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذاقة النفس مرارة الطاعة
كما اذقتها حلاوة المعصية واذابتها في الطاعة كما ربيتها في المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته
وقال سهل بن عبد الله التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة وقال بعضهم
هي الندم على الماضي والترك في الحال والعزم على ان لا يعود اليه في المستقبل وعن ابي هريرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب اليه في اليوم مائة
مرة وعن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده
بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله جعل في المغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما
للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها وروي ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ولما
كان القبول قد يكون في المستقبل مع الاخذ بما مضى قال الله تعالى تفضلا منه ورحمة ويعفو
عن السيئات اي التي كانت التوبة منها صغيرة كانت او كبيرة وعن غيرها فلا يؤاخذ بها ان شاء لان التوبة
تجب ما قبلها كما ان الاسلام الذي هو توبة خاصة يجب ما كان قبله وروى انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لله اشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان هو على راحلته بارض فلاة
فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع في ظلها قد ايس من راحلته
فبينما هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم انت عبدي
وانا ربك اخطأ من شدة الفرح ويعلم اي والحال انه يعلم كل وقت ما تفعلون لا فيجازي
ويجاوز عن اتقان وحكمة وقرأ حمزة والكسائي وحفص بتاء الخطاب اقبالا على الناس عامة وهذا خطاب
للمشركين وقرأ الباقون بالغيبة نظرا الى قوله تعالى عن عباده وقال تعالى بعد ويزيدهم
من فضله ولما رغب في العفو زاد بالاكرام فقال تعالى ويستجيب اي يوجد بغاية
العناية والطلب اجابة الذين آمنوا اي دعاء الذين اقروا بالايمان في كل ما دعوا به او شفعوا عنده فيه لانه
لولا ارادته لهم الاكرام بالايمان ما آمنوا وعدى الفعل بنفسه ولم يقل ويستجيب للذين آمنوا تنبيها على
زيادة بره لهم ووصلته بهم وعملوا تصديقا لدعواهم الايمان الصالحات فيثيبهم النعيم
المقيم ويزيدهم اي مع ما دعوا به ما لم يدعوا به ولم يخطر على قلوبهم من فضله اي تفضلا
منه عليهم ويجوز ان يكون الموصول فاعلا اي يجيبون ربهم اذا دعاهم كقوله تعالى استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم واستجاب كأجاب ومنه قول الشاعر وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب
وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه ويثيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات

ويزيدهم من فضله سوى ثواب اعمالهم تفضلا منه وروى ابو صالح عنه يشفعهم ويزيدهم من فضله
قال في اخوان اخوانهم ثم اتبع المؤمنين بذكر ضدهم فقال تعالى والكافرون اى العريقون في
هذا الوصف القاطع الذين منعتهم عراقتهم من التوبة والايمان لهم عذاب شديد بدل ما
للمؤمنين من الثواب والتفضل ولا يجيب دعاءهم وما دعاء الكافرين الا في ضلال فالآية من الاحتباك
ذكر الاستجابة اولا دليلا على ضدها ثانيا والعذاب ثانيا دليلا على ضده اولا ولما قال تعالى انه
يجيب دعاء المؤمنين ورد سؤال وهو ان المؤمن قد يكون في شدة وبلية وفقر ثم يدعو فلا يظهر
اثر الاجابة فكيف الجمع بينه وبين قوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا فاجاب تعالى عنه بقوله تعالى
ولو اى وهو يقبل ويستجيب والحال انه لو بسط الله الرزق لهم هكذا كان الاصل لكن قال لعباده
لئلا يظن خصوصية ذلك بالتائبين اذ لا فرق بين التائب وغيره لبغوا اى طغوا في الارض اى لصاروا
يريدون كل ما يشتهون فيكثر القتل والسلب والنهب ونحو ذلك من انواع الفساد وقال خباب بن الارت
فينا نزلت هذه الآية وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فنزلت
وذكر في كون بسط الرزق موجبا للطغيان وجوه الاول ان الله تعالى لو سوى في الرزق بين الكل
امتنع كون البعض محتاجا الى البعض وذلك موجب خراب العالم وتعطيل المصالح ثانيها ان هذه
الآية مختصة بالعرب فانه كلما اتسع رزقهم ووجدوا من ماء المطر ما يرويهم ومن الكلأ من
العشب ما يشبعهم قدموا على النهب والغارة ثالثها ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد
الغنى والقدرة عاد الى مقتضى خلقته الاصلية وهو التكبر واذا وقع في شدة وبلية ومكروه انكسر
وعاد الى التواضع والطاعة وقال ابن عباس رضي الله عنهما بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد
مركب وملبسا بعد ملبس ولكن ينزل اى لعباده من الرزق وقرأ ابن كثير وابو عمرو بسكون النون
وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي بقدر اى بتقدير لهم ما يشاء اى ما اقتضته
مشيئته انه اى قال تعالى بعباده ولم يقل بهم لئلا يظن ان الامر خاص بمن وسع عليهم او ضيق عليهم
خبير بصير اى يعلم جميع ظواهر امورهم وبواطنها فيقيم كل احد فيما يصلح له من صلاح وفساد وعدل
وبغي روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل في حديث
طويل وفيه يقول الله عز وجل ما ترددت في شيء انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت
واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده
ذلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي
المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه
الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك وذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير وقرأ ما يشاء
انه نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كالياء ولهم ايضا ابدالها واوا والباقون بتحقيقهما
واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة الفا مع المد والقصر والروم والاشمام وهـ

اى لا غيره الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ اى المطر الذى يغاث به الناس وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى
بفتح النون وتشديد الزاى والباقون بسكون النون وتخفيف الزاى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا اى يئسوا
من نزوله وعلموا انه لا يقدر على انزاله غيره ولا يقصد فيه سواه ليكون ذلك ادعى لهم
الى الشكر وقال تعالى وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ اى يبسط مطره كما قال تعالى وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى
رحمته وان كان الاصل بنشره لانه بين انه غيث فقال رحمته بيانا وتعميما فينزل من السحاب المحمول
بالريح من الماء ما لو اجتمع عليه الخلائق ما اطاقوا حمله فتصبح الارض ما بين غدران وانهار ونبات نجم
واشجار وزهر وحب وثمار وغير ذلك من المنافع الصغار والكبار فلله ما اعلى هذه القدرة الباهرة
والآية الظاهرة فيخرج من الارض التى هى من صلابتها تعجز عنها المعاول بمجاهى فى لينه الين من الحرير وفى
لطافته الطف من النسيم ومن سوق الاشجار التى تنثنى فيها المناقير اغصانا الطف من السنبلة العصفور
فما اجلت من بنكر اخراجه الموقن من القبور او يحيد عن ذلك بنوع من الغرور وَهُوَ اى لا غيره الْوَلِيُّ
الذى لا احد اقرب منه الى عباده فى شئ من الاشياء الْحَمِيدُ الذى يستحق حمدا مع الحمد من انه يحمد من
يطيعه فيزيده من فضله ويصل حبله دائما بحبله وَمِنْ آيَاتِهِ اى العظيمة على استحقاقه لجميع صفات
الكمال خَلْقُ السَّمَاوَاتِ التى تعلمون انها متعددة لما ترون من اسوار الكواكب وَالْأَرْضِ اى جنسها على
ما هما عليه من الهيآت وما اشتملا عليه من المنافع والخيرات وقوله تعالى وَمَا بَثَّ اى فرق ونشر يجوز
ان يكون مجرور المحل عطفا على السموات او مرفوعه عطفا على خلق على حذف مضاف اى وخلق ما بث
قال ابو حيان وفيه نظر لانه يؤل الى جره بالاضافة لخلق المقدر فلا يعدل عنه فِيهِمَا اى فى السموات
والارض مِنْ دَابَّةٍ اى شئ فيه اهلية الدبيب بالحياة والحركة من الانس والجن والملائكة وسائر
الحيوانات على اختلاف الوانهم واصنافهم واشكالهم ولغاتهم وطبائعهم واجناسهم وانواعهم واقطارهم
ونواحيهم فان قيل كيف يجوز اطلاق الدابة على الملائكة اجيب بوجوه اولها ان من ان الدابة
عبارة عما فيه الروح والحركة والملائكة لهم الروح والحركة ثانيها انه قد يضاف الفعل الى جماعة وان كان
فاعله واحدا منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ثالثها قال ابن عادل لا يبعد ان يقال
انه تعالى خلق فى السموات انواعا من الحيوانات يمشون مشى الاناسى على الارض وروى العباس
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بين السماء السابعة والعرش بحر بين اسفله
واعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض
ثم فوق ذلك العرش الحديث وَهُوَ اى لا غيره عَلَى جَمْعِهِمْ اى هذه الدواب من ذوى العقول وغيرهم
للحشر بعد تفريقهم بالقلوب والابدان بالموت وغيره إِذَا اى فى وقت يَشَاءُ قَدِيرٌ اى بالغ القدرة
كما كان بالغ القدرة عند الايجاد من العدم يجمعهم فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم
البصر ثم خاطب المؤمنين بقوله تعالى وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ اى بلية وشدة فَبِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِيكُمْ اى من الذنوب وقرأ نافع وابن عامر بغير فاء والباقون بالفاء لان ما شرطية

او مضمنة معناه واما من اسقطها فقد استغنى بما فى الباء من معنى السببية فان قيل الكسب لا يكون باليد بل بالقدرة القائمة بها اجيب بان المراد من لفظ اليد ههنا القدرة واذا كان هذا المجاز مشهورا مستعملا كان لفظ اليد فى حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله تبارك وتعالى عن الاعضاء واختلفوا فيما يحصل فى الدنيا من الآلام والاسقام والقحط والغرق والمصائب هل هى عقوبات على ذنوب سلفت اولا فمنهم من انكر ذلك لوجوه اولها قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت بين تعالى ان ذلك انما يحصل يوم القيامة وقال تعالى مالك يوم الدين اى يوم الجزاء واجمعوا ان المراد منه يوم القيامة ثانيها مصائب الدنيا يشترك فيها الزنديق والصديق فيمتنع ان تكون عقوبة على الذنب بل حصول المصائب للصالحين والمتقين اكثر منه للمذنبين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل ثالثها ان الدنيا دار تكليف فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار تكليف ودار جزاء معا وهو محال وقال آخرون هذه المصائب قد تكون اجزية على ذنوب متقدمة لظاهر الآية ولما روى الحسن قال لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه الا اخبركم بافضل آية فى كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة الآية قال صلى الله عليه وسلم وسافسرها لك يا على ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء فى الدنيا فبما كسبت ايديكم والله سبحانه وتعالى اكرم من ان يثنى عليكم العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنه فى الدنيا فانه احلم من ان يعود بعد عفوه وتمسكوا ايضا بقوله تعالى بعد هذه الآية او يوبقهن بما كسبوا وذلك تصريح بان ذلك الاهلاك بسبب كسبهم قيل لابى سليمان الدارانى ما بال العقلاء ازالوا اللوم عن اساء اليهم قال انهم علموا ان الله تعالى انما ابتلاهم بذنوبهم وقرأ هذه الآية واجاب الاولون بان حصول هذه المصائب يكون من باب الامتحان فى التكاليف لا من باب العقوبة كما فى حق الانبياء بل ذلك لزيادة درجات وفضائل وخصوصيات لا يصلون اليها الا بها لان اعمالهم لم تبلغها فهى حينئذ من الله تعالى لهم ويحمل قوله تعالى فبما كسبت ايديكم على ان الاصلح عند اتيانكم بذلك الكسب انزال هذه المصائب عليكم ويعفوا عن كثير اى من الذنوب بفضله ورحمته فلا يعاقب عليها ولولا عفوه وتجاوزه ما ترك على ظهرها من دابة قال الواحدى بعد ان روى حديث على وهذه ارجى آية فى كتاب الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين صنف كفر عنهم بالمصائب وصنف عفا عنهم فى الدنيا وهو كريم لا يرجع فى عفوه فهذه سنة الله تعالى مع المؤمنين واما الكافر فانه لا تعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة وما انتم بمعجزين اى فائتين ما قضى عليكم من المصائب فى الارض وما لكم من دون الله اى غيره فلا فى شئ اراده سبحانه منكم كائنا ما كان من ولى اى يكون متوليا لشئ من اموركم بالاستقلال ولا نصير يدفع عنكم شيئا يريده سبحانه بكم ومن آياته اى الدالة على تمام قدرته واختياره ووحدانيته الجوار

(ال)سفن الجارية في البحر كالاعلام اي كالجبال قالت الخنساء في مرثية اخيها صخر وان صخرا
لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار اي جبل في رأسه نار شبهت به اخاها
(ير)وى ان النبي صلى الله عليه وسلم استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوي هذا البيت
قال قاتلها الله تعالى ما رضيت بتشبيهه بالجبل حتى جعلت في رأسه نارا وقال مجاهد الاعلام
القصور واحدها علم وقال الخليل بن احمد كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم فان قيل
الصفة متى لم تكن خاصة بموصوفها امتنع حذف الموصوف فلا تقول مررت بماش لان المشي
عام وتقول مررت بمهندس وكاتب والجري ليس من الصفات الخاصة فما وجه ذلك اجيب
بان قوله تعالى في البحر قرينة دالة على الموصوف فلذلك حذف ويجوز ان تكون هذه صفة غالبة
كالابطح والابرق فوليت العوامل دون موصوفها وقرأ نافع وابو عمرو باثبات الياء وصلا لا وقفا
وابن كثير وهشام باثباتها وقفا بخلاف عن هشام والباقون بحذفها وقفا ووصلا وامال الجواري
محضة الدوري عن الكسائي وفتح الباقون ان يشأ اي الله الذي حملكم فيها على ظهر الماء آية بينة
سقط اعتبارها عندكم لشدة الفكم لها يسكن الريح الذي يسيرها وانتم مقرون بان امرها ليس
لاحد وقرأ نافع بالف بعد الياء جمعا والباقون بغير الف افرادا فيظللن اي فيتسبب عن ذلك
انهن يظللن اي يصرن ليلا كان او نهارا رواكد اي ثوابت لا تجري على ظهره اي البحر ان في
ذلك اي ما ذكر في حال السفن في سيرها وركودها مما لا يقدر عليه الا الله تعالى بدليل ما
للناس الاجماع على التوجه في ذلك اليه خاصة والاخلاع مما سواه لآيات اي على احاطته سبحانه
بجميع صفات الكمال لكل صبار اي على البلاء والشدة شكور اي على نعمائه وهو المؤمن الكامل يصبر
في الشدة ويشكر في الرخاء فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر او اي وان يشأ في كل وقت اراد
يوبقهن اي يهلكهن بعصف الريح باهلهن بما كسبوا اي اهلهن من الذنوب ويعف اي ان يشأ
عن كثير من ذنوبهم فلا يعاقب فينجيهم بعوم او حمل على خشبة او غير ذلك وان يشأ يرسل الريح
طيبة فينجيها ويبلغها اقصى المراد الى غير ذلك من المقادير الداخلة تحت المشيئة وقوله تعالى ويعلم
قرأه نافع وابن عامر برفع الميم مستأنفا والباقون بالنصب معطوف على تعليل مقدر اي لينتقم
منهم وليعلم الذين يجادلون اي عند النجاة بالعفو في آياتنا اي يكذبون القرآن اي علم ظهور للناس
ما لهم من محيص اي مهرب من العذاب وجملة النفي سدت مسد مفعولي يعلم والنفي معلق عن العمل
وقوله تعالى فما اوتيتم خطاب للمؤمنين وغيرهم من شيء اي من اثاث الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا
اي القريبة الدنية لا نفع فيه لاحد الا مدة حياته وذلك جدير بالاعراض عنه وعما يسببه
من الاعمال الا ما يقرب الى الله تعالى وما اي والذي عند الله اي الملك الاعظم المحيط بكل شيء
قدرة وعلما من نعم الدارين خير اي في نفسه ما شئت خيرية من النعم الدنيوية المحضة
لانقطاع نفعه فسماه متاعا منبها على قلته وحقارته وجعله من متاع الدنيا تنبيها على انقراضه

واما الآخرة فهي خير وأبقى و ابدا فخير من التنفيس لفانى ، ثم بين تعالى ان هذه الخيرية انما
تحصل لمن كان موصوفا بصفات الصفة الاولى قوله تعالى لِلَّذِينَ آمَنُوا اى اوجدوا
هذه الحقيقة وتحلوا والحال انهم عَلَى رَبِّهِمْ اى الذى لم يروا احسانا الا منه وحده
بما رباهم من الاخلاص يَتَوَكَّلُونَ اى يحملون جميع امورهم عليه كما حمل عنهم متاعه على
من قواهم منه قوة على الحمل ولا يلتفتون فى ذلك الى شئ غيره اصلا لينتفي عنهم بذلك الشرك
الخفى كما انتفى بالايمان الشرك الجلى وهذا رد على من زعم ان الطاعة توجب الثواب لانه متوكل على عمل
نفسه لا على الله تعالى فلا يدخل تحت الآية الصفة الثانية قوله عز وجل وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ اى يكلفون
انفسهم ان يجانبوا كَبَائِرَ الْإِثْمِ اى جنس الفعال الكبائر التى لا توجد الا فى ضمن افرادها ويحصل
بها دنس النفس فيوجب عقابها مع الجسم وعطف على كبائر قوله تعالى وَالْفَوَاحِشَ وهى ما انكره
الشرع والعقل والطبع والكبائر كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة والفواحش ما عظم
قبحه من الاقوال والافعال وقال مقاتل ما يوجب الحد وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة النساء
وقرأ حمزة والكسائى بكسر الباء الموحدة قبل الياء الساكنة وهى للجنس فهى بمعنى قراءة الجمع كما
قرأ الباقون بفتح الموحدة والف بعدها وبعد الالف همزة مكسورة والاولى ابلغ لشمولها الصغائر
الصفة الثالثة قوله تبارك وتعالى وَإِذَا مَا غَضِبُوا اى غضبا هو على حقيقته اى مقتضى لايقاع
ببعض المتصلين بواطنهم فى غيرهم كظموا ثم قال تعالى هُمْ يَغْفِرُونَ اى هم الاخصاء بالغفران
بانهم كلما تجدد لهم غضب جددوا واعفوا اى محوا الذنوب عينا واثرا مع القدرة على الانتقام فسجاياهم
تقتضى الصفح دون الانتقام ما لم يكن من الظالم بغى لانه لا يؤاخذ على مجرد الغضب لانه متكبر والتكبر
لا يصلح لغير الله وفى الصحيح انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط الا ان تنتهك حرمات
الله تعالى وروى ابن ابى حاتم عن ابراهيم النخعى قال كان المؤمنون يكرهون ان يستذلوا وكانوا اذا
قدروا عفوا الصفة الرابعة قوله تعالى وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا اى اوجدوا الاجابة بما لهم من العلم اهله
الى سبيل الرشاد لِرَبِّهِمْ اى الداعى لهم الى الاجابة احسانا اليهم قال الرازى المراد من هذا تمام الانقياد
فان قيل أليس انه لما جعل الايمان فيه شرطا فقد دخل فى الايمان اجابة الله تعالى اجيب بانه يحمل هذا
على الرضا بقضاء الله تعالى من صميم القلب وان لا يكون فى قلبه منازعة الصفة الخامسة قوله سبحانه
وتعالى وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ اى اداموا الصلاة الواجبة وَأَمْرُهُمْ اى كل ما ينوبهم مما يحتاجون الى التدبير فيه شُورَى
بَيْنَهُمْ اى يتشاورون فيه مشاورة عظيمة مبالغين بما لهم من قوة الباطن ولا يعجلون فى امورهم
والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور الصفة السادسة قوله تعالى وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ اى اعطيناهم
بعظمتنا من غير حول منهم ولا قوة يُنْفِقُونَ اى يديمون الانفاق فى سبيل الله تعالى
كرما منهم وان قل ما بايديهم اعتمادا على فضل الله تعالى لا يقبضون ايديهم كالمنافقين
وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ اى وقع بهم واثر فيهم وهو التمادى على المعى بالشر هُمْ يَنْتَصِرُونَ

اي ينتقمون ممن ظلمهم مثل ظلمه كما قال تعالى وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا سميت الثانية سيئة
لمشابهتها الاولى في الصورة قال مقاتل يعني القصاص وهي الجراحات والدماء وقال مجاهد والسدي
هو جواب القبيح اذا قال اخزاك الله يقول اخزاك الله واذا شتمك فاشتمه بمثلها من غير ان تعتدي قال
سفيان بن عيينة سألت سفيان الثوري عن ذلك فقال ان شتمك رجل فتشتمه او يفعل
كذا فتفعل به فلم اجد عنده شيئا فسألت هشام بن حجيرة عن ذلك فقال الجارح اذا جرح يقتص منه
وليس هو ان يشتمك وتشتمه وقد تكفلت هذه الجمل بامهات الفضائل الثلاث العلم والعفة والشجاعة
على احسن الوجوه فالمدح بالاستجابة والصلوة دعاء الى العلم وبالنفقة الى العفة وبالانتصار الى الشجاعة
حتى لا يظن ان ادعاءهم لما مضى مجرد ذل والقصر على المماثلة دعاء الى فضيلة التقسيط بين الكل وهي
العدل فهذه الاخيرة كافلة بالفضائل الثلاث فان من علم المماثلة كان عالما ومن قصد الوقوف عندها
كان عفيفا ومن قسر نفسه على ذلك كان شجاعا وقد ظهر من المدح بالانتصار بعد المدح بالغفران
ان الاول للعاجز والثاني للمتغلب المتكبر بدليل البغي فان قيل هذه الآية مشكلة لوجهين الاول انه
لما ذكر قبله واذا ما غضبوا هم يغفرون فكيف يليق ان يذكر معه ما يجري مجرى الضد له وهو والذين اذا
اصابهم البغي هم ينتصرون الثاني ان جميع الآيات دالة على ان العفو احسن قال تعالى وان تعفوا اقرب
للتقوى وقال تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما قال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين اجيب
بان العفو على قسمين احدهما ان يصير العفو سببا لتسكين الفتنة ورجوع الجاني عن جنايته
والثاني ان يصير العفو سببا لمزيد جراءة الجاني وقوة غيظه وغضبه فآيات العفو محمولة على القسم الاول
وهذه الآية محمولة على القسم الثاني وحينئذ يزول التناقض روي ان زينب اقبلت على عائشة تشتمها
فنهاها النبي صلى الله عليه وسلم عنها فلم تنته فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم سبيها وايضا فانه تعالى
لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع فقط ثم بين ان مشروعيته مشروطة برعاية المماثلة بقوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم بين ان العفو اولى بقوله تعالى فَمَنْ عَفَا اي باسقاط حقه كله اي بالنقص منه
لتحقق البراءة مما حرم من المجاوزة وَأَصْلَحَ اي وقع الاصلاح بين الناس بالعفو والاصلاح لنفسه
ليصلح الله ما بينه وبين الناس فيكون بذلك منتصرا من نفسه لنفسه فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ اي المحيط بجميع صفات
الكمال فهو يعطيه على حسب ما يقتضيه مفهوم هذا الاسم الاعظم وهذا اسم لفت الكلام اليه
عن مظهر العظمة وقوله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله بعفو الا عزا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ اي لا يكرم
الواضعين للشيء في غير محله فيترتب عليهم عقابه وَلَمَنِ انْتَصَرَ اي سعى في نصر نفسه بجهده بَعْدَ
ظُلْمِهِ اي بعد ظلم الغير له وليس قاصد التعدي حقه ولو استغرق انتصاره جميع زمان
التعدي فَأُولَئِكَ اي المنتصرون لاجل دفع الظالم عنهم مَا عَلَيْهِمْ واكد باثبات الجار فقال
تعالى مِنْ سَبِيلٍ اي عتاب لانهم فعلوا ما ابيح لهم من الانتصار روى النسائي عن عائشة
قالت ما علمت حتى دخلت علي زينب وهي غضبى فاقبلت علي فاعرضت

عنها حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم دونك فانتصري فاقبلت عليها حتى رأيتها قد يبس ريقها في فيها
ما ترد علي شيئا فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه واحتجوا بهذه الآية على ان سراية
القود مهدرة لانه فعل مأذون فيه فيدخل تحت هذه الآية انما السبيل اي الطريق السالك الذي
لا منع منه اصلا على الذين يظلمون الناس اي يوقعون بهم ظلمهم تعمدا عدوانا ويبغون
اي يتجاوزون الحدود في الارض بما يفسدها بعد اصلاحها بتهيئتها للصلاح طبعا وعقلا وعملا
بغير الحق اي الكامل لان الفعل قد يكون بغيا وان كان مصحوبا بحق كالانتصار المقرون
بالتعدي فيه اولئك اي البعداء من الله تعالى لهم عذاب اليم اي مؤلم يعم ايلامه ابدانهم
وارواحهم بما آلموا من ظلموه ولمن صبر اي عن الانتصار من غير انتقام ولا شكوى وغفر
اي صرح باسقاط العقاب والعتاب بمحو عين الذنب واثره ان ذلك اي الفعل الواقع منه
البالغ في العلو حدا لا يوصف لمن عزم الامور اي معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعا روي انه
صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد ظلم مظلمة فعفا عنها الا اعزه الله تعالى بها نصرا ومن
يضلل الله اي الذي له صفات الكمال بان لم يوفقه فما له من ولي اي يتولى امره في الهداية
بالبيان لما اخفاه الله تعالى عنه من بعده اي من بعد اضلال الله تعالى له وهذا صريح في جواز
ان الاضلال من الله تعالى وان الهداية ليست في مقدور واحد سوى الله تعالى وقال تعالى وترى الظالمين
موضع وتراهم لبيان ان الضال لا يضر شيئا في موضعه ولما كان عذابهم حقا عبر عنه بالماضي
فقال لما رأوا العذاب اي يوم القيامة المعلوم مصير الظالم اليه يقولون اي مكررين لما اعتراهم
من الدهش وغلب على قلوبهم من الوجل هل الى مرد اي الى دار العمل من سبيل اي طريق فيتمنون حينئذ
الرجوع الى الدنيا لتدارك ما فات من الطاعات الموجبة للنجاة وتراهم اي في ذلك اليوم والضمير في قوله تعالى
يعرضون عليها يعود على النار لدلالة العذاب عليها ثم ذكر حالهم عند عرضهم على النار بقوله تعالى خاشعين
اي خاضعين متقاربين بسبب ما يلحقهم من الذل لانهم عرفوا اذ ذاك ذنوبهم وانكشف لهم عظمة من عصوه
ينظرون اي يبتدئ نظرهم المكرر من طرف اي تحريك للاجفان خفي اي ضعيف النظر يسارقون
النظر الى النار خوفا منها وذلة في انفسهم كما ينظر المقتول الى السيف فلا يقدر يملأ
عينيه منه ولا يفتح عينيه انما ينظر ببعضها ويجوز ان تكون من بمعنى الباء اي بطرف خفي ضعيف
من الذل فان قيل قد قال الله تعالى في صفة الكفار انهم يحشرون عميا فكيف قال تعالى
هنا انهم ينظرون من طرف خفي اجيب بانهم يكونون في الابتداء هكذا ثم يصيرون عميا
او ان هذا في قوم وذاك في قوم آخرين وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم والنظر بالقلب خفي ولما
وصف تعالى حال الكفار حكى ما يقوله المؤمنون فيهم فقال تعالى وقال اي في ذلك
الموقف الاعظم على سبيل التعليم لهم والتبكيت والتوبيخ والتقريع الذين آمنوا اي اوقعوا
هذه الحقيقة سواء كان ايقاعهم لها في ادنى الرتب او اعلاها ان الخاسرين

الذين كملت خسارتهم الذين خسروا انفسهم بما استغرقها من العذاب واهليهم بمفارقتهم لهم
اما في اطباق العذاب ان كانوا مثلهم في الخلود او في دار الثواب ان كانوا من اهل الايمان
يوم القيامة اي هو يوم فوت التدارك لانه للجزاء لا للعمل لفوات شرطه بفوات الايمان بالغيب
لانكشاف الغطاء وهذا القول ان يكون واقعا في الدنيا او يوم القيامة اذا راوهم على تلك الصفة
وقوله تعالى الا ان الظالمين اي الراسخين في هذا الوصف في عذاب مقيم اي دائم يحتمل ان يكون
من تمام كلام المؤمنين وان يكون تصديقا من الله تعالى لهم وما كان اي ما صح وما وجد لهم واغرق
في النفي فقال تعالى من اولياء اي اقاربهم من ولي لان النصرة اذا انتفت من الواحد من بابه وولي
ينصرونهم اي يجددون نصرهم في وقت من الاوقات من دون الله اي الملك الاعظم لا
لا في الدنيا فان بقدرة واعلى انقاذهم من وصمة الظلم ولا في الآخرة بانقاذهم من العذاب
ومن يضلل الله اي يوجد ضلاله ايجادا بليغا بما افاده الفك على سبيل الاستمرار بعدم البيان
او بعدم التوفيق بعد البيان فما له بسبب اضلال من له جميع صفات الكمال واغرق تعالى
في النفي بقوله سبحانه من سبيل اي طريق الى الحق في الدنيا والى الجنة في الآخرة ولما ذكر
تعالى الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود فقال تعالى استجيبوا لربكم اي اجيبوه بالتوحيد
والعبادة فانه الذي لم تروا احسانا الا وهو منه من قبل ان ياتي يوم هو يوم القيامة لا مرد له من الله
اي الذي له جميع العظمة فانه اذا اتى به لا يرده واذا لم يكن له مرد منه لم يكن له مرد من غيره ومتى
علم ذلك انتج قوله تعالى ما لكم واغرق في النفي بقوله تعالى من ملجا اي تلجؤون اليه يومئذ
اي في ذلك اليوم وزاد في التاكيد باعادة النافي وما في حيزه الا على التحدي فقال تعالى وما لكم
من نكير اي انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائفكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم
فان اعرضوا اي عن الاجابة فيما دعوتهم اليه فما ارسلناك اي بما لنا من العظمة عليهم حفيظا اي
تقهرهم على امتثال ما ارسلناك به ان عليك الا البلاغ لما ارسلناك به واما الهداية والاضلال فالينا
وهذا كما قال الجلال المحلي قبل الامر بالجهاد وانا اذا اذقنا اي بالعظمة التي لا يمكن مخالفتها الانسان
اي بما جبلناه عليه من النقص وعدم التمالك منا رحمة قال ابن عباس رضي الله عنهما نعمة من انواع
الاكرام من صحة او غنى او نحو ذلك فرح بها اي بتلك الرحمة وافرد ضميره نظرا للفظ الانسان اشارة
الى انه مطبوع على انه ليس عليه الا من نفسه ولو كان اهل الارض كلهم على غير ذلك ونعم الله تعالى
عليهم وان كانت في الدنيا عظيمة الا انها بالنسبة الى سعادات الآخرة كالقطرة بالنسبة
الى البحر فلذلك سميت ذوقا فبين تعالى ان الانسان اذا حصل له هذا القدر الحقير في الدنيا فرح به
وعظم غروره ووقع في العجب والكبر وظن انه فاز بكل المنى ووصل الى اقصى السعادات وهذه طريقة
من ضعف اعتقاده في سعادات الآخرة وجمع ضميره للانسان في قوله تعالى وان تصبهم باعتبار معناه
سيئة اي شيء يسوؤهم في الحال كالمرض والفقر والقحط بما قدمت ايديهم اي قدموه وعبر بالايدي

لان اكثر الانفعال بها فان الانسان اى الانس بنفسه المعرض عن غيره بما هو طبع له بسبب
سيئة تضره كفور اى ابلغ الكفران بنسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتأمل سببها
وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات
بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع الضمير فى الثانية للدلالة
على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة فان كان فى نعمة اشر وبطر وان كان فى نقمة يئس وقنط فهذا
حال الجنس من حيث هو الا من وفقه الله تعالى بجنبه ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ان اصابه
سراء شكر فكان خيرا وان اصابه ضراء صبر فكان خيرا ولما ذكر تعالى اذاقة الانسان الرحمة
واصابته بعدها السيئة اتبع ذلك بقوله تعالى لله اى الملك الاعظم وحده ملك السموات كلها علوها
وتطابقها وكبرها وعظمها وتباعد اقطارها والارض جميعها على تباينها وتكاثفها واختلاف اقطارها
وسكانها واتساعها يخلق اى على سبيل التجدد والاختيار والاستمرار ما يشاء وان كان على غير اختيار
العباد لئلا يغتر الانسان بما ملكه من المال والجاه بل اذا علم ان الكل ملك لله وملكه وانما
حصل له ذلك القدر انما هو من الله تعالى عليه فيصير ذلك حاملا له على مزيد الطاعة ثم ذكر من اقسام
تصرفه تعالى فى العالم انه يخص بعض الناس بالاولاد الاناث والبعض بالذكور والبعض بهما والبعض يحرمه
من الكل كما قال تعالى يهب اى يخلق لمن يشاء اولادا اناثا فقط ليس معهن ذكر ويهب لمن يشاء
الذكور فقط ليس معهم انثى وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كالياء وتبدل
ايضا واوا لصبة والباقون بتحقيقهما وفى الابتداء الجميع بالتحقيق واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة
الفا مع المد والتوسط والقصر ولهما ايضا تسهيلها مع المد والقصر والروم والاشمام او يزوجهم
اى الاولاد فيجعلهم زوجا اى صنفين حال كونهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما
اى لا يولد له قال الرازى وفى الآية سؤالات الاول انه قدم الاناث فى الذكر على الذكور اولا ثم قدم الذكور
على الاناث ثانيا فما السبب اى فما الحكمة فى هذا التقديم والتاخير الثانى انه نكر الاناث وعرف الذكور
وقال فى الصنفين معا او يزوجهم ذكرانا واناثا الثالث انه لما كان حصول الولد هبة من الله تعالى فيكفى
فى عدم حصوله ان لا يهب فاى حاجة فى عدم حصوله الى قوله تعالى ويجعل من يشاء عقيما
الرابع هل المراد بهذا الحكم جمع معينون او الحكم على الانسان المطلق ثم قال والجواب
عن الاول ان الكريم يسعى فى ان يقع الختم على الخير والراحة فاذا وهب الانثى اولا ثم اعطى الذكر بعدها
فكانه نقله من الغم الى الفرح وهذا غاية الكرم اما اذا اعطى الذكر اولا ثم اعطى الانثى ثانيا فكانه
نقله من الفرح الى الغم فذكر الله تعالى هبة الانثى اولا ثم ثنى بهبة الذكر حتى يكون
قد نقله من الغم الى الفرح فيكون اليق بالكرم وقيل من يمن المرأة تبكيرها بالانثى قبل الذكر
لان الله تعالى بدأ بالاناث واما تقديم ذكر الذكور بعد ذكر الاناث ثانيا فلان الذكر اكمل
وافضل من الانثى والافضل مقدم على المفضول واما الجواب عن تنكير الاناث وتعريف

الذكر فهو ان المقصود منه التنبيه على ان الذكر افضل من الانثى واما قوله تعالى او يزوجهم ذكرانا
واناثا فمعناه ان كل شيئين يقترن احدهما بالآخر فهما زوجان وكل واحد منهما يقال له زوج
والكناية في يزوجهم عائدة على الاناث والذكور والمعنى يجعل الذكور والاناث ازواجا
اي يجمع له بينهما فيولد له الذكور والاناث واما الجواب عن قوله تعالى عقيما فالعقيم هو الذي
لا يلد ولا يولد له يقال رجل عقيم وامرأة عقيم واصل العقم القطع ومنه قيل الملك عقيم
لانه تقطع فيه الارحام بالقتل والعقوق واما الجواب عن الرابع فقال ابن عباس رضي الله عنهما
يهب لمن يشاء اناثا يريد لوطا وشعيبا عليهما السلام لم يكن لهما الا البنات ويهب لمن يشاء الذكور
يريد ابراهيم عليه السلام لم يكن له الا الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم
كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله وابراهيم ومن البنات اربعة زينب ورقية
وام كلثوم وفاطمة ويجعل من يشاء عقيما يريد يحيى وعيسى عليهما السلام وقال اكثر المفسرين
هذا على وجه التمثيل وانما الحكم عام في كل الناس لان المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين
الاشياء كيف شاء فلا معنى للتخصيص ثم انه تعالى ختم الآية بقوله تعالى انه عليم اي بالغ العلم
بمصالح العباد وغيرها قدير اي شامل القدرة على تكوين ما يشاء ولما بين تعالى حال قدرته وعلمه
وحكمته اتبعه ببيان انه كيف يخص انبياءه بوحيه وكلامه فقال تعالى وما كان اي وما صح لبشر
من الاقسام المذكورة وحل المصدر الذي هو اسم كان ليفيد التصريح بالفاعل والمفعول لعلى انه الوجه فقال
تعالى ان يكلمه واظهر موضع الاضمار اعظاما للوحي وتشريفا للمفادة فقال تعالى الله اي الملك
الاعظم الجامع لصفات الكمال في قلبه كلاما الا ان يوحي اليه وحيا اي كلاما خفيا يوجده فيه بغير واسطة
بوجه خفي لا يطلع عليه احد اما مشافهة كما ورد في حديث المعراج واما بالهام او رؤية منام كما راى ابراهيم عليه السلام
في المنام ان يذبح ولده او بغير ذلك سواء خلق الله تعالى في المتكلم قوة السماع ام لا وهذا شرف هذه
الاقسام ام لا ومن الثاني قوله تعالى واوحينا الى ام موسى واوحى ربك الى النحل واوحى في كل سماء امرها
او الا من وراء حجاب اي من وجه لا يرى فيه المتكلم مع السماع للكلام على وجه الجهر كما وقع لموسى
عليه السلام او يرسل رسولا من الملائكة اما جبريل عليه السلام او غيره تنبيه ذكر
المفسرون ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله تعالى وتنظر اليه ان كنت
نبيا كما كلم موسى ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله عز وجل فانزل الله تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي اي الرسول الى المرسل
اليه ان يكلمه باذنه اي الله تعالى ما يشاء اي الله عز وجل وقرأ نافع برفع اللام من يرسل وسكون
الياء من يوحي والباقون بنصب اللام والياء اما القراءة الاولى ففيها ثلاثة اوجه احدها انه
مرفوع على اضمار مبتدأ اي هو يرسل ثانيها انه عطف على وحيا على انه حال لان وحيا
في تقدير الحال ايضا فكأنه قال الا موحيا اليه او مرسلا ثالثها ان يعطف على ما يتعلق به

من وراء او اذ نقذبه او يسمع من وراء حجاب فوحيا في موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر المعطوف
عليه او يرسل والتقدير الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا واما القراءة الثانية ففيها ثلاثة
اوجه احدها ان يعطف على المضمر الذي يتعلق به من وراء حجاب اذ تقديره او يكلمه من وراء حجاب
وهذا الفعل المقدر معطوف على وحيا والمعنى الا بوحي او اسماع من وراء حجاب او ارسال رسول ولا يجوز
ان يعطف على ان يكلمه لفساد المعنى اذ يصير التقدير وما كان لبشر ان يرسل الله رسولا فيفسد
لفظا ومعنى وقال مكي لانه يلزم منه نفي الرسل ونفي المرسل اليهم ثانيها ان ينصب بان مضمرة وتكون
هي وما نصبته معطوفين على وحيا ووحيا حال فيكون هذا ايضا حالا والتقدير الا موحيا او مرسلا
ثالثها انه معطوف على معنى وحيا فانه مصدر مقدر بان والفعل والتقدير الا بان يوحي اليه او بان يرسل
ذكره مكي وابو البقاء انه اي هذا الذي له هذا التصرف العظيم في هذا الوحي الكريم علي اي بالغ العلو
عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلم تارة بواسطة وتارة بغير واسطة اما
عيانا واما من وراء حجاب وكذلك اي ومثل ايحائنا الى غيرك من الرسل اوحينا بما لنا من العظمة
اليك يا افضل الرسل روحا قال ابن عباس نبوة وقال الحسن رحمة وقال السدي وحيا وقال
الكلبي كتابا وقال الربيع جبريل وقال مالك بن دينار القرآن وسمي الوحي روحا لانه مدار الحق و
كما ان الروح مدار البدن وزاد عظمته بقوله تعالى من امرنا اي الذي نوحيه اليك ثم بين
تعالى حال نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قبل الوحي بقوله سبحانه ما كنت اي بما قبل الاربعين
التي مضت لك وانت بين اظهر قومك تدري اي تعرف قبل الوحي اليك ما الكتاب اي القرآن ولا الايمان
اي تفصيل الشرائع على ما حددناه لك مما اوحيناه اليك وهو صلى الله عليه وسلم وان كان قبل
النبوة قد كان مؤمنا بوحدانية الله تعالى وعظمته فانه كان يصلي ويحج ويعتمر ويبغض اللات
والعزى ولا ياكل ما ذبح على النصب لكنه لم يكن يعلم الرسل على ما هم عليه ولا شك ان الشهادة
له صلى الله عليه وسلم نفسه بالرسالة ركن الايمان ولم يكن له علم بذلك وكذلك الملائكة فصح
نفي المعنى بفوات جزئه وقال محمد بن اسحق بن خزيمة الايمان هنا الصلاة لقوله تعالى وما كان الله
ليضيع ايمانكم اي صلاتكم وقيل هذا على حذف مضاف ومعناه ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان حين كنت
طفلا في المهد وقيل الايمان عبارة عن الاقرار بجميع ما كلف الله تعالى به وقال بعضهم صفات الله تعالى
على قسمين منها ما يمكن معرفته بمحض دلائل العقول ومنها ما لا يمكن معرفته الا بالدلائل السمعية فهذا
القسم الثاني لم تكن معرفته حاصلة قبل النبوة تنبيه ما الاولى نافية والثانية استفهامية والجملة
الاستفهامية معلقة للدراية فهي في محل نصب لسدها مسد مفعولين والجملة باسرها في محل نصب على
الحال من الكاف في اليك وفي الآية دليل على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع
وفي المسألة خلاف للعلماء فقيل كان يتعبد على دين ابراهيم عليه السلام وقيل غيره والضمير
في قوله تعالى ولكن جعلناه يعود اما للروح واما للكتاب واما لهما وهما واحد لانهما

مقصود واحد فهو كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعني
الايمان وقال السدي يعني القرآن نَهْدِي على عظمتنا بِهِ مَنْ نَشَاءُ خاصة لا يقدر احد على هدايته
بغير مشيئتنا مِنْ عِبَادِنَا بخلق الهداية في قلبه بالتوفيق فهذه لا يقدر عليها احد غير الله تعالى واما
الهداية بالتبيين والارشاد ففي قوله تعالى وَإِنَّكَ يا افضل الخلق لَتَهْدِي اي تبين وترشد وتاكيده لانكارهم
ذلك إِلَى صِرَاطٍ اي طريق واضح جدا مُسْتَقِيمٍ اي شديد التقوم وهو دين الاسلام وقوله تعالى
صِرَاطِ اللَّهِ اي الملك الاعظم الجامع لصفات الكمال وقرأ سراط في الموضعين قنبل بالسين وخلف بالاشمام
اي بين الصاد والزاي والباقون بالصاد الخالصة ثم وصف سبحانه وتعالى نفسه بانه مالك لما في السموات
والارض بقوله تعالى الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ خلقا وملكا وعبيدا أَلَا إِلَى اللَّهِ اي المحيط
بجميع صفات الكمال الذي تعالى عن مثل وند فهو الكبير المتعال لا الى غيره تَصِيرُ اي على الدوام وان
كانت في الظاهر في ملك غيره بحيث يظن الجاهل ان ملكها مستقر له قال ابو حيان اخبر بالمضارع
والمراد به الديمومة كقوله زيد يعطي ويمنع اي من شأنه ذلك ولا يراد به حينئذ حقيقة المستقبل
الْأُمُورُ كلها من الخلق والامر معنى وحسا كما كانت الامور كلها مبتدأة منه وحده وفي ذلك وعد
للمطيعين ووعيد للمجرمين فيجازي كلا منهم بما يستحقه من ثواب او عقاب وما قاله البيضاوي
تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة حم عسق كان ممن تصلي عليه
الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له حديث موضوع

سورة الزخرف مكية

وهي تسع وثمانون آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف واربعمائة حرف

بِسْمِ اللَّهِ اي الذي له مقاليد الامور كلها فهو يعطي من يشاء وان جل سؤاله الرَّحْمَنِ الذي نال بره
جميع خلقه على حسب منازلهم عنده الرَّحِيمِ الذي يقرب اليه من يشاء زلفى وان وصل في البعد
الى الحد الاقصى وقد تقدم الكلام على قوله تعالى حم والواو في قوله تعالى وَالْكِتَابِ اي القرآن الْمُبِينِ
اي مظهر طريق الهدى وما يحتاج اليه من الشريعة عاطفة ان جعلت حم قسما والا كانت للقسم وقوله
تعالى إِنَّا جَعَلْنَاهُ اي اوجدنا هذا الكتاب قُرْآنًا عَرَبِيًّا اي بلغة العرب جواب القسم وهذا
عند هو من البلاغة وهو كون القسم والمقسم عليه من واد واحد كقول ابي تمام
وثناياك انها اغريض اي طلع وبرد وقيل كل ابيض طري ولآل توم وبرق وميض
والتوم جمع تومة وهي حبة تعمل من الفضة كالدرة والوميض مصدر ومض
اي لمع لمعا خفيفا تنبيه احتج القائلون بحدوث القرآن بهذه الآية من
من وجوه الاول انها تدل على ان القرآن مجعول والمجعول هو المصنوع المخلوق
الثاني انه وصفه بكونه قرآنا وهو انما سمي قرآنا لانه جعل بعضه
مقرونا بالبعض وما كان كذلك كان مصنوعا الثالث

وصفه بكونه عربيا وانما يكون عربيا لان العرب اختصت بوضع الفاظه في اصطلاحهم وذلك يدل على انه مجعول والتقدير بحروف الكتاب المبين ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم يا رب طه ويس ويا رب القرآن العظيم واجاب الرازي عن ذلك بان هذا الذي ذكرتموه حق لانكم استدللتم بهذه الوجوه على كون الحروف المتواليات والكلمات المتعاقبة محدثة وذلك معلوم بالضرورة ومن الذي ينازعكم فيه لعلكم اي يا اهل مكة تعقلون ٥ اي لتكونوا على رجاء عند من يصح منه الرجاء من ان تفهموا معانيه واحكامه وبديع وصفه وضعفه وضعه ونظامه فترجعوا عن كل ما انتم عليه من المغالبة ولا بد ان يقع هذا التعقل فان القادر اذا عبر باداة الترجي حقق ما يقع ترجيه ليكون بين كلامه وكلام العاجز فرق وقوله تعالى وانه اي القرآن عطف على انا اي مثبت في ام الكتب اي اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ وقال قتادة ام الكتاب اصل الكتاب وام كل شئ اصله وقال ابن عباس اول ما خلق الله تعالى القلم فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق فالكتاب مثبت عنده في اللوح المحفوظ كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ * فان قيل ما الحكمة في خلق هذا اللوح المحفوظ مع انه تعالى علام الغيوب يستحيل عليه السهو والنسيان اجيب بانه تعالى لما اثبت في ذلك احكام حوادث المخلوقات ثم ان الملائكة اذا شاهدوا ان جميع الحوادث انما تحدث على موافقة ذلك المكتوب استدلوا بذلك على كمال حكمته وعلمه وقيل المراد بام الكتاب الآيات المحكمة لقوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب والمعنى ان سورة حم واقعة في الآيات المحكمة التي هي الاصل والام وقرأ حمزة والكسائي في الوصل بكسر الهمزة والباقون بضمها واتفقوا في الابتداء بالهمزة على الضم وقوله تعالى لدينا اي عندنا بدل من الجار قبله لعلي اي رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ٥ اي ذو حكمة بالغة او محكم في ابواب البلاغة والفصاحة افنضرب اي انهملكم فنضرب اي ننحي ونزيل عنكم الذكر اي القرآن وفي نصب قوله تعالى صفحا اوجه احدها انه مصدر معنى نضرب لانه يقال ضرب عن كذا واضرب عنه بمعنى اعرض عنه وصرف وجهه عنه قال طرفة

اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسيف قونس الفرس

واضرب بفتح الباء اصله اضربن بنون التوكيد الخفيفة فحذفت النون وحركت الباء بالفتح والطارق ما يطرق بالليل والقونس منبت شعر الناصية وهو عظم ناتئ بين اذني الفرس ثانيها انه منصوب على الحال اي صافحين ثالثها ان يكون مفعولا من اجله وقيل غير ذلك ان اي نفعل ذلك لان كنتم قوما مسرفين ٥ اي مشركين لا نفعل ذلك وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الهمزة على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وقرأ الباقون بفتحها وذكر تعالى تانيسا للنبي صلى الله عليه وسلم وتاسية وتعزية وتسلية قوله سبحانه وتعالى

وكم ارسلنا اي على ما لنا من العظمة من نبي في الاولين اي في الامم الماضية ثم حكى حالهم الماضية
بقوله تعالى وما اي والحال انه ما يأتيهم واغرق في النفي بقوله تعالى من نبي اي في امة بعد امة
او زمان بعد زمان الا كانوا اي خلقا وطبعا به يستهزؤن كما استهزأ قومك بك
فلا يضيقن تأذي من قومك بسبب تكذيبهم واستهزائهم لان المصيبة اذا عمت خفت
تنبيه كم خبرية مفعول مقدم ومن نبي تمييز وفي الاولين متعلق بالارسال او بمحذوف على انه
صفة لنبي فاهلكنا اي فتسبب عن الاستهزاء بالرسل انا اهلكنا اشد منهم اي من قريش الذين
يستهزؤن بك بطشا اي قوة وكان الاصل الاضمار ونكتة اظهار الضمير صار لنا اسلوب الخطاب
الى الغيبة التفاتا على نبيه صلى الله عليه وسلم تسلية له وابلاغا في وعيدهم ومضى اي سبق
في ايات الله مثل اي صفة الاولين في الاهلاك وفي ذلك وعد للرسول صلى الله عليه وسلم
ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين واللام في قوله تعالى ولئن لام قسم سألتهم اي سألت
قومك من خلق السموات على علوها وسعتها والارض على كثرة منافعها وعظمها وقوله تعالى ليقولن
حذفت منه نون الرفع لتوالي النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين خلقهن الذي هو موصوف
بانه العزيز اي الذي لا يغالب العليم بما كان وما يكون تنبيه هذا الجواب مطابق للسؤال من
حيث المعنى اذ لو جاء على اللفظ لجيء بجملة ابتدائية كالسؤال وكان الجواب الله كما في غيره
من الايات لكنه عدل عنه الى المطابقة المعنوية مكررا الفعل تاكيدا لاعترافهم زيادة في توبيخهم
وتنبيها على عظم غلطهم به ولما تم الاخبار عنهم ابتدأ الدلالة على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى
الذي جعل لكم ولو كان ذلك قولهم لقالوا لنا الارض مهدا اي فراشا قارة ثابتة كما في مهد
الصبي ولينا ولو جعلها مرنة لا يثبت فيها شيء كما ترون من بعض الجبال فلا انتفاع بها انما
حصل بكونها واقفة ساكنة فانها لو كانت متحركة لما امكن الانتفاع بها في الزراعة والابنية
وستر عيوب الاحياء والاموات ولان المهد موضع راحة الصبي فكانت الارض مهادا لكثرة ما فيها
من الراحات وقرأ الكوفيون بفتح الميم وسكون الهاء والباقون بكسر الميم وفتح الهاء والف بعد الهاء
وجعل لكم فيها سبلا اي طرقا تسلكونها وذلك ان انتفاع الناس انما يكمل اذا سعوا في اقطار الارض
فهيأ تعالى تلك السبل ووضع عليها علامات ليحصل الانتفاع ولو شاء لجعلها بحيث لا يسلك
في مكان منها كما جعل بعض الجبال كذلك ثم ذكر الغاية في ذلك فقال تعالى لعلكم تهتدون اي لكي
تهتدوا الى مقاصدكم في الاسفار وغيرها فتتوصلون بها الى الاقطار الشاسعة والاقاليم الواسعة
او لتهتدوا الى الحق في الدين والذي نزل اي بحسب التدريج ولولا قدرته تعالى الباهرة لكان دفعة واحدة
او قريبا منها من السماء اي المحل العالي ماء اي لم تعلموه ثم ذكر ونشر بكم بانفسكم فانكم لا تعلمون بقدر
اي بقدر حاجتكم اليه من غير زيادة ولا نقصان لا كما انزل على قوم نوح بغير قدر حتى اغرقهم
فانشرنا اي احيينا به اي الماء بلدة اي مكانا يجتمع فيه للاقامة يعتنون باحيائه

يتعا ونون على حد واسم ابتائه ميتًا اى كان قد يبس نباته وعجز اهله عن ايصال الماء اليه ليحيا به
قال البقاعى ولعله انث البلد وذكر الميت اشارة الى ان بلوغها فى الضعف والموت بلغ الغاية بتضعيف
ارضه فى نفسها وضعف اهله عن احيائه كذلك اى مثل هذا الاخراج العظيم الذى شاهدتموه
فى النبات تخرجون من قبوركم احياء والمعنى ان هذا الدليل كما دل على قدرة الله تعالى وحكمته
فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيامة ووجه التشبيه انه جعلهم احياء بعد الاماتة
كهذه الارض التى انتشرت بعدما كانت ميتة وقيل بل وجه التشبيه ان يعيدهم ويخرجهم من الارض
بماء كالمنى كما تنبت الارض بماء المطر قال ابن عادل وهذا ضعيف لان ظاهر لفظ الاشارة الاعادة
فقط دون هذه الزيادة ثم شرع تعالى فى الكمال ما تقتضيه الحال من الاوصاف فقال عز من قائل
والذى خلق الازواج اى الاصناف المتشاكلة التى لا يكمل شئ منها غاية الكمال الا بالآخر على ما
دبره سبحانه فى نظم هذا الوجود كلها من النبات والحيوان وغير ذلك من سائر الاكوان لم يشاركه
فى شئ منها احد وقال ابن عباس رضى الله عنه الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض و
والاسود والذكر والانثى وقال بعض المحققين كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين
واليسار والقدام والخلف والماضى والمستقبل والذوات والصفات والصيف والشتاء والربيع
والخريف وكونها ازواجا يدل على انها ممكنة الوجود فى ذواتها محدثة مسبوقة بالعدم فاما الحق
تعالى فهو الفرد المنزه عن الضد والند والمقابل والمعاضد فلهذا قال تعالى والذى خلق الازواج
كلها فهى مخلوقة فدل هذا على ان خالقها فرد مطلق منزه عن الزوجية قال الرازى وايضا علماء
الحساب بينوا ان الفرد افضل من الزوج من وجوه الاول ان اقل الاثنين لا توجد الا عند حصول وحدتين
فالزوج محتاج الى الفرد والفرد هو الوحدة وهى غنية عن الزوج والغنى افضل من المحتاج الثانى
ان الزوج يقبل القسمة بقسمين متساويين والفرد لا يقبل القسمة وقبول القسمة انفعال وتأثر من غيره
وعدم قبولها قوة وشدة فكان الفرد افضل من الزوج ثم ذكر وجوها اخر تدل على ان الفرد افضل من الزوج
واذا كان كذلك ثبت ان الازواج ممكنات ومخلوقات وان الفرد هو القائم بذاته المستغنى بنفسه الغنى
عما سواه وجعل لكم من الفلك اى السفن العظام فى البحر والانعام كالابل فى البر ما تركبون ه وحذف
العائد لفهم المعنى تغليبا للمتعدى بنفسه فى الانعام على المتعدى بواسطة فى الفلك والعائد مجرور
فى الاول اى فيه منصوب فى الثانى وذكر الضمير وجمع الظهور فى قوله تعالى لتستووا على ظهوره
نظرا للفظ ما ومعناها ولما اتم النعمة بخلق ما تدعو اليه الحاجة وجعله على وجه دال على
ما له من الصفات ذكر ما ينبغى ان تكون من غايتها على ما هو المتعارف بينهم من شكر
المنعم فقال دالا على عظم قدر النعمة وبعد غايتها وعلو امر الذكر بحرف التراخى ثم
تذكروا اى بقلوبكم وصرف القول الى وجه التربية حثا على تذكر احسانه للانتهاء
عن كفرانه والاقبال على شكرانه فقال تعالى نعمة ربكم اى الذى احسن اليكم بتسخيرها

لكم وما تعرفونه من غيرها إذا استويتم عليه اي على ما تركبونه وذلك الذكر هو ان يعرف ان الله
تعالى خلق البحر وخلق الرياح وخلق جرم السفينة على وجه يمكن الانسان من تصريف هذه السفينة
الى اي جانب شاء فاذا تذكر ان خلق البحر وخلق الرياح وخلق السفينة على هذه الوجوه القابلة لتصريف
الانسان ولتحريكاته انما هو من تدبير الحكيم العليم القدير عرف ان ذلك نعمة من الله تعالى
فيحمله ذلك على الانقياد لطاعة الله تعالى وعلى الاشتغال بالشكر لنعم الله تعالى التي لا نهاية
لها ولما كان تذكر النعمة يبعث الجنان واللسان والاركان على الشكر لمن اسداها قال عز من قائل
وتقولوا اي بألسنتكم جمعا بين القلب واللسان سبحان الذي سخر اي بعلمه الكامل وقدرته التامة
لنا هذا اي الذي ركبناه سفينة كانت او دابة وما اي والحال انا ما كنا له مقرنين
اي مطيقين والمقرن المطيق للشيء الضابط له من اقرنه اي اطاقه قال الواحدي كان اشتقاقه
من قولك صرت له قرنا ومعنى قرن فلان اي مثله في الشدة وقيل ضابطين وقال ابو عبيدة قرن
لفلان اي ضابط له والقرن الحبل ومعنى الآية ليس عندنا من القوة والطاقة ان نقرن هذه
الدابة والفلك وان نطيقهما فسبحان من سخرنا هذا بقدرته وحكمته وروى الزمخشري عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله
على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وروى احمد و
ابو داود والترمذي وقال حسن صحيح عن علي رضي الله عنه انه وضع رجله في الركاب وقال بسم الله
فلما استوى على الدابة قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا الآية ثم حمد ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال لا اله
الا الله ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقيل له مم تضحك يا امير المؤمنين
قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ما فعلت فقلنا ما يضحكك يا رسول الله قال ان ربك
يعجب من عبده اذا قال العبد لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت ويقول
علم عبدي انه لا يغفر الذنوب غيري وروى احمد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اردفه على دابة فلما استقر عليها كبر ثلاثا وحمد الله تعالى ثلاثا وسبح الله ثلاثا
وهلل الله تعالى واحدة وضحك ثم اقبل عليه فقال ما من امرئ مسلم يركب دابة فيصنع كما صنعت
الا اقبل الله عليه يضحك اليه كما ضحكت اليك ولما كان راكب الفلك في خطر الهلاك وراكب الدابة
كذلك ايضا لان الدابة قد يحصل لها ما يوجب هلاك الراكب كذا السفينة قد تنكسر فوجب على الراكب
ان يذكر امر الموت ويقول وانا الى ربنا اي المحسن الينا بالاقدار على هذه التنقلات على هذه المراكب
لا الى غيره لمنقلبون اي لصائرون بالموت وما بعده الى الدار الآخرة انقلابا لا اياب معه الى
هذه الدار فالآية منبهة بالسير الدنيوي على السير الاخروي واكد لاجل انكارهم البعث
ولما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بين انهم مع اقرارهم
بذلك جعلوا له من عباده جزءا كما قال تعالى وجعلوا له من عباده الذين ابدعهم كما ابدع غيرهم

ليقولن ... في هذه السورة خلقهن العزيز العليم

جُزْءًا اى ولدًا لانهم جعلوهم فى الانثى احد قسمى الاولاد وكل ولد فهو جزء من والده قال صلى الله عليه وسلم
فاطمة بضعة منى ومن كان له جزء كان محتاجا فلم يكن الها وذلك لقولهم الملائكة بنات الله
فتثبت بذلك طيش عقولهم وسخافة آرائهم وقرأ شعبة بضم الزاى والباقون بسكونها وهما لغتان
واذا وقف حمزة نقل حركة الهمزة الى الزاى * ولما كان هذا فى غاية الغلط من الكفر قال مؤكدا
لانكارهم ان يكون كفرا إِنَّ الْإِنسَانَ اى هذا النوع الذى هو بعضه لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ه
بين الكفر فى نفسه مناد عليها بالكفر وقوله تعالى أَمِ اتَّخَذَ اى اعالج هو نفسه فاخذ
هو بعد المعالجة وهو خالق الخلق كلهم مِمَّا يَخْلُقُ اى يجدد ابداعه فى كل وقت بَنَاتٍ استفهام
توبيخ وانكار اى فلم يقدر بعد التكلف والتعب على غير البنات التى هى ابغض الخيرين اليكم
ثم عطف على قوله تعالى اتخذ ليكون منفيا على ابلغ وجه لكونه فى حيز الانكار قوله وَأَصْفَاكُم
وهو السيد الكامل وانتم عبيده اى خصكم بِالْبَنِينَ ه اللازم من قولكم السابق ثم بين
كون البنات ابغض اليهم بقوله تعالى وَإِذَا اى جعلوا ذلك والحال انه اذا بُشِّرَ اى من اى مبشر
كان أَحَدُهُم اى احد هؤلاء البعداء البغضاء بِمَا ضَرَبَ اى جعل لِلرَّحْمَٰنِ الذى لا نعمة على شئ
من الخلق الا وهى منه مَثَلًا اى شبها بنسبة البنات اليه لان الولد يشبه الوالد والمعنى اذا اخبر
احدهم بالبنت تولد له ظَلَّ اى صار وَجْهُهُ مُسْوَدًّا اى شديد السواد لما يعتريه من الكآبة
وَهُوَ كَظِيمٌ ه اى ممتلئ غما فكيف تنسب البنات اليه تعالى هذا ما لا يرضى عاقل ان يمر بفكره فضلا
ان يتفوه به وقوله تعالى أَوَمَن يُنَشَّأُ اى على ما جرت به عوائدكم فِى الْحِلْيَةِ فيه وجهان
احدهما ان تكون فى محل نصب مفعولا بفعل مقدر اى او يجعلون من ينشأ فى الحلية والثانى
انه مبتدأ وخبره محذوف تقديره او من ينشأ جزء او ولد او يجعلونه له جزءا والمعنى ان اللاتى
ينشأن فى الحلية تكون ناقصة الذات لانه لولا نقصانها فى ذاتها لما احتاجت الى تزيين نفسها
بالحلية وقرأ حمزة والكسائى وحفص بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين اى يربى والباقون
بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة الفا ولهما ايضا
تسهيلها والروم والاشمام ثم بين نقصان حالها بطريق آخر بقوله تعالى وَهُوَ اى والحال انه
وقدم فى افادة الاهتمام قوله تعالى فِى الْخِصَامِ اى المجادلة اذا احتيج اليها غَيْرُ مُبِينٍ اى مظهر
حجته لضعفه عنها بالانوثة قال قتادة فى هذه الآية فما تكلم امرأة فتريد ان تتكلم بحجتها الا كانت
بالحجة عليها ثم بين تعالى جراءتهم على ما لا ينبغى لعاقل ان يتفوه به بقوله تعالى وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ متصفون
باشرف الاوصاف وهو انهم عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ اى العام النعمة الذين ما عصوه طرفة عين إِنَاثًا ه وذلك
ادنى الاوصاف لانهن خلقن ناقصات ذاتا وصفة فهذا كفر ثالث كالكفرين قبله وقرأ نافع وابن كثير و
ابن عامر بكسر العين وبعدها نون ساكنة ونصب الدال والباقون بعد العين بباء موحدة
مفتوحة وبعدها الف ورفع الدال ثم قال تعالى تهكما بهم ولا هو للقائلين ذلك وتوبيخا لهم

ع

وكانوا عليهم أشهدوا أي أحضروا خلقهم أي خلقنا إياهم فشاهدوهم إناثاً فإن ذلك مما يعلم
بالمشاهدة وقرأ نافع بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مضمومة مسهلة كالواو وسكون الشين
وأدخل قالون بينهما ألفاً ولم يدخل ورش والباقون بهمزة واحدة مفتوحة وفتح الشين ستكتب
بكتابة من وكلناهم بهم من الحفظة الذين لا يعصوننا فنحن نقدرهم على جميع ما نأمرهم به شهادتهم
أي قولهم فيهم إنهم إناث الذي لا ينبغي أن يكون إلا بعد تمام المشاهدة فهو قول ركيك سخيف
ضعيف كما أشار إليه التأنيث ويسألون عنها عند الرجوع إلينا قال الكلبي ومقاتل لما قالوا
هذا القول سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما يدريكم أنهم إناث قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد
أنهم لم يكذبوا فقال تعالى ستكتب شهادتهم ويسألون عنها في الآخرة هذا يدل على أن القول بغير
دليل منكر وأن التقليد حرام يوجب الذم العظيم قال المحققون هؤلاء الكفار كفروا في هذا القول
من ثلاثة أوجه أولها إثبات الولد ثانيها أن ذلك الولد بنت ثالثها الحكم على الملائكة بالأنوثة
تنبيه قال البقاعي يجوز أن يكون في السين استعطاف إلى التوبة قبل كتابة ما قالوه ولا علم
لهم به فإنه قد روى أبو أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب
السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين
عشراً وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح الله أو يستغفره
ثم نبه سبحانه على أنهم عبدوهم مع ادعاء الأنوثة فيهم فقال تعالى معجباً منهم في ذلك وفي جعل قولهم حجة دالة
على صحة مذهبهم وهو من أوهى الشبه وقالوا أي بعد عبادتهم لهم ونهيهم عن عبادة غير الله تعالى
لو شاء الرحمن أي الذي له عموم الرحمة ما عبدناهم أي الملائكة فعبادتنا إياهم بمشيئته فهو راض
بها ولولا أنه راض بها لعجل لنا العقوبة فاستدلوا بنفي مشيئته عدم العبادة على الرضا بها وذلك باطل لأن
المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مأموراً كان أو منهياً حسناً كان أو غيره ولذلك جهلهم فقال تعالى
ما لهم بذلك أي المقول من الرضا بعبادتها من علم إن أي ما هم إلا يخرصون أي يكذبون في هذه
النتيجة التي عملوها دالة على رضا الله تعالى بكفرهم فيترتب عليهم العقاب ولما بين تعالى بطلان قولهم
بالعقل أتبعه بطلان قولهم بالنقل فقال تعالى أم آتيناهم أي على ما لنا من العظمة كتاباً أي جامعاً لما
يريدون اعتقاده من أقوالهم هذه من قبله أي القرآن أخبرناهم فيه أنا جعلنا الملائكة إناثاً وأنا
لا نشاء إلا ما هو حق نرضاه ونأمر به فهم به أي فتسبب عن هذا الإتيان أنهم به وحده مستمسكون
أي موجدون الاستمساك به فيأخذون بما فيه لم يقع ذلك ولما بين تعالى أنه لا دليل لهم على صحة
قولهم البتة لا من العقل ولا من النقل بين أنه لا حامل لهم يحملهم عليه إلا التقليد بقوله تعالى بل قالوا
إنا وجدنا آباءنا أي وهم أرجح منا عقولاً وأصح منا أفهاماً على أمة أي طريقة عظيمة يحق
لها أن تقصد وتؤم متمالئين واقفين على الجادة التي لا محيص لهم عن ذلك فقالوا وإنا على آثارهم
أي خاصة لا على غيرها مهتدون أي متبعون فلم نأت بشيء من عند أنفسنا ولا غلطنا في الاتباع

واقتفاء الآثار فلا اعتراض علينا بوجه هذا قولهم في الدين بل في اصوله التي من ضل في شيء منها
هلك ولو ظهر لاحد منهم خلل في سعي ابيه الدنيوي الذي به يحصل الدينار والدرهم ما اقتدى به
اصلاً وخالفه اي مخالفة ما هذا الا قصور نظر ومحض عناد ثم اخبر تعالى ان غيرهم قال هذه
المقالة بقوله سبحانه وكذلك اي ومثل هذه المقالة المتناهية في البشاعة فعلت الامم الماضية
مع اخوانك الانبياء عليهم السلام ثم فسر ذلك بقوله تعالى ما ارسلنا اي مع ما لنا من العظمة
من قبلك اي في الازمنة السالفة في قرية واغرق في النفي بقوله تعالى من نذير وبين به
ان موضع الكراهة والخلاف الانذار لمخالفة الاهواء الا قال مترفوها اي اهل الترفه بالنعم
وهي النعمة والطعام الطيب والشيء الظريف يكون خاصاً بالمترف وذلك موجب لقلة السهر
والمواجهة والبطالة انا وجدنا آباءنا اي وهم اعرف منا بالامور على امة اي طريقة جامعة تستحق
ان تقصد وتؤم ثم اكدوا هؤلاء فقالوا وانا على آثارهم اي لا على غيرها مقتدون لسبب
ان تكون سنن طريقتهم لا نرضى لها ففي هذا التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل اي يا افضل
الخلق لهؤلاء البعداء البغضاء اي اتقلدون ذلك ولو جئتكم باهدى اي بامر اعظم
في الهداية واوضح في الدلالة مما وجدتم اي ايها المقتدون بالآباء عليه آباءكم اي مما تضمن
قولكم انكم تقتفون في اتباعكم الاشياء وهو الدين الذي المخاسرة فيه خسارة للنفس وانتم
تخالفونهم في امر فضل الدنيا اذا وجدتم طريقاً اهدى في التصرف فيها من طريقتهم ولو اعترضت
ونصحكم احدكم بانه ادرك من ذلك ما لم يدرك ابوه حصل من المال اكثر مما حصل فباله
من نظر ما اقصره ومتجر ما اخسره وقرأ ابن عامر وحفص قال بصيغة الماضي اي قال المنذر
او الرسول وهو النبي صلى الله عليه وسلم والباقون قل بصيغة الامر للنبي صلى الله عليه وسلم
ثم اجابوه بان قالوا مؤكدين رداً لما قطع به كل عاقل سمع هذا الكلام من انهم يبادرون النظر
في الدليل والرجوع الى سواء السبيل انا بما ارسلتم به اي انت ومن قبلك كافرون وهي
سائرون لما ظهر من ذلك جهدنا حتى لا نظهر لاحد ولا يتبعكم فيه مخلوق وان كان اهدى مما كان
عليه آباؤنا فعند هذا المريض لهم عذر فلهذا قال تعالى فانتقمنا اي بما لنا من العظمة التي استحقوا
بها منهم فاهلكناهم بعذاب الاستئصال ثم عظم امر النقمة بالامر بالنظر فيها في قوله فانظر يا افضل
الرسل كيف كان عاقبة اي آخر امر المكذبين لرسلنا فانهم اهلكوا اجمعين ونجا المؤمنون اجمعين فليحذر
من رد رسالتك من مثل ذلك وهذا تهديد عظيم لكفار قريش ثم بين تعالى وجهاً آخر يدل على فساد
التقليد بقوله تعالى واذ اي واذكر يا افضل الخلق اذ قال ابراهيم اي الذي هو اعظم آبائهم ومحط
فخرهم والمجمع على محبته وحقية دينه منهم ومن اهل الكتاب وغيرهم لابيه من غير ان يقلده
كما قلدتم آباءكم وقومه الذين كانوا هم القوم في الحقيقة لاحتوائهم على ملك جميع
الارض انني براء اي بريء مما تعبدون [illegible]

ع ٣

أي خلقني فإنه سيهدين أي يرشدني لدينه ويوفقني لطاعته. تنبيه: في هذا الاستثناء
أوجه أحدها أنه استثناء منقطع لأنهم كانوا عبدة أصنام فقط ثانيها أنه متصل لأنه روي أنهم
كانوا يشركون مع الباري غيره ثالثها أن تكون إلا صفة بمعنى غير على أن تكون ما نكرة موصوفة
قاله الزمخشري قال أبو حيان وإنما أخرجها في هذا الوجه عن كونها موصولة لأنه يرى أن إلا بمعنى
غير لا يوصف بها إلا النكرة وفيها خلاف وعلى هذا أجيز أن تكون ما موصولة وإلا بمعنى غير
صفة لها وجعلها أي إبراهيم كلمة أي كلمة التوحيد المفهومة من قوله إنني إلى سيهدين
باقية في عقبه أي ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى لأنه عليه السلام مجاب الدعوة
وقال ومن ذريتي ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويزكيهم لعلهم أي أهل مكة يرجعون عما هم عليه إلى دين أبيهم فإنهم إذا ذكروا أن أباهم الأعظم الذي
بنى لهم البيت وأورثهم الفخر قال ذلك تابعوه قال الله تعالى بل متعت هؤلاء أي الذين بحضرتك من
المشركين وأعداء الدين وآباءهم أي مددت في أعمارهم مع إسباغ النعم وسلامة الأبدان من البلايا والنقم
ولم أعاجلهم بالعقوبة فأبطرتهم النعمى وتمادى بهم ركوب ذلك الباطل حتى جاءهم الحق أي القرآن
ورسول مبين أي مظهر لهم الأحكام الشرعية وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولما جاءهم الحق أي الكامل
في حقيقته بمطابقة الواقع إياه من غير لبس ولا اشتباه وهو القرآن العظيم قالوا مكابرة وعناداً
وحسداً من غير وقفة ولا تأمل هذا مشيرين إلى الحق الذي يطابقه الواقع فلا شيء أثبت منه وهو
القرآن الكريم سحر أي خيال لا حقيقة له وإنا به كافرون أي عريقون في ستره بخصوصه حتى
لا يعرفه أحد ولا يكون له تابع ثم ذكر تعالى نوعاً آخر من كفرهم بقوله تعالى وقالوا لولا أي هلا نزل يعني
من المنزل الذي ذكره محمد صلى الله عليه وسلم وعينوا مرادهم ونفوا اللبس فقالوا هذا القرآن أي الذي
جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا أنه جامع لكل خير على رجل من القريتين أي مكة والطائف
عظيم لأنهم قالوا منصب الرسالة منصب شريف فلا يليق إلا برجل شريف وصدقوا في ذلك إلا أنهم ضموا
إليه مقدمة فاسدة وهي أن الرجل الشريف عندهم هو الذي يكون كثير المال والجاه ومحمد صلى الله عليه وسلم
ليس كذلك فلا تليق رسالة الله تعالى به وإنما يليق هذا المنصب برجل عظيم الجاه كثير المال
يعنون الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود بالطائف قاله قتادة وقال مجاهد عتبة بن ربيعة
من مكة وعبد ياليل الثقفي من الطائف وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو الوليد بن
المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي. تنبيه: قوله تعالى من القريتين
فيه حذف مضاف قدره بعضهم من رجلي القريتين وقيل من إحدى القريتين وقيل المراد عروة
ابن مسعود الثقفي كان بالطائف وكان يتردد بين القريتين فنسب إلى كلتيهما ثم رد الله تعالى
عليهم اعتراضهم منكراً عليهم موبخاً لهم بما معناه أنه ليس الأمر مردوداً ولا مفوضاً عليهم بل
إلى الله تعالى وحده والله أعلم حيث يجعل رسالاته بقوله تعالى أهم أي أهؤلاء الجهلة

أهم يقسمون أي على التحكم والاستهزاء رحمت ربك أي إكرام المحسن إليك وإنعامه
وتشريفه بأنواع اللطف والبر وإعظامه بما دبّاك له من تخصيصك بالإرسال إليهم لإنقاذهم
من الضلال وجعلك وأنت أفضل العالمين الرسول إليهم فيفضلوا بتفضيلك مع أنك أشرفهم
نسبا وأفضلهم حسبا وأعظمهم عقلا وأصفاهم لبا وأرجحهم قلبا ليتصرفوا في تلك الرحمة التي
هي روح الوجود وسر الأمر بحسب شهواتهم وهم لا يقدرون على التصرف في المتاع الزائل
بمثل ذلك كما قال تعالى نحن قسمنا بما لنا من العظمة بينهم أي في الأمر الزائل الذي يعمهم وقد يجب
تخصيص كل منهم بما قدّر به معيشتهم أي التي يعيشون بها حتى يقصرون عليها النعمة في الحياة الدنيا
التي هي أدنى الأشياء عندنا وأشرنا بتسميتها إلى أنها حياة ناقصة لا يرضاها عاقل وأما الآخرة فعبر
عنها بالحيوان ولو تركنا قسمها إليهم لتقاتلوا على ذلك فلم يبق منهم أحد فكيف يدخل في الوهم أن
نجعل إليهم شيئا من الكلام في أمر النبوة التي هي روح الوجود وبها سعادة الدارين ورفعنا أي بما لنا
من نفوذ الأمر بعضهم وإن كان ضعيف البدن قليل العقل فوق بعض وإن كان قويا غزير العقل
درجات في المال والجاه ونفوذ الأمر وعظم القدر لينتظم حال الوجود فإنه لا بد في انتظامه
من تشارك الموجودين وتعاونهم وتفاوتهم بينهم في الجثث والقوى والهمم ليقتسموا الصنائع
والمعارف ويكون كل ميسرا لما خلق له وجاعلا لما هو متعاطيه فلم يقدر أحد من دني أو غني أن يعدو
قدره ويرتقي فوق منزلته ثم علل ذلك بما ثمرته عمارة الأرض بقوله تعالى ليتخذ أي بغاية
جهده بعضهم بعضا سخريا أي ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء
بالعمل فيكون بعضهم سببا لمعاش بعض هذا بماله وهذا بأعماله فيلتئم قوام العالم لأن المقادير
لو تساوت لتعطلت المعايش فلم يقدر أحد منهم أن ينفك عما جعلناه إليه من هذا الأمر الدني
فكيف يطمعون في الاعتراض في أمر النبوة أيصح عاقل أن نتولى قسم الناقص ونكل العالي إلى غيرنا
قال ابن الجوزي فإذا كانت الأرزاق بقدر الله تعالى لا بحول المحتال وهي دون النبوة فكيف تكون النبوة
اهـ وهذا هو المراد بقوله تعالى صارفا القول عن مظهر العظمة إلى الوصف بالإحسان إظهارا لشرف النبي
صلى الله عليه وسلم ورحمت ربك أي المربي لك والمدبر لأمرك بإرسالك وإنارة الوجود برسالتك
التي هي لعظمها جديرة بأن تضاف إليه ولا يسمى غيرها رحمة خير مما يجمعون من حطام الدنيا
الفاني فإنه وإن تأتى فيه خير في استعماله في وجوه البر بشرطه فهو بالنسبة إلى النبوة وما قاربها
مما دعا إلى الإعراض عن الدنيا بالتلاشي وقيل المراد بالرحمة الجنة وجرى عليه البغوي وتبعه
الجلال المحلي وابن عادل وجرى على الأول البيضاوي وتبعه البقاعي وهو الظاهر من الآية
الكريمة. فائدة: اتفق القراء هنا على قراءة سخريا بالضم السين ثم بين تعالى حقارة الدنيا
وخستها التي يفتخرون بها بقوله تعالى ولولا أن يكون الناس أي أهل التمتع بالأموال بما فيهم
من الاضطراب والأنس بأنفسهم أمة واحدة أي في الضلال بالكفر لاعتقادهم أن إعطاءنا

المال دليل على حكمتنا لمن اعطينا فضلهم الدنيا وجعلها حظ اتباعهم وهمهم الا من عصمه الله تعالى
لجعلنا اى فى كل زمان وفى كل مكان بما لنا من العظمة التى لا يقدر احد على معارضتها لحقارة الدنيا
عندنا وبغضنا لها لمن يكفر وقوله تعالى بالرحمن اى العام الرحمة دليل على حقارة الدنيا من جهة اعطا
ئها الا لابعد الممقوت وعلى ان صفة الرحمة مقتضية لتناهى بسط النعم على الكفار لولا العلة التى
ذكرها الله تعالى من الرفق بالمؤمنين وقوله تعالى لبيوتهم بدل من لمن بدل اشتمال باعادة العامل
واللامان للاختصاص سقفا من فضة قال البقاعى كانه خصها اى الفضة لانها ادل على النور وقرأ
ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء الموحدة والباقون بكسرها وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا
بفتح السين وسكون القاف على ارادة الجنس والباقون بضمهما جمعا وقوله تعالى ومعارج جمع
معرج وهو السلم اى من فضة ايضا وسميت المصاعد من الدرج معارج لان المشى عليها مثل مشى
الاعرج عليها خاصة لتيسرها لهم يظهرون اى يعلون ويرتقون على ظهرها الى المعالى ولبيوتهم
ابوابا اى من فضة ايضا وقوله تعالى وسررا اى من فضة جمع سرير ويدل على علو بالهم وصفاء
اوقاتهم واحوالهم بقوله تعالى عليها يتكئون ويدل على ما هو اعظم من الفضة بقوله تعالى وزخرفا
اى ذهبا وزينة كاملة تنبيه زخرفا يجوز ان يكون منصوبا بجعل اى وجعلنا لهم زخرفا وجوز
الزمخشرى ان ينتصب عطفا على محل من فضة كانه قيل سقفا من فضة وذهب فلما حذف
الخافض انتصب اى بعضها كذا وبعضها كذا وقيل الزخرف هو الذهب لقوله تعالى او يكون
لك بيت من زخرف فيكون المعنى ويجعل لهم مع ذلك ذهبا كثيرا وقيل الزخرف الزينة
لقوله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت فيكون المعنى نعطيهم زينة عظيمة فى كل باب
وان كل ذلك اى البعيد من الخير لكونه فى الاغلب مبعدا عما يرضينا لما متاع الحيوة الدنيا اى
التى اسمها دال على دناءتها يتمتع به فيها قليل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد الميم ولما
بمعنى الا حكى سيبويه انشدتك بالله لما فعلت بمعنى الا فعلت وان نافية اى وما كل ذلك الا متاع
الحيوة الدنيا وقرأ الباقون بالتخفيف فتكون ان هى المخففة من الثقيلة اى وانه كل ذلك
لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة اى الجنة التى لا دار تعدلها بل لا دار فى الحقيقة الا هى عند ربك اى
المحسن اليك بان جعلك افضل الخلق للمتقين اى الذين هم دائما واقفون عن ادنى تصرف الا بدليل
لا يشاركهم فيها غيرهم من الكفار ولهذا لما ذكر عمر رضى الله عنه كسرى وقيصر وما كانا فيه من النعم قال النبى
صلى الله عليه وسلم الا ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة وقال صلى الله عليه وسلم لو كانت
الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها الكافر قطرة ماء وروى المستورد بن شداد
قال كنت فى الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اترى هذه هانت على اهلها حتى القوها قالوا من هوانها القوها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالدنيا اهون على الله من هذه على اهلها اخرجه

نصف

الترمذي وقال حديث حسن وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا احب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء قال البقاعي ولا يبعد
ان يكون ما صار اليه الفسقة والجبابرة من زخرفة الابنية وتذهيب السقوف وغيرها
من مبادي الفتنة بان يكون الناس امة واحدة في الكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة
على من يقول الله او في زمن الدجال لان من يبقى اذ ذاك على الحق في غاية القلة بحيث انه لا عداد لهم
في جانب الكثرة لان كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة وان خرج مخرج الشرط فكيف بملك
الملوك سبحانه. فان قيل لم بين تعالى انه لو فتح على الكافر ابواب النعم لصار ذلك سببا لاجتماع
الناس على الكفر فلم لم يفعل ذلك بالمسلمين حتى يصير سببا لاجتماع الناس على الاسلام
اجيب بان الناس على هذا التقدير كانوا يجتمعون على الاسلام لطلب الدنيا وهذا الايمان
ايمان المنافقين فاقتضت الحكمة ان لا يجعل ذلك للمسلمين حتى ان كل من دخل في الاسلام يدخل
لمتابعة الدليل ولطلب مرضات الله تعالى ومن يعش اي يعرض عن ذكر الرحمن اي الذي عمت رحمته
ولا رحمة على احد الا وهي منه تعالى كما فعل هؤلاء حين متعناهم واباءهم حتى ابطرهم ذلك وهو شيء يسير جدا
فاعرضوا عن الآيات والدلائل فلم ينظروا فيها الا نظرا ضعيفا كنظر من عشا بصره وهو من ساء بصره بالليل
والنهار نقيض اي نسبب له عقابا على اعراضه عن ذكر الله تعالى شيطانا اي شخصا ناريا
بعيدا من الرحمة يكون غالبا عليه محيطا به مثل قيض البيضة وهو القشر الداخل فهو له قرين اي
مشدود به لا يفارقه فلا يمكنه التخلص منه ما دام متعاميا عن ذكر الله تعالى فهو يزين له
العمى ويخيل اليه انه على عين الهدى كما ان من يستضيء بذكر الرحمن يسخر له ملك فهو له
ولي يثيره الى كل خير فذكر الله تعالى حصن حصين من الشيطان الرجيم متى خرج العبد منه اسره
العدو كما ورد في الحديث وانهم اي القرناء ليصدونهم اي العاشين عن السبيل اي الطريق
الذي من حاد عنه هلك لانه لا طريق له في الحقيقة سواه ويحسبون اي العاشون مع سيرهم
في المهالك لتزيين القرناء باحضار الحظوظ والشهوات وابعاد المواعظ انهم مهتدون اي عريقون
في هذا الوصف لما يستدرجون به من التوسعة عليهم والتضييق على الذاكرين. تنبيه:
ذكر الانسان والشيطان بلفظ الجمع لان قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين يفيد الجمع وان كان اللفظ على الواحد قال ابو حيان الظاهر ان ضميري النصب في وانهم
ليصدونهم عائدان على من من حيث معناها اولا لفظها اولا فافرد في له وله ثم راعى معناها فجمع
في قوله تعالى وانهم ليصدونهم والضمير المرفوع على الشيطان لان المراد به الجنس ولان كل
كافر معه قرينه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها وقرأ حتى اذا
جاءنا نافع وابن عامر وابو بكر بمد الهمزة بعد الجيم على التثنية اي جاء العاشي والشيطان

وابو جعفر بغير مد افرادا اى جاء العاشى قال اى العاشى تندما وتحسرا لا انتفاع له به لفوات محله
وهو دار العمل يا ليت بيني وبينك اى ايها القرين بعد المشرقين اى ما بين المشرق والمغرب على
التغليب قاله ابن جرير وغيره او مشرقى الشتاء والصيف اى بعد احدهما عن الآخر ثم سبب عن هذا
التمنى قوله جامعا له انواع الذم فبئس القرين والمخصوص بالذم محذوف اى انت لانك الذى
قد اضللتنى واوصلتنى الى هذا العيش الضنك والحال الدحض قال ابو سعيد الخدرى اذا بعث الكافر
زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير الى النار فى فاعل قوله تعالى ولن ينفعكم
اليوم قولان احدهما انه ملفوظ به وهو انكم وما فى حيزها والتقدير ولن ينفعكم اشتراككم
فى العذاب بالتأسى كما ينفعكم الاشتراك فى مصائب الدنيا فيتأسى المصاب بمثله ومنه قول الخنساء
فلولا كثرة الباكين حولى * على موتاهم لقتلت نفسى * وما يبكون مثل اخى ولكن *
اعزى النفس عنه بالتأسى * والثانى انه مضمر فقدره بعضهم ضمير التمنى المدلول عليه بقوله
يا ليت بينى اى لن ينفعكم تمنيكم البعد وبعضهم اجتماعكم وبعضهم ظلمكم وجحدكم وعبارة من
عبر بان الفاعل محذوف مقصودة الاضمار المذكور لا الحذف لان الفاعل لا يحذف الا فى مواضع ليس هذا
منها والمعنى ولن ينفعكم اليوم فى الآخرة اذ ظلمتم اى اشركتم فى الدنيا انكم فى العذاب
مشتركون اى لا ينفعكم الاشتراك فى العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم لان لكل
واحد من الكفار والشياطين الحظ الاوفر من العذاب وقال مقاتل لن ينفعكم الاعتذار
والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون فى العذاب كما كنتم مشتركين فى الدنيا
تنبيه استشكل المعربون هذه الآية ووجهه ان قوله تعالى اليوم ظرف حاضر
واذ ظرف ماض وينفعكم مستقبل لاقترانه بلن التى لنفى المستقبل والظاهر انه عامل
فى الظرفين وكيف يعمل الحدث المستقبل الذى لم يقع الا بعد فى ظرف حال وماض هذا
مما لا يجوز * اجيب * عن اعماله فى الظرف الحالى على سبيل قربه منه لان الحال قريب من
الاستقبال فيجوز فى ذلك قال تعالى فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وقال الشاعر
سأسعى الآن اذ بلغت اناها * وهو اقناعى والا فالمستقبل يستحيل وقوعه فى الحال عقلا
واما قوله تعالى اذ ففيها للناس اوجه كثيرة قال ابن جنى راجعت ابا على فيها مرارا
كثيرة فآخر ما حصلت منه ان الدنيا والآخرة متصلتان وهما سواء فى حكم الله تعالى وعلمه فاذ
بدل من اليوم حتى كأنها مستقبلة او كأن اليوم ماض والى هذا نحا الزمخشرى قال واذ بدل
من اليوم وحمل الزمخشرى على معنى اذ تبين وصح ظلمكم ولم يبق لاحد ولكم شبهة فى انكم كنتم
ظالمين ونظيره * اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * اى تبين انى ولد كريمة ولما وصفهم فى الآية
المتقدمة بالعشى وصفهم بالصمم والعمى بقوله تعالى افانت اى وحدك من غير ارادة
الله تعالى تسمع الصم وقد اصممناهم بما اصببنا فى مسامعهم من رصاص الشقاء

أو تهدي العمي الذين أعميناهم بما غشينا به أبصار بصائرهم من أغشية الخسارة روي أنه صلى الله
عليه وسلم كان يجتهد في دعاء قومه وهم لا يزيدون إلا تصميماً على الكفر وتمادياً في الغي فنزلت
أي هم في النفرة عنك وعن دينك بحيث إذا أسمعتهم القرآن كانوا كالصم وإذا أريتهم المعجزات
كانوا كالعمي وقوله تعالى وَمَن كَانَ أي جبلة وطبعاً فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ عطف على العمي باعتبار
تغاير الوصفين وفيه إشعار بأن الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى بين في نفسه أنه ضلال
وأنه محيط بالضال يظهر لكل أحد ذلك فهو بحيث لا يخفى على أحد فالمعنى ليس شيء من ذلك إليك
بل هو إلى الله تعالى القادر على كل شيء وأما أنت فليس عليك إلا البلاغ فلا تتعب نفسك فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ
بِكَ أي من بين أظهرهم بموت أو غيره وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة
فَإِنَّا مِنْهُم أي من الذين تقدم التعريض بأنهم صم عمي ضلال لم تنفعهم مشاعرهم مُّنتَقِمُونَ أي
بعد فراقك لأن وجودك بين أظهرهم هو سبب تأخير العذاب عنهم أَوْ نُرِيَنَّكَ وأنت بينهم الَّذِي
وَعَدْنَاهُمْ أي من العذاب فعبر فيه بالوعد ليدل على الخير بلفظه وعلى الشر بأسلوبه فَإِنَّا أي بما لنا
من العظمة التي أنت أعلم الخلق بها عَلَيْهِم أي على عقابهم مُّقْتَدِرُونَ قوية على كلا التقديرين وأكد بأن
لأن أفعالهم أفعال من ينكر قدرته وكذا الإتيان بنون العظمة وصيغة الافتعال فَاسْتَمْسِكْ
أي اطلب وأوجد بجد عظيم على كل حال من أحوال الإمساك بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ من سنن تعجيل
النصر أو الانتقام منهم وفي غيره إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ أي طريق واسع واضح جداً مُّسْتَقِيمٍ أي موصل
إلى المقصود لا تضل أصلاً ولا يلحقه شيء من عوج وَإِنَّهُ أي الذي أوحي إليك في الدين والدنيا لَذِكْرٌ
أي لشرف عظيم جداً أو موعظة وبيان لَّكَ وَلِقَوْمِكَ قريش خصوصاً لنزوله بلغتهم والعرب
عموماً وسائر من اتبعك ولو كان من غيرهم روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان إذا سئل لمن هذا الأمر بعدك لم يخبر بشيء حتى نزلت هذه الآية فكان
بعد ذلك إذا سئل لمن هذا الأمر بعدك قال لقريش وروى ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان وروى معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين وقال مجاهد القوم هم
العرب فالقرآن لهم شرف إذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب حتى يكون
الأكثر لقريش ولبني هاشم وقيل ذكر لك بما أعطاك من الحكمة ولقومك من المؤمنين بما هداهم الله
تعالى به وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ أي عن القرآن يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وكيف كنتم في
العمل به والاستجابة له وقال الكلبي تسألون هل أديتم شكر إنعامنا عليكم بهذا الذكر الجميل
وقال مقاتل يقال لمن كذب به لم كذبت فيسأل سؤال توبيخ وقيل يسألون هل عملتم بما
دل عليه القرآن من التكاليف وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما أسري بالنبي
صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى إلى السموات العلى بعث له آدم وولده

من المرسلين عليهم السلام فأذن جبريل عليه السلام ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ
من الصلاة قال له جبريل عليه السلام وسئل من أرسلنا اي على ما لنا من العظمة من قبلك
من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن اي غيره آلهة يعبدون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا أسأل قد اكتفيت ولست شاكا فيه وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل
ليلة أسري به وأمر ان يسألهم فلم يسأل ولم يشك وقال أكثر المفسرين سل مؤمني أهل الكتاب الذين
أرسلت اليهم الأنبياء عليهم السلام هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول مجاهد وقتادة والسدي
ولم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم على واحد من القولين لأن المراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركي
قريش انه لم يأت رسول من الله تعالى ولا كتاب بعبادة غير الله تعالى ولما طعن كفار قريش في
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بكونه فقيرا عديم الجاه والمال بين الله تعالى ان موسى عليه السلام بعد
ان أورد المعجزات القاهرة التي لا يشك في صحتها عاقل أورد عليه فرعون هذه الشبهة التي ذكرها
كفار قريش فقال تعالى ولقد أرسلنا اي بما لنا من عظمتنا موسى اي الذي كان يرى فرعون انه أحق الناس
بعظمته لأنه رباه وكفله بآياتنا التي قهر بها عظماء الخلق وجبابرتهم فدل ذلك على صحة دعواه
الى فرعون الذي ادعى انه الرب الأعلى وملائه اي القبط فقال اي بسبب إرسالنا اني رسول
رب العالمين اي مالكهم ومدبرهم ومربيهم فقالوا له ائت بآية فأتى بها فلما جاءهم بآياتنا اي
بآيتي اليد والعصا اللتين شاهد ما فيهما عظمتنا ودلهم ذلك على قدرتنا على جميع الآيات اذا هم
اي بأجمعهم منها يضحكون اي فاجؤا المجيء بها من غير توقف ولا تأمل بالضحك سخرية واستهزاء
قيل انه لما ألقى عصاه صارت ثعبانا فلما أخذه وصار عصا كما كانت ضحكوا ولما عرض عليهم
اليد البيضاء ثم عادت كما كانت ضحكوا وما اي والحال انا ما نريهم على ما لنا من الجلال والعلو وأعرق
في النفي بإثبات الجار فقال تعالى من آية اي من آيات العذاب كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم ووصل
الى حلوق الجالسين سبعة أيام والجراد وغير ذلك الا هي أكبر اي في الرتبة من أختها اي التي تقدمت
عليها بالنسبة الى علم الناظرين لها وأخذناهم اي أخذ قهر وغلبة بالعذاب اي انواع العذاب كالدم
والقمل والضفادع والبرد الكبار الذي لم يعهد مثله ملتهبا بالنار وموت الأبكار فكانت على صدق
موسى عليه السلام مما لها من الاعجاز وعذابا لهم في الدنيا موصولا بعذاب الآخرة فيها لها من قدرة
باهرة وحكمة ظاهرة لعلهم يرجعون اي ليكون حالهم عندنا اذا نظرهم الجاهل بالعواقب
حال من يرجى رجوعه ولما عاينوا العذاب قالوا لموسى اي قال فرعون بالمباشرة واتباعه بالموافقة
له يا أيه الساحر فنادوه بذلك في تلك الحالة لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم كانوا
يسمون العالم الماهر ساحرا ادع لنا ربك المحسن اليك بما يفعل معك من هذه الأفعال التي
نهيتنا بها اكراما لك بما اي بسبب ما عهد عندك اي من كشف العذاب عنا
ان آمنا إننا لمهتدون اي مؤمنون فلما كشفنا اي على ما لنا من العظمة التي ترهب الجبال

عَنْهُمُ الْعَذَابَ اى الذى انزلناه بهم اِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ اى فاجؤا الكشف بتجديد النكث بالخلاف
بعد الخلاف وَنَادَى فِرْعَوْنُ اى زيادة على نكثه فِى قَوْمِهِ اى الذين هم فى غاية القيام معه وامره منهم
ان يشيعوا قوله اشاعة تعم البعيد والقريب فتكون كأنها منادية اعلاما بانه مستمر على الكفر
لئلا يظن بعضهم انه رجع فيرجعون ولما كان كأنه قيل بم نادى اجاب بقوله قَالَ يَا
خوفا من ايمان القبط لما راى من ان ما شاهدوه من باهر الآيات مثله يزلزل ويأخذ القلوب يَا قَوْمِ
مستعطفا لهم باعلامهم انهم لحمة واحدة ومستنهضا بوصفهم بانهم ذو قوة على ما يحاولونه مقررا
لهم على عذره فى نكثه بقوله أَلَيْسَ لِى اى وحدى مُلْكُ مِصْرَ اى كله فلا اعتراض على من بنى اسرائيل
ولا غيرهم وَهٰذِهِ اى والحال ان هذه الْاَنْهَارُ اى انهار النيل قال البيضاوى ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط
ونهر تنيس وقال البقاعى كأنه كان قد اكثر من تشقيق الخلجان الى بساتينه وقصوره ونحو ذلك
من اموره فقال تَجْرِى مِنْ تَحْتِى اى تحت قصرى وامرى او بين يدى فى جنانى وزاد فى التقرير
بقوله اَفَلَا تُبْصِرُوْنَ اى هذا الذى ذكرته لكم فتعلموا ببصائركم انه لا ينبغى
لاحد ان ينازعنى وهذا العرى قول من ضعفت قواه واغلت عراه اَمْ اَنَا خَيْرٌ اى مع ما وصفت
لكم من ضخامتى وما لى من القدرة على اجراء المياه التى بها حياة كل شئ مِنْ هٰذَا وكنى
باشارة القريب عن تحقيره ثم وصفه بما يبين مراده بقوله الَّذِى هُوَ مَهِيْنٌ اى ضعيف حقير
ذليل لانه يتعاطى اموره بنفسه وليس له ملك ولا قوة يجرى بها نهرا ولا ينفذ بها امرا وَلَا يَكَادُ
يُبِيْنُ اى لا يقرب من ان يعرب عن معنى من المعانى لما فى لسانه من الحبسة فلا هو قادر فى نفسه
ولا له قوة بلسانه على تصريف المعانى وتنويع البيان ليستجلب القلوب وينعش الالباب
فتكثر اتباعه ويضخم امره وقد كذب فى جميع قوله فقد كان موسى عليه السلام ابلغ
اهل زمانه قولا وفعلا بتقدير الله تعالى الذى ارسله له وامره اياه ولكن اللعين اسند هذا
الى ما بقى فى لسانه من الحبسة تخييلا لاتباعه لان موسى عليه السلام ما دعا بازالة جميع حبسته
بل بعقدة منها فانه قال واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى تنبيه فى ام من قوله ام
انا خير اقوال احدها انها منقطعة فتقدر ببل التى للاضراب الانتقالى وبالهمزة التى للانكار
والثانى انها بمعنى بل فقط كقوله * بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى * وصورتها
ام انت فى العين املح * اى بل انت والثالث انها منقطعة لفظا متصلة معنى قال ابو البقاء ام هنا
منقطعة فى اللفظ لوقوع الجملة بعدها فى اللفظ وهى فى المعنى متصلة معادلة اذ المعنى انا خير منه
ام لا وانا خير قال ابن عادل وهذه عبارة غريبة ان تكون منقطعة لفظا متصلة معنى وذلك
انهما معنيان مختلفان فان الانقطاع يقتضى اضرابا اما ابطالا واما انتقالا ثم ان فرعون اللعين
ظن ان القرب من الملوك والغلبة على الامور لا تكون الا بكثرة الاعراض الدنيوية والتحلى
بحلى الملوك ولذا قال فَلَوْلَا اى فهلا اُلْقِىَ عَلَيْهِ من عند مرسله الذى يدعى انه الملك بالحقيقة

أسورة وقرأ حفص بسكون السين ولا الف بعدها كاحمرة والباقون بفتح السين والف بعدها
فاسورة جمع سوار كخمار واخمرة وهي جمع قلة واساورة جمع اسوار بمعنى سوار يقال سوار المرأة واسوارها والاصل
اساوير بالياء فعوض من حرف المد تاء التأنيث كزنديق وزنادقة وبطريق وبطارقة * وقيل * بل
هي جمع اسورة فهي جمع الجمع قاله الزجاج والسوار ما يوضع في المعصم من الحلية من ذهب ليكون
ذلك امارة له على صحة دعواه كما نفعل نحن عند انعامنا على احد من عبيدنا بالامارة على الناحية
من النواحي لمهم من المهمات اذ كان من عادتهم انهم اذا جعلوا واحدا منهم رئيسا لهم سوروه
بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب فطلب فرعون من موسى عليه السلام مثل عادتهم
أو جاء معه اي صحبته عند ما جاء الينا بهذا النبأ الجسيم والملم العظيم الملائكة اي هذا
النوع واشار الى كثرتهم بما بين من الحال بقوله مقترنين اي يقارن بعضهم بعضا بحيث يملؤن
الفضاء ويكونون في غاية القرب منه بحيث يكون مقارنا لهم ليجاب الى هذا الامر الذي جاء بطلبه
كما نفعل نحن اذا ارسلنا رسولا الى امر يحتاج الى دفاع وخصام ونزاع فكان حاصل امره
كما ترى انه تعزز باجراء المياه فاهلكه الله تعالى بها ايماء الى ان من تعزز بشيء دون الله تعالى
اهلكه الله به واستصغر موسى عليه السلام وعابه بالفقر والعي فسلطه الله تعالى عليه اشارة الى انه
ما استصغر احد شيئا الا غلبه افاده القشيري فاستخف اي بسبب هذه الخدع التي سحرهم بها في هذا الكلام
الذي هو في الحقيقة محقر له موهن لامره قاصم لملكه عند من له لب قومه الذين لهم قوة عظيمة
فحملهم بغروره على ما كانوا مهيئين له من خفة الحلم فأطاعوه اي بان اقروا بملكه واعترفوا
بربوبيته وردوا امر موسى عليه السلام انهم كانوا اي بما في جبلاتهم من الشر قوما فاسقين
اي عريقين في الخروج عن طاعة الله تعالى الى معصيته فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا
اي اغضبونا بالافراط في العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه حكي ان ابن جريج
غضب في شيء فقيل له اتغضب يا ابا خالد فقال قد غضب الذي خلق الاحلام ان الله تعالى يقول
فلما آسفونا اي اغضبونا انتقمنا منهم اي اوقعنا بهم على وجه المكافأة بما فعلوا
برسولنا عليه السلام عقوبة عظيمة منكرة مكروهة كانها بعلاج فاغرقناهم اجمعين
اي اهلاك نفس واحدة لم يفلت منهم احد على كثرتهم وقوتهم وشدتهم * تنبيه * ذكر
لفظ الاسف في حق الله تعالى وذكر لفظ الانتقام كل واحد منهما من المتشابهات التي يجب
تاويلها فمعنى الغضب في حق الله تعالى ارادة العذاب ومعنى الانتقام ارادة العقاب بجرم سابق
وقال بعض المفسرين معنى آسفونا احزنوا اولياءنا فجعلناهم اي باخذنا لهم على
هذه الصورة من الاغراق وغيره مما تقدمه سلفا اي متقدما لكل من يهلك بعدهم
اهلاك غضب في الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة او قدوة لمن يريد العلو في الارض
فتكون عاقبته في الهلاك في الدارين او اصحاب اماما فيهم كما قال تعالى وجعلناهم ائمة يدعون

الى النار ومثلا اى حديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل للآخرين اى الذين خلفوا بعدهم من زمنهم
الى آخر الدهر فيكون حالهم عظة للناس وامثالا للآخرين فمن اراد به الخير وفق لمثل خير يورده
عن غيره ومن اريد به الشر اقتدى به فى الشر وقرأ حمزة والكسائى بضم السين واللام والباقون
بفتحهما فاما الاولى فتحتمل ثلاثة اوجه احدها انه جمع سليف كرغيف ورغف وسمع القاسم
بن معن من العرب سليف من الناس كالفريق منهم والثانى انه جمع سالف كصابر وصبر والثالث
انها جمع سلف كاسد واسد واما الثانية فتحتمل وجهين احدهما ان تكون جمعا لسالف كحارس وحرس وخادم
وخدم وهذا فى الحقيقة اسم جمع لا جمع تكسير اذ ليس فى ابنية التكسير صيغة فعل والثانى انه مصدر
يطلق على الجماعة تقول سلف الرجل يسلف سلفا اى تقدم والسلف كل شئ قدمته من عمل صالح
او قرض وسلف الرجل آباؤه المتقدمون والجمع اسلاف وسلاف وقال طفيل سلفوا سلفا قصد
السبيل عليهم صروف المنايا بالرجال تقلب واختلف فى سبب نزول قوله تعالى ولما ضرب
ابن مريم مثلا فقال ابن عباس رضى الله عنهما واكثر المفسرين نزلت فى مجادلة عبد الله بن الزبعرى
مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن عيسى عليه السلام لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم كما تقدم فى سورة الانبياء والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن
مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه اذا قومك اى من قريش
منه اى من هذا المثل يصدون اى يرتفع لهم ضجيج فرحا بسبب ما رأوا من سكوت النبى
صلى الله عليه وسلم فان العادة قد جرت بان احد الخصمين اذا انقطع اظهر الخصم الثانى الفرح
والضجيج وقال قتادة يقولون ما يريد محمد منا الا ان نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى
وقالوا أآلهتنا اى التى نعبدها من الاصنام خير أم هو قال قتادة يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم
فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقال السدى وابن زيد يعنون عيسى عليه السلام قالوا يزعم
محمد ان كل ما نعبد من دون الله فهو فى النار فنحن نرضى ان تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة
فى النار قال الله تعالى ما ضربوه اى المثل لك الا جدلا اى خصومة بالباطل لعلمهم ان لفظ ما لغير
العاقل فلا يتناول من ذكروه بل هم قوم اى اصحاب قوة على القيام فيما يحاولونه خصمون اى شديدو
الخصام روى الامام احمد عن ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى
كانوا عليه الا اوتوا الجدل وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم يصدون بكسر الصاد والباقون
بضمها وهما بمعنى واحد يقال صد يصد ويصد كعكف يعكف ويعكف وعرش يعرش ويعرش
وقيل الضم من الصدود وهو الاعراض وقرأ الكوفيون أآلهتنا بتحقيق الهمزتين والباقون بتسهيل
الثانية واتفقوا على ابدال الثالثة الفا ثم انه تعالى بين ان عيسى عبد من عبيده الذين
انعم عليهم بقوله تعالى ان اى ما هو اى عيسى عليه السلام الا عبد اى وليس هو اله
انعمنا اى بما لنا من العظمة عليه اى بالنبوة والاقتدار على الخوارق وجعلناه اى بما خرقنا به

العادة في ميلاده من غير ذكر من اياته مثلا اي امرا عجيبا كالمثل لغرابته من انثى فقط بلا واسطة
ذكر كما خلقنا آدم من غير ذكر وانثى وشرفناه بالنبوة لبني اسرائيل اي الذين هم اعرف
الناس به بعضهم بالمشاهدة وبعضهم بالنقل القريب المتواتر فيعرفون به قدرة الله تعالى على ما يشاء
حيث خلقه من غير اب ولو نشاء اي على ما لنا من العظمة لجعلنا ما هو اغرب مما صنعناه من امر
عيسى منكم اي جعلا مبتدأ منكم اما بالتوليد كما جعلنا عيسى عليه السلام من انثى من غير
ذكر وجعلنا آدم عليه السلام من تراب من غير انثى ولا ذكر واما بالبدلية ملائكة
في الارض يخلفون اي يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى عليه السلام وان كانت عجيبة
فالله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل
خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله تعالى وانه
اي عيسى عليه السلام لعلم للساعة اي نزوله سبب العلم بقرب الساعة التي هي يوم الخلائق كلهم
بالموت فنزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها قال صلى الله عليه وسلم ليوشكن ان ينزل فيكم ابن
مريم حكما عادلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتهلك في زمنه الملل كلها الا الاسلام
وروي انه ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة وعليه ممصرتان وشعر
راسه دهين يقتل الدجال ويأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر وروي في صلاة الصبح
فيتأخر الامام فيقدمه عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم
ثم يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به
وقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وقال الحسن
وجماعة وانه اي القرآن لعلم للساعة يعلمكم قيامها ويخبركم احوالها واهوالها فلا تمترن بها
حذف منه نون الرفع للجزم وواو الضمير لالتقاء الساكنين من المرية وهي الشك اي لا تشكن
فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها واتبعون اي اوجدوا تبعكم لي هذا اي كل ما آمركم به من هذا
او غيره صراط اي طريق واضح مستقيم اي لا عوج له وقرأ ابو عمرو باثبات الياء في الوصل دون
الوقف والباقون بغير ياء وصلا ووقفا ولا يصدنكم الشيطان اي عن هذا الطريق الواضح الواسع
المستقيم الموصل الى المقصود بالسير سهل انه لكم اي عامة واكد لنكران افعال التابعين
له افعال من ينكر عداوته عدو مبين اي بالغ العداوة في نفسه مناد بها وذلك بابلاغه في
عداوة ابيكم آدم عليه السلام حتى انزلكم بابن الله عن محل الراحة الى موضع التعب عداوة
ناشئة عن الحسد فهي لا تنفك ابدا ولما جاء عيسى اي الى بني اسرائيل بالبينات اي المعجزات
اي بآيات الانجيل وبالشرائع الواضحات قال منبها لهم قد جئتكم بما يدلكم قطعا
على الغاية من عند الله وحكمته بالحكمة اي الامر المحكم الذي لا يستطاع نقضه
ولا يفتر بالمعاندة لا اضلكم بذلك مما تفترونه من الضلال ولابين لكم اي ما تأوضحا

ثم

بعض الذي تختلفون فيه اي الآن فيه ولأن الوحي تحدّ دون الخلاف بسببه • فان قيل لو لم يبين لهم كل الذي يختلفون فيه • اجيب بانه بين لهم كل ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم يبعثوا لبيانه ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم انتم اعلم بامر دنياكم ويحتمل ان يكون المراد انه يبين لهم بعض المتشابه وهو ما يكون بيانه كافيا في رد بقية المتشابه الى المحكم بالقياس عليه فان الشأن في كل كتاب ان يجمع المحكم والمتشابه فالمحكم ما ليس فيه التباس والمتشابه ما يكون ملتبسا وفيه ما يرده الى المحكم لكن على طريق الرمز والاشارة التي لا يذوقها الا اهل البصائر ليتبين بذلك الصادق من الكاذب فالصادق الذي رسخ علمه وايمانه يرد المتشابه منه الى المحكم او يجمع فيقول الله اعلم بمراده ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ولا يتزلزل والكاذب يتبع المتشابه فيجريه على ظاهره كاهل الاتحاد الحوادث المفتونين او يؤوله بحسب هواه بما لا يمشي على قواعد العلم ولا يوافق المحكم فيفتتن • ولما بين لهم الاصول والفروع قال فاتقوا الله اي خافوا من له الملك الاعظم من الكفر والاعراض عن دينه لان له كل شيء منكم ومن غيركم ومن المعلوم لكل ذي عقل انه لا يتصرف في ملك الغير بوجه من الوجوه الا باذنه واطيعون اي فيما ابلغه عنه اليكم من التكاليف طاعة لامره بما يرضيه هو ثمرة التقوى وكلما ازداد المتقي في اعمال الطاعة ازدادت تقواه ان الله اي الذي اختص بالجلال والجمال فكان اهلا لان يتقى هو اي وحده ربي وربكم اي المحسن الى واليكم فاعبدوه اي بما امركم به لانه صدقني في امركم بان تابعني بما اظهره على يدي وظاهره الامر لكم لا انا هذا اي الامر العظيم الذي دعوتكم اليه صراط اي طريق واسع واضح مستقيم • لا عوج فيه • ولما كان الطريق الواضح القويم موجبا للاجتماع عليه والوفاق عند سلوكه بين تعالى انهم اختلفوا فيه بقوله تعالى فاختلف الاحزاب اي الفرق المتحزبة من بينهم اي اختلافا ناشئا ابتداء من بني اسرائيل في عيسى اهو الله او ابن الله او ثالث ثلاثة وقوله تعالى فويل كلمة عذاب للذين ظلموا اي وضعوا الشيء في غير موضعه بما قالوه في عيسى عليه السلام من عذاب يوم اليم اي مؤلم واذا كان اليوم مؤلما فما الظن بعذابه هل ينظرون اي هل ينظر كفار مكة او الذين ظلموا الا الساعة اي ساعة الموت العام والبعث والقيامة فان ذلك لتحقق امره كانه موجود منظور اليه وقوله تعالى ان تأتيهم بدل من الساعة • فان قيل • قوله تعالى بغتة اي فجاة يفيد قوله تعالى وهم لا يشعرون اي بوقت مجيئها قبله • اجيب • بانه يجوز ان تأتيهم بغتة وهم يعرفونه بسبب انهم يشاهدونه الاخلاء اي الاحباء في الدنيا على المعصية وقوله تعالى يومئذ اي يوم القيامة متعلق بقوله تعالى بعضهم لبعض عدو اي يتعادون في ذلك اليوم لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتحابون له سببا للعذاب الا المتقين اي المتحابين في الله على طاعة الله تعالى وهم الموحدون الذين يخالل بعضهم بعضا على الايمان والتقوى فان خلتهم لا تصير عداوة وروى ابو ثور عن معمر عن قتادة عن ابي اسحق ان عليا قال في الآية خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات احد المؤمنين فقال يا رب ان فلانا

كان يامرني بطاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيك يارب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني واكرمه كما اكرمتني فاذا مات خليله المؤمن جمع الله بينهما فيقول ليثن احدكم على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت احد الكافرين فيقول يارب ان فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك فبئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب ثم بين تعالى ما يتلقى به المؤمنين الذين تخالوا فيه سبحانه تشريفا لهم وتسكينا لما يقتضيه ذلك المقام من الاهوال بقوله تعالى يا عباد فاضافهم الى نفسه اضافة تشريف لان عادة القران جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين المطيعين المتقين وفيه انواع كثيرة توجب المدح اولها ان الحق سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة وهذا تشريف عظيم بدليل انه تعالى لما اراد تشريف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده وثانيها قوله تعالى لا خوف اى بوجه من الوجوه عليكم اليوم اى في يوم الاخر تحصيما يجي به من الاهوال والامور المستاد والزلزال وثالثها قوله تعالى ولا انتم تحزنون اى لا يتجدد لكم حزن على شئ فات في وقت من الاوقات الاتية لانكم لا يفوتكم شئ تتشوفون به وقرأ شعبة بفتح الياء في الوصل وسكنها نافع وابو عمرو وابن عامر وحذفها الباقون وقفا ووصلا وقوله تعالى الذين امنوا اى وجدوا هذه الحقيقة يجوز ان يكون نعتا لعبادي او بدلا منه او عطف بيان له او مقطوعا منصوبا بفعل اى اعني الذين امنوا او مرفوعا وخبره مضمر تقديره يقال لهم ادخلوا الجنة قال مقاتل اذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم فاذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤسهم فيقول الذين امنوا بايتنا الظاهرة عظمتها في نفسها او لا وبنسبتها الينا ثانيا وكانوا اى دائما بما هو لهم كالجبلة والخلق مسلمين اى منقادين للاوامر والنواهي اتم انقياد فبذلك يعدلون الى حقيقة التقوى فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم ثم يحاسبهم على احسن الوجوه ثم يقال لهم ادخلوا الجنة ولما كان السرور لا يكمل الا بالرفيق السار قال تعالى انتم وازواجكم اى نساؤكم اللاتي كن مشاكلات لكم في الصفات واما قرناؤهم من الرجال فدخلوا في قوله تعالى وكانوا مسلمين تحبرون اى تسرون وتنعمون والحبرة المبالغة في الاكرام على احسن الوجوه وقوله تعالى يطاف قبله محذوف اى يدخلون يطاف عليهم اى المتقين الذين وعدناهم بهذا النداء ماوكا بصحاف من ذهب فيها من الوان الاطعمة والفواكه والحلوى ما لا يدخل تحت الوهم والصحاف جمع صحفة كجفنة وجفان قال الجوهري الصحفة كالقصعة والجمع صحاف قال الكسائي اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المئكلة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحيفة تشبع الرجل والصحيفة الكتاب والجمع صحف وصحائف ولما كانت الة الشرب في الدنيا اقل من انية الاكل جرى على ذلك المعهود بتعبيره بجمع القلة في قوله تعالى واكواب جمع كوب وهو كوز مستدير مدور الراس لا عروة له ابدانا بانه لا حاجة اصلا الى تعليق شئ لتبريد او صيانة

عن اذى او خوف لك وقيل كالابريق الا انه لا عروة له وقيل انه لا خرطوم له وقيل انه لا عروة له
ولا خرطوم معا قال الجواليقي ليتمكن الشارب من اين شاء فان العروة تمنع من ذلك وقال عدي
متكئا تصفق ابوابه * يطوف عليه العبد بالكوب * ثم انه تعالى لما ذكر التفصيل ذكر بيانا كليا فقال وفيها
اي الجنة ما تشتهيه الانفس من الاشياء المعقولة والمسموعة والملموسة جزاء لهم بما منعوا انفسهم
الشهوات في الدنيا وتلذ الاعين اي من الاشياء المبصرة التي اعلاها النظر الى وجهه الكريم جزاء لما
من مشاق الاشتياق روي ان رجلا قال يا رسول الله افي الجنة خيل فاني احب الخيل فقال ان يدخلك
الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك في اي الجنة شئت الا فعلت
فقال اعرابي يا رسول الله افي الجنة ابل فاني احب الابل فقال يا اعرابي ان ادخلك الله الجنة
اصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك وقرأ نافع وابن عامر وحفص بهاء بعد الياء باثبات
العائد على الموصول كقوله تعالى الذي يتخبطه الشيطان من المس والباقون بغير هاء بعد الياء
كقوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا وهذه القراءة مشبهة بقوله تعالى وما عملته ايديهم وهذه
الهاء في هذه السورة رسمت في مصاحف المدينة والشام وحذفت من غيرها وقد وقع لابي عبد الله
الفاسي شارح القصيدة وهم فسبق قلمه فكتب الهاء منه محذوفة في مصاحف المدينة
والشام مثبتة في غيرها فعكس * ولما كان ذلك لا يكمل الا بالدوام قال تعالى عائدا الى الخطاب
لانه اشرف واكد وانتم فيها خالدون لبقائها وبقاء كل ما فيها فلا كلفة عليهم اصلا
من خوف من زوال ولا خوف من فوات * ثم اشار الى فخامتها باداة البعد فقال تعالى وتلك الجنة
اي العالية المقام التي اورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وقرأ
ابو عمرو وهشام وحمزة والكسائي بادغام الثاء المثلثة في المثناة واظهرها الباقون بما اي
بسبب ما كنتم تعملون اي مواظبين على ذلك لا تفترون لان العمل كان لهم كالجبلة التي
جبلوا عليها فكانت لهم في الحقيقة بما زكى لهم انفسهم * ولما ذكر سبحانه الطعام والشراب ذكر
الفاكهة فقال لكم فيها فاكهة اي ما يتفكه به وان كان لحما وخبزا كثيرة تدل
على الكثرة وعلى دوام النعمة بقصد التفكه لكل شئ فيها بقوله تعالى منها اي لا من غيرها
مما يلحظ فيه القوت تأكلون فلا تنفد ولا تتأثر باكل الآكلين لانها على صفة الماء
النابع لا يؤخذ منها شئ الا خلف مكانه مثله في الحال وورد في الحديث انه لا ينزع رجل ثمرة الا نبت
مكانها مثلاها * تنبيه * لما بعث الله تعالى نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام الى العرب وكانت
في ضيق شديد بسبب المأكول والمشروب والفاكهة ذكر الله تعالى هذه المعاني مرة بعد
اخرى تكميلا لرغباتهم وتقوية لدواعيهم ومن في قوله تعالى منها تأكلون تبعيضية او ابتدائية
وقدم الجار لاجل الفاصلة ولما ذكر سبحانه الوعد اردفه بالوعيد على الترتيب المستمر في القرآن العظيم
فقال تعالى ان المجرمين اي الراسخين في قطع ما امر الله به ان يوصل في عذاب جهنم

اى النار التى من شأنها القاعد اهلها بالتجهم والكراهة والعبوسة كما كان يعمل عند قطعه لاوليائه الله
تعالى خالدون لان اجتنابهم كان طبعا لهم لا ينفكون عنه اصلا لما نفوا لا يفتر عنهم
اى لا يخفف ولا ينقص اصلا فانه بنوع من الضعف فنفى التفتير نفى للفتور من غير عكس قال البيضاوى وهو
من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه اى العذاب مبلسون
اى ساكتون سكوت يأس من النجاة والفرج وعن الضحاك يجعل المجرم فى تابوت من نار ثم يقفل
عليه فيبقى خالدا لا يرى ولا يرى وما ظلمناهم نوعا من الظلم ولكن كانوا جبلة وطبعا وعملا
وصنعا هم الظالمين لانهم بادروا المنعم عليهم بالعظائم وانهم لا ينفكون عن ذلك
ما بقوا ولا امهال بالنيات ولما كان مفهوم الابلاس السكوت بين تعالى انهم ليسوا ساكتين
دائما بقوله تعالى ونادوا والتعبير بان المنادى خازن النار بقوله تعالى مؤكد البعد باداته يا مالك
ليقض علينا اى سل ربك لاجلنا ان يقضى القضاء الذى لا قضاء مثله وهو الموت على كل واحد منا
وجروا على عادتهم فى الغباوة والجلافة فقالوا ربك اى المحسن اليك فلم يروا الله تعالى عليهم احسانا
وهم فى تلك الحالة ولا شك ان احسانه ما انقطع عن موجود اصلا واقل ذلك انه لا يعذب احدا
منهم فوق استحقاقه ولذلك جعل النار دركات كما جعل الجنة درجات فاجاب مالك عليه السلام
بان قال مؤكدا قطعا لاطماعهم لان كلامهم هذا هو بحيث يفهم الرجاء واعلاما بان رحمة الله التى وسعت
الرجاء خاصة بغيرهم انكم ماكثون اى دائما ابدا لا خلاص لكم بموت ولا غيره وليس فى القرآن متى اجابهم
هل اجابهم فى الحال او بعد مدة لكن روى ابن عباس ان اهل النار يدعون مالكا خازن النار يقولون
ليقض علينا ربك اى ليمتنا ربك فيسكت عنهم فيجيبهم مالك بعد الف سنة انكم ماكثون اى مقيمون
فى العذاب وعن عبد الله بن عمرو بن العاص يجيبهم بعد اربعين وفى غيره مائة سنة واختلفوا فى ان قولهم يا مالك
ليقض علينا ربك على اى وجه طلبوه فقال بعضهم على التمنى وقال آخرون على وجه الاستغاثة والا فهم عالمون
بانه لا خلاص لهم من ذلك العذاب ثم انه تعالى ذكر ما هو كالعلة لذلك الجواب بقوله تعالى لقد جئناكم
اى فى هذه السورة خصوصا وفى جميع القرآن عموما بالحق على لسان الرسل وقرأ نافع وابن كثير و
ابن ذكوان وعاصم باظهار الدال عند الجيم والباقون بالادغام ولكن اكثركم للحق كارهون
لما فيه من المنع من الشهوات ولذلك انتم تقولون انه ليس بحق لاجل كراهتكم فقط لا لاجل ان فى حقيته
نوعا من الخفاء فان قيل كيف قال ونادوا يا مالك بعدما وصفهم بالابلاس اجيب بانها ازمنة متطاولة
واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة اليأس عليهم ويستغيثون اوقاتا لشدة
ما بهم وروى انه يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون
يا مالك ليقض علينا ربك ولما ذكر تعالى كيفية عذابهم فى الآخرة ذكر بعده كيفية مكرهم وفساد
باطنهم فى الدنيا فقال تعالى ام ابرموا امرا اى احكم كفار مكة امرا اى فى المكر برسول الله صلى الله
عليه وسلم فى شق امرنا معاداة او فيما نشاء معهم بانا مطلعون عليهم فانا مبرمون م

اى محكمون امراً فى مجازاتهم اى مبرمون كيداً كما ابرموا كيدهم كقوله تعالى ام يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون قال مقاتل نزلت فى تدبيرهم المكر فى دار الندوة * تنبيه * ام منقطعة والابرام الاتقان واصله فى الفتل يقال ابرم الحبل اى اتقن فتله وهو الفتل الثانى والاول يقال له سحيل قال زهير لعمرى لنعم السيدان وجدتما * على كل حال من سحيل ومبرم * ام يحسبون انا اى على ما لنا من العظمة المقتضية بجميع صفات الكمال لا نسمع سرهم اى كلامهم الخفى ولو كان فى الضمائر فيما يغضبنا والسر ما حدث به الشخص نفسه او غيره فى مكان خال ولما كان ربما وقع فى الاوهام ان المراد بالسمع انما هو العلم لان السر ما يخفى وهو يعلم ما فى الضمائر وهى مما يعلم حقق ان المراد به حقيقته بقوله تعالى ونجواهم اى تناجيهم فى كلامهم المرتفع فيما بينهم حتى كانه على نجوة اى مكان عال فنعلم ان المراد حقيقة السمع وانه تعالى يسمع كل ما يمكن ان يسمع بكلى الصنفين كليهما على حد سواء بلى ورسلنا وهم الحفظة من الملائكة عليهم جميع السلام على ما لهم من العظمة بنسبتهم الينا لديهم اى عندهم وقرأ حمزة بضم الهاء والباقون بكسرها يكتبون اى يجددون الكتابة كل ما تجدد مما يقتضيها لان الكتابة اوقع فى التهديد لان من علم ان اعماله محصاة مكتوبة يجتنب ما يخاف عاقبته وعن يحيى بن معاذ الرازى من ستر عن الناس ذنوبه وابداها للذى لا يخفى عليه شئ فى السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق ولما تقدم اول السورة تبكيتهم والتعجيب منهم فى ادعائهم لله ولدا من الملائكة وهددهم بقوله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم قل اى لهؤلاء البعداء البغضاء ان كان للرحمن اى العام الرحمة ولد اى على زعمكم والمراد به الجنس لادعائهم فى الملائكة وغيرهم فانا اى فى الرتبة وقرأ نافع بمد الالف بعد النون والباقون بغير مد اول العابدين للرحمن العبادة التى هى العبادة ولا يستحق غيرها ان يسمى عبادة وهى الخالصة فانا لا اعبد غيره ولم يبن لى الرحمن ان اعبد الولد ولا غيره او يكون المعنى انا اول العابدين الرحمن على وجه الاخلاص لم اشرك به شيئا اصلا فى وقت من الاوقات بما سميتموه ولدا او شريكا او غيرهما ولو شاء ما عبدته على وجه الاخلاص ولا شك عندكم وعند غيركم ان من اخلص لاحد كان اولى من غيره برحمته فلو ان الاخلاص له ممنوع ما شاءه لى ولو لا ان عبادته غير ممنوعة لشاءها لى ولو ان له ولدا لشاء لى عبادته فان عموم رحمته لكافة خلقه لكونهم خلقه وخصوصها لكونى عبدته خالصا يمنع على زعمكم من ان يشقينى وانا المخلص له فبطلت شبهتكم بمثلها بل باقوى منها وهذا اما علق بشئ هو بنقيضه اولى وقال الزمخشرى ان كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام

جار على سنن القو [illegible]

شبهة الاضمحلال مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة
الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى
نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ثم قال وقد تمحل الناس بما اخرجوه من هذا الاسلوب الشريف
المليء بالنكت والفوائد المستقل باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد
في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن
ولد في زعمكم فانا اول الانفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد
وقال ابن عباس ان نافية اي ما كان له ولد فانا اول من عبده ووحده وما علمت له ولدا ولو كان
له ولد لعبدته تقربا اليه بعبادة ولده وروي ان النضر بن عبد الدار بن قصي قال ان الملائكة بنات الله
تعالى فنزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان
للرحمن ولد فانا اول العابدين الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له ثم انه تعالى نزه نفسه فقال سبحن رب
اي مبدع ومالك السموات والارض اي الذي كل ما فيهما ومن فيهما مقهور مربوب محتاج لا يصح ان
يكون له منه سبحانه نسبة بغير العبودية بالايجاد والتربية ولما كانت خاصة الملك ان يكون له ما
لا يصل اليه غيره بوجه اصلا قال محققا لملكه لجميع ما سواه ومن سواه وملكه له ولم يعد العطف لان العرش
من السموات رب العرش اي المختص به لكونه خاصة الملك الذي وسع كرسيه السموات والارض
عما يصفون اي يقولون من الكذب من ان له ولدا او شريكا وذلك ان اله العالم يجب ان يكون
واجب الوجود لذاته وكل ما كان كذلك فهو لا يقبل التجزي بوجه من الوجوه والولد عبارة عن
ان ينفصل عن الشيء جزء فيتولد عن ذلك الجزء شخص مثله وهذا انما يعقل فيمن تكون ذاته قابلة
للتجزي والتبعيض واذا كان ذلك محالا في حق اله العالم امتنع اثبات الولد ولما ذكر تعالى هذا البرهان
القاطع قال تعالى مسببا عن ذلك فذرهم اي اتركهم على اسوأ احوالهم يخوضوا اي يفعلوا في باطلهم
فعل الخائض في الماء ويلعبوا اي يفعلوا فعل اللاعب في دنياهم حتى يلاقوا اي يفعلوا بتصرم اعمارهم
وفعل ما لا يغنيهم فعل المجتهد في ان يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي بوعد لا خلف فيه وهو
يوم القيامة فيظهر فيه ... وهو المقصود منه التهديد لانه تعالى ذكر الحجة القاطعة على فساد ما ذكروا
فلم يلتفتوا اليها لاجل استغراقهم في طلب المال والجاه والرياسة فاتركهم في ذلك الباطل واللعب حتى
يصلوا الى ذلك اليوم الموعود به ثم زاد في التنزيه فقال تعالى وهو الذي في السماء اله اي معبود
لا شريك له وفي الارض اله تتوجه الرغبات اليه في جميع الاحوال ويخلص اليه في جميع اوقات
الاضطرار لتعذر الاجماع من جميع من في السماء والارض على الجهة فثبت استحقاقه
لهذه المرتبة وثبت اختصاصه باستحقاقها في الشدائد ثبت في الاوقات كذلك من
غير فرق لانه لا منازع له فهذا الاستحقاق لعبادة غيره باطلة وقرا قالون والبزي بتسهيل الاولى
مع المد والقصر وقرأ ابو عمرو باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وقرأ ورش وقنبل بتسهيل

الثانية وابدلها ايضا الفا وقرأ الباقون بتحقيقهما * تنبيه * كل من الظرفين متعلق بما بعده
لان اله بمعنى معبود اى معبود فى السماء ومعبود فى الارض وحينئذ يقال الصلة لا تكون الا جملة
او ما فى تقديرها وهو الظرف وعديله ولا شئ منهما هنا واجيب بان المبتدأ حذف لدلالة المعنى عليه وذلك
المحذوف هو العائد تقديره وهو الذى هو فى السماء اله وهو فى الارض اله وانما حذف لطول الصلة
بالمعمول فان الجار متعلق باله ومثله ما انا بالذى قائل لك سوأ وهو الحكيم اى البليغ الحكمة فى تدبير
خلقه العليم اى البالغ فى علمه بمصالحهم وتبارك اى وثبت ثباتا لا يشبهه ثبات لانه لا زوال له مع
اليمن والبركة وكل كمال فلا شبيه له حتى يدعى انه ولد له او شريك ثم وصفه تعالى بما يبين تباركه
واختصاصه بالالوهية فقال عز من قائل الذى له ملك السموات اى كلها والارض كذلك وما بينهما
اى وما بين كل اثنين منهما والدليل على هذا الاجماع القائم على توحيده عند الاضطرار وعنده اى وحده
علم الساعة اى العلم بالساعة التى تقوم القيامة فيها واليه اى وحده لا الى غيره ترجعون مع ابدانهم
تحقيقا لملكه وقطعا للنزاع فى وحدانيته وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء التحتية على الغيبة
والباقون بالفوقية على الالتفات للتهديد ولا يملك اى بوجه من الوجوه فى وقت ما الذين يدعون
اى يعبدون اى الكفار من دونه اى الله تعالى الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله
وقوله تعالى الا من شهد بالحق اى قال لا اله الا الله فيه قولان احدهما انه متصل ان اريد بالموصول
كل ما عبد من دون الله والمعنى لا يقدر هؤلاء ان يشفعوا لاحد الا من شهد بالحق وهم يعلمون
اى بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم وهم عيسى ومريم وعزير والملائكة فانهم يملكون ان يشفعوا
للمؤمنين بتمليك الله تعالى اياهم لها والثانى هو منقطع ان خص بالاصنام ولئن سألتهم اى الكفار
مع ادعائهم الشريك من خلقهم اى العابدين والمعبودين معا ليقولن الله اى الذى له جميع صفات
الكمال لتعذر المكابرة من فرط ظهوره فانى اى فكيف واى جهة بعد ان اثبتوا له الخلق والامر
يؤفكون اى يصرفون عن اتباع رسولنا الآمر لهم بتوحيد نافى العبادة كما انا توحد نافى الخلق
وقرأ وقيله اى قول محمد صلى الله عليه وسلم عاصم وحمزة بخفض اللام والهاء على معنى وعنده
علم الساعة وعلم قيله والباقون بنصب اللام ورفع الهاء على المصدر بفعله المقدر اى وقال يا رب
ان هؤلاء قوم اى اقوياء على الباطل ولم يضفهم الى نفسه بان يقول قومى ونحو ذلك من
العبارات ولا سماهم باسم قبيلتهم لما شانه من حالهم لا يؤمنون اى لا يتجدد منهم هذا
الفعل اصلا فاصفح اى اعف عفو من اعرض عنهم صفحا فلا تلتفت اليهم بغير التبليغ وقل
اى لهم سلام اى شانى الآن متاركتكم بسلامتكم منى وسلامتى منكم قال ابن عباس
وهذا منسوخ باية السيف وقال الرازى وعندى التزام النسخ فى مثل هذه المواضع مشكل لان
الامر لا يفيد بالفعل الا مرة واحدة فسقطت دلالة اللفظ فاى حاجة الى التزام النسخ وايضا
فاللفظ المطلق قد يتقيد بحسب العرف فاذا كان كذلك فلا حاجة الى التزام النسخ

اهـ وجرى على التفسير الجلال المحلي فقال وهذا قبل ان يؤمر بقتالهم وقوله تعالى فسوف يعلمون فيه تهديد لهم وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقرأ نافع وابن عامر بتاء الخطاب التفاتا والباقون بياء الغيبة نظرا لما تقدم وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حديث موضوع

سورة الدخان مكية

وقيل الا قوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا الآية وهي ست او سبع او تسع وخمسون آية وثلثمائة وست واربعون كلمة والف واربعمائة واحد وثلاثون حرفا

بسم الله الملك الجبار الواحد القهار الرحمن الذي عم بنعمته سائر مخلوقاته الرحيم باهل وداده وقوله تعالى حم قرأ ابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بامالة الحاء محضة وقرأه ورش وابو عمرو بالامالة بين بين والباقون بالفتح وتقدمت الاشارة الى شيء من اسرار اخواتها وقوله تعالى والكتاب المبين فيه احتمالان الاول ان يكون التقدير هذه حم والكتاب المبين كقولك هذا زيد والله الثاني ان يكون التقدير حم والكتاب المبين انا انزلناه فيكون في ذلك تقدير قسمين على شيء واحد ويجوز ان يكون انا انزلناه جواب القسم وان يكون اعتراضا والجواب قوله تعالى انا كنا منذرين واختاره ابن عطية وقيل انا كنا مستأنف وفيها يفرق يجوز ان مستأنفا وان يكون صفة لليلة وما بينهما اعتراض تنبيه يجوز ان يكون هنا الكتب المتقدمة المنزلة على الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب ويجوز ان يكون المراد به اللوح المحفوظ قال الله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وقال تعالى وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون المراد به القرآن واقتصر على ذلك البيضاوي وتبعه الجلال المحلي وعلى هذا فقد اقسم بالقرآن انه انزل القرآن في ليلة مباركة وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن فقد يقول الرجل اذا اراد تعظيم الرجل له اليه حاجة استشفع بك اليك واقسم بحقك عليك وجاء في الحديث اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا احصي ثناء عليك والمبين هو المشتمل على بيان ما بالناس من حاجة اليه في دينهم ودنياهم فوصفه بكونه مبينا وان كانت حقيقة الابانة لله تعالى لان الابانة حصلت به كقوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فوصفه بالتكلم اذ كان غاية في الابانة فكانه ذو لسان ينطق مبالغة في وصفه واختلف في قوله سبحانه وتعالى في ليلة مباركة فقال قتادة وابن زيد واكثر المفسرين هي ليلة القدر وقال عكرمة وطائفة انها الليلة البراءة وهي ليلة النصف من شعبان واحتج الاولون بوجوه الاول قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر مع قوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة يجب ان يكون هي تلك الليلة المسماة بليلة القدر لئلا يلزم التناقض ثانيها قوله تعالى شهر رمضان الذي انزل

فيه القرآن فقوله تعالى ههنا انا انزلناه في ليلة مباركة يجب ان يكون هذه الليلة المباركة
في رمضان فثبت انها ليلة القدر وثانيها قوله تعالى في صفة ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها
باذن ربهم من كل امر وقال تعالى ههنا فيها يفرق كل امر حكيم وقال ههنا رحمة من ربك وقال تعالى
في ليلة القدر سلام هي واذا تقاربت الاوصاف وجب القول بان احدى الليلتين هي الاخرى رابعها
نقل محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة انه قال نزلت صحف ابراهيم في اول ليلة من رمضان
والتوراة لست ليال منه والزبور لثنتي عشرة ليلة مضت منه والقرآن لاربع وعشرين مضت
من رمضان والليلة المباركة هي ليلة القدر خامسها ان ليلة القدر انما سميت بهذا
الاسم لان قدرها وشرفها عند الله عظيم ومعلوم ان قدرها وشرفها ليس بسبب نفس الزمان
لان الزمان شئ واحد في الذات والصفات فيمتنع كون بعضه اشرف من بعض لذاته فثبت
ان شرفه وقدره بسبب انه حصل فيه امور شريفة لها قدر عظيم ومن المعلوم ان منصب الدين
اعظم من مناصب الدنيا واعظم الاشياء واشرفها منصبا في الدين هو القرآن لانه ثبت نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل كما قال تعالى في صفته ومهيمنا عليه وبه ظهرت درجات
ارباب السعادات ودركات ارباب الشقاوات فعلى هذا لا شئ الا والقرآن اعظم قدرا واعلى ذكرا
واعظم منصبا وحيث اطبقوا على ان ليلة القدر هي التي وقعت في رمضان علمنا ان القرآن انما انزل
في تلك الليلة وهذه ادلة ظاهرة واضحة واحتج الاخرون على انها ليلة النصف من شعبان بوجوه
اولها ان لها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة
وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك ان البندار
اذا استوفي الخراج من اهله كتب لهم البراءة وكذلك الله تعالى يكتب لعباده المؤمنين
البراءة في هذه الليلة ثانيها انها مختصة بخمس خصال الاولى قال تعالى فيها يفرق كل امر حكيم والثانية فضيلة
العبادة فيها روى الزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله تعالى
اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات
الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ثالثها نزول الرحمة قال صلى الله عليه وسلم ان الله يرحم امتي في هذه
الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب رابعها حصول المغفرة فيها قال صلى الله عليه وسلم ان الله يغفر لجميع المسلمين
في تلك الليلة الا الكاهن والساحر ومدمن الخمر وعاق والديه والمصر على الزنا خامسها انه تعالى اعطى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة تمام الشفاعة في امته قال الزمخشري وذلك انه سأل ليلة
الثالث عشر من شعبان في امته فاعطي الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فاعطي الثلثين ثم سأل
ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد عن الله شرود البعير اهـ وروى ان عطية الحروري
سأل ابن عباس عن قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر كيف يصح ذلك مع ان الله تعالى
انزل القرآن في جميع الشهور فقال ابن عباس يا ابن الاسود لو هلكت انا ووقع في نفسك هذا

ولم يخطر ببالك ان نزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور في السماء الدنيا ثم نزل
بعد ذلك في انواع الوقائع حالا فحالا وقال قتادة وابن زيد انزل الله تعالى القرآن في ليلة القدر
من ام الكتاب الى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم
نجوما في عشرين سنة وقوله تعالى انا اي على ما لنا من العظمة كنا اي دائما لعبادنا منذرين
اي مخوفين استئناف مبين به المقتضي للانزال وكذلك قوله تعالى فيها اي الليلة
المباركة سواء قلنا انها ليلة القدر او ليلة النصف يفرق اي ينشر ويبين ويفصل ويخرج
مرة بعد مرة كل امر حكيم اي محكم الامر لا يستطاع ان يطعن فيه بوجه من جميع
ما يوحى به من الكتب وغيرها والارزاق والآجال والنصر والهزيمة والخصب والقحط وغيرها
من جميع اقسام الحوادث وجزئياتها في اوقاتها واماكنها ويبين ذلك للملائكة من تلك
الليلة الى مثلها من العام المقبل فيجدونه سواء فيزدادون بذلك ايمانا قال ابن عباس يكتب
في ام الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والارزاق والآجال حتى الحاج
يقال يحج فلان ويحج فلان وقال الحسن ومجاهد وقتادة يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان
كل عمل واجل وخلق ورزق وما يكون في تلك السنة وقال عكرمة ليلة النصف من شعبان
يبرم فيها امر السنة وتنسخ الاحياء من الاموات فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم احد قال صلى الله عليه وسلم
تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح النساء ويولد له وقد خرج اسمه في ديوان الموتى وعن
ابن عباس ان الله تعالى يقضي الاقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر ويروى
ان الله تعالى انزل القرآن من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ووقع الفراغ في ليلة القدر فدفع نسخة
الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة
الاعمال قال ابن عادل الى اسرافيل وقال الزمخشري الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة
المصائب الى ملك الموت قال الزمخشري وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات اعماله فيلقى على السنة الخلق مدحه
وعلى قلوبهم هيبته وقوله تعالى امرا اي فرقا حال من فاعل انزلناه او من مفعوله اي انزلناه آمرين
او مأمورا به كائنا من عندنا على مقتضى حكمتنا وقوله تعالى انا كنا اي ازلا وابدا مرسلين
جواب ثالث او مستأنف او بدل من قوله تعالى انا كنا منذرين اي لنا صفة الارسال بالقدرة
عليها في كل حين والارسال لمصالح العباد لا بد فيه من الفرقان بالبشارة والنذارة وغيرهما
حتى لا يكون لبس فلا يكون لاحد على الله تعالى حجة قال البقاعي وهذا الكلام المنتظم والقول الملتئم
بعضه ببعض المتراصف اجمل وصف في وصف ليلة الانزال دال على انه لم ينزل صحيفة ولا كتاب
الا في هذه الليلة فيدل على انها ليلة القدر للاحاديث الواردة في ان الكتب كلها نزلت فيها وكذلك قوله
تعالى في سورة القدر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر فان الوحي الذي به حياة الارواح
هو روح الامر الحكيم ثم بين تعالى حال الرسالات بقوله تعالى رحمة [illegible]

لما اقتضاه التعبير بالرحمة مما كان من اسلوب التكلم بالعظمة من قوله منا الى قوله تعالى مِّنْ رَّبِّكَ
اى المحسن اليك بارسالك وارسال كل نبى مضى من قبلك فان رسالاتهم كانت لبيان الاوامر
فى العبادات وتمهيد الشرائع فى البلاد حتى استنارت القلوب واطمانت النفوس بما صارت تعهد
من شرع الشرائع وتوطئة الاديان فتسهلت طرق الرب لتعميم رسالتك بعد ان ملئت الى ادراك الآفاق
فكنت نتيجة كل من تقدمك من الرفاق وقال ابن عباس معنى رحمة من ربك اى رافة منى بخلقى
ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقال الزجاج انزلناه فى ليلة مباركة للرحمة إِنَّهُ هُوَ اى وحده
السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ اى ان تلك الرحمة كانت رحمة فى الحقيقة لان المحتاجين اما ان يذكروا
حاجاتهم بالسنتهم او لم يذكروها فان ذكروها فانه سميع وان لم يذكروها فهو تعالى عالم بها رَبِّ
اى مالك ومنشئ ومدبر السَّمٰوٰتِ اى جميع الاجرام العالية وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مما تشاهدون من
هذا الفضاء وما فيه من الهواء وغيره مما تعلمون من اكساب العباد وغيرها مما لا يعلمون ومن
المعلوم انه ذو العرش والكرسى فعلم بهذا انه مالك كله وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بخفض الباء
الموحدة على البدل او البيان او النعت والباقون برفعها على انها مبتدأ او على انه مبتدأ
خبره لا اله الا هو والمقصود من هذه الآية ان المنزل اذا كان موصوفا بهذه الجلالة والكبرياء
كان المنزل الذى هو القرآن فى غاية الشرف والرفعة فان قيل ما معنى الشرط الذى هو قوله
تعالى اِنْ كُنْتُمْ مُّوْقِنِيْنَ اجيب بانهم كانوا يقرون بان للسموات والارض ربا وخالقا فقيل
لهم ان كنتم يا اهل مكة موقنين بانه تعالى رب السموات والارض فايقنوا بان محمدا عبده
ورسوله ولما ثبت بهذا النظام فى ربوبيته وبعدم اختلال التدبير على طول الزمان وحدانيته
انتج ذلك قوله تعالى لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ اى ولا منازع له فى امرها ولو تنازعوا لامكن ان يتنازع فيكون ممانعا
لا محالة ولا لدفعه من يمكن نزاعه له بخلافه ابدا فلا يكون صالحا للتدبير والقهر لكل من يخالف رسله
والانجاء لكل من يوافقهم على ممر الزمان وتطاول الدهور ومر الحدثان على نظام مستمر وحال ثابت مستقر
ولما ثبت انه لا مدبر بالوجود غيره ثبت قوله تعالى يُحْيِ وَيُمِيْتُ لان ذلك من اجل ما فيهما من التدبير
وهو تنبيه على تمام دلائل التوحيد لانه لا شئ من فيهما يبقى ليستند التدبير اليه ويحال شئ من كلام عليه
فهما جملتان الاولى نافية لما اثبتوه من الشركة والثانية مثبتة لما نفوه من البعث رَبُّكُمْ اى الذى افاض
عليكم ما تشاهدونه من النعم فى كل واحد وغيرها وَرَبُّ اٰبَآئِكُمُ الْاَوَّلِيْنَ اى الذى افاض عليهم
ما افاض عليكم ثم سلبهم ذلك كما تعلمون فلم يقدر احد منهم على ممانعة ولا طمع فى منازعة
بنوع مدافعة بَلْ هُمْ اى بضمائرهم فِيْ شَكٍّ اى من البعث يَّلْعَبُوْنَ اى يفعلون دائما فعل
التارك لما هو فيه من اخذ الجد الذى لا مرية فيه الى اللعب الذى لا فائدة فيه ولا ثمرة له بوجه
استهزاء بك يا اشرف الرسل فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعنى عليهم بسبع كسبع يوسف
قال تعالى فَارْتَقِبْ اى انتظر بكل جهدك عاليا عليهم ناظرا لاحوالهم نظر من هو حارس

وتفكر

يوم تأتي السماء بدخان مبين اي ظاهر يغشى الناس اي المهددين بهذا وقالوا عند اتيانه هذا
عذاب أليم اي مؤلم وجيع الى القلب فيبلغ في ألمه كما كنتم تؤلمون من يدعوكم الى الله تعالى
واختلف في هذا الدخان فروى ابو الضحى عن مسروق قال بينما رجل يحدث في كندة قال يجيء
دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وابصارهم ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام ففزعنا
فأتينا ابن مسعود وكان متكئا فغضب فجلس فقال من علم فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من
العلم ان تقول لما لا تعلم لا اعلم فان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسألكم عليه من اجر وما
انا من المتكلفين فان قريشا ابطؤا عن الاسلام فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اعني عليهم
بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام ويرى الرجل
ما بين السماء والارض كهيئة الدخان فجاءه ابو سفيان فقال يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك
قد هلكوا فادع الله تعالى لهم فقرأ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين الى قوله تعالى عائدون وهذا
قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد واختيار الفراء والزجاج وهو قول ابن مسعود وكان ينكر ان يكون الدخان
الا هذا الذي اصابهم من شدة الجوع كالظلمة في ابصارهم حتى كانوا كانهم يرون دخانا وذكر ابن قتيبة
في تفسير الدخان في هذه الحالة وجهين الاول ان في سنة القحط يعظم يبس الارض فبسبب انقطاع
المطر يرتفع الغبار الكثير ويظلم الهواء وذلك يشبه الدخان ويقولون كان بيننا امر ارتفع له دخان ولهذا
يقال للسنة المجدبة الغبراء الثاني ان العرب يسمون الشيء الغالب بالدخان والسبب فيه ان الانسان اذا
اشتد خوفه او ضعفه اظلمت عيناه ويرى الدنيا كالمملوءة من الدخان ونقل عن علي بن ابي طالب انه دخان
يظهر في العالم وهو احدى علامات القيامة ويروى ايضا عن ابن عباس في المشهور عنه لما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن
تسوق الناس الى المحشر تبيت معهم اذا باتوا وتقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما
الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب
يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كالزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه
واذنيه ودبره وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه النار وقال صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال
ستا وذكر منها طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة رواه الحسن واحتج الاولون بانه تعالى حكى عنهم انهم
يقولون ربنا اكشف عنا العذاب ثم علموا اخذ ذلك بما علموا انه الموجب للكشف فقالوا مؤكدين إنا مؤمنون اي
عريقون في وصف الايمان فاذا حمل على القحط الذي وقع بمكة استقام فانه نقل ان الامر لما اشتد على اهل مكة
مشى اليه ابو سفيان فناشده الله والرحم وواعده ان دعا لهم وازال عنهم تلك البلية ان يؤمنوا به فلما ازالها
الله عنهم رجعوا الى شركهم اما اذا حمل على ان المراد منه ظهور علامة من علامات القيامة لم يصح ذلك
لان عند ظهور علامات القيامة لا يمكنهم ان يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ولم يصح ايضا
ان يقال انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون قال البقاعي ويصح ان يراد به

طلوع الشمس من مغربها روى الشيخان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها ثم قرأ الآية انّى لهم كيف ومن اين لهم الذكرى اى هذا التذكر العظيم الذى وصفوا به انفسهم وقرأ حمزة والكسائى انّى بالامالة محضة وقرأ ابو عمرو بالامالة بين بين وفي ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وامال الذكرى محضة ابو عمرو وحمزة والكسائى وامال ورش بين بين والباقون بالفتح وكذلك الكبرى وقد اى والحال انه قد جاءهم ما هو اعظم من ذلك وادخل في وجوب الطاعة رسول مبين اى ظاهر غاية الظهور وموضح غاية الايضاح وهو محمد صلى الله عليه وسلم واظهر دال قد نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وادغمها الباقون ثم تولوا عنه اى اعرضوا بما دعاهم الى الادبار عنه من دواعى الهوى ونوازع الشهوات والحظوظ وقالوا اى زيادة على اساءتهم بالتولى معلم اى علمه غيره القرآن من البشر قال بعضهم علمه غلام اعجمى لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون اى يلقى الجن اليه هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشى انا اى على ما لنا من العظمة كاشفوا العذاب اى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع عنهم القحط قليلا اى زمنا يسيرا قيل الى يوم بدر وقيل ما بقى من اعمارهم انكم عائدون اى ثابت عودكم عقب كشفنا عنكم الى الكفران لما فى جبلاتكم من العوج وطباعكم من المبادرة الى الزلل فايمانكم هذا الذى اخبرتم بوقوعه عرض زائل وخيال باطل وقوله تعالى يوم نبطش اى بما لنا من العظمة البطشة الكبرى اى يوم بدر منصوب باذكر او بدل من يوم تأتى والبطش الاخذ بقوة انا منتقمون اى منهم فى ذلك اليوم وهو قول ابن عباس واكثر العلماء وفى رواية عن ابن عباس انه يوم القيامة ولقد فتنا اى اختبرنا بما لنا من العظمة فعل الفاتن وهو المختبر الذى يريد ان يعلم حقيقة الحال بالابتلاء والتمكين ثم الارسال قبلهم اى هؤلاء العرب ليكون ما مضى من خبرهم عبرة لهم قوم فرعون اى مع فرعون لان ما كان فتنة لقومه كان فتنة له لان الكبير اسرع فى الفتنة بما احاط به من الدنيا وسيأتى التصريح به فى آخر القصة وجاءهم اى فرعون وقومه زيادة فى فتنتهم رسول كريم هو موسى عليه السلام قال الكلبى كريم على ربه يعنى انه تعالى اعطاه انواعا كثيرة من الاكرام وقال مقاتل حسن الخلق وقال الفراء يقال فلان كريم قومه قيل ما بعث نبى الا من اشراف قومه واكرمهم ثم فسر ما بلغهم من الرسالة بقوله ان ادوا الىّ ما ادعوكم اليه من الايمان اى اظهروا طاعتكم بالايمان لى يا عباد الله اى اطلقوا بنى اسرائيل ولا تعذبوهم وارسلوهم معى كقوله فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم انى لكم اى خاصة بسبب ذلك رسول اى من عند الله الذى لا تكون الرسالة الا منه امين اى بالغ الامانة لان الملك الديان لا يرسل الا من كان كذلك وقوله عليه السلام وان لا تعلوا معطوف على ان الاولى وان هذه مقطوعة فى الرسم والمعنى لا تتكبروا على الله تعالى باهانة وحيه ورسله انى آتيكم بسلطان اى برهان مبين اى بين على رسالتى فتوعدوه حين قال لهم ذلك بالرجم فقال

وتفكاذم

وتفكاذم

وَإِنِّي عُذْتُ اي امتنعت واعتصمت بِرَبِّي الذي رباني على ما اقتضاه لطفه واحسانه اليّ وَرَبِّكُمْ الذي
اعاذني من تكبركم وقوة مكنتكم أَنْ تَرْجُمُونِ اي ان يتجدد في وقت من الاوقات قتل منكم
لي فاني قلت اني اخاف ان يقتلون فقال تعالى سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون
اليكما باياتنا فانا عظيم الثقة بانكم لا تصلوا مع قوتكم وكثرتكم الى قتلي مع انه لا قوة لي بغير الله
الذي ارسلني وقال ابن عباس ان ترجمون بالقول وهو الشتم وتقولوا هو ساحر وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي
عذت بادغام الذال في التاء والباقون بالاظهار وقرأ ورش باثبات الياء بعد النون في ترجمون في الوصل
دون الوقف والباقون بغير ياء وقفا ووصلا وكذلك فاعتزلون الآتي ولما كان التقدير فان امنتم
بذلك وسلمتم لي افلحتم عطف عليه قوله تعالى وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي اي تصدقوا لاجل ما اخبرتكم به فَاعْتَزِلُونِ
اي كونوا بمعزل مني لا علي ولا لي فلا تتعرضوا الي بسوء فانه ليس جزاء دعائكم الى ما فيه فلاحكم
والفاء في قوله تعالى فَدَعَا تدل على انه متصل بمحذوف قبله وتأويله انهم كفروا ولم يؤمنوا فدعا
موسى عليه السلام رَبَّهُ الذي احسن اليه سياسته وسياسة قومه فرعون لما دعا به بقوله أَنَّ
هَٰؤُلَاءِ اي الحقيرين الاذلين الارذلين قَوْمٌ لهم عراقة في القيام فيما يحاولونه مُّجْرِمُونَ اي
موصوفون بالعراقة في قطع ما امرت به ان يوصل فان قيل الكفر اعظم حالا من الجرم فما السبب
في انه جعل الكفار مجرمين حين اراد المبالغة في ذمهم اجيب بان الكافر قد يكون
عدلا في دينه وقد يكون فاسقا في دينه والفاسق في دينه اخس الناس ثم تسبب عن دعائه
لانه ممن يستجاب دعاؤه قوله تعالى فَأَسْرِ بِعِبَادِي اي بني اسرائيل الذين ارسلناك لاسعادهم
باستنقاذهم من ظلمهم وتفريغهم لعبادتي وقوله تعالى لَيْلًا نصب على الظرفية والاسراء سير الليل
فذكر الليل تأكيد بغير اللفظ وانما امره بالسير بالليل لانه اوقع بالقبط موتا [illegible] فامر موسى
ان يخرج بقومه في ذلك الوقت خوفا من ان يمنعوهم القبط ولما علم الله تعالى انهم ان تأخروا الى ان يطلع الفجر
ويرتفع عنهم الموت يمنعوهم الخروج وان تأخروا الى آخر الليل ادركهم قبل الوصول الى البحر فقتلوهم علل هذا
الامر بقوله مؤكدا له لان حال القبط عند ما امرهم بالخروج كان حال من لا يتهيأ له
الخروج فقوله إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ اي مطلوبون بغاية الجهد من عدوكم ولا يغرنكم ما هم فيه عند
امركم بالخروج من الجزع من اقامتكم بين اظهرهم وسؤالهم لكم في الخروج عنهم بسبب وقوع
الموت الفاشي فيهم فان القلوب بيد الله تعالى فهو ينسي قلب فرعون بعيد ذلك هذه الآيات حين يرتفع
عنهم الموت ويتبعونكم من دون [illegible] فيطلبكم بما دبرته في القدم من سياستكم باغراقهم
اجمعين ليظهر مجدي بذلك [illegible] فاني اعلم انه لا قوة لكم ولا طاقة
بكم فلما كانت لكم مباشرة شيء من امرهم وقرأ نافع وابن كثير فاسر بوصل الهمزة بعد
الفاء والباقون بقطعها قال الزمخشري وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء اي فقال اسر بعبادي
وجواب شرط مقدر كانه قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي قال ابو حيان وكثيرا

ما يدعي حذف الشرط ولا يجوز ذلك الا لدليل واضح كان يتقدمه الامر وما اشبهه يقال سرى واسرى لغتان فوصلها ابن كثير ونافع واسرى يا لاسراء امره بما يفعل فيه فقال تعالى واترك البحر اى اذا سريت بهم وتبعك العدو ووصلت بعد البحر وامرناك بضرب به لينفتح لتدخلوا فيه فدخلتم وتجيئوا رهوا بعد خروجكم منه باجمعكم وفي الرهو وجهان احدهما انه الساكن اى اتركه ساكنا قال الاعشى ٭ يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ٭ ولا الصدور على الاعجاز تتكل ٭ اى مشيا ساكنا على هينة قارا على حاله بحيث يبقى المرتفع من مائه مرتفعا والمنخفض منخفضا كالجدار وطريقه الذي سرتم به يابسا اذا سير سهلا على الحالة التي دخلتم فيها لان موسى لما جاوز البحر اراد ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فامر ان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله تعالى عليهم والثاني ان الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب انه راى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين اى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند مغرقون اى متمكنون في هذا الوصف وان كان لهم وصف القوة والتجبر الذي محطه الشدة الموجبة للعلو في الامور ولما اخبر تعالى عن غرقهم اخبر عن مخلفهم بقوله تعالى كم تركوا اى كثيرا ترك الذين سبق الحكم باغراقهم فغرقوا من جنات اى بساتين هي في غاية ما يكون من طيب الارض وكثرة الاشجار وزكاء الثمار والنبات وحسنها الذي يسر الناظر ودل على كرم الارض بقوله تعالى وعيون اى ماء يخرج من الارض وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بكسر العين والباقون بضمها ثم اخبر عما انزلهم بقوله تعالى ومقام كريم اى مجلس شريف هو اهل لان يقوم الانسان فيه لانه في النهاية فيما يرضيه ونعمة وهي اسم التنعم بمعنى الترفه والعيش اللين الرغد كانوا فيها اى دائما فاكهين اى فعلوهم في عيشهم فعل المتفكه المترفه لا فعل من يضطر الى اقامة نفسه وقوله تعالى كذلك خبر لمبتدأ مضمر اى الامر كما اخبرنا به من تنعيمهم واخراجهم واغراقهم وانهم تركوا جميع ما كانوا فيه لم يغن عنهم شيء منه فلا يغتر احد بما ابتليناه من النعم لئلا نصنع به من الاهلاك ما صنعنا بهم وقوله تعالى واورثناها اى تلك الامور العظيمة عطف على تركوا قوما اى ناسا ذوي قوة في القيام على ما يحاولونه وحقق انهم غيرهم تحقيقا لاغراقهم بقوله تعالى آخرين اى ليسوا منهم في شيء وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر بل سكنوا الارض المقدسة وبها سكن القوم الآخرون بمصر ورثوا كنوزها واموالها ونعمها ومقامها الكريم وقوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم لهوانهم واذا لم تبك المساكن فما ظنك بالساكن الذي هو فيها تقول العرب اذا مات رجل خطير في تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس قال الفرزدق يرثي ٭ الشمس طالعة ليست بكاسفة ٭ تبكي عليك نجوم الليل والقمرا ٭ وقالت الخارجية ٭ ايا شجر الخابور مالك مورقا ٭ كأنك لم تجزع على ابن طريف ٭ وقال جرير لما اتى خبر الزبير ٭ لما اتى خبر الزبير تواضعت ٭ سور المدينة والجبال الخشع ٭

وذلك على سبيل التخييل والتمثيل مبالغة فى وجوب الجزع والبكاء عليه قال الزمخشرى وكذلك
ما روى عن ابن عباس من بكاء مصلى المؤمن وآثاره فى الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه فى السماء
تمثيل ونفى ذلك عنهم فى قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض تهكما بهم وبحالهم
المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض اه وقد روى انس بن مالك عن
النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم الا وله فى السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب
يدخل منه عمله فاذا مات وفقداه بكيا عليه وتلا هذه الآية وقال على رضى الله عنه ان المؤمن
اذا مات بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة
والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعنى فما بكى عليهم اهل السماء واهل الارض وقال عطاء بكاء
السماء حمرة اطرافها وقال السدى لما قتل الحسين بن على رضى الله عنهما بكت عليه السماء
وبكاؤها حمرتها وقرأ ابو عمرو عليهم فى الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائى
بضمهما والباقون بكسر الهاء وضم الميم واما الوقف فحمزة بضم الهاء والباقون بالكسر وما كانوا
منظرين اى لما جاء وقت هلاكهم لم يمهلوا الى وقت آخر لتوبة وتدارك تقصير ولما كان
انقاذ بنى اسرائيل من القبط امرا باهرا لا يكاد يصدق فضلا عن ان يكون باهلاك اعدائهم
اكد سبحانه الاخبار بذلك اشارة الى ما يحق له من العظمة تنبيها على انه قادر ان يفعل
بهذا النبى صلى الله عليه وسلم واتباعه كذلك وان كانت قريش يرون ذلك محالا وانهم
فى قبضتهم فقال تعالى ولقد نجينا اى بما لنا من العظمة تنجية عظيمة بنى اسرائيل عبادنا
المخلص لنا من العذاب المهين اى من استعباد فرعون وقتله ابناءهم وقوله تعالى من فرعون
بدل من العذاب على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه فى التعذيب او حال من المهين
واقعا من جهته انه كان عاليا اى فى جبلته العراقة فى العلو من المسرفين اى العريقين
فى مجاوزة الحدود ولقد اخترناهم اى بنى اسرائيل بما لنا من العظمة على علم اى عالمين
بانهم احقاء بان يختاروا ويجوز ان يكون المعنى مع علم منا بانهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات
فى بعض الاحوال ثم بين المفضل عليه بعد ان بين المفضل بقوله تعالى على العالمين اى الموجودين
فى زمانهم بما انزلنا عليهم من الكتب وارسلنا اليهم من الرسل وقيل على الناس جميعا
لكثرة الانبياء منهم وقيل عام دخله التخصيص ثم بين آثار الاختيار بقوله تعالى وآتيناهم
اى على ما لنا من العظمة من الآيات اى العلامات الدالة على عظمتنا واختيارنا لهم من
حين اتى موسى عبدنا عليه السلام فرعون الى ان فارقهم بالوفاة وبعد وفاته على ايدى
الانبياء المقررين للشريعة عليهم السلام ما فيه بلؤا اى اختبار مثله يميل من ينظره
او يسمعه الى غير ما كان عليه وذلك بفرق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك
مما اوردناه من الآيات التسع مبين اى بين فى نفسه موضح لغيره ان هؤلاء اشارة الى

كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم فى الاصرار
على الضلالة والانذار على مثل ما حل بهم ليقولون اى بعد قيام الحجة البالغة عليهم مبالغين
فى الانكار ان اى ما هى وقولهم الا موتتنا على حذف مضاف اى ما حياتنا الا حياة موتتنا
الاولى التى كانت قبل نفخ الروح كما سيأتى ان شاء الله تعالى فى الجاثية ان هى الا حياتنا الدنيا
وقال الجلال المحلى ان هى ما الموتة التى بعدها الحيوة الا موتتنا الاولى اى وهم نطف وقرأ حمزة والكسائى
بالامالة محضة وابو عمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وما نحن بمنشرين
اى بمبعوثين بحيث نصير ذوى حركة اختيارية ننتشر بها بعد الموت يقال نشره وانشره احياه ثم
احتجوا على نفى الحشر والنشر بقولهم فأتوا اى ايها الزاعمون انا نبعث بعد الموت بآبائنا اى لكوننا نعرفهم
ونعرف وفور عقولهم ان كنتم صادقين اى ثابتا صدقكم فى انا نبعث يوم القيامة
احياء بعد الموت ثم خوفهم الله تعالى بمثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى أهم خير اى
فى الدين والدنيا ام قوم تبع اى ليسوا خيرا منهم فهو استفهام على سبيل الانكار قال ابو عبيدة ملوك اليمن
كل واحد منهم يسمى تبعا لان اهل الدنيا كانوا يتبعونه وموضع تبع فى الجاهلية موضع الخليفة
فى الاسلام وهم الاعاظم من ملوك العرب وقال قتادة هو تبع الحميرى وكان من ملوك اليمن سمى بذلك
لكثرة اتباعه وكان هذا بعيد الدار فاسلم ودعا قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه ولذلك
ذم الله تعالى قومه ولم يذمه وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم
وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادرى اكان تبع نبيا او غير نبى وعن عائشة رضى الله عنها قالت لا تسبوا
تبعا فانه كان رجلا صالحا وذكر عكرمة عن ابن عباس انه كان تبع الآخر وهو ابو كرب اسعد بن
مليك وكان سار بالجيوش نحو المشرق وحير الحيرة وبنى قصور سمرقند وملك بقومه الارض طولها والعرض
وكان اقرب الملوك الى قريش زمانا ومكانا وكان له بمكة المشرفة ما ليس لغيره من
الآثار قال الرازى فى اللوامع هو اول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة واقام به
ستة ايام وطاف به وحلق قال البغوى بعد ان ذكر قصته مع الانصار لما قتل ابنه غيلة فى المدينة
الشريفة وما وعظه به اليهود فى الكف عن خراب المدينة لانها مهاجر نبى من قريش انه صدقهم واتبع
دينهم وذلك قبل البعثة عن الرياشى امن تبع بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة
عام فان قيل ما معنى قوله تعالى اهم خير ام قوم تبع مع انه لا خير فى الفريقين اجيب بان معناه
اهم خير فى القوة والشوكة كقوله تعالى أكفاركم خير من اولئكم بعد ذكر آل فرعون ويجوز فى قوله تعالى
والذين من قبلهم اى مشاهير الامم مكذبين واصحاب الايكة والرس وثمود وعاد ثلاثة اوجه احدها ان
يكون معطوفا على قوم تبع ثانيها ان يكون مبتدأ وخبره اهلكناهم اى بعظمتنا وان كانوا اصحاب
مكنة وقوة واما على الاول فاهلكناهم اما مستأنف واما حال من الضمير المستكن فى الصلة
ثالثها ان يكون منصوبا بفعل مقدر يفسره اهلكناهم ولا محل لاهلكناهم حينئذ انهم

كانوا اى جبلة وطبعا مجرمين اى عريقين فى الاجرام فليحذر هؤلاء ان ارتكبوا مثل افعالهم من مثل
حالهم ولما انكر تعالى على كفار مكة قولهم ووصفهم بانهم اضعف ممن كان قبلهم ذكر
الدليل القاطع على صحة القول بالبعث والقيامة فقال تعالى وما خلقنا السموات اى على عظمها واتساع
كل واحدة منها واحتوائها لما تحتها وجمعها لان العمل كلما زاد كان ابعد عن العبث ولما
كان الدليل على تطابق الارض دليلا دقيقا وحدها بقوله تعالى والارض اى على ما فيها من المنافع
وما بينهما اى النوعين وبين كل واحدة منها وما يليها لاعبين اى على ما لنا من العظمة التى
يدرك من له ادنى عقل تعاليها عن اللعب لانه لا يفعله الا ناقص ولو تركنا الناس يبغى بعضهم
على بعض كما تشاهدون ثم لا ناخذ لضعيفهم بحقه من قويهم لكان خلقنا لهم لعبا بل اللعب
اخف منه ولم نكن على ذلك التقدير مستحقين للصفة القدسية وقد تقدم تقرير هذا الدليل
فى اول سورة يونس وفى اخر سورة المؤمنين عند قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وفى
ص عند قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ما خلقناهما اى السموات والارض وما بينهما
وقوله تعالى الا بالحق حال اما من الفاعل وهو الظاهر واما من المفعول اى الا محقين فى ذلك يستدل به
على وحدانيتنا وقدرتنا وغير ذلك او متلبسين بالحق ولكن اكثرهم اى هؤلاء الذين انت بين
اظهرهم وهم يقولون ان هى الا موتتنا الاولى وكذا من نحا نحوهم لا يعلمون اى انا خلقنا الخلق ل
اقامة الحق عليهم فهم لاجل ذلك يجترئون على المعاصى ويفسدون فى الارض لا يرجون ثوابا ولا يخافون
عقابا ولو تذكروا ما ذكرناه فى جبلاتهم لعلموا علما ظاهرا انه الحق الذى لا معدل عنه كما يتولى حكامهم
المناصب لاجل اظهار الحكم بين رعاياهم ويشترطون الحكم بالحق ويؤكدون على انفسهم انهم لا يتجاوزونه
ولما ذكر الدليل على اثبات البعث والقيامة ذكر عقبه يوم الفصل فقال تعالى ان يوم الفصل اى يوم القيامة
يفصل الله تعالى فيه بين العباد قال الحسن سمى بذلك لان الله تعالى يفصل فيه بين اهل الجنة والنار وقيل
يفصل فيه بين المؤمن وما يكرهه وبين الكافر وما يريده ميقاتهم اى وقت موعدهم الذى
ضرب لهم فى الازل وانزلت فيه الكتب على السنة الرسل اجمعين لا يتخلف عنه احد ممن مات
من الجن والانس والملائكة وجميع الحيوانات وقوله تعالى يوم لا يغنى اى بوجه من الوجوه
بدل من يوم الفصل او منصوب باضمار اعنى او صفة لميقاتهم ولا يجوز ان ينتصب بالفصل نفسه
لما يلزم من الفصل بينهما باجنبى وهو ميقاتهم مولى اى من قرابة او غيرها عن مولى بقرابة
او غيرها اى لا يدفع عنه شيئا من الاشياء كثيرا وقليلا ولا هم اى القسمان ينصرون اى ليس
لهم ناصر يمنعهم من عذاب الله تعالى. تنبيه: المولى اما فى الدين او فى النسب او العتق وكل
هؤلاء لا يسمون بالمولى فلما لم تحصل النصرة منهم فان لا تحصل ممن سواهم اولى ونظير هذه
الآية قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا الى قوله تعالى ولا هم ينصرون وقال الواحدى
المراد بقوله تعالى مولى عن مولى الكفار لانه ذكر بعده المؤمن فقال تعالى الا من رحم الله اى

اراد اكرامه الملك الاعظم وهم المؤمنون يشفع بعضهم لبعض باذن الله تعالى في الشفاعة
لاحد هم فيكرم الشافع فيه وقال ابن عباس يريد المؤمن فانه يشفع له الانبياء والملائكة
تنبيه يجوز في الا من رحم الله اوجه احدها وهو قول الكسائي انه منقطع ثانيها انه
متصل تقديره لا يغني قريب عن قريب الا المؤمنين فانهم يؤذن لهم في الشفاعة ويشفعون
في بعضهم كما مر ثالثها ان يكون مرفوعا على البدلية من مولى الاول ويكون يغني بمعنى ينفع
قاله الحوفي رابعها انه مرفوع المحل ايضا على البدل من واو ينصرون اى لا يمنع من العذاب الا من
رحمه الله انه اى وحده هو العزيز اى المنيع الذى لا يقدح في عزته عفو ولا عقاب بل ذلك دليل على
عزته فانه يفعل ما يشاء فيمن يشاء من غير مبالاة باحد الرحيم اى الذى لا يمنع عزته ان يكرم
من شاء ولما وصف تعالى اليوم ذكر بعده وعيد الكفار فقال سبحانه ان شجرت الزقوم
هي من اخبث الشجر المر بتهامة ينبتها الله تعالى في الجحيم وقدم الكلام عليها في الصافات ورسمت
بالتاء المجرورة ووقف عليها بالهاء ابو عمرو وابن كثير والكسائي ووقف الباقون بالتاء على الرسم
طعام الاثيم اى المبالغ في اكتساب الاثام حتى صارت به الى الكفر قال اكثر المفسرين هو ابو جهل
كالمهل اى وهو ما يمهل في النار حتى يذوب من ذهب او فضة وكل ما في معناهما من المنطبعات
سواء كان من صفر او حديد او رصاص وقيل هو عكر القطران وقيل عكر الزيت وقرأ يغلي في البطون
اى من شدة الحرارة ابن كثير وحفص بالياء التحتية على ان الفاعل ضمير يعود على طعام وجوز ابو البقاء ان
يعود على الزقوم وقيل يعود على المهل نفسه والباقون بالتاء الفوقية على ان الفاعل ضمير الشجرة كغلي
او مثل غلي الحميم اى الماء الذى تناهى حره بما يوقد تحته وعن ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف
بمن تكون طعامه ويقال للزبانية خذوه اى هذا الاثيم اخذ قهر فلا تدعوه يملك من امره شيئا
فاعتلوه اى جروه بقوة بغلظة وعنف وسرعة الى العذاب والاهانة بحيث يكون كأنه
عتل قال البقاعي وقراءة الضم ادل على تناهى الغلظة والشدة من قراءة الكسر الى سواء اى
وسط الجحيم اى النار التي هي غاية في الاضطرام والتوقد فهو موضع خروج الشجرة التي هي
طعامه ثم صبوا فوق راسه اى ليكون المصبوب محيطا بجميع جسده من عذاب الحميم اى من
الحميم الذى لا يفارقه العذاب فهو ابلغ مما في اية يصب من فوق رؤسهم الحميم ويقال له
توبيخا وتقريعا ذق اى العذاب انك واكد بقوله انت اى وحدك دون هؤلاء
الذين تفتخر بهم تعاظما انك العزيز الكريم بزعمك وقولك ما بين جبليها اعز واكرم مني وقرأ
الكسائي بفتح الهمزة بعد القاف على معنى العلة اى لانك وقيل تقديره ذق عذاب الجحيم انك
انت العزيز والباقون بالكسر على الاستئناف المفيد للعلة فتتحد القراءتان معنى وهذا
الكلام الذى على سبيل التهكم اغيظ المستهزأ به ومثله قول جرير للشاعر سمى نفسه زهرة اليمن

إليه يكنى فى رسوم قد سمت بها من كان من عشقه يا زهرة اليمن ، وكان هذا الشاعر
قد قال ابلغ كليبا وابلغ عنك شاعرها ، انى الاعز وانى زهرة اليمن ،
ويقال لهم إنّ هذا اى الذى ترون من العذاب ما كنتم به اى جبلة وطبعا تمترون ٥
اى تعالجون انفسكم وتحملونها على الشك فيه وتردونها عما لها من الفطرة الاولى من التصديق
بالممكن لا سيما من جرب صدقه وظهرت خوارق العادات على يده بحيث كنتم لشدة ردكم له
كانكم تخصونه بالشك ، ولما ذكر سبحانه وتعالى وعيد الكفار اردفه بآيات الوعد فقال إنّ
المتقين اى العريقين فى هذا الوصف فى مقام اى موضع اقامة لا يريد الحال فيه تحولا عنه
امين ٥ اى يأمن صاحبه فيه من كل ما لا يعجبه وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم اى فى مجلس
والباقون بفتحها على المصدر اى فى اقامة وقوله تعالى فى جنات اى بساتين تقصر العقول
عن ادراك كل وصفها بدل من قوله تعالى فى مقام امين او خبر ثان وقرأ وعيون ٥
ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائى بكسر العين والباقون بضمها ، ولما
كان لا يتم العيش الا بكسوة البدن اشار الى ذلك بقوله تعالى يلبسون ودل على الكثرة
جدا بقوله تعالى من سندس وهو ما رق من الحرير يعمل نحو ما واستبرق هو ما غلظ
منه يعمل بطائن وسمى بذلك لشدة بريقه وقوله تعالى متقابلين ٥ اى فى مجالسهم ليستأنس
بعضهم ببعض حال وقوله يلبسون حال من الضمير المستكن فى الجار او خبر ثان فيتعلق الجار به
او مستأنف ، فان قيل الجلوس على هذه الهيئة موحش لان كل واحد منهم يصير مطلعا على
ما يفعل الآخر وايضا فقليل الثواب اذا اطلع على كثير الثواب يتنغص عليه ، اجيب بان احوال الآخرة
ليست كاحوال الدنيا وقد قال تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل ، وقوله تعالى كذلك
فيه وجهان احدهما النصب نعتا لمصدر اى نفعل بالمتقين فعلا كذلك اى مثل
ذلك الفعل ثانيهما الرفع على خبر مبتدأ مضمر اى الامر كذلك ، ولما كان ذلك لا يتم السرور
الا بالازواج قال تعالى وزوجناهم اى قرناهم كما تقرن الازواج وليس المراد به العقد
لان فائدة العقد الحل والجنة ليست بدار تكليف من تحليل او تحريم بحور اى جوار بيض
حسان نقيات الثياب عين ٥ اى واسعات الاعين قال البيضاوى واختلف فى انهن نساء الدنيا
او غيرهن ، ولما كان الشخص فى الدنيا يخشى تلك النفقات وصف ما هنالك من سعة الخيرات
فقال تعالى يدعون اى يطلبون طلبا هو غاية المسرة فيها اى الجنة اى يؤتون بكل
فاكهة اى لا يمتنع عليهم صنف من الاصناف لبعد مكان ولا فقدان ولا غير ذلك من الشأن وفى
ذلك ايذان بانه مع سعته ليس فيه شئ لاقامة البنية وانما هو للتفكه والتلذذ حال كونهم مع ذلك
آمنين ٥ فى غاية الامن من كل مخوف لا يذوقون فيها اى الجنة الموت لانها دار خلود
لا دار فناء وقوله تعالى الا الموتة الاولى فيه اوجه احدها انه استثناء منقطع اى لكن

الموتة الاولى قد ذاقوها ثانيها انه متصل وتأوله بان المؤمن عند موته في الدنيا يصير بلطف
الله كانه في الجنة لاتصاله باسبابها ومشاهدته اياها وما يعطاه من نعيمها فكأنه مات فيها ثالثها ان
الا بمعنى سوى اي سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا كما في قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء
الا ما قد سلف اي سوى ما قد سلف رابعها ان الا بمعنى بعد اي لا يذوقون فيها الموت بعد الموتة الاولى
في الدنيا واختاره الطبري لكن نوزع بان الا بمعنى بعد لم يثبت وقد يجاب بان من حفظ حجة على
من لم يحفظ خامسها قال الزمخشري اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة
الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه
قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها سادسها المراد بالمتقين
اعم من الراسخين وغيرهم وان ضمير فيها يرجع للآخرة فالعاصي اذا اراد الله تعالى تعذيبه بالنار يذيقه
فيها موتة اخرى كما جاء في الاحاديث الصحيحة فيكون على المجموع سابعها ان الموتة الاولى في الجنة المجازية
فلا يكون ذلك بالمحال وذلك ان المتقي لم يزل فيها في الدنيا قال بعض العلماء الدنيا اذا تحققت في حق المؤمن
التقي فانها جنة صغرى لتقلبه سبحانه اياه فيها وقربه منه ونظره اليه وذكره له وعبادته اياه وشغله به
وهو معه اينما كان + فان قيل ان اهل النار لا يذوقون الموت ابدا فلم بشر اهل الجنة بهذا مع ان اهل النار
يشاركونهم فيه + اجيب + بان البشارة ما وقعت بدوام الحياة فقط بل مع حصول تلك الخيرات
والسعادات فافترقا ووقاهم اي المتقين عذاب الجحيم اي التي تقدم انها لكل كفار اثيم واما غير المتقين
من العصاة فيدخل الله تعالى من اراد منهم النار فيعذب كلا منهم على قدر ذنبه ثم يميتهم فيها ويستمرون
الى ان يأذن الله تعالى في الشفاعة فيهم فيخرجهم ثم يحييهم بما يرش عليهم من ماء الحياة ثم يدخلهم الله
تعالى الجنة روي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل ناس في النار حتى اذا صاروا فحما ادخلوا
الجنة فيقول اهل الجنة من هؤلاء فيقال هؤلاء الجهنميون وروي انه صلى الله عليه وسلم قال يعذب ناس
من اهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمما ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على ابواب الجنة فيرش
عليهم اهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل ثم يدخلون الجنة وقوله تعالى
فضلا مفعول لاجله اي فعل ذلك بهم لاجل الفضل وجعله ابو البقاء منصوبا بمقدر اي تفضلنا
بذلك فضلا اي تفضلا + تنبيه + احتج اهل السنة بهذه الآية على ان الثواب يحصل من الله تعالى
فضلا واحسانا وان كل ما وصل اليه العبد من الخلاص من النار والفوز بالجنة فانما يحصل بفضل
الله تعالى من ربك اي المحسن اليك بكمال احسانه الى اتباعك احسانا يليق بك

قال الرازي في اللوامع اصل الايمان رؤية الفضل في جميع الاحوال + ولما عظمه الله تعالى
باظهار هذه الصفة مضافة اليه صلى الله عليه وسلم زاد تعظيمه بالاشارة باداة البعد فقال تعالى
ذلك اي الفضل العظيم الواسع هو اي خاصة الفوز اي الظفر بجميع المطالب العظيم ٥
لانه خلاص عن المكاره ولم يدع جهة من الشرف الا ملأها وهذا يدل على ان

المفضل اعلى من درجات الثواب المستحق لانه تعالى وصفه بكونه فوزا عظيما وايضا فان الملك العظيم
اذا اعطى الاجير اجرته ثم خلع على انسان آخر فان تلك الخلعة اعلى من اعطاء تلك الاجرة ولما بين تعالى
الدليل وشرح الوعد والوعيد قال تعالى فانما يسرناه اى سهلنا القرآن سهولة كبيرة بلسانك اى
هذا العربي المبين وهم عرب ستيتهم الفصاحة لعلهم يتذكرون اى يفهمونه فيتعظون به
وان لم يتعظوا به ولم يؤمنوا به فارتقب اى فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون اى منتظرون ما يحل بك
فنفعل الامر تقابل مجذ وفان اى فارتقب النصر من ربك انهم مرتقبون بك ما يتمنونه من الدوائر والغلبة
ولن يضرك ذلك وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حم الدخان
ليلة جمعة اصبح مغفورا له رواه الترمذى وزاد الزمخشرى من قرأ حم الدخان فى ليلة اصبح يستغفر
له سبعون الف ملك ورواه البغوى عن ابى هريرة قال ابن عادل قال ابو امامة رضى الله تعالى عنه سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة او يوم الجمعة بنى الله له بيتا فى الجنة والله تعالى اعلم بالصواب

سورة الجاثية مكية

الا قل للذين آمنوا يغفروا الاية وهى سبع وثلاثون آية واربعمائة وثمان وثمانون كلمة والفان ومائة واحد وتسعون
بسم الله الذى تفرد بتمام العز والكبرياء الرحمن الذى احكم رحمته بالبيان العام للسعداء والاشقياء
الرحيم الذى خص بملابسة طاعته الاولياء وتقدم الكلام على قوله تعالى حم
ثم ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بقوله تعالى تنزيل الكتاب اى الجامع لكل خير لم يكن
بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب وقوله تعالى من الله اى المحيط بصفات
الكمال صلة التنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف
خبرا العزيز فى ملكه الحكيم فى صنعه ولما كانت الحواميم كما روى ابو عبيدة فى كتاب
الفضائل عن ابن عباس لباب القرآن حذف ما ذكر فى البقرة من قوله تعالى خلق ليكون
ما هنا اشمل فقال تعالى ان فى السموات اى ذواتها بما لها من الدلالة على صانعها وخلقها
علوها فيها من العبر بما فيها من المنافع وعظيم الصنعة وما لها من الشفوف الدال على تعدد
بما فيها من الكواكب والارض كذلك وبما حوت من المعادن والمعاش لآيات اى
دلالات على وجود الاله القادر المختار فان من المعلوم انه لا بد لكل ذلك
من صانع متصف بذلك وقال تعالى للمؤمنين لانهم برسوخهم فى هذا الوصف الشريف
اهل النظر لان ربهم يهديهم بايمانهم فشواهد الربوبية لهم منها لائحة وادلة الالهية
فيهما واضحة ولما ذكر سبحانه وتعالى النظر فى آيات الآفاق اتبعها آيات الانفس بقوله تعالى
وفى خلقكم اى خلق كل منكم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة الى ان صار انسانا
المخالف لخلق الارض التى انتم منها بالاختيار والعقل والانتشار والقدرة على السار والضار
وما اى وفى خلق ما يبث اى ينشر ويفرق بالحركة الاختيارية على سبيل

التجدد والاستمرار دبيبة ذاتية مما لا تعلمون بما في ذلك من مشاركتكم بالاختيار والهداية
للمنافع بإدراك الجزئيات ومخالفتكم في الصورة والعقل وإدراك الكليات وغير ذلك
من مخالفة الأشكال والطبائع والمنافع وغير ذلك آيات دالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته وقرأ
حمزة والكسائي آيات بكسر التاء حملا على اسم إن والباقون بالرفع حملا على محل إن واسمها ولما كانت
الآيات لا تنفع إلا ذوي الإدراك على القدرة والاختيار ربما لها من التجدد والاختلاف قال تعالى لقوم
أي فيهم أهلية القيام بما يحاولونه يوقنون أي يتجدد لهم العروج في درجات الإيمان
إلى أن يصلوا إلى شرف الإيقان فلا يخالجهم شك في وحدانيته واختلاف الليل والنهار بذهاب
أحدهما ومجيء الآخر بعد ذهابه على التعاقب متكررة الدالة على القدرة على الإيجاد بعد
الإعدام بالبعث وغيره وما أنزل الله أي الذي تمت عظمته فنفذت كلمته من السماء من رزق
أي مطر وغيره من الأسباب المهيئة لإخراج الرزق فأحيا به أي بسببه الأرض أي الصالحة للحياة
ولذلك قال تعالى بعد موتها أي يبسها وتهشيم ما كان فيها من النبات وتصريف أي تحويل الرياح
باختلاف جهاتها وأحوالها وقرأ حمزة والكسائي بالتوحيد والباقون بالجمع وقوله تعالى آيات فيه
القراءتان المتقدمتان أما الرفع فظاهر وأما الكسر ففيه وجهان أحدهما أنها معطوفة
على اسم إن والخبر قوله وفي خلقكم كأنه قيل وإن في خلقكم وما يبث من دابة آيات والثاني أن
تكون كررت تأكيدا لآيات الأولى ويكون في خلقكم معطوفا على في السموات كرر معه حرف
الجر توكيدا ونظيره أن تقول إن في بيتك زيدا وفي السوق زيدا فزيد الثاني تأكيد للأول كأنك
قلت إن زيدا زيدا في بيتك وفي السوق وليس في هذه عطف على معمولي عاملين البتة. ولما
كانت هذه الآية أوضح دلالة من غيرها على البعث قال تعالى فيها لقوم يعقلون الدليل فيؤمنون
وأبدى بعض المفسرين معنى لطيفا فقال إن المنصفين إذا نظروا في السموات والأرض وأنه لا بد لهما من
صانع آمنوا وإذا نظروا في خلق أنفسهم ونحوها ازدادوا إيمانا فأيقنوا فإذا نظروا في سائر الحوادث عقلوا
واستحكم علمهم. ولما ذكر هذه الآيات العظيمات قال تعالى مشيرا إلى علو رتبتها بأداة البعد تلك
أي الآيات المذكورة آيات الله أي حجج المحيط بصفات الكمال التي لا شيء أجل منها الدالة على وحدانيته
نتلوها أي نقصها عليك سواء كانت مرئية أو مسموعة ملتبسة بالحق أي الأمر الثابت
الذي لا يستطاع تحويله ليس بسحر ولا كذب فبأي حديث أي خبر عظيم صادق يتجدد علمه بسببه
يستحق أن يحدث به واستغرق كل حديث فقال تعالى بعد الله أي حديث الملك الأعظم وهو القرآن وآياته أي حججه يؤمنون
أي كفار مكة أي لا يؤمنون وقرأ ابن عامر وشعبة والكسائي بتاء الخطاب أو التفات الخطاب صرفه إلى خطاب النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله تعالى نتلوها عليك بالحق والباقون بياء الغيبة ردا على قوله وفي خلقكم
وهو أقوى تبكيتا. ولما بين الآيات للكفار وبين أنهم إذا لم يؤمنوا بها بعد ظهورها فبأي
حديث بعدها يؤمنون أتبعه بوعيد عظيم لهم فقال تعالى ويل لكل

أفّاكٍ أي مبالغ في صرف الحق عن وجهه أثيمٍ أي مبالغ في اكتساب الإثم وهو إن يبقى مصراً
على الإنكار والاستكبار قال المفسرون يعني النضر بن الحرث والآية عامة فيمن كان موصوفاً
بهذه الصفة وفسر هذا بقوله تعالى يسمع آيات الله أي دلالات الملك الأعظم الظاهرة حال
كونها تتلى عليه بجميع ما فيها وهي القرآن من سهولة فهمها وعذوبة ألفاظها وظهور معانيها
وجلالة مقاصدها مع الإعجاز وهي القرآن العظيم فكيف إذا كان التالي أشرف الخلق وقرأ حمزة
والكسائي بإمالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح ثم يصرّ أي يدوم دواماً
عظيماً على قبح ما هو فيه حال كونه مستكبراً أي طالباً للكبر عن الإذعان وموجداً له
كأن أي كأنه لم يسمعها أي حاله عند السماع وقبله وبعده على حد سواء فبشره
أي على هذا الفعل الخبيث بعذاب أليم أي مؤلم والبشارة على الأصل أو التهكم وقرأ ابن كثير
وحفص اليم بالرفع والباقون بالجر وإذا علم أي بلغه من آياتنا أي القرآن شيئاً وعلم أنه من
آياتنا اتخذها هزواً أي مهزوءاً بها. تنبيه: في الضمير المؤنث وجهان أحدهما أنه عائد
على آياتنا يعني القرآن والثاني أنه يعود على شيئاً وإن كان مذكراً لأنه بمعنى الآية كقول أبي العتاهية
نفسي بشيء من الدنيا معلقة ... الله والقائم المهدي يكفيها لأنه أراد بشيء جارية يقال لها
عتبة والمعنى اتخذ ذلك الشيء هزواً إلا أنه تعالى قال اتخذها للإشعار بأن هذا الرجل إذا أحس بشيء
من الكلام أنه من جملة الآيات المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع
الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بذلك الواحد وقوله تعالى أولئك لهم عذاب مهين الى
ذواتها نه إشارة إلى معنى كل أفاك أثيم ليدخل فيه جميع الأفاكين فحمل أولاً على لفظها فأفرد
ثم على معناها فجمع كقوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون ثم وصف تعالى كيفية ذلك العذاب
فقال من ورائهم أي أمامهم لأنهم في الدنيا جهنم قال الزمخشري والوراء اسم للجهة التي
يواريها الشخص من خلف أو قدام قال امرؤ القيس ومن ورائي إن تراخت منيتي أدب مع الولدان أزحف كالنسر
ومنه قوله تعالى من ورائهم أي من قدامهم أخبر تعالى أن ما ملكوه في الدنيا لا ينفعهم بقوله
تعالى ولا يغني أي ولا يدفع عنهم ما كسبوا من الأموال في رحلهم ومتاجرهم والأولاد شيئاً
من الإغناء وقوله تعالى ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء أي من الأوثان عطف على ما كسبوا
وما فيهما إما مصدرية أو بمعنى الذي أي لا يغني عنهم كسبهم ولا اتخاذهم أو الذي كسبوه ولا الذي
اتخذوه ولهم عذاب عظيم أي لا يدرك حقيقة من جهاتهم ولا زماناً من أزمانهم ولا عضواً من
أعضائهم لا ملاله. فإن قيل قال تعالى في الأول مهين وفي الثاني عظيم فما الفرق بينهما أجيب
بأن كون العذاب مهيناً يدل على حصول العذاب مع الإهانة وكونه عظيماً يدل على كونه
بالغاً إلى أقصى الغايات في الضرر وقوله تعالى هذا هدى إشارة إلى القرآن ويدل
عليه قوله تعالى والذين كفروا بآيات ربهم هي القرآن أي هذا القرآن كامل في الهداية

كما تقول زيد رجل اي كامل في الرجولية وانما رجل لهم عذاب كائن من رجز اي شديد العذاب
اليم اي بليغ الايلام ولما ذكر تعالى ذكر الربوبية ذكر بعض آثارها وما فيها من آياته
فقال مستانفا دالا على عظمتها بالاسم الاعظم الله اي الملك الاعلى المحيط بجميع صفات الكمال
الذي سخر اي وحده من غير حول منكم ولا قوة في ذلك بوجه من الوجوه لكم البحر ايها الناس
بركته وفاجركم بما جعل فيه مما لا يقدر عليه الا واحد لا شريك له فاعل بالاختيار من القابلية
للسير فيه من الرقة واللبونة لتجري الفلك اي السفن فيه بامره اي باذنه ولو كانت موقرة باثقال
الحديد الذي يغوص فيه اخف شيء منه كالابرة وما دونها وفي ذلك دلالة ظاهرة على وحدانيته
لان جريان الفلك على وجه الماء لا يحصل الا بثلاثة اشياء احدها الرياح التي توافق المراد وثانيها
خلق وجه الماء على الملاسة التي تجري عليها الفلك وثالثها خلق الخشبة على وجه تبقى
طافية على وجه الماء ولا تغرق فيه وهذه الاحوال لا يقدر عليها احد من البشر ولتبتغوا اي تطلبوا
لشهوة نفس واجتهاد بما تحملون فيه من البضائع وتتوصلون اليه من الاماكن والمقاصد بالصيد والغوص
على اللؤلؤ والمرجان وغير ذلك من فضله لم يصنع شيئا منه سواه ولعلكم تشكرون قدرة نعمه
على ذلك وسخر لكم ما في السموات من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك بحيث لا يمكنكم الوصول اليه بوجه
وما في الارض من دابة وشجر ونبات وانهار وغير ذلك ولو شاء لجعله كما في السماء لا وصول لكم اليه وقوله تعالى
جميعا توكيد لما دل عليه معنى ما من العموم وقيل حال من ما في السموات وما في الارض وقوله تعالى
منه حال اي سخرها كائنة منه تعالى لا صنع لاحد غيره في شيء من ذلك قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه
وقال الزجاج كل ذلك تفضل منه واحسان وقال بعض العارفين سخر لك الكل لئلا يسخرك لشيء منها فتكون
مسخرا لمن سخر لك الكل وهو الله تعالى فانه يقبح بالمخدوم ان يخدم خادمه ان في ذلك اي الامر العظيم من
تسخيره لنا كل شيء في الكون لآيات اي دلالات واضحات على انهم في الالتفات الى غيره في ضلال مبين
بعد تسخيره لنا ما لنا من الاعضاء والقوى على هذا الوجه البديع معرضين من هذا المسخر لنا ما هو في اي صنا
لقوم اي ناس فيهم اهلية القيام بما يجعل اليهم يتفكرون فيعلمون انه المتوحد باستحقاق الالهية
فلا يشركون به شيئا واختلف في سبب نزول قوله تعالى قل اي يا افضل الخلق للذين آمنوا اذ عوا
التصديق بكل ما جاءهم عن الله تعالى يغفروا اي يستروا سترا بالغا للذين لا يرجون ايام الله
اي مثل وقائع الملك الاعظم المحيط بصفة الكمال فقال ابن عباس نزلت في عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وذلك انهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فارسل
عبد الله بن ابي غلامه ليستقي الماء فابطأ عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على
طرف البئر فما ترك احدا يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر رضي
الله عنه فقال عبد الله ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ ذلك عمر فاشتمل
سيفه يريد التوجه اليه فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مقاتل ان رجلا من بني غفار شتم عمر

بمكة فهمّ عمر أن يبطش به فنزلت بالعفو والتجاوز. وروى ميمون بن مهران أن فنحاص اليهودي
لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً قال احتاج رب محمد فسمع ذلك عمر
فاشتمل على سيفه وخرج في طلبه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إليه فرده. وقال القرطبي
والسدي نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا في أذى
كثير من المشركين قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
ثم نسختها آية القتال. قال الرازي وإنما قالوا بالنسخ لأنه يدخل تحت الغفران أن لا يقتلوا ولا يقاتلوا
فلما أمر الله تعالى بالمقاتلة كان نسخاً والأقرب أن يقال إنه محمول على ترك المنازعة وعلى التجاوز فيما يصدر
عنهم من الكلمات المؤذية. وقال ابن عباس لا يرجون أيام الله أي ثوابه ولا يخافون عقابه
ولا يخشون مثل عذاب الأمم الماضية وتقدم تفسير أيام الله عند قوله تعالى وذكرهم بأيام الله
وقوله تعالى ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ علة للأمر والقوم هم المؤمنون أو الكافرون أو كلاهما
فيكون التنكير للتعظيم أو التحقير أو التنويع والكسب المغفرة أو الإساءة أو ما يعمهما. وقرأ
ابن عامر وحمزة والكسائي بالنون لنجزي نحن بما لنا من العظمة والباقون بالياء التحتية أي ليجزي الله
سبحانه وتعالى. ولما رغب سبحانه وتعالى ورهب وقرر أنه لا بد من الجزاء زاد في الترغيب والترهيب
بأن النفع والضر لا يعدوهم فقال تعالى شارحاً للجزاء ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ قل أو جل ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ أي خاصة
عمله يرى جزاءه في الدنيا والآخرة وهو مثل ضربه الله تعالى للذين يغفرون ﴿وَمَنْ أَسَاءَ﴾ كذلك
﴿فَعَلَيْهَا﴾ خاصة إساءته كذلك وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار الذين كانوا يؤذون الرسول والمؤمنين
وذلك في غاية الظهور لأنه لا يسوغ في عقل عاقل أن مالكاً يدع عبيده من غير جزاء ولا سيما إذا
كان حكيماً وإن كانت نقائص النفوس غطت على كثير من العقول ذلك ﴿ثُمَّ﴾ أي بعد الابتلاء
بالإملاء في الدنيا والحبس في البرزخ ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي المالك المحسن لكم لا إلى غيره ﴿تُرْجَعُونَ﴾ أي
تصيرون فيجازي المصلح والمسيء ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ أي على ما لنا من العظمة ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾
أي الجامع للخيرات وهو يعم التوراة والإنجيل والزبور وغيرها مما أنزل على أنبيائهم عليهم السلام ﴿وَالْحُكْمَ﴾
أي العلم والعمل الثابتين ثبات الأحكام بحيث لا يتطرق إليهما فساد بما للعلم من الزينة بالعمل والعمل
من الإتقان بالعلم ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ التي تدرك بها الخيرات العظيمة التي لا يمكن إبلاغ الخلق إليها بنوع
اكتساب منهم فأكثرنا فيهم من الأنبياء عليهم السلام ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ﴾ بما لنا من العظمة لإقامة أبدانهم ﴿مِنَ
الطَّيِّبَاتِ﴾ أي الحلالات من المن والسلوى وغيرهما ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ﴾ أي بما لنا من العزة ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾
قال أكثر المفسرين على عالمي زمانهم وقال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين أكرم على الله ولا أحب إليه منهم
أي لما آتاهم من الآيات المرئية والمسموعة وكثرة من منهم من الأنبياء مما لم يتفق لغيرهم ممن سبق وكل
ذلك فضيلة ظاهرة ﴿وَآتَيْنَاهُمْ﴾ مع ذلك ﴿بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ أي الموحى به إلى أنبيائهم من الأدلة القطعية
والأحكام والمواعظ المؤيدة بالمعجزات ومن صفات الأنبياء الآتين بعدهم وغير ذلك مما هو

في غاية الوضوح لمن قضينا بسعادته وذلك امر يقتضي الالفة والاجتماع وقد كانوا متفقين وهم
في زمن الضلال لا يختلفون الا اختلافا يسيرا لا يضر مثله ولا يعد اختلافا فلما جاءهم العلم اختلفوا
كما قال تعالى فما اختلفوا اي اوقعوا الاختلاف والافتراق بغاية جهدهم الا من بعد ما جاءهم العلم
اي الذي من شانه الجمع على المعلوم فكان ما هو سبب الاجتماع سببا لهم في الافتراق بغيا اي للمجاوزة
في الحد والتي اقتضاها لهم طلب الرياسة والحسد وغيرهما من نقائص النفوس بينهم اي واقعا فيهم
لم يعدهم الى غيرهم وقد كانوا قبل ذلك وهم تحت ايدي القبط في غاية الاتفاق واجتماع الكلمة
على الرضا بالذل ولذلك استانف قوله تعالى الذي اقتضاه الحال على ما يشاهد من العباد من افعال الملوك
فيمن خالف امرهم مؤكدا لاجل انكارهم ان ربك اي المحسن اليك يقضي بينهم اي باحصاء
الاعمال والجزاء عليها يوم القيامة اي الذي ينكره قومك الذين شرفناهم بما آتيناك فيما كانوا
اي لما هو لهم كالجبلة فيه يختلفون بغاية الجهد والمعنى انه لا ينبغي للمبطل ان يفرح بنعم الدنيا
فانها وان ساوت نعم المحق او زادت عليها فانه سيرى في الآخرة ما يسوءه وذلك
كالزجر لهم ولما بين تعالى انهم اعرضوا عن الحق بغيا وحسدا امر رسوله صلى الله عليه وسلم
ان يعدل عن تلك الطريقة وان يتمسك بالحق وان لا يكون له غرض سوى اظهار الحق فقال تعالى ثم اي
بعد فترة من رسلهم ومجاوزة مراتب كثيرة عالية على رتبة من بعثهم جعلناك اي بما لنا
من العزة والقدرة رتب كثيرة عالية على رتبة من بعثهم جعلناك اي بما لنا اي بما لنا من العزة والقدرة
على شريعة اي طريقة واسعة عظيمة ظاهرة مستقيمة موصلة الى المقصود هي جديرة بان يشرع الناس فيها
ويقبلوها مبتدأة من الامر اي امر الدين الذي هو حياة الارواح كما ان الماء حياة الاشباح فاتبعها
اي اتبع بغاية جهدك شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهواء اي ارادات الذين لا يعلمون اي لا علم لهم او لهم
علم لكنهم يعملون عمل من ليس لهم علم اصلا من كفار العرب وغيرهم قال الكلبي ان رؤساء قريش قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ارجع الى دين آبائك فانهم كانوا افضل منك واسن فانزل الله تعالى
هذه الآية ثم علل هذا النهي مهددا بقوله تعالى مؤكدا لانهم وآكد النفي فقال عز من قائل انهم لن يغنوا
عنك اي لا يجدد لهم نوع اغناء مبتدأ من الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما شيئا اي من اغناء اي ان تبعتهم
كما انهم لن يقدروا على شيء من اذى ان خالفتهم وناصبتهم وان الظالمين اي العريقين في هذا الوصف
وهم الكفرة وكان الاصل وانهم ولكنه تعالى اظهر للاعلام بوصفهم بعضهم اولياء بعض لاجل المجانسة علة الانضمام
فلا تتولهم باتباع اهوائهم والله اي الذي له صفات الكمال ولي المتقين اي الذين همهم الاعظم الاتصاف باتخاذ
الوقايات المنجية لهم من سخط الله تعالى والمعنى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا واما في الآخرة فلا ولي لهم
ينفعهم في ايصال الثواب وازالة العقاب واما المتقون المهتدون فالله سبحانه وليهم وناصرهم هذا
اي الوحي المنزل وهو القرآن بصائر اي معالم للناس اي في الحدود والاحكام يبصرون بها ما ينفعهم
وما يضرهم وهدى اي قائد الى كل خير مانع من كل زيغ ورحمة اي كرامة وفوز ونعمة

لقوم يوقنون اى ناس فيهم قوة القيام بالوصول الى العلم الثابت وتجديد الترقى فى درج
الكمال لا نهاية له وقوله تعالى أم حسب منقطعة فتقدر ببل والهمزة او ببل وحدها او بالهمزة
وحدها ومعنى الهمزة فيها الانكار لحسبان الذين اجترحوا اى اكتسبوا ومنه الجوارح
وفلان جارحة اهله اى كاسبهم وقال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار السيئات اى الكفر والمعاصى
أن نجعلهم اى بما لنا من العظمة المانعة من الظلم المقتضية للحكمة كالذين آمنوا
وعملوا تصديقا لاقرارهم الصالحات اى بان نتركهم بغير حساب للفصل بين المحسن والمسىء
ولما كانت المسائلة مجملة بينها استئنافا بقوله تعالى سواء اى مستويا استواء عظيما
محياهم ومماتهم اى حياتهم وموتهم وزمان ذلك ومكانه فى الارتفاع والسفول
واللذة والكدر وغير ذلك من الاعيان والمعانى وقرأ حمزة والكسائى وحفص سواء بالنصب
على الحال من الضمير المستتر فى الجار والمجرور وهما كالذين آمنوا ويكون المفعول الثانى للجعل كالذين
آمنوا اى احسبوا ان نجعلهم مثلهم فى حال استواء محياهم ومماتهم ليس الامر كذلك وقرأه
الباقون بالرفع على انه خبر ومحياهم ومماتهم مبتدأ ومعطوف والجملة بدل من الكاف والضمائر
للكفار والمعنى احسبوا ان نجعلهم فى الآخرة فى خير كالمؤمنين اى فى رغد من العيش مساو
لعيشهم فى الدنيا حيث قالوا للمؤمنين لئن بعثنا لنعطى من الخير مثل ما تعطون قال تعالى
على وفق انكاره بالهمزة ساء ما يحكمون اى ليس الامر كذلك فهم فى الآخرة فى العذاب على خلاف
عيشهم فى الدنيا والمؤمنون فى الآخرة فى الثواب بعملهم الصالحات فى الدنيا من الصلاة والزكوة والصيام
وغير ذلك وما مصدرية اى بئس حكمهم هذا ولما بين تعالى ان المؤمن لا يساويه الكافر فى درجات
السعادة اتبعه بالدلائل الظاهرة على صحة ذلك فقال تعالى وخلق الله اى الذى له جميع اوصاف الكمال
السموات والارض وقوله تعالى بالحق متعلق بخلق وقوله تعالى ولتجزى اى بايسر امر كل نفس
اى منكم ومن غيركم معطوف على بالحق فى المعنى لان كلا منهما سبب فتعطف العلة على مثلها او انه
معطوف على علة محذوف والتقدير خلق هذا ليدل على اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا اذا حصل
البعث والقيامة وحصل التفاوت بين الدرجات والدركات من المحقين والمبطلين بما اى بسبب ما
كسبت من خير او شر وهم اى والحال انهم لا يظلمون اى لا يوجد من موجدهما فى وقت من الاوقات
جزاء لهم فى غير موضعه هذا على ما جرت به عادتكم فى العدل والفضل ولو وجد منه سبحانه وتعالى
غير ذلك لم يكن ظلما منه لانه المالك المطلق الملك الاعظم فلو عذب اهل سمواته واهل ارضه كلهم لكان
غير ظالم فى نفس الامر فهذا الخطاب انما هو على ما يتعارفونه من اقامة الحجة مجاملة الامر ثم عاد
سبحانه وتعالى الى شرح احوال الكفار وقبائح طرائقهم فقال أفرأيت اى اعلمت علما هو فى
تيقنه كالمحسوس بحاسة البصر التى هى اثبت الحواس من اتخذ اى بغاية جهده الخدمة هو به اى ما
تهواه من حجر بعد حجر يراه احسن روى عن ابى رجاء العطاردى وهو ثقة ادرك الجاهلية ومات سنة

خمس ومائة عن مائة وعشرين سنة قال كنا نعبد الحجر فاذا وجدنا حجرا احسن منه القيناه
واخذنا الآخر فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب ثم حلبنا عليها ثم طفنا بها قال الاصفهانى سئل
ابن المقفع عن الهوى فقال هوان سرقت نونه فنظمه من قال * نون الهوان من الهوى مسروقة *
فاسير كل هوى اسير هوان * وقال آخر ايضا * ان الهوى لهو الهوان بعينه * فاذا هويت
فقد لقيت هوانا * واضله الله اى بما له من الاحاطة على علم منه تعالى اى عالما بانه من
اهل الضلالة قبل خلقه وختم زيادة على الاضلال الخاص على سمعه فلا فهم له فى الآيات
المسموعة وقلبه اى فهو لا يعى ما من حقه وعيه وجعل على بصره غشوة اى ظلمة فلا يبصر
الهدى ويقدر هنا المفعول الثانى لرأيت اى ايهتدى وقرأ حمزة والكسائى بفتح الغين وسكون الشين
والباقون بكسر الغين وفتح الشين والف بعد الشين واذا صار بهذه المثابة فمن يهديه واشار تعالى
الى قدرته عليه بقوله سبحانه وتعالى من بعد الله اى ان اراد الله اضلاله الذى له الاحاطة بكل
شئ اى لا يهتدى افلا تذكرون اى الم يكن لكم نوع تذكر فتتعظوا وفيه ادغام احدى
التاءين فى الذال وقالوا اى فى انكارهم البعث مع اعترافهم بانه تعالى قادر على كل شئ
ما هى اى الحياة الا حياتنا اى ايها الناس الدنيا اى هذه التى نحن فيها نموت ونحيا فان قيل
الحياة متقدمة على الموت فى الدنيا فمنكرو القيامة كان يجب ان يقولوا نحيا
ونموت فما السبب فى تقديم ذكر الموت على الحياة اجيب من وجوه اولها ان المراد بقولهم
نموت اى حال كونهم نطفا فى اصلاب الآباء وارحام الامهات وبقولهم ونحيا ما حصل بعد ذلك
فى الدنيا ثانيها نموت نحن ونحيا بسبب بقاء اولادنا ثالثها قال الزجاج الواو للاجتماع والمعنى يموت
بعض ونحيا بعض رابعها قال الرازى انه تعالى قدم ذكر الحياة فقال ان هى الا حياتنا
الدنيا ثم قال بعده نموت ونحيا يعنى ان تلك الحياة منها ما يطرأ عليها الموت وذلك فى حق الذين
ماتوا ومنها ما لا يطرأ عليه الموت بعد ذلك وهو فى حق الاحياء الذين لم يموتوا بعد وقال
البيضاوى ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ اى وهو ان روح الشخص اذا خرجت تنتقل الى
شخص آخر فيحيا بعد ان لم يكن فانه عقيدة اكثر عبدة الاصنام وما يهلكنا اى بعد الحياة
الا الدهر اى مر الزمان الطويل بغلبته علينا وطول العمر واختلاف الليل والنهار من دهره
اذا غلبه وما اى قالوه والحال انه ما لهم بذلك اى المقول البعيد من الصواب وهو انه لا
حياة بعد هذه وان الاهلاك منسوب الى الدهر على انه مؤثر بنفسه واغرق فى النفى فقال تعالى
من علم اى كثير ولا قليل ان اى ما هم الا يظنون اى بقرينة ان الانسان كما تقدم
فى السن ضعف وانه لم يرجع احد من الموتى هذا ظنهم الفاسد روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قال الله تعالى لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر فانى انا الدهر ارسل الليل
والنهار فاذا شئت قبضتهما وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسب احدكم

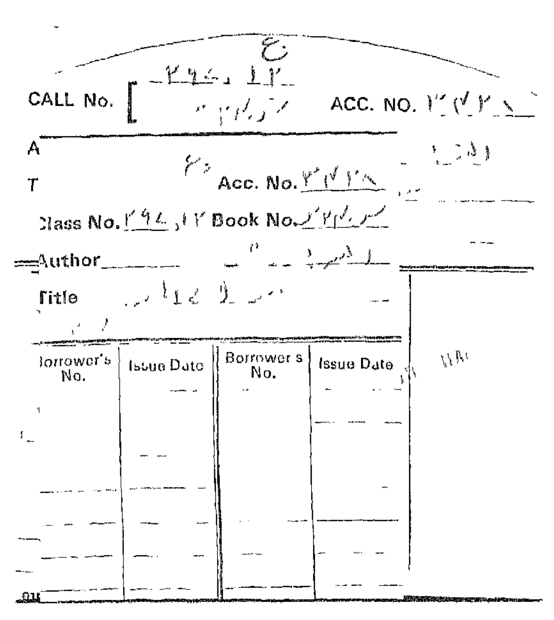
الدهر فان الدهر هو الله تعالى ولا يقولن للعنب الكرم فان الكرم هو الرجل المسلم ومعنى الحديث ان العرب
كان من شانها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم من المصائب
والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع الدهر وابادهم الدهر كما اخبر الله تعالى عنهم فاذا اضافوا الى الدهر
ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها فكان يرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور
التي يضيفونها الى الدهر فنهوا عن سبه واذا تتلى اي تتابع بالقراءة من اي تال كان عليهم آياتنا
اي على ما لها من العظمة في نفسها وبالاضافة الينا حال كونها بينات اي في غاية المكنة
في الدلالة على البعث فلا عذر لهم في ردها ما كان اي بوجه من وجوه الكون حجتهم اي قولهم
الذي ساقوه مساق الحجة الا ان قالوا ائتوا بآبائنا اي احياء ان كنتم صادقين اي في انا نبعث
فهو لا يستحق ان يسمى شبهة فسمي حجة بزعمهم اولان من كانت حجته هذه فليست له البتة حجة
كقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم بقوله تعالى
قل الله اي المحيط علما وقدرة يحييكم اي حين كنتم نطفا ثم يميتكم اي بان يخرج ارواحكم من اجسادكم
فتكونون كما كنتم قبل الاحياء كما تشاهدون ثم يجمعكم اي بعد التفرق فيعيد فيكم ارواحكم
كما كانت بعد طول مدة الرقاد منتهين الى يوم القيامة اي القيام الاعظم لكونه عاما لجميع الخلائق لا ريب اي لا شك
بوجه من الوجوه فيه بل هو معلوم علما قطعيا ضروريا ولكن اكثر الناس اي وهم القائلون ما ذكر لا يعلمون
اي لا يتجدد لهم علم لما لهم من النفوس فلتردد والسفول عن اوج العقل الى حضيض الجهل فهم واقفون
مع المحسوسات لا يلوح لهم ذلك مع ما له من الظهور وقوله تعالى ولله اي الملك الاعظم وحده
ملك السموات اي كلها والارض اي التي ابتدأكم منها تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة
اي توجد وتتحقق القيامة الذي هو على كمال تمكنه وتمام امره الناهض باعباء ما يريده ثم كرر للتأكيد والتهويل
قوله تعالى يومئذ اي يوم تقوم يخسرون هكذا كان الاصل ولكنه قال تعالى للتعميم والتعليق بالوصف
يخسر المبطلون اي الداخلون في الباطل العريقون في الاتصاف به الذين كانوا لا يرضون نقصا في تنمية
الحياة والعقل والصحة لانها راس مال والتصرف فيها لطلب السعادة الاخروية يجري مجرى تصرف
التاجر في ماله لطلب الربح والكفار قد اتعبوا انفسهم في تصرفاتهم بالكفر والا بالباطل فلم يجدوا
في ذلك اليوم الا الحرمان ودخول النار وذلك في الحقيقة نهاية الخسران وترى اي في ذلك
اليوم كل امة اي اهل دين جاثية قعدا اي مجتمعة لا يخالطها غيرها وهي مع ذلك باركة
على الركب رعبا واستيفازا لما لعلها تؤمر به جلسة المخاصم بين يدي الحاكم تنتظر القضاء
الحاتم والامر الجازم اللازم لشدة ما يظهر لها من هول ذلك اليوم كل امة من الجاثين
تدعى الى كتابها اي الذي انزل عليها وتعبدها الله تعالى به والذي نسخته الحفظة عليهم
السلام من اعمالها ليطبق احدهما بالآخر فمن وافق كتابه ما امر به من كتابه نجا ومن خالفه
هلك ويقال لهم حالة الدعاء اليوم تجزون اي على وفق الحكمة بايسر امر ما اي عين الذي

كنتم بما هو لكم كالجبلات تعملون ه اى مصرين عليه غير راجعين عنه من خير وشر، فان قيل
الجثو على الركب انما يليق بالخائف والمؤمنون لا خوف عليهم يوم القيامة، اجيب بان المحق الا من
يشاركه المبطل فى مثل هذه الحالة الى ان يظهر كونه محقا هذا كتابنا اى الذى انزلنا على
السنة رسلنا عليهم الصلوة والسلام ينطق اى يشهد شهادة هى فى بيانها كالنطق عليكم بالحق
اى الامر الثابت الذى يطابقه الواقع من اعمالكم وذلك بان يقول من عمل كذا فهو عاص
ومن عمل كذا فهو مطيع فينطبق ذلك على ما عملتموه سواء بسواء من غير زيادة ولا نقصان
وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ، ولما كانت العادة جارية فى الدنيا باقامة الحقوق بكتابة
الوثائق وكانوا كانهم يقولون ومن يحفظ اعمالنا على كثرتها مع طول المدة وبعد الزمان قال تعالى
مجيبا بما يقرب الى العقل من يسال عن ذلك انا اى على ما لنا من العظمة المغنية عن الكتابة
كنا على الدوام نستنسخ ما كنتم طبعا لكم وخلقا تعملون ه قولا وفعلا ونية اى نامر الملائكة
عليهم السلام بكتبها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ اى ناخذ نسخه وذلك ان الملكين يرفعان
عمل الانسان فيثبت الله تعالى منه ما كان له من ثواب او عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم
واذهب والاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من اعمال بنى آدم والاستنساخ لا يكون
الا من اصل كما ينسخ من كتاب وقال الضحاك نستنسخ اى نثبت وقال السدى نكتب وقال الحسن نحفظ
ثم بين تعالى احوال المطيعين بقوله تعالى فاما الذين آمنوا اى من كل الامم الجاثية وعملوا اى تصديقا لدعواهم
الايمان الصالحات اى الطاعات فوصفهم بالعمل الصالح بعد وصفهم بالايمان يدل على ان العمل
الصالح مغاير للايمان زائد عليه فيدخلهم اى فى ذلك اليوم ربهم اى المحسن اليهم بالتوفيق
بالايمان فى رحمته التى من جملتها الجنة والنظر الى وجهه الكريم الذى هو الغاية القصوى وتقول
لهم الملائكة تشريفا سلام عليكم ايها المؤمنون ودل على عظمة الرحمة بقوله تعالى ذلك اى الاحسان
العالى المنزلة هو اى لا غيره الفوز المبين ه اى الظاهر الذى لا يخفى على احد شئ من امره كانه لا يشوبه
كدر اصلا ولا نقص بخلاف ما كان من اسبابه فى الدنيا فانها مع كونها كانت فوزا كانت خفية جدا
على غير الموقنين، ثم بين تعالى احوال الفريق الآخر بقوله تعالى واما الذين كفروا اى ستروا ما امر الله تعالى
به افلم اى فيقال لهم الم تكن اى تاتيكم رسلى فلم تكن آياتى اى على ما لها من عظمة اضافتها الى
واعظمها القرآن تتلى اى تواصل قراءتها من اى تال كان فكيف اذا كانت بواسطة الرسل تلاوة
مستعلية عليكم لا تقدرون على دفع شئ منها، تنبيه، حذف القول المعطوف عليه كما تقرر
اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فاستكبرتم اى فتسبب عن تلاوتها التى من شانها ايراث
الخشوع والاخبات والخضوع ان طلبتم الكبر لانفسكم او جدتموه على رسلى وآياتى وكنتم
قوما اى ذوى قيام وقدرة على ما قصدتموه مجرمين ه اى عريقين فى قطع ما يستحق الوصل وذلك
هو الخسران المبين واذا اى وكنتم اذا قيل اى من اى قائل كان ولو على سبيل

التأكيد إنّ وعد الله أي الذي كل أحد يعلم أنه محيط بصفات الكمال حق أي ثابت لا محيد عنه مطابق
للواقع من البعث وغيره لأنّ أقل الملوك لا يرضى بأن يخلف وعده فكيف به سبحانه وتعالى تكيفا إذا
كان الاختلاف فيه منافيا للحكمة وقرأ والساعة حمزة بالنصب عطفا على وعد الله والباقون برفعها
وفيه ثلاثة أوجه أحدها الابتداء وما بعدها من الجملة المنفية وهو قوله تعالى لا ريب أي
لا يشك فيها خبرها ثانيها العطف على محل اسم إن لأنه قبل دخولها مرفوع بالابتداء ثالثها
أنه عطف على محل إن واسمها معا لأن بعضهم كالفارسي والزمخشري يرون أن لأن واسمها موضعا
وهو الرفع بالابتداء قلتم أي راضين لأنفسكم بمحض الجهل ما ندري أي الآن دراية علم ولو
بذلنا جهدنا في محاولة الوصول إليه ما الساعة أي لا نعرف حقيقتها فضلا عما تخبروننا به من
أحوالها + تنبيه + الساعة هنا مرفوعة باتفاق إن أي ما نظن أي نعتقد ما تخبروننا به عنها إلا
ظنا واهنا وصوله إلى درجة العلم فلذلك وما نحن وأكد والنفي فقالوا بمستيقنين أي بموجود عندنا
اليقين في أمرها قال الرازي القوم كانوا في هذه المسألة على قولين منهم من كان قاطعا بنفي
البعث والقيامة وهم المذكورون في قوله تعالى وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا ومنهم من كان
شاكا متحيرا فيه لأنهم لكثرة ما سمعوه من الرسل عليهم السلام ولكثرة ما سمعوه من دلائل
القول بصحته صاروا شاكين فيه وهم المذكورون في هذه الآية ويدل على ذلك أنه حكى تعالى
مذهب أولئك القاطعين ثم اتبعه بحكاية قول هؤلاء فوجب كون هؤلاء مغايرين للفريق
الأول + ولما وصلوا إلى حد عظيم من العناد التفت إلى أسلوب الغيبة إعراضا عنهم إيذانا بشدة
عليهم فقال تعالى وبدا أي ظهر لهم لما يقولون ذلك إلى أن بدت لهم الساعة بما فيها من الأوجال
والزلازل والأهوال وظهر لهم غاية الظهور سيئات ما عملوا في الدنيا فتمثلت لهم وعرفوا مقدار جزائها
واطلعوا على جميع ما يلزم على ذلك وحاق أي أحاط بهم على حال القهر والغلبة قال أبو حيان
ولا يستعمل إلا في المكروه ما كانوا أي جبلة وطبعا به يستهزؤون أي يوجدون الهزء به على غاية
الشهوة واللذة إيجادا مستمرا طالب لذلك وهذا كالدليل على أن هذه الفرقة لما قالوا إن نظن
إلا ظنا إنما ذكروه استهزاء أي سخرية فيكون هذا الفريق أشر من الفريق الأول لأن الأولين كانوا
منكرين وما كانوا مستهزئين وهؤلاء ضموا إلى الإصرار على الإنكار الاستهزاء وقرأ حمزة في الوقف بتسهيل
الهمزة بعد الزاي كالواو وله أيضا إبدالها ياء ونقل عنه أيضا غير ذلك وقيل أي لهم على أعظم الأحوال
وأشدها قولا لا معقب له فكأنه بلسان كل قائل اليوم ننساكم أي نترككم في العذاب
كما نسيتم لقاء يومكم هذا أي كما تركتم الإيمان والعمل للقائه وقيل نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي
غير المبالى به كما لم تبالوا أنتم بلقاء يومكم هذا ولم تلتفتوا إليه ومأواكم النار ليس لكم براح
عنها وما لكم من ناصرين أي يتجدد لكم من ذلك استشفاعة ولا مدافعة فجمع الله تعالى عليهم من
وجوه العذاب ثلاثة أشياء قطع الرحمة عنهم وتصييرهم بمأواهم النار وعدم الأنصار لهم إنهم اتخذوا

بثلاثة انواع من الاعمال القبيحة وهى الاصرار على انكار الدين الحق والاستهزاء به والسخرية
والاستغراق فى حب الدنيا وهو المراد بقوله تعالى ذلكم اى العذاب العظيم بانكم اتخذتم
اى بتكليف منكم لانفسكم آيت الله اى الملك الاعظم هزوا اى استهزاء بها ولم تتفكروا
فيها وقرأ اتخذتم ابن كثير وحفص باظهار الذال عند التاء والباقون بالادغام وغرتكم الحيوة
الدنيا الدنية لضعف عقولكم فآثرتموها لكونها حاضرة وانتم كالبهائم فقلتم لاحياة غيرها
ولا بعث ولا حساب ولو تعقلتم وصقلتم لها لاداكم الى الاقرار بالآخرة فاليوم اى بعد ايرادهم
فيها لا يخرجون منها اى لنا ذلك لان الله تعالى لا يخرجهم ولا يقدر غيره على ذلك وقرأ حمزة والكسائى
بفتح الياء التحتية وضم الراء والباقون بضم الياء وفتح الراء ولاهم يستعتبون اى لا يطلب
من طالب منهم الاعتاب وهو الاعتذار لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة ولما
تم الكلام فى المباحث الروحانية ختم السورة بتحميد الله تعالى فقال عز من قائل فلله اى الذى
له الامر كله الحمد اى الاحاطة بجميع صفات الكمال رب السموت اى ذوات العلو والاتساع
والبركات ورب الارض اى ذات القبول للواردات رب العلمين اى خالق ما ذكر اذ الكل
نعمة منه دال على كمال قدرته فاحمدوا الله الذى هو خالق السموات والارضين وخالق
كل العالمين من الاجسام والارواح والذوات والصفات فان هذه توجب الحمد والثناء على كل
من المخلوقين والمربوبين ولما افاد ذلك غناه الغنى المطلق وسيادته وانه لا كفوء له عطف عليه
بعض اللوازم لذلك تنبيها على مزيد الاعتناء به لدفع ما يتوهمونه من ادعاء الشركة التى لا يرضونها
لانفسهم فقال تعالى وله اى وحده الكبرياء اى الكبر الاعظم الذى لا نهاية له فى السموت كلها
والارض جميعا اللتين فيهما آيات للموقنين روى عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما
ادخلته النار وفى رواية عذبته وفى رواية قصمته وهو وحده العزيز الحكيم الذى يضع الاشياء
فى مواضعها ولا يضع شيئا الا كذلك كما احكام امره ونهيه وجميع شرعه وحكم نظم هذا القرآن
جملا وآيات وفواصل وغايات بعد ان حرر معانيه وتنزيله
فصار معجزا فى نظمه ومعناه وما رواه البيضاوى
تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال
من قرأ سورة حم الجاثية ستر الله
عورته وسكن روعته يوم
الحساب
موضوع

تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع اوله سورة الاحقاف





MAULANA AZAD LIBRARY
ALIGARH MUSLIM UNIVERSITY

RULES:—

1. The book must be returned on the date stamped above.
2. A fine of Re 1.00 per volume per day shall be charged for text-books and 10 Paise per volume per day for general books kept over-due.